

تحقيق ودراسة: بلال محمد شلش

ذاكرة فلسطين

داخل السور القديم

نصوص قاسم الريماوي عن الجهاد المقدس

telegram @soramnqraa



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

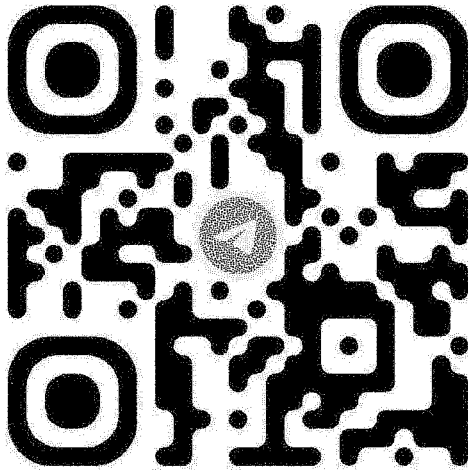


لننسى تشرين .. 23

لننسى غزة والشهداء

انضم لـ مكتبة .. اصنع الكود

telegram @soramnqraa



داخل السور القديم

نصوص قاسم الريماوي

عن الجهاد المقدس

داخل السُّور القديم

نصوص قاسم الريماوي
عن الجهاد المقدس

مكتبة
t.me/soramnqraa

تحقيق ودراسة
بلال محمد شلش

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies



الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
داخل السور القديم: نصوص قاسم الريماوي عن الجهاد المقدس/ تحقيق ودراسة بلال محمد
شلس.

500 ص.: ايض.؛ 24 سم. - (سلسلة ذاكرة فلسطين)

يشتمل على بليوغرافية (ص. 463-478) وفهرس عام.

ISBN 978-614-445-355-1

1. الريماوي، قاسم، 1982-1918. 2. النزاع العربي الإسرائيلي. 3. فلسطين - تاريخ -
الاحتلال الإسرائيلي، 1948 - 4. المقاومة الفلسطينية - تاريخ. 5. فلسطين - تاريخ - الاحتلال
البريطاني، 1917-1948. 6. فلسطين المحتلة، 1948 - 7. القضية الفلسطينية. أ. شلس، بلال
محمد. ب. السلسلة.

956.9405

العنوان بالإنكليزية

Inside the Ancient Wall:

A Study of Kassim Al-Rimawi's Texts on Holy Jihad

by Bilal Muhammad Shalash

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies



شارع الطرفة - منطقة 70

وادي البنات - ص. ب: 10277 - الطعائن، قطر

هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174

ص. ب: 114965 11 رياض الصلح بيروت 11072180 لبنان

هاتف: 00961 19918378 فاكس: 00961 1991839

البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org

الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى

بيروت، تموز/ يوليو 2020

لقاسم؛ مَنْ ذَكَرَ السَّلَاحَ وَأَهْلَهُ

وَأَدَامَ الذِّكْرَ فَأَحْيَا

«نحن جننا من بعيد
نحن من طيبة جننا
كيف جننا؟! اسألوا عَنَّا الجراح
واسألوا الأيدي التي ماتت ولم تُلقِ السلاح
كيف خضنا الدهر هولاً بعد هول؟
وبلونا الموت شبراً بعد شبر؟
وانتزعنا الخطو من قبرٍ لقبر
من شهيدٍ لشهيد
هكذا نحن أتيّنا، ذات يوم
ذات يومٍ ليس يُنسى»⁽¹⁾

(1) نجيب سرور، الأعمال الكاملة، مراجعة وتقديم عصام الدين أبو العلا (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995).

عرفان

للزملاء الأعزاء؛ أسرة المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة، ومشروع دراسة وتوثيق القضية الفلسطينية، لتكرمهم بمنح زمالة بحثية وقرت إمكان التفرغ لإنجاز هذا النص خلال الأشهر الماضية، خصوصًا مديره العام د. عزمي بشارة، والمدير التنفيذي للمركز د. محمد المصري، ومدير البحوث المحرر العلمي الأستاذ محمد جمال باروت، ومنسق المشروع الأستاذ معين الطاهر، والمحرة الأستاذة منى عوض الله.

وللأستاذة الزملاء: د. حسين الريماوي، د. نبيه بشير، الأستاذ سميح حمودة، رحمه الله، د. منير فخر الدين، د. هنيذة غانم، الأستاذ خالد عودة الله. ولمساعد البحث العزيز مجد بلال اشتية. والزملاء في المركز العربي: عبد الرحمن سدر، لانا البهلول، فاطمة عليان.

وللأصدقاء الأعزاء؛ ساري عرابي، عوني فارس، نديم حمودة، نوار ثابت، وائل إحريز، حمزة العقرباوي، عبّاد يحيى، علاء أبو قطيش، هنادي القواسمي، ممدوح عميرة، رزان حلبي، كمال الجعبري، عبير جوان، أحمد عز الدين، نصر البحيصي، أحمد سمير العاروري، وائل عواد.

ولعائلي؛ والديّ الغاليين، زوجتي الحبيبة شمعة علوان، بناتي مريم وندى، وصابرين وياسمين باسم، وولدي عبد الرحمن.

المحتويات

15	قائمة الخرائط والصور
	مقدّمة: الذاكرة كحرب، إسكات وإثبات؛ نصوص قاسم الريماوي عن الجهاد
19	المقدس
19	مدخل
24	أولاً: سيرة قاسم الريماوي ونصوصه
29	الصورة الأولى: قاسم الريماوي المقاتل
39	الصورة الثانية: قاسم الريماوي السياسي الفلسطيني / الأردني
52	استعادة الصورة الأولى
60	ثانياً: من وحي نصوص قاسم الريماوي
63	الصراع على السرديات التاريخية للجهاد المقدس
	الإسكات / الإثبات: عن بعض الصراع بين سرديات الريماوي
78	السياسي / المقاتل
110	ثالثاً: ماذا بعد؟
117	الفصل الأول: مختصر المسيرة
119	متن التقرير
119	1. مقدّمة
125	2. ما بعد استشهاد عبد القادر الحسيني

3. خلافة عبد القادر الحسيني في القيادة 128
4. نحن وفوزي القاوقجي 132
5. موقف قيادة الجهاد المقدس في القدس
خلال معارك باب الواد 143
6. موقف قيادة الجهاد المقدس بعد دخول الجيوش العربية، وعجزهم
عن دعم مركز الهيئة العربية العليا أو إيجاد نظام عسكري، علي
أو سري، يصلح لأن يكون نواة لتحرير البلاد 146
7. نحن والجيوش العراقي 154
8. محاولة إحباط مساعي شرق الأردن السياسية 158
9. احتلال مقرّ قيادة الجهاد المقدس في بئرزيت 162
- الفصل الثاني: نصوص من سيرة الجهاد المقدس 171
- أولاً: قبل النهاية، ظروف التأسيس 173
- حالة البلاد الداخلية 173
- فلسطين بلا سلاح 179
- ثانياً: جذور الجهاد المقدس 186
- مصر قاعدة الانطلاقة 186
- الإعداد للجهاد المقدس 189
- الاستعداد للحرب 198
- نظام الأهداف 201
- ثالثاً: حرب ضدّ التقسيم (تشرين الثاني/ نوفمبر -
كانون الأول/ ديسمبر 1947) 203
- أول الرصاص 203
- أول السلاح لحرب النهاية: خطتنا للتسليح 207
- صراع أول ضدّ الإلغاء: اللجنة العسكرية العربية والقاوقجي 228

رابعاً: عبد القادر على أرض الجهاد (أواخر كانون الأول/ ديسمبر 1947 -	241
8 نيسان/ أبريل 1948).....	
زيارات تأسيسية.....	242
اتخاذ بئرزيت مقرًا لقيادته العامة.....	250
إنهاء الحرب: الدفاع/ الهجوم.....	259
خاتمة: الحسيني الشهيد.....	359
خامساً: على الرغم من التيه، صمودٌ وتصدي.....	388
عقب الشهيد.....	388
7-15 أيار/ مايو 1948: معارك باب الواد.....	395
مع الركن الثاني: حسن سلامة.....	398
إعادة تنظيم الصفوف بعد استشهاد سلامة.....	409
«بين آكو وماكو ضاعت لحاكو»: فشل محاولة أخيرة لأخذ دور.....	417
الفصل الثالث: شذرات.....	427
أرادوا وفشلوا: عن الصهاينة واحتلال بقية فلسطين	
خلال حرب 1947-1949.....	429
إبعاد محمود لبيب.....	436
صور بديا المنهوبة: خليل رصاص وصور الجهاد المقدس.....	441
ملحق وثائقي.....	447
الملحق الأول: 5 نيسان/ أبريل 1948، تقرير إلى اللجنة العسكرية.....	449
الملحق الثاني: 30 أيلول/ سبتمبر 1949، رسالة إلى أبي الحسن.....	456
الملحق الثالث: الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة	
من تقرير قاسم الريماوي؛ المخطوط المرفوع	
إلى الحاج أمين الحسيني.....	457

459	الملحق الرابع: صور للفهرس الأولي الذي أعدّه الريماوي لمخطوطه عن الشهيد عبد القادر الحسيني
461	الملحق الخامس: خريطة قضاء رام الله خلال حرب 1947-1949
462	الملحق السادس: خريطة القدس وريفها، والمستوطنات الصهيونية المجاورة لها، وخطوط المواصلات الرئيسة المؤدية إليها
463	المراجع
479	فهرس عام

قائمة الخرائط والصور

الخرائط

- 295 (1-2): موقع معركة بيت سوريك
- 305 (2-2): موقع عملية المصيون
- 339 (3-2): نسف شارع بن يهودا
- 349 (4-2): نسف مكاتب الوكالة اليهودية
- 358 (5-2): نسف حيّ المنتفوري
- 395 (6-2): طريق القدس - يافا (طريق باب الواد)
- 421 (7-2): خط سير الهجوم الأولي، وفقاً لرواية الريماوي
- 461 (الملحق 1-5): قضاء رام الله خلال حرب 1947-1949
- (الملحق 2-6): القدس وريفها، والمستوطنات الصهيونية المجاورة لها،
وخطوط المواصلات الرئيسة المؤدية إليها
- 462

الصور

- (1-1): عبد القادر الحسيني وقاسم الريماوي ومالك الحسيني
وكامل عريقات، خلال استعراضهم مجموعة
من مقاتلي الجهاد المقدس، أمام أهالي بلدة بديا،
في أثناء جولات الحسيني التأسيسية للحشد والتنظيم
- 117

(1-2): جنود الجهاد المقدس في مسير عسكري استعراضي

171 أمام أهالي بلدة بديا

(2-2): عبد القادر الحسيني في أثناء جولاته التأسيسية للحشد والتنظيم، بعد

241 دخوله إلى فلسطين. والصورة له في أثناء وجوده في بلدة بديا

(3-2): قاسم الريماوي وكامل عريقات على رأس مقاتلي الجهاد المقدس،

244 في مسير عسكري استعراضي أمام أهالي بلدة بديا

(4-2): عبد القادر الحسيني وقاسم الريماوي ومالك الحسيني يقابلهم كامل

244 عريقات، في أثناء مسير عسكري لقوة الجهاد المقدس في بلدة بديا

(5-2): مقاتلون عرب في منطقة الشيخ جراح،

263 في أثناء هجوم لهم على قافلة صهيونية

(6-2): مقاتلون عرب، يُظنّ أنّ منهم الثاني من اليمين حافظ عبد الشكور بركات،

292 بعد الانتهاء من معركة كفار عتسيون الثانية

(7-2): شرطي بريطاني يقف أمام مبنى صحيفة بالستين بوست المنسوف

319 في شارع هاسوئيل في القدس

(8-2): شارع بن يهودا، في قلب الأحياء الغربية في القدس لحظة تفجيره

341 (9-2): مشهد عام لمباني شارع بن يهودا بعد عملية النسف

376 (10-2): عبد القادر الحسيني شهيداً

397 (11-2): مقاتلون عرب في مرتفعات باب الواد

(1-3): بقية الآليات الصهيونية المصفحة التي دُمرت على طريق يافا - القدس،

في معارك باب الواد. يظهر في الصورة صخرة وُضعت كُنُصِب تذكاري حُفِر

عليها «24 آذار/ مارس 1948»، كما وُضِع بجوار الآلية التي تظهر

432 في أقصى يمين الصورة صخرة حُفِر عليها «20 نيسان/ أبريل 1948»

(2-3): قاسم الريماوي، عبد القادر الحسيني، كامل عريقات، إبراهيم أبو دية،

443 موسى شيبان، ومجموعة من مقاتلي الجهاد المقدس في بديا

(3-3): قاسم الريماوي، عبد القادر الحسيني، كامل عريقات،

443 وإبراهيم أبو دية

(4-3): كامل عريقات، مالك الحسيني، عبد القادر الحسيني، قاسم الريماوي،

444 ومجموعة من مقاتلي الجهاد المقدس في بديا

(5-3): مقاتلو الجهاد المقدس وقادته مع أهالي بلدة بديا

444 (6-3): عوض محمود، وكامل عريقات، وعبد القادر الحسيني،

445 وقاسم الريماوي

(7-3): قاسم الريماوي وكامل عريقات على رأس مقاتلي الجهاد المقدس،

445 في مسير عسكري استعراضي أمام أهالي بلدة بديا

مقدّمة

الذاكرة كحرب، إسكات وإثبات؛ نصوص قاسم الريماوي عن الجهاد المقدس

مدخل

في القدس،

أعني داخل السور القديم،

أسيرُ من زَمَنٍ إلى زَمَنٍ بلا ذكرى

تُصوِّبني⁽¹⁾.

على الرغم من مركزية حرب 1947-1949 في الصراع العربي - الصهيوني، وأهمية توثيقها، فإنّ التأريخ العربي لها عانى قصورًا حادًا؛ فمع سقوط فلسطين، وتطهير الكثير من تراثها الوثائقي ونهبه، والذي لم يكن مقتصرًا على لحظة الحرب، كان غياب المصادر الأولية الإشكالية الأولى التي تواجه الكتابات التاريخية العربية. لكنّ هذا الغياب للمصادر الأولية، والذي انعكس ضعفًا على الكثير من النصوص التأسيسية في الرواية التاريخية العربية للحرب، لم يعنِ انتفاءها، أو وقوعها مجملة في أيدي الناهيين، إذ إنّ جزءًا

(1) محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، مج 3 (رام الله: مؤسسة محمود درويش؛ عمان:

دار الناشر؛ الأهلية للنشر والتوزيع، 2014)، ص 239.

رئيسًا من هذه المصادر بقي محفوظًا، كما يتكشف يوميًا، في أراشيف محلية، أو في مجموعات شخصية، ساهمت عوامل مختلفة، شخصية وموضوعية، في إخفائها عن نظر المؤرخ، إن وجد.

كان التأريخ للفعل العسكري الفلسطيني في حرب 1947-1949 أحد أبرز مواضع القصور في التأريخ العربي، إذ أُرْخَ لمشاركة الجيوش العربية في الحرب بعد 15 أيار/ مايو 1948، انطلاقًا في كثير من الأحيان من مواد أولية مهمة، مصدرها الأراشيف الرسمية، وإن بقيت مغلقة⁽²⁾. أما الفعل العسكري الفلسطيني، فاندثر تراثه أو اختفى إلى حين. واقتصر التأريخ لهذا الفعل، بعد نصوص عارف العارف⁽³⁾ المبكرة، وأبرزها كتابه النكبة، على نصوص محدودة،

(2) فُتحت أراشيف بعض الدول العربية وجيوشها لبعض المؤرخين المقربين من المؤسسة الرسمية أو من أبنائها، وخرجت نصوص وثائقية مهمة تتضمن بعض هذه الأراشيف: يُنظر مثلاً عن مشاركة الجيش المصري في الحرب: إبراهيم شكيب، حرب فلسطين، 1948: رؤية مصرية (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1986). وعن مشاركة الجيش العراقي: خليل سعيد، تاريخ حرب الجيش العراقي في فلسطين 1948-1949 (بغداد: مطبعة الجيش العراقي، 1966-1969). ويُنظر نصوص وثائقية أخرى مثل: تقرير لجنة التحقيق النيابة في قضية فلسطين (بغداد: مطبعة الحكومة، 1949)؛ محمد حسنين هيكل، العروش والجيوش، الكتاب الأول، كذلك انفجر الصراع في فلسطين 1948-1998 قراءة في يوميات الحرب، الأعمال الكاملة لمحمد حسنين هيكل (القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009)؛ محمد حسنين هيكل، العروش والجيوش، الكتاب الثاني، أزمة العروش صدمة الشروق للنشر والتوزيع، 2009)؛ محمد عدنان البخيت (إشراف)، الوثائق الهاشمية، أوراق الملك عبد الله بن الحسين الأول، فلسطين (1367 هـ/ 1948 م)، مج 5، القسم الأول (عمّان: جامعة آل البيت، 1995)؛ محمد عدنان البخيت (إشراف)، الوثائق الهاشمية، أوراق الملك عبد الله بن الحسين الأول، فلسطين (1367 هـ/ 1948 م)، مج 5، القسم الثاني (عمّان: مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام - الجامعة الأردنية، 2015)؛ محمد عدنان البخيت (إشراف)، الوثائق الهاشمية، أوراق الملك عبد الله بن الحسين الأول، فلسطين (1367 هـ/ 1948 م)، مج 5، القسم الثالث (عمّان: مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام - الجامعة الأردنية، 2015)؛ محمد عدنان البخيت (إشراف)، الوثائق الهاشمية، أوراق الملك عبد الله بن الحسين الأول، فلسطين (1367 هـ/ 1948 م)، مج 5، القسم الرابع (عمّان: مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام - الجامعة الأردنية، 2015).

(3) عارف العارف (1892-1973): ولد في القدس ودرس فيها، ثم استكمل دراسته الجامعية في إسطنبول في عام 1913. عمل مترجمًا في وزارة الخارجية التركية، ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى التحق بالكلية العسكرية ليتخرّج برتبة ضابط، ليقاوم على إثرها في جبهة القفصاس. أسرته القوات =

جُلّها من نصوص التأريخ المحلي للقري والمدن الفلسطينية. وكذلك بعض نصوص السير لبعض قادة هذا الفعل، ونصوص المذكرات وشهادات التاريخ الشفوي.

القوة العسكرية الفلسطينية الأبرز التي تحضر عند الحديث عن الفعل العسكري الفلسطيني خلال الحرب، هي قوة الجهاد المقدس⁽⁴⁾. وقد نشطت هذه القوة في المرحلة الأولى (كانون الأول/ ديسمبر 1947 - 15 أيار/ مايو 1948)، في القطاع الشرقي من المنطقة الوسطى، وفقاً للتقسيمات المقررة من اللجنة

=الروسية في عام 1915، ونُفي إلى سيبيريا وظل فيها إلى أن نجح في الفرار بعد ثلاثة أعوام من الأسر. بعد عودته إلى فلسطين، أصدر صحيفة سورية الجنوبية في عام 1919، واعتقل إثر انتفاضة نيسان/ أبريل 1920، لكنّه فرّ وخرج إلى سورية وبقي فيها إلى أن سقط الحكم الفيصلي، ثم لجأ إلى الأردن ثم عاد إلى فلسطين، حيث تولى عددًا من المناصب الإدارية في الحكومة الاستعمارية، ثم انتقل للعمل في إمارة شرق الأردن سكرتيرًا عامًا لحكومتها (1926-1929)، ثم قائمقام بئر السبع، لينتقل بعدها إلى غزة. قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية، عُيّن مساعدًا لحاكم لواء القدس، وبقي في منصبه هذا حتى لحظة جلاء المستعمر البريطاني عن فلسطين، ثم انتقل لتقديم خدماته الإدارية إلى المملكة الأردنية الهاشمية، فُعّيّن حاكمًا عسكريًا في رام الله، وعُيّن رئيسًا لبلدية القدس في تشرين الأول/ أكتوبر 1950، وانتُخب لرئاستها في تموز/ يوليو 1951 وبقي في رئاستها إلى أن أُقيل في كانون الأول/ ديسمبر 1951. وأخيرًا عُيّن وزيرًا للأشغال العامة في حكومة هزاع المجالي في كانون الأول/ ديسمبر 1955، والتي استمرت لأيام. يُعتبر العارف من أبرز المنشغلين بالتأريخ لفلسطين، وأبرز من كتب تاريخًا لحرب 1947-1949، وقد صدر مؤلفه في سبعة أجزاء عن المكتبة العصرية في صيدا، خلال الأعوام بين 1956 و1961.

(4) على الرغم من أنّ الشائع استخدام «الجهاد المقدس» للإشارة إلى جميع التشكيلات العسكرية الفلسطينية التي أسست في مجملها تحت إشراف الهيئة العربية العليا، ورئسها الحاج محمد أمين الحسيني، خلال حرب 1947-1949، فإنّ هذا الاستخدام من دون تحقيب زمني يعدّ أمرًا إشكاليًا، إذ إنّ تسمية التشكيلات العسكرية المحلية اختلفت من منطقة إلى أخرى قبل 15 أيار/ مايو 1948، فُعُرفت القوات التي تُحُدّت بعد شباط/ فبراير 1948 بالقطاع الشرقي من المنطقة الوسطى، والتي قادها عبد القادر الحسيني، بالجهاد المقدس. أما التشكيلات العسكرية الأخرى، فإنّها تسمّت بمسميات مختلفة، وبالفعل لم تكن تتبع لعبد القادر الحسيني، وإن وُجد بعض التنسيق بينها. لكن بعد 15 أيار/ مايو 1948، وسقوط جزء رئيس من فلسطين، وبعد استشهاد القائد حسن سلامة، وتشتت قواته إثر احتلال اللد والرملة، أُعيد ترتيب معظم التشكيلات العسكرية المحلية تحت مسمى الجهاد المقدس، وهو أمر يحتاج إلى مزيد من التفصيل والتدليل الوثائقي، والأمل أن يتحقق ذلك قريبًا بنص منفرد.

العسكرية المنبثقة من جامعة الدول العربية⁽⁵⁾. وعلى الرغم من أنّ الانطلاقة الفعلية لنشاط هذه القوة كان بالتوازي مع الاشتباكات الأولى التي اندلعت في فلسطين بحلول كانون الأول/ديسمبر 1947، إثر إقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة مشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947، فإنّه سبق هذه اللحظة، وتلاها أيضًا، جهد تنظيمي كبير امتد أشهرًا خلت، وكشفت الحرب ستاره. ترأس هذا الجهد، وكان أحد أبرز أركانه، عبد القادر «موسى كاظم» الحسيني⁽⁶⁾ الذي حظي مبكرًا بعناية الحاج «محمد أمين» الحسيني⁽⁷⁾، ثم برعاية الهيئة العربية العليا بعد تأسيسها. وبمرور الوقت،

(5) اللجنة العسكرية العربية العليا: شكّلت جامعة الدول العربية، في أيلول/سبتمبر 1947، لجنة فنية عسكرية لتقدّم تقريرًا لمجلس الجامعة، لبيان حقيقة الوضع العسكري في فلسطين. تحوّلت هذه اللجنة، بعد تقديم تقريرها في 9 تشرين الأول/أكتوبر 1947، إلى لجنة عسكرية دائمة مسؤولة عن النشاط العسكري التنفيذي، وعيّن اللواء العراقي إسماعيل صفوت لقيادة القوات المؤلفة من الفلسطينيين ومتطوعي البلاد الأخرى. وبالفعل، تولّت هذه اللجنة المسؤولية العامة عن الفعل العسكري العربي حتى صدور قرار دخول الجيوش العربية إلى فلسطين، وتشكيل قيادة جديدة بعد 15 أيار/مايو 1948.

(6) عبد القادر موسى كاظم الحسيني (1910-1948): ولد في القدس. كان والده، موسى كاظم الحسيني، أحد قادة الحركة الوطنية البارزين. درس في مدارس الرشيدية وصهيون وروضة المعارف في القدس، وحصل على درجة البكالوريوس في العلوم من الجامعة الأمريكية في القاهرة في عام 1932. عمل موظفًا في دائرة الأراضي إلى أن بدأ الإضراب الكبير في عام 1936، فاستقال منها، ثم عمل مديرًا للحزب العربي في القدس. التحق بثورة 1936-1939، كأحد أبرز قادتها، إلى أن لجأ في ختامها إلى العراق، وهناك، التحق مع بعض الثوار الآخرين، بالكلية العسكرية الملكية، وشارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني، وبعد فشلها، اعتُقل ثم نفي إلى منطقة زاخو شمال العراق، ثم اعتُقل مرة أخرى، بعد اتهامه باغتيال فخري النشاشيبي. ترك العراق إلى السعودية، وبقي فيها إلى أن غادرها مع نهاية الحرب العالمية الثانية إلى مصر التي وصل إليها في شباط/فبراير 1946. اتخذ من مصر مستقرًا لتشكيل تنظيم عسكري سري استعدادًا للثورة المقبلة، وكان الأساس لقوة الجهاد المقدس التي نشطت بقيادته في فلسطين مطلع كانون الأول/ديسمبر 1947، بعد إقرار الأمم المتحدة مشروع التقسيم. بقي يقاتل وقواته في فلسطين إلى أن استشهد في معركة القسطل في 8 نيسان/أبريل 1948.

(7) «محمد أمين» ظاهر الحسيني (1897-1974): ولد في القدس. درس في كلية الإدارة في إسطنبول، ودرس الشريعة في الأزهر في القاهرة. شارك في الحرب العالمية الأولى كجندي عثماني، وعمل كاتبًا في دائرة الأمن العام في الإدارة العسكرية البريطانية في الفترة الأولى للاحتلال. حُكّم غيابيًا بالسجن مدة عشرة أعوام، بعد اتهامه بالمشاركة في انتفاضة النبي موسى في نيسان/أبريل 1920، وبقي لاجئًا في سورية إلى أن أصدر المندوب السامي الأول عفواً عنه. عيّنّه المندوب السامي في أيار/مايو 1921 مفتيًا أكبر للقدس، وعيّن لرئاسة المجلس الإسلامي الأعلى في آذار/مارس 1922. أسس شبكة =

تحوّل هذا الجهد التنظيمي إلى فعل منظم على مدار أيام الاشتباك التالية باسم الجهاد المقدس، وسيكون الأداة الأولى للدفاع عن الأرض وحفظ بقيّتها، على الرغم من التغييرات التي ستفرض على التشكيلات العسكرية العربية في فلسطين، بعد قرارات جامعة الدول العربية واللجنة العسكرية العربية، والتغييرات التي سيفرضها أيضًا استشهاد عبد القادر الحسيني المبكر، وكذلك دخول الجيوش العربية إلى فلسطين، وسيطرتها على القرار العسكري الميداني⁽⁸⁾.

لم يكن الحسيني وحيدًا في رحلته لتأسيس هذا الفعل، كان معه آخرون؛ جند وقادة، ترك بعضهم أثرًا وذكرًا حفظ بعض سيرة هذا الفعل.

= علاقات إسلامية واسعة، تجلّت في عقد المؤتمر الإسلامي الأول في القدس في عام 1931، ثم انتُخب رئيسًا للجنة العربية العليا مع بواكير الثورة الكبرى في نيسان/أبريل 1936. أُقيل من المجلس الإسلامي الأعلى، وخرج من فلسطين لاجئًا إلى لبنان، في تشرين الأول/أكتوبر 1937، بالتزامن مع اندلاع الموجة الثانية من الثورة. مع نهاية الثورة لجأ إلى العراق، حيث شارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني. وبعد فشلها، لجأ إلى إيران، ثم استقر به المقام في أثناء الحرب العالمية الثانية في ألمانيا، بعد تحالفه معها. انتقل مع نهاية الحرب إلى فرنسا، حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية، إلى أن غادرها إلى مصر في أواخر أيار/مايو 1946. رأس الهيئة العربية العليا بعد تشكيلها في حزيران/يونيو 1946، والتي تحوّلت إلى الهيئة الممثلة للفلسطينيين قبيل المرحلة الأولى من حرب 1947-1949، وخلالها ترأس المؤتمر الوطني المنعقد في غزة مطلع تشرين الأول/أكتوبر 1948، والذي سعى إلى تثبيت كيان فلسطيني مستقل، لكنّه فشل في ذلك. بقي ممارسًا لبعض النشاط السياسي في القاهرة، إلا أنّ توتر علاقاته الدائم مع رأس النظام المصري الجديد بعد تموز/يوليو 1952، جمال عبد الناصر، دفعه إلى الاستقرار في لبنان بعيدًا عن مصر، منذ أيلول/سبتمبر 1959، حيث استقر هناك إلى أن توفي. يُنظر: زهير مارديني، «ألف يوم مع الحاج أمين»، مجلة العرفان، مج 65، العدد 9-10 (أيلول/سبتمبر 1977)، ص 904-1209؛ عبد الكريم العمر (إعداد)، مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1999).

(8) لم تحظ تجربة الجهاد المقدس بكثير من الاهتمام والدراسة، فعمليًا وُجدت شذرات في بعض نصوص تاريخ الحرب العامة، أو كتب السير والمذكرات. وأفرد للموضوع كتاب واحد، ضعيف في طرحه ومصادره، هو كتاب جيش الجهاد المقدس في فلسطين 1931-1949 لمحمد خالد الأزعر، الصادر عن المركز القومي للدراسات والتوثيق في غزة، في عام 2000. وصهوبيًا، حضر الجهاد المقدس في الكتابات التاريخية العامة، وأفردت له نصوص، أبرزها: إيتمار راداي، «القوى غير النظامية والمنظمات في المجتمع العربي في منطقة القدس من أوائل كانون الأول/ديسمبر 1947 إلى 19 أيار/

مايو 1948 [بالعبرية]»، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، الجامعة العبرية، القدس، 2002. وكتاب: Eliezer Tauber, «The Army of Sacred Jihad: An Army or Bands?», *Israel Affairs*, vol. 14, no. 3 (July 2008), pp. 419-445.

أولاً: سيرة قاسم الريماوي ونصوصه

«لَمَّا وصلت بالشحنة الثالثة [من السلاح]، علمتُ أنّ عبد القادر [الحسيني] قد دخل فلسطين، فهرعتُ إليه». هذا بعض ما دوّنه قاسم محمد الريماوي، في نص له مخطوط عن عبد القادر الحسيني، موثّقاً لحظة اللقاء الأولى به، بعد حضوره إلى فلسطين، ومتوّجاً سلسلة اتصالات أُسست خلال الأشهر السابقة، بعد وصوله إلى مصر في شباط/فبراير 1946⁽⁹⁾. وكما يشير الريماوي، فإنّ صلته بعبد القادر الحسيني قديمة بقدم مشاركة عبد القادر بثورات أهل فلسطين، وتعززت، كما يبدو، بعد عودته إلى مصر، واتخاذه من الريماوي نقطة اتصال رئيسة برفاق السلاح القدامى والجدد.

ولد قاسم محمد الريماوي في قرية بيت ريما⁽¹⁰⁾، في 11 كانون الثاني/يناير 1918، بعد أيام من سقوط القدس وجوارها بأيدي القوات البريطانية المحتلة التي اتخذت من قواعدها في مصر منطلقاً لهجومها على فلسطين، فعموم بلاد الشام، بعد فشل القوات العثمانية وحلفائها من اتخاذ فلسطين قاعدة أمامية للهجوم على مصر، فشمال أفريقيا. وكعادة بعض أهل بلدته، التحق الريماوي بالتعليم الحكومي، فأنهى الابتدائية ثم الإعدادية والثانوية في الكلية الرشيدية والكلية العربية في القدس، لينتقل بعد حصوله على الشهادة الثانوية

(9) ادّعى عيسى خليل محسن، في كتابه عن عبد القادر الحسيني، أنّ عودته إلى مصر كانت في 1 كانون الثاني/يناير 1948: عيسى خليل محسن، فلسطين الأم وابنتها البار عبد القادر الحسيني (عمّان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 1986)، ص 208. لكن بالنظر في ملاحق الكتاب، يجد القارئ صورة عن تذكرة مرور واحدة صادرة عن المملكة العربية السعودية، تسمح بسفر عبد القادر إلى مصر وسورية وفلسطين، مؤرخة بتاريخ 10 صفر 1365هـ، أي ما يوافق 14 كانون الثاني/يناير 1946. ويوجد على الوثيقة ختم من مكتب مراقبة الموانئ بتاريخ 5 شباط/فبراير 1946، يؤكد أنّ وصوله إلى مصر كان في شباط/فبراير. وما كتبه الحاج أمين الحسيني في مذكراته، بأنّه أرسل رسالة إلى عبد القادر حال وصوله إلى مصر يهنئه فيها بالسلامة، وكان ردّ عبد القادر عليه ما يوافق 16 شباط/فبراير 1946: العمر، ص 435.

(10) قرية بيت ريما: تقع شمال غرب رام الله، على بُعد 27 كلم عنها. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 930 شخصاً. للمزيد، يُنظر: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء التاسع، ديار بيت المقدس (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2018)، ص 211-212.

في عام 1936 للعمل محاسبًا في دائرة البريد العامة⁽¹¹⁾، بالتوازي مع اندلاع ثورة الفلسطينيين الكبرى ضدّ الاحتلال البريطاني، ثورة 1936-1939.

شهدت هذه الثورة بدء صعود نجم عبد القادر الحسيني، خصوصًا بعد إصابته في معركة الخضر، واستشهاد القائد سعيد العاص (1889 - 6 تشرين الأول/أكتوبر 1936)، ثم نجاحه في الهروب من حجزه في كانون الأول/ديسمبر 1936، فخروجه من فلسطين متوجهًا إلى دمشق، ثم إلى ألمانيا، حيث تدرّب على تصنيع المتفجرات، ثم عودته إلى فلسطين في تشرين الثاني/نوفمبر 1937، مبتعثًا لقيادة الثوار في منطقة القدس والخليل التي بقي فيها إلى أن أُصيب في معركة بني نعيم، في 18 كانون الأول/ديسمبر 1939، ليخرج على إثرها من فلسطين مرة ثانية، ويبدأ رحلة جديدة عمل فيها، وبعض مجاهدي الثورة، على تعزيز خبرتهم العسكرية المستمدة من الميدان، من خلال الانتساب إلى الكلية العسكرية في العراق، أو في دول المحور لاحقًا⁽¹²⁾.

(11) «معالي الدكتور قاسم بن محمد الريماوي»، ملحق الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية (1 كانون الثاني/يناير 1963)، ص 26؛ يعقوب العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين (القدس: دار الإسرائ، 1992)، ص 224.

(12) مع انتهاء الثورة، كانت السلطات الاستعمارية البريطانية قد نجحت في تفتيت معظم البنى التنظيمية العسكرية، وقتلت وأعدمت مئات المقاتلين، وشرّدت البقية وطاردهم. توارى البعض داخل فلسطين، أو سُجنوا، لكنّ جزءًا كبيرًا منهم، جُندًا وقادة، انتقلوا إلى المهاجر، وبدؤوا بالسعي إلى تطوير قدرتهم وخبرتهم العسكرية، وصقلها بتجارب جديدة. بدأ البعض بالتدرّب في العراق، وبعد فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني هناك، لجؤوا إلى دول المحور المختلفة، والتحقوا متدرّبين في صفوف قوّاتها. تعكس سير بعض هذه الشخصيات، مثل سيرة القسامي أبو إبراهيم الكبير خليل محمد عيسى (توفي في عام 1979)، حجم الجهد والجِدّ المبذول من طرفهم لاكتساب الخبرة العسكرية، استعدادًا للمعركة المقبلة. تحدّث الكبير الذي التحق بدورة للتدريب العسكري في العراق، ثم بمعسكر ألماني لتدريب المغاوير في اليونان: «أنا سافرت إلى ألمانيا، لكن ليس كلاجئ سياسي، بل كعسكري. سافرت لأجل التدريب مع الجيش الألماني، لأنّ قضيتنا ما انتهت، وحتى يكون لي خبرة قوية في الحرب، يعني في النواحي العسكرية. وفعلاً، تدرّبت في الجيش الألماني إلى أن حصلت على رتبة ملازم أول، يعني على أساس رتب ألمانيا كنت بنجمتين»: نزيه أبو نضال (إعداد وتقديم)، مذكرات أبو إبراهيم الكبير خليل محمد عيسى عجاج القائد القسامي لثورة 1936-1939 (رام الله: منظمة التحرير الفلسطينية - المجلس الأعلى للتربية والثقافة، 2010)، ص 94. ويُنظر أيضًا: ذو الكفل عبد اللطيف، قصة كفاحي من الثورة الفلسطينية إلى حرب 1948 (عمّان: دار سندباد للنشر، 2000)، ص 33-34.

كما شهدت بواكير هذه الثورة أول إشارات لتكوّن العلاقة بين عبد القادر الحسيني والريماوي؛ فبينما كان الريماوي في مرحلته النهائية في المدرسة الرشيدية، أغلق وزملاءه أبواب مدرستهم، وخرجوا في تظاهرة بمناسبة ذكرى وعد بلفور، في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1935، فقمع الجنود البريطانيون التظاهرة. وبعد تفريقها، اعتقلوا الريماوي وزميله فريد أحمد العوري (1915-1936)؛ لانهامهما بالمسؤولية عن التظاهرة. هنا، تدخل عبد القادر الحسيني محتجًا، وأسفر عن تدخله الإفراج عنهما. وفي المساء، كان الاجتماع الذي وصفه الريماوي، فكتب:

«وفي مساء ذلك اليوم، حضر عبد القادر إلى البيت، واجتمع بنا، وقال: 'إنّ خير عدة ومقاومة هي أن نتسلّح، لنأخذ الاستقلال بالقوة. وإنني أطلب إليكما الحضور إلى بيتي؛ لأعلّمكما صنع المتفجرات والقنابل. نحن لا نريد طلاقًا أو احتجاجًا، بل نريد أن نحاربهم بمثل سلاحهم'. وبالفعل، أخذنا نتردد عليه، وتعلّمنا كيفية صنع بعض المتفجرات»⁽¹³⁾.

بعد أشهر من هذه الحادثة، كانت القدس على موعد مع حدث استثنائي، إذ نفذ سامي إبراهيم الأنصاري (1918-1936)، وبهجت عليان أبو غربية⁽¹⁴⁾، محاولة لاغتيال مفتش الشرطة آلان سيجرست (Alan Edward Sigrist)، في 12 حزيران/ يونيو 1936. وبينما كان الأنصاري وأبو غربية يفرغان ذخيرة مسدسيهما في الهدف، باغتت الأنصاري رصاصة مرافق سيجرست، فأصيب بجراح انسحب على إثرها من المكان بمساعدة أحد المارة⁽¹⁵⁾. لم يكن المار المجهول في

(13) قاسم الريماوي، «مخطوط الشهيد عبد القادر الحسيني»، مخطوط محفوظ في أرشيف مشروع توثيق وبحث القضية الفلسطينية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مخطوط رقم 1/د.

(14) بهجت عليان أبو غربية (1916-2012): ولد في الخليل. تلقى تعليمه في مدرسة المعارف في مدينة الخليل، ثم المدرسة الرشيدية التي تركها قبل الحصول على الشهادة الثانوية لظروفه الصحية. عمل مدرسًا في المدرسة الإبراهيمية التي كان يديرها شقيقه نهاد. نشط في ثورة 1936-1939، بعدما أسهم في تأسيس مجموعة ثورية منذ عام 1934، والتي استشهد بعض كوادرها خلال الثورة. كان من أركان التنظيم السري الذي أسسه عبد القادر الحسيني استعدادًا للحرب. وكان من أبرز قادة قوة الجهاد المقدس في معارك حرب 1947-1949 التي اعتُقل خلالها وأصيب أكثر من مرة. بعد الهزيمة وضم الضفة الغربية، أسهم في تأسيس حزب البعث العربي في فلسطين وكان من أبرز قاداته.

(15) بهجت أبو غربية، مذكرات المناضل بهجت أبو غربية 1916-1949: في خضم النضال =

مذكرات أبو غربية إلا قاسم الريماوي الذي كان على موعد مع اعتقال جديد، لكن هذه المرة بتهمة محاولة اغتيال سيجرست لإنقاذه الأنصاري ونقله، والذي استشهد لاحقاً في المستشفى. وهنا، يحضر من جديد عبد القادر الحسيني الذي صار مديرًا للحزب العربي⁽¹⁶⁾ في القدس، مدافعاً عن الريماوي، من خلال تجنيد المحامين له، إلى أن أفرج عنه لعدم ثبوت التهمة⁽¹⁷⁾. ثم لم تمض أيام قليلة على حادثة اغتيال سيجرست، حتى استشهد فريد العوري، رفيق الريماوي في الاعتقال الأول، في أثناء تصنيعه قبلة بهدف استخدامها في الثورة⁽¹⁸⁾.

لم تكن هذه العلاقة بين قاسم والحسيني مقتصرة على تدخلات الحسيني للإفراج عنه، إذ كان بعض أقارب الريماوي من النواة الأولى التي شاركت

=العربي الفلسطيني (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1993)، ص 75. ولتفصيلات عملية الاغتيال يُنظر: المرجع نفسه، ص 72-77. ويُنظر عن الأنصاري: «الشهيد الأستاذ سامي الأنصاري»، فلسطين، 20/6/1936، ص 1؛ خليل السكاكيني، يوميات خليل السكاكيني: يوميات. رسائل. تأملات. الكتاب السادس، الجزء الثالث: بين الأب والابن، رسائل خليل السكاكيني إلى سري في أميركا، 1935-1937، أكرم مسلم (محرر) (القدس: مركز خليل السكاكيني/مؤسسة الدراسات المقدسية، 2010)، ص 262-263. ويُنظر أيضاً: Matthew Hughes، «A History of Violence: The Shooting in Jerusalem of British Assistant Police Superintendent Alan Sigrist, 12 June 1936», *Journal of Contemporary History*, vol. 45, Issue 4 (October 2010), pp. 725-743.

(16) الحزب العربي الفلسطيني: أُسس رسمياً في آذار/مارس 1935، وانتُخب لرئاسته جمال الحسيني. يُعتبر الحزب واجهة جديدة للتيار السياسي الفلسطيني المؤيد لرئيس المجلس الإسلامي الأعلى الحاج أمين الحسيني. توزعت فروعه في جميع أنحاء فلسطين، وكان أبرز أحزابها. بعد تشكيل اللجنة العربية العليا في نيسان/أبريل 1936، جمّد الحزب نشاطه. جرت محاولات عدة لإحياء الحزب خلال الحرب العالمية الثانية، تُوّجت في نيسان/أبريل 1944، وانتُخب توفيق صالح الحسيني وكيلاً له. استمر الحزب في نشاطه إلى لحظة اندلاع حرب 1947-1949. عن إعادة تنظيم الحزب العربي ونشاطه، يُنظر: بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (1917-1948) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1986)، ص 307-310، 475-480.

(17) الريماوي، مخطوط رقم د/1.

(18) استشهد فريد أحمد العوري مطلع حزيران/يونيو 1936، في أثناء إعداده عبوة ناسفة في منزل في وادي الجوز في القدس، بهدف استخدامها في الثورة. وكان العوري ممثلاً للطلاب الفلسطينيين في مؤتمر اللجان القومية المنعقد في القدس في 7 أيار/مايو 1936: دفار [بالعبرية]، 2 حزيران/يونيو 1936، ص 7؛ أكرم زعيتر، الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939 يوميات أكرم زعيتر، ط 2 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1992)، ص 94، 200.

عبد القادر الحسيني عمله الثوري، منهم صالح أحمد الريماوي (1907-1992)، وفايز حسن طه الريماوي (1912-1939). وكذلك رافق الحسيني في جهاده، ثم في مهجره، شقيق قاسم، أديب محمد الريماوي (1905-1985)، وابن عمه عاهد محمود الريماوي (1907-1986). ولعل هذا كان سبباً إضافياً لتوطيد علاقة الحسيني المستقبلية بقاسم الذي استمر في عمله الحكومي حتى عام 1944.

مع قرب انتهاء معارك الحرب العالمية الثانية، بدأ الفلسطينيون بالسعي إلى إعادة تأسيس قواهم السياسية المنهارة خلال أعوام الثورة ثم الحرب العالمية، وكان الحزب العربي على رأس هذه القوى. ومع بعث الحزب العربي من جديد، اختير الريماوي ليشغل منصب مدير مكتبه في القدس⁽¹⁹⁾، مقر القيادة الرئيس للحزب. كما ساهم في تحرير صحيفة الوحدة، الناطق غير الرسمي باسم الحزب (1945-1947)⁽²⁰⁾، وهو ما زاد من حضوره الذي سيؤهله لدوره المقبل مع الحسيني لحظة استقراره في مصر.

(19) العودات، ص 224. وعلى الرغم من تشكيك إميل الغوري في تسلّم الريماوي إدارة الحزب - يُنظر: إميل الغوري، إظهار حقائق وتفنيد أباطيل: ردود على مقالات السيد قاسم الريماوي (عمّان: [د. ن.، 1974]، ص 106 - فإنّ وثائق الحزب المتوافرة بين يدي الباحث، وكذلك بعض أخبار الصحف، تؤكد ذلك. من ذلك مثلاً، خبر يجمع الغوري والريماوي في تظاهرة أُقيمت في القدس، في 3 تشرين الأول/أكتوبر، احتجاجاً على تقرير لجنة التحقيق الدولية، إذ أشارت صحيفة فلسطين إلى أنّ قاسم الريماوي، مدير مكتب الحزب العربي، كان أحد الخطباء، وتقتبس بعض أقواله. ثم تبعه خطاب لإميل الغوري، عضو الهيئة العربية العليا: فلسطين، 4/10/1947، ص 1. وهنا، تجدر الإشارة إلى ضرورة وضع جميع ما يورده الغوري في كتابه ضدّ الريماوي موضع شك مضاعف.

(20) العودات، ص 224. وكان إسحاق عبدالسلام الحسيني قد أصدر صحيفة الوحدة كصحيفة عربية سياسية أدبية اجتماعية مصورة، صدرت أسبوعياً بإشرافه ورئاسة تحريره، بدءاً من 5 حزيران/يونيو 1945، ثم صدرت يومياً بدءاً من 12 تموز/يوليو 1946. وانضم إلى الحسيني، مع أواخر كانون الأول/ديسمبر 1946، خيري حماد مديراً للتحرير، ثم انضم إميل الغوري مديراً للسياسة، وعمر الحسيني مديراً للإدارة. وفي مطلع آب/أغسطس 1946، أصبح شكري قطينة مديراً للإدارة، بينما بقي إسحاق الحسيني رئيساً للتحرير. ويذكر إميل الغوري أنّ الريماوي لم يسهم في تحرير الصحيفة، مدعيّاً أنه كان رئيس تحريرها المسؤول وأحد ملاكها: الغوري، إظهار، ص 20. لكن بالعودة إلى ترويسة الصحيفة، يلاحظ أنّ نشاط الغوري، بوصفه مديراً للسياسة فيها، اقتصر على فترة محدودة (أواخر كانون الأول/ديسمبر 1946 - نهاية تموز/يوليو 1947). ومن الممكن أن يكون الريماوي قد أسهم في تحريرها بغير علم الغوري.

الصورة الأولى: قاسم الريماوي المقاتل

«الصورة التي لا تُمحي من الذاكرة عن قاسم الريماوي هي تلك التي رأيناها أطفالاً، وهو بلباس المناضلين والسلاح على صدره. كان في الجهاد المقدس مع المرحوم عبد القادر الحسيني، وكان من أبرز رجاله. وظلت صورته، مثل صورة عبد القادر وفوزي القاوقجي⁽²¹⁾

(21) فوزي القاوقجي (1890-1977): ولد في مدينة طرابلس لبنان، ودرس في المدارس العثمانية في إسطنبول إلى أن التحق بالمدرسة الحربية، حيث تخرّج ضابطاً في سلاح الخيالة العثماني في عام 1912. اشترك في الحرب العالمية الأولى في القتال ضدّ الإنكليز، في البصرة في عام 1914، ومن ثمّ خدم في بئر السبع ضمن فرقة الخيالة العثمانية الثالثة. بعد هزيمة القوات العثمانية في فلسطين، عاد إلى مسقط رأسه طرابلس، وعمل في خدمة الدولة العربية الجديدة في دمشق، ومن ثمّ التحق بخدمة قوات الفرنسية المستعمرة لسورية، إلى أن أسهم في حراك سورية الثوري ضدّ المستعمر الفرنسي في عام 1925 في مدينة حماة. بعد فشل الثورة، انتهى به المطاف بخدمة الملك عبد العزيز بن سعود، وولده فيصل، إلى أن التحق في عام 1932 بخدمة الملك فيصل بن الحسين في العراق، حيث عمل في المدرسة الحربية الملكية. قدم إلى فلسطين في آب/أغسطس 1936، مع قوة من المتطوعين العرب، وأعلن قائداً عامّاً للثورة، وخاض أبرز معاركه، معركة بلعا، في أيلول/سبتمبر 1936، لكنّه سرعان ما انسحب مع إعلان وقف الإضراب، فغادر فلسطين في تشرين الأول/أكتوبر 1936 عائداً إلى العراق. أسهم في ثورة رشيد عالي الكيلاني، وكان دوره في معركة الرطبة موضع اتهام دائم من الحجاج أمين الحسيني وأنصاره في ما بعد. وبعد فشل الثورة، لجأ إلى ألمانيا، إلى أن اعتقلته القوات السوفياتية في برلين في أيار/مايو 1946. وبعد الإفراج عنه، انتقل إلى فرنسا، ثم إلى مصر التي وصل إليها في شباط/فبراير 1947. ومع بدء المساعي العربية لتشكيل قوات عسكرية، استعدّاداً لمواجهة التقسيم، كان التوجه نحو دعم تعيين فوزي القاوقجي قائداً عامّاً لهذه القوات، لكنّ هذا التوجه جوبه برفض حاد من الحجاج محمد أمين الحسيني، رئيس الهيئة العربية العليا وأنصاره، فعُيّن في النهاية قائداً للقطاع الشمالي في فلسطين، وخاضت قواته معارك أسهمت في تأليب خصومه عليه لاحقاً. بعد استشهاد عبد القادر الحسيني، عُيّن القاوقجي قائداً للمنطقة الوسطى بالإنابة، بعد رفض محمود الهندي تسلّم قيادة القوات في فلسطين. وبعد دخول قوات الجيش العربي الأردني إلى فلسطين، غادر وقواته المناطق التي تسلّمها الجيش في 16 أيار/مايو 1948، ليُتهم من جديد بتأمّره مع الملك عبد الله بن الحسين، لكنّه سرعان ما عاد من جديد من الجبهة الشمالية مع القوات السورية واللبنانية، إلى أن سقطت معظم مواقعه إثر الهجمات الصهيونية أواخر تشرين الأول/أكتوبر 1948، فكانت النهاية الفعلية لـ «جيش الإنقاذ» وللقاوقجي. للمزيد عن القاوقجي عموماً: Laila Parsons, *The Commander Fawzi al-Qawuqji and the Fight for Arab Independence 1914-1948* (New York: Hill and Wang, 2016).

وعن الاتهامات المثارة حول شخصيته يُنظر: Laila Parsons, «Soldiering for Arab Nationalism: Fawzi Al-qawuqji in Palestine,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 36, no. 4 (Summer 2007), pp. 33-48 ويمكن مراجعة مذكراته في: خيرية قاسمية (إعداد)، مذكرات فوزي القاوقجي 1890-1988، ط 2 معدلة مع وثائق (دمشق: دار النمير، 1995).

وسعيد العاص وغيرهم من المجاهدين، علامة من علامات الذاكرة الفلسطينية»⁽²²⁾.

بعدما توفي الريماوي، كان أبرز ما استُذكر به، كما في مقالة «أبو حاتم» لإبراهيم أبو ناب⁽²³⁾، صورته كقائد في الجهاد المقدس، مقرب من قائده عبد القادر الحسيني. ولا يُستحضر اليوم، إلا نادراً، عمله الوزاري في عدد من الحكومات الأردنية، ودوره النيابي خلال دورات متعددة لمجلس النواب الأردني، وعمله الجامعي، وعمله في المؤسسات والهيئات المختلفة التي شغل فيها مناصب عدة بعد نهاية الحرب، ونهاية الجهاد المقدس. هذا الحضور للريماوي، أي حضوره كقائد في الجهاد المقدس، هو أبرز ما يحضر أيضاً في الأدبيات المتعلقة بتاريخ فلسطين. وتعدّ بعض نصوصه، المنشورة أو المخطوطة، المصدر الأبرز لكل ما كُتب عن الجهاد المقدس قديماً وحديثاً، أو المتعلقة بنشاط قائده المؤسس عبد القادر الحسيني وسيرته، خصوصاً بعد استخدام عيسى خليل محسن، في كتابه عن عبد القادر الحسيني فلسطين الأم وابنها البار عبد القادر الحسيني⁽²⁴⁾، مخطوط قاسم الريماوي عن الحسيني، فعادت الكثير من المصادر اللاحقة إلى نص المخطوط، باستخدام نص محسن كمرجع وسيط⁽²⁵⁾.

(22) إبراهيم أبو ناب، «أبو حاتم»، الرأي [الأردنية]، 1/5/1982، ص 19.

(23) إبراهيم أبو ناب، «أبو حاتم»، الرأي [الأردنية]، 1/5/1982، ص 19.

(24) سُنْاقش لاحقاً استخدام محسن للمخطوطة، ومقدار اعتماده على نص الريماوي. كما سُنْاقش لاحقاً سبب تحقيق المادة التي دوّنها الريماوي عن الجهاد المقدس في المخطوط، على الرغم من نسخ محسن لجزء كبير من هذه المادة. وسبق نص محسن عن الحسيني، كتاب قضية فلسطين في سيرة بطل، الشهيد الحي عبد القادر الحسيني، لنبييل خالد الأغا، الصادر عن دار الأسوار في عكا، في عام 1986. ولم يطلع الأغا على نصوص الريماوي المخطوطة التي كانت بحوزة أسرة عبد القادر الحسيني والحاج أمين الحسيني، واقتصر على ما نشره الريماوي في صحيفة الدستور، لكنّ استخدامه لنصوص الريماوي بقي محدوداً، بسبب انتصاره لخصوم الريماوي وروايتهم، كما سُنْاقش لاحقاً.

(25) من ذلك مثلاً، أطروحة ماجستير قدّمتها مؤيد العقرباوي في الجامعة الأردنية، في عام 2006، والتي نُشرت لاحقاً في طبعات عدة آخرها: مؤيد العقرباوي، عبد القادر الحسيني ودوره في الدفاع عن فلسطين حتى 1948 (عمّان: دار الأيام للنشر والتوزيع، 2017). وكذلك نصوص إيتمار رادي، وخصوصاً ورقته عن الحسيني: إيتمار رادي، «عبد القادر الحسيني: قائد فلسطيني بحرب 1948» في: أوراق زيتون وسيف [بالعبرية]، نير مان (محرر)، العدد 13 (2013)، ص 213-254.

نشط الريماوي، كما يروي، مع الجهاد المقدس منذ لحظته الأولى. وتبدأ هذه اللحظة مع استقرار عبد القادر الحسيني في مصر، بعد قدومه إليها من الحجاز، مع انتهاء الحرب العالمية الثانية في شباط/فبراير 1946، إذ قرر الحسيني العمل من جديد على تأسيس تنظيم عسكري سري استعداداً لمعركة فلسطين المقبلة، واستكمالاً لثورتها الماضية. وتضاعف هذا الجهد إثر قدوم الحاج أمين الحسيني إلى مصر في أواخر أيار/مايو 1946، وتشكيل الهيئة العربية العليا، فأصبح عبد القادر الحسيني مسؤولاً عن الشؤون العسكرية في الهيئة، وهو ما مكّنه من إتمام بنائه التنظيمي الجديد⁽²⁶⁾.

بحلول 1 كانون الأول/يناير 1948، بدأت أولى شرارات الحرب التي لن تنتهي رسمياً إلا بتوقيع آخر اتفاقات الهدنة في رودس، بين الكيان الصهيوني الناشئ تحت اسم «دولة إسرائيل» وسورية، في 20 تموز/يوليو 1949. ومع انطلاقة هذه الشرارة، بدأت تشكيلات الجهاد المقدس، وبعض خلاياه المؤسسة، نشاطاً عسكرياً دفاعياً في أيام الاشتباك الأولى. وعمل الريماوي خلال هذه المرحلة على تنسيق إسناد منطقة القدس بالمجاهدين من قضاء رام الله، وكذلك نقل السلاح المُقرّر للقدس من الهيئة العربية العليا واللجنة العسكرية العربية، إلى أن عاد عبد القادر الحسيني إلى فلسطين ليؤسس قوة عسكرية شبه نظامية، ستركز في المنطقة الشرقية من القطاع الأوسط من فلسطين، والذي ستتوجه اللجنة العسكرية العربية العليا، في شباط/فبراير 1948، إلى إقرار عبد القادر الحسيني على قيادته، وإقرار رفيقه في الإعداد الأخير، حسن سلامة حسن⁽²⁷⁾، لقيادة المنطقة الغربية من القطاع الأوسط. أما

= وكذلك: داني روبنشتاين، إما نحن أو هم، القسطل والقدس، نيسان/أبريل 1948: الـ 24 ساعة التي حسمت الحرب [بالعبرية] (القدس: يدعوت سفرم، 2017).

(26) الريماوي، «مخطوط الشهيد»، دفتر رقم 4؛ قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (3)»، الدستور، 21/8/1972، ص 4؛ محمد عزة دروزة، مذكرات محمد عزة دروزة سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمن 1305-1404هـ/1887-1984م، مج 5 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993)، ص 593.

(27) حسن سلامة حسن (1905-1948): ولد في قرية رنتيس قضاء الرملة. لم يستكمل تعليمه، وانتقل إلى العمل في محاجر رأس العين. نشط في ثورة 1936-1939، وكان مع نهايتها أحد أبرز قادتها، =

بقية القطاعات وحاميات المدن، فأوكلت إلى قادة عرب، أُسندوا في كثير من المراحل بقيادة محليين، كانوا في مرحلة من المراحل - وفقاً لنص الريماوي - من النواة الصلبة لتنظيم الحسيني الجديد.

نجح عبد القادر الحسيني وقواته النشطة في القطاع الشرقي من المنطقة الوسطى، خلال الأشهر الأولى من الحرب، في تنفيذ سلسلة عمليات دفاعية وهجومية، كانت ذات أثر نوعي، خصوصاً في حرب المواصلات، وكذلك بعض عمليات النسف النوعية. وأثمر هذا الفعل تراجعاً أولياً، في آذار/ مارس 1948، عن المشروع الأميركي المساند لقرار التقسيم، كنتيجة لاحتدام المعارك غير المتوقع، وهو ما انعكس سلبياً على الحركة الصهيونية وقيادتها، فكان التعجيل في سلسلة عمليات هجومية انطلقت في منطقة القدس مع عملية «نحشون»، مطلع نيسان/ أبريل 1948؛ أولى عمليات الخطة دالت. خلال أشهر الاشتباك هذه، كان الريماوي إلى جوار الحسيني في جولاته المحلية، داعياً الأهالي إلى القتال، والتوحد خلف البندقية، أو في التخطيط والتنفيذ للعمليات العسكرية المختلفة، أو في رحلاته الخارجية للتنسيق أو طلب الدعم من اللجنة العسكرية العربية العليا التي أصبحت المرجع الأول، ومحدد الاستراتيجية العامة للقوات النشطة في فلسطين، منازعة الهيئة العربية العليا، وقائدها الحاج أمين الحسيني، السيطرة على القوات المحلية التي كان يترأسها بشكل أساسي عبد القادر الحسيني وحسن سلامة.

= وقائدها الأبرز في منطقة يافا - اللد. مع انتهاء الثورة، لجأ إلى خارج فلسطين، والتحق بدورة عسكرية خاصة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية، تمهيداً لإنزال مظلي على أريحا في تشرين الأول/ أكتوبر 1944. بعد فشل العملية، خرج سلامة من جديد، وبقي منتقلاً بين الدول العربية المجاورة، إلى أن عاد إلى فلسطين كقائد عسكري مؤسس لتشكيلات الهيئة العربية العليا العسكرية في منطقة يافا - اللد. أسس خلال كانون الثاني/ يناير 1948 جيش حُماة الأقصى. وفي شباط/ فبراير 1948، عُيِّن سلامة قائداً للقطاع الغربي في المنطقة الوسطى. هاجمت قوة صهيونية مقر قيادته، في ملجأ الرجاء في صرند، مطلع نيسان/ أبريل 1948، بالتزامن مع هجمات عملية «نحشون»، ساعية إلى ضرب مراكز القوة العربية المحلية في المنطقة الوسطى الشرقية والغربية. استشهد متأثراً بجراحه بعد إصابته في معارك رأس العين في أواخر أيار/ مايو 1948، ويروي هذا الكتاب بعض تفصيلات هذه المعركة، وبعض تفصيلات نشاطه مع عبد القادر الحسيني لتأسيس تشكيلات عسكرية سرية بعد الحرب العالمية الثانية، استعداداً للمعركة المقبلة في فلسطين.

كانت قرية القسطل⁽²⁸⁾ أبرز المناطق المستهدفة في العملية الصهيونية «نحشون»، وهي بلدة مرتفعة تسيطر على طريق القدس - يافا، كجزء من المخطط الصهيوني للسيطرة على جميع المواقع العربية المهددة لطريق إمداد الأحياء الصهيونية في القدس. سقطت البلدة في 4 نيسان/أبريل 1948، بينما كان الحسيني ورفيقه الريمائي في دمشق، للاجتماع إلى الهيئة العربية العليا واللجنة العسكرية العربية، وغادر الحسيني الاجتماع الذي ستحتل قصته، وقصة قوة الجهاد المقدس وقائدها الحسيني، مع اللجنة العسكرية العربية، موقعًا كبيرًا من نصوص الريمائي عن الجهاد المقدس.

عاد الحسيني إثر ذلك إلى القدس، لتبدأ معركة استعادة القسطل التي انتهت بسقوطه شهيدًا على أرضها في 8 نيسان/أبريل 1948. وبفراق الحسيني، بقي الريمائي وحيدًا، بعدما تقرر تعيين خالد شريف الحسيني⁽²⁹⁾ قائدًا عامًا جديدًا لقوة الجهاد المقدس، وقرار الأخير نقل مقر القيادة إلى القدس، بدلًا من اعتماد مقر عبد القادر السابق في بلدة بيرزيت. أما الريمائي، فإنه سيتحوّل بالفعل، بعد هذه اللحظة، إلى قائد قوات بيرزيت، وسيخوض معاركه بشكل مستقل تقريبًا عن المقر العام في القدس، وعن قوة الجهاد المقدس التي استقرت في مواقع أخرى، مثل بيت لحم.

(28) قرية القسطل: تقع على بُعد عشرة كيلومترات غرب القدس. قُدِّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 90 شخصًا. احتلت موقعًا استراتيجيًا، فكانت من أوائل القرى المستهدفة من الهاغاناه لاحتلالها، بهدف السيطرة على خطوط المواصلات المؤدية إلى القدس. للمزيد، يُنظر: الدباغ، بلادنا، ج 9، ص 93-94؛ الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، عبد الهادي هاشم (محرر رئيس)، مج 3 (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، ص 570-573. ويُنظر تفصيلات معركتها في المحور الرابع من الفصل الثاني في هذا الكتاب.

(29) خالد شريف الحسيني (1910-1951): ولد في القدس. وبسبب تيّمه المبكر، ربّاه عمه موسى كاظم الحسيني، أبرز الشخصيات الوطنية الفلسطينية خلال العشرينيات ومطلع الثلاثينيات، ووالد عبد القادر الحسيني. درس في كلية روضة المعارف في القدس، وأنهى دراسته الثانوية في عام 1929م. التحق بالشرطة البريطانية في فلسطين، ووصل إلى رتبة القائد العام لشرطة القدس. بعد استشهاد عبد القادر الحسيني في نيسان/أبريل 1948، اختير ليرث قيادة قوة الجهاد المقدس. بعد حل الأردن للجهاد المقدس، عمل بالزراعة، ثم مديرًا لعمليات وكالة الغوث في نابلس، إلى أن اغتيل في 2 آذار/مارس 1951.

وخلال الأشهر التالية لاستشهاد الحسيني، سيشارك الريماوي في عدد من المعارك الرئيسية، وعلى رأسها معارك باب الواد في أيار/ مايو، وكذلك معارك رأس العين التي سيسقط فيها رفيق الحسيني في قيادة القوات المحلية، حسن سلامة. كما سيعمل الريماوي، من موقعه في مقر قيادة قوة الجهاد المقدس في بيرزيت، على محاولة لم شمل شتات قوات حسن سلامة، بعد تنسيق جهده مع القوات العراقية التي دخلت فلسطين مع الجيوش العربية الأخرى، بعد 15 أيار/ مايو 1948.

علاقة التنسيق هذه مع القوات العراقية التي أُسست، كما ورد في نصوص الريماوي، على ثقة متبادلة، سترادف علاقة متوترة في أحيان، وسيئة في كثير من الأحيان، مع القوات الأردنية، خصوصًا مع بدء النشاط الإداري المؤسس للمرحلة التالية؛ مرحلة ضم بقية فلسطين الخاضعة لسيطرة هذه القوات إلى المملكة الأردنية الهاشمية. أُسست هذه العلاقة السيئة على إرث ممتد من العلاقات المتوترة بين الملك عبد الله الأول بن الحسين⁽³⁰⁾ والحاج أمين الحسيني، وتفاقت مع استشعار الريماوي، وأنصار الهيئة العربية العليا عمومًا، مساعي الأردن للقضاء على أي وجود لكيان فلسطيني مستقل، أو قوة فلسطينية عسكرية منظمة.

أسدل الستار على هذا التوتر بقرار الجيش الأردني احتلال مقر قوة الجهاد المقدس في بلدة بيرزيت، في كانون الثاني/ يناير 1949، بعد حوادث وجولات من الشدّ والجذب، يسرد الريماوي تفصيلاتها في بعض نصوصه

(30) عبد الله بن الحسين بن علي (1882-1951): ملك المملكة الأردنية الهاشمية، ومؤسس إمارة شرق الأردن التي وصل إليها من مكة في عام 1920، واستقر فيها بعد وأد الحكم العربي في سورية. أيّد مشروع تقسيم فلسطين، ودعا إلى ضم القسم العربي إلى إمارته/ مملكته. كان طموحه الأساسي تأسيس مملكة عربية متجاوزة للأردن بقيادته، ولم يتحقق منه سوى ضم بعض فلسطين في نيسان/ أبريل 1950. اغتيل في مدينة القدس. للمزيد يُنظر: عيسى الحسن (إعداد)، الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين المؤسس (عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2009)؛ ماري ولسن، عبد الله وشرق الأردن بين بريطانيا والحركة الصهيونية، ترجمة فضل الجراح (بيروت: شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2000).

المحققّة هنا. كما أُسدل الستار أيضًا على تجربة الريماوي في الجهاد المقدس، وتجربة الجهاد المقدس عمومًا، ليرحل الريماوي على إثرها إلى القاهرة، في عام 1949، وليستقر إلى جوار الحاج أمين الحسيني، ويعمل سكرتيرًا لحكومة عموم فلسطين.

وفي هذه المرحلة، دوّن الريماوي ما يُظنّ أنه أول نصوصه عن تجربة الجهاد المقدس، إذ قدّم تقريرًا إلى الحاج أمين الحسيني، يقع في أربعين صفحة خطّها الريماوي بيده، مقدّمًا ما أسماه «الأعمال التي تمّت أثناء قيام معركة فلسطين، خاصًا بالذكر موقف قيادة الجهاد المقدس، من بعد استشهاد عبد القادر الحسيني، وكيف حالت الترتيبات التي اتّبعتها بيني وبين قيام سيادة مطلقة للهيئة العربية العليا في فلسطين، أو على الأقل الإبقاء على بعض الخلايا التي ستكون سلاحًا في يد الهيئة، تركز عليه في الأعمال المقبلة، ليكون نواة التحرير المنشود»⁽³¹⁾.

وبعد شدّ وجذب، وشعور باليأس من الحكام والسياسيين العرب والفلسطينيين، ومن الجيوش العربية⁽³²⁾، انصرف الريماوي للدراسة واستكمال تحصيله العلمي، فالتحق بالجامعة الأمريكية في القاهرة، ليتحصل، في عام 1952، على شهادة البكالوريوس في علم الاجتماع. كما أنه انصرف إلى الكتابة، وتدوين تجربته وتجربة عبد القادر الحسيني، متأثرًا كما يبدو بمرارة

(31) قاسم الريماوي، «تقرير مخطوط مقدّم إلى الحاج أمين الحسيني»، بتاريخ 1949، محفوظ في أرشيف مشروع توثيق وبحث القضية الفلسطينية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص 1.

(32) هذا ما وصف به الريماوي شعوره: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشنا (9)»، الدستور، 2/10/1972، ص 4. لكنّه لم يُشر إلى أسباب شعوره باليأس من الفلسطينيين، ويعكس التقرير المحقق في الفصل الأول بعض هذه الأسباب، خصوصًا عند الحديث عن علاقته بقيادة الجهاد المقدس التي خلفت عبد القادر الحسيني، والتي اتخذت من القدس مقرًا، والتي يتهمها الريماوي بإفشال مساعيه لتثبيت الهيئة العربية العليا، أو أي كيان فلسطيني آخر، في بقية فلسطين التي سيطر عليها الأردن. ويشير ذو الكفل عبد اللطيف أنّ الريماوي أيضًا اختلف مع الحاج محمد أمين الحسيني، بعد أن أنكر عليه مطالبته بأموال قال الريماوي إنه استدانها وصرّفها على الجهاد، بأمر من الحاج الحسيني: عبد اللطيف، ص 229، 246-251. ويُنظر رسالة الريماوي إلى جمال صالح الحسيني في 30 أيلول/سبتمبر 1949، المدرجة في الملحق الثاني من هذا الكتاب.

الفقد والهزيمة، فكان النص الثاني له عن هذه التجربة، مقالة نُشرت في صحيفة الجمهور المصري، بتاريخ 9 نيسان/أبريل 1951، بمناسبة ذكرى استشهاد عبد القادر الحسيني، نُشر فيها موجز لخطة الأهداف؛ الخطة المركزية التي خطّها عبد القادر الحسيني، لبيدأ فيها المعركة في فلسطين، لمواجهة قرار الأمم المتحدة بتقسيمها.

وإضافة إلى هذه المقالة، يتضح من الأوراق المتوافرة بين يدي الباحث، أنّ الريمائي كان عازماً على تأليف كتاب كامل يعرض فيه سيرة عبد القادر الحسيني، ووضع لذلك هيكلًا أوليًا، قسّم فيه الكتاب إلى تسعة محاور رئيسة، دوّن الريمائي بخط يده مسوّدة أولى لمعظمها في مجموعة من الدفاتر والأوراق.

أول هذه المحاور يتحدّث عن سيرة الحسيني، وضمّ العناوين الآتية: «نشأته الأولى»، «عبد القادر صحافيًا»، «عبد القادر موظفًا»، «عبد القادر سياسيًا»، «الحياة الزوجية وعبد القادر». والثاني يتناول ملامح شخصية عبد القادر، وضمّ العناوين: «شماله وصفاته»، «عبد القادر بين الناس؛ بين أولاده، بين جنوده». بينما يتناول المحور الثالث عبد القادر في الميدان، وضمّ العناوين: «عبد القادر يقود الثورة الأولى»، «عبد القادر يقود الثورة الثانية»، «عبد القادر في العراق»، «عبد القادر في الحجاز»⁽³³⁾. وهذه المحاور جميعًا لا تتطرّق، إلا نادرًا، إلى مرحلة الجهاد المقدس، ونشاط عبد القادر الحسيني في أثناء تأسيسه وقيادته. لذلك، جرى

(33) خطّ الريمائي مسوّدات لهذه المحاور، فدوّن المحور الأول كالآتي: «نشأته الأولى»، في ست صفحات، واحتلت الرقم 1/أ، و«عبد القادر صحافيًا» في صفحة واحدة برقم 1/ب، و«عبد القادر موظفًا» في أربع صفحات برقم 1/ج، و«الحياة الزوجية لعبد القادر» في أكثر من مسوّدة بلغت صفحاتها تسع صفحات. أما المحور الثاني، فخطّ في عنوانين؛ الأول «من شماله وصفاته» خطّ في مسوّدة أولى في 26 صفحة، والمسوّدة الثانية في خمس صفحات، برقم 2/أ. بينما العنوان الثاني «عبد القادر بين الناس» خطّ في إحدى عشرة صفحة، برقم 2/ب.

أما المحور الثالث والأخير، فخطّ في أكثر من مسوّدة، وأضيف إليه ملحق توضيحي، وبلغ عدد صفحات ما خطّ فيه 146 صفحة، موزعة كالآتي: مسوّدتان للعنوان الأول «عبد القادر يقود الثورة الأولى»، في 60 صفحة، برقم 3/أ. ومسوّدتان لبقية عناوين المحور وملحقه التوضيحي الذي دوّن اعتمادًا على شهادة حسين جاد الله، أحد مرافقي عبد القادر الحسيني، في ست وثمانين صفحة.

تجاوز جُلّ هذه النصوص في هذا الكتاب، مع الإشارة إلى أنّها تشكّل جوهر كتاب عيسى خليل محسن عن الحسيني، إذ إنّ محسن اعتمد البناء الأساسي للريماوي، وعزّزه ببعض الإضافات. وكان في كثير من الأحيان يوثّق ما أخذه من الريماوي، وفي أحيان أخرى يتجاوز ذلك⁽³⁴⁾.

أما النصوص التي تطرّقت إلى الجهاد المقدس، ودور الحسيني في تأسيسه وقيادته، فتبدأ، وفقاً لهيكل المخطوط الرئيس، من: المحور الرابع، والذي عنوانه الريماوي بالجهاد المقدس، وفيه حديث عن عودة عبد القادر الحسيني إلى مصر؛ المحور الخامس «عبد القادر قائداً، فاستشهاده»؛ المحور السادس «عبد القادر وفلسطين و[الفلسطينيون]»؛ المحور السابع «صحب عبد القادر»؛ المحور الثامن «عبد القادر الرجل الذي حيل بينه وبين إنقاذ فلسطين»، ويشمل هذا المحور العناوين الآتية: «لماذا ضاعت فلسطين؟»، «تأمّر الدول العربية»، «مهزلة اللجنة العسكرية وجيش الإنقاذ»، «لماذا دخلت الجيوش العربية؟»، «نهاية فلسطين»، وفيه: «مزاعم الدول العربية»، «منع السلاح عن عرب فلسطين»، «تحويل القدس كلها إلى لجنة العسكرية»، «إيجاد مشكلة اللاجئين لوضع عرب فلسطين وشعوب العالم العربي أمام أمر واقع»، «عودة إلى التقسيم وأي عود». أما المحور الأخير، فإنّ الريماوي عنوانه بـ «عبد القادر من رجال التاريخ العربي المجيد»، وأضاف عنواناً فرعياً إليه، وهو «نجم لا يزال يلمع في آفاق المجد العربي، يهدي السائرين، مهما ادلهمت الخطوب وتكاثفت الصعوبات»⁽³⁵⁾.

(34) يمكن مطالعة أبرز ما ورد في المحاور الثلاثة الأولى من المخطوط في نص عيسى خليل محسن: محسن، ص 145-207. مع الإشارة إلى أنّ نص محسن، وإن أُسس في معظمه على شهادة الريماوي، إلا أنه لا يُعني عن تحقيق بقية المخطوط وفقاً لأصول تحقيق النصوص التاريخية. والأمل أن يتيسر نشر بقية هذا المخطوط لاحقاً في دراسة تقتصر على سيرة عبد القادر الحسيني.

(35) لم يلتزم الريماوي الهيكل الرئيس كالتزامه في المحاور الأولى. واستخدم لتدوين النصوص المتعلقة بالجهاد المقدس، والتي حُققت هنا، دفترًا من الدفاتر المدرسية بتروية وزارة المعارف، واستخدم دفترًا مرّوسًا بتروية مكتبة ومطبعة خضير نصر، ودفترين من نوع Block - Note Extra، ودفترين من نوع Block - Note A Lettre، ودفترًا واحدًا Romney, writing pad.

وتفصيل هذه النصوص كالآتي: المخطوط الأول عنوانه الرئيس «الجهاد المقدس»، وتحدّث فيه الريماوي عن عودة عبد القادر الحسيني إلى مصر، وبداية ظهور التنظيم السري الذي عمل الحسيني على =

لم يطلّ مقام قاسم في مصر، إذ سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن اختارته حكومة عموم فلسطين ليكون مراقبها في الأمم المتحدة⁽³⁶⁾، واستغل سفره لاستكمال دراسته العليا، فالتحق في عام 1953 بجامعة كولومبيا (Columbia University) في نيويورك، ليتحصل أولاً على شهادة ماجستير في الإدارة والشؤون الاجتماعية في عام 1954، برسالة عن دور الأخصائيين الاجتماعيين في تنمية المجتمع الصناعي في مصر⁽³⁷⁾، ثم على درجة الدكتوراه من كلية المعلمين في الجامعة (Teachers College)، في عام 1956، بأطروحة بعنوان «التعليم والتحدي الصناعي في مصر»⁽³⁸⁾. وخلال هذه الفترة، نشط الريماوي عضوًا مؤسسًا في اتحاد الجمعيات الإسلامية في أميركا وكندا.

غادر الريماوي أميركا إثر العدوان الثلاثي على مصر (تشرين الأول/

= تأسيسه، انطلاقًا من مصر. ودون هذا المخطوط في ثلاث عشرة صفحة، وسيُشار إليه لاحقًا بدفتر رقم 4 من مخطوط عبد القادر الحسيني. أما المخطوط الثاني، ففيه استكمال للحديث عن قوة الجهاد المقدس، وجاء في سبع وستين صفحة، وسيُشار إليه لاحقًا بدفتر رقم 5 من مخطوط عبد القادر الحسيني. واحتلت الأعمال العسكرية التي تمت على يد القائد عبد القادر ثمانين وستين صفحة، وسيُشار إليها لاحقًا اختصارًا بدفتر رقم 6. وضم المخطوط اثنتين وعشرين صفحة تحدثت عن نفس الوكالة اليهودية، وأحوال البلاد الداخلية قبل لحظة الحرب، وبدء تأسيس التنظيم السري، وسيُشار إليه لاحقًا اختصارًا بدفتر رقم 7. ودون الريماوي الحديث عن استشهاد الحسيني وأثره في دفتريْن، الأول بعنوان «استشهاد»، في تسع وعشرين صفحة، وسيُشار إليه لاحقًا اختصارًا بدفتر رقم 8، والثاني تحدث في خمس عشرة صفحة عن أثر استشهاد، وعن معركة باب الواد التي قادها الريماوي في أيار/ مايو 1948، وسيُشار إلى هذا الدفتر اختصارًا بدفتر رقم 9. وكان الدفتر الأخير من عشرين صفحة، تحدث فيه الريماوي عن علاقات عبد القادر الحسيني باللجنة العسكرية العربية العليا، وبجيش الإنقاذ، وقائده فوزي القاوقجي، وسيُشار إليه اختصارًا بدفتر رقم 10.

أما المحور الأخير من عموم الكتاب، فقد خصصه الريماوي لممدح الحسيني، مبتدئًا النص بلازمة ستتكرر في معظم فقراته، «سمعت فعرفت فأمنت». والنص لا يبدو أن يكون خاطرة مديح عامة في الحسيني، ولعدم علاقته المباشرة بموضوع الكتاب استُثني من التحقيق.

(36) «معالي الدكتور قاسم»، ص 27؛ العودات، ص 225.

Qasim Mohamed Al-Rimawi, «The Role of the Social Worker in Industrial Community (37) Development in Egypt,» Master Dissertation, Columbia University, New York, 1954.

Qasim Mohamed Al-Rimawi, «Education and the Challenge of Industrialization in Egypt: (38) a Report of a Type B Project,» PH.D. Dissertation, Columbia University, New York, 1956. 718 pages.

Qasim Mohamed Al-Rimawi, *The challenge of industrialization, Egypt*, نُشرت في بيروت: (Beirut: United Publishers, 1974).

أكتوبر 1956)، عائداً إلى القاهرة مطلع عام 1957. وفي ظل التحولات السياسية التي حدثت في الأردن، بدءاً من نيسان/أبريل 1956، بعد طرد غلوب باشا⁽³⁹⁾ (John Bagot Glubb)، ثم انتخابات تشرين الأول/أكتوبر 1956، والانفتاح الموقت على الأحزاب والقوى السياسية المعارضة التي شاركت لأول مرة في تأليف الحكومة، في حكومة سليمان النابلسي⁽⁴⁰⁾ (29 تشرين الأول/أكتوبر 1956 - 13 نيسان/أبريل 1957)، عاد الريماوي إلى المملكة الأردنية الهاشمية، لبدء نشاطاً جديداً، ويصنع صورة جديدة لنفسه، بعيداً عن السلاح، مستغلاً الخبرة والتحصيل الأكاديمي اللذين تحصل عليهما في جامعة كولومبيا.

الصورة الثانية: قاسم الريماوي السياسي الفلسطيني/الأردني

«كان من الممكن أن تتجمد الصورة في الذاكرة عند ذلك، ولكنّ أبا حاتم فاجأنا بعد عام 1949 بتغيير الصورة؛ فحينما اضطر إلى ترك سلاحه، والتزول من على جبال فلسطين، لم يجلس على أكاليل غاره ويكتفٍ بالحديث عن أيام زمان، بل ذهب إلى جامعة كولومبيا، وانتظم في مقاعد الدراسة، وعاد يحمل شهادة دكتوراه. وحينما التقيته بعد عودته، كان صوته هادئاً كأنما ذهب منه

(39) جون باغوت غلوب (1897-1986): وُلد في بريستون - لانكشير. التحق في الجيش البريطاني وخدم في الحرب العالمية الأولى، وأصيب فيها في فكّه، فلقب لاحقاً بأبو حنيك. التحق بقوات المستعمر البريطاني في العراق في عام 1920. ثم التحق بالفيلق العربي في عام 1930، وأسس قوات البادية وقادها. خلال حرب 1947-1949، كان غلوب قائداً للجيش العربي الأردني، وأحد أبرز صنّاع الاستراتيجية العسكرية للجيش، وحُمّل مسؤولية الهزيمة الأردنية في الحرب، وخصوصاً بعد سقوط اللد والرملة. عُزل من منصبه بعد قرار الملك حسين بن طلال تعريب الجيش العربي، في آذار/مارس 1956.

(40) سليمان النابلسي (1908-1976): وُلد في السلط، وحصل على درجة البكالوريوس في العلوم من الجامعة الأمريكية في بيروت. شغل مناصب حكومية عدة منذ عام 1933. كان خلال اللحظات الأولى من حرب 1947-1949 وزيراً للمالية والاقتصاد (شباط/فبراير - كانون الأول/ديسمبر 1947). شغل عضوية مجلس النواب، ومن ثم مجلس الأعيان. كما أنه كان الأمين العام للحزب الوطني الاشتراكي الأردني. شغل رئاسة وزراء حكومة الأغلبية النيابية المنتخبة في تشرين الأول/أكتوبر 1956.

العنفوان، ولكنّ العنفوان في الحقيقة كان قد انتقل إلى عقله، بعد أن أدرك أنّ الفكر يأتي أولاً، على أن يتحوّل هذا الفكر إلى ممارسة ودراسات يتم تنفيذها على أرض الواقع»⁽⁴¹⁾.

يلخّص الاقتباس السابق صورة الريماوي الجديدة. ابتداءً الريماوي نشاطه في الأردن من خلال توليه إدارة شركة مناجم الفوسفات الأردنية المساهمة العامة المحدودة، منذ عام 1957 وحتى مطلع عام 1960. ولا يتوافر الكثير عن نشاط الريماوي خلال هذه الفترة، سوى إشارات محدودة لتعزيزه النشاط النقابي في المؤسسة، على الرغم مما كان يشهده الأردن، مع عودة الأحكام العرفية، من غياب للحريات النقابية والسياسية بعد نيسان/أبريل 1957⁽⁴²⁾. وكما يبدو، فإنّ حضور الريماوي الجديد لم يتأثر سلبياً بالتحوّلات السياسية والانقلاب الملكي على المعارضة⁽⁴³⁾، وبدأت تظهر أولى الإشارات لتحوّلات في مواقف الريماوي السياسية القديمة، كما سيُناقش في موضع لاحق.

استباقاً لدخول الحياة السياسية في المملكة الأردنية من جديد، بدأ الريماوي، كما تُظهر الوثائق المتوافرة، بالتواصل مع الملك حسين بن طلال

(41) إبراهيم أبو ناب، «أبو حاتم»، الرأي [الأردنية]، 1/5/1982. ص 19.

(42) سجّل محمد عبد الهادي الشروف، في يومياته ليوم 12 آب/أغسطس 1957، تفصيلات انتخاب أعضاء الجمعية التعاونية لموظفي وعمال المنجم في الرصيفة، تحت إشراف مدير المنجم الدكتور قاسم الريماوي. وتُعقد الاجتماع الأول للجمعية في مكتب الريماوي، بحضور مدير مجلس إدارة الشركة باز قعوار: إليكس ويندر (إعداد وتحرير)، بين منشية يافا وجبل الخليل، يوميات محمد عبد الهادي الشروف 1943-1962 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2016)، ص 263. ويُشار إلى أنّ شركة مناجم الفوسفات الأردنية المساهمة العامة المحدودة أُسست في عام 1953، خلفاً لشركة مناجم الفوسفات الأردنية المحدودة، بهدف استثمار الفوسفات في المملكة، بمشاركة بين الحكومة الأردنية، وبقية المساهمين الذين فُتح لهم باب الاشتراك في الجمعية. يُنظر: شركة مناجم الفوسفات الأردنية المساهمة، النظام الداخلي (عمّان: مطابع شركة الطباعة الحديثة، 1957)، ص 2.

(43) علّق الريماوي في حديث عام له، في نيسان/أبريل 1960، على هذه الفترة، فأشار إلى أنه مع فرض الأحكام العرفية، واعتقال عدد من الأشخاص، لم يحاول التوسط لأحد. وأضاف بأنّه بعد زوال الأحكام أصبح كل واحد يطبقها على نفسه في سبيل مصلحة الأردن واستقراره: فلسطين، 7/4/1960، ص 4. ويُظهر هذا الحديث للريماوي أنه نأى بنفسه عن الخلافات السياسية في نيسان/أبريل 1957، واقتصر نشاطه، كما يبدو، على عمله في شركة الفوسفات.

(1935-1999) الذي عُرف بوصله الدائم لحبال الود مع معارضيه، فكيف بمعارضيه جدّه الذي طُويت بمقتله الكثير من صفحات الخلاف والمعارضة السابقة. أبرز الريماوي تحصيله العلمي من جامعة كولومبيا، وقدرته على تقديم أفكار جديدة، فأرسل في 28 كانون الأول/ ديسمبر 1960 رسالة إلى الملك، يطلب فيها مساندته أمام الجهاز الحكومي لإنجاز دراسة عُرضت عليه من بعثة العمل الأميركية، لتحليل شؤون الأردنيين المبتعثين إلى خارج البلاد⁽⁴⁴⁾. وكما يبدو، فإنّ هذه الدراسة كانت بداية عمل الريماوي كخبير في وزارة الاقتصاد - الإحصاء الأردنية، إذ أشار الريماوي في رسالته إلى أنّ الدراسة عمل مشترك بين الحكومة الأردنية والبعثة.

كانت هذه الرسالة مدخلاً لتجاوز الريماوي العداء القديم مع المؤسسة الرسمية عموماً، والمؤسسة الأمنية خصوصاً. فبعد تعليق الملك على الرسالة بتوجيه رئيس الوزراء للاجتماع مع الريماوي ومساعدته في دراسته، استجاب رئيس الوزراء فوراً لكتاب الديوان الملكي الذي نقل ملحوظة الملك على رسالة الريماوي⁽⁴⁵⁾، فأرسل إلى وزير الداخلية، راجياً العمل على تنفيذ الرغبة الملكية، بالتوصية بإعطاء الريماوي شهادة حسن سلوك، ومنحه التسهيلات اللازمة التي يحتاج إليها⁽⁴⁶⁾، وهو ما انعكس أيضاً بشكل سريع برسالة من وزير الداخلية إلى مدير الأمن العام بضرورة تنفيذ الرغبة الملكية، وإعطاء الريماوي شهادة حسن السلوك⁽⁴⁷⁾.

(44) «استدعاء من قاسم محمد الريماوي إلى الملك حسين»، دائرة المكتبة الوطنية الأردنية، مجموعة الوثائق الحكومية، رقم الوثيقة: 37/6/6/181، بتاريخ 1960/12/2. ويُلاحظ أنّ الريماوي دوّن رسالته/الاستدعاء على ورقة مروّسة بـ «الدكتور قاسم الريماوي، دكتوراه في علم الاقتصاد والاجتماع، جامعة كولومبيا - نيويورك».

(45) «كتاب من رئيس الديوان الملكي الهاشمي إلى رئيس الوزراء»، دائرة المكتبة الوطنية الأردنية، مجموعة الوثائق الحكومية، رقم الوثيقة: 37/6/6/182، بتاريخ 1960/12/29.

(46) «كتاب من رئيس الوزراء إلى وزير الداخلية»، دائرة المكتبة الوطنية الأردنية، مجموعة الوثائق الحكومية، رقم الوثيقة: 37/6/6/183، بتاريخ 1961/1/2.

(47) «كتاب من وزير الداخلية إلى مدير الأمن العام»، دائرة المكتبة الوطنية الأردنية، مجموعة الوثائق الحكومية، رقم الوثيقة: 37/6/6/184، بتاريخ 1961/1/3.

شجعت هذه الرسالة، والاستجابة السريعة لها من الجهات المختصة، ثم مقابلة الملك للريماوي، الريماوي لتقديم رسالة أخرى للملك، تعزز صورته كخبير، فكانت رسالته التي أرفقها بتقديم مشروع مشترك، مع المحامي فؤاد خوري، تلبية للرغبة السامية في مشاركة الشعب في حمل بعض المسؤوليات العظام الملقاة على عاتق الأردن العزيز، كلٌ بحسب اختصاصه وطاقته. أما المشروع المقدم من الريماوي وخوري فعرفاه بأنه محاولة لتقديم برنامج عملي لتنفيذ السياسة العامة للمشاركة والتعاون التي دعا إليها الملك، سعيًا لتضييق الفجوة بين المواطنين والمسؤولين، وإسهامًا في إشعار المواطن بأنه شريك في الحكم، وتطبيقًا عمليًا للديمقراطية الصحيحة التي يحملها الملك رايتها، ورسماً لسياسة واضحة للتخطيط المشترك لمكافحة النظم والنظريات الدكتاتورية من جهة، ومواجهة مساوئ الليبرالية من جهة ثانية. وتتلخص الفكرة العملية للمشروع بإيجاد لجانٍ مشتركة بين المسؤولين والشعب في مختلف الحقول (التعليم، الإنماء الاقتصادي، الزراعة، الشؤون الاجتماعية، الأمن، الصحة العامة، التوجيه، مجلس المنطقة الإداري)، تأخذ توصيات تُرفع إلى المسؤولين لإقرارها وتنفيذها، بحسب مقتضى الحال⁽⁴⁸⁾. وكما اهتم الملك بالرسالة الأولى،

(48) «كتاب من الدكتور قاسم الريماوي إلى جلالة الملك حسين»، دائرة المكتبة الوطنية الأردنية، مجموعة الوثائق الحكومية، رقم الوثيقة: 37/6/7/17، 37/6/7/18، 37/6/7/19، 37/6/7/20، بتاريخ 1961/2/17. وبعد عرض المشروع في أربع صفحات، كتب: «هذا هو مشروعنا، وهذه هي آراؤنا الصادقة، وإننا نرى فيها تلبية للرغبة السامية، وتحقيقًا لما يصبو إليه كل مواطن مخلص صادق في أن يعيش الأردنيون وكأنهم عائلة واحدة، أعضاؤها كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضًا». وفي تأكيد على مقابلة الملك للريماوي، بعد استدعائه الأول، ورد في الرسالة الجديدة: «وقد كان لتشجيع جلالتم الشخصي لهذا الاتجاه، أثناء تشرف الدكتور قاسم الريماوي بمقابلتكم، أكبر الأثر في إبراز هذا المشروع إلى حيز الوجود، بالإضافة إلى مشروع دراسة شؤون الأخصائيين والفنيين الأردنيين الذي يجري إعداده الآن».

وأكد الريماوي على صورته الجديدة؛ الخبير صاحب التحصيل الأكاديمي المميز، فُحِتمت الرسالة بقوله: «ونحن، ضمن ما أوتينا من اختصاص وتدريب في هذا الشأن، يشرفنا ويسعدنا أن نتعاون مع المسؤولين في تنفيذ هذا البرنامج، وتشكيل اللجان وتنظيمها، وتنفيذ برامجها بالشكل الذي يضمن نجاحها».

فإنه أيضًا وجّه الرسالة الثانية إلى مجلس الوزراء⁽⁴⁹⁾ الذي كتب إلى ست وزارات، طالبًا بيان المطالعة⁽⁵⁰⁾.

لا تُظهر الوثائق ما حدث إثر مطالعات الوزارات المختصة، لكنّ الريماوي كان قد بدأ يخطّ طريقه للعودة إلى الحياة السياسية، وكان مدخله الأول لذلك خوض الانتخابات النيابية لمجلس النواب السادس، حيث انتُخب في 19 تشرين الأول/أكتوبر 1961 لعضوية مجلس النواب عن قضاء رام الله⁽⁵¹⁾. شغل الريماوي في هذا المجلس عضوية لجنة اللاجئين، ولم يوفّق في إشغال عضوية لجنة الشؤون الخارجية لحصوله على 18 صوتًا، بينما حصل منافسه على 21 صوتًا⁽⁵²⁾. لم يندمج الريماوي في هذا المجلس مع التوجه الحكومي، وكان صدامه الأول مع حكومة بهجت التلهوني⁽⁵³⁾ (29 آب/أغسطس 1960 - 27 كانون الثاني/يناير 1962)⁽⁵⁴⁾، في أثناء نقاش بيانها الوزاري يوم

(49) «كتاب من رئيس الديوان الملكي الهاشمي الى رئيس الوزراء»، دائرة المكتبة الوطنية الأردنية، مجموعة الوثائق الحكومية، رقم الوثيقة: 37/6/7/21، بتاريخ 1961/2/21.

(50) «كتاب من وكيل رئيس الوزراء إلى وزير التربية والتعليم ووزير الداخلية ووزير الصحة»، دائرة المكتبة الوطنية الأردنية، مجموعة الوثائق الحكومية، رقم الوثيقة: 37/6/7/22، بتاريخ 1961/3/1.

(51) الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 1577 (21 تشرين الأول/أكتوبر 1961)، ص 1370. وكان الريماوي الأعلى تصويتًا، وفقًا للنتائج المعلنة لهذه الانتخابات، إذ حصل على 4,797 صوتًا، مع الإشارة إلى أنّ الانتخابات النيابية كانت توضع نتائجها في كثير من الأحيان موضع شك، واعتُبرت المجالس النيابية انعكاسًا لرغبات الحكومة. لكن كما سيظهر لاحقًا، اتخذ الريماوي، وكذلك بعض نواب المجلس السادس، قرارات أودت ببعضهم إلى سجن الجفر لاحقًا.

(52) «مذاكرات ومناقشات مجلس الأمة الأردني السادس»، ملحق الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، مج 6، العدد 2 (1 تشرين الثاني/نوفمبر 1961)، ص 30-31.

(53) بهجت التلهوني (1913-1995): ولد في معان. تلقى تعليمه في مدينة السلط، وأنهى دراسة الحقوق في سورية، في عام 1936. عمل في المحاماة وفي القضاء، إلى أن عُيّن رئيسًا للديوان الملكي في أيار/مايو 1955. تولى رئاسة الوزراء ست مرات؛ كان أولها في آب/أغسطس 1960، وآخرها في حزيران/يونيو 1970.

(54) أُلّفت حكومة بهجت التلهوني في ظروف استثنائية، إذ عُهد إليه تكليف الوزارة بعد اغتيال رئيس الوزراء الأردني هزاع المجالي، بتفجير مبنى رئاسة الوزراء يوم الإثنين، 29 آب/أغسطس 1960، والذي اتُهمت بتدبيره الجمهورية العربية المتحدة. وكانت مهمة الحكومة الأساسية، وفقًا لخطاب =

21 تشرين الثاني/نوفمبر 1961، إذ رَفَضَ منحها الثقة، لإيمانه بعدم جواز اتخاذ خطاب العرش بيانًا وزارياً، وامتنع عن التصويت⁽⁵⁵⁾.

استقال التلهوني في 27 كانون الثاني/يناير 1962، وكُلف وصفي التل⁽⁵⁶⁾ بتأليف حكومته الأولى، وعُهد في هذه الحكومة للريماوي بوزارة الزراعة والإنشاء والتعمير، لتكون أول حلقات نشاطه الحكومي، وكذلك تنويجاً لصلبة ستتكتف مع وصفي التل. استقال الريماوي من منصبه في 14 تشرين الأول/أكتوبر 1962، تمهيداً لمشاركته في انتخابات مجلس النواب السابع⁽⁵⁷⁾ التي نجح فيها عن قضاء رام الله، في 24 تشرين الثاني/نوفمبر 1962، حاصداً أيضاً أعلى الأصوات للمرة الثانية⁽⁵⁸⁾، ممهداً لعودته إلى حكومة وصفي التل من جديد، في 2 كانون الأول/ديسمبر 1962 وزيراً للزراعة⁽⁵⁹⁾، والتي أُقيمت، في ظل ظروف سياسية مضطربة، في 27 آذار/مارس 1963، بعد التطورات السياسية التي حصلت في العراق (انقلاب البعث في 8 شباط/فبراير)، وفي

=التكليف، توطيد دعائم الأمن والاستقرار، والضرب بيد من حديد على أيدي العابثين: الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 1506 (29 آب/أغسطس 1960)، ص 901 - مكرر أ. وبهذا، فإن بياني التكليف ومهمة الوزارة كانا استثنائيين، وسرعان ما استبدلت بها حكومة وصفي التل الأولى.

(55) «مذاكرات ومناقشات مجلس الأمة الأردني السادس»، ملحق الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، مج 6، العدد 4 (26 تشرين الثاني/نوفمبر 1961)، ص 131.

(56) وصفي «مصطفى وهبي» التل (1919-1971): وُلد في إربد، وتلقى تعليمه الأساسي في مدينة السلط، وأكمل دراسته في الجامعة الأمريكية في بيروت في عام 1941. التحق بالجيش البريطاني العامل في فلسطين المحتلة. نشط خلال حرب 1947-1949 في جيش الإنقاذ، وكان أحد قادته البارزين، خصوصاً في مراحل الحرب الأخيرة. بعد اعتلاء الملك حسين سدة الحكم، تولى التل عدداً من المناصب في الحكومة الأردنية، إلى أن كُلف في كانون الثاني/يناير 1962 بتأليف حكومته الأولى. تولى التل رئاسة الوزراء مرتين إضافيتين، كان آخرها في تشرين الأول/أكتوبر 1970. اغتيل التل في القاهرة بتاريخ 28 تشرين الثاني/نوفمبر 1971.

(57) الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 1644 (15 تشرين الأول/أكتوبر 1962)، ص 1212.

(58) الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 1652 (27 تشرين الثاني/نوفمبر 1962)، ص 1433. وحصل الريماوي في هذه الانتخابات على 4,593 صوتاً.

(59) الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 1655 (3 كانون الأول/ديسمبر 1962)، ص 1461.

سورية (انقلاب البعث في 8 آذار/ مارس)، والحديث عن اتحاد عربي ثلاثي بين سورية والعراق ومصر، وما تبعها من اضطرابات وتظاهرات في معظم مدن الضفة الغربية، تبعتها عمليات قمع، وفرض لمنع التجول⁽⁶⁰⁾. وفي ظل هذه الأجواء، كُلف سمير الرفاعي بتأليف وزارته، لكن كانت المفاجأة بأن حجب معظم النواب الثقة عن حكومته.

كان الريمائي من ضمن النواب الذين حجّبوا الثقة عن الحكومة، في 20 نيسان/ أبريل 1963، وعبر في كلمته عن رغبات الشارع وآماله بتحقيق وحدة سريعة مع الدول العربية، لكنّه شكّك في قدرة الرفاعي على أن يكون حامل رسالة الوحدة، لأنّه يجب على من يحملها أن يكون مقتنعاً بجميع ما فيها، وأن تكون أعماله الماضية مؤشّرة على صدق نيته. وهاجم الريمائي التوجهات الأميركية والروسية، مشيراً إلى أنّ الوحدة يجب أن تنبثق من الإرادة الخيرة للشعوب العربية ذاتها، لا أن تكون لغتها أميركية، ولا روسية أيضاً. وختم كلمته بالقول بأنّ الحكومة لا تستحق الثقة، لا على أساس المفهوم الديمقراطي للحكومات، ولا الأسلوب الذي تفترضه فيها، أو الهدف الذي وعدت بالسعي لتحقيقه، أو حتى البيان الوزاري شكلاً أو موضوعاً⁽⁶¹⁾.

غضب الملك من حجب الثقة عن حكومة الرفاعي، وانعكس هذا الغضب عملياً بحلّ مجلس النواب، بعد تكليف حكومة جديدة، برئاسة الشريف حسين بن ناصر، ثم باعتقال عدد من النواب، وإرسالهم إلى سجن الجفر⁽⁶²⁾. فشلت

(60) اطّلع الباحث على يوميات توثّق هذه الفترة، وتُبرز حجم التظاهرات والقمع الممارس ضدها، وفرض منع التجول أياماً عدة، لكنه لم يتحصّل على إذن بنشرها. ويمكن مشاهدة وصف الدولة لتظاهرات جنين والقدس في تصريحات الرفاعي: «مذاكرات ومناقشات مجلس الأمة الأردني السابع»، ملحق الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، مج 7، العدد 17 (21 نيسان/ أبريل 1963)، ص 1056-1057؛ «في جنين»، الدفاع، 1963/4/21، ص 4.

(61) «مذاكرات»، مج 7، العدد 17 (21 نيسان/ أبريل 1963)، ص 1084-1085.

(62) يُنظر، توثيقاً لتجربة أحد النواب المعتقلين في الجفر إثر حجب الثقة عن حكومة الرفاعي، في: سميح حمودة، «مقدسي في سجن الجفر: يوميات ومذكرات داود الحسيني»، حوليات القدس، العدد 16 (خريف - شتاء 2013)، ص 86-98.

محادثات الوحدة الثلاثية بين مصر وسورية والعراق، واستقرت الأوضاع نسبيًا في الأردن، وأعيد انتخاب الريماوي في المجلس النيابي الثامن، في 6 تموز/ يوليو 1963، لكن هذه المرة بالتزكية⁽⁶³⁾. وفُهم من هذا الفوز لمعظم نواب المجلس بالتزكية بأنّ القوائم أُعدت بما يُرضي الحكومة، ولمعاقبة بعض الشخصيات بحرمانها من المشاركة⁽⁶⁴⁾.

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى بدأت تلوح في الأفق بوادر السعي لتأسيس كيان فلسطيني جديد، بمبادرة من الجمهورية العربية المتحدة. وإثر انعقاد المؤتمر الفلسطيني في القدس، أُعلن في 10 آب/ أغسطس 1964 عن تأليف أول لجنة تنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، برئاسة أحمد أسعد الشقيري⁽⁶⁵⁾، وكان من بين أعضاء لجنتها الأولى قاسم الريماوي⁽⁶⁶⁾. شعر الأردن بتهديد هذا الكيان الجديد لوحده، فتعاون أول الأمر بحذر مع المنظمة⁽⁶⁷⁾. وسعى وصفي

(63) الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 1697 (9 تموز/ يوليو 1963)،

ص 811.

(64) يذكر داود الحسيني أنه كان من بين الشخصيات المعاقبة، وأشار إلى حرمان جميع النواب المعتقلين في الجفر بتأخير إجراءات التحقيق والمحاكمة إلى ما بعد الانتهاء من الانتخابات النيابية: حمودة، مقدسي، ص 87.

(65) أحمد أسعد الشقيري (1908-1980): وُلد في لبنان، وهو ابن الشيخ أسعد الشقيري، مفتي الجيش العثماني الرابع، خلال الحرب العالمية الأولى. درس الحقوق في القدس. عمل خلال فترة الاستعمار البريطاني لفلسطين في الصحافة والمحاماة، ثم مديرًا للمكتب العربي في واشنطن، ثم مديرًا لمقرّه المركزي في القدس، حتى حرب 1947-1949. بعد الحرب، عُيّن عضوًا في البعثة السورية إلى الأمم المتحدة (1949-1950)، ثم أمينًا عامًا مساعدًا لجامعة الدول العربية حتى عام 1957. عُيّن سفيرًا دائمًا للسعودية في الأمم المتحدة حتى عام 1963. اختير ممثلًا لفلسطين في جامعة الدول العربية، وكُلف في كانون الثاني/يناير 1964 بالسعي لتأسيس ما سيُعرف بمنظمة التحرير الفلسطينية. أصبح أول رئيس للمنظمة، بعد انتخابه من المجلس الوطني الفلسطيني الأول في حزيران/يونيو 1964. استقال الشقيري من المنظمة في كانون الأول/ديسمبر 1967، معتزلاً المناصب الرسمية.

(66) ضمت اللجنة المعلن عنها، إلى جوار الشقيري والريماوي، كلاً من حامد أبو ستة، حيدر عبد الشافي، خالد الفاهوم، عبد الخالق يغمور، عبد الرحمن السكسك، عبد المجيد شومان، فاروق الحسيني، فلاح الماضي، قصي العبادلة، نقولا الدر، وليد قمحاوي: الجهاد، 11/8/1964، ص 1، 4.

(67) حول موقف الأردن من الإعلان عن الكيان الفلسطيني الجديد، ونظرته للمنظمة وللمؤتمر الفلسطيني الأول المنعقد في القدس، يُنظر: أحمد الشقيري، أحمد الشقيري الأعمال الكاملة: المذكرات =

التل، في أثناء مشاوراته لتأليف حكومته التي أُشهرت في 13 شباط/فبراير 1965، لأن يشغل بعض أعضاء اللجنة التنفيذية عضوية الحكومة الجديدة.

كان العرض المقدم من التل إلى الشقيري، أن يشترك اثنان من أعضاء اللجنة في وزارته، كوزراء دولة، مع احتفاظهما بعضوية اللجنة التنفيذية، محددًا عبد الخالق يغمور وقاسم الريماوي. وافق الشقيري على العرض، وحاول إقناع أعضاء اللجنة التنفيذية بالموافقة، إلا أن الرأي الأغلب اعتبرها محاولة لاحتواء المنظمة، وتحويلها إلى أحد أجهزة الحكم في الأردن، ومن ثمّ رفض العرض من معظم أعضاء اللجنة، باستثناء الشقيري والريماوي⁽⁶⁸⁾. أُلقت الحكومة، بعد قرار اللجنة التنفيذية للمنظمة رفض المشاركة فيها، وأكد كتاب التكليف على ضرورة التعاون معها⁽⁶⁹⁾، لكنّ العلاقة أخذت تسوء بين المنظمة والأردن، وكان الريماوي، كما تُظهر تصريحاته العلنية، رافضًا لهذا الخلاف⁽⁷⁰⁾ الذي تفاقم

= (2)، مج 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006)، ص 1010/4-1030/4، 1045/4-1060/4. وشهادة الضابط المكلف بمتابعة الشقيري في: عبد الله العساف (إعداد وتحرير)، سامي السماعيل مذكرات ضابط أردني، خفايا وأسرار (1948-2004) (عمّان: الآن ناشرون وموزعون، 2016)، ص 194-198.

(68) بهجت أبو غربية، من مذكرات المناضل بهجت أبو غربية: من النكبة إلى الانتفاضة (1949-2000) (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004)، ص 276-277.

(69) جاء في خطاب التكليف: «ولئن كانت قضية فلسطين هي قضية العرب الأولى، فإنّها لنا - في الأردن - جزء من وجودنا القومي وإحساننا وواقعنا. وإنّه لمن النقاط الرئيسية التي على الحكومة أن تلتزم بها في سياستها تجاه قضيتنا الأولى هذه دعم منظمة التحرير الفلسطينية، والتعاون الوثيق معها في الأردن، وفي الوطن العربي، وفي المحافل الدولية كافة. وإنّ هذا الموقف يترتب حتمًا على إيماننا بأنّه ما دام إخواننا أبناء فلسطين في الأردن وفي خارج الأردن، قد اختاروا المنظمة سبيلًا لحشد جهود أبناء فلسطين وتنظيمها، فإننا نقف إلى جانب المنظمة وندعمها ونؤيدها، ونساند جهودها حتى يسترد أبناء فلسطين والأمة العربية الحقوق العربية في فلسطين»: الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 1821 (14 شباط/فبراير 1965)، ص 123. لكنّ منظمة التحرير، وعلى لسان الشقيري، حددت خمسة منطلقات ضرورية لترجمة هذا التصريح، يُنظر: اليوميات الفلسطينية، المجلد الأول من 1/1/1965 إلى 30/6/1965، أنيس صايغ (محرر رئيس) (بيروت: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1966)، ص 64.

(70) عندما أعلنت إذاعة «صوت فلسطين» في القاهرة، في 6 أيار/مايو 1965، أنّ التل الذي قابل وفد المنظمة في 5 أيار/مايو، مكتفٍ بالأقوال، وبأن هناك فرقًا بين الأقوال والأفعال، وأنّ الحكومة =

وصولاً إلى قطع العلاقات الكاملة مع المنظمة، واتهامها بدعم حوادث تخريبية ضدّ الدولة⁽⁷¹⁾.

شغل الريماوي عضوية اللجنة التنفيذية لفترة محدودة، إذ حُلّت في 31 أيار/ مايو 1965، مع بدء فعاليات المؤتمر الوطني الفلسطيني الثاني الذي عُقد في القاهرة، واستُبدلت بها لجنة جديدة، من دون إشراك أي عضو من اللجنة الأولى⁽⁷²⁾. وخلال هذه المدة القصيرة، لا تُظهر المصادر المتوافرة الكثير عن دور الريماوي في اللجنة، واقتصره على السفر برئاسة وفد منظمة التحرير إلى دول أميركا اللاتينية، وتمثيلها في عدد من الاجتماعات الرسمية⁽⁷³⁾. واتهم بعض زملاء الريماوي الشقيري بالتمرد في قيادته للجنة⁽⁷⁴⁾.

مع خروج الريماوي من اللجنة التنفيذية للمنظمة، عاد إلى الحكومة الأردنية، بعد قرار التل إعادة تأليف حكومته، فشغل وزارة الداخلية/ الشؤون

=الأردنية حالت دون تنفيذ المنظمة لأي من برامجها في الأردن: صايغ، اليوميات، المجلد الأول، ص 189، 196.

(71) اليوميات الفلسطينية، المجلدان الرابع والخامس من 1/7/1966 إلى 30/6/1967، أنيس صايغ (محرر رئيس) (بيروت: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1967)، ص 19. واليوميات الفلسطينية زاخرة بالأخبار اليومية التي تُظهر هذا الخلاف. وللإطلاع على ملخص هذه الخلافات، يمكن مطالعة: منذر فائق عنباتوي (جمع وتحرير)، «خطاب الملك حسين في عجلون 14/6/1966»، في: الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1966، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1967)، ص 261-267. مقارناً بـ: جورج خوري نصر الله (جمع وتصنيف)، «رسالة وجهها السيد أحمد الشقيري، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، إلى الشعب والجيش في الأردن، بمناسبة عيد الفطر 12/1/1967»، في: الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1967، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1969)، ص 6-10.

(72) أبو غربية، من النكبة، ص 283.

(73) ترأس الريماوي في عام 1964 وفد منظمة التحرير المكوّن من إلياس بندك، ياسر عمرو، جريس أبو رومان وغيرهم، لزيارة دول أميركا اللاتينية. كما مثل المنظمة في اجتماعات رسمية، مثل الاجتماع مع وصفي التل، رئيس الحكومة الأردنية، في 24 شباط/فبراير 1965، لاقتراح مشروعات عسكرية تنفذها المنظمة في الأردن: صايغ، اليوميات، المجلد الأول، ص 74. وفي 5 أيار/ مايو: المرجع نفسه، ص 189. وتمثيلة المنظمة في لقاء مع الرئيس السوري أمين الحافظ: المرجع نفسه، ص 166.

(74) أبو غربية، من النكبة، ص 280.

البلدية والقروية، في 31 تموز/يوليو 1965⁽⁷⁵⁾. وحافظ الريماوي على منصبه هذا مع إعادة تأليف حكومة التل من جديد، في 22 كانون الأول/ديسمبر 1966⁽⁷⁶⁾، إلى أن استقالت الحكومة في 4 آذار/مارس 1967 لرغبة وزرائها، ومنهم الريماوي، في المشاركة في الانتخابات النيابية للمجلس النيابي التاسع⁽⁷⁷⁾، والتي أُجريت في 15 نيسان/أبريل 1967، وفاز فيها الريماوي من جديد⁽⁷⁸⁾. كما أنه فاز أول مرة برئاسة مجلس النواب، بعد حصوله على 42 صوتاً، مقابل 17 ورقة بيضاء⁽⁷⁹⁾.

لم يمضِ كثير من الوقت حتى اندلعت حرب حزيران/يونيو 1967، والتي فقدت فيها المملكة الأردنية بقية فلسطين التي كانت قد ضُمت إليها سابقاً، وفقد الريماوي قاعدته الانتخابية بسقوط قضاء رام الله تحت الاحتلال. وكان انعكاس لهذه الحرب، علا صوت منظمة التحرير الفلسطينية، واتخذت معظم فصائل العمل الفدائي من الأردن قاعدة أمامية لقواتها⁽⁸⁰⁾ ولقواعدها

(75) الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 1864 (1 آب/أغسطس 1965)، ص 1207.

(76) الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 1973 (25 كانون الأول/ديسمبر 1966)، ص 2706.

(77) الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 1990 (5 آذار/مارس 1967)، ص 328.

(78) الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 1999 (18 نيسان/أبريل 1967)، ص 585. وكان فوز الريماوي بأعلى عدد من الأصوات في قضاء رام الله، حيث حصل على 4,561 صوتاً.

(79) وكان ذلك في الجلسة الأولى من الدورة غير العادية الأولى للمجلس في 20 نيسان/أبريل 1967: «مذاكرات ومناقشات مجلس الأمة الأردني التاسع»، ملحق الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، مج 12، العدد 1 (25 نيسان/أبريل 1963)، ص 10.

(80) أسهمت هزيمة الأردن في حرب حزيران/يونيو 1967 في إحداث هزة كبيرة في النظام الأردني، وكذلك في تفكيك بنية الأجهزة الأمنية وسطوتها على المنظمات الفلسطينية قبل الحرب، وانعكس ذلك مباشرة على تعزيز قدرة الفصائل الفلسطينية المختلفة على الحشد والإعداد لمرحلة جديدة من مراحل العمل الفدائي، انطلاقاً من الأردن. حول أثر الهزيمة في بعث المقاومة الفلسطينية المنطلقة من الأردن خصوصاً يُنظر: بلال محمد شلش، «هزيمة حزيران وبعث المقاومة المسلّحة في الضفة الغربية»، في: ملف 67 خمسون عاماً على حرب حزيران 1967 (عمّان: جبر، 2018)، ص 27-31. ويُنظر عموماً: =

العسكرية التي أخذت بالتمدد، وتضاعف هذا الوجود بعد معركة الكرامة في آذار/ مارس 1968، إذ اعتُبر الفشل الصهيوني في هذه المعركة لحظة تاريخية فاصلة، رفعت من أسهم الفصائل الفلسطينية داخليًا وخارجيًا، وسرعان من انعكس ذلك في سيطرة هذه الفصائل على منظمة التحرير الفلسطينية⁽⁸¹⁾.

كما لم يمضِ كثير من الوقت على رئاسة الريماوي لمجلس النواب، ففي إثر الهزيمة، تقرر تشكيل مجلس استشاري أعلى يسند الملك في قراراته، وشغل الريماوي عضويته، بصفته رئيسًا لمجلس النواب. وخلال ذلك، رفع الريماوي مذكرة تنقل بعض نبض الشارع، وهو ما ألب عليه بعض مراكز القوى في النظام الأردني، فكان القرار بإزاحته عن رئاسة مجلس النواب⁽⁸²⁾، واستُبدل به كامل

= يزيد صايغ، رفض الهزيمة، بدايات العمل المسلح في الضفة والقطاع 1967 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1992).

Yezid Sayigh, «Turning Defeat into Opportunity: The Palestinian Guerrillas after the June 1967 War,» *Middle East Journal*, vol. 46, no. 2 (Spring 1992), pp. 257-263.

(82) دؤن أكرم زعيتير في يومياته ليوم 1 تشرين الأول/أكتوبر 1968: «[....] اجتمعت بالنائبين عبد الوهاب المجالي وقاسم الريماوي. وكان الحديث يدور حول انتخاب السيد كامل عريقات رئيسًا للنواب بالإجماع. واتفق الاثنان على أنّ الحكومة وأنصارها أشاعوا أنّ تلك هي رغبة الملك، ولم يكن ممكناً ترشيح منافس لعريقات، لأنّ كثيرين ممن يُعتمد عليهم في الانتخاب أخذوا من الحكومة رُخصاً لشراء سيارات مازوت»: أكرم زعيتير، يوميات أكرم زعيتير سنوات الأزمة 1967-1970، إعداد معين الطاهر ونافذ أبو حسنة وهبة أمارة (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)، ص 253. وشرح تفصيلات هذا الموقف في مدونة تالية، كتبها في 3 أيلول/سبتمبر 1970: «[....] فبادر الملك إلى تأليف مجلس استشاري مؤلف من رؤساء الوزراء السابقين، ومن رئيس الديوان الملكي الشريف حسين بن ناصر، ومنّي [أكرم زعيتير]، بوصفي وزيرًا للبلاد، ومن رئيس أركان الجيش، ومن رئيسي الأعيان والنواب، وكان السيد قاسم الريماوي رئيسًا لمجلس النواب. وضم إليهم، من غير ذوي الصفة الرسمية، الشيخ عبد الله غوشة، وإدمون روك (ممثلًا للمسيحيين). ودعا الملك هذا المجلس إلى الانعقاد مرتين، [....]. وحدث أن أعدّ السيد قاسم الريماوي مذكرة بشكاوى الناس من الوضع لطحها على المجلس الاستشاري، وطبع هذه المذكرة الانتقادية، وأطلع عليها بعض النواب، فكان هذا مادة [....] للتحريض ضده من قِبَل بهجت التلهوني. واستمرت النقمة منه حتى جرت انتخابات لرئاسة المجلس النيابي، فأكره التلهوني النواب بمختلف الذرائع والأساليب، واستعمل نفوذ الملك الذي كان مسافرًا في أوروبا، لانتخاب كامل عريقات بدلًا من قاسم الريماوي، ثم لم يُعقد بعد ذلك المجلس الاستشاري مطلقًا: أكرم زعيتير، «يوميات مخطوطة»، دفاتر مخطوطة محفوظة في أرشيف مشروع توثيق وبحث القضية الفلسطينية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. ويُنظر أيضًا شهادة إضافية حول =

عريقات⁽⁸³⁾ الذي اختير سابقًا ليكون نائبًا لرئيس المجلس⁽⁸⁴⁾. ومثلما التزم الريمائي بقرار اللجنة التنفيذية، برئاسة الشقيري، عدم المشاركة في حكومة التل، فإن الريمائي رفض المشاركة في الحكومة من جديد، بعد أن طُرح اسمه كمرشح في حكومة يؤلفها عبد الوهاب المجالي، إلا بعد أخذ موافقة صريحة من رئيس منظمة التحرير الجديد، ياسر عرفات. وعندما وضع عرفات «الفيتو» على المجالي، وساند عبد المنعم الرفاعي في رئاسة الوزارة⁽⁸⁵⁾، اشترك

= سبب عدم تجديد انتخاب الريمائي في: سميح حمودة، صوتٌ من القدس: المجاهد داود صالح الحسيني من خلال مذكراته وأوراقه (رام الله: منشورات مكتبة دار الفكر، 2015)، ص 493. (83) كامل عبدالرحمن عريقات (1906-1984): وُلد في قرية أبو ديس قضاء القدس. تخرّج في مدرسة الفرندز في رام الله في عام 1923. تولى مناصب عسكرية في الحكومة الاستعمارية في فلسطين بين عامي 1923 و 1941. عُيّن قائدًا عامًا لفرق الفتوة التي نظمها الحزب العربي في أيلول/سبتمبر 1946. عُيّن نائبًا للقائد العام لقوة الجهاد المقدس، ثم قائدًا عامًا للقطاع الجنوبي للجهاد المقدس. انتُخب بعد حرب 1947-1949، وضم بقية فلسطين الوسطى، لعضوية البرلمان الأردني (اعتبارًا من 30 نيسان/أبريل 1950، بعضوية المجلس الثاني إلى التاسع، باستثناء المجلس السابع). وعُيّن في مجلس الأعيان السادس (اعتبارًا من 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1962، وحتى استقالة عريقات في 8 تموز/يوليو 1963)، فمجلس الأعيان الحادي عشر (اعتبارًا من 10 شباط/فبراير 1976)، حتى مجلس الأعيان الرابع عشر (توفي خلال عضويته في 17 تموز/يوليو 1984). اختير لرئاسة مجلس النواب خلفًا لقاسم الريمائي. للمزيد، يُنظر: أمين أبو الشعر، مجاهد من أبو ديس (عثمان: د. ن.، 1975).

(84) تعكس مجريات انتخابات رئيس المجلس الجديد، كامل عريقات، في جلسة مجلس النواب في الأول من تشرين الأول/أكتوبر 1968، الرغبة بعدم وجود انتخابات، وفرض عريقات رئيسًا بالإجماع، بعد رفض رئيس المجلس بالسن، وبعض النواب، اعتراض الريمائي بضرورة الانتخاب تصوييًا، كما رفضوا من قبل محاولة تمرير إعادة انتخاب المكتب السابق: ملحق الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، مج 14، العدد 1 (1 تشرين أول/أكتوبر 1968)، ص 4-6.

(85) دؤن أكرم زعيتر في يومياته ليوم 25 حزيران/يونيو 1970: «وقد بذل عبد الوهاب طوالم اليوم كل جهد لاستمالة بعض الفلسطينيين إليه؛ أنطون عطا الله، عبد الحميد السائح، قاسم الريمائي، وداود الحسيني، لدخول وزارته. وبعد جهده، أبدوا قبولًا، على أن توافق اللجنة المركزية للمقاومة الفلسطينية على دخولهم الوزارة، فراجعوا أبا عمار، فأبدى اعتراضه على الرئيس، وعدم اطمئنانه إليه. عادوا أدراجهم إلى عبد الوهاب المجالي يعتقدون عن عدم إمكانهم الدخول في الوزارة»: زعيتر، سنوات، ص 370-371. وسبق أن دؤن زعيتر، في يومية 23 حزيران/يونيو 1970، أنّ الريمائي دخل وسيطًا بين المجالي، بعد تكليفه من وصفي التل بإيعاز من الملك، وبين بعض الشخصيات المتصلة بالفدائيين، لكنّ هذه الشخصيات رفضت التعاون مع المجالي، معللين ذلك بالقول: «إنّ هذه الوزارة هي وزارة ظلّ لوصفي التل، وأولى أن يؤلفها وصفي التل نفسه»: المرجع نفسه، ص 367.

الريماوي في الحكومة التي أُلِّفت في 27 حزيران/يونيو 1970، كوزير داخلية للشؤون البلدية والقروية ووزيراً للزراعة، بعد استئذان عرفات⁽⁸⁶⁾.

استعادة الصورة الأولى

بقي الريماوي في هذا المنصب إلى أن تصاعدت حدة المواجهات بين المنظمات الفلسطينية والنظام الأردني، فأُقيلت الحكومة، وأُلِّفت حكومة الزعيم محمد داود⁽⁸⁷⁾ العسكرية في 15 أيلول/سبتمبر 1970، معلنة عن بدء مرحلة جديدة للفلسطينيين الموجودين في الأردن، بعد رحيل قسم منهم مع فصائل ثورتهم إلى خارج الأردن، وكان الريماوي ممن بقي. لكنّ الريماوي تعرّض، في 28 تشرين الثاني/نوفمبر 1971، لخسارة شخصية باغتيال صديقه وصفي التل الذي ترافق دربه في الحكومات الأردنية مع درب الريماوي في الوزارة. وكما يبدو، فإنّ هذه الحادثة أثّرت في الريماوي الذي عُيّن في 9 أيلول/سبتمبر 1971 لعضوية لجنة استحدثها الملك الأردني باسم «اللجنة الملكية لشؤون القدس»⁽⁸⁸⁾، ودفعته إلى المساهمة في حركة انقلاب على قيادة

(86) دؤن أكرم زعيتر، في يومياته ليوم 27 حزيران/يونيو 1970، بأنّ الوزراء أنطون عطا الله وقاسم الريماوي، وعبد الحميد السائح، وداود الحسيني، لم يدخلوا الحكومة إلا «بعد استئذان أبي عمار»: المرجع نفسه، ص 374؛ الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 2247 (28 حزيران/يونيو 1970)، ص 908. ويقارن بـ: حمودة، صوت، ص 449-450.

(87) محمد داود العباسي (1914-1972): وُلد في قرية سلوان جنوب شرق القدس. التحق بجهاز الشرطة في الحكومة الاستعمارية البريطانية، وخدم في منطقة طولكرم. عُيّن في عام 1952 عضواً في الوفد الأردني للجنة الهدنة المشتركة الأردنية - الصهيونية. اعتُقل مدة قصيرة بعد حرب حزيران/يونيو 1967. كلّفه الملك حسين، في 15 أيلول/سبتمبر 1970، بتشكيل حكومة عسكرية مؤقتة. استقال داود من الوزارة في 24 أيلول/سبتمبر 1970، أثناء وجوده في القاهرة، حيث استقر كلاجئ سياسي. أصيب بمرض عضال، وتوفي بعد رحلة علاج قصيرة في عمان. يُنظر نص تكليف وزارة داود: الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 2260 (16 أيلول/سبتمبر 1970)، ص 1324-1326. ونص الاستقالة في: الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 2262 (28 أيلول/سبتمبر 1970)، ص 1410.

(88) اليوميات الفلسطينية، المجلد الرابع عشر من 1/7/1971 إلى 31/12/1971، عصام سخيني (محرر رئيس) (بيروت: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1973)، ص 301.

منظمة التحرير التي تعرّضت لضربة كبرى بخروجها من الأردن. ووفقاً للمصادر المتوافرة، فإنّه، وبعد أيام قليلة من اغتيال التل، في 12 كانون الأول/ديسمبر، عُقد اجتماع برئاسة الوزير السابق في الحكومة الأردنية نعيم عبد الهادي⁽⁸⁹⁾، في منزل الرئيس السابق لمنظمة التحرير، أحمد الشقيري، بحضور أربعين شخصية فلسطينية كان الريماوي أحدهم⁽⁹⁰⁾.

أصدر المجتمعون بياناً باسم لجنة المتابعة الجماهيرية في جمهورية مصر العربية، تحدّث عن «الأخطاء المحيطة بالقضية الفلسطينية، والأخطاء التي وقعت في ساحة التجربة الفلسطينية، والمستوى المتدني الذي وصل إليه العمل الفلسطيني، وانعزاله عن طاقات الشعب الفلسطيني وكفاياته». وأضاف بأنّ المجتمعين رأوا: «أولاً: وجوب تصحيح مسيرة العمل الفلسطيني في نطاق م. ت. ف. ثانياً: عقد مؤتمر وطني فلسطيني عام، يقوم بدراسة القضية الفلسطينية من كل جوانبها السياسية والمالية والعسكرية والإدارية، ومتطلبات المرحلة الحاضرة للعمل الفلسطيني. ثالثاً: تشكيل لجنة من المجتمعين، مهمتها إجراء الاتصال بتجمّعات الفلسطينيين، لتبادل الرأي معهم، وجمع مقترحاتهم في الموضوع». ضمّت اللجنة المؤلفة الريماوي وأربعة آخرين⁽⁹¹⁾.

لكنّ هذه اللجنة فشلت في تحقيق أهدافها كما يبدو، خصوصاً وأنّ أول

(89) نعيم عبد الهادي (1912-1996): وُلد في نابلس. تخرّج في كلية النجاح الوطنية في نابلس، ثم في كلية الهندسة في الجامعة الأمريكية في بيروت. عمل مهندساً في دائرة الأشغال العامة التابعة للحكومة الاستعمارية في فلسطين. عمل قائمقام لعدد من المدن الفلسطينية خلال هذه الفترة وحتى حرب 1947-1949. شغل، خلال الحكم الأردني، متصرفية لواء الخليل ولواء عجلون، ثم شارك في انتخابات المجلس البلدي لنابلس، وترأس المجلس بين عامي 1951 و1955. شغل منصب وزارة الأشغال العامة خلال حكومة سعيد المفتي الثالثة، ووزارة الاقتصاد الوطني خلال حكومة سليمان النابلسي. انتُخب في مجلس النواب الخامس عن قضاء جنين. اعتُقل بعد إقالة حكومة النابلسي، ولجأ بعد خروجه من السجن إلى سورية، ثم إلى القاهرة حيث استقر حتى عام 1981، ثم عاد إلى الأردن من جديد.

(90) سخيني، اليوميات، المجلد الرابع عشر، ص 636.

(91) هم: الدكتور فاضل زيدان، فاروق الحسيني، سعيد العزة، عودة بطرس عودة: سخيني،

اليوميات، المجلد الرابع عشر، ص 636.

المتخّلين عنها كان الشقيري الذي صرّح في اليوم ذاته لوسائل الإعلام بأنّه أبلغ المجتمعين عدم انغماسه بأي نشاط سياسي. لكنّ هذا النشاط كان مدخلاً لهجوم شديد على الريماوي، تصدرته الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، حيث صرّح الناطق باسم لجنة الإعلام فيها، في 12 كانون الأول/ديسمبر، بأنّ «الرجعية الأردنية دفعت قاسم الريماوي للقيام بنشاطات معادية لشعبنا، تستهدف تطويق حركة المقاومة، بالتحالف مع عناصر يمينية ورجعية تجاوزتها حركة المقاومة، حيث تحاول هذه العناصر الآن استغلال الظروف الصعبة التي تمرّ بها الثورة الفلسطينية، للعودة من جديد على رأس حركة شعبنا الوطنية، والعودة بشعبنا إلى طريق المساومات على حساب الثورة والقضية الفلسطينية». وأضاف التصريح: «وفعلًا، قد اجتمع الريماوي إلى عدد من الوجوه الإقطاعية العائلية والبورجوازية الكبيرة الفلسطينية في القاهرة، ليخرجوا على الجماهير، وبكل وقاحة، بتشكيل لجنة تحضيرية مزعومة تدعو إلى عقد مؤتمر عام فلسطيني خارج عن م. ت. ف. عمليًا وموضوعيًا، وكل هذا للمساهمة في خلق طرف ثالث فلسطيني بديل عن حركة المقاومة، و[يمثّل] الوجوه الفلسطينية الرجعية العميلة لحسين بن طلال، يأخذ على عاتقه تمزيق الوحدة الوطنية لشعبنا، وتمزيق حركة المقاومة، حتى يفرض نفسه، بمساعدة قوى عربية رجعية، على رأس حركة شعبنا الوطنية، ويفرض على الشعب التنازلات والمساومات باسم 'تصحيح مسيرة العمل الفلسطيني'، لمصلحة كل القوى المتآمرة على تصفية القضية الفلسطينية وحركة المقاومة»⁽⁹²⁾.

لم يكن هذا بيان الاتهام الوحيد الموجه إلى الريماوي إثر الحراك الأخير، حيث هاجمته مجلة شؤون فلسطينية، المجلة الصادرة عن مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية. وكتب بلال الحسن في زاوية شهريات المقاومة الفلسطينية، أنّ «المعروف عن قاسم الريماوي، أنّه أحد رجال النظام الأردني البارزين، ومن الأشخاص المقرّبين جدًّا إلى وصفي التل. وكانت معلومات وصلت إلى المقاومة تقول إنّ النظام الأردني قد انتدب الريماوي لمهمة خاصة، هدفها

(92) سخيني، اليوميات، المجلد الرابع عشر، ص 640.

إيجاد انقسام داخل منظمة التحرير الفلسطينية، عن طريق الدعوة إلى إجراء إصلاح في مسيرة العمل الفلسطيني. ولذلك، فإنَّ ظهوره في اجتماع القاهرة أثار الدهشة والاستغراب، وألقى ظللاً كبيراً من الشك حول الهدف من هذا التحرك بالأساس»⁽⁹³⁾.

انعكس هذا الهجوم، كما يبدو، سلبياً على نفسية الريماوي الذي بدأ بالتوجه إلى العمل الأكاديمي، فعمل محاضراً غير متفرغ في الفلسفة وعلم الاجتماع في الجامعة الأردنية. وأبرز المؤشرات على تأثير ردة فعل المنظمات الفلسطينية العنيفة على الريماوي، في هذه المرحلة وفي المراحل التالية، شهادة أحد أصدقائه؛ الدكتور داود صالح الحسيني⁽⁹⁴⁾.

رافق داود الحسيني الريماوي في مراحل تاريخية مختلفة، فكان المفتش العام لقوة الجهاد المقدس، وكان من أبرز الشخصيات المسؤولة عن الجهاد المقدس في منطقة القدس، إلى جوار القائد العام خالد الحسيني، بعد استشهاد عبد القادر الحسيني، وممن وقفوا إلى جانب الريماوي في موقفه من مقاومة مساعي النظام الأردني لضم بقية فلسطين التي سيطر عليها بعد 15 أيار/ مايو 1948، كما سيأتي تفصيله لاحقاً. كما زامل الحسيني الريماوي في عضوية

(93) بلال الحسن، «شهرات: المقاومة الفلسطينية»، شؤون فلسطينية، العدد 7 (آذار/ مارس 1972)، ص 226.

(94) داود «محمد صالح» الحسيني (1903-1993): وُلد في القدس. درس في الجامعة الأمريكية في القاهرة، ثم في الجامعة الأمريكية في بيروت، حيث تخرَّج طبيباً للأسنان. اشترك في إسناد ثورة 1936-1939 بالسلاح، واضطر بسبب نشاطه ذلك إلى مغادرة البلاد إلى لبنان في عام 1937، ثم إلى العراق، حيث شارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني. ثم غادر إلى إيران، حيث اعتُقل وسُلم إلى البريطانيين في عام 1941. نُفي إلى روديسيا الجنوبية بين عامي 1942 و1945. قبيل انطلاق حرب 1947-1949، عاد إلى القدس، حيث نشط في صفوف الجهاد المقدس، وشغل منصب المفتش الإداري العام فيه. اتُّهم بالمشاركة في اغتيال الملك عبد الله بن الحسين بتاريخ 20 تموز/ يوليو 1951، لكنَّ المحكمة برَّأته. انتُخب في مجلس النواب الخامس والسابع، وشغل عضوية اللجنة التنفيذية الأولى لمنظمة التحرير. بعد احتلال بقية فلسطين في حزيران/ يونيو 1967، ساهم في تأسيس الهيئة الإسلامية العليا للحفاظ على الأوقاف والمقدسات. نُفي بسبب نشاطه السياسي إلى الخضيرة في تموز/ يوليو 1967، ثم إلى عمان في أيلول/ سبتمبر 1968. توفي في عمان. وللمزيد عن الحسيني، يُنظر: حمودة، صوت.

مجلس النواب الخامس والسابع، وشغل إلى جانبه عضوية اللجنة التنفيذية الأولى لمنظمة التحرير. وبقي الحسيني - كما كتب - صديقاً مقرباً من الريماوي حتى لحظة وفاته.

كتب الحسيني عن الريماوي، في مذكراته التي دُوّنت خلال الفترة بين عامي 1983 و1986:

«هو أحد أبطال معركة فلسطين الذين ضحّوا بكل شيء، ومع ذلك فقد لاقى، كالثقل من أمثاله، الكثير من سفاسف الكلام والتهم التي لا تنطبق إلا على المدّعين، وذلك لأنهم يركضون خلف زعامة المظهر على حساب ودعم وشقاء ومجهود غيرهم. ولكنّ الزمن يعرّي ويكشف الكذب والتزوير بظهور الحق، كما تعرّي الرياح الصخر من التراب الذي علق عليه، والزمن يعرّي دعاة العقول العفنة [والمغرضين والمنافقين] ويكشفهم. [...] عمل [الريماوي] الكثير من أجل بلده، وكان دوماً يقول لي 'اليوم فلسطين، ومتى حررناها ستكون بلاد العرب أوطاني'. كنّا كلنا نؤمن بذلك، ونؤمن بأننا لن نقبل بديلاً عن فلسطين حتى تحريرها، ونؤمن أنه يجب علينا أن نسعى مع أي بلد عربي، وعلى نفس المستوى، حتى تحرير القدس وفلسطين، وطرده المغتصب. وقبل أن نحارب إسرائيل، علينا أن نتخلّص من نفوذ من أوجدها ومدّها بالمال والسلاح والأمل [...]». كان عاقلاً لا يثور بسهولة، لكنّ ثورته إن حصلت تكون ثورة مُضرية، خصوصاً إذا كان السبب يمسّ القضية الفلسطينية، أو إحدى القضايا العربية. كانت كرامته عزيزة عليه، فما كان يهمه ما يأكل أو أين، وعلى ماذا ينام، بل كان يهمه أن يعمل ويتحمل الكثير جسدياً»⁽⁹⁵⁾.

في هذه الفترة، فترة ذروة نشاط العمل الفدائي في الأردن، خرج الريماوي ليكتب عن الجهاد المقدس من جديد، فنشر مقالة في صحيفة الدفاع بتاريخ 9 نيسان/أبريل 1970، بمناسبة ذكرى استشهاد عبد القادر الحسيني، تحدّث فيها بشكل أساسي عن رحلة عبد القادر الأخيرة إلى دمشق، والخذلان العربي

(95) حمودة، صوت، ص 492-493.

له. وفي الفترة التالية للهجوم الشديد على شخصه من وسائل إعلام بعض فصائل منظمة التحرير، ومجلتها الأكثر رصانة شؤون فلسطينية، خرج الريمائي مستعيداً ذكرياته عن الجهاد المقدس بكثافة غير معهودة، نُشرت في سلسلة مقالات في صحيفة الدستور بشكل أسبوعي، خلال الفترة بين 7 آب/أغسطس 1972، و18 كانون الأول/ديسمبر 1972.

وجاءت سلسلة المقالات هذه، كسبب مباشر معلن، ردّاً على ما نُشر في كتاب يا قدس لمؤلفيه لاري كولينز (Larry Collins) ودومينيك لايبير⁽⁹⁶⁾، بعدما نشر المؤرخ سليمان الموسى سلسلة من الحلقات في صحيفة الدستور لترجمة بعض ما ورد في الكتاب⁽⁹⁷⁾. لكنّ طبيعة ما أُثبت في مقالات الريمائي وما سُكت عنه، تُوّشّر إلى دوافع أخرى ورائها، خصوصاً بعد الحلقة الثالثة، حيث ارتبطت بكل تأكيد بطبيعة المرحلة التي نُشرت فيها، كان أبرزها ردّ اعتباره فلسطينياً⁽⁹⁸⁾، ليذكر من هاجمه بقاسم المقاتل، وليثبت سرديته عن تاريخ الجهاد المقدس، وموقعه في هذا التاريخ. وكذلك لإعادة قراءة تاريخ الحرب المركزية في الصراع العربي - الصهيوني، حرب 1947-1949، كحرب مؤسسة لوحدة

Dominique Lapierre & Larry Collins, *O Jerusalem* (London: Weidenfeld and Nicolson (96) Ltd, 1972).

(97) نشر الموسى ترجمته لكتاب يا قدس في جريدة الدستور، في أعدادها الصادرة بين 7 حزيران/يونيو و2 آب/أغسطس 1972، وأعيد نشرها لاحقاً في كتاب. يُنظر: لاري كولينز ودومينيك لايبير، يا قدس، تعريب: سليمان الموسى، ط 2 (عمّان: أمانة عمّان الكبرى - مديرية الثقافة؛ دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، 2010).

(98) كتب الريمائي في الحلقة الثالثة التي تحوّل فيها مسار الكتابة من رده على كتاب يا قدس إلى استعادة لتجربة الجهاد المقدس: «للجهاد المقدس قصة وأسرار وتاريخ، بعضه تم نشره، إما صحيحاً أو مزوّراً، أما سبب التزوير فيعود إلى رغبة البعض الارتفاع على أشلاء الجهاد المقدس، أو المتاجرة، أو قد يكون تحريفاً ناجماً عن عدم معرفة الحقيقة [...]». وتطميناً للذين تساءلوا عن التلميح الذي ورد في المقالين السابقين، أقول إنني معني في هذه الفترة بتسجيل المرحلة الأولى للجهاد المقدس، وهي التي انتهت باستشهاد البطل عبد القادر الحسيني، ومن ثم سَاحول تسجيل المرحلة الثانية، وهي التي تميّزت بدخول الجيوش العربية. وأعد القراء بأنني سأنتقل من التلميح إلى التصريح، لأنني من الذين لا يخشون في الله لومة لائم: الريمائي، «بعد كتاب يا قدس (3)»، ص 4. هذا الاقتباس يؤكّد ما أثبتته الباحث من تحليل بأنّ الريمائي تجاوز الرد على كتاب يا قدس إلى الرد لاستعادة الاعتبار، وهذا ما سيؤكدّه تحليل الإسكات/الإثبات الممارس في نصوص الريمائي اللاحقة.

الدم بين الشعبين الفلسطيني والأردني، والتي اهتزّت بالدم المراق في حوادث أيلول/سبتمبر 1970.

حُلَّ مجلس النواب التاسع في 23 تشرين الثاني/نوفمبر 1974⁽⁹⁹⁾، وبهذا انتهت عضوية الريماوي في المجلس، واقتصر نشاطه على التدريس في الجامعة الأردنية، وعضوية اللجنة الملكية لشؤون القدس. لكن مع تشكيلة حكومة عبد الحميد شرف⁽¹⁰⁰⁾، في 19 كانون الأول/ديسمبر 1979، اختير الريماوي ليشغل منصب وزير الزراعة من جديد⁽¹⁰¹⁾، ثم اختير لعضوية مجلس الأعيان الثاني عشر، بتاريخ 20 نيسان/أبريل 1980⁽¹⁰²⁾. وبقي الريماوي في الوزارة إلى أن توفي شرف بشكل مفاجئ، فاختير الريماوي رئيسًا للوزراء في 3 تموز/يوليو 1980، ليستكمل مسيرة الحكومة⁽¹⁰³⁾، في ظل الحديث عن عدم دستورية تأليف حكومة جديدة بعد أيام.

واعتُبر اختيار الريماوي مصادفة، عربيًا وفلسطينيًا، كما عبّر رئيس الديوان الملكي أحمد اللوزي لبعض الوزراء المحتجين على تعيينه⁽¹⁰⁴⁾. وبقي الريماوي في هذا المنصب إلى أن قدّمت الحكومة استقالته، تمهيدًا لتأليف

(99) «نص الإرادة الملكية بحلّ مجلس الأعيان ومجلس النواب»، الدستور، 1974/11/24، ص 1.

(100) عبد الحميد شرف (1939-1980): وُلد في بغداد. حصل من الجامعة الأمريكية في بيروت على شهادة البكالوريوس في الفلسفة في عام 1959، والماجستير في القانون الدولي في عام 1962. عمل في وزارة الخارجية الأردنية، ثم في الديوان الملكي. عُيّن سفيرًا للأردن في واشنطن، ومندوبًا له في الأمم المتحدة. عُيّن في تموز/يوليو 1976 رئيسًا للديوان الملكي، واختير لرئاسة الوزراء في كانون الأول/ديسمبر 1979، وبقي في منصبه إلى أن توفي.

(101) الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 2901 (20 كانون الأول/ديسمبر 1979)، ص 2166.

(102) الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 2926 (21 نيسان/أبريل 1980)، ص 710.

(103) الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 2945 (3 تموز/يوليو 1980)، ص 1040.

(104) معين الطاهر (إعداد)، يوميات عدنان أبو عودة (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)، ص 604-605.

حكومة مضر بدران الثالثة، في 28 آب/أغسطس 1980⁽¹⁰⁵⁾. ليعود إلى العمل كأستاذ متفرغ في كلية التربية في الجامعة الأردنية، ورئيسًا للجنة الملكية لشؤون القدس، إضافة إلى عضوية مجلس الأعيان، إلى أن توفي في مستشفى مدينة الحسين الطبية، في 29 نيسان/أبريل 1982⁽¹⁰⁶⁾.

يُلاحظ من الاستعراض التمهيدي السابق لسيرة حياة الريماوي المختصرة، ونصوصه عن الجهاد المقدس التي خطّها ونشرها، أنّ هذه النصوص تميّزت بما تقدّمه من إضافة إلى تأريخ حرب 1947-1949 عمومًا، أكان ذلك بالنسبة إلى تاريخ الفعل العسكري الفلسطيني، أم تاريخ العلاقات الداخلية بين المقاتلين والقيادات السياسية والعسكرية، أم تاريخ العلاقات الفلسطينية - العربية. كما يُلاحظ أنّ هذه النصوص تمايزت في أشكالها، وفي أوقات تدوينها ودوافعه، لتمايز موقع الريماوي وحضوره السياسي. هذا التمايز انعكس بالضرورة على محتوى هذه النصوص، وعلى قراءة الريماوي لحدث واحد في أزمنة ونصوص مختلفة.

يمثّل المحور الآتي محاولة أولية، تتجاوز بيان تأريخ الريماوي للحدث، وبيان مواقفه المختلفة في نصوصه المبكّرة ونصوصه المتأخّرة، لفحص تطوّر سرد الريماوي مع الزمن، من خلال عيّنة مختارة، يُبحث فيها عن فعل «الإسكات» الذي مارسه الريماوي في نصوصه المختلفة وأسباب ذلك. ولن يقتصر هذا المحور، متأثرًا بطرح ترويو (Michel-Rolph)⁽¹⁰⁷⁾ (Trouillot)، على الاهتمام بتأريخ الريماوي للحدث، وإنما سيركز أيضًا - من خلال بعض النماذج - على عملية الإنتاج التاريخي له، بالبحث في عملية إنتاج نصوص الريماوي وظروف إنتاجها.

(105) الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 2954 (30 آب/أغسطس 1980)، ص 1277 أ.

(106) «الأردن يشيّع فقیده الكبير المرحوم الدكتور قاسم الريماوي»، الرأي، 1/5/1982، ص 1.

(107) يقارن بـ: Michel-Rolph Trouillot, *Silencing the Past Power and the Production of History* (Bosten: Beacon Press books, 1995), pp. 24-26.

ففاعل الإسكات - كما يوضح ترويو - لا يقتصر على لحظة واحدة، هي لحظة صنع المصادر، وإنما قد يوجد في لحظات أخرى، كلحظة صنع الأرشيف، حال جمع الوقائع، ولحظة صنع السرديات، ولحظة صنع التاريخ، أي لحظة الدلالة المستعادة. وسبق طرح ترويو اهتمام المدرسة المنهجية بالتأكيد على ضرورة إخضاع المصادر الأولية لعمليات نقد داخلي وخارجي⁽¹⁰⁸⁾. وتتضاعف أهمية عمليات النقد هذه حال كانت النصوص مؤسسة على الذاكرة المتأثرة، تقييداً أو تشويهاً، بالسياقات التاريخية لحظة استعادة الوقائع⁽¹⁰⁹⁾.

ثانياً: من وحي نصوص قاسم الريماوي

«للجهاد المقدس قصة وأسرار، بعضها تمّ نشره، إما صحيحاً أو منحرفاً، والبعض الآخر ما زال مكتوماً. بعضه مدوّن ومحمّوظ لدى أسرة الشهيد بالقاهرة، والبعض الآخر لم يرَ النور بعد. أما سبب الإحجام عن النشر، فيعود

(108) يُنظر: النقد التاريخي، ويشمل: أنجلو أوسينويوس: المدخل إلى الدراسات التاريخية، بول ماس: نقد النص، أمانويل كنت: التاريخ العام، ترجمها عن الفرنسية والألمانية عبد الرحمن بدوي، ط 4، القاهرة: وكالة المطبوعات، 1981.

ويقول أوسينويوس: «فإنه لأجل الاستدلال من وثيقة مكتوبة على الواقعة التي كانت سببها البعيد أي لأجل معرفة العلاقة التي تربط بين هذه الوثيقة وتلك الواقعة، ينبغي إعادة تركيب كل سلسلة العلل الوسطى التي أنتجت الوثيقة. ولا بد من تمثّل كل سلسلة الأفعال التي قام بها مؤلف الوثيقة، ابتداءً من الواقعة التي شاهدها. [...] وهذه السلسلة علينا أن نستعيد تكوينها في اتجاه عكسي، بأن نبدأ بفحص المخطوطة [...]، ابتغاء الوصول إلى الواقعة القديمة. وتلك هي غاية التحليل النقدي وكيفية سيره»: المصدر نفسه، ص 45. ويضيف مؤكداً على ضرورة عدم الاقتصار على النقد الخارجي: «تصحيح النصوص، نقد المصدر، جمع الوثائق المحققة وترتيبها؛ هذا النقد الخارجي. لكن إنَّ النقد النفساني، للتفسير والأمانة والدقة، هو الذي يمكن أكثر من غيره من النفوذ إلى أعماق المعرفة بالأزمان الماضية، وليس النقد الخارجي»: المصدر نفسه، ص 87. ويمكن أيضاً مراجعة: أسد رستم، مصطلح التاريخ (بيروت: منشورات المكتبة البوليسية، 1984).

(109) يوجد اهتمام بحثي كبير في التاريخ والذاكرة، ومن أبرز ما يمكن مراجعته في هذا الموضوع: جاك لوغوف، التاريخ والذاكرة، ترجمة جمال شحيد (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018). وكذلك الكتاب الرائد: بول ريكور، الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة جورج زيناتي (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009).

إلى أنّ هذه الأسرار، أو بعضها على الأقل، يمكن الاستفادة منه بمعركتنا مع الصهاينة. والبعض الآخر يصلح أن يكون عبرة وعظة في كل وقت»⁽¹¹⁰⁾.

هذا الاقتباس من تصدير الريماوي لأول نصوصه الجديدة عن الجهاد المقدس، والتي ابتدأها من حيث انتهى في نصوصه المبكرة، من استعادة بعض ذكر الجهاد المقدس، باستعادة ذكرى عبد القادر الحسيني. في هذا التصدير، ذكر الريماوي نصوصه المبكرة، مشيرًا إلى مخطوطه عن عبد القادر الحسيني، وربما أيضًا تقريره المرسل إلى الحاج أمين الحسيني. ضمّن الريماوي هذا التصدير نقدًا لما نُشر عن الجهاد المقدس من نصوص سابقة، من دون أي إشارة إلى نصوص بعينها، أو إلى أحد من المؤرخين أو الكتّاب. ووضّح الريماوي أيضًا بعض أسبابه في الامتناع عن نشر ما دُوّن عن تاريخ الجهاد المقدس في نصوصه المبكرة، وسبب نشره بعض ما ورد في هذه النصوص مستعدًا في مقاله المنشورة.

بعد عامين تقريبًا من هذا التصدير، سيستعيده الريماوي، مع بعض الإيضاح، لما أوجز في تصديره السابق. فكتب: «للجهاد المقدس قصة وأسرار وتاريخ، بعضه تم نشره، إما صحيحًا وإما مزورًا. أما سبب التزوير فيعود إلى رغبة البعض الارتفاع على أشلاء الجهاد المقدس، أو المتاجرة، أو قد يكون تحريفًا ناجمًا عن عدم معرفة الحقيقة»⁽¹¹¹⁾.

«الارتفاع على أشلاء الجهاد المقدس»، «المتاجرة»، «الجهل»، شكّل هذا التصدير الجديد مقدّمة لنصوص الريماوي الجديدة التي وعد فيها القراء بالانتقال من التلميح إلى التصريح، لأنّه لا يخشى في الله لومة لائم، والتي سيتجاوز فيها الريماوي ما ابتدأه من ردّ على كتاب يا قدس، للردّ على سردية تاريخية للجهاد المقدس، ساهم في تدوينها أشخاص اعتنى الريماوي بتسمية بعضهم، وتجاوز تسمية آخرين. لكنّ هذا الردّ للريماوي استدعى لاحقًا ردودًا عنيفة، سعت إلى

(110) قاسم الريماوي، «لمناسبة ذكرى استشهاد القائد عبد القادر الحسيني: للجهاد المقدس قصة وأسرار: يرويها الدكتور قاسم الريماوي»، الدفاع، 9/4/1970، ص 7.
(111) الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (3)»، ص 4.

تكذيبه في جميع ما قال، وإلى إسناد سردية تاريخية مضادة لسرديته، يُخاطب بها تاريخ الجهاد المقدس، مع نفي لدور الريماوي أو تقزيم لحضوره.

تؤكد مراجعة النصوص التاريخية العربية عن الجهاد المقدس، أكانت كتبت التاريخ المحلي أم السير، تحوّل هذه السردية المضادة لسردية الريماوي إلى مصدر أساسي لما كُتبت عن الجهاد المقدس ورجاله. وعلى الرغم من نشر بعض نصوص الريماوي المبكرة، فإنّ هذا النشر لم يؤثر في إعادة قراءة جادة للسردية التاريخية المضادة، أو محاولة لقراءة نقدية لما نُشر سابقًا. وقامت النصوص التاريخية المختلفة التي استفادت من نصوص الريماوي المبكرة عبر مصادر وسيطة، كان أبرزها نص عيسى خليل محسن، على الخلط بين السرديات التاريخية، سعيًا للتوفيق بين المصادر التاريخية المختلفة، من دون أن يؤسّس لمثل هذا التوفيق بقراءة نقدية تستدعي مصادر أولية جديدة، لتقييم أوجه التضاد الأساسية بين السرديات التاريخية المتعلقة بتاريخ الجهاد المقدس.

تفصيلات سردية الريماوي للجهاد المقدس، وأوجه الانفاق والتضاد بينها وبين السرديات التاريخية المضادة، بحاجة إلى تفصيل مستقل يتجاوز هذا الكتاب، والأمل أن يتيسر ذلك في ضوء مصادر أولية جديدة في موضع آخر قريبًا. لكنّ الإضاءة على صراع السرديات التاريخية للجهاد المقدس ضرورية هنا، ومن وحي نصوص الريماوي، سيقترن الأمر على تناول جانب محدود من هذا الصراع، كونه يشكل دافعًا أساسيًا من دوافع الريماوي لكتابة نصوصه المتأخرة عن الجهاد المقدس، ودافعًا أساسيًا ليتجاوز الريماوي سرديته؛ إذ أثبت في نصوصه المتأخرة بعض ما سكت عنه في نصوصه المبكرة، مفضلاً ما أضمّر. وأثبت دورَ وفعلٍ من أسكت دورهم وفعلهم في نصوصه المبكرة. كما أنه أسكت في نصوصه الجديدة دور آخرين وفعلهم من أبناء التجربة، سبق وأثبتته في نصوصه المبكرة.

وبعيدًا عن هذا الاختلاف السردية المتعلق بدور الشخص من أبناء التجربة، فإنّ الريماوي، كسياسي فلسطيني/أردني، مارس الأمر نفسه أيضًا في نصوصه المتأخرة، بما يراعي علاقاته، ويتوافق ودوره السياسي في المملكة

الأردنية الهاشمية، والذي قيّده بقيود جديدة، كان الريمائي متحرراً منها في نصوصه المبكرة. مما أثر في سرديته لتاريخ الجهاد المقدس، الذي كان هو أحد أبرز صنّاعه وشهوده، وكانت نصوصه المبكرة أحد أبرز النصوص الحافظة له.

لاحقاً، إضاءة على الصراع حول السرديات التاريخية للجهاد المقدس، وكذلك إضاءة على التباين بين نصوص الريمائي المبكرة والمتأخرة، والمرتبطة بتحويلات قاسم الريمائي من مقاتل إلى سياسي فلسطيني/أردني، كنموذج للإسكات/الإثبات الممارس في معظم نصوص السير والمذكرات المتعلقة بتاريخ حرب 1947-1949.

الصراع على السرديات التاريخية للجهاد المقدس

«إنّه شعور بالأسى، مرّ الأسى، على ما وجدته قائماً من الموجدة والتحامل على حساب القضية، بين فريقين من كبار مجاهدينا [.....]؛ على قمة الفريق الأول أو الجبهة الأولى، المجاهد كامل عريقات (أبو غازي)، نائب القائد العام لجيش الجهاد المقدس، ومعه المحامي والوطني المخلص إميل الغوري⁽¹¹²⁾،

(112) إميل الغوري (1907-1984): وُلد في القدس. درس في مدرسة المطران سانت جورج في القدس، وتخرّج فيها عام 1922. عمل في وكالة كوك للسياحة مدة سبعة أعوام. حصل على الماجستير في العلوم السياسية من الولايات المتحدة الأميركية في عام 1933، وحصل على دبلوم الحقوق من معهد الحقوق الفلسطيني في القدس. أسس صحيفة *Arab Federation* الناطقة بالإنكليزية، ثم مجلة الشباب الأسبوعية، في عام 1934. انتُخب عضواً في اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني السابع في حزيران/يونيو 1933، وانتُخب سكرتيراً عاماً للحزب العربي الفلسطيني في عام 1935. مثّل اللجنة العربية العليا في عدد من المؤتمرات الدولية. انتُخب عضواً في الهيئة العربية العليا في حزيران/يونيو 1946، ويُعتبر من أبرز المقربين إلى رئيسها الحاج محمد أمين الحسيني. انتُخب سكرتيراً عاماً للمجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في غزة مطلع تشرين الأول/أكتوبر 1948، وبعد نهاية الحرب مثّل الهيئة العربية العليا في بيروت بين عامي 1950 و1952، ثم عمل رئيساً لدائرة الدعاية والدائرة السياسية في مكاتب الهيئة في القاهرة، وترأس وفد الهيئة إلى الجمعية العامة في عام 1961، إلى أن عاد إلى القدس في عام 1965 للعمل في مهنة المحاماة. فاز بعضوية مجلس النواب الأردني التاسع في انتخابات 15 نيسان/أبريل 1967، نائبا عن القدس، وعيّن وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل في حكومة بهجت التلهوني المؤلفة في 12 آب/أغسطس 1969، ووزيراً للدولة في حكومة أحمد اللوزي التي عقبته اغتيال وصفي التل، وألّفت في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1971. توفي في مدينة القدس.

أحد الأعضاء البارزين في الهيئة العربية العليا. ويقف على قمة الفريق الثاني أو الجبهة الثانية، المجاهد الدكتور قاسم الريمائي، أمين سر جيش الجهاد المقدس. في بداية لقاءاتي معهم اشتمت روائع غير زكية [.....]. في البداية، قابلت المجاهد قاسم الريمائي، وأرشدني إلى سلسلة من المقالات المتتابعة، كانت قد نُشرت في جريدة الدستور [.....]، ودرست ما ورد فيها. اتصلت بالمجاهد كامل عريقات عدة مرات، وأهداني كتابين؛ أولهما بعنوان مجاهد من أبوديس، تأليف السيد أمين أبو الشعر [.....]، والآخر بعنوان إظهار حقائق وتفنيذ أباطيل، من تأليف السيد إميل الغوري، [.....] وكله إيضاحات ونقد لما نشره السيد الريمائي في جريدة الدستور. والحقيقة أنني كابدت كثيرًا من المشاق في محاولة للتوفيق بين تلكم الأقوال والوقائع المتضاربة، والتي يزعم كلا الفريقين بأنها حقائق»⁽¹¹³⁾.

لخص هذا الاقتباس لمؤرخ محلي ملامح الصراع حول السرديات التاريخية المتعلقة بالجهاد المقدس، وبقائه عبد القادر الحسيني. وكما يبدو، فإن هذا الصراع لم يتأسس بعد نصوص الريمائي المتأخرة، وإنما جاء جزء رئيس من هذه النصوص، كجزء من هذا الصراع، فمقالات الريمائي توضح أنه كان يعمل على تأسيس سردية للجهاد المقدس، تتفق مع السردية السائدة في نصوص عارف العارف ومنشورات الهيئة العربية العليا، وتختلف معها في آن واحد، لكنها تصبّ في بناء سردية مضادة لها، بدأ الريمائي بحبكه، انطلاقًا من رده على كتاب يا قدس.

كان مدخل الريمائي لسرديته التاريخية هو ضرورة التمهيص والتدقيق في ما يقدمه الشخص حول تاريخ الجهاد المقدس، لميل الإنسان الغريزي إلى إبراز دوره بطريقة أو بأخرى. وقد علّق الريمائي على السرديات المقدمّة في

(113) الأغا، ص 177-178. ويظهر من تتبع مصادر الأغا، والسردية التاريخية التي قدّمها في نصه هذا، أنه اعتمد بشكل مطلق تقريبًا على السردية التاريخية التي وضعها أو أثر فيها إميل الغوري، وتجاوز تقريبًا السردية التي قدّمها الريمائي في مقالاته في صحيفة الدستور. ولا أثر في النص لما يدّعيه الأغا من محاولة للتوفيق بين الأقوال والوقائع المتضاربة، كما لا أثر لنقد جديّ مؤسس على مصادر أولية مغايرة للسردية التي قدّمها الغوري، ولردوده على مقالات الريمائي في الدستور.

كتاب يا قدس بأنّ القارئ لا يخرج منها إلا بفكرة واحدة، وهي أنّ كل واحد منهم كان هو البطل وصاحب الدور الرئيس الذي لولاه لما تحقق نصر أو نجاح دفاع. وأضاف الريمائي: «وفي رأيي المتواضع، أنّ المعارك والنتائج نفسها كانت ستتحقق في معظم الحالات، بوجود معظمهم أو عدم وجودهم، فلم يكن العمل فردياً، بل كان عملاً جماعياً»⁽¹¹⁴⁾. واستثنى الريمائي من حديثه هذا عبد القادر الحسيني الذي «يستحق وحده لقب البطولة»، لضربه المثل الأعلى في القيادة والشجاعة والتفاني، وكونه «القدوة الحسنة لكل مجاهد كريم»⁽¹¹⁵⁾.

بهذه الإشارات، أسس الريمائي لسرديته المضادة لتاريخ الجهاد المقدس، والتي مارس فيها إثباتاً أبرز فيه أسماء شخصيات وأدوارها، لم يكن تطرّق إليها سابقاً، ليؤكد على ادّعاءه بجماعية العمل. كما سعى إلى إثبات دوره المركزي في الفعل العسكري الفلسطيني خلال حرب 1947-1949، في بواكير التحضير لهذا الفعل، وفي أثناء حياة الحسيني، وإلى جواره، وبعد استشهاده. محاولاً نقض السردية التاريخية التي سعت، كما يؤكّد الريمائي في غير موضع، إلى إهمال دوره بشكل متعمّد. في مقابل هذا الإثبات، مارس الريمائي إسكاتاً أو إثباتاً، سعى من خلاله إلى إعادة قراءة دور بعض الشخصيات المركزية وتهميشها في السردية التاريخية المضادة، كفاعلين أو كرواءة. وكما يبدو، فإنّ الصراع على السردية التاريخية أُسس على صراعات متعلقة بالنشاط السياسي للريمائي السياسي الفلسطيني/الأردني.

بعيداً عن الإسكات/الإثبات الذي مارسه الريمائي في نصوصه المتأخّرة، بالمقارنة مع نصوصه الأولى، والمتعلّق بدور بعض الشخصيات التاريخية الفلسطينية التي توطدت علاقته بها، أو أنصار الريمائي وأبناء قاعدته الانتخابية في قضاء رام الله، سيركّز هنا على ما يتعلّق بجهة الصراع، بتعبير الأغا، حول السرديات التاريخية للجهاد المقدس. ويمكن اختصار ذلك بحديث الريمائي

(114) قاسم الريمائي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (1)»، الدستور،

1972/8/7، ص 4.

(115) المرجع نفسه.

حول ثلاث شخصيات، هم: كامل عريقات، إميل الغوري، عارف العارف. وسيركز أيضًا على تقديم قراءة مقارنة لنصوص الريماوي، في ضوء ردود الجبهة المضادة التي تصدرها إميل الغوري بشكل مباشر في كتابه إظهار حقائق وتفنيدها بأبواب، ردود على مقالات السيد قاسم الريماوي، وكتابه فلسطين عبر ستين عامًا، وبشكل غير مباشر في كتاب أمين أبو الشعر مجاهد من أبو ديس. وذلك سعيًا إلى فحص مدى موثوقية السردية التاريخية التي قدمها الريماوي ونقضها الغوري.

ارتكزت سردية الريماوي على أنّ التنظيم العسكري الذي انبثقت منه قوة الجهاد المقدس بعد كانون الأول/ديسمبر 1947، وكان النواة للفعل العسكري الفلسطيني الذي أشرفت عليه الهيئة العربية العليا، في سعيها لمواجهة مشروع تقسيم فلسطين، لم يكن امتدادًا تاريخيًا لتنظيمات عسكرية سابقة، وإن استفاد من الخبرات العسكرية الفلسطينية، وإنما أُسس بعد استقرار عبد القادر الحسيني في فلسطين. وذكر الريماوي في نصوصه جميعًا أنّ نشاط الحسيني في التنظيم الجديد سابق لصلته بالحاج محمد أمين الحسيني، وإن تعزز بعد تبني الحاج أمين الحسيني، ثم الهيئة العربية العليا، له.

وبذلك، فإنه ينفي مركزية الحاج الحسيني والهيئة العربية العليا في تأسيسه، وهذا ما شكّل مصدرًا لاعتراض أبناء السردية الثانية، وعلى رأسهم إميل الغوري الذي أكد على أنّ الحاج أمين الحسيني كان قد أسس منظمة الجهاد المقدس، بعد تشكيل اللجنة العربية العليا في نيسان/أبريل 1935. وأنّه، بعد دمج تشكيلات وتنظيمات سرية أوجدها وأشرف عليها، كان أخطرها منظمة الشيخ عز الدين القسام⁽¹¹⁶⁾، أسند قيادة الجهاد المقدس العامة إلى عبد القادر الحسيني. ثم أنه بعد تشكيل الهيئة العربية العليا في حزيران/يونيو 1946، أعاد

(116) عن صلة الحاج أمين الحسيني بحركة عز الدين القسام، يقارن ما قدمه الغوري بـ: سميح حمودة، «ظهور ونمو زعامة مفتي القدس الحاج محمد أمين الحسيني وعلاقاته السياسية، من خلال وثائق وأوراق المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في فلسطين»، حوليات القدس، العدد 7 (ربيع - صيف 2009)، ص 78-81.

الحاج أمين الحسيني تشكيل منظمة الجهاد المقدس، ثم حوّلها إلى «جيش الجهاد المقدس»، مسندًا قيادته العامة إلى عبد القادر الحسيني، ومعينًا كامل عريقات مساعدًا له⁽¹¹⁷⁾.

لكنّ الغوري يناقض ما قُدّم في موضع آخر من رده على الريماوي، فيشير إلى أنه بعد اجتماع للهيئة العربية العليا في آب/أغسطس، وقرارها بوجوب الإعداد للثورة في فلسطين، وتولي الحاج أمين شؤون الإعداد والتهيئة للجهاد القادم، وضع عبد القادر تحت تصرّف المفتي جميع ما وُفق إلى تحقيقه من إعداد وتنظيم وتهيئة. كما وضع نفسه وإخوانه تحت تصرف سماحته. وأنّ الحاج أمين الحسيني، إثر ذلك، حوّل منظمة عبد القادر الحسيني إلى جيش الجهاد المقدس، وأسند قيادته العامة إلى عبد القادر الحسيني، وألّف لجنة سرية عليا للجيش برئاسته.

وعمل الغوري في سرديته المتناقضة داخليًا على إثبات دور كامل عريقات من جديد، وإثبات دوره وبعض أعضاء الهيئة العربية العليا الآخرين، محاولًا تقزيم دور الريماوي؛ فالريماوي الذي أثبت في سرديته أنّه، وقادة تنظيم عبد القادر الحسيني المعدودين على الأصابع، كانوا على تواصل مباشر مع الحاج أمين الحسيني، من دون حضور أو اطلاع أي من أعضاء الهيئة العربية العليا، لم يكن، برأي الغوري، سوى عضو لجنة خاصة، شكّلها عبد القادر الحسيني في بيرزيت للشؤون الإدارية والتموين والنجادات عند وقوع المعارك⁽¹¹⁸⁾.

(117) الغوري، إظهار، ص 12-13، 21-22. يحاول الغوري في سرديته هذه إثبات دور مدّعي للحاج أمين الحسيني في التشكيلات العسكرية الفلسطينية المبكرة التي أسست قبيل ثورة 1936-1939. لكن تتسم سرديته الغوري هذه بالكثير من الادعاء والزيف الذي يمكن تفنيده بمقارنة ما قدّمه في نضه المضاد للريماوي وفي نصوص لاحقة، كما في كتابه فلسطين عبر ستين عامًا [إميل الغوري، فلسطين عبر ستين عامًا (بيروت: دار النهار للنشر، 1972)، ص 228-253]، بالنصوص والمصادر الأولية الأخرى. لكن تجدر الملاحظة أنّ الغوري أسس عموم سرديته على وقائع حقيقية في أحيان كثيرة، وإن قدّمها في سياقات مختلفة لسياقاتها الحقيقية، وفي أزمنة مغايرة لزمان وقوعها الحقيقي.

(118) الغوري، إظهار، ص 27-29.

تقزيم الريماوي، وتجاهل فعله، سابق لنصوص الغوري الأخيرة، فالريماوي أثبت في نصه تجاهل مجلة فلسطين، الصادرة عن الهيئة العربية العليا، لشخصه، ملمحاً إلى اتهام الغوري بهذا التجاهل. كتب الريماوي: «والأغرب من ذلك، أنّ أحد أعضاء الهيئة نشر في المجلة التي تصدرها الهيئة العربية العليا، تحت الصورة، اسم محمد اللبان، ولا أعرف أنه يدري أو لا يدري الحقيقة، فقلت 'إن كنت تدري فتلك مصيبة، وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم'. وأغلب الظن، بل بالتأكيد، فهو يعرف صاحب الصورة، ولكنه يتجاهل ذلك»⁽¹¹⁹⁾. ويؤكد الغوري في سرديته من جديد على تقزيم دور الريماوي، مؤكداً إياه في معظم ما أثبتته في سرديته المضادة، فيكتب مبرزاً ركناً آخر من سرديته عن الجهاد المقدس، والتي تعتبره جيشاً أسسته الهيئة العربية العليا، قاده عبد القادر الحسيني، وشمل نشاطه العسكري عموم فلسطين، خلال حياته وبعد استشهاده:

«إنّ السيد الريماوي لا يجافي الحقيقة في كلامه فحسب [يقصد حديث الريماوي عن تعيين خالد الحسيني قائداً لمنطقة القدس، خلفاً لعبد القادر الحسيني]، بل أيضاً يتقصّد التقليل من منصب عبد القادر الحسيني ودوره في الجهاد. والريماوي يعلم تماماً، وقد ذكر هذه الحقيقة مراراً في مقالاته، أنّ عبد القادر كان القائد العام لجيش الجهاد المقدس، وليس قائداً لمنطقة القدس. كما يعلم أيضاً بأنّ خالد الحسيني عُيّن قائداً عاماً لجيش الجهاد المقدس، بعد استشهاد عبد القادر، وليس قائداً لمنطقة القدس»⁽¹²⁰⁾.

(119) قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشنا (11)»، الدستور، 1972/10/16، ص 4.

(120) الغوري، إظهار، ص 106. هذه السردية التي قدّمها الغوري هنا، وكذلك في نصوصه اللاحقة، تتجاوز مجريات الحرب والتطورات التي انعكست على البنية التنظيمية لتشكيلات الهيئة العربية العليا. فإنّه بحلول شباط/فبراير 1948، اقتصر دور عبد القادر الحسيني وقواته، أي قوة الجهاد المقدس، على العمل في القطاع الشرقي من المنطقة الوسطى، ومركز هذا القطاع مدينة القدس. واقتصر دور الشهيد حسن سلامة على العمل في القطاع الغربي من المنطقة الوسطى، مع نزع مسؤولية مدينة يافا منه، واتباعها المباشر للجنة العسكرية العربية. وبعد استشهاد عبد القادر الحسيني، تسلّم خالد الحسيني قيادة الجهاد المقدس، من دون إقرار اللجنة العسكرية العربية العليا لهذا التعيين، وتعيينها قائداً جديداً للقطاع الشرقي من المنطقة الوسطى، ولذلك اقتصر الدور الفعلي لخالد الحسيني على منطقة القدس، وهذا ينقض ما قدّمه الغوري هنا، ويدعم ما أبرزته سردية الريماوي لتاريخ الجهاد المقدس.

ويضيف الغوري: «لا يساورنا أدنى شك في أنّ ما حمل السيد الريماوي على التجنّي على عبد القادر الحسيني وخالد الحسيني، وحفّزه إلى تجاهل الواقع ومجافاة الحقيقة، هو بثّ الدعاية لشخصه، وإبراز مكانته [...]». والواقع أنّنا لا نستطيع أن نفهم كيف يتجرأ الريماوي على الحقيقة والتاريخ إلى هذا الحدّ؟ وكيف يوافق ضميره على غمط حقوق المجاهدين والقادة الحقيقيين، وإغفال وجودهم، وإنكار أدوارهم وبطولاتهم!»⁽¹²¹⁾.

ويواصل الغوري، مكذبًا ما أثبتته الريماوي، ومقرّمًا دوره: «أما أنّ السيد الريماوي كان أمين السر العام للجهد المقدس، فهو ادعاء من قبيل ادعاءاته السابقة بأنّه كان مديرًا عامًا للحزب العربي، ومحررًا لجريدة الوحدة، وقائدًا عامًا للجهد المقدس. أما قوله بأنّه كان من مهمته مدّ القدس بالنجادات، فأمر صحيح، حيث إنّ المهمة الأساسية التي أُسندت للسيد الريماوي في الجهد المقدس هي جمع النجادات من القرى، وإرسالها لإنجاد المجاهدين في المعارك التي كانوا يخوضون غمارها. أما مقرّر قيادة الجهد المقدس فإنّه لم يكن يومئذٍ في بثرزيت، بل في القدس»⁽¹²²⁾.

وأضاف الغوري عن إثبات الريماوي لنفسه قيادته منطقة شمال القدس، في أثناء معارك باب الواد في أيار/ مايو 1948: «إنّ هذا القول إمعان في الهراء والترهات، وخلط عجيب في الكلام، وتحديد أعجب للمنطقة الشمالية للقدس التي يوسّعها الريماوي حتى رأس العين [...]». وبعد، فيلاحظ أنّ ادعاء الريماوي [...]، بعد أن سلّح خالد الحسيني ومعاونيه من صلاحياتهم، لم يرَ ما يمنعه أيضًا من تشليح حسن سلامة وبهجت أبو غربية، وغيرهم من القادة المجاهدين المعروفين، من صلاحياتهم ومهامهم، وينكر أدوارهم العظيمة في الجهد»⁽¹²³⁾.

(121) المرجع نفسه، ص 106.

(122) المرجع نفسه، ص 106-107. وسبق تفنيدي حديث الغوري المذكور هنا، وإثبات تولي الريماوي إدارة «الحزب العربي» في القدس، وإثبات الصحف المعاصرة لهذه الصفة للريماوي.

(123) المرجع نفسه، ص 108.

إنّ تقزيم الغوري للريماوي، ومحاولة إهدار دوره في الجهاد المقدس، في أثناء حياة عبد القادر الحسيني، وكذلك محاولته نفي فعل الريماوي في باب الواد، وهي المعركة التي اعتنى الريماوي بإثباتها وإبرازها في نصوصه المبكرة والمتأخرة، كونها المعركة الأبرز التي خاضها بشكل مباشر بعد استشهاد عبد القادر الحسيني، ستتواصل في معظم مواضع ردّ الغوري على الريماوي، وسيعزز الغوري سرديته التي تؤكد مركزية الحاج أمين الحسيني، وبعض أعضاء الهيئة العربية العليا، في نصوص تالية. وعلى الرغم من أنّ نصوص الريماوي لا تمسّ فعلياً بصورة الحاج أمين الحسيني، أو دوره وإسهامه في الفعل العسكري، وإنّما تؤكد، فإنّ الغوري يسعى إلى إفراد الحاج أمين الحسيني، والهيئة العربية العليا من بعده، بالدور المركزي.

عدم مساس الريماوي بدور الحاج أمين الحسيني لم يكن ما فعله مع كامل عريقات⁽¹²⁴⁾ الذي أثبت الريماوي في نصوصه المتأخرة جميع ما يمكنه أن ينتقص من دوره ويعرّض به، بشكل مباشر أو غير مباشر، مُسكّتاً لذلك بعض ما أثبتته في نصوصه السابقة. وكان أبرز مدخل للريماوي في نصوصه الجديدة للطعن بعريقات، تعريضه بدور منظمة الشباب العربي التي كان عريقات مساعداً لقائدها العام، فنصوص الريماوي المبكرة أثبتت الدور الإيجابي لهذه المنظمة في الإعداد للتنظيم المبكر، وكيفية استغلال الحسيني لها لتعزيز تنظيمه، وهذا ما أسكته الريماوي بشكل غير مباشر في نصوصه المتأخرة، ليثبت أنّ منظمة الشباب لم يكن لها صلة عضوية بتشكيلات الجهاد المقدس⁽¹²⁵⁾. وأبرز

(124) لا يتفق الغوري مع هذا الاستنتاج، فقد أكّد في غير موضع أنّ الريماوي تعمّد التناول على الهيئة العربية العليا، ورئيسها الحاج أمين الحسيني، في كل مناسبة يراها مواتية، بشكل مباشر أو غير مباشر. ويضيف الغوري: «وما كنا في الواقع لنعبأ، بكثير أو بقليل، بخطة الريماوي هذه، ولا بالحوافز - ولعلنا نعرفها - التي دفعته إلى ركوب هذا المركب الخشن، لولا أنه انطلق بوجه الطعن إلى الهيئة، على لسان عبد القادر أو أشخاص مزعومين لم يصحّ بأسمائهم. فضلاً عن هذا، فإنّ رائحة محاولات الدسّ والإفساد والتحريض تفوح من مقالات السيد الريماوي»: المرجع نفسه، ص 38.

(125) ضمن سعي الغوري إلى تكذيب الريماوي والرد على سرديته التاريخية، أثبت بأنّه لم يكن ثمة خلافات بين الفتوة والنجادة، وأنّ النجادة أنشئت بعد إعادة إنشاء فرق الفتوة التابعة للحزب العربي: المرجع نفسه، ص 17-18. لكنّ المصادر الأولية المختلفة تؤكد عمق الخلافات بين قادة=

النصوص التي عرّض فيها الريماوي بكامل عريقات بشكل مباشر، كانت عند حديثه عن قصة إبعاد قائد منظمة الشباب، محمود ليبب، عن فلسطين.

كتب الريماوي: «تعود قصة إخراجه [محمود ليبب] إلى المؤتمر الكبير الذي عُقد في سينما دنيا برام الله برئاسته. ومع أنّ هذا المؤتمر لم يتميّز بدلالات الخاكي والطبول والزمور التي كانت تملأ الشوارع في مثل هذه المناسبات، لأنّه لم يكن في لواء رام الله تنظيمات لـ 'الفتوة' أو 'النجادة'»⁽¹²⁶⁾. [.....]. وقد تبارى الخطباء كالعادة، وغلبت العواطف والحماس عليهم جميعاً. وتوّج الجميع كامل بك عريقات، إذ طلع علينا أبوغازي، أطال الله بقاءه، بقولته المعروفة 'والله لو أمرني سيدي لألقيت باليهود في البحر'»⁽¹²⁷⁾.

هذا التركيز في ما أثبتته الريماوي في نصوصه المتأخرة عن كامل عريقات،

=النجادة، وعلى رأسهم محمد نمر الهواري، والفتوة والحزب العربي من جهة أخرى. ولهذا، لم يستقر بالفعل اندماج الفتوة والنجادة في منظمة الشباب العربي. كما تؤكد المصادر الأولية المختلفة بأن تأسيس النجادة سابق لإعادة بعث الفتوة، والتي لم تُبعث إلا كردة فعل على بروز النجادة كإطار منافس. وسعيًا لتأكيد ما أثبتته، فإنّ الغوري يورد أنّ تاريخ إعادة تشكيل «منظمة الفتوة» كان في 26 حزيران/يونيو 1945، مع إعادة تشكيل الحزب العربي لنفسه. لكن ما تؤكد المصادر الأولية أنّ إعادة بعث الفتوة كانت بعد قرار اللجنة التنفيذية للحزب في اجتماعها الأول، بعد عودة قائد الحزب جمال الحسيني من منفاه، في 6 شباط/فبراير 1946: «اجتماع اللجنة التنفيذية للحزب العربي الفلسطيني، استئناف نشاط فرق الفتوة»، فلسطين، 5/9/1946. أما النجادة، فكان تأسيسها في 21 كانون الأول/ديسمبر 1945، كاتحاد لعدد من المنظمات الكشفية في فلسطين.

(126) منظمة النجادة: أُسست في 21 كانون الأول/ديسمبر 1945 كاتحاد لعدد من المنظمات الكشفية في فلسطين، وعرّفت المنظمة نفسها بأنّها «مؤسسة قومية غايتها جمع كلمة الشباب، وتوحيد صفوفهم، وإيقاظ الوعي القومي فيهم، وترويضهم على الطاعة والنظام والتضحية». وأسست النجادة كمنظمة مركزية مقرّها الرئيس يافا، وتوزّعت فروعها في أرجاء فلسطين، وترأس مجلسها الأعلى محمد نمر الهواري. نشطت النجادة في فلسطين إلى أن أعلن الهواري اندماجها النهائي تحت لواء منظمة الشباب العربي في 13 حزيران/يونيو 1947. عن نشاط النجادة وتوجهاتها، يُنظر: «البيان الأول لمنظمة النجادة الفلسطينية»، الدفاع، 8/1/1946، ص 4؛ منظمة النجادة، القانون الأساسي، صدر في يافا وأقرّ في 6 تشرين الأول/أكتوبر 1946؛ خيري أبو الجبين، «الملحق الثاني: منظمة النجادة الفلسطينية»، في: قصة حياتي في فلسطين والكويت (عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2002)، ص 467-498.

(127) قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (10)»، الدستور،

10/10/1972، ص 4.

كان مدخلاً آخر لهجوم حاد من إميل الغوري على الريماوي، وكذلك مدخلاً لكتاب مستقل عن كامل عريقات، تُظهر القراءة المتأنية له بأن مصدر مادته الأساسية المتعلّق بالجهاد المقدس كان إميل الغوري⁽¹²⁸⁾. كتب الغوري في ردّه على الريماوي مبرراً قول عريقات⁽¹²⁹⁾، ومبرراً الأسباب الدافعة لتعريض الريماوي بعريقات، مؤكداً على أنّ أساس ذلك الخلاف الذي نشأ بينهما، إخراج الريماوي من رئاسة مجلس النواب الأردني.

كتب الغوري: «يتعرّض السيد الريماوي، في مقاله، للسيد كامل عريقات، بشيء من السخرية والهُزء. في حين تعرّض له بالتورية، وبالاختفاء خلف الأحرف الأبجدية في مقالات سابقة. ويُستدل من هذا التعريض أنّ الريماوي حاقد على عريقات، وأنّ في نفسه شعوراً ضدّه. ولعل من أسباب ذلك ما يعود إلى مسألة رئاسة مجلس النواب الأردني، فقد حلّ عريقات في رئاسة هذا المجلس محلّ السيد الريماوي الذي شغلها دورة واحدة، بإرادة أكثرية أعضاء المجلس، وأنّه فاز على الريماوي في انتخابات رئاسة المجلس الدورية منذ 1967»⁽¹³⁰⁾.

هذا النص الذي يؤكد على مركزية الصراع بين عريقات والريماوي السياسي الفلسطيني/الأردني، وأثر هذا الصراع في ما أسكته الريماوي أو أثبتته في نصوصه المتأخّرة⁽¹³¹⁾، كان مدخل الغوري للبدء بتكذيب ما أثبتته الريماوي

(128) أثبت مؤلف كتاب مجاهد من أبوديس، أمين أبو الشعر، عن كامل عريقات قوله: «كان هذا الكتاب مجرد فكرة لمعت في خاطر، إثر حديث تجاذبه الحاضرون في مجلس السيد كامل عريقات في منزله بعمّان، وما لبثت الفكرة أن تبلورت مع تكرار اللقاءات في مجلسه». وأضاف في خاتمة مقدّمته: «وختاماً، لا بد من توجيه شكر خاص إلى المجاهد الأستاذ إميل الغوري، لمساعدته القيّمة في تجلية كثير من زوايا البحث لدى إعداد هذا الكتاب. ولولا تفضله بذلك، لكان تأخر إنجاز الكتاب، وإلى أمد غير قصير»: أبو الشعر، ص 3، 5.

(129) كتب الغوري مبرراً: «ماذا في الأمر لو أنّ كامل عريقات قال مثل هذا الكلام، فقد قال مثله عدد غير قليل من زعماء فلسطين، قبل أن يقوله كامل عريقات. وإنّ الريماوي نفسه كان يقول مثل هذا القول في شتى المناسبات والظروف»: الغوري، إظهار، ص 84.

(130) المرجع نفسه، ص 83.

(131) كما يظهر هنا، فإنّ الغوري لا يبرز السياقات التي أثبتت إخراج الريماوي من رئاسة =

من لقائهما مع السكرتير العام للحكومة الاستعمارية في القدس. وينقل الغوري عن عريقات تكذيبه للزيارة. وكذلك يسعى الغوري إلى إيراد بعض الحجج التي تؤكد من وجهة نظره عدم صحة هذه القصة، مستشهدًا باقتباسات للريماوي مُخرّجة عن سياقها، وكذلك بحوادث تاريخية لم تحصل.

ويمكن الاستدلال بهذه الحادثة، وحديث الغوري عنها، للتأكيد على تطرّف الغوري في سرديته التاريخية، وسعيه المتعمّد إلى تفنيد وتكذيب مخالفيه. ولم يكن الريماوي وحيدًا في هذا الجانب، وإن كان هذا التفنيد مؤسسًا على كذب أو تلفيق. ويمكن منها أيضًا الإشارة إلى أنّ معظم نصوص الريماوي، كما سيبيّن بالتفصيل في هوامش النصوص المحققة، أُسست على وقائع حقيقية حصلت، لكنّ تذكّره لهذه الوقائع لم يخلُ من تحريف أو مبالغات، مقصودة وغير مقصودة، استهدف بعضها إثبات مكانته وتعزيز صورته.

بالعودة إلى الصحف المعاصرة لحدث إبعاد محمود لبيب، وكذلك إلى بعض تقارير مخابرات الحكومة الاستعمارية، يُلاحظ أنّ سردية الريماوي تتقاطع كثيرًا مع ما أثبت في هذه المصادر من معطيات ووقائع، فإبعاد لبيب الذي أتى في سياق محلي متوتر، بعد اندلاع مواجهات يافا - تل أبيب، في آب/أغسطس 1947، بين أهالي فلسطين والصهاينة، ارتبط بشكل مباشر باحتفال رام الله المنعقد برئاسة لبيب في سينما دنيا في رام الله، في 9 آب/أغسطس 1947⁽¹³²⁾. كما أنّ زيارة الريماوي وعريقات لمقرّ السكرتير العام للحكومة حدثت بالفعل، إذ سجّلت صحيفة فلسطين أنه في صباح 13 آب/أغسطس 1947، قابل «السيدان كامل عريقات، مساعد القائد العام لمنظمة الشباب العربي، وقاسم الريماوي، مدير مكتب الحزب العربي، أحد مساعدي

= مجلس النواب، والتي تؤكدها بشكل غير مباشر محاضر مجلس النواب الأردني، المشار إليها أيضًا أعلاه، وأكدت على أنّ فوز عريقات برئاسة المجلس لم يكن في إطار منافسة شريفة بينه وبين الريماوي، كما أبرز الغوري.

(132) يُنظر ما ورد في تقارير المخابرات الاستعمارية في الفصل الثالث؛ «شذرات»، تحت

هوامش العنوان «إبعاد محمود لبيب».

السكرتير العام. وأعربا عن استنكار مختلف الهيئات الوطنية لطلب البوليس من السيد محمود لبيب، القائد العام لمنظمة الشباب العرب مغادرة فلسطين، الذي ليس له أي مبرر. ودامت المقابلة أكثر من ساعتين، فوعد مساعد السكرتير العام [بدراسة] المسألة على ضوء حديثهما مع الجهات المختصة، وحدد لهما موعدًا الساعة العاشرة من صباح غدٍ لمقابلته ثانية»⁽¹³³⁾.

وبهذا، تؤكد صحيفة فلسطين زيف ادعاء الغوري، ومن قبله نفي كامل عريقات، وتؤكد ما أثبتته الريماوي، مع الإشارة إلى مبالغة الريماوي بأن اللقاء جرى مع السكرتير العام، وليس مع أحد مساعديه. وفي اليوم التالي، 14 آب/ أغسطس، عاد كامل عريقات والريماوي لمقابلة فوكس سترونغ وايز (Fox Stringwise)، وكان آنذاك رئيسًا للدائرة السياسية في السكرتارية العامة، مرة أخرى، بناءً على الموعد، وأخبرهما بإصرار الحكومة على قرارها السابق بإبعاد لبيب، مع الإذن له بالبقاء مدة أسبوع بسبب حالته الصحية السيئة⁽¹³⁴⁾.

الخلاف الجوهرى الآخر بين السرديات التي قدمها الريماوي في نصوصه المبكرة والمتأخرة، وما قدمه إميل الغوري، مرتبط بالصراعات الفلسطينية الداخلية، خصوصًا في المرحلة الأولى من الحرب (كانون الأول/ ديسمبر 1947 - أيار/ مايو 1948)، فالريماوي أثبت في سرديته وجود خلاف فلسطيني داخلي متجذّر، إذ «كانت البلاد منقسمة إلى قسمين، نتيجة الثورات السابقة؛ قسم يؤيد الثورة، وقسم يعارضها. وقد أدى ذلك إلى معارك دموية، خاصة في القرى. وكان كل فريق يخزن السلاح ضد الآخر»⁽¹³⁵⁾.

(133) «القائد العام لمنظمة الشباب، الاحتجاج على طلب الحكومة مغادرته البلاد»، فلسطين، 1947/8/14، ص 2.

(134) «إصرار الحكومة على مغادرة لبيب البلاد»، فلسطين، 1947/8/15، ص 2. ولا توضّح صحيفة فلسطين أيًا من تفاصيل ما دار في الاجتماعين، وإن كان ثمة توافق بين ما أثبتته الريماوي وما حدث حقيقة، ولم يتسنّ للأسف الوصول إلى أي من وثائق الحكومة الاستعمارية المتعلقة بهذا اللقاء، إن وجدت.

(135) قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (4)»، الدستور، 1972/8/28، ص 4.

لكنَّ عبد القادر الحسيني عمل على تحييد هذا الانقسام، من خلال سلسلة زيارات للمناطق الفلسطينية المختلفة، التقى فيها مع أطراف الخلاف من شخصيات وعائلات، ليؤسس لصفحة جديدة، استعداداً للحرب، «فتحوّلت جميع البنادق ضدّ الصهاينة، وكان الخندق الواحد في بعض الأحيان يشتمل على الشخص وقاتل ابن عمه»⁽¹³⁶⁾. كما أثبت الريماوي تفصيلات وإشارات متعلّقة بصراع النجادة - الفتوة. لكنَّ الغوري، في المقابل، أثبت في غير موضع من ردّه على الريماوي، أنه «لا انقسام في فلسطين»⁽¹³⁷⁾؛ فالغوري يؤكد أنّ الانقسام بين المجلسيين والمعارضين انتهى في نيسان/أبريل 1936، بتشكيل اللجنة العربية العليا التي جمعت الطرفين في إطار واحد. وأنّه جرت تصفية آثار المجلسية والمعارضة، في تشرين الأول/أكتوبر 1937، بحلّ المجلس الإسلامي الأعلى، وعزل الحكومة الاستعمارية لرئيسه الحاج أمين. وبهذا، ما عادت معارضته ذات موضوع⁽¹³⁸⁾.

لكن سبق للغوري أن نقض سرديته هذه، فبعد نفيه لأن يكون الهدف من جولات عبد القادر الحسيني إجراء مصالحة وطنية عامة، لعدم عمله في حقل السياسة، واقتصاره على ميدان القتال والنضال، أثبت بأنّ المصالحة الوطنية العامة تمّت بشكل رائع في حزيران/يونيو 1946، بتشكيل الهيئة العربية العليا التي التفتّ حولها الشعب، وأيدتها الأحزاب السياسية المختلفة، وجمّدت نشاطها بناءً على ذلك⁽¹³⁹⁾. ثم دُعمت هذه المصالحة بتشكيل اللجان القومية،

(136) المرجع نفسه.

(137) الغوري، إظهار، ص 32.

(138) المرجع نفسه، ص 32. ويتجاهل الغوري في سرديته هذه الكثير من الوقائع التاريخية، من خلافات اللجنة العربية العليا قبل وبعد حلها، والاحتراب الأهلي، وما نجم عنه من تصفيات داخلية، ونشأة «فصائل السلام» في أثناء ثورة 1936-1939، وهو ما سيُشار إلى بعض ملامحه في المحور الأول من الفصل الثاني من هذا الكتاب، المتعلّق بحالة البلاد الداخلية قبل تأسيس الجهاد المقدس.

(139) وحديث الغوري عن آلية تشكيل الهيئة العربية العليا، بوصفها اتفاق فلسطيني داخلي، هدفه الرد المباشر على الريماوي، فالغوري يتهم الريماوي بسعيه الدائم إلى التقليل من أهمية الهيئة، بوصفه لها أنّها كانت ائتلاًفاً بين الأحزاب، وأنّ تأليفها كان يتدخل من السياسة العرب: المرجع نفسه، ص 38. ولوجهة نظر مصدر مشارك في تشكيل الهيئة العربية العليا، يُنظر: دروزة، مج 5، ص 563-572. أما اللجان القومية، =

في خريف 1946، في المدن الفلسطينية، من شخصيات وقادة وشبان من مختلف الفئات والجماعات والأحزاب⁽¹⁴⁰⁾.

كما أثبت الغوري في رده على سردية الريماوي المتعلقة بالصراعات القروية الداخلية، ذات الأبعاد السياسية، وحديث الريماوي عن اختزان أهل القرى السلاح لهذا الصراع، تأكيده من خبرته وتجربته ومعرفته وممارسته، وفقاً لتعبيره، بأن أهل القرى الفلسطينية كانوا، بوجه عام، دائماً وأبداً في منأى عن الانقسامات والاختلافات السياسية والمنازعات الحزبية التي كانت تنشب بين فينة وأخرى بين بعض رجال السياسة من القادة والزعماء، فالتزموا جانب الحق، ملقين بثقلهم، في جميع الظروف والمناسبات، إلى جانب الجبهة الوطنية المخلصة وقادتها. ويتهم الغوري سردية الريماوي بتريد المقولات الاستعمارية، فالحديث عن تخزين السلاح لاستخدامه في الصراع الداخلي بين الأفرقة المختلفين «لم يُسمع مثله من قبل، إلا من اليهود والإنجليز، في دعاياتهم المغرضة ضد الفلسطينيين، وحملاتهم المضللة ضد الحركة الوطنية والجهاد الفلسطيني»⁽¹⁴¹⁾.

= فقد بدأ تأسيسها في أواخر عام 1947، وعلى الرغم من أنّ اللجنة القومية الأولى، والتي شكّلت في يافا، خرجت بهدوء، وبكثير من التوازن الذي أبرز رغبة الهيئة العربية العليا في تجاوز الانقسامات التاريخية، فإنّ مدناً ومواقع أخرى شهدت خلافات أحرّت تشكيل اللجان القومية، كان أبرزها مدينة القدس. وعن كيفية تشكيل اللجان القومية، يُنظر نموذج يافا في: بلال محمد شلش، يافا دمّ على حجر.. حامية يافا وفعالها العسكري دراسة ووثائق؛ الجزء الأول سيرة البارود البيافي: دراسة في بنية حامية يافا وفعالها العسكري كانون الأول/ديسمبر 1947 - نيسان/أبريل 1948 (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)، ص 40-46. وكنموذج آخر تأليف اللجنة القومية في عكا، يُنظر: Mustafa Abbasi, «The Fall of Acre in the 1948 Palestine War», *Journal of Palestine Studies*, vol. 39, no. 4 (Summer 2010), pp. 2-3.

(140) الغوري، إظهار، ص 10.

(141) المرجع نفسه، ص 32. وتخالف الوقائع التاريخية وعمليات التصفية الداخلية في القرى الفلسطينية المختلفة سردية الغوري، وتؤكد الروايات الشفوية المتداولة في بلدات كبلدة كوبر، سردية الريماوي عن مصالحات عبد القادر الحسيني، إذ يتناقل أهل البلدة أنه حين زارها خرج أبناء إحدى العائلات المعارضة إلى الجبال بسلاحهم، خوفاً من انتقام عبد القادر الحسيني، فأرسل إليهم مطمئناً. وبعد حديثهم معه، خرج شباب العائلة بسلاحهم، وكان منهم حرس مقرّ قيادة الجهاد المقدس في بلدة بيرزيت.

صراع الغوري/ عريقات والريماوي على تاريخ الجهاد المقدس⁽¹⁴²⁾، لم يكن الوحيد، وإن كان الأقسى. وعلى الرغم من أن الريماوي أكد، في نصوصه المتأخرة، طلب عارف العارف شهادته، عند الحديث عن تأريخ معركة القسطل، ورفضه ذلك، من دون أن يبيّن أسباب الرفض، فإنّه علّق في نصوصه المتأخرة على كتاب العارف، مصححًا بعض ما أخطأ فيه من معلومات ووقائع، ملقيًا باللوم على شهوده. فالعارف، وفقًا للريماوي، أخطأ في بعض ما «جمع [من] معلومات لقّنه إياها الأشخاص الذين اتصلوا به، كلٌّ بحسب أهوائه، وكيفما يحلو له»⁽¹⁴³⁾. لكنّ الريماوي لم يكتفِ بذلك، فاتهم العارف بتجاهل الحقيقة، وعدم الإشارة إلى دور الريماوي في معركة المصيون بشكل متعمّد⁽¹⁴⁴⁾.

ولا يحاول الريماوي أن يقدّم أسبابًا يعلل فيها تجاهل العارف له، لكن في نصوصه المبكرة ما قد يبرر ذلك، فالريماوي يفصّل في تقريره المخطوط الحديث حول صراعه السياسي مع عارف العارف الذي تعاون أولاً مع فوزي القاوقجي وضباطه، وسعى إلى تعزيز نفوذهم في منطقة رام الله، مستخدمًا نفوذ موقعه الرسمي، إذ كان مساعدًا لحاكم اللواء في الحكومة الاستعمارية، قبل جلاء المستعمر البريطاني عن فلسطين، ومن ثم تعاون مع الجيش العربي الأردني والحكّام العسكريين، ساعيًا إلى تعزيز السلطة الإدارية الأردنية، بخلاف رغبة مقرّ قيادة الجهاد المقدس في بيرزيت، وقائده قاسم الريماوي.

لكن، كما يبدو، فإنّ التحولات التي شهدتها الريماوي، كما فُصّلت سابقًا،

(142) اقتصر النص هنا على إيراد نماذج من هذا الصراع، وسُعمد في هوامش المتن المحقق إلى إثبات ما دوّنه الغوري من ردود على نصوص الريماوي المتأخرة، ونقاش ذلك، مع الإشارة إلى أنّ أحد أبرز جوانب الاتفاق بين السرديات التاريخية المقدّمة من أطراف هذا الصراع متصلة بالحديث عن التقصير العربي في دعم الجهاد المقدس خصوصًا، والمقاتلين الفلسطينيين عمومًا. وكذلك ذم اللجنة العسكرية العربية وقادتها الرئيسيين. وسُناقش لاحقًا بعض ما تقدّمه هذه السردية، لكن ستُفرد قراءة نقدية مقارنة لهذه الاتهامات المتجدّرة في النصوص التاريخية المحلية في موضع آخر قريبًا.

(143) قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (7)»، الدستور،

1972/9/18، ص 4.

(144) قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (17)»، الدستور،

1972/11/27، ص 4.

وتقييد قاسم الريماوي السياسي الفلسطيني/الأردني لقاسم الريماوي المقاتل، دفعت الريماوي إلى إسكات هذا الخلاف بينه وبين العارف، الأمر الذي قد يبرر تجاهل العارف لدوره الموثق بالصورة التي لا يمكن تجاهلها، لرغبة الريماوي السياسي الفلسطيني/الأردني إسكات اللحظة التاريخية التي اصطدم فيها مع النظام الأردني، في سعيه لمنع إنهاء وجود قواته، وإنهاء وجود الهيئة العربية العليا كممثل للفلسطينيين، وفي محاربته للجهد الأردني للتمهيد لضمّ بقية فلسطين الوسطى التي خضعت للسيطرة العسكرية الأردنية بعد 15 أيار/ مايو 1948.

سيهتم المحور الآتي بالإضاءة على الإسكات/الإثبات الذي يمارسه الريماوي السياسي الفلسطيني/الأردني للريماوي المقاتل، وذلك من خلال نموذجين؛ الأول متعلّق بالإسكات/الإثبات الممارس في ما يخصّ الأردن، ملكًا ونظامًا خصوصًا، والأردنيين عمومًا، قبل 15 أيار/مايو 1948. والنموذج الثاني متعلّق بالإسكات/الإثبات الممارس في ما يخصّ معركة إنهاء الجهاد المقدس و«الضم».

الإسكات/الإثبات: عن بعض الصراع بين سرديات الريماوي السياسي/المقاتل

كان التحوّل الأساسي في سيرة قاسم الريماوي، كما سبقت الإشارة، تحوّل من قاسم الريماوي المقاتل الذي انتهى دوره العسكري بانتهاء حرب 1947-1949، وبإنهاء المملكة الأردنية الهاشمية للجهاد المقدس، إلى قاسم الريماوي السياسي الأردني/الفلسطيني الذي اندمج في النظام السياسي الأردني، متسلّمًا أعلى المناصب السياسية فيه.

كانت الصلة الأولى التي جمعت بين الريماوي والأردن هي الحرب، إذ كانت رحلته الأولى إليه لنقل سلاح سلّمته الهيئة العسكرية العربية إلى قوة الجهاد المقدس في كانون الثاني/ديسمبر 1947، لتعزيز منطقة القدس. لكنّ هذه الصلة أيضًا، وكما سبقت الإشارة إليه، أُسست على ميراث من الشكّ

والريبة بحده الأدنى، والعداوة بالحد الأعلى، للنظام الملكي الأردني. وأكدت نصوص الريماوي المبكرة هذا الميراث من الشك أو العداء للنظام الأردني، ولبعض الشخصيات الأردنية المشاركة في حرب 1947-1949. وقد أثر هذا الميراث بشكل جلي في الإسكات/الإثبات الممارس فيها، حال مقارنتها بنصوصه المتأخرة. لكن الريماوي السياسي الفلسطيني/الأردني سيحضر في النصوص المتأخرة، موجداً إثباتاً أو إسكاتاً جديداً.

إسكات/إثبات: عن الأردن والأردنيين قبل 15 أيار/مايو 1948

أثبت الريماوي تفصيلات رحلته الأولى إلى الأردن في نصوصه المبكرة، وكذلك في نصوصه المتأخرة؛ فأثبت في نص تقريره إلى الحاج أمين الحسيني، وفي نص مخطوطه عن عبد القادر الحسيني، بشكل مختصر، أنه نقل شحنة السلاح الثالثة المسلمة من الهيئة عبر شرق الأردن، تجنباً للخطر اليهودي. بينما نقل الشحنتين السابقتين عبر بحيرة طبريا. وأشار الريماوي إلى أنّ هذه الرحلة كانت الأولى التي ينقل فيها السلاح من سورية إلى فلسطين عبر شرق الأردن. وأثبت الريماوي أنّ عملية النقل هذه تمت بصورة مخفية، وبمساعدة بعض الأصدقاء⁽¹⁴⁵⁾. وكما يُلاحظ، فإنّ الريماوي سكت في نصوصه المبكرة عن تفصيلات عملية نقل الأسلحة تلك⁽¹⁴⁶⁾، وكذلك تفصيلات المساعدة التي قُدمت إليه في الأردن، ومن هم الأصدقاء الذين قَدّموا إليه هذه المساعدة.

بخلاف النصوص المبكرة، فإنّ رحلة الريماوي ستحتل حيزاً رئيساً في نصوصه المتأخرة، وسيعني فيها بإثبات ما سكت عنه سابقاً؛ فإضافة إلى سرده لتفصيلات رحلته إلى دمشق، وتسلمه البنادق التي سيعود بها لُرسَل لإسناد القدس، أثبت الريماوي تفصيلات تعاون مسؤول مركز جمرك الرمثا الذي لم يسمّه، من أجل إدخال السيارة التي تحمل السلاح من دون تفتيش. ويفصّل الريماوي في آلية نقل السلاح بعد تهريبه إلى عمّان، إذ يتوجه بعد

(145) الريماوي، «تقرير»، ص 1؛ الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 5.

(146) استخدم الريماوي في التقرير لفظة «نقل»، بينما أثبت في نص المخطوط لفظة «تهريب»،

للإشارة إلى الرحلة: الريماوي، «تقرير»، ص 1؛ الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 5.

تهريبه في سيارة أحد المهربين، وبعد مرور سيارته من دون تفتيش، لينقل السلاح بسيارة مثقال باشا الفايز⁽¹⁴⁷⁾، وبالتعاون مع ولده عاكف⁽¹⁴⁸⁾، مشيراً إلى أنه لم يكن قد اجتمع إليه من قبل، لكنّ الباشا وافق على التعاون مع الريماوي. وبوصوله إلى عمّان، أثبت الريماوي مقابله سليمان النابلسي، بوصفه مسؤولاً حكومياً آنذاك. وبعد حوار، يدّعي فيه الريماوي أنه مندوب لصحيفة الوحدة، آتٍ من بيروت، يخبره النابلسي بأنّه «لو كنت أعلم أنّك لست من هادول الناس (يعني المجاهدين)، لما سمحت لك بدخول البلاد». ويضيف: «هذا بلد كل عربي».

قد يكون الإسكات الذي يمارسه الريماوي في نص تقريره مبرراً بطبيعة التقرير الداخلية أولاً، وبهدفه الذي يقتصر على بيان أوجه قصور قيادة الجهاد المقدس في القدس، بعد استشهاد الحسيني. ودفاع الريماوي عن نفسه وإثبات دوره ودور جنده في المعركة ثانياً، في مسعى منه لتعزيز ثقة الحاج محمد أمين الحسيني به، خصوصاً وأنّ الريماوي لم يجد ملجأً له، بعد اجتثاث قواته، إلا في القاهرة. لكنّ الإسكات في نص مخطوط الريماوي عن عبد القادر الحسيني قد يكون غير مبرر، خصوصاً وأنّ الرحلة مرتبطة ببواكير الجهاد المقدس التي اعتنى الريماوي بإثبات تفصيلاتها في نص المخطوط. ويؤشر هذا الإسكات إلى وجود نية مسبقة لدى الريماوي، في عدم إثبات أي دور قد يُضاف كرسيد إيجابي إلى الأردن، أو بعض شخصياته.

أما نصوص الريماوي المتأخرة، والتي أتت، كما تبين سيرته، بعد دخوله

(147) مثقال سظام الفايز (1885-1967): شيخ مشايخ قبيلة بني صخر. عاش طفولته في البادية الأردنية. كان له دور بارز في السياسة الأردنية، قبل تأسيس الإمارة وبعده، ثم في المملكة الأردنية. اشتهر بمواقفه السياسية المعارضة للمستعمر البريطاني في محطات رئيسة من تاريخ الأردن، وقاد مؤتمر العشائر الأردنية المسلّحة في نيسان/أبريل 1948، والذي انبثقت منه مشاركة بعض أبناء العشائر الأردنية في حرب 1947-1949.

(148) عاكف مثقال الفايز (1924-1998): وُلد في عمّان. وهو نجل شيخ مشايخ قبيلة بني صخر، مثقال الفايز. تحصّل تعليماً ثانوياً، وشغل منصب رئيس تشريفات العشائر في القصر الملكي لعام 1946. مع تأسيس مجلس النواب الأردني، انتُخب في مجلسه الأول ولدورات متتالية، ثم عُيّن في مناصب وزارية عدة، بدءاً من حكومة إبراهيم هاشم الخامسة في نيسان/أبريل 1957.

الحياة السياسية الأردنية نائبًا ثم وزيرًا، ومزاملته لعدد من الشخصيات السياسية الفاعلة، فستعني بإثبات التفصيلات، خصوصًا المرتبطة بدور بعض الشخوص، مثل مثقال الفايز وولده عاكف الفايز، زميل الريماوي في النيابة وفي الوزارة، وكذلك سليمان النابلسي، رئيس الوزراء والشخصية الأردنية البارزة.

اعتناء الريماوي، في نصوصه المتأخرة، بإثبات دور بعض أصدقائه في حياته كسياسي فلسطيني/أردني، دفعه أيضًا إلى إسكات بعض ما أورده في نصوصه المبكرة عن دور بعضهم. ولتقديم قراءة جديدة لدور الأردنيين عمومًا في معركة فلسطين في مرحلتها الأولى، أي قبل 15 أيار/مايو 1948. من ذلك، موقف الريماوي من هارون بن جازي⁽¹⁴⁹⁾ الذي التحق، وبعض أفراد أبناء قبائل شرق الأردن، بقوة الجهاد المقدس خلال المرحلة الأولى من الحرب؛ ففي نص تقريره، وفي سياق انتقاده لقيادة الجهاد المقدس في القدس، في أثناء معارك باب الواد 7-15 أيار/مايو 1948، كتب الريماوي: «تصوّر بربك [مخاطبًا الحاج محمد أمين الحسيني] المهزلة التي تمت من تصرفات المسؤولين في قيادة القدس، أثناء نشوب المعركة، فعدا عن أنهم لم يزوروا الجبهة إطلاقًا، وعدا عن أنهم لم يحاولوا الاتصال بي، فقد أرسلوا سيارة

(149) هارون سحيمان بن جازي (1913-1979): وُلد في قرية أذرح في محافظة معان جنوب الأردن. كان والده أحد شيوخ عشيرة الجازي من قبيلة الحويطات. تلقى تعليمًا أساسيًا في كتاب القبيلة. والحويطات هي القبيلة الأم لعشيرة العريقات المقيمة في بلدة أبوديس بجوار القدس، والتي كان ابنها كامل عريقات نائب القائد العام لقوة الجهاد المقدس. شارك وبعض أفراد كتيبته بالقتال في فلسطين بشكل مبكر، وتشير المصادر إلى مشاركته في معركة القسطل. يُشار إلى أنّ حراك الشيخ هارون بن جازي المبكر، وتدخّله المباشر في معارك فلسطين، وغيره من المشايخ، مثل الشيخ محمد الفايز من بني صخر، ومن بعده أبناء القبائل الأردنية عمومًا، وحراك عشائر الحويطات خصوصًا، أتى ضمن حراك عام قادته العشائر الأردنية، وأكد عليه وأسنده اجتماع عام في مقرّ الزعيم مثقال باشا الفايز، شيخ مشايخ بني صخر: الجزيرة، 26/4/1948، ص 2. فدخلت إلى فلسطين قوة فرسان، بقيادة الشيخ محمد الفايز، في أواخر كانون الأول/ديسمبر 1947: الجزيرة، 29/1/1948، ص 1. ودخلت قوات من الحويطات بقيادة سالم بن عطا بن جازي، والشيخ نايل بن حمد بن جازي، في 29 نيسان/أبريل 1948: الجزيرة، 30/4/1948، ص 1؛ الجزيرة، 6/5/1948، ص 1. ويُنظر تغطية إخبارية لمشاركة بن جازي في: «رسالة من القائد هارون بن جازي»، الجزيرة، 30/4/1948، ص 2؛ الجزيرة، 12/5/1948، ص 1.

مملوءة بالذخيرة. ومن عجيب أمرهم أنهم لم يرسلوها إليّ، بل أرسلوها إلى هارون بن جازي، ذلك البدوي [...]»⁽¹⁵⁰⁾.

أما في نصوصه المتأخرة، فأثبت الريماوي دور هارون بن جازي في معركة باب الواد بصيغة مختلفة كلياً، فكتب: «أما الأخ المجاهد الكريم الحاج هارون بن جازي، فقد شارك في المعركة في اليوم الثاني، ثم عهدت إليه بالتمركز في منطقة النبي صمويل، والتصدي لأية قوافل يهودية قد تفد من القدس إلى منطقة باب الواد أو بالعكس. وقد أصيب في هذه المعركة الشيخ نائل بن جازي، أصيب بجرح، وما لبث أن توفي على الأثر في مستشفى رام الله».

لن يقتصر الريماوي على إيراد سردية مغايرة تشير إلى ممارسته لإسكات في نصوصه المبكرة، لبعض فعل بن جازي، وأبناء الحويطات الآخرين في المعركة. وكذلك لممارسته إسكائاً جديداً في نصوصه المتأخرة، بعدم الإشارة إلى قصة بيع السلاح للجنة القومية، أو الإشارة إلى علاقة ابن جازي المفترضة بغلوب باشا⁽¹⁵¹⁾. وإثما سيعمل على إثبات قراءة جديدة لدور الأردنيين في المرحلة الأولى من الحرب، يعمل فيه، إضافة إلى إبراز هذا الدور، على إبراز فعل عبد القادر الحسيني الاستثنائي؛ فأثبت الريماوي أن الحسيني، إضافة إلى سعيه لإحداث مؤاخاة بين الفلسطينيين، معارضتهم وموالاتهم، عمل على إيجاد مؤاخاة بين أبناء البادية من شرق الأردن الذين وفدوا بالآلاف إلى أرض فلسطين، وأبناء فلسطين الذين حملوا السلاح، وأضاف:

«وكان اللقاء في الله هو أول لقاء تم بين الشعبين، وكانت لحمة التضحية

(150) ما حذف من الاقتباس هنا اتهامات شخصية حادة أطلقها الريماوي تجاه ابن جازي، متعلقة بعموم دوره في الحرب، وكذلك بدوره في معركة بيت محسير لحظة الهجوم الصهيوني عليها.

(151) كجزء من الإرث التاريخي من العلاقات المتوترة/العداوية بين أنصار الحاج أمين الحسيني وشرق الأردن، كان الحضور الإنكليزي في قيادة الفيلق/الجيش العربي الأردني دافعاً دائماً للتشكيك بكل فعل ومبادرة أردنية. وينقل المؤرخ الأردني سليمان موسى عن الريماوي قوله بأن قوة الجهاد المقدس لم تقبل الخضوع للقيادة الأردنية بسبب الاعتقاد السائد بأن غلوب والضباط الإنكليز لا يعملون لمصلحة العرب: سليمان موسى، أيام لا تُنسى: الأردن في حرب 1948 (عمّان: الديوان الملكي، 2008)، ص 490.

بالنفس والنفيس، ومبدأ الإيمان بالله، والثورة لكرامة الأمة العربية، والدفاع عن الحريات والأعراض والوطن. لقد سبقت هذه الوحدة في الجهاد، وحدة الحكم التي جاءت معلنة وصاهرة وحدة الشعبين اللذين هما في الحقيقة والتاريخ والواقع شعب واحد. لقد عرفت قيادة الجهاد المقدس كيف تستفيد من هذه القوة الهائلة، الممثلة في أبناء القبائل الأشداء الذين لا يهابون الموت، ويتقنون استعمال السلاح. وقد كان سلاحهم البنادق من النوع الجيد الجديد الإنجليزي والألماني. لقد أصبحت هذه القوة قوة ضاربة من قوى الجهاد المقدس، تخصص عملها في الغارات على القوافل اليهودية. وقد زوّدتهم القيادة بهويات الجهاد المقدس، وكانت تحمل توقيعي - والبعض منهم يحتفظ بها إلى الآن - وكانت تزوّدهم بمساعدات بسيطة من التموين والذخيرة والنقلات. وقد ارتبط قادتهم بصداقات مع المسؤولين في الجهاد المقدس، أذكر منهم الزملاء الذين أعتز بأخوتهم، وهم: الشيخ هارون بن جازي؛ والشيخ محمد الفايز، رحمه الله، وقد جُرح بجاني في معركة بيت سوريك الأولى؛ والشيخ المرحوم نائل بن جازي، وقد جُرح معي في معركة باب الواد الكبرى، وتوفي على إثر جراحه في مستشفى رام الله».

وضعت هذه القراءة الجديدة للريماوي دور الأردنيين في الحرب في سياق جديد مغاير بشكل كلي لما أثبتته في نصوصه المبكرة، ولا يمكن عزل هذه القراءة الجديدة عن سياق الحوادث التي سبقت تدوينه لنصوصه المتأخرة، أي معارك أيلول/سبتمبر 1970، وما أحدثته من شرح بين المقاومة الفلسطينية والنظام الأردني. فالريماوي السياسي الفلسطيني/الأردني، كان معنيًا، كما تُظهر نصوصه المتأخرة، بالدعوة بشكل غير مباشر إلى مؤاخاة بين الأردنيين والفلسطينيين بعد أيلول/سبتمبر 1970، مؤسّسة، كما المؤاخاة الأولى، على وحدة الشعبين في الجهاد.

تواصلت رحلات الريماوي عبر الأردن، بعد قدوم عبد القادر الحسيني إلى فلسطين، وسيتحوّل الأردن مع مرور الوقت إلى معبر دائم من دمشق وإليها، وسيكون للريماوي في رحلاته هذه أول لقاء بالملك عبد الله بن الحسين،

والذي جرى في أثناء رحلة لنقل متفجرات سلّمتها اللجنة العسكرية لقوة الجهاد المقدس، وسُتستخدم لاحقًا في نسف شارع بن يهودا، في 22 شباط/فبراير 1948.

وقد أثبت الريماوي، في نص مخطوطه عن الحسيني، بعض تفاصيل هذه الرحلة، وتفصيلات لقائه بالملك عبد الله، يقول: «لَمَّا دخلتُ شرق الأردن، وجدتُ أنّ قطع المخاضات متعذّر، وأنّ جسر الشيخ حسين مقفل، فصممت [على] التوجه إلى جسر اللنبي، والمجازفة بذلك، وقد أوقفني مأمور الجمرك في المفرق. وفي الحال حضر بهجت طيارة⁽¹⁵²⁾ المحافظ، ونديم السمان قائد الشرطة⁽¹⁵³⁾، وبعد مداوات بيني وبينهم، واتصالهم بالملك، أطلقوا سراح العربات، على أن أمرّ بها عبر المخاضات، ولكنّ عبور المخاضات كان متعذّرًا لهطول الأمطار، فلم يُسمح لي بالمرور. وبعد مجادلة عنيفة بيني وبين المسؤولين، اتصلوا بالملك، فطلب مقابلي في مقرّه بالشونة، فتوجهت إليه. وبعد بحث طويل، قال لي إنه يسمح بنقلها عبر المخاضات، ولكن ليس عبر الجسر، لأنّ الإنجليز ما زالوا يراقبونه، وهو يخشى أن يفتلوه. فغادرت القصر وأنا مُصرّ على المرور عبر الجسر. ولمّا وصلت، فتحت الجسر، بعد أن سحبت مسدسًا، وقلت لهم إن لم تمرّ هذه المتفجرات الآن، فإنني سأطلق النار عليها فتسفني وتسف الجسر وجميع الأبنية القائمة في هذه المنطقة على بُعد عشرين كيلومترًا. وهكذا، مرّت السيارات الثلاث بعد جهد ومرأوفة، وقد كان شعور موظفي الجمرك والجنود معي»⁽¹⁵⁴⁾.

(152) بهجت طيارة (1895-1962): وُلد في بيروت. التحق بالفيلق العربي منذ لحظات تأسيسه الأولى في عام 1920، وتسلّم مهمات ومناصب عدة في إمارة شرق الأردن والعراق، وعمل قائدًا للحامية الثانية والأولى العاملة في فلسطين بإمرة الحكومة الاستعمارية فيها. كان قبل انطلاق المرحلة الثانية من الحرب في أيار/مايو 1948 متصرف لواء إربد. عُيّن طيارة حاكمًا عسكريًا لمدينة رام الله وقضائها في 18/5/1948، كما عُيّن لاحقًا حاكمًا عسكريًا للواء نابلس.

(153) نديم السمان: عُيّن، بعد 15/5/1948، حاكمًا عسكريًا لرام الله. وسبق أن رُقّي لرتبة قائد في 1/5/1948: الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 940 (1 نيسان/أبريل 1948)، ص 199. وبعد انتهاء المعارك في فلسطين، عُيّن قائدًا لشرطة العاصمة في عام 1949.

(154) الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 6.

في نصوصه المتأخرة، أثبت الريماوي السياسي الفلسطيني/الأردني بعض ما لم يضمّنه في نصه المبكر، فأشار إلى أنه بعد إيقاف طيارة والسماح للشاحنات، ومنعهما دخولها إلى عمّان، وتوجه الريماوي إلى جسر الشيخ حسين المخصص لذلك، وحديث الريماوي عن عدم إمكان ذلك لتراكم الثلوج⁽¹⁵⁵⁾، جرى اتصال هاتفى طويل بين طيارة والملك عبد الله، وأرسل الملك أحد أصدقائه من تجار عمّان لاستضافة الريماوي. وبعد استضافته ليلة في نادي عمّان، خرج الريماوي ساعياً إلى إدخال المتفجرات، لكنّ العريف المناوب رفض الإذن له، فهمس شخص لم يسمّه في أذنه بأنّ «جلالة الملك في قصره بالشونة، فاذهب وأطلب منه المساعدة». فتوجه الريماوي منفرداً إلى القصر، فاستقبله الملك، فجرى حوار أثبتته الريماوي، ومما جاء فيه:

«قال جلالته: 'ولكنكم تعرفون أنني متفق مع القواقجي بالمرور عن طريق الشيخ حسين، وتصله الإمدادات عن طريقه، بحسب اتفاقنا'. قلت لجلالته: 'ولكنّ الجسر مقفل، فهناك طوفان بسبب الأمطار والثلوج'. قال: 'حسناً، أحضروا السيارات هنا، ونحن سنتدبر أمرها، فأنا لا أريد أن يتخذ الإنجليز حجة من هذه ويغلقوا لنا الجسر، وهو المنفذ الوحيد لنا، بل هو شريان حياة لنا'. قلت له: 'يا سيدنا، ولكن هذه متفجرات قد مضى عليها ثلاثة أيام بلياليها وهي تحت المطر، وأخشى أن تنفجر إحدى السيارات، وهي كافية لتدمير هذه المنطقة بكاملها إلى عمّان'. فسكت، ثم قلت له: 'على أية حال إنّنا ننوي القيام بأعمال ترفع رأس كل عربي، وستسمع بها جلالتك، ومن أولى منك بالجهاد؟ فأنت ابن بنت رسول الله، وأنا قابل أي قرار تتخذه'. فسلمت وتركته، وقبل أن أصل إلى الباب الخارجي للحديقة، وإذا به ينادني قائلاً: 'يا شاب، تعال'. قال: 'إنني سأطلب من عبد القادر الجندي⁽¹⁵⁶⁾ أن يساعد بنقلها بواسطة سيارات

(155) على الأرجح أنّ الأمر مرتبط بارتفاع منسوب الماء، نتيجة ذوبان الثلوج في المناطق الشمالية، إذ إنّ منطقة الأغوار ذات طقس معتدل شتاءً.

(156) عبد القادر باشا عبد المجيد الجندي (1896-1960): وُلد في طرابلس الغرب. درس في دمشق، ثم التحق بالكلية العسكرية في إسطنبول، ليتخرّج في عام 1914 في قسم الفرسان. التحق بالأمير عبد الله بن الشريف حسين عند قدومه إلى الأردن، وكان من مؤسسي الجيش العربي الأردني.

الجيش'. غادرت القصر وعدت إلى الجسر، وقلت لقائد المخفر: 'لقد وافق جلالته على المرور'»⁽¹⁵⁷⁾.

بعد هذا الحوار، أثبت الريماوي دخولهم بالشاحنات، وبرفتهم العريف الذي سبق ورفض السماح لهم بالمرور. بينما تُبرز نصوص الريماوي المتأخرة أن الريماوي المقاتل مارس في نصوصه المبكرة إسكاتًا عن تفاصيل ما جرى من حوار بينه وبين الملك، وعن آلية دخوله إلى الأردن. وتختلف نصوص الريماوي المقاتل عن نصوصه كسياسي فلسطيني/أردني، إذ كان الريماوي هو المبادر للقاء في النصوص الثانية، وكأنّ قصر الملك كان مفتوحًا لكل طارق! أما نصوصه المبكرة، فأكدت أنّ المقابلة تمت بطلب الملك بعد تواصله مع طيارة.

وهذا الاختلاف في الروايتين، يؤشر إلى رغبة الريماوي، في نصوصه المبكرة، في إسكات أي حوار أو حدث من الممكن أن يسهم في تحسين صورة الملك عبد الله، ويظهره بمظهر المتعاون مع قوة الجهاد المقدس، الأمر الذي لا يتفق مع السرديات التاريخية التي كانت تُشاع آنذاك من الهيئة العربية العليا وأنصارها، ومما لا يتفق مع نظرة الريماوي العدائية للنظام الأردني. كما يؤشر إلى رغبة الريماوي، في نصوصه المتأخرة، في إثبات جميع ما قد يسهم في تحسين صورة الملك، ويُظهر حضور الريماوي البارز. ولا يقتصر الإثبات المتأخر على بيان وطنية الملك، وإثما يشمله ليُظهر وطنية الأردنيين عمومًا، من تجارهم وأعيانهم إلى العريف المرابط على الحدود، والذي هدّد بالسلاح، ووفقًا للنصوص المبكرة، وصحبهم إلى أن دخلت الشاحنات بأمان في النصوص المتأخرة. وهذا الإثبات لكيفية تعاظمي مجمل الأردنيين مع الحرب، وكوادر الجهاد المقدس، مما أسكته الريماوي سابقًا.

= خلال حرب 1947-1949، كان أبرز قادة الجيش العربي من العرب. شغل عضوية لجنة فلسطين التي أسستها جامعة الدول العربية في شباط/فبراير 1948، مندوبًا عن الأردن.

(157) قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (6)»، الدستور،

باستشهاد الحسيني، لا تتقطع صلة الريماوي بالأردن، إذ أثبت في تقريره المخطوط إشارة إلى اجتماعه مع الملك عبد الله من جديد في أيار/ مايو 1948، بعد عودته وكامل عريقات من دمشق [.....]. ويسكت الريماوي عمّا جرى في الاجتماع، ويقتصر على أنّ الملك تحدّث عن دخوله القدس في 16 أيار/ مايو 1948. وأثبت الريماوي في تقريره أنّ محافظ العاصمة، قبل الاجتماع، أخذ يتفوّه ببعض الكلمات ضدّ الهيئة والمفتي، فانبرى له بالقول: «إن تفوّه ملكك بأية كلمة على المفتي أو الهيئة فإنني سأجابه بما لا يرضاه». لكنّ الريماوي في نصوصه المتأخّرة يثبت ما سكت عنه من تفصيلات الاجتماع، مظهرًا صورة إيجابية للملك عبد الله وموقفه من الحرب.

ويخفف الريماوي السياسي الفلسطيني/الأردني من حدة ما أثبتته في نصوص الريماوي المقاتل، فينقل حواراه مع محافظ عمّان بقوله: «اسمع يا قاسم، إنني أكلمك بكل إخلاص، إنّ جلالته الملك ينوي التضحية بكل شيء من أجل القدس، وإنّه مخلص في هذا الوقت، وأنت تعرف بأنّ علاقته مع المفتي [الحاج محمد أمين الحسيني] ليست على ما يرام، فأرجو مراعاة هذه الناحية». قلت له: 'إنك تعلم بأننا مقاتلون، ولا همّ لنا إلا الحصول على الذخيرة والسلاح للمجاهدين، ونحن على استعداد لتقديم أرواحنا في سبيل الله، وفي الدفاع عن بلادنا المقدسة، وكل ما أرجوه أن لا نتعرّض لإحراجات حول علاقة المفتي وغيره بجلالة الملك، فهذا ليس من شأننا في شيء'»⁽¹⁵⁸⁾.

وبهذا، يتضح من النماذج المقدّمة سابقًا، تغيير سردية الريماوي كسياسي فلسطيني/أردني عن سرديته كمقاتل، عند الحديث عن الأردن، نظامًا وملكًا، وكذلك عند الحديث عن أدوار بعض الأردنيين؛ إذ مارس الريماوي إسكأتًا/إثباتًا، وفقًا لمواقفه السياسية وطبيعة نصوصه المبكّرة والمتأخّرة. ولن يقتصر ذلك على موقفه من الأردن وبعض أهالي شرق الأردن قبل 15 أيار/ مايو

(158) قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (12)»، الدستور،

1948، وإنما سيعمد الريماوي السياسي الفلسطيني/الأردني إلى ممارسة إسكات أبلغ وأعمق في نصوصه المتأخرة، يمحو فيه وقائع مرحلة أساسية من حياته كمقاتل، لتقيده بالوقائع والتحويلات السياسية والاجتماعية التي عاشها شخصياً، ومرّت بها بقية فلسطين عمومًا، بعد اكتمال أركان الهزيمة، وإنهاء أي وجود للمقاتلين الفلسطينيين. لاحقًا إضاءة على هذا الجانب من الإسكات/الإثبات.

إسكات/إثبات: عن إنهاء الجهاد المقدس و«الضم»

«لقد تخلّى جيش التحرير العربي [جيش الإنقاذ] عن المهمة التي اضطلع بها في بضعة الشهور الماضية، وانتقلت هذه المهمة الآن إلى الجيوش العربية النظامية، وبهذا تعدّ قوات جيش التحرير منحلّة. وكانت الهيئة العربية العليا قد فرضت في الماضي فرضًا على أهل فلسطين. وعمل دولة جميل مردم بك⁽¹⁵⁹⁾، وزملاؤه من أعضاء الجامعة العربية، على إلزام عرب فلسطين بالتعاون معها، ولكنها لم تعد تُرضي شعب فلسطين بجملته، إذ المعروف أنّ سياستها أسفرت عن جلب كل هذه الكوارث على فلسطين. ولكنّي مع هذا أودّ أن أصرّح بأنّها كانت مخلصّة النية في ما فعلته، وليس لها الآن أن تتدخل في شؤون فلسطين، ويجب أن يعدّ [مندوبوها] في هيئة الأمم المتحدة أنفسهم غير ممثلين لعرب فلسطين بعد الآن»⁽¹⁶⁰⁾.

(159) جميل مردم بك (1893-1960): وُلد في دمشق. أكمل دراسته العليا في سويسرا في مجال القانون والعلوم السياسية. انضم إلى منظمة العربية الفتاة في باريس، وشغل منصب سكرتير المؤتمر العربي الأول في باريس في حزيران/يونيو 1913. عمل مستشارًا للملك فيصل، وعُرف بميوله الإقليمية خلال فترة الحكم العربي. في خلال الحكم الاستعماري الفرنسي لسورية، شغل عضوية الجمعية التأسيسية، وألّف حكومة برئاسته، بعد معاهدة 9 أيلول/سبتمبر 1936. شغل لاحقًا عددًا من المناصب الوزارية في الحكومات التالية. انتُخب نائبًا عن مدينة دمشق في تموز/يوليو 1947، وشكّل الوزارة للمرة الثالثة في السادس من تشرين الأول/أكتوبر 1947. تسلم وزارة الدفاع بعد استقالة أحمد الشرباتي منها، في 23 أيار/مايو 1948. اعتزل الحياة السياسية بعد إعلان الوحدة مع مصر، وسافر إلى أوروبا حيث توفي هناك.

(160) «ماذا بعد هذا؟»، الإخوان المسلمون، 12/5/1948، ص 1.

صدر هذا التصريح المنسوب إلى الملك عبد الله بن الحسين في 11 أيار/ مايو 1948، والذي نقلته عنه وكالة الأنباء العربية في أثناء اشتداد المعارك في عموم فلسطين، وبعد فقدان الفلسطينيين معظم مدنها المركزية التي انهار بسقوطها جزء كبير من التشكيلات العسكرية الفلسطينية التي أُسست ثم نضجت على مدار أشهر الاشتباك في مرحلة الحرب الأولى (كانون الأول/ ديسمبر 1947 - أيار/ مايو 1948)، وقبل أيام محدودة من اكتمال جلاء المستعمر البريطاني عن فلسطين، ودخول الجيوش العربية إليها. مهّد هذا التصريح الذي أكده الديوان الملكي ببرقية أرسلت إلى صحيفة الأهرام في 13 أيار/ مايو 1948⁽¹⁶¹⁾، وستؤكد الوقائع على الأرض وتصريحات ملكية وأردنية⁽¹⁶²⁾، لما سيجري في المراحل التالية من الحرب، والتي ستصبح سمتها الأبرز عسكرياً انحسار الفعل العسكري الفلسطيني، وتقيده بسقف الجيوش العربية وقرارها.

بدخول الجيوش العربية إلى فلسطين، سيطر الجيش الأردني على مناطق وجود الجهاد المقدس في القطاع الشرقي من المنطقة الوسطى، فسيطر أولاً على مناطق القدس ورام الله، واستكمل لاحقاً سيطرته الكلية على مناطق بيت لحم والخليل، بعد انسحاب قوات الجيش المصري منها. وفرض الأردن سلطة حكم عسكري على المناطق الخاضعة لقواته منذ أيار/ مايو 1948، أتبعها بإجراءات عملية على الأرض، تجاوزت صلاحيات الحكم العسكري التي فرضتها الجيوش العربية الأخرى، وفُهم منها وجود رغبة أردنية بالسيطرة الكاملة على بقية فلسطين، وإتباعها للمملكة الأردنية الهاشمية، بدعم بريطاني⁽¹⁶³⁾، وموافقة أولية

(161) «بيان الملك عبد الله صحيح وليس مدسوساً»، الإخوان المسلمون، 14/5/1948،

ص 2.

(162) من التصريحات، تأكيد الملك على ضرورة حلّ الهيئة العربية العليا من قبل جامعة الدول العربية، كما حلها هو في ضوء الحالة التاريخية الراهنة: الجزيرة، 26/5/1948، ص 2. ويُنظر: «تقرير الوزير الأردني المفوض ببيروت، فرحان شبيلات، إلى وزير الخارجية الأردنية»، بتاريخ 8 حزيران/ يونيو 1948 في: البخيت، الوثائق الهاشمية، فلسطين، مج 5، القسم 4، ص 328.

(163) أبرز ملامح هذا الدعم ما جرى في لقاء رئيس وزراء الأردن توفيق أبو الهدى، ووزير الخارجية البريطاني إرنست بيفن (Ernest Bevin)، خلال سفر أبو الهدى لبحث تعديل المعاهدة الأردنية - البريطانية بين كانون الثاني/يناير وشباط/فبراير 1948، والذي أقرّ فيه بيفن احتلال الأردن الجزء =

صهيونية⁽¹⁶⁴⁾، تلتها موافقة أولية أميركية⁽¹⁶⁵⁾. وهذا ما ثبت رسمياً بعد الإعلان عن ضم بقية فلسطين إلى المملكة في 24 نيسان/ أبريل 1950.

لم يحظ بكثير من الاهتمام البحثي، موقف القوات الفلسطينية - التي كانت تخضع بشكل مباشر للهيئة العربية العليا - من المملكة الأردنية الهاشمية؛ ملكها وجيشها، قبل أيار/ مايو وبعده. وكذلك موقفها من الخطوات التدريجية التي اتخذها الأردن لإتباع بقية فلسطين للمملكة، كما موقف عموم الفلسطينيين من «الضم»، على الرغم من الأثر الكبير لذلك في مستقبل فلسطين

=المخصص للعرب من أرض فلسطين. يُنظر تفصيلات هذا الاجتماع في: John Bagot Glubb, *A Soldier with the Arabs* (London: Hodder & Stoughton, 1957), pp. 62-66.

مقارناً بدفاع أردني عن موقف المملكة في: الموسى، ص 88-90.
(164) وُقِع اتفاق أولي بين الحركة الصهيونية والملك عبد الله بن الحسين، وهو اتفاق أُثير حوله وحول مدى الالتزام الأردني والصهيوني به الكثير. لكن من الواضح أنّ القيادة الصهيونية لم تأخذ بعين الاعتبار، خصوصاً بعد أيار/ مايو 1948، وإنما تركت للقوة العسكرية أن تأخذ زمام المبادرة. ومن الممكن أنّ الملك عبد الله كان سيعيد النظر فيه، لو كانت نتائج تدخل الجيوش العربية مغيرة لما حدث. ولعل هذا ما فهمه بن غوريون من حديث الملك مع مبعوثة الحركة الصهيونية، غولدا مائير في 11 أيار/ مايو 1948: دافيد بن غوريون، يوميات الحرب، حرب الاستقلال 1947-1949 [بالعبرية]، غيرشون ريفلين وإلحانان أوران (محرران) (تل أبيب: جمعية نشر تعاليم دافيد بن غوريون؛ دار نشر وزارة الدفاع، 1984)، مج 1، ص 409؛ غولدا مائير، حياتي (عمّان: دار الجليل، 1989)، ص 172-175.
وللتفصيلات، يُنظر دراسة تدعم هذا الرأي، علماً بأنّ هذه الدراسة، وجل الدراسات المهمة التي تعالج المسألة، بُنيت من وجهة نظر صهيونية - بريطانية، بعيداً عن الرواية الرسمية الأردنية التي لم تخرج: Avraham Sela, «Transjordan, Israel, and the 1948 War: Myth, Historiography, and Reality», *Middle Eastern Studies*, 28 (October 1992), pp. 623-688.

ومداخلة آفي شليم في دراسته المفصلة، والذي يؤكد على حفظ الملك عبد الله للعهد الذي وقّعه: Avi Shlaim, *Collusion Across the Jordan: King Abdullah, the Zionist Movement and the Partition of Palestine* (New York: Columbia University Press, 1988).

مقارناً ب: Efraim Karsh, «The Collusion That Never Was: King Abdallah, the Jewish Agency and the Partition of Palestine», *Journal of Contemporary History*, vol. 34, no. 4 (October 1999), pp. 569-585; Benny Morris, *The Road to Jerusalem: Glubb Pasha, Palestine, and the Jews* (New York: I. B. Tauris, 2003), pp. 102-104.

(165) في ملاحظة لافتة، تشير هَبّ في تأريخها لجذور العلاقات الأميركية - الأردنية، أن شريت استغل الاتفاق المنعقد بين عبد الله ومائير للتخفيف من المخاوف الأميركية التي ساهمت في سعي وزارة الخارجية الأميركية لإعادة النظر في الموافقة على قرار التقسيم، والتوجه إلى إقرار وصاية مؤقتة على فلسطين: Clea Lutz Hupp, *The United States and Jordan Middle East Diplomacy during the Cold War* (New York: I. B. Tauris, 2014), pp.19-20.

أولاً، واحتمالية تأثيره على استمرارية المقاومة الفلسطينية المسلّحة كفعل منظم، مع استثناءات محدودة جاءت في سياقات مختلفة، أبرزها كتابات أبناء بقية عصبة التحرر الوطني الذين أبرزوا اعتراض بقية العصبة على «الضم»⁽¹⁶⁶⁾، وكتابات بعض الشخصيات المعارضة للنظام الأردني آنذاك⁽¹⁶⁷⁾، وكذلك بعض الكتابات البحثية التي أتت إثر حوادث أيلول/سبتمبر 1970، وصراع منظمة التحرير الفلسطينية مع النظام الأردني⁽¹⁶⁸⁾.

مصدر هذا الغياب الأساسي قد يُردّ إلى أسباب عدة، أبرزها غياب المصادر الأولية التي تقدّم سردية المقاتلين الفلسطينيين، وكذلك التحولات التي طرأت على بعض أبناء هذه التجربة، من مقاتلين وقادة، والتي انعكست إسكائاً على سرديتهم التاريخية، وتهميشاً لهذه المرحلة المهمة من تجربتهم، وتجربة الحرب. لهذا، فإنّ نصوص قاسم الريماوي المبكرة تقدّم إضافة نوعية في هذا الجانب، كانت ستؤاد لو اختفت واقتصرت الأمر على نصوص الريماوي

(166) عارض أبناء عصبة التحرر الوطني، ممن سيطروا على اسم العصبة وقرارها بالفعل، بعد انقسامات داخلية حادة في صفوفها خلال عام 1948، دخول الجيوش العربية إلى فلسطين، ومن ثمّ عارض من بقي منهم في مناطق السيطرة الأردنية في فلسطين المساعي الأردنية لضم بقية فلسطين إلى المملكة، ووثق بعضهم هذا المقاومة في نصوص مذكرات منها: عودة الأشهب، تذكرات عودة الأشهب، تقديم عبد الرحيم مدور، إشراف سليمان راضي (بيروت: جامعة بيرزيت - مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني، 1999)، ص 121-123؛ فائق ورا، مذكرات فائق ورا: خمسون عامًا من النضال، أحمد رفيق عوض وسميح شبيب (محرران) (رام الله: منشورات حزب الشعب الفلسطيني، 2005)، ص 37-51؛ نعيم الأشهب، دروب الأمل دروب الأمل سيرة ذاتية (رام الله: دار التنوير للنشر والترجمة والتوزيع/ دار البيرق العربي للنشر والتوزيع، 2009)، ص 52-68؛ عبد العزيز العطي، رحلة العمر من شاطئ غزة إلى صحراء الجفر (عمّان: [نشر خاص]، 2012)، ص 70-89.

(167) من أبرزها مذكرات الضابط الأردني، وحاكم القدس العسكري السابق، عبد الله التل: عبد الله التل، كارثة فلسطين مذكرات عبد الله التل قائد معركة القدس، ط 2 (كفر قرع: دار الهدى، 1990)، ص 367-406، 581-583.

(168) من أبرزها: عصام سخيني، «ضم فلسطين الوسطى الى شرق الأردن 1948-1950»، شؤون فلسطينية، العدد 40 (كانون الأول/ديسمبر 1974)، ص 56-83. وسبق حرب حزيران/يونيو 1967 خلاف مصري - أردني، انبثقت في جوه نصوص تطرّقت للضم بشكل جزئي، منها: جمال حمدان، «الأردن دولة: دراسة في الجغرافيا السياسية»، الكاتب، العدد 70 (كانون الثاني/يناير 1967)، ص 21-40.

المتأخرة؛ إذ تعدّ نصوص الريماوي المبكرة مصدرًا رئيسًا كاشفًا لجزء أساسي من هذه التجربة. كما أنّها، بمقارنتها مع نصوصه المتأخرة، تعدّ في إسكاتها أو إثباتها نموذجًا لأثر التحولات السياسية التي عاشها أبناء هذه التجربة في سردياتهم التاريخية عن هذه المرحلة.

«كان اللقاء في الله هو أول لقاء تم بين الشعبين، وكانت لحمة التضحية بالنفس والنفيس، ومبدأ الإيمان بالله، والثورة لكرامة الأمة العربية، والدفاع عن الحريات والأعراض والوطن. لقد سبقت هذه الوحدة في الجهاد، وحادّة الحكم التي جاءت معلنة وصاهرة وحادّة الشعبين اللذين هما في الحقيقة والتاريخ والواقع شعب واحد»⁽¹⁶⁹⁾.

هذا ملخص الموقف الذي أثبته قاسم الريماوي عن «الضم»، أو «وحدة الحكم»، كما في النص السابق. ويشير النص إلى أنّ هذه الوحدة أتت تويجًا لوحدة في ميدان الجهاد في الحرب. ولم يكن هذا النص أول إثبات لموقف الريماوي كسياسي فلسطيني/أردني من «الضم»، إذ عكس تصريح سابق لتدوين الريماوي نصوصه المتأخرة عن الجهاد المقدس أول إعلان مسجّل لهذا الموقف. ففي أواخر آذار/مارس 1960، أعلن الأردن إفشال محاولة لاغتيال رئيس وزرائه هزاع المجالي، والشريف ناصر بن جميل، بأمر من القيادي البعثي عبد الله الريماوي⁽¹⁷⁰⁾. إثر ذلك، توجه وفد من آل الريماوي

(169) الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (3)»، ص 4.

(170) عبد الله محمد الريماوي (1920-1980): وُلد في قرية بيت ريماء قضاء رام الله. درس العلوم في الجامعة الأمريكية في بيروت، والحقوق في فلسطين. عمل، قبل حرب 1947-1949، في المعارف وفي السفارة البريطانية في جدة، ثم عمل في الهيئة العربية العليا. في أثناء الحرب، نشط في منطقة القدس، وتعاون وعبد الله نعواس مع الحاكم العسكري للقدس عبد الله التل، فأصدر صحيفة البعث. ساهم في تأسيس حزب البعث العربي في الأردن، وانتُخب عضوًا في مجالس النواب الأردنية الثاني والثالث والخامس. مثّل حزب البعث في وزارة سليمان النابلسي التي ألقت كأول حكومة حزبية في تاريخ الأردن في تشرين الأول/أكتوبر 1956 كوزير للخارجية. فُصل من مجلس النواب الخامس، وغادر الأردن لاجئًا إلى سورية فمصر، بعد الانقلاب الملكي على الأحزاب السياسية المعارضة في نيسان/أبريل 1957، واتهام الريماوي وآخرين بالسعي إلى الانقلاب على النظام الملكي. يُنظر: عبد الله الريماوي، من وحي النكستين: الإقليمية الجديدة (بيروت: دار الطليعة، 1970).

إلى الرئيس المجالي لإعلان «استنكار المؤامرة، وإعلان الولاء للحسين». وناب عن الوفد في الحديث، قاسم الريماوي، مسجلاً موقفاً عن «الضم» بقوله: «إنّ دمج الضفتين وتوحيدهما، قد تم كما هو معلوم في عهد المغفور له الملك عبد الله بن الحسين، وكان ذلك بمحض الرغبة والاختيار [...]». إنّ وحدة الصف العربي والوحدة العربية الصحيحة هي غاية الجميع، ورغبة الجميع»⁽¹⁷¹⁾.

لكنّ النصوص المبكرة للريماوي توّشر إلى ممارسته فعل إسكاتٍ في نصوصه المتأخرة، إذ سبق له أن أثبت في نصوصه المبكرة، وخصوصاً تقريره المخطوط، تفصيلات أبرزت أنّ «الضم» لم يكن كما أعلن الريماوي السياسي الفلسطيني/الأردني. ويشكّل تقرير الريماوي المخطوط، بما أثبتته عن هذا الجانب، إضافة نوعية إلى السرديات التاريخية المتعلقة بالحرب، وفي العلاقات الفلسطينية - الأردنية، في المرحلة التالية لدخول الجيوش العربية إلى فلسطين، بعد 15 أيار/ مايو 1948، وفي العلاقات البينية بين قيادات الجهاد المقدس في مراكزه المختلفة.

يعرض الريماوي في تقريره الفعل الأردني لإنهاء المقاتلين الفلسطينيين، والتمهيد لـ «الضم»، في سياق حديثه عن دوره في تعزيز مكانة الهيئة العربية العليا كممثل للفلسطينيين، وإفشال الآخرين له بإيجادهم ترتيبات حالت بين الريماوي وقيام سيادة مطلقة للهيئة في فلسطين، أو على الأقل، الإبقاء على بعض الخلايا لتستخدم كسلاح في يدها، والارتكاز عليها في الأعمال المقبلة، ولتكون نواة للتحرير المنشود، بحسب تعبير الريماوي⁽¹⁷²⁾.

كان أول ما أثبتته الريماوي في نص تقريره، أنه مع دخول الجيش الأردني، صدرت الأوامر لقواته بالانسحاب من منطقة باب الواد، في مؤشر على بدء تقييد الفعل العسكري لقوة الجهاد المقدس⁽¹⁷³⁾. وأثبت الريماوي تفصيلات

(171) فلسطين، 4/7/1960، ص 1، 4.

(172) الريماوي، «تقرير»، ص 1.

(173) الريماوي، «تقرير»، ص 17.

مساعٍ للاستفادة من وجود القوات العراقية، لتجاوز القيد الأردني، خصوصاً بعد إقناعه قيادة الجيش العراقي بوجوب إرسال فوج من قواتها إلى المنطقة الجبلية المقابلة لجوار منطقة اللد والرملة التي سقطت في تموز/يوليو 1948، إذ عقد الريماوي اجتماعاً مع وجهاء منطقة رام الله، أعلن فيه التجنيد الإجباري، بعد تمرکز القوة العراقية في قرية دير نظام⁽¹⁷⁴⁾، إحدى قرى قضاء رام الله، تمهيداً لتشكيل قوة عسكرية دائمة، لتعزيز قوة الجهاد المقدس النظامية في مركز بيرزيت، بهدف الإعداد لتحرير منطقة اللد والرملة، بتعاون مع القوات العراقية، وهو ما لم يتم، لأن القيادة العامة في الزرقاء، وفقاً للريماوي، وبتأثير من الملك عبد الله⁽¹⁷⁵⁾، منعت الهجوم، فاكْتَفَى بالدفاع عن المنطقة على طول خمسة وثلاثين كيلومتراً، في المرتفعات بين قريتي بيت نبالا وكفر قاسم⁽¹⁷⁶⁾.

ارتبط موضع التوتر الثاني، بين الجيش الأردني وقوة الجهاد المقدس بقيادة الريماوي، بعمليات شراء السلاح من السكان المحليين، حيث أثبت الريماوي في نص تقريره أنه بعد تمام مؤامرة الجيش العربي بتسليم اللد والرملة والمنطقة الساحلية، وتشتيت أهلها⁽¹⁷⁷⁾ - وهو اتهام مضمّر دون ذكر

(174) بعد سقوط اللد والرملة، تحرك الفوج الأول من اللواء الرابع عشر التابع لجحفل اللواء الثالث، وكان أمره المقدم الركن محمود المهدي، في 17/7/1948، من بلدة دير شرف إلى بيرزيت مقر قيادة الجهاد المقدس، ثم تحرك منها صباح اليوم التالي إلى بلدة دير نظام بهدف تشكيل سائر للجناح الجنوبي من مواقع الجيش العراقي بعد انكشافها، إثر سقوط اللد والرملة وقريتي قولة والمزيرة. يُنظر: سعيد، ج 2، ص 65. وينظر: الجبوري، ص 284-285.

(175) لم يستخدم الريماوي إلا اسم عبد الله، نازعاً عنه لقب «الملك»، مع الإشارة إلى أنّ الريماوي في نصوصه المبكرة، خصوصاً في تقريره، استخدم اسم عبد الله بشكل مجرد معظم الوقت، ولم يُضَف إليه، إلا أحياناً، لقب «الملك». وهذا يختلف عن نصوص الريماوي المتأخرة، إذ تحدث فيها عن «المغفور له الملك عبد الله»، أو «جلالة الملك عبد الله».

(176) الريماوي، «تقرير»، ص 26-27. ومحاولة تحرير اللد والرملة وجوارهما، مما انفرد الريماوي بتفصيله عن مساعٍ لفعل عسكري فلسطيني مضاد للهجرات الصهيونية المتتالية. وتوجد مؤشرات في مصادر أولية أخرى تؤكد صحة ما قدّمه الريماوي: بن غوريون، مج 3، ص 762؛ زكي حسن المصري، حديث الذكريات فصول وترجمة ذاتية منذ عام 1994-36 (رام الله: [نشر خاص]، 1994)، ص 37-38.

(177) الريماوي، «تقرير»، ص 17-18.

لأي تفصيل - والتي ترافقت مع الفوضى المنتشرة في صفوف المجاهدين في المنطقة بعد استشهاد قائدهم حسن سلامة، وعدم تدارك الهيئة العربية العليا للموقف بتعيين خلف له - وترافقت كذلك مع حجب بعض الوجهاء لقسم من الأسلحة والتموين - بعد ذلك كله، اغتنم غلوب باشا (أبو حنيك)، قائد الجيش الأردني، فرصة عوز المهاجرين، فنشر رجاله من البدو لشراء الأسلحة بأرخص الأثمان.

وأثبت الريماوي في هذا السياق إشارة إلى صدور الأوامر من القاهرة، مقر قيادة الهيئة العربية العليا آنذاك، بعد تواصله معها، بضرورة محاربة بيع الأسلحة ومنعها⁽¹⁷⁸⁾. ويظهر مما أثبتته الريماوي أنه كان مدرّكاً لخطورة هذه المسألة على قوة المقاتلين الفلسطينيين؛ فكما أثبت الريماوي في عموم نصوصه المبكرة والمتأخرة، فإنّ القوة الرئيسة للجهاد المقدس لم تكن القوة النظامية، وإنّما «الفرعات» التي تتداعى للمشاركة في المعارك عند كل احتياج أو نداء، وكان مصدر تسليح مقاتلي «الفرعات» السلاح المحلي الذي وُجّه غلوب لشرائه.

أثبت الريماوي في نص تقريره تفصيلات ما قام به لمواجهة سياسة شراء السلاح المحلي، وهو الفعل الذي لم يلق دعماً من مقرّ القيادة العامة للجهاد المقدس في القدس، على الرغم من أنّ القيادة، وفقاً للريماوي، كانت من القوة التي لو ترافقت مع بعض الحزم لتمكّنت من السيطرة على الموقف، واستغلال جهل قادة الجيش الأردني بالمنطقة، وانعدام الكفاءات الشخصية عندهم، لصالحها، ولتوجيهها حيث تريد⁽¹⁷⁹⁾.

وفي تفصيل فعله، أثبت الريماوي أنّ خطته قامت على نشر مفارز من الانضباط التابع لقوته في قرى نعلين ورننيس⁽¹⁸⁰⁾ وبيريزيت ودير عمار، وهي

(178) المرجع نفسه، ص 18.

(179) المرجع نفسه، ص 18.

(180) قرية رننيس: تقع إلى الشمال الشرقي من اللد. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 1,280 شخصاً. أصبحت من قرى خطوط المواجهة الأولى، بعد احتلال اللد والرملة والقرى الواقعة بينهما وبين رننيس (تموز/ يوليو 1948). للمزيد، يُنظر: الدباغ، بلادنا، ج 5، ص 403-404.

من قرى قضاء رام الله، وأمرهم بإلقاء القبض على كل من يبيع أو يشتري السلاح، وترافق ذلك مع إرساله رسالة إلى أحمد صدقي الجندي⁽¹⁸¹⁾، قائد اللواء الرابع الذي اتخذ من رام الله مستقرًا له، يخبره فيها بسوء عاقبة تجريد أهالي فلسطين من السلاح ونقله إلى خارجها، وأن ذلك مغاير للسياسة العربية العامة⁽¹⁸²⁾.

ووفقًا للريماوي، فإن مفارز الانضباط أخذت تطارد البدو والأهالي من تجار السلاح، وتودعهم في السجن في بيرزيت، حيث يتعرضون للعباب والجلد، ودفع الغرامات. وأثبت الريماوي أيضًا قيامهم بقتل رئيس حركة شراء الأسلحة، ودفن جثته في مقر الجيش العراقي، لكنه لا يورد أي تفاصيل عن شخصه. وأثبت كذلك قيام فرق الانضباط باقتحام مركز قيادة الجيش الأردني في المنطقة لإلقاء القبض على بعض التجار المفوضين من الجيش⁽¹⁸³⁾.

شكّلت قضية قتل رئيس حركة الشراء مدخلًا للاعتراض على الدور الإداري الذي بدأ الجيش الأردني ممارسته في المناطق التي يسيطر عليها. فوفقًا للريماوي، حضر قائد شرطة رام الله المعين من السلطات الأردنية، محمود الهباب⁽¹⁸⁴⁾، رفقة قائد من الجيش العراقي إلى بيرزيت للتحقيق في القضية، فطرده الريماوي وأعلمه بعدم اعترافهم بالسلطة الإدارية التي يمثلها،

(181) أحمد صدقي بك الجندي (1899-1979): تخرّج في الكلية الحربية في العراق. التحق بالجيش العربي وساهم في تأسيسه. خلال الاستعمار البريطاني لفلسطين، وإبان الحرب العالمية الثانية قاد القائمقام الجندي الحامية الأولى من سرايا الأمن والتي خدمت في فلسطين. وبعد الحرب، قاد الجندي سرايا الأمن في فلسطين المستقرة في حيفا وصرفند عمومًا. في أواخر عام 1947، انتقلت قيادة سرايا الأمن، وعلى رأسها الجندي، إلى رام الله. ومع بدء إعادة تنظيم قوات الجيش العربي الأردني بعد قرار المستعمر البريطاني الجلاء عن فلسطين، عُيّن قائدًا اللواء الرابع الذي شارك في معارك فلسطين الوسطى، بعد جلاء المستعمر البريطاني في 15 أيار/ مايو 1948.

(182) المرجع نفسه، ص 19.

(183) المرجع نفسه، ص 19-20.

(184) محمود الهباب: من مواليد يافا. قائد شرطة رام الله في ظل الإدارة الأردنية بعد 15 أيار/

مايو 1948. عمل سابقًا في الشرطة الانتدابية.

وأنّ هذا ليس من حقهم لأنهم ليسوا حكومة شرعية في البلاد، وأنّ مسؤوليّة جيشهم تقتصر على إدارة الحرب فحسب⁽¹⁸⁵⁾.

وبعد فشل الهباب كان التوجيه الملكي، كما يفيد الريماوي، إلى الحاكم العسكري بهجت طبارة - الذي عُيّن في 18 أيار/ مايو 1948 حاكمًا عسكريًا لمنطقة رام الله - بضرورة وقف الملاحقات التي تقوم بها قوة الجهاد المقدس، ولذلك توجه طبارة إلى مقرّ اللجنة القومية، حيث كان الريماوي مجتمعًا معها لبحث موضوع الدفاع عن المنطقة، فرفض الريماوي مصافحته، على الرغم من معرفتهما السابقة. وعلّل الريماوي لطبارة ذلك بأنّه لا يقرّ صفته الرسمية كحاكم للمنطقة. ويضيف الريماوي بأنّ طبارة اهتم بلقائه، ولكن بعد رفض الريماوي، وإرساله موسى شيبان⁽¹⁸⁶⁾، أحد قادة الجهاد المقدس ليلتيه، أخبره طبارة بوجود أمر بإلقاء القبض على الريماوي، وفُضّ قوة الجهاد المقدس. لكنّ طبارة رفض ذلك مشيدًا بأعمال الجهاد المقدس، ومبيّنًا قوة تعلق الأهالي بهم، واستحالة مقاومتهم، كما أنه هدد بالاستقالة حال عدم الأخذ برأيه، وهو ما جرى لاحقًا⁽¹⁸⁷⁾.

سيحتل النزاع على الدور الإداري للجيش الأردني، والشخصيات المحلية المعيّنة من السلطات الأردنية، موقعًا أساسيًا في معارضة قوة الجهاد المقدس في بيرزيت للسياسة الأردنية. فبعد استقالة طبارة، أشار الريماوي إلى بدء خلاف جديد مع مساعد الحاكم العسكري لمنطقة رام الله، عزمي النشاشيبي⁽¹⁸⁸⁾، (عُيّن في 27 أيار/ مايو 1948). وأساس هذا الخلاف استدعاء

(185) المرجع نفسه، ص 20.

(186) موسى شيبان البيرودي (1912-1958): وُلد في قرية يبرود قضاء رام الله. درس في كلية الروضة في القدس. نشط في فرق الفتوة، ثم التحق بقوة الجهاد المقدس، وكان من أبرز قادة مقرّ القيادة في بلدة بيرزيت. بعد الهزيمة، اعتُقل في الأردن بسبب نشاطه السابق في الجهاد المقدس، بعد اغتيال الملك عبد الله في عام 1951، واعتُقل ثانية هو ومحمود أبو الخير ومحمد النوباني من القادة السابقين للجهاد المقدس، لاتهامهم بنشاط فدائي عام 1953، وحكم بالسجن مدة 12 عامًا، لكن أُطلق سراحه بعد ضغوط شعبية. بعد نيسان/ أبريل 1957، وُضع تحت الإقامة الجبرية، ومُنع من السفر.

(187) المرجع نفسه، ص 20-21.

(188) عزمي النشاشيبي (1903-1995): وُلد في القدس، وتلقّى تعليمه الأساسي في =

النشاشيبي كاتب إيصالات الغرامات التي يصدرها الجهاد المقدس في بيرزيت، وإبلاغه ممانعته أخذ رسوم وإصدار إيصالات رسمية، لِمَا في ذلك من إشارة إلى وجود سلطتين في البلاد، فكان ردّ الكاتب: «لو كان فيك شرف كفلسطيني، يجب أن تنزع هذه التيجان والنجوم، وتلتحق بقيادة الجهاد المقدس»⁽¹⁸⁹⁾.

ووفقاً للريماوي، سيعتزل النشاشيبي العمل العسكري، وسيتفرغ للإشراف على الإذاعة، لقناعته بفشل مهمته⁽¹⁹⁰⁾. لكنّ الخلاف سيستمر، ويتصدره في المرحلة التالية الخلاف مع عارف العارف، فالعارف الذي كان قائمقام المنطقة لحظة جلاء المستعمر البريطاني، حاول كما يثبت الريماوي تنفيذ رغبات الملك عبد الله، بإرساله للجُباة لجمع الضرائب من القرى، محاولاً الاستفادة من نشاطه الإداري السابق للوجود الأردني لتنفيذ مشروعات الحكومة الأردنية، فتوجّه الريماوي لبلدة دورا القرع التي بدأ بالتحصيل منها وطرده الجُباة، معلناً

إسطنبول. حصل على درجة البكالوريوس في الآداب والفلسفة من الجامعة الأمريكية في بيروت في عام 1925، ودرجة البكالوريوس في الصحافة والعلوم السياسية من جامعة لندن في عام 1930. عمل محرراً صحافياً في صحيفة فلسطين بنسختها الإنكليزية، وعمل مع الحكومة الاستعمارية ملحقاً إعلامياً للتقنصلية البريطانية العامة في بيروت في عام 1938، ثم مديراً لمكتب الأخبار في يافا في عام 1940، ومديرًا لـ «الإذاعة العربية» في القدس في عام 1944. وبعد دخول الجيش العربي الأردني إلى فلسطين في 15 أيار/ مايو 1948، عُيّن النشاشيبي مشرفاً على محطة الإذاعة، ومساعدًا للحاكم العسكري في مدينة رام الله مقرّ الإذاعة، في 27 أيار/ مايو: محمد عدنان البخيت (إشراف)، الوثائق الهاشمية أوراق عبد الله بن الحسين، الإدارة الأردنية في فلسطين 1948-1951، مج 6 (عمّان: مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام - الجامعة الأردنية، 1995)، ص 52-53.

(189) المرجع نفسه، ص 21.

(190) المرجع نفسه، ص 21. ونشرت الجريدة الرسمية قرار الملك عبد الله إنهاء خدمة النشاشيبي كمساعد للحاكم العسكري في رام الله: الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 967 (1 كانون الثاني/يناير 1949)، ص 2. وبين كتاب رئيس الوزراء، توفيق أبو الهدى، في 27 تشرين الثاني/ نوفمبر 1948، إلى رئيس الديوان الملكي، بعض خلفيات هذا القرار. ففي كتابه، يشير أبو الهدى إلى عدم الحاجة إلى إبقاء وضع مساعد الحاكم العسكري في رام الله على ما كان عليه، خصوصاً في ظل غياب النشاشيبي الدائم عن مركز عمله، كما ينقل أبو الهدى عن الحاكم العسكري العام: محمد عدنان البخيت (إشراف)، الوثائق الهاشمية أوراق عبد الله بن الحسين، الإدارة الأردنية في فلسطين 1948-1951، مج 6 (عمّان: مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام - الجامعة الأردنية، 1995)، ص 78. وقد توجي هذه الوثيقة بوجود خلاف بين الحاكم العسكري العام عمر مطر والنشاشيبي.

للسكان ضرورة عدم دفع أي قرش، لأنّ حكومة شرق الأردن لا يحق لها جمع الضرائب، فهي حكومة غير شرعية⁽¹⁹¹⁾.

لن يقتصر اعتراض الريماوي على ذلك، إذ أثبت أنه أرسل قوة مسلّحة إلى منزل العارف لتنذره بأن يقلع عن معاونة السلطات الأردنية، وفقاً لتعبيرات الريماوي، وأن يضع مشروع الجباية على الرف. كما هدد العارف، إذا ما طلب هو وأعوانه من الأهالي رفع مضابط الولاء للملك عبد الله، فإنّه سيطلق عليه النار⁽¹⁹²⁾. وأثبت الريماوي أنه في اليوم التالي، عُقد اجتماع للجنة القومية، وحضره أركان الجهاد المقدس في القدس، بناءً على دعوة الريماوي، وكذلك العارف. تحدّث العارف في الاجتماع عن وطنيته من دون أي اعتراض من الحضور. لكنّ الريماوي، كما أثبت في نص تقريره، انبرى له متهمًا إياه بخيانة وطنه وبلاده، بسبب عمله مع حكومة شرق الأردن لتثبيت سلطانها ومركزها، وتقاضيه الضرائب والرسوم ليقدمها إليها، وعدم مساعدته في حفظ الأمن الداخلي أو الدفاع عن المنطقة أو تمويل المجاهدين. واتهمه باستغلال رخص المؤن ليتاجر بها ويشتري بعض الوجهاء والنفعيين.

وأشار الريماوي إلى أنّ أساس الخلاف مع العارف عدم اعترافه بشرعية الهيئة العربية العليا، فمصدر شرعية العارف، وفقاً للريماوي، إقرار الهيئة العربية العليا باستمرار المسؤولين المعيّنين من الحكومة الاستعمارية البريطانية في مناصبهم بعد الجلاء، لذا إن أراد الاستمرار في منصبه فعليه أن يخضع لإشراف اللجنة القومية⁽¹⁹³⁾. ووفقاً لما أثبتته الريماوي، فإنّ العارف خرج مباشرة لمقابلة الملك عبد الله، وأخبره بأنّه لا إمكانية لقيام سلطة أردنية في المنطقة بوجود قاسم الريماوي والجهاد المقدس في بيرزيت. وعندما طلب الملك إلقاء

(191) الريماوي، «تقرير»، ص 21-22.

(192) المرجع نفسه، ص 22.

(193) بقي العارف مساعد حاكم اللواء في الحكومة الاستعمارية، كما يبدو، في منصبه، مع تسلّم بهجت طيارة لمنصب الحاكم العسكري في رام الله وقضاها، إذ كان العارف مرافقاً لطيارة في أعماله الإدارية التي باشرها في دار الحكومة في رام الله: الجزيرة، 21/5/1948، ص 2.

القبض عليه وحل الجهاد المقدس، اعتذر العارف لتعدّر ذلك واستحالته، وخطورته عليه⁽¹⁹⁴⁾.

تواصلت مساعي الريماوي وقوة الجهاد المقدس في بيرزيت لعرقلة الوجود الإداري للجيش الأردني في منطقة نفوذه، فلجأ أيضًا إلى استخدام الرأي العام المحلي الذي أشير سابقًا إلى وجود محاولة لاستخدامه من الإداريين العاملين في حكومة شرق الأردن، مثل العارف، فعمل الريماوي على تختيار عريضة موجهة إلى اللجنة السياسية المنبثقة من جامعة الدول العربية، وإلى الهيئة العربية العليا، ووزير الدفاع العراقي، وقّعت من جميع وجهاء ومخاتير وأعضاء اللجنة القومية في منطقة رام الله، مستنكرة محاولة حكومة شرق الأردن إقامة سلطة إدارية في البلاد، واستعداد الموقعين لمقاومتها. كما أرسلت عرائض أخرى من نابلس وجنين وطولكرم إلى الهيئة العربية العليا⁽¹⁹⁵⁾. وعندما اتُخذ القرار بعقد اجتماع غزة في 1 تشرين الأول/أكتوبر 1948، دُعي الوجهاء لحضور الاجتماع في تحدٍ للإرادة الأردنية، وذهب الريماوي إلى غزة، على الرغم من إغلاق الجيش الأردني للطريق بسيارة مصفحة⁽¹⁹⁶⁾.

(194) الريماوي، «تقرير»، ص 22. يُشار إلى أنّ الريماوي لا يقتصر في نصوصه على مهاجمة موقف العارف السياسي آنذاك، وإنما يقدّم في نصوصه المتأخرة نقدًا للعارف كمؤرخ للحرب، وسيفضل هذا الموقف لاحقًا. ولا يتوافر في نصوص العارف المنشورة أي إشارة إلى دوره في هذه المرحلة، ويقتصر العارف في كتابه النكبة على إشارة عابرة لمطاردة قوة الجهاد المقدس وموقف السكان من ذلك: عارف العارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947-1949، الجزء الثاني، من بدء الهدنة الأولى 11/6/1948 إلى اتفاقيات الهدنة الدائمة بين الدول العربية وإسرائيل شباط/فبراير - تموز/يوليو 1949 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012)، ص 278. والأمل أن توفر أوراق العارف، المحفوظة بقيد لدى مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مستقبلًا روايته لهذه المرحلة التاريخية.

(195) الريماوي، «تقرير»، ص 23.

(196) المرجع نفسه، ص 23. عُقد المؤتمر في غزة إثر قرار حكومة عموم فلسطين، المؤلفة في أيلول/سبتمبر 1948، بالدعوة إلى تشكيل مؤتمر وطني فلسطيني، وكانت الحكومة والمؤتمر، ثم مقرراته، موضع اعتراض أردني. وينقل سخنيي نصوص برقيات أرسلت إلى مؤتمر غزة، كانت أصولها محفوظة في أرشيف مركز الأبحاث، منها برقية أرسلت من القدس في 26 أيلول/سبتمبر 1948، وقّعها أديب الريماوي شقيق قاسم، ويعقوب الحسيني، وزكي عبد الرحيم، وعبد الرحمن عريقات، وشهادة حسونة، ونصها: «نُنعنا من قبل السلطة الأردنية الحضور إلى غزة. نؤيدكم وأعضاء حكومتكم». وأرسل كامل عريقات برقية في اليوم ذاته جاء فيها: «فُهم من مصادر موثوقة، أنّ كل شخص يذهب [إلى]

بعد قرار السلطات الأردنية، في الحراك السياسي الأول، عقد مؤتمر أريحا، في 1 كانون الأول/ديسمبر 1948، وردت التعليمات بإحباط مساعي المؤتمرين. وبعد رفض مقرّ قيادة القدس التدخل، لأنهم عسكريون لا يتدخلون في السياسة، كما نقل الريماوي عنهم، عمل الريماوي على طباعة ألف منشور لتوزّع على المؤتمرين، يبيّن فيها حقيقة المؤتمر ونوايا النظام الأردني والإنكليزي، ومُهد لذلك بعقد اجتماع في قاعة سينما دنيا في رام الله، لجميع وجهاء المنطقة واللاجئين فيها، وذلك لأخذ مقررات تُتلى في مؤتمر أريحا، باسم منطقة رام الله واللاجئين، لقطع خط الرجعة على من أسماهم الريماوي بالمأجورين الذين سيؤيدون المؤتمر في أريحا، ولضمان صوغ المقررات الصادرة عن مؤتمر أريحا بحيث تلائم الميثاق القومي.

ويُبرز الريماوي محاولته هندسة الحضور بما يتوافق مع رغباته، فعمل على اختيار الموالين من الشخصيات لحضور مؤتمر رام الله، وإبعاد من أسماهم بالمأجورين. وكذلك استدعى الريماوي ما يقارب مئتي رجل من أهالي القرى الموالية، لاحتلال المقاعد في مؤتمر أريحا، لكنهم اصطدموا باحتلال المقاعد من قبل أتباع محمد علي الجعبري⁽¹⁹⁷⁾، رئيس بلدية الخليل، وأبرز الشخصيات

= اجتماع غزة سوف يوضع عند عودته في المعتقل، وسوف لا يصرّح له بالعودة إلى بلده من قبل السلطات الأردنية»: سخيني، «ضم»، ص 59. وكما يبدو، فإنّ مؤتمر غزة كان دافعاً لتعجيل القرار الحكومي الأردني بحل الجهاد المقدس، فصدر أمر وزير الدفاع الأردني، في 3 تشرين الأول/أكتوبر، لرئيس الأركان، بضرورة العمل على معالجة جميع المسلّحين غير النظاميين، وأن يخضعوا لأوامر الجيش، أو يُصار إلى تفريقهم ونزع سلاحهم: الموسى، ص 490. ويُنظر أيضاً: Glubb, pp. 192-193. وعقدت الحكومة الأردنية مؤتمراً موازياً في عمّان، للتشكيك في تمثيل مؤتمر غزة لأهل فلسطين، يُنظر: سخيني، «ضم»، ص 59-60؛ عجاج نويهض، مذكرات عجاج نويهض ستون عاماً مع القافلة العربية، إعداد بيان نويهض الحوت (بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1993)، ص 318-324. وللزيد عن حكومة عموم فلسطين، يُنظر: سميح شبيب، حكومة عموم فلسطين مقدمات ونتائج (نيقوسيا: شرق برس، 1988)، ص 35-57. وكذلك: Avi Shlaim, «The Rise and Fall of the All-Palestine Government in Gaza», *Journal of Palestine Studies*, vol. 20, no. 1 (Autumn, 1990), pp. 37-53.

(197) محمد علي الجعبري (1900-1980): حصل على شهادة محاماة شرعية، وعمل في المحاماة والتدريس والوعظ، قبل أن يتراأس بلدية الخليل مطلع أربعينيات القرن العشرين. كان من أبرز رجال النظام الأردني في فلسطين قبل أيار/مايو 1948. تراأس مؤتمر أريحا. وبعد ضم بقية فلسطين إلى =

المؤيدة للنفوذ الأردني في فلسطين. لكنّ أنصار الريماوي قاموا بإنزال عجاج نويهض وشتمه وشتم الجعبري، ففشل المؤتمر عن الخروج بقرارات معينة⁽¹⁹⁸⁾.

فشل مؤتمر أريحا، وفقاً لما أثبتته الريماوي، مما دفع الحاكم العسكري العام عمر مطر (عُيّن في 26 أيلول/سبتمبر 1948)⁽¹⁹⁹⁾ للدعوة إلى مؤتمر ثانٍ يحضره الملك عبد الله في رام الله، في 26 كانون الأول/ديسمبر 1948. لذا، أحضر الريماوي حمولة ثلاث سيارات من أقاربه، بصحبة أخيه أديب الريماوي، قبيل انعقاد المؤتمر، لقيادة تظاهرة ضخمة هتفت بحياة الحاج محمد أمين الحسيني وسقوط الملك عبد الله⁽²⁰⁰⁾. أثبت الريماوي، إضافة إلى الاحتجاج، تفصيلات عن مهادنة قيادة قوة الجهاد المقدس في القدس للملك، واعتبر الريماوي هذا الموقف سبباً لمضاعفة سخط الملك عبد الله على قوة الجهاد المقدس في منطقة بيرزيت، والذي كان تحركه أيضاً لنوازع شخصية.

كتب الريماوي، مهاجماً الملك عبد الله: «تصوّر أي سخط سيحلّ به حين يرى قادة الجهاد المقدس في القدس كالعبيد بين يديه، ويرى تلك الشردمة في بيرزيت تعرقل مساعيه وتشتت حكّامه، وتسجن رجاله! أي حنق سيحلّ به، بل

=الأردن، تولى عددًا من المناصب الوزارية، وشغل عضوية مجلس الأعيان. بقي في الخليل بعد هزيمة حزيران/يونيو 1967، وما زال دوره في هذه المرحلة موضع جدل تاريخي.

(198) الريماوي، «تقرير»، ص 29-30. للمزيد عن مؤتمر أريحا ووصف لكيفية عقده، ومحاولة إضافية لإفشاله أو استغلاله لإسكات الملك عن قوة الجهاد المقدس، يُنظر: التل، ص 374-379. ويُقارن ب: نويهض، مذكرات، ص 318-324.

(199) عمر سليمان مطر (1889-1971): سياسي أردني، تولى العديد من المناصب الإدارية والوزارية، بدءًا من عشرينيات القرن الماضي. انتُخب لعضوية مجلس النواب الثاني (في 11 نيسان/أبريل 1950)، عن معان، وشغل رئاسة المجلس. اختير لعضوية مجلس الأعيان، بدءًا من المجلس الثالث (عُيّن في 1 أيلول/سبتمبر 1951)، وحتى المجلس الثامن (انتهى في 1 تشرين الثاني/نوفمبر 1971). عُيّن مطر اعتبارًا من 26 أيلول/سبتمبر 1948 «حاكمًا عسكريًا عامًا لجميع المناطق في فلسطين التي يوجد فيها الجيش العربي الأردني، أو يقوم بمحافظتها الأمن والنظام فيها»: الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 959 (18 تشرين الأول/أكتوبر 1948)، ص 301؛ البخيت، الوثائق الهاشمية، الإدارة، مج 6، ص 75.

(200) الريماوي، «تقرير»، ص 30.

وأى مكيدة سيدبرها لهم، وهو المعروف [.....] (201). وقد زاد الطين بلة أن الاجتماع الذي عُقد في نابلس بعد مدة (202)، أُلقيت عليه قبلة، فقيل إنها من الجهاد المقدس» (203).

لن تنجح مساعي الريماوي لعرقلة الدور الإداري الأردني، وكذلك النشاط السياسي الممهّد لـ «الضم»، على الرغم من أنها لم تقتصر على القوة الناعمة، وعلى توطيد العلاقة مع القوات العراقية، إذ استخدم في أحيان أخرى القوة العسكرية، فبعد توجه الريماوي إلى مؤتمر غزة، اعتُقل القائد موسى شيبان، بأمر من الحاكم العسكري العام عمر مطر. وأصدر مطر أمرًا باعتقال الريماوي، فتوجهت قوة بقيادة رئيس أركان حرب الفرقة الأولى صادق الشرع (204)، يرافقه فيها أمر الكتيبة الثانية فوّاز ماهر برمامت (205)، إلى مقر قيادة الجهاد المقدس

(201) يطلق الريماوي في هذا الموضوع نعوت غاضبة على شخص الملك عبد الله بن الحسين.
(202) أغلب الظن أن الاجتماع المقصود، هو الاجتماع الذي عُقد في نابلس، في 28 كانون الأول/ديسمبر 1948. وكان المؤتمر قد نظّمته لجنة تحضيرية ضمت رؤساء بلديات نابلس وطولكرم وجنين، والشيخ عبد الحميد السائح، وأحمد الشكعة، وسعيد كمال، ومصطفى التبان، وسعيد الخليل، وأحمد طوقان، وحكمت المصري، وقدرى طوقان، وجميل طقطق. وكان أبرز مخرجاته ما جاء في النقطة السادسة من بيانه: «إنّ الهدف الذي سعى إليه العرب وزعماءهم منذ فجر قضيتهم حتى الآن، ونادى به، وعمل على تحقيقه، جلالته المنقذ الأعظم المغفور له الملك حسين بن علي، هو توحيد الأقطار العربية. والآن، وقد حان الوقت لتحقيق بعض أغراض هذا الهدف، ونظرًا للروابط الوثقى المتعددة بين فلسطين وشرق الأردن، يقرر المؤتمر أن يؤلف من هذين القطرين مملكة عربية واحدة تحت التاج الهاشمي، ومبايعة صاحب الجلالة الملك عبد الله بن الحسين ملكًا شرعيًا ودستوريًا عليها». يُنظر مقررات المؤتمر في: «مقررات المؤتمر الشعبي المنعقد في نابلس، استئناف القتال، تجنيد الفلسطينيين، مبايعة جلالته الملك عبد الله»، البعث، 29 كانون الأول/ديسمبر 1948، ص 4.
(203) المرجع نفسه، ص 31.

(204) صادق الشرع (1923-2009): وُلد في قرية حوارة، إحدى قرى إربد. تخرّج في مدرسة السلط الثانوية، ثم التحق بالقبليق العربي في عام 1942، خدم في صفوف قوات القبليق العاملة بامرة الحكومة الاستعمارية في فلسطين، وشارك في معارك القدس بعد 18 أيار/مايو 1948، وكان أركان حرب الفرقة الأولى. يُنظر: صادق الشرع، حروبنا مع إسرائيل: 1947-1973، معارك خاسرة وانتصارات ضائعة، مذكرات ومطالعات صادق الشرع (عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1997). ومن الضروري الإشارة هنا إلى أنّ تسمية التشكيلات العسكرية للجيش العربي الأردني في هذه المرحلة، مثل «الفرقة»، لا تعكس بالضرورة العدد المفترض لمثل هذه التشكيلات في الجيوش.
(205) فوّاز ماهر برمامت (1924-1997): وُلد في عمّان، والتحق بالخدمة العسكرية في =

في بيرزيت، محاولة أول الأمر السيطرة على جهاز الاتصال اللاسلكي، فأصدر الريمائي أوامره بمحاصرة القوة الأردنية واحتجازها، وتحرك بقوة سيارة باتجاه رام الله، مقتحمًا مقرّ الحاكم العسكري، نديم السّمّان، لإخراج القائد موسى شيبان من السجن⁽²⁰⁶⁾. كما أثبت الريمائي قيام قواته باعتقال عدد من الجُنّة الذين قاموا بجرائم قتل فشلت الشرطة التابعة للإدارة الأردنية في اعتقالهم، وأحالهم إلى المحكمة العسكرية التابعة للجيش العراقي، رافضًا تسليمهم للشرطة الأردنية في رام الله، مرفقًا ذلك بكتاب يشير إلى قصور الإدارة الأردنية، وعدم صلاحيتها للحكم، وانتشار الفوضى فيها⁽²⁰⁷⁾.

بعد هذا الصدام كان التوجه الأردني، كما يبدو، نحو الدخول الناعم إلى بيرزيت، مقرّ قيادة الجهاد المقدس، فحضر الحاكم العسكري لرام الله، نديم السّمّان، إلى مقرّ القيادة في بيرزيت، معربًا عن استعداده منح قاسم الريمائي جميع التسهيلات والمساعدات التي يريدها. ويشير الريمائي إلى أنّ السّمّان نقل إليه رسالة من الحاكم العسكري العام، عمر مطر، تتحدث عن رغبة مطر في الاجتماع إلى الريمائي، فكان ردّ الريمائي كما في السابق: «وأي شيء تريد؟ إن أراد قتال اليهود فنسبقه إلى ذلك، وإن أراد [شراءنا]، فنحن لا نُشترى بكثير أو قليل. ونحن لن نتعرّض إليه، طالما لم يتعرّض إلينا. ولا يمكن أن نقرّ أي سلطة غير حكومة عموم فلسطين، فإن أراد البحث معي في هذه الأمور، فليفضل إلى بيرزيت. وأما عسكريًا، فإنني متعاون مع الجيش العراقي. وإداريًا، فإن لي صلاحية رسمية من حكومة عموم فلسطين بممارسة الأعمال التي أقوم بها»⁽²⁰⁸⁾.

= الفيلق العربي في عام 1941، وخدم ضمن قوات الفيلق العاملة تحت إمرة الحكومة الاستعمارية في فلسطين، ثم اشترك في معارك فلسطين، بعد دخول قوات الفيلق الرسمي بعد 15 أيار/ مايو 1948، وكان فوّاز أمرًا للسرية الثانية في الكتيبة السادسة برتبة زعيم، وكانت سرايا الكتيبة السادسة دخلت في معظمها إلى القدس، إلّا أنّ السرية الثانية نُقلت إلى رام الله في 27 أيار/ مايو 1948: التل، ص 30، 121. ورُقّي إلى وكيل قائد في 24 آب/ أغسطس 1948.

(206) الريمائي، «تقرير»، ص 24.

(207) المرجع نفسه، ص 31.

(208) المرجع نفسه، ص 32.

انتهى اللقاء، كما أثبت الريمائي، بعرض السمان إرسال مفرزة شرطة تكون بإمرة الريمائي، لتحصل الرسوم وتدفعها لصندوق الجهاد المقدس، كبديل، كما يبدو، عن ازدواجية السلطة الظاهرة، لكن الريمائي رفض. بعد هذه الخطوة، وفقاً لما أثبت الريمائي، صدر الأمر بدخول قوة من الجيش الأردني، بقيادة فواز ماهر، فتواصل ماهر مع قيادة الجهاد المقدس في القدس، في 19 تشرين الأول/أكتوبر 1948، ومع قاسم الريمائي، فشغلت قواته أحد منازل بيرزيت، بعد رفض الريمائي تسليم إحدى دور الجهاد المقدس، بناءً على أمر من القيادة العامة في القدس. وأثبت الريمائي أنّ ماهر أخبره بأنه «لا يودّ أن تُسفك قطرة دم واحدة، لأنّه مسلم قبل كل شيء»⁽²⁰⁹⁾. وأثبت الريمائي أيضاً، أنّ قوة الجهاد المقدس تقلّصت في الليلة ذاتها، بعد إرسال سرية من مئة جندي إلى منطقة بيت لحم، للمساهمة في التصدي للهجمات الصهيونية، واسترجاع الولجة وبتير وحوسان⁽²¹⁰⁾.

استغل أنصار الأردن وجود قوة ماهر، ودفّعهم، كما أثبت الريمائي، إلى زيادة نشاطهم، والبدء بتنظيم عرائض ولاء له. كما أنّ الحكام العسكريين عمدوا إلى رشوة الوجهاء والتجار، وفقاً للريمائي، بمنحهم رخص استيراد للمؤن والكاكاز⁽²¹¹⁾. وبقيت العلاقة هادئة بين الطرفين، إلى أن قرر الأردن الحسم وإنهاء وجود قوة الجهاد المقدس في بيرزيت، في 18 كانون الثاني/يناير 1948، بعدما نجحت في تقييد القيادة العامة في القدس، وكذلك مقرّ قيادة الجهاد المقدس في بيت لحم، خلال فترة سابقة⁽²¹²⁾، مستغلة حادثة نسف منزل

(209) المرجع نفسه، ص 33.

(210) المرجع نفسه، ص 33؛ أبو غربية، في خضم، ص 363.

(211) الريمائي، «تقرير»، ص 34.

(212) يشير الريمائي في متنه إلى إجراءات لتقييد قوة الجهاد المقدس في منطقة القدس، لكن يظهر أنّ موقف قيادة القدس الذي اعتبره الريمائي مهادئاً، أسس على علاقة جيدة مع قيادة القوة الأردنية في القدس، وحاكمها العسكري الأول عبد الله التل، والذي أثبت في مذكراته حسن علاقته بقيادة الجهاد المقدس، ورفضه القاطع لإنهاء قوة الجهاد المقدس: التل، ص 103، 107، 239، 359-366. أما في منطقة بيت لحم التي وُجدت فيها قوة من الجهاد المقدس، تعززت لاحقاً، على فترات مختلفة، لإسناد الجيش المصري، فإنّ قوات الجيش الأردني، بدأت بتعزيز نفوذها في المنطقة، في 7 تشرين الثاني/ =

قائد شرطة رام الله محمود الهباب⁽²¹³⁾. وكما يبدو ممّا أثبتته الريماوي، فإنّه كان عاجزًا عن مقاومة القوة الأردنية الكبيرة التي خُصّصت لاحتلال بيرزيت، في ظل عجز مقرّ قيادة الجهاد المقدس في القدس عن دعمه، وكذلك بعد نصح قيادة الجيش العراقي له بنقل مقرّ قواته إلى بلدة عابود⁽²¹⁴⁾ التي عسكرت فيها قوة للجهاد المقدس برعاية عراقية⁽²¹⁵⁾.

مع هذه النهاية لقوة الجهاد المقدس في بيرزيت، ولقائدها قاسم الريماوي، وانحسار دورهم، بعد قرار الهيئة العربية العليا رفض مقترح الريماوي زيادة قوته استعدادًا لتولي المقاومة المسلّحة العلنية في البلاد، أو السماح بعمل تشكيلات سرية، وتوجيهه للانتحاق بالجيش العراقي⁽²¹⁶⁾، كانت نهاية قوة

=نوفمبر 1948، مستغلة حاجة القوات المصرية، بعد عملية يوّاف الصهيونية ضدّ القوات المصرية جنوب فلسطين. وبعد أيام من ذلك، في 11 تشرين الثاني/نوفمبر، حاصرت قوة أردنية مركز شرطة بيت لحم، واستولت على جميع أجهزة الاتصال اللاسلكي في المركز، ومنها جهاز اتصال قوة الجهاد المقدس. يُنظر تفصيلات الاقتحام: محمد حسنين هيكل، العروش والجيوش الكتاب الثاني، ص 302. ويُنظر: التل، ص 361-365. وعن الجهاد المقدس في منطقة بيت لحم: أبو الشعر، ص 196-198؛ أبو غربية، في خضم، ص 350-374.

(213) الريماوي، «تقرير»، ص 34. وأثبت التل روايته لاجتماع بقيادة غلوب باشا، لبحث التوصيات الملكية بضرورة القضاء النهائي على الجهاد المقدس ومحو اسمه من الوجود، بعد حادثة الهباب: التل، ص 365-366.

(214) قرية عابود: تقع إلى الشمال الغربي من رام الله. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 1,080 شخصًا. اتخذها الجيش العراقي مقرًا لقواته وقوة الجهاد المقدس التي عملت تحت لوائه للدفاع عن خطوط المواجهة الأولى، بعد سقوط اللد والرملة وجوارها العربي في تموز/يوليو 1948. للمزيد، يُنظر: المرجع نفسه، ج 9، ص 209-210.

(215) الريماوي، «تقرير»، ص 35. ينقل سليمان الموسى، محاولًا بيان أسباب حلّ الجهاد المقدس، شهادة أحد الضباط الأردنيين: «الجيش العربي، وغلوب على رأسه، ساعد [في] تسليح المناضلين في فلسطين، منذ بدء القتال في أواخر 1947. وقد استمر إلى ما بعد الهدنة الثانية، إذ حدث تطور سياسي تجاه هذا الموضوع، وقررت الحكومة، وليس غلوب، نزع سلاح جميع المناضلين، وضم من يريد منهم إلى القوات النظامية»: الموسى، ص 490. وتؤكد الوقائع والمصادر المختلفة أنّ قرار حلّ قوة الجهاد المقدس كان أيضًا برغبة ملكية، وبرغبة حكومية، ولم يكن مقتصرًا على رغبة غلوب باشا. لكنّها أيضًا تؤكد أنّ قرار الحل كان متخذًا منذ بدء دخول الجيش العربي الأردني إلى فلسطين بعد 15 أيار/مايو، وأنّ سبب تأخير الحل الفعلي كان مرتبطًا بالوقائع والمجريات على الأرض.

(216) المرجع نفسه، ص 36.

مركزية من قوى الجهاد المقدس، وكان من السهل على القوات الأردنية تفكيك بقية مناطق نفوذ الجهاد المقدس، والسيطرة على جميع مراكز قوته بعد احتلال مقر قيادة بيرزيت، وطَيَّ صفحة المقاتلين الفلسطينيين من الوجود إلى حين.

وبهذا، فإنَّ ما أثبتته الريماوي، في نصوصه المبكرة، عن الموقف من الجيش الأردني، وإدارته للأراضي التي سيطر عليها بعد 15 أيار/ مايو 1948، يشير إلى أنَّ ما أثبتته في نصوصه المتأخرة، من اعتبار «الضم»، أو «وحدة الحكم»، لم يكن مسارًا حتميًا أفرزته الوحدة الميدانية في أثناء المعارك، ولم يكن بمحض الرغبة والاختيار. لكنَّ التحولات الحاصلة في مسيرة الريماوي، من الريماوي المقاتل إلى الريماوي السياسي الفلسطيني/الأردني، لن تدفعه إلى قبول الأمر الواقع والإقرار به فحسب، على الرغم من رفضه المطلق لذلك لحظة الإنهاء، وإثما ستدفعه إلى إسكات جزء رئيس من تاريخه وتجربته بعد 15 أيار/ مايو 1948.

وكما يُلاحظ، فإنَّ نصوص الريماوي المتأخرة، عندما أثبتت بعض الحوادث التي أثبتت من قبل في النصوص المبكرة، كمساعي الريماوي وقوة الجهاد المقدس في بيرزيت، بتعاون مع القوات العراقية، لتحرير منطقة اللد والرملة بعد احتلالها، أسكتت أي إشارة إلى الدور السلبي للأردن أو الملك، فاقتصر الريماوي في نصوصه المتأخرة على الإشارة إلى أنَّ السبب الرئيس وراء وقف العملية كان وصول برقية مكتومة من المقدم الركن محمود المهدي، أفادت بأنَّ القيادة العامة علمت نية الهجوم، وأمرت بالتريّث وعدم القيام بأي حركة⁽²¹⁷⁾. وأثبت الريماوي أيضًا ما سكت عنه في نصوصه المبكرة من دور للقوات الأردنية في الدفاع عن منطقة اللد والرملة، لمعارضته الاتهامات التي وجهها لهذه القوات في نصوصه المبكرة، فكتب معقبًا على حديث عن عملية اللد والرملة المفترضة بالقول: «[وهنا]، لا بد لي من الإشارة، إنصافًا للحقيقة، إلى أنه سبق لسرية من الجيش العربي الأردني، كانت ترابط في تلك المنطقة،

(217) قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (13)»، الدستور،

أن قامت بالتعاون مع المناضلين المحليين بهجوم معاكس ضدّ قوات العدو، احتلت فيه هاتين القريتين [قولة والمزيرعة]، وبقيت فيها حوالي ثلاثة أيام، ثم انسحبت إلى منطقة القدس. والحقيقة أنّ الاحتفاظ بهاتين القريتين ليس له أية أهمية عسكرية»⁽²¹⁸⁾.

وعلى الرغم من أنّ نصوص الريماوي المتأخرة أعادت قراءة أدوار الكثير من الشخصيات والمنظمات الفلسطينية، بعيداً عن قراءته التي قدّمها في نصوصه المبكرة، كجزء من الصراع على السرديات التاريخية للجهاد المقدس، كما سبق وبيّن في المحور السابق، فإنّ من أبرز ما أسكته الريماوي في نصوصه المتأخرة، عند الحديث عن إنهاء الجهاد المقدس، خلافاته مع أركان قيادته في القدس حول سياستهم تجاه الفعل الأردني. فالريماوي، كما أشير سابقاً، أثبت في نصوصه المبكرة الكثير من الإشارات إلى دور هؤلاء السلبي والمهادن للأردن. ومن الشخصيات التي انتقدها الريماوي بقسوة الدكتور موسى الحسيني⁽²¹⁹⁾.

لكنّ إسكات الريماوي لكل صفحة الخلاف حول «الضم»، سيتعزز، كما يبدو، بإدراكه لتعجل أحكامه في نصوصه المبكرة، حول علاقة أركان

(218) قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (15)»، الدستور، 1972/11/13، ص 4. وتؤشر معارك قولة 15-18 تموز/يوليو 1948 إلى وجود قتال استثنائي على هامش معركة اللد والرملة، لكن أسكتت هذه المعركة لتسود سردية تاريخية تدين الجيش الأردني وقيادته العسكرية والسياسية وتتهمها بالخيانة، كنموذج إضافي للاتهامات المرتبطة باللد والرملة: التل، ص 247-262؛ العارف، ج 2، ص 56-60. وعن معارك قولة التي تجلّت قوتها في حجم الخسائر الكبيرة في القوات الصهيونية، يُنظر رواية صهيونية رسمية في: لواء ألكسندروني خلال حرب التحرير [بالعبرية]، غرشون ريفلين وسيناى تسفي (محرران) (تل أبيب: دار نشر معرخوت - جيش الدفاع الإسرائيلي، 1964)، ص 291-296.

(219) موسى عبد الله الحسيني (-1951): وُلد في القدس. تلقى تعليمه الجامعي الأول في الأزهر الشريف ثم دار العلوم في القاهرة، وحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة برلين بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. اعتُقل بعد اغتيال الملك عبد الله في القدس، في 20 تموز/يوليو 1951، وأُتهم بأنّه العقل المدبر لعملية الاغتيال، بالتنسيق مع صديقه حاكم القدس العسكري السابق عبد الله التل، وحُكم عليه بالإعدام، مع خمسة متهمين آخرين، في 28 آب/أغسطس 1951، ليُعدم في 4 أيلول/سبتمبر 1951، وكان الحسيني شوهد، قبل تنفيذ عملية الاغتيال بلحظات، وهو يقبل يد الملك.

قيادة الجهاد المقدس في القدس بالأردن، خصوصًا بعد اغتيال قائد جيش الجهاد المقدس خالد الحسيني، في 2 آذار/ مارس 1951. وكذلك بعد اتهام موسى الحسيني بالمسؤولية الكاملة عن تنفيذ عملية اغتيال الملك عبد الله بن الحسين، في 20 تموز/ يوليو 1951، والتي اعتُبرت داخل الأسرة الحسينية ثأرًا لدماء خالد⁽²²⁰⁾.

وفي هذا، يلاحظ أن جزءًا أساسيًا من تاريخ حرب 1947-1949 عمومًا، وتجربة المقاتلين الفلسطينيين خصوصًا، أُسكت في المصادر التاريخية المختلفة، نظرًا إلى التحولات السياسية التي تلت الهزيمة، وكان أبرزها تشتت المقاتلين الفلسطينيين وقيادتهم بين الدول العربية المختلفة، وإقرار بعضهم للأمر الواقع الجديد الذي فُرض على أرضهم. ونصوص الريمائي المتأخرة نموذج على مثل هذا الإسكات. ولهذا، عند التأريخ لتاريخ الحرب عمومًا، ولبعض الوقائع المعاشة فيها كـ «الضم» وإعلان الوحدة بين المملكة الأردنية الهاشمية وبقية فلسطين الخاضعة لسيطرة الجيش الأردني، بعد 15 أيار/ مايو 1948، فإنه يجب عدم الارتكان إلى الروايات التاريخية السائدة، لأن جزءًا رئيسًا من هذه الروايات قائم على إسكات روايات أخرى، لغايات وأهداف متباينة.

وكذلك، عند التأريخ لدور الفعل العسكري الفلسطيني، في حرب 1947-1949، وللمقاومة الفلسطينية التالية لتأسيس «إسرائيل»، ولتشتت الفلسطينيين، واندثار الأمل بتأسيس كيانهم السياسي، فإنه من الضروري

(220) عن دور موسى عبد الله الحسيني، وفقًا للرواية الرسمية، يُنظر: وليد صلاح، من رحلة العمر، مذكرات وليد عبد اللطيف صلاح وزير خارجية الأردن السابق (عمّان: [د. ن.].، 1992)، ص 43. مقارنةً برواية أحد أفراد الأسرة الحسينية المتهمين بالقتل، في: حمودة، صوت، ص 108-112، 233-212. ودون شريف خالد الحسيني في مذكراته أنّ الدكتور موسى، شقيق والدته في الرضاعة، زارها بعد اغتيال الملك عبدالله، وقال لها: «لقد أخذنا بثأرك»: شريف خالد الحسيني، لمحات من ذاكرة سيرة ذاتية (عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2013)، ص 94. مع الإشارة إلى وجود رواية أخرى متداولة في العائلة تتحدث عن أنّ اغتيال خالد الحسيني نفذته عائلة نابلسية معروفة اتهمت الحسيني بقتل أحد أبنائها.

تجاوز الروايات التاريخية السائدة، المتعلقة بأثر الدور الأردني، بعد 15 أيار/ مايو 1948، في «الكيان» الفلسطيني. ولقراءة أكثر عمقاً، فإنّ على «المقاومة» الفلسطينية المبكرة أن تتجاوز الدور الأردني المسكوت عن الكثير من تفصيلاته، للبحث عن روايات أخرى تمكّن من فهم حدود دور الفلسطينيين خلال تلك اللحظة التاريخية ودراستها، وحدود خلافاتهم البينية حول الدور الأردني المسكوت عنها أيضاً، وأثرها في مصير بقية أرضهم، أكانت الخلافات بين النخب السياسية، أم بين المقاتلين أنفسهم.

ثالثاً: ماذا بعد؟

ختاماً، فإنّ المقارنة بين نصوص قاسم الريماوي المبكرة والمتأخرة، عكست حضور الإسكات/الإثبات فيها، بما يمكن اعتباره نموذجاً لنصوص المهزومين المؤسسة على الذاكرة، والتي تقرأ الحدث بعين الحاضر، فتغير هذه القراءة بتغيّر الوقائع والتحالفات أو الصراعات السياسية والاجتماعية المختلفة. هذا التغيّر في قراءة الحدث، يدفع إلى ضرورة الاهتمام بجمع النصوص المتعلقة به كافة، خصوصاً حال كان حدثاً مركزياً مؤسساً، كحدث حرب 1947-1949، تتصارع الأطراف المختلفة فيه لإثبات سردياتها عنه. لهذا، أتى هذا الكتاب لجمع نصوص الريماوي عن الجهاد المقدس، وإتاحتها لمجموعة محققة، أكانت النصوص المخطوطة التي لم تُنشر من قبل، كتقرير الريماوي للحاج أمين الحسيني، أم ما سبق ونُشر بعضه، كنصه المخطوط عن عبد القادر الحسيني، أم ما نُشر له كمقالات.

وسعى الكتاب في بنيته إلى إتاحة سردية تاريخية متكاملة عن قوة الجهاد المقدس وتجربتها، من التأسيس إلى النهاية، فقسّم إلى ثلاثة فصول رئيسية؛ الأول قدّم ملخصاً لهذه المسيرة، من خلال تحقيق التقرير المقدّم من الريماوي إلى الحاج أمين الحسيني، واقتصر هذا الفصل على ما قدّمه التقرير من صورة بانورامية، دون حذف أو إضافة، مع إتاحة هوامش توضيحية تحيل أحياناً إلى نصوص أخرى احتواها الكتاب، وفصّل فيها الريماوي بعض ما أضمّره في

التقرير، وهوامش تترجم لكل من أمكن الترجمة لهم من شخصيات ذُكرت في التقرير. وعُني في هذه التراجم أن تقتصر على ما يخدم المتن، فتركزت في جُلّها على الاهتمام بالمحطات الرئيسة لحياة تلك الشخصيات، حتى عام 1948، إلا إذا كان من أثر للمحطات التالية في حياتها على المتن⁽²²¹⁾. كما

(221) للأسف، على الرغم من كم المصادر الكبير نسبيًا، والتي تُعنى بالتراجم لشخصيات فلسطينية، فإنّ مجمل تراجم هذا الكتاب أسست بالعودة إلى مصادر أولية مختلفة، كالصحف، المذكرات، كتب السير، اليوميات، الجريدة الرسمية الأردنية، محاضر مجلس النواب الأردني، مقابلات، كتب تاريخ محلي، وذلك لأنّ معظم التراجم المنشورة تعاني من إشكاليات، وفقدان جزء كبير منها للمعلومات المدققة. وكان من غير العملي إثبات مصدر كل ترجمة في الهوامش، إذ إنّ بعض التراجم استُخرجت ببيانها من عشرات المراجع. أما التراجم التي لم يتوافر مزيد من المعلومات حولها حتى الآن، فالأمل أن يتم تعويضها في إصدارات تالية تبحث تفصيليًا في تاريخ الجهاد المقدس خصوصًا، والفعل العسكري الفلسطيني عمومًا في المنطقة الوسطى.

ومن أبرز المصادر التي تمت العودة إليها في تأسيس تراجم هذا النص، علمًا أنه أُثبت في بعض الهوامش إحالات إلى مصادر أخرى اعتمدها الباحث، كما وأُثبتت في القائمة النهائية للمصادر والمراجع: محمد عمر حمادة، موسوعة أعلام فلسطين، ج 1، ط 2 (دمشق: دار الوثائق، 2000)؛ محمد عمر حمادة، موسوعة أعلام فلسطين، ج 2، ط 2 (دمشق: دار الوثائق، 2000)؛ محمد عمر حمادة، موسوعة أعلام فلسطين، ج 3، ط 2 (دمشق: دار الوثائق، 2000)؛ محمد عمر حمادة، موسوعة أعلام فلسطين، ج 4 (دمشق: دار الوثائق، 2000)؛ محمد عمر حمادة، موسوعة أعلام فلسطين، ج 5 (دمشق: دار الوثائق، 2006)؛ محمد عمر حمادة، موسوعة أعلام فلسطين، ج 6 (دمشق: دار الوثائق، 2007)؛ محمد عمر حمادة، موسوعة أعلام فلسطين، ج 7 (دمشق: دار الوثائق، 2010)؛ محمد عمر حمادة، موسوعة أعلام فلسطين، ج 8 (دمشق: دار الوثائق، 2013)؛ عادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ط 2 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1995)؛ عجاج نويهض، رجال من فلسطين (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، 1981)؛ مرسي الأشقر، مشاهير الرجال في المملكة الأردنية الهاشمية الحلقة الأولى لعام 1955-1956 (القدس: مطبعة دير الروم الأرثوذكس، [د. ت.])؛ سارة ديكان واصف، معجم الكتاب الفلسطينيين (لومان [فرنسا]: معهد العالم العربي، 1999)؛ أحمد عبد الكريم، بديا فلسطين الصغرى ورد من حديد (عمّان: دار الأبرار، 2015)؛ سيرين الحسيني شهيد، ذكريات من القدس (عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009)؛ عبد الكريم سمارة، رجال وأبطال من فلسطين 1900-1948 (جت: منشورات شمس، 2014)؛ عصام سخيني، طبرية تاريخ موسوعي من إنشائها سنة 20م إلى نهاية الانتداب البريطاني سنة 1948 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009)؛ طاهر أديب قليوبي، عائلات وشخصيات من يافا وقضائها (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2006)؛ نايف حجازي ومحمود عطا الله، شخصيات أردنية (عمّان: المطبعة الأردنية، 1973)؛ شفيق الغبرا، حياة غير آمنة جيل الأحلام والاختفاقات (بيروت: دار الساقى، 2012)؛ من هم في العالم العربي الجزء الأول سورية 1957 (دمشق: مكتب الدراسات السورية =

عني بضبط تأريخ ما أمكن من وقائع وحوادث، ليكون القراء على دراية بالسياق الزمني للحوادث والوقائع وتطوراتها.

أما الفصل الثاني؛ «نصوص من سيرة الجهاد المقدس»، فجمع بقية نصوص الريماوي عن قوة الجهاد المقدس، أكان ما ورد منها في مخطوط الريماوي عن عبد القادر الحسيني، أم ما ورد في مقالاته المنشورة. وقد حُقت جميعاً، وأدرجت ضمن خمسة محاور رئيسية، قُسمت بدورها إلى عناوين فرعية استحدثها الباحث، بما يحفظ وحدة السياق الموضوعي والزمني. وأُثبت في أول كل عنوان فرعي مصدر المادة الرئيسة المدرجة أسفله، وفي حال وُجد تباين بين هذه المادة ونصوص الريماوي الأخرى، أُثبت هذا التباين بشكل كامل في الهوامش. وفي حال كان من إضافة، أُثبتت أحياناً في المتن، وفي أحيان أخرى في الهامش، مع بيان ذلك بألية واضحة كما سيُفصّل لاحقاً.

واستُكملت في هذا الفصل الترجمة لبقية من لم يُترجم له في الفصل الأول، وأُثبتت هوامش تفصيلية تقارن بين سردية/سرديات الريماوي للحدث، وما قُدّم في المصادر الأولية الأخرى، عربية وبريطانية وصهيونية. وبذلك، فإنّ هذا الفصل يقدّم سردية الريماوي الرئيسة حول تأسيس قوة الجهاد المقدس ونشاطها، وما جرى عليها من تعديل بالإسكات/الإثبات، مقارنة بأبرز المصادر الأولية المتوافرة. كما اعتُني بتزويد النص بما توافر لدى الباحث من صور متعلّقة بمادة الفصل، وبخرائط توضيحية لأبرز المعارك التي وثّقها الريماوي⁽²²²⁾.

= والعربية، 1957)؛ محمد عقل، سجل المحكومين بالإعدام في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني (لندن: دار إي كتب، 2017)؛ مصطفى كبحا ونمر سرحان، سجل القادة والثوار والمتطوعين لثورة 1936-1939 (كفر قرع: دار الهدى، 2009)؛ بشير عبد الغني بركات، شخصيات القدس في القرن العشرين (القدس: مؤسسة دار الطفل العربي، 2010)؛ مصطفى محمد الفار، مدينة اللد موقعاً وشهرة وتاريخاً (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009)؛ أحمد خليل العقاد، الشخصيات الفلسطينية حتى عام 1945، ط 2 (القدس: وكالة أبو عرفة للصحافة والنشر، 1979).

(222) عمد الباحث إلى إنجاز خرائط تفصيلية لأبرز المعارك التي تحدّث عنها الريماوي، وأُسست معظم هذه الخرائط على الخرائط المنجزة خلال الأربعينيات من مشروع Survey of Palestine، بوحدة قياس 1:20,000. وكذلك على الخريطة المنجزة لفلسطين وخطوط مواصلاتها من مشروع

أما الفصل الثالث؛ «شذرات»، فقد اقتصر على إتاحة بعض نصوص الريمائي التي لم تُدرج ضمن متن الفصل الثاني أو هوامشه، لما فيها من خروج عن موضوع عناوين الفصل الفرعية، أو لما فيها من تكرار أو استطراد، ولضرورة الحفاظ على سلاسة الفصل الثاني قدر الإمكان، أو لعلاقة بعض هذه الاستطرادات غير المباشرة بموضوع الكتاب. وأثبتت هذه النصوص محققة، وفق قواعد تحقيق الفصلين الرئيسيين، مستقلة في هذا الفصل. وإضافة إلى هذه الأقسام الثلاثة، أُلحق بالكتاب قسم وثائقي، ضمّ وثائق مختارة متعلّقة بمتن الكتاب وموضوعاته الرئيسة. كما أُلحقت به مجموعة مختارة من الصور، تؤثّق تجربة الجهاد المقدس، ولها صلة مباشرة بالريمائي ونصوصه.

ونظرًا إلى تعدد نصوص الريمائي، ولضرورة دقة التحقيق، اعتمد الباحث استخدام بعض الإشارات والعلامات في النصوص المحققة؛ فاستخدم المركنين [] في النص المحقق عند تعديل بعض لفظه، لعجز عن القراءة السليمة لكلمات النص الأصلي المحقق، أو لخطأ نحوي أو إملائي جلي. كما استُخدم المركنان لحصر ما أضافه الباحث من عنده، كحرف أو لفظ أو تعقيب أو ملاحظة لما يقتضيه السياق، مع الإشارة إلى أنّ معظم العناوين الرئيسة والفرعية لأقسام الكتاب الثلاثة، وإن لم توضع بين []، إلا أنّها من وضع الباحث.

للإشارة إلى حذف كلمة واحدة، وُضعت ثلاث نقاط بين مركنين [...]. وللإشارة إلى حذف جملة، وُضعت خمس نقاط داخل مركنين [.....]. ولحذف فقرة، وُضعت سبع نقاط داخل مركنين [.....]. ولم يلجأ الباحث إلى الحذف إلا في حالات نادرة، حفظًا للقراءة السلسلة للنص، خصوصًا في الفصل الثاني، على ألا يؤثر هذا الحذف بأي شكل من الأشكال في المعنى المراد، أو ينتقص من سرديّة الريمائي.

= Survey of Palestine عام 1945، بوحدة قياس 1:250,000، والمحفوظ نسخ منها في «أرشيف الدولة» في القدس.

ولحفظ تمايز نصوص الريماوي، خصوصًا أنه تطرّق إلى بعض الحوادث في نصوص وأزمنة مختلفة، أثبت، كما أشير سابقًا، مطلع كل عنوان فرعي، المصدر الرئيس لمادته. وعند كل إضافة من مصدر ثانٍ، غير المصدر الرئيس المعتمد للعنوان الفرعي، حُصرت هذه الإضافة بين قوسين مكسورين < >، مع توثيق مصدر هذه الإضافة إلى جوار التوثيق الرئيس مطلع كل عنوان.

وتوحيدًا للغة النص، قرّر الباحث إعادة ضبط بعض ألفاظه، فأعيد ضبط الأعداد إملائيًا ونحويًا، فثبتت «خمسمئة»، بدلًا من «خمسماية» و«ثلاثمئة» بدلًا من «ثلاثماية»؛ ووحد صوغ الأعداد في المتن، بإعادة صوغ الأعداد المكتوبة بالرقم، وكتابتها بالكلمات، فثبتت «ثمانية عشر»، بدلًا من «18». وأعيد صوغ التواريخ وتوحيدها، فثبتت «9 نيسان/ أبريل 1948»، بدلًا من «9/4/1948»، أو 9 نيسان سنة 1948. كما أُعيد ضبط بعد الألفاظ توحيدًا للغة النص، فوحد ضبط «داورية» إلى «دورية»، وأُعيد ضبط تسميات بعض المواقع العربية، فوحد ضبط «قالنديا» إلى «قلندية»، و«دورة» إلى «دورا»، و«دير انظام» إلى «دير نظام». وضبطت جميع المواقع والمنظمات العبرية ووحدت، فكتبت مثلًا «الهاغاناه» بدلًا من «هغناه» و«الهجانا»، وكتبت «كفار عتسيون» بدلًا من «كفر عتسيون» وكتبت «موتسا» بدلًا من «موتزا»، وكتبت «بن شيمن» بدلًا من «بن شيمي» وكتبت «البلماح» بدلًا من «البلماخ»، وكتبت «نيفه يعقوب» بدلًا من «نيفي يعقوب»، وكتبت «ميكور حاييم» بدلًا من «ميقور حاييم». وأُعيد ضبط بعض المواقع الأخرى مثل «الروتريام» التي استبدلت بها «النوتردام»، و«فندق الأطلنطي» الذي استبدل به «فندق أتلانتيك»، وجميعها عدّلت تلقائيًا من دون تمييز تعديلها بأي إشارة.

ختامًا، يُؤمل أن يعزز هذا النص السرديات العربية المتاحة حول النشاط الفلسطيني في حرب 1947-1949، وأن يشكّل لبنة أولى في مشروع بحثي لكتابة تاريخ الجهاد المقدس؛ تاريخ مؤسس على نصوص المهزومين الذين دونوا في كثير من الأحيان تفاصيل فعلهم لحظة الفعل، أو اكتفوا بالقول دون إثبات بالتدوين، أو دونوا سيرهم في لحظات مختلفة، لحظات يتخللها يأس أو

أمل أو رغبة في الثأر من قريب أو بعيد. مع نظر وتدقيق في نصوص وسرديات المستعمرين، البريطاني منهم والصهيوني، وفي روايات رفاق السلاح أو نازعي السلاح من جند وقادة وأنظمة.

وماذا بعد؟

صاحت فجأة جنديّة:

هو أنت ثانية؟ ألم أقتلك؟

قلت: قتلتي،

ونسيتُ، مثلك، أن أموت⁽²²³⁾.

(223) درويش، مج 3، ص 238.

الفصل الأول

مختصر المسيرة

الصورة (1-1)

عبد القادر الحسيني وقاسم الريماوي ومالك الحسيني وكامل عريقات، خلال استعراضهم مجموعة من مقاتلي الجهاد المقدس، أمام أهالي بلدة بديا، في أثناء جولات الحسيني التأسيسية للحشد والتنظيم



المصدر: أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي. التقطت في كانون الثاني/يناير 1948، تصوير خليل

رصاص.

متن التقرير

بسم الله [الرحمن] الرحيم

أثبت أدناه تقريرًا عن الأعمال التي تمت أثناء قيام معركة فلسطين، خاصًا بالذكر موقف قيادة الجهاد المقدس، من بعد استشهاد المرحوم عبد القادر الحسيني، وكيف حالت الترتيبات التي أتبعوها بيني وبين قيام سيادة مطلقة للهيئة العربية العليا في فلسطين، أو على الأقل، الإبقاء على بعض الخلايا التي ستكون سلاحًا في يد الهيئة، تركز عليه في الأعمال المقبلة ليكون نواة التحرير المنشود.

1. مقدمة⁽¹⁾

عندما أعلن الجهاد، وبدأت الاشتباكات بين العرب واليهود، مرّت فترة وجيزة قبل دخول عبد القادر الحسيني البلاد، كانت جميع القرى والمدن فيها مفتوحة أمام العدوان اليهودي، خاصة مدينة القدس. فعقدت اجتماعًا في بئرزيت⁽²⁾، حضره جميع مسلّحي قضاء رام الله، وبلغ الحضور حوالي

(1) العناوين 1، 4، 6، 7، 8 مما أثبتته الريماوي في مخطوط تقريره، أما بقيتها فمما وضعه

المحرر.

(2) قرية بيرزيت (بئرزيت): تقع إلى الشمال من مدينة رام الله، على بُعد 11 كلم عنها. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 1,560 شخصًا. اشتهرت بمدارسها وكنية بيرزيت الوطنية (1924). اتخذها الحسيني في حرب 1947-1949 مقرًا لقيادة قواته. للمزيد، يُنظر: مصطفى مراد الدبّاع، بلادنا فلسطين، الجزء التاسع، ديار بيت المقدس (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2018)، ص 228-231؛ الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، عبد الهادي هاشم (محرر رئيس)، مج 1 (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، ص 469-470.

خمسمئة [رجل]، كان منهم حوالي ثلاثمئة مسلّح. واتصلتُ على الإثر بلجنة الطوارئ في القدس⁽³⁾، وطلبت إرسال وفد منهم لأخذ متطوعين للدفاع عن مدينة القدس.

وبالفعل، حضر الأستاذ إميل الغوري وسامي الحسيني⁽⁴⁾، وأخذوا أربعين مسلّحًا وزّعوهم على الأحياء العربية، فتولوا الدفاع عن المدينة طيلة هذه المدة، وكانوا الخلية الأولى التي تولّت الدفاع عن المدينة فيما بعد، فبعضهم استشهد، والبعض الآخر بقي كنواة للدفاع، حتى اتسع نطاق الدفاع،

(3) لجنة الطوارئ في القدس: لجنة شكّلتها الهيئة العربية العليا لإدارة القدس، وتفرعت منها لجان محلية لإدارة شؤون الأحياء. شغل عضويتها إميل الغوري، وسعد الدين العارف، وغالب الخالدي، وراضي أبو السعود، وفؤاد عبد الغني الخالدي، وصالح الريماوي. انتهت صلاحياتها بتشكيل لجنة القدس القومية، إذ انتُخبت لجنة القدس وقضاهاها القومية، بشكل متأخر، مقارنة مع مدن فلسطين الأخرى، فانتُخب ممثلو مدينة القدس في 27 كانون الثاني/يناير 1948، وهم: الدكتور فوتي فريح، وصالح عبده، وحنا عطا الله، وتوفيق وفا الدجاني، والحاج طاهر بركات، والمحامي تحسين كمال، والشيخ أسعد الإمام الحسيني، وشريف صبوح، وجميل وهبة، وأنور نسيبة، والحاج فوزي الخياط، والحاج عيد عابدين، والمحامي وديع صلاح، ويوسف عبده، وجورج ديب: الدفاع، 1948/1/28، ص 4.

وكانت الهيئة العربية العليا قد قررت تأليف لجان قومية تدير شؤون المدن والقرى الفلسطينية مستقبلاً، مع اقتراب الخطر الصهيوني المتوقع في ظل الحديث عن جلاء المستعمر البريطاني عن فلسطين. وأسندت الهيئة أمر تأليف اللجان القومية في عموم فلسطين، في تشرين الثاني/نوفمبر 1947، إلى ثلاثة من أعضائها: الشيخ حسن موسى أبو السعود (1897-1957)، ورفيق راغب التميمي (1889-1956)، ومعين عبد الله الماضي (1887-1957). وكانت أول لجنة قومية تتألف في عموم فلسطين لجنة يافا، تبعها تشكيل لجان في مختلف قرى ومدن فلسطين. واعتبر النظام الداخلي للجان القومية هذه اللجان بمنزلة لجان فرعية للهيئة العربية العليا، تعمل لبذل الجهد في توحيد القوى والصفوف تحت لواء النضال، وهي مسؤولة عن تنفيذ قرارات الهيئة وتوجيهاتها. وتمايزت اللجان في طريقة تشكيلها، وفي قوة كادرها وحضورها، من مدينة إلى أخرى. عن قرار تشكيل اللجان والتأخر في تنفيذه، يُنظر وجهة نظر دروزة، في: محمد عزة دروزة، مذكرات محمد عزة دروزة سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمن 1305-1404هـ/1887-1984م، مج 5 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993)، ص 587. ولنموذج لأداء اللجان القومية، يُنظر: بهجت حسين صبري (إعداد)، وثائق اللجنة القومية العربية بنابلس 1947-1949، ج 1 (عمّان: مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية؛ نابلس: مركز التوثيق والمخطوطات والنشر في جامعة النجاح الوطنية، 1991).

(4) سامي «موسى كاظم» الحسيني: الأخ غير الشقيق لعبد القادر الحسيني. تخرّج في روضة المعارف، وساهم في نشاط الجهاد المقدس في منطقة القدس خلال حرب 1947-1949.

بحضور القائد عبد القادر [الحسيني]، فكان المذكورون هم النواة التي ارتكز عليها في تنظيم الدفاع عن جميع أحياء المدينة بالقدس، واحتفظت أنا بقوات كبيرة من المسلّحين، أخذت أطوف بها القرى للدعوة إلى حمل السلاح والمرابطة بجانب مدينة القدس، لنجدتها، إن قام اليهود بهجوم كبير عليها.

وفي هذه الأثناء، ذهبت إلى دمشق، حيث نقلت بعض الأسلحة التي سلّمتها اللجنة العسكرية إلينا من مخصصات منطقة القدس، فالدفعة الأولى مررت بها عن طريق طبريا، مخترقًا المناطق والمستعمرات اليهودية، ومارًا بالعفولة والمستعمرات الأخرى، إلا أنّ مشيئة الله أغلب، فلم يعترضني الحرس اليهودي طيلة الطريق. وكذلك النقلة الثانية. وأمّا الثالثة، فقد طُلب إليّ أن أمّر بها عبر شرقي الأردن، تجنبًا للخطر اليهودي، وكانت هذه المرة الأولى التي يُنقل فيها السلاح من سورية إلى فلسطين عبر شرق الأردن، فنقلتها، ولكن بصورة مخفية، وبمساعدة بعض الأصدقاء⁽⁵⁾.

وكانت هذه الأسلحة، على قلتها، أحوج ما تحتاج إليه حاميات الدفاع في مدينة القدس، فسلمتها للمسؤول عن الأحياء. وحال وصولي من سورية، علمت بأنّ المرحوم عبد القادر [الحسيني] قد دخل فلسطين، وأنّه في [قرية] صوري⁽⁶⁾، فتوجهت في الحال إليه. ومنذ تلك اللحظة، أخذت أساعده في جميع الشؤون العسكرية والإدارية. وبقينا في [قرية] صوري بضعة أيام، وبعدها انتقلنا إلى قضاء رام الله، لتتخذ مركزًا لأعمالنا⁽⁷⁾.

(5) عن تفصيلات نقل هذه الأسلحة وتخزينها وتوزيعها، يُنظر النص المدوّن تحت عنوان «أول السلاح لحرب النهاية: خطتنا للتسليح»، في المحور الثالث من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(6) قرية صوري: تقع شمال غرب مدينة الخليل، على بُعد 27 كلم عنها. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 2,190 شخصًا. مسقط رأس إبراهيم أبودية، أحد أبرز قادة قوة الجهاد المقدس. اشتهرت خلال مرحلة الحرب الأولى بمعاركها ضدّ التجمع الاستيطاني المجاور، غوش عتسيون، كما سيُفصّل عن بعضها في متن هذا الكتاب. للمزيد، يُنظر: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء السادس، ديار الخليل (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2018)، ص 185-187.

(7) سيأتي تفصيل ذلك لاحقًا، في المحور الرابع «عبد القادر على أرض الجهاد (أواخر كانون الأول/ديسمبر 1947-8 نيسان/أبريل 1948)»، من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

ولا يخفى أنّ جميع الأعمال العسكرية التي قام بها المرحوم عبد القادر [الحسيني] لم تكن نتيجة مجهود عشرات الجنود النظاميين الذين كان يقودهم [للحراسة]، بل كانت نتيجة نجدات المسلّحين الذين كانوا يهرعون لمساعدته بالآلاف من قضاء رام الله، فكان لا يبدأ المعركة إلا بثلاثين شخصاً، وينتهي منها بالآلاف؛ نتيجة تدفق المسلّحين من جميع أنحاء المنطقة. زد على ذلك أنّ جميع النجدات التي كانت تُرسل إلى القدس، فترابط فيها أياماً، كانت من تلك المنطقة. وقد بلغ مجموع من أدخلتهم للقدس في ليلة واحدة، ليلة نصف الوكالة اليهودية، ثماني عشرة سيارة شحن، فيها سبعمئة وخمسون مسلّحاً، تمكّنت أن أجمعهم وأصحبهم إلى القدس في ثلاث ساعات⁽⁸⁾.

وأما تسديد مصاريف التموين، وغيرها من الديون، فكانت من المنطقة نفسها. ولا يخفى أنّ بعض أعضاء اللجنة القومية⁽⁹⁾، من مدّعي الزعامة، كانوا يقاومون عبد القادر [الحسيني]، ويودّون خذلانه. ولا يخفى أيضاً أنّ عبد القادر لم يكن في الثورات الماضية في قضاء رام الله⁽¹⁰⁾، ولا تربطه بمعظمهم صداقة، وأنّ بعض الحمائل، أمثال دار النوباني والبراغثة، وأهالي [قريتي]

(8) كان ذلك في 11 آذار/ مارس 1948، وسيأتي تفصيل ذلك في المحور الرابع من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(9) ألفت لجنة رام الله وقضاؤها القومية، إثر اجتماع عام عُقد في 28 تشرين الثاني/نوفمبر 1947، بحضور عضوي الهيئة العربية العليا، الشيخ أبو السعود وإميل الغوري. وتشكّلت اللجنة بالتركية من: أديب الريماوي، محمود عبد الحميد، يوسف سحويل، أحمد أسعد سمعان، موسى خليل، داود عبد الله، عبد الله الجوده، مطر فرهود، محمد محسن أبو صبيح، بطرس المصيص، جار الله العلوي، سعيد عبد الله حسن، الحاج محمد أبو حسني، محمد سمور نمر، موسى داود ناصر، رشدي علي سالم، الشيخ جمعة السلواوي، محمد عبد الله الأسمر، عبده الشيخ إبراهيم: فلسطين، 1947/11/29، ص 4.

(10) نشط الحسيني في أثناء ثورة فلسطين الكبرى 1936-1939، في منطقتي القدس وبيت لحم، ولاحقاً في منطقة الخليل. وعلى الرغم من أنّ الحسيني سعى في مراحل الثورة الأخيرة، بعد ابتعائه لقيادة منطقة القدس والخليل، إلى مدّ نفوذه إلى بعض منطقة رام الله التي نشط فيها عدد من قادة الفصائل، فإنّه لم يوقّف في ذلك، وبقيت مرجعيات معظم هؤلاء القادة بعيدة عنه. ولم يطل المقام بالحسيني حتى أصيب في معركة بني نعيم، وخرج من جديد من فلسطين. يُنظر مثلاً: سعيد شقير، حياة نائر حياة المؤلف خلال ثمانين عاماً، طريق طويل كله أشواك (ساو باولو [البرازيل]: منشورات المؤلف، 1993).

النبي صالح ودير نظام، يعدّونه مسؤولاً عن قتل بعض أبنائهم⁽¹¹⁾. مع ذلك، فإنهم بفضل السياسة التي اتّبعتها، أصبحوا جميعاً تحت إمرته ويفتدونه بالنفس والنفس. وقد قام عبد القادر بجولة في المثلث العربي، فزار جنين وقضاءها، ونابلس وقضاءها، وطولكرم وقضاءها. وشكّل خلايا للدفاع، كان لها أكبر الأثر في سلامة تلك المناطق⁽¹²⁾.

ولا يخفى أنّ هذه المناطق كانت توالي [فوزي] القاوقجي، وكان دعواته ينشطون في الدعاية له، وهدفهم من وراء ذلك مقاومة الهيئة العربية العليا وسماحة المفتي [محمد أمين الحسيني]. إلا أنّ عبد القادر [الحسيني]، بفضل اتصاله الشخصي بجميع الأهالي ووجهاء القرويين، المعارضين منهم والمجلسيين⁽¹³⁾، تمكّن من التأثير كثيراً على معظمهم، وأزال مخاوفهم، وهم الآن يترحمون عليه، ويعدّون [استشهاده] خسارة لا تعوّض. وقد أحبه كثيرون منهم، وأخلصوا له، خاصة بعدما رأوا القاوقجي وفشله، فكانت تلك الزيارة بمثابة إقامة الحجة عليهم، وبمثابة الدعامة الأولى للهيئة العربية العليا في تلك المنطقة، خاصة بين المعارضين لسياسة الهيئة الذين لا يجرؤون الآن على

(11) في الأشهر الأخيرة لثورة 1936-1939، أسست مجموعات معارضة للثورة، أُطلق عليها اسم «فصائل السلام»، وكانت في معظمها برعاية بريطانية - صهيونية، وانضمت في بعض المناطق عائلات بأكملها إلى الفصائل، خصوصاً بعد وقوع عمليات اغتيال لعدد من وجهائها وأبنائها. يُنظر مزيداً عن دور هذه الفصائل في إخماد الثورة في المتن والهوامش المدرجة تحت العنوان «فلسطين بلا سلاح»، في المحور الأول من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(12) سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً، تحت العنوان «زيارات تأسيسية»، في المحور الرابع من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(13) يعدّ الانقسام السياسي الفلسطيني (مجلسي/ معارض) امتداداً لانقسامات عائلية تاريخية متجاوزة للحظة الاستعمار البريطاني. وقد تجذّر هذا الانقسام، وأخذ أبعاداً جديدة، في ظل الاستعمار البريطاني، خصوصاً إثر ثورة عام 1936-1939، وبعد حل اللجنة العربية العليا التي شكّلت هيئة جامعة لممثلي القوى السياسية الفلسطينية المختلفة، برئاسة رئيس مجلس الإسلامي الأعلى الحاج أمين الحسيني. وكان الحاج أمين الحسيني، وتياره السياسي، والذي يمثّله الحزب العربي، محورّي الاستقطاب الرئيسان في هذا الانقسام. وسُمي هذا التيار شعبياً بـ «المجلسيين»، بسبب مسؤولية الحاج أمين الحسيني في المجلس الإسلامي الأعلى الذي كان قبل سني اندلاع الثورة الفلسطينية الأبرز، وراغب النشاشيبي وتياره السياسي الذي يمثّله «حزب الدفاع»، وسُمي شعبياً بـ «المعارضة».

لوم الهيئة، ويعتبرون أنّ الهيئة بدأتهم بالمفاوضة للدفاع عن منطقتهم، وأبدت حُسن النية، وطمّنتهم بأن أرسلت إليهم عبد القادر إلى بيوتهم لتنظيم الدفاع عنهم، وليموت أمامهم وفي أراضيهم.

ومع أنّ تلك الجولة أثارت ثائرة القائمين على أمر الهيئة بالقدس، مثل الباشا [أحمد حلمي عبد الباقي]⁽¹⁴⁾، و[حسين فخري] الخالدي⁽¹⁵⁾، إلا أنّ

(14) أحمد حلمي عبد الباقي (1883-1963): وُلد في مدينة صيدا في لبنان. تلقى تعليمه الأساسي في نابلس، ثم عمل في المصرف الزراعي العثماني فيها، إلى أن انتقل إلى لواء العمارة في العراق في عام 1908. التحق بالجيش العثماني في أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم التحق مديراً للمالية في حكومة المديرين العربية، في آب/أغسطس 1919، فترة الحكم العربي في دمشق، ثم وزيراً لماليته في عام 1919. مع انتهاء الحكم الفيصلي، التحق بالأمير عبد الله في إمارته «شرق الأردن»، وزيراً للمالية، ثم تنقل بين الحجاز ومصر إلى أن عاد إلى فلسطين مراقباً لدائرة الأوقاف الإسلامية 1925-1930. ساهم في تأسيس البنك العربي، ثم البنك الزراعي العثماني، إضافة إلى دوره الرئيس في عدد من المؤسسات الاقتصادية. شغل منصب أمين صندوق اللجنة العربية العليا في عام 1936، وكان من أعضاء اللجنة المبعدين إلى سيشل في تشرين الأول/أكتوبر 1937. عاد إلى فلسطين في كانون الثاني/يناير 1940، ليعمل رئيساً لمجلس إدارة البنك الزراعي العربي، ثم مؤسساً للصندوق الوطني العربي في آب/أغسطس 1943. شغل عضوية الهيئة العربية العليا التي شكّلت في حزيران/يونيو 1946، وكان أحد أعضائها الموجودين في القدس لحظة الحرب. عيّنه الملك عبد الله حاكماً عسكرياً للقدس وضواحيها، ومنحه رتبة لواء فخرية في الجيش العربي في 1 تموز/يوليو 1948. عيّنه جامعة الدول العربية رئيساً للإدارة المدنية الموقّعة التي شكّلتها في تموز/يوليو 1948، لتسيير الشؤون المدنية العامة في فلسطين. ترأس حكومة عموم فلسطين التي انبثقت من هذه الإدارة في أيلول/سبتمبر 1948 في غزة. انتقل للعيش في القاهرة مؤسساً بنك الأمة العربية، ثم انتقل منها للعلاج في بيروت وتوفي هناك.

(15) حسين فخري الخالدي (1894-1962): وُلد في القدس، وتلقى تعليمه في مدرسة سانت جورج. درس الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت وجامعة إسطنبول. التحق بالجيش العثماني خلال الحرب العالمية الأولى، وخدم في جبهة غزة. وبعد سقوط فلسطين، التحق بقوات الأمير فيصل، وعمل طبيباً في دائرة الصحة العامة خلال حكم فيصل في سورية. بعد سقوط الحكم الفيصلي، عاد إلى فلسطين عاملاً في دائرة الصحة العامة من عام 1921 إلى أن استقال من عمله كوكيل مدير صحة القدس وطبيب شرعي في أيلول/سبتمبر 1934. انتُخب في مجلس بلدية القدس في تشرين الأول/أكتوبر 1934، وعُيّن رئيساً لها بين عامي 1935 و1937. شغل عضوية اللجنة العربية العليا التي تشكّلت في نيسان/أبريل 1936، وأبعد إلى جزيرة سيشل في تشرين الأول/أكتوبر 1937. عاد إلى فلسطين في تشرين الثاني/نوفمبر 1942، معيداً تفعيل حزب الإصلاح الذي شغل رئاسته. ساهم في مطلع حزيران/يونيو 1946 في تأسيس الجبهة العربية العليا، لكنّها سرعان ما حُلّت بتأسيس الهيئة العربية العليا التي شغل الخالدي عضويتها وأمانة سرها. كان من أعضاء الهيئة المقيمين في القدس في أثناء الحرب. عُيّن =

عبد القادر [الحسيني]، ولم يمضِ في هذه الرحلة أكثر من بضعة أيام، لمس نتائجها، وكان مرتاحًا إليها. وقد ثبت أن خير من دافع عن تلك المنطقة فيما بعد، وفي مختلف البلاد، هم الخلايا الذين أوجدتهم عبد القادر، سواء كان ذلك في منطقة جنين أم طولكرم.

2. ما بعد استشهاد عبد القادر الحسيني

وأخيرًا، استشهد عبد القادر [الحسيني] نتيجة للظروف التي أحاطته⁽¹⁶⁾. ويعلم الله أنني قاسيت بجانبه كل صعوبة تعرّض لها، وحاولت اللحاق به، فلم يُكتب لي الاستشهاد. وقد أراد اليهود اغتنام فرصة تدهور معنويات المجاهدين العرب إثر استشهادهم، فاحتلوا [قرية] دير ياسين⁽¹⁷⁾ و[قرية] بيت اكسا⁽¹⁸⁾.

= وزيرًا في حكومة عموم فلسطين، لكنّه سرعان ما عاد للاستقرار في الأردن، وشغل عددًا من المناصب الرسمية، ثم حارسًا للأماكن المقدسة، خلفًا لراغب النشاببي في نيسان/أبريل 1951، ووزيرًا للخارجية وقائمًا بأعمال قاضي القضاة في حكومة فوزي الملقى المشكّلة في أيار/مايو 1953، ووزيرًا للصحة والشؤون الاجتماعية في حكومة إبراهيم هاشم المؤلفة في كانون الأول/ديسمبر 1955، ثم رئيسًا للوزراء في الحكومة المؤلفة بعد الانقلاب الملكي على المعارضة في نيسان/أبريل 1957. كما واختير لعضوية مجلس الأعيان الخامس في تشرين الأول/أكتوبر 1955، والسادس في تشرين الثاني/نوفمبر 1959. للمزيد، يُنظر: حسين فخري الخالدي، ومضى عهد المجاملات مذكرات الدكتور حسين فخري الخالدي، 3 مج (عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2014).

(16) كان ذلك في 8 نيسان/أبريل 1948، في أثناء مشاركته في محاولة تحرير قرية القسطل، بعد احتلالها من القوات الصهيونية، ضمن عملية نحشون في 4 نيسان/أبريل. ويقدم الريموي روايته لحادثة استشهاد الحسيني وظروفها وأثرها في غير موضع، أثبتت تحت العنوان «خاتمة: الحسيني الشهيد»، في المحور الرابع من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(17) قرية دير ياسين: تقع في ظاهر القدس الغربي، على بُعد خمسة كيلومترات عنها. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 610 أشخاص. تعرّضت القرية لهجوم صهيوني تزعمته قوات «الإيتسل» في 9 نيسان/أبريل، بالتوازي مع معارك القسطل، واستشهاد الشهيد عبد القادر الحسيني. استشهد من أبناء القرية ما يقارب المئة، بعد معركة طويلة مع القوات الصهيونية المهاجمة التي ارتكبت إحدى أشهر مذابح حرب 1947-1949. للمزيد، يُنظر: الدباغ، بلادنا، ج 9، ص 99-101؛ هاشم، مج 2، ص 432-435؛ وليد الخالدي، دير ياسين: الجمعة 9/4/1948 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003).

(18) قرية بيت إكسا: تقع إلى الشمال الغربي من مدينة القدس، على بُعد تسعة كيلومترات عنها. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 1,410 أشخاص. للمزيد، يُنظر: الدباغ، بلادنا، ج 9، ص 81-82.

وزحفوا على [قرية] بدّو⁽¹⁹⁾، في طريقهم إلى رام الله، و[قرية] شعفاط⁽²⁰⁾، للإحاطة بالقدس. فعَمّ الذعر أهالي مدينة القدس وأهالي رام الله. كل ذلك تمّ في غضون أربع وعشرين ساعة⁽²¹⁾.

وفي هذه الأثناء، حاولت اللجنة القومية في رام الله، بطلب من أحمد حلمي باشا، أن تجمع النجدات. وأخذ علي محيي الدين الحسيني⁽²²⁾، وعبد الله الجودة⁽²³⁾، وجمعة السلواوي⁽²⁴⁾، وسعيد عبد الله، يطوفون القرى

(19) قرية بدّو: تقع إلى الشمال الغربي من مدينة القدس، على بُعد تسعة كيلومترات عنها. قُدِّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 520 شخصًا. شهدت خلال حرب 1947-1949 معارك رئيسة مع قوة مجاهدي «جيش الجهاد المقدس»، وقوة فوج أجنادين التابع لجيش الإنقاذ، ثم قوات الجيش العربي، أدّت إلى فشل الصهاينة في احتلال القرية وجوارها. للمزيد، يُنظر: المرجع نفسه، ج 9، ص 76.

(20) قرية شعفاط: تقع في ظاهر القدس الشمالي، على بُعد خمسة كيلومترات عنها. قُدِّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 760 شخصًا. للمزيد يُنظر: المرجع نفسه، ج 9، ص 67-68.

(21) أُطلق الصهاينة، مع أواخر آذار/مارس ومطلع نيسان/أبريل 1948، سلسلة عمليات عسكرية، تنفيذًا لخطتهم الهجومية، «الخطة دالت»، وهدفت هذه العمليات (عملية نحشون، عملية هارثيل، عملية يوسي) إلى احتلال المواقع العربية الرئيسية في القدس وفي الطريق المؤدية إليها، لكنّها لم تحقق، في كثير من الأحيان، غاياتها النهائية، ومنيت بالفشل على أبواب بعض القرى والبلدات الفلسطينية، كان أبرزها الفشل الذي منيت به عملية يوسي في منطقة بدّو - النبي صمويل. حول العمليات الصهيونية في نيسان/أبريل في منطقة القدس، يُنظر: عارف العارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947-1949، الجزء الأول، من قرار التقسيم 1947/11/29 إلى بدء الهدنة الأولى 1948/6/11 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012)، ص 176-186، 273، 281-287؛ يهودا سلوتسكي، تاريخ الهاغاناه، القسم الثالث: من النضال إلى الحرب [بالعبرية]، مج 2 (تل أبيب: عام عوفيد، 1972)، ص 1575-1579؛ معارك يوسي [بالعبرية]، ألون كاديش وموشيه أرنولد (محرران) (تل أبيب: دار نشر وزارة الدفاع، 2008).

(22) علي محيي الدين الحسيني (1905-1963): ابن محيي الدين الحسيني أحد عمداء أسرة الحسينيين، وخال الشهيد عبد القادر الحسيني.

(23) عبد الله الجودة الطويل (1890-1967): وُلد في قرية البيرة. هاجر وشقيقه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، قبيل الحرب العالمية، وأسسًا لتجارة ناجحة. عاد عبد الله إلى البيرة ليصبح من أبرز ملاكها ووجهائها خلال فترة الاستعمار البريطاني لفلسطين. ترأس المجلس المحلي للبيرة، وكان في حرب 1947-1949 رئيسًا له. اختير كأول رئيس لبلدية البيرة بعد تأسيسها في عام 1952. ترشح في عدد من انتخابات مجلس النواب الأردني، بدءًا من انتخابات المجلس الثاني، وانتُخب في مجلس النواب الأردني السادس في 19 تشرين الأول/أكتوبر 1961. توفي في البيرة.

(24) جمعة موسى عبد القادر السلواوي (1919-1971): وُلد في قرية سلواد قضاء رام الله، =

لتجميع المسلّحين، ولكن لم يتمكّنوا من إحضار أي مسلّح. وفي اليوم الثاني، 9 نيسان/أبريل 1948، حضر إليّ نافذ الحسيني⁽²⁵⁾، وطلب إليّ التوجه إلى رام الله، وكنتُ آنذاك ما زلتُ مأخوذاً بألم المصيبة في أعز مخلوق لديّ، وكنت قد فقدتُ الأمل في مساعدات الدول العربية، وعرفت أنهم مصممون على مقاومة جماعة الهيئة العليا بأي ثمن كان.

رفضتُ الذهاب إلى رام الله، وأصررت على حضور الجنازة، وكنت قد قررت الانسحاب من «الجهاد»، بعد هذه النكبة. وفي اليوم التالي، وبتاريخ 11 نيسان/أبريل [1948]، أرسل الباشا [أحمد حلمي عبد الباقي]، والدكتور [حسين] الخالدي، من أحضرني إلى دار الهيئة. وأخذ الباشا يتحدث عن الخطر والمخاوف والمساعدات القادمة، وعن رغبة سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني] في أن أذهب إلى رام الله، لأنّ مدفعية جيش الإنقاذ التي حضرت ثاني يوم قد انسحبت، وباتت القدس ورام الله وشيكة السقوط في أيدي اليهود الذين يرضون بلا مقاومة. أثار حميتي، وتعهد باسم اللجنة القومية في القدس والهيئة أن يُموّنَ النجدة التي أحضرها.

توجّهتُ في الحال إلى رام الله، حيث أحضرت خمسمئة مسلّح من القرى. وفي الحال توجّهتُ وإياهم لوقف الزحف اليهودي، فوضعتُ حامية قوية في [قرية] بدّو، اشتبكت مع اليهود، وأوقعنا فيهم خسائر فادحة، وصددناهم. ووضعتُ حامية أخرى في [قرية] النبي صمويل⁽²⁶⁾، تمكّنت كذلك من صدّ

= ودرس في سلواد وحيفا. حصل على إجازة في القضاء الشرعي من كلية الشريعة في الأزهر في القاهرة عام 1945. عمل في المحكمة الشرعية في كل من يافا ورام الله و نابلس والسلط والطفيلة ومعان، وأصبح قاضيًا للمحكمة الشرعية في نابلس، ثم عضوًا في محكمة الاستئناف الشرعية في القدس. كان خطيبًا للجمعة، وأول رئيس لشعبة الإخوان المسلمين في سلواد التي أسست في كانون الأول/ديسمبر 1945، وعضوًا معيّنًا من المرشد العام للإخوان المسلمين، حسن البناء، في المكتب الإداري العام للجماعة في فلسطين. انتُخب بالتزكية لعضوية اللجنة القومية لرام الله وقضاؤها.

(25) نافذ محيي الدين الحسيني (-1958): ابن محيي الدين الحسيني، أحد عمداء أسرة الحسينيين، وخال عبد القادر الحسيني.

(26) قرية النبي صمويل/صموئيل: تقع إلى الشمال الغربي من القدس، على بُعد ثمانية كيلومترات عنها. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 200 شخص. اشتهرت القرية بوجود مقام النبي =

الزحف اليهودي، ومن أسر قائد الحملة اليهودي. ووضعتُ حاميات أخرى في [قرى] شعفاط وبيت سوريك ودير أيوب، وفي باب الواد وفي قلندية⁽²⁷⁾. وبعدها، استدعيت إلى القاهرة للبحث في أمر قيادة الجهاد المقدس.

3. خلافة عبد القادر الحسيني في القيادة

وصلتُ القاهرة في يوم 14 نيسان/أبريل 1948، فوجدتُ أنه في النية تعيين خالد الحسيني قائداً للجهاد المقدس⁽²⁸⁾، فقلت إنني لا أعرف عن خالد

= صمويل فيها. بُنيت على أعلى القمم القريبة من القدس، فاحتلت بذلك موقعاً استراتيجياً مهماً جعلها مسرحاً لمعارك حاسمة في حرب 1947-1949. هُدمت القرية وهُجّر سكانها في آذار/مارس 1971. للمزيد، يُنظر: الدباغ، بلادنا، ج 9، ص 72-75. وحول هجوم بدو - النبي صمويل، يُنظر شهادة قائد فوج أجنادين الذي شارك في المعركة: «يوميات طه الهاشمي»، مخطوط محفوظ لدى مركز المعلومات والتوثيق في مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت، يومية 25 نيسان/أبريل 1948. ويُنظر: العارف، مج 1، ص 273؛ سلوتسكي، مج 2، ص 1575-1577؛ يتسحاق ليفي، تسعة تداوير: القدس في معارك حرب الاستقلال [بالعبرية] (تل أبيب: دار نشر معرخوت - جيش الدفاع الإسرائيلي، 1986)، ص 208-211؛ «المعركة على النبي صمويل» في: كاديش، معارك، ص 30-44. مقارناً ب: أوري ميلشتاين، معركة النبي صمويل - المکتوب على الجدار الذي لم يقرأ [بالعبرية] (رامات أفعال: دار نشر شريدوت، 2009). ووفقاً لتاريخ الهاغاناه، فإنه سقط في النبي صمويل 35 قتيلًا، منهم قائد الهجوم سموئيل بوزنسكي. أما ليفي، فيشير إلى مقتل 38، وإصابة 40.

(27) قرية قلندية: تقع شمال مدينة القدس، على بُعد 11 كلم عنها. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 190 شخصًا. أُسس على أراضيها، في ظل الاستعمار البريطاني، مطار عسكري/مدني. إثر حرب 1947-1949، نزل في أراضيها المئات من مهاجري المناطق المحتلة، ليؤسس عليها ما سُمِعَ لاحقًا بمخيم قلندية. للمزيد، يُنظر: الدباغ، بلادنا، ج 9، ص 57.

(28) يُشار إلى أن الريماوي كان قد دوّن في الأصل: «فوجدت أن إبراهيم أبو دية قد رشح السيد خا». لكنّه حذفها ودوّن ما أثبت في متن النص. وللأهمية المفترضة لهذه الإشارة، أثبتت هنا في الهامش. ووفقاً لرواية ثانية، قدمها ذو الكفل عبد اللطيف الذي تحدّث عن ترشيح الحاج أمين الحسيني له لخلافة عبد القادر الحسيني في قيادة قوة الجهاد المقدس في منطقة القدس، وعن تزكية اللجنة العسكرية العربية لهذا الترشيح، فإنّ عددًا من الحسينيين قدموا أول الأمر إلى سورية، وبصحبته عبد الله العمري، احتجاجًا على قرار تعيينه. وأنّ صلاح جميل الحسيني، أخبره بالاتفاق على أنه لا يخلف الحسيني إلا حسيني، مرشحًا خالد شريف الحسيني، وأنهم مستعدون لقتال من يأتي خلافًا لرغبتهم. ويضيف ذو الكفل أنه بعد ذلك سافر إلى القاهرة، ل طرح الأمر على الحاج أمين الحسيني، وأنّه في القاهرة عقد اجتماعًا بحضور الحسينيين، وحضور قاسم الريماوي، واثّر ذلك فُرض تشكيل جديد للجهاد المقدس. وبرز الحاج أمين الحسيني استسلامه لأقاربه بالقرابة بين أبو دية وخالد الحسيني، وكون أبو دية مشرفًا =

شيئًا كثيرًا، ولكنني أبلدئ رأئي بأنّ تعيين أيّ حسيني سيحلّ المشكله، بشرط أن يكون محاطًا بهيئة من العاملين المخلصين. وبعد مشاورات، تم تأليف القيادة الجديدة، على أن يتولى خالد [الحسيني] القيادة العامة، وأن يُضاف إلى الهيئة الحربية السادة: منير أبو فاضل⁽²⁹⁾، وإسحاق عبد السلام الحسيني⁽³⁰⁾.

= على مستودعات السلاح الرئيسة: ذو الكفل عبد اللطيف، قصة كفاحي من الثورة الفلسطينية إلى حرب 1948 (عمّان: دار سندباد للنشر، 2000)، ص 208-219.

(29) منير أبو فاضل (1912-1987): وُلد في قرية عين عنوب قضاء عاليه في لبنان. عمل مع الحكومة الاستعمارية البريطانية في فلسطين، وشغل قبل الانسحاب البريطاني منها منصب مساعد قائد الأمن العام. بعد استشهاد عبد القادر الحسيني، وإعادة هيكلة قوة الجهاد المقدس، عُيّن أبو فاضل مفتشًا عسكريًا للقوات، وكان هذا التعيين موضع اعتراض وشبهة لموقعه الأمني السابق. بعد الحرب التحق بالجيش اللبناني، ثم انتُخب نائبًا في مجلس النواب اللبناني منذ عام 1957، وتجدد انتخابه إلى لحظة وفاته: منير أبو فاضل، حرب فلسطين لم تنته (بيروت: دار الكتاب العربي، 1955). ويُنظر رواية أحد المعارضين على تعيين أبو فاضل، والذي أشار إلى أنّ تعيين أبو فاضل كان بضغط من المخابرات البريطانية في القاهرة: عبد اللطيف، ص 223-224. أما الريماوي، ومن قبله الحاج محمد أمين الحسيني، في حديث مع ذو الكفل عبد اللطيف، فأشارا إلى تعاون مسبق بين أبو فاضل وعبد القادر الحسيني. وكتب الريماوي في مقالاته في صحيفة الدستور: «تطوّع عدد من الموظفين العرب في أجهزة حكومة الانتداب، وبعض الأشخاص الذين هم على اتصال برجال الحكم، بإيصال جميع المعلومات التي يحصلون عليها، أو تقع تحت أيديهم، إلى القائد الشهيد عبد القادر الحسيني، وكان هذا تطوعًا اختياريًا، وبمحض إرادتهم، وليس له أية دوافع مادية، بل بمجرد الشعور بالواجب. أذكر من هؤلاء الرئيس منير أبو فاضل الذي كان يحتل آنذاك مكانًا مرموقًا في دائرة المخابرات العامة CID، والذي أصبح، بعد استشهاد عبد القادر الحسيني، مفتشًا عسكريًا لقوة الجهاد المقدس، وهو الآن نائب في مجلس النواب اللبناني. أذكر أنه حضر إلى فندق بانوراما برام الله، ومعها ابنة شقيقه، وكانت زميلة عبد القادر في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، للسلام على عبد القادر يوم وصوله إلى منطقة رام الله، في الأسبوع الأول من عودته إلى فلسطين. وكان السيد منير يتعاطف مع الثوار سنة 1938، قال: 'إنني على استعداد لأن أزودكم بجميع التقارير والمعلومات التي ترد إلينا عن تحركات الإسرائيليين العسكرية'. فرحّب عبد القادر بذلك، وقد أخذ هو وغيره من الأشخاص بتزويد قيادة الجهاد المقدس بمعلومات عن جميع تحركات العدو، عن القوافل المتوجهة من تل أبيب إلى القدس وبالعكس، ويرسلون صورًا عن جميع المخابرات التي تتم بين الوكالة اليهودية وحكومة الانتداب إلى القيادة: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (19)»، الدستور، 11/12/1972، ص 4.

(30) إسحاق عبد السلام الحسيني (1914-1971): وُلد في القدس. درس في كلية روضة المعارف، ثم عمل مدرسًا في العراق. حصل على دبلوم صحافة من الجامعة الأمريكية في القاهرة، وعمل مدرسًا في فلسطين والعراق. أسس صحيفة الوحدة في القدس، والتي صارت الصحيفة الناطقة باسم الحزب العربي. بعد هزيمة فلسطين في حرب 1947-1949، انتقل إلى سورية ثم إلى ليبيا، واستقر في طرابلس إلى أن توفي هناك.

فتكون مؤلفة من: كامل عريقات، ويبقى مساعد القائد؛ وقاسم الريماوي، أمين السر العام؛ ومنير أبوفاضل، مفتشًا عامًا أو نائب القائد؛ وإسحاق عبد السلام للاستخبارات؛ وسامي الحسيني مساعدًا إداريًا؛ وإبراهيم أبو دية⁽³¹⁾ قائدًا للقطاع الجنوبي. وقد تقرّر أن تتولى هذه الهيئة مجتمعة أعمال القيادة، وأن تُحدّد صلاحيات المسؤولين. و[رئي أن] من المصلحة استدعاء خالد الحسيني، فحضر إلى مصر هو وصلاح جميل الحسيني. وبعد اطلاعه على التشكيل الجديد، وافق على تولّي منصب القائد العام. وقد دفع سماحة الرئيس [محمد أمين الحسيني] ستة آلاف [جنيه]، على أن توزّع بإشراف الهيئة الحربية على الشكل التالي:

1. يسدّد الرواتب المتأخرة للجنود.

2. يدفع 30% من الديون المطلوبة من القيادة.

3. يرصد الباقي لشراء ذخيرة وقت الحاجة.

وقد أعلن خالد [الحسيني] أنه سيتخذ بئرزيت مقرًا له، فعدنا إلى القدس. وحال وصوله هناك، عُقد اجتماع عائلي، عرفت فيما بعد أنه حضره الدكتور داود [الحسيني]، والست زكية [الحسيني]⁽³²⁾ وغيرهم. وتقرر فيه تسيير أعمال

(31) إبراهيم عبد الفتاح أبو دية (1920-1952): وُلد في قرية صوريف. لم يُنه تعليمه الأساسي بسبب فقر أسرته. بدأ مبكرًا نشاطه الوطني بالالتحاق بثورة 1936-1939. كان من القادة الأساسيين في التشكيل السري الذي عمل عبد القادر الحسيني على تشكيله بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، استعدادًا للمعارك المتوقعة، وكان مساهمًا في عمليات شراء السلاح من مصر وحفظها في صوريف. مع إطلاق قوة الجهاد المقدس، كان أحد قادتها الأساسيين، وكان قائدًا للسرية الثالثة. قاد الدفاع عن حيّ القطمون في القدس، كما شارك في عدد من المعارك الرئيسية في مرحلة الحرب الأولى، وأصيب أكثر من مرة. أصيب في أيار/مايو في معركة رامات راحيل إصابة أدّت إلى شلله، فانتقل على إثرها إلى بيروت للعلاج إلى أن توفي هناك. للمزيد، يُنظر: نهيل عادل عوضة، معارك القدس الجديدة ومدخلها عام النكبة، سيرة البطل إبراهيم أبو دية (بيت لحم: مطبعة الجراشي، 2012). ويُنظر أيضًا بعض ما كُتب عنه في أثناء المعارك في: خليل السكاكيني، يوميات خليل السكاكيني: يوميات، رسائل تأملات، الكتاب الثامن: الخروج من القطمون، 1942-1952، أكرم مسلم (محرر) (القدس: مركز خليل السكاكيني؛ مؤسسة الدراسات المقدسية، 2010)، ص 247-253، 304-305.

(32) زكية «مصطفى هلال» الحسيني: طليقة شريف «محمد سليم الحسيني» (أبو خالد)، ومن ثم زوجة أخيه موسى كاظم من بعد وفاته، وخالة عبد القادر الحسيني.

القيادة على أساس آخر، غير الأساس الذي تم الاتفاق عليه في القاهرة. وفي صباح اليوم التالي، اتصلت بخالد لنذهب سوياً إلى بئرزيت، لتسليم الحسابات، ولتصفية الموقف، والاطلاع على السجلات والأسلحة، وليستلم مهام العمل وتوجيه القيادة كالمعتاد، فاعتذر وقال إن صحته منحرفة، وطلب إليّ العودة في اليوم التالي.

وفي صباح اليوم التالي، أبلغني أنه قرر البقاء في مدينة القدس، فطلبت إليه مرافقتي إلى بئرزيت لتصفية الموقف، فاعتذر. وطلبتُ منه تسديد 30% من الديون، ودفع الرواتب المتأخرة، خشية أن يهرب الجنود بأسلحتهم، فرفض كذلك، وقال إنه سينظم قيادته بحسب ما يراه هو مناسباً، وليس على أساس الماضي. فاستأثرتُ لهذا الأمر، وقررتُ الذهاب إلى بئرزيت للوقوف على الحالة هناك. وفي هذه الأثناء، هاجم اليهود حيّ الشيخ جراح واحتلوه، فعقد اجتماع في دار «الإخوان المسلمين»⁽³³⁾، برئاسة الباشا [أحمد حلمي عبد الباقي]، وطلب منّي الباشا أن أتوجه إلى قضاء رام الله، وأن أهاجم اليهود من الجهة الشمالية، عن طريق شعفاط. فلما شعرت بخطورة الموقف، ذهبت إلى المنطقة وأحضرت عدداً كبيراً من المسلّحين، حيث هاجمنا اليهود وأرغمناهم على الخروج من حيّ الشيخ جراح بكامله⁽³⁴⁾. وبقي فصيل كامل يرباط في تلك

(33) دار جماعة الإخوان المسلمين في القدس: اتخذت جماعة الإخوان المسلمين في القدس قصر أحمد سعيد بك الحسيني في حيّ الشيخ جراح، بجوار الفصليّة السعوديّة، مقرّاً عامّاً لها. افتُتح في 6 أيار/ مايو 1946، كمقر مؤقت للجماعة، إلى حين اكتمال إنشاء دارها على أرض وقفية في حيّ الشيخ جراح استوّجرت إجارة طويلة. ومنذ ذلك التاريخ، تحوّلت الدار إلى واجهة للكثير من نشاطات الحركة الوطنية في القدس، وأُتخذت مقرّاً للاجتماع الذي انْتُخبت فيه لجنة القدس القوميّة في 27 كانون الأوّل/ يناير 1948، ثم أُتخذت مقرّاً عسكرياً لقوة الجهاد المقدس.

(34) كان الهجوم الصهيوني على حيّ الشيخ جراح في 25-26 نيسان/ أبريل 1948، جزءاً من عملية يبوسي، لكنّ الهجوم في مجمله مُني بالفشل. ووفقاً لرواية بهجت أبو غربية، فإنّ الصهاينة نجحوا في احتلال قصر راغب النشاشيبي الذي كان بناءً تحت الإنشاء، وإنّه إثر ذلك عُقد اجتماع تقدير موقف بقيادة خالد الحسيني، وكان رأي أبو غربية المبادرة بهجوم مضاد لتطهير الحيّ، منعاً لتحصن الصهاينة في المنطقة المحتلة، وهو ما سيُشكّل خطراً على القدس بفرض حصار شمالي، إضافة إلى الغربي. لكنّ خالد الحسيني رفض، وطلب تأجيل الهجوم إلى حين وصول الإمدادات، فرفض أبو غربية، ونفذ هجوماً بمبادرة شخصية، على أن تصل الإمدادات لاحقاً، بمشاركة من جنود جيش الإنقاذ التابعين لأمر الحماية، =

المنطقة، حتى دخل الجيش العربي مدينة القدس، في 18 أيار/ مايو 1948. واستشهد أثناء تلك المدة جندي واحد، وأصيب ستة بجراح. وما أن وصلتُ بئرزيت، حتى أوفد فوزي القاوقجي الدكتور أمين رويحة⁽³⁵⁾ إلى رام الله، للاجتماع بي وبالأستاذ إميل الغوري.

4. نحن وفوزي القاوقجي

وفي مساء 27 نيسان/ أبريل 1948، حضر الدكتور أمين رويحة، وعقد [اجتماعاً] حضرته أنا والأستاذ إميل الغوري، وأعلمنا أنه موفد من قبل [فوزي] القاوقجي ليفاوضني، بصفتي مسؤولاً عسكرياً عن قيادة الجهاد المقدس، ويفاوض إميل بصفته مسؤولاً سياسياً عن تنظيم الدفاع عن المنطقة. وأعلن أنّ اللجنة العسكرية قد عيّنت فوزي القاوقجي قائداً عاماً عن المنطقة الوسطى بكاملها، أي منطقة القدس واللد⁽³⁶⁾، وأنّ فوزي يريد أن يجتمع بنا. وقد

= ومقاتلي حيّ وادي الجوز. وانتهى الهجوم بتدخل الجيش البريطاني واحتلاله للحيّ، وإخلائه القوات العربية والصهيونية، معزراً مواقعهم في الحيّ التي كانت مقتصرة على قصر المقي. ووفقاً لشهادة أبو غربية، فإنّ بعض مقاتليه كان من قرية سنجل قضاء رام الله: أبو غربية، مذكرات المناضل بهجت أبو غربية 1916-1949: في خضم النضال العربي الفلسطيني (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1993)، ص 234-237. ويُنظر: سلوتسكي، مج 2، ص 1577-1578؛ ليفي، ص 212-213؛ كاديش، معارك، ص 61-98.

(35) أمين رويحة (1901-1984): وُلد في مدينة اللاذقية في سورية. درس الطب في جامعات فيينا وبرلين، وحصل على شهادة اختصاص في جراحة العظام من جامعة ميونخ في ألمانيا. عمل طبيباً في مصر والحجاز والعراق وسورية، وكان رئيس أطباء المستشفى العسكري في دمشق. شارك في العمل الوطني والقومي في بلاد الشام والعراق. ساهم في تأسيس نادي المثني في العراق في عام 1935، وشارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني. بعد فشل الثورة، اعتُقل ونُفي إلى روديسيا، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية والإفراج عنه، عاد إلى سورية مشاركاً في العمل السياسي. ومع بدء تأسيس جيش الإنقاذ، تطوع للعمل كطبيب مرافق لقوات الجيش في الجليل شمال فلسطين. وأفادت صحيفة الجزيرة الأردنية أنّ الدكتور رويحة، عضو لجنة الدفاع عن فلسطين في سورية، دخل فلسطين عبر الأردن في 25 شباط/ فبراير 1948، بصحبة بعض الممرضات ومجاهدين آخرين: «مجاهدون يمرون من عمّان»، الجزيرة، 1948/2/26، ص 1.

(36) عُيّن فوزي القاوقجي قائداً عاماً للمنطقة الوسطى بالوكالة في 26 نيسان/ أبريل 1948، ليصير فعلاً القائد العام للقوات الموجودة في فلسطين. للمزيد عن كيفية تعيين القاوقجي، والفشل في

همس في أذني بأن فوزي يريد تعييني في منطقة القدس، بدلاً من عبد القادر [الحسيني]، وتعيين حسن سلامة في منطقة اللد، ليتفق وإيانا على الخطة التي نراها مناسبة. وطلب إلينا تعيين الوقت [والمكان للاجتماع إليه].

اعتذرنا له. وفي الحال، توجهنا إلى دمشق لمراجعة سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني] في ذلك. وقبل سفرنا إلى دمشق، ذهبت إلى خالد [الحسيني] في المأمونية⁽³⁷⁾، فأطلعت على نوايا القاوقجي، وأفهمته أنه يعمل لمقاومة نفوذ سماحة المفتي والهيئة، وطلبتُ إليه وجوب الاهتمام بهذا الموضوع، وأنه قد يعين فوزي القاوقجي مسؤولاً آخر غيره في المنطقة، وأنه حاول الاتفاق معي لتوليتي هذه المسؤولية، فلم يُعِر كلامي اهتماماً، وقال: «أنا لا أريد أن أتدخل في هذا الموضوع». فطلبتُ إليه مرافقتي لعقد اجتماع مع أعضاء اللجنة القومية ووجهاء منطقة رام الله، لنبلغهم بأن خالد قد تعين بدلاً من عبد القادر [الحسيني]، وأن هذه هي رغبة سماحة المفتي. وقد أفهمته أن بعض أعضاء اللجنة القومية، وهم: عبد الله الجودة، وجمعة السلوادي، وسعيد عبد الله، ذهبوا مع عارف العارف، واجتمعوا بالقاوقجي، وطلبوا إليه تعيين مسؤول من طرفه عن منطقة القدس، وأنهم سيتعاونون معه إلى آخر حد. وأفهموه أنهم في حالة موافقته إياهم، لن يعترفوا بأي شخص تعينه الهيئة، إلا أن القائد المحنك رفض ذلك.

وهنا، رأينا أنه لا بد من الاتصال بسماحة المفتي في دمشق، فتوجهتُ أنا

= إيجاد قائد للمنطقة الوسطى، بعد استشهاد قائد القطاع الشرقي فيها عبد القادر الحسيني، يُنظر: بلال محمد شلش، يافا دمٌ على حجر.. حامية يافا وفعالها العسكري دراسة ووثائق؛ الجزء الأول سيرة البارود اليافي: دراسة في بنية حامية يافا وفعالها العسكري كانون الأول/ديسمبر 1947 - نيسان/أبريل 1948 (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)، ص 219-220.

(37) المدرسة المأمونية/الميمونية: أسست وجُعِلت وفقاً في عام 1197، على يد أبو سعيد بن ميمون القصري. وُجد مبناها الأول داخل سور البلدة القديمة في القدس، في ما يُعرف اليوم بالقادسية. وائر الاحتلال البريطاني لفلسطين، جددت السلطات الاستعمارية المدرسة. ونُقلت في عام 1937 إلى خارج الأسوار شمالاً، على بُعد 500 متر من باب الساهرة. اتُخذ مبنى المدرسة القديم مقرّاً لقيادة «جيش الجهاد المقدس»، بعد تسلّم خالد الحسيني القيادة العامة، خلفاً لعبد القادر الحسيني، في نيسان/أبريل 1948.

والأستاذ [إميل] الغوري إلى دمشق، حيث اجتمعت بسماحة المفتي، وافهمته أنّ خالد [الحسيني] لم يعمل شيئاً ممّا تم الاتفاق عليه، وأنّه يظهر أنّ العمل معه سيكون متعدّراً عليّ، فاتصل سماحته به لاسلكياً، وأمره أن يتوجه إلى بئرزيت لتصفية الموقف، إلّا أنه لم يذهب، بل أرسل صلاح الحسيني، وأعطاه خمسمئة جنيه، يظهر أنه سدّدها من ديونه التي استلفها هو، ولم يورّع نسبة 30% كما تم الاتفاق.

ولمّا عدت إلى القدس، كان قد وصل المقدم مهدي صالح العاني⁽³⁸⁾ إلى رام الله، وأعلن بأنّ [فوزي] القاوقجي واللجنة العسكرية انتدبه قائداً عاماً لمنطقتي القدس واللد، وأنّه هو المرجع الوحيد، وأنّه لا يعترف بأي قيادة أخرى⁽³⁹⁾. وقد نشط عارف العارف الذي كان يمثّل السلطة الإدارية، وعبد الله الجودة وغيره، وأخذت وفود البلاد تتقاطر عليه للتعرّف على شخصيته، وأخذوا يحرضونه على إلغاء قيادة الجهاد المقدس في بئرزيت وإلحاق أفرادها به، والاستيلاء على موجوداتها. في هذه الفترة، وبينما كانت الإشاعات تتردد بأنّ القاوقجي سيقضي على جماعة الجهاد المقدس، وأنّه سيقوم بتنظيمات

(38) مهدي صالح العاني (1900-؟): وُلد في عانة في العراق، ودرس في المدرسة العسكرية في بغداد، ثم التحق بمدرسة تدريب الضباط في إسطنبول. التحق بالجيش العربي في درعا، ثم بكتيبة الفرسان، إبان الحكم العربي في سورية. عُيّن قائداً للدرع في درعا، خلال الاستعمار الفرنسي لسورية، ثم التحق بالحرس الملكي العراقي، بعد تولي الملك فيصل الحكم. عُيّن أمراً لحامية البصرة، ووقف ضدّ ثورة رشيد الكيلاني. بعد إقرار التقسيم، قاد فوج القادسية الذي تكوّن من متطوعين عراقيين أشرفت عليهم جمعية إنقاذ فلسطين في بغداد. شارك في معارك جيش الإنقاذ المختلفة، وعُيّن قائداً للمنطقة الوسطى، بتكليف من فوزي القاوقجي، وأقام في رام الله. غادر فلسطين في 20 أيار/ مايو 1948، بعد قرار الجيش العربي الأردني بالسيطرة العسكرية الكاملة على مناطق وجوده في فلسطين. في سورية، التحق من جديد بجيش الإنقاذ، قائداً لفوج اليرموك الثالث، إلى أن أنهيت خدمته في تشرين الثاني/ نوفمبر 1948.

(39) ضمن التعديلات القيادية التي أجراها القاوقجي، بعد تعيينه قائداً للمنطقة الوسطى بالإنابة، فأعلن عن تعيين الرئيس أول عبد الحميد الراوي أمراً لحامية القدس، وأعلن المقدم محمد المهدي قائداً لمنطقة رام الله. وتؤشّر صيغة البيانات الأولى التي صدرت عن القيادة الجديدة إلى عدم اعترافها بأي تشكيلات عسكرية سابقة على وجودهما، ومحاولتهما فرض نظام عسكري جديد في منطقة القدس عموماً، وفي منطقة رام الله وقراها خصوصاً، يشغل فيه المختابر والأعيان حلقة وصل رئيسية، مع القيادة العسكرية الجديدة. يُنظر: الجزيرة، 5/5/1948، ص 2؛ الجزيرة، 6/5/1948، ص 1.

جديدة⁽⁴⁰⁾. وصلت بئرزيت، حيث وجدت هؤلاء الجنود الصابرين الذين لم تُدفع لهم الرواتب ينتظرون قدومي، فدفعت لهم قسمًا من الرواتب المتأخرة، وأفهمتهم أنهم باقون، وأن المفتي [محمد أمين الحسيني] يؤيدهم.

ارتفعت معنويات الجنود، وأخذ رؤساء المسلّحين يفدون إليّ [ليعلنوا] ولاءهم لسماحة المفتي، واستعدادهم لمؤازرة الجهاد المقدس، ولكنني رأيت أنّ من المصلحة معاودة الاتصال بخالد [الحسيني]، فذهبت إلى المأمونية، واجتمعت به، فقال: «أنا لا أهتم بأية قيادة، ولست على استعداد لمقاومة [فوزي] القاوqجي في سبيل مصالح شخصية». عندها تأثرت كثيرًا، ودعوت كامل [عريقات]، وجاد الله [الخطيب]، وخليل منون، وإبراهيم أبو دية، وسامي الحسيني، ومنير [أبوفاضل]، إلى اجتماع في المأمونية. وطلبت من خالد حضور الاجتماع، فحضر، وقد حضر معه الدكتور داود الحسيني. فلمّا جلسنا في الاجتماع، طلبت إلى خالد تفسير هذه التصرفات التي تغيّر المصلحة العامة، وتقوّي [فوزي] القاوqجي، وتثير علينا نقمة رجالنا المخلصين، فقال إنه غير مستعد أن يناقش أحدًا في هذا الموضوع، وإنه ليس على استعداد لإطلاع أحد على كيفية صرفه المبلغ الذي أحضرناه من القاهرة، ولا على كيفية توزيع الأسلحة التي ترد إليه⁽⁴¹⁾.

وقد سكت الجميع؛ فكامل [عريقات] كان منصرفًا إلى اللقب الذي سيحمله، وهو مساعد قائد أو وكيل قائد. وأما منير [أبوفاضل]، فكان جديدًا على القيادة ولا يريد إثارة مشاكل جديدة. وأما سامي [الحسيني]، فيظهر أنه

(40) تؤكد هذه الشائعات البيانات الرسمية الصادرة عن القادة الجدد المكلفين من فوزي القاوqجي، كما سبق الإشارة. وأكدت الجزيرة دور العارف في إسناد القادة الجدد، إذ نقلت تفاصيل اجتماعات عقدها العارف مع الموظفين، ومع المختارين. وحضر اجتماع المختارين رئيس مكتب الدعاية في جيش الإنقاذ، وطلب فيه الجميع أن يسيروا مع القائد فوزي بك القاوqجي: الجزيرة، 1948/5/7، ص 2.

(41) يُشار إلى أنّ الريماوي كان قد سجّل في الأصل «أما إبراهيم أبو دية فلم يسكت، وقد علمت في ما بعد أنه كان يعتقد أنّ خالد [الحسيني] سيكون أداة في يده يحوله كيف يشاء، لأنّ أخواله من منطقته. وأما كامل، فأراد بحث مسألة تعيينه نائب قائد. وأما الباقون، فلم تكن لهم أوضاع رسمية. وأما داود، فقال إنّ لخالد الحق». لكنّه حذفها مقتصرًا على تدوين ما أثبت في متن النص.

على اتفاق سابق مع خالد وداود [الحسيني] في الاجتماع العائلي المعهود لذلك. وأما [إبراهيم] أبو دية، فإنه كان يعتقد أنّ خالد سيكون خير عون له، وأداة في يده، وكيف لا وهو الذي رشّحه للقيادة، عدا عن أنّ أخوال خالد من منطقة أبو دية⁽⁴²⁾. وأما جاد الله [الخطيب] وخليل [منون]، فكانا يريدان أن يشكّلا سرايا للدفاع عن مناطقهم، ولا يريدان أن يتعرّضا لهذه المسألة من أول اجتماع. وأما حافظ بركات⁽⁴³⁾، فقد أخذ بعض ديونه فسكت. وهكذا، شعرت أنّ الجماعة لا يقدرّون حقيقة الوضع الذي تجتازه القيادة، خاصة في مهدها الأول وأساسها المتين. وبالرغم من إعلانني أنه إن نجح فوزي [القاقجي] في رام الله فإنه سيزول نفوذه ونفوذ الهيئة في جميع المناطق، لم يلتفتوا إليّ، وقالوا لا نريد الدخول في مشاكل، فغضبت وأعلنت أنني سأذهب إلى بئرزيت، حيث أكتفي بأن أكون أمر فصيل، وأعمل بحسب ما تقتضيه المصلحة.

وبالفعل، عدت إلى بئرزيت، ورأيت وجوب محاولة دفع شر [فوزي] القاقجي، ومن يلتف حوله من الذين في نفوسهم مرض. وقد علمت أنّ مهدي صالح رجل طيب القلب، فقررت الاجتماع به على حدة. وبالفعل،

(42) ينقل ذو الكفل عبد اللطيف مبرراً للحاج أمين الحسيني خضوعه للحسينيين، وتعيينه خالد شريف الحسيني قائداً عاماً، بدلاً من عبد القادر، بالقول: «أنت تعلم أنّ سلاح عبد القادر كله لدى إبراهيم أبو دية الضالع معهم [أي الحسينيين]، والذي يمت بصلة القربى لخالد الحسيني من ناحية والدته التي كانت من قرية أبو دية»: عبد اللطيف، ص 222-223. ووالدة خالد الحسيني ظريفة أحمد إبراهيم التي كانت من بيت أمر قضاء الخليل، وكان لأشقائها وأقاربها مساهمة في المعارك، إلى جانب قوة أبو دية، فاستشهد شقيقها عبد الحميد في معارك كفار عتسيون الأولى في 14 كانون الثاني/يناير 1948، واستشهد محمد عبد الحميد في معركة كفار عتسيون الثانية في 5 أيار/مايو 1948.

(43) حافظ عبد الشكور بركات (1920-1955): وُلد في الكرك لعائلة أصلها من الخليل، كان يعمل ربها في التجارة هناك. عادت الأسرة إلى الخليل بعد وفاة والده، وعمل بركات إسكافياً في القدس. استشهد شقيقه عبد الحفيظ في ثورة 1936-1939، فالتحق حافظ على إثرها بالثورة. اعتُقل في عام 1938، وسُجن مدة عام في سجن عكا. بعد خروجه من السجن، وقمع قوات المستعمر البريطاني للثورة، غادر فلسطين إلى العراق، وعاد منها في عام 1941. مع اندلاع حرب 1947-1949، كان من النواة الأساسية للتنظيم السري الذي أنبثقت منه قوة الجهاد المقدس. وساهم في قيادة معارك الدفاع عن القدس، وأصيب فيها مرتين، وكانت إصابته الثانية بالقرب من باب الخليل في حزيران/يونيو 1948 شديدة، تأثر منها دماغه وتوفي لاحقاً متأثراً بجراحه.

أرسلت من جمعني به في دار في رام الله، وبعد بحث طويل معه، أقنعتة أننا لا نضمّر له العداة، وأننا خير من يتعاون معه، وأن فوزي القاوقجي له مآرب سياسية، وأنّ سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني] يقدر مهدي صالح، وعلى استعداد لمساعدته، وأنّه طلب إليّ الاجتماع به والتفاهم معه، فطار عقله لهذه الأخبار، وأعلن عن استعداده للتفاهم معي، بقطع النظر عن أية هيئة أخرى، فدعوته لتناول طعام الغداء في بئرزيت، وبالفعل حضر في اليوم الثاني، فدعوت عددًا من أعضاء اللجنة القومية ورؤساء المسلّحين معه، فسُرّ سرورًا كبيرًا.

وهكذا، تمكّنت من السيطرة على تفكيره، وحذّرتة من الدسّاسين. فساء [النّمّامون] أن يروا مهدي صالح يبدأ بئرزيت بالزيارة، فذهبوا إلى [فوزي] القاوقجي، وأحضروه إلى رام الله. أما أنا، فقررت عدم الاتصال بالقاوقجي، وأرسلت له موسى شيبان بالنيابة عنيّ، لأنني أعرف أنّ القاوقجي هو العدو اللدود للقضية ولسماحة المفتي، وقد تعاهدت أنا والمرحوم عبد القادر [الحسيني] على احتقاره، وعدم الاتصال به. فأثرت أن أبتعد عنه، وأن لا أتصل به إطلاقًا، مهما كانت النتيجة. أما فوزي القاوقجي، فقد هاله ذلك، وأوجس خيفة في نفسه، خاصة وأنّه كان يخشى رجال المفتي، وخاصة الجهاد المقدس في بئرزيت، فلم يحاول التعرّض إليّ أو طلب مقابليتي. وهكذا، بقيت في بئرزيت وهو في رام الله، حتى أبلغ موسى شيبان أنه يودّ زيارة بئرزيت، وحدد موعدًا لذلك، فلمّا عرفت الخبر، أعلمت موسى بأنني سأذهب في ذلك الوقت إلى دمشق، لإطلاع سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني] على الموضوع.

في هذه الأثناء، اشتد هجوم اليهود على مدينتي الرملة واللد، فاستنجد رؤساء البلديات وأعضاؤها بالقاوقجي، وبالمملك عبد الله بن الحسين، فلم تصلهم النجدة. وأخيرًا، وبعد فشل محاولاتهم، حضر رئيسا بلديتي اللد والرملة وأعضاء ووجهاء البلديتين إلى بئرزيت، مطالبين بالنجدة. ففي الحال، أرسلنا ست عشرة سيارة شحن، وثمانية باصات، مملؤة بالمسلّحين، إلى اللد

والرملة. وذهبت والأستاذ [إميل] الغوري إلى تلك المنطقة. فحال وصول النجيدات، اشتبكت بقوات اليهود المتقدمة، وصدتها عن التقدم، وبقيت في واد الخيار، وفي مطار اللد ورأس العين والرملة، تحرسها ليلاً ونهاراً، وأنا معهم، حتى زال شبح الخطر عن تلك المنطقة.

في هذه الأثناء، اجتمعنا بالشيخ حسن سلامة، فطلب مني رسمياً أن تتولى قواتنا الدفاع عن اللد والرملة ورأس العين. وبالفعل، وضعت حسني بدار⁽⁴⁴⁾ قائداً لمدينة الرملة، وبقي حتى سقطت المدينة. ووضعت صبحي أبواجبارة في رأس العين، وعبد الله الريماوي في مدينة اللد⁽⁴⁵⁾. وقد حاولت أنا وإميل الغوري إقناع حسن سلامة لنقل محتويات معسكر بيت نبالا، والتي تقدر بملايين الجنيهات، إلى منطقة أمينة لبيعها، للإئناق على المجاهدين، فرفض. واتصلنا لاسلكياً بالهيئة لأخذ أمر بذلك، فلم تجبنا على هذا الطلب.

وأخيراً، رأينا من المصلحة التوجه إلى دمشق، لإطلاع سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني] على حقيقة الوضع. توجهنا إلى دمشق، وذهب معنا كامل عريقات لبحث مسألة وكيل القائد. وفي عمان، وبتاريخ 4 أيار/ مايو 1948، اتصلنا باللجنة العسكرية، حيث كانت تجتمع في بيت إسماعيل البليسي⁽⁴⁶⁾. فاجتمعنا بهم، وكان [عبد الرحمن] عزّام باشا، وجميل مردم،

(44) حسني حسين بدار: وُلد في قرية بورين قضاء نابلس. عمل في أثناء الاستعمار البريطاني في الجيش البريطاني، ثم التحق بقوات القطاع الغربي من المنطقة الوسطى تحت إمرة القائد حسن سلامة، فشارك في قيادة معارك الدفاع عن يافا، ثم انتقل إلى قوة الجهاد المقدس ضابطاً في مقر القيادة. انتقل، بعد الهزيمة في حرب 1947-1949، إلى الكويت، وتوفي فيها.

(45) يُنظر رواية أخرى، فيها بعض الاختلاف مع مزيد من التفاصيل، عن دور قوة الجهاد المقدس في منطقة رأس العين، وتعاونها مع قوات حسن سلامة، قبل وبعد استشهادها، في المحور الخامس من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(46) بنى إسماعيل باشا البليسي - أحد كبار التجار الأردنيين - قصره في جبل عمان عام 1947، وهو من تصميم المعماري المصري مختار صقر، وتنفيذ المعماري الأردني فواز مهنا. وشغل البليسي بعد حرب 1947-1949 عضوية مجلس الأعيان الأول، بعد ضم الضفة الغربية المعيّن في 20 نيسان/ أبريل 1950.

ورياض الصلح⁽⁴⁷⁾، ومحمود الهندي⁽⁴⁸⁾، وإسماعيل صفوت⁽⁴⁹⁾ حاضرين الاجتماع، فأبلغناهم أنّ مدينة القدس مهددة بالخطر، وطلبنا إليهم إصدار الأمر لمدفعية [فوزي] القاوقجي بضرب الأحياء اليهودية فيها، فأرسلوا سيارة صبري الطباع⁽⁵⁰⁾ في ذات اللحظة، وفيها أمر إلى القاوقجي لضرب الأحياء اليهودية بالقدس⁽⁵¹⁾.

(47) رياض رضا الصلح (1894-1951): وُلد في بيروت، وبدأ دراسة القانون والعلوم السياسية في إسطنبول. ترأس رئاسة الوزراء في لبنان في أول حكومة بعد الاستقلال، كما كان في حرب 1947-1949 يشغل رئاسة وزارته الثانية التي استمرت إلى أن اغتيل على يد أحد أعضاء الحزب السوري القومي الاجتماعي، في أثناء زيارته للأردن.

(48) محمود محمد الهندي (1899-؟): وُلد في دمشق. التحق بمدرسة الضباط الصغار، وتخرج فيها ضابطاً في الجيش العثماني. التحق بجيش الأمير فيصل خلال الحكم العربي، ثم غادر سورية، في عام 1920، إلى شرق الأردن، حيث التحق بجيش الإمارة حتى عام 1924. التحق بالجيش العراقي أوائل 1925، وبقي فيها إلى أيار/ مايو 1941. غادر العراق بعد إقالته وسحب جنسيته، إثر ثورة رشيد عالي الكيلاني، واعتُقل في سورية حتى عام 1943. بعد جلاء المستعمر الفرنسي، عُيّن في مديرية التموين والصيانة في وزارة الدفاع، ثم مديراً لشؤون الدفاع. عُيّن في اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية، وعُيّن أواخر عام 1948 مديراً عاماً للشرطة والأمن العام إلى أن سُرح من الخدمة إثر انقلاب حسني الزعيم.

(49) إسماعيل صفوت سعيد (1895-؟): وُلد في الموصل في العراق. سافر إلى إسطنبول لإتمام دراسته العسكرية، لكنّها تعطلت بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى التي خدم فيها في جبهة الدردنيل والفقاس وفلسطين التي أُسر فيها. شارك في ثورة العشرين، وخرج على إثرها مطارداً إلى سورية. التحق بكلية الأركان في بغداد عام 1930، إبان الحكم الفيصلي، ليتخرّج ضابطاً، وترقى إلى أن تحصل على رتبة لواء. عيّنته جامعة الدول العربية في اللجنة العسكرية العربية التي انثُدت قبيل إقرار مشروع تقسيم فلسطين، ثم قائداً عاماً للقوات العربية في فلسطين، في المرحلة الأولى من حرب 1947-1949. بعد توقف القتال في فلسطين، تولى قيادة الفرقة الثانية في الجيش العراقي، ثم غادر الجيش في عام 1951.

(50) «محمد صبري» توفيق الطباع (1892-1955): وُلد في دمشق. شارك في مقاومة المستعمر الفرنسي، قبل أن يغادر إلى عمان في عام 1925. اشتغل الطباع في تجارة الأقمشة ثم الحبوب. في أيار/ مايو 1948، كان صبري باشا الطباع يرأس لجنة الدفاع عن فلسطين في الأردن، واهتمت اللجنة بالعبارة باللاجئين الفلسطينيين في الأردن خلال هذه الفترة، إضافة إلى الاهتمام المعنوي بالقوات العربية الرسمية، وقوات المتطوعين المحشدة في الأردن قبل 15 أيار/ مايو 1948. يُنظر مثلاً: الجزيرة، 9/5/1948، ص 1-2. وعند حضور القاوقجي إلى عمان، كان مستقره في منزل الطباع.

(51) يُنظر تفصيلات هذا الاجتماع، برواية أخرى للريماوي، في المحور الخامس من الفصل الثاني من هذا الكتاب. ووفقاً لصحيفة الجزيرة الأردنية، فإنّه في صباح يوم 1 أيار/ مايو 1948، وبينما =

أما نحن، فقد توجهنا بعد انتهاء الاجتماع، في تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، إلى دمشق. وصلنا دمشق، وأطلعنا سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني] على الوضع، وعدنا في اليوم الثاني عبر شرق الأردن. وهنا، طلب منّا محافظ العاصمة مقابلة الملك، وأخذ يتفوّه ببعض الكلمات ضدّ الهيئة والمفتي، فانبريت إليه، وقلت له: «إن نفوّه ملكك بأية كلمة على المفتي أو الهيئة، فإنني سأجاوبه بما لا يرضاه». وأخيرًا، قابلنا الملك، وأنا وكامل [عريقات]، فقال إنه سيدخل القدس يوم 16 أيار/ مايو 1948. وقد أرسلنا جميع الذخيرة التي معنا إلى خالد وداود [الحسيني] في القدس حال وصولنا البلاد. وفي هذه الأثناء، أخذ اليهود يهاجمون المدينة، فأرسلت النجدة تلو الأخرى من بئرزيت، حتى زال خطر الهجوم.

وفي ليلة 7 أيار/ مايو 1948، اتصلت بي قيادة القدس، وقالوا إنّ عددًا كبيرًا من المصفحات اليهودية اتجهت نحو باب الواد لفتح الطريق. حال استلام البرقية، توجهت منفردًا إلى باب الواد، فوجدت أنّ اليهود احتلوا المرتفعات المشرفة على طريق باب الواد جميعها، وأنهم هاجموا دير أيوب، حيث اشتبكوا بقواتنا المرابطة فيها، وجرح أحد جنودنا. وصلت دير أيوب، وقد اصطحبت معي من وجدتهم في الطريق، وبدأت الهجوم بخمسة وعشرين شخصًا، تمكّنت خلالها من اقتحام أحد الأحرّاش والتمكّن فيه. وبتّ تلك الليلة أنا وهذا العدد الضئيل، واليهود وفرقة البلماح (الصاعقة)⁽⁵²⁾ تطوّقنا من

= كانت الوفود العربية في ضيافة إسماعيل باشا البليسي، وردت برقية مستعجلة من القدس عن خطورة موقف المناضلين العرب هناك، فأُتق على إرسال رسول خاص إلى القائد فوزي القاوقجي لينجد القدس. وتكفل بالسفر للقاوقجي المنذر، نجل إسماعيل باشا، وكان ردّ القاوقجي: «إكرامًا لك أيها الشاب البطل سأزحف بالحال»: الجزيرة، 2/ 5/ 1948، ص 1.

(52) بلوغوت ماحتس (بلماح): القوة الضاربة، القوة النظامية التي انبثقت من الهاغاناه في عام 1941، في ظلال الحرب العالمية الثانية، وخطر السيطرة النازية على المنطقة. اشتركت في القتال إلى جوار البريطانيين في الحرب، كما اشتركت في الصراع الصهيوني - البريطاني لاحقًا، وفي الصراع الصهيوني الداخلي. خلال المرحلة الأولى من حرب 1947-1949، كانت العمود الفقري للقوة العسكرية الصهيونية، وفُقد جزء كبير من عديدها في معارك القدس وشمال فلسطين والنقب. حُلّت بقرار من رئيس الوزراء الصهيوني ووزير الدفاع دايفيد بن غوريون، كجزء من الصراع الصهيوني الداخلي في

كل جانب. وقد كنت أمضغ اللبان من شجر الصنوبر من شدة العطش، وبقيت متمركزاً في ذلك المرتفع الحصين حتى وصلت النجدات بعد ظهر اليوم الثاني. وقد أُصيب من جنودي سبعة أشخاص بجراح.

ولدى وصول النجدات، تمكّنت من استعادة مرتفعات أخرى، واستمرت المعركة سبعة أيام بلياليها، اشتركت [فيها] مدفعية جيش الإنقاذ ثلاث ساعات كل يوم، بعد مرور ثلاثة أيام من نشوب المعركة. وقد تمكّنت خلالها من إعادة احتلال جميع الروابي والأحراش المحيطة بطريق باب الواد، واسترجعنا قرية بيت محسير⁽⁵³⁾. وقد خسر اليهود في هذه المعركة، بحسب اعترافهم، ثمانمئة قتيل، ودُمّر لهم خمسون مصفحة وثلاث طائرات⁽⁵⁴⁾.

وقد وصف [عبد الرحمن] عزّام باشا هذه المعركة بأنّها نقطة التحوّل في معركة فلسطين⁽⁵⁵⁾. أما مناحم بيغن⁽⁵⁶⁾، قائد أرغون تسفائي ليثومي

= تشرين الثاني/نوفمبر 1948. يُنظر: البلماح: سنبلتان وسيف [بالعبرية]، يحيعام فايتز (محرر) (القدس: مركز إسرائيل جليلي لدراسات الدفاع؛ دار نشر وزارة الدفاع، 2000)؛ أنيتا شابيرا، من عزل رئيس القيادة القطرية لحلّ البلماح، قضايا في الصراع على القيادة الأمنية 1498 [بالعبرية] [تل أبيب: منشورات الكيبوتس الموحد، 1985]، ص 50-57.

(53) قرية بيت محسير: تقع غرب مدينة القدس، على بُعد 26 كلم عنها. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 2,400 شخص. تطل القرية على طريق يافا القدس، وهي أحد مفاتيح باب الواد الرئيسة، فكانت ذات حضور وتأثير في معارك المواصلات خلال حرب 1947-1949. دُمّرت القرية إثر احتلالها في 11 أيار/مايو 1948 ضمن عملية مكابي. للمزيد، يُنظر: الدباغ، بلادنا، ج 9، ص 96؛ هاشم، مج 1، ص 465.

(54) المزيد من التفاصيل عن معارك باب الواد هذه، يُنظر مقارنة بالمصادر الصهيونية، في المحور الخامس من الفصل الثاني من هذا الكتاب، ضمن العنوان «7-15 أيار/مايو 1948 معارك باب الواد».

(55) صدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية في دمشق، مساء 13 أيار/مايو 1948، بياناً تطرّقت فيه إلى معارك باب الواد، مشيدة بالانتصارات الكبيرة في الأربعة أيام الأخيرة في فلسطين، وأهمها في منطقة باب الواد على الطريق بين القدس ويافا، ومشيدة بدور جيش التحرير والمناضلين الفلسطينيين والأردنيين الذين حققوا هزيمة ساحقة للصهيونيين. يُنظر نص البيان في: الإخوان المسلمون، 14/5/1948، ص 1.

(56) مناحم بيغن (1913-1992): وُلد في روسيا القيصرية. تأثر بالزعيم الصهيوني زئيف جابوتنسكي. درس الحقوق في جامعة وارسو، وكان من قادة منظمة بيتار. هاجر خلال الحرب العالمية =

«إيتسل»⁽⁵⁷⁾، فإنه تحدّث عن تلك المعركة في خطابه، أثناء زيارته للولايات المتحدة، فقال: «لقد طلبت قيادة الهاغاناه»⁽⁵⁸⁾ من فرقة البلماح (الصاعقة) فتح طريق باب الواد والانتقال إلى القدس، لاحتلالها يوم جلاء الإنجليز عنها، أي 16 أيار/ مايو 1948، فتوجهت جميع قوى البلماح، وعددهم يزيد عن ثلاثة آلاف مقاتل إلى باب الواد، إلا أنّ المجاهدين العرب صدّوها وأوقعوا بها خسائر فادحة، بلغت الثمانمئة قتيل»⁽⁵⁹⁾.

ودامت معركة تقرير مصير القدس بضعة أيام، كانت النجيدات فيها

= الثانية إلى فلسطين التي وصل إليها في أيار/ مايو 1942، حيث أسس علاقات قوية بمنظمة الإيتسل التي تسلّم قيادتها في كانون الأول/ ديسمبر 1943. خلال فترة قيادته، اشتد الصراع بين الإيتسل والقوات البريطانية في فلسطين، كما الصراع مع الوكالة اليهودية ومنظمة الهاغاناه. خلال حرب 1947-1949، شاركت منظمته بالفعل العسكري الصهيوني بشكل محدود. وبعد حل الإيتسل، أسس بيغن حزب حيروت، وانتُخب لعضوية «الكنيست»، كما شغل مناصب وزارية في عدد من الحكومات، وترأس الحكومة الصهيونية ليكون رئيس وزراء إسرائيل السادس في حزيران/ يونيو 1977.

(57) أرغون تسفاني ليشومي (إيتسل): المنظمة العسكرية القومية، منظمة صهيونية عسكرية أسست في عام 1931، بعد انشقاق مجموعة من قادة وكوادرهاغاناه في القدس، إثر الخلاف على كيفية التعامل مع العرب، بعد حوادث 1929. تبنت المنظمة أفكار قائدها الأعلى، زئيف جابوتنسكي، مؤسس الصهيونية النصححية. وتبنت المنظمة هجمات عسكرية متتالية ضدّ الوجود البريطاني في فلسطين. وخلال حرب 1947-1949، نفذت فعلاً عسكرياً محدوداً، كان أبرزه احتلال قرية دير ياسين 9 نيسان/ أبريل 1948، وكذلك الهجمات على حيّ المنشية 25-28 نيسان/ أبريل 1948. دُمجت المنظمة بالجيش الصهيوني في 1 حزيران/ يونيو 1948، وفُككت رسمياً في أيلول/ سبتمبر 1948. وخلال سني وجودها، بقيت الإيتسل على صراع دموي مع الوكالة اليهودية وقيادتها.

(58) أرغون ههغناه هعفري بارتس إسرائيل (الهاغاناه): منظمة الدفاع العبري في أرض إسرائيل، المنظمة الصهيونية العسكرية الأبرز. أسست في حزيران/ يونيو 1920. اعتمدت في تجنيدتها على التطوع، وتطورت مع مرور الوقت لتصبح منظمة قطرية بقيادة قطرية، وبهيئة أركان خضعت للقيادة الصهيونية المركزية، عززت من تنظيمها وقوتها وتسليحها قبيل الحرب العالمية الثانية وخلالها برعاية بريطانية، لكن لم يمنع ذلك من تعرّضها لضربة قوية على يد البريطانيين في حزيران/ يونيو 1946. كانت رأس حربة المشروع الصهيوني العسكرية في حرب 1947-1949، والتي انبثق منها الجيش الصهيوني في 26 أيار/ مايو 1948.

(59) زار بيغن الولايات المتحدة الأميركية في كانون الأول/ ديسمبر 1948. وبالعودة إلى تغطية صحيفة حيروت العبرية لأخبار الزيارة، في الأعداد الصادرة بين 3-29 كانون الأول/ ديسمبر، لم يلاحظ أي أثر لمثل هذا التصريح.

تتوالى من كل حذب وصوب. وقد رأى فوزي القاوقجي قوة رجالنا وتدفّق المسلّحين لنجدتنا، وكان آنذاك قد حضر إلى رام الله، فقال: «بهذا انتصر عبد القادر [الحسيني]». وكان يقف في شرفة القصر الذي يقيم فيه. وكان من أثر هذه المعركة أن شعر رجال جيش الإنقاذ بقوتنا، فأصبحوا بعدها آلة في يد أي ضابط من ضباطنا. وبذلك، تمكّنا من السيطرة عليهم، حتى أنّ موسى شيبان كان يجبر أعضاء اللجنة القومية على السهر الطويل لاستقبال النجديات وتموين المجاهدين أثناء نشوب المعركة. ولمّا فشلت البلماح في تحقيق أهدافها، أصاب الشعب اليهودي هلع شديد، خاصة في مدينة القدس التي كان يقاسي سكانها الأمرين نتيجة حرمانهم من التموين والماء. وهكذا، هاموا في الأحراش، وحاولوا الالتجاء إلى تل أبيب. نعم، لقد تقرر مصير هذه المعركة في صالحننا، بالرغم من قلة العدة والعدد، ولديّ وثائق من قيادة جيش الإنقاذ تثبت أنّ الفضل في هذا التوفيق يرجع إلى ثباتنا وشجاعة قواتنا، وقد كانت النجديات تحمي المنطقة من شعفاط إلى دير أيوب، على مسافة ثمانية وثلاثين كيلومتراً.

5. موقف قيادة الجهاد المقدس في القدس خلال معارك باب الواد

تصوّر بربك المهزلة التي تمّت من تصرفات المسؤولين في قيادة القدس، أثناء نشوب المعركة! فعدا عن أنهم لم يزوروا الجبهة إطلاقاً، وعدا عن أنهم لم يحاولوا الاتصال بي، فقد أرسلوا سيارة مملوءة بالذخيرة. ومن عجيب أمرهم أنهم لم يرسلوها إليّ، بل أرسلوها إلى هارون بن جازي، ذلك البدوي [.....]⁽⁶⁰⁾. وكان هذا التسليم بناءً على أمر خطي من خالد [الحسيني] الذي حضر إلى رام الله، وقضى ليلة في فندق بانوراما، وعاد ولم يحاول الاتصال بي، بل تصرّف هذا التصرف في الوقت الذي كتّابه فيه في أشد الحاجة إلى الطلقة الواحدة. وعقب ذلك، انسحبنا من باب الواد،

(60) يقارن بما كتّب في المقدّمه عن إسكات/ إثبات الرماوي، ويقارن برواية الرماوي اللاحقة عن معارك باب الواد، ومشاركة المقاتلين الأردنيين فيها في موضع لاحق.

بعد أن طهّرناه من اليهود. وقبل الانسحاب، أحضرت حوالي ألف رجل من القرى المجاورة، وتم تدمير الطريق من [قرية] ساريس⁽⁶¹⁾ إلى اللطرون⁽⁶²⁾، أي مسافة خمسة عشر كيلومترًا.

وقد انسحبنا من تلك المنطقة بأمر رسمي من [أحمد صدقي] الجندي الذي كان يقود الجيش العربي في تلك المنطقة، بتاريخ 16 أيار/ مايو 1948. وعند وصولنا رام الله، لم أقبل العودة إلى بئرزيت، فتوجهت إلى مستعمرة قلندية وهاجمتها، فتمكّنت من احتلالها، واستشهد ثلاثة جنود، ما زالت جثثهم في المستعمرة، لأنّها تمزقت أثناء نسفهم الاستحكام اليهودي الرئيس في المستعمرة. وبعد قلندية، دخلت قواتنا مستعمرة نفيه يعقوب، بعد محاصرتها والقضاء على المقاومة اليهودية فيها، فدمرتها عن بكرة أبيها. ولو تأخر احتلالنا هاتين المستعمرتين يومًا واحدًا، لما سمح لنا الجيش العربي بمهاجمتها إطلاقًا⁽⁶³⁾.

(61) قرية ساريس: تقع غرب مدينة القدس، على بُعد 15 كلم من مركزها. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 560 شخصًا. كانت إحدى نقاط الاستنزاف الأساسية لخطوط المواصلات الصهيونية من القدس وإليها، لوقوعها في القطاع الشرقي من هذا الطريق. احتُلت القرية ودُمرت في 16 نيسان/ أبريل 1948، في خواتيم عملية «نحشون» الصهيونية التي استهدفت احتلال القرى العربية الواقعة على طريق القدس - يافا، لتسهيل حركة قوافل الإسناد إلى الأحياء الصهيونية المحاصرة في القدس. للمزيد، يُنظر: الدباغ، بلادنا، ج 9، ص 95.

(62) قرية اللطرون: قرية صغيرة كانت تقع جنوب شرق الرملة، على بُعد 16 كلم من مركزها. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 190 شخصًا. وُجد فيها معتقل للسلطات الاستعمارية البريطانية، عُرف بمعتقل اللطرون. احتلت القرية وجوارها موقعًا استراتيجيًا في حرب المواصلات، خلال حرب 1947-1949، فكانت عرضة لعمليات عسكرية صهيونية متواصلة منيت بالفشل، بدءًا من الهجمات الانتقامية في كانون الأول/ ديسمبر 1947، وصولًا إلى العمليات الكبرى في أيار/ مايو - تموز/ يوليو 1948، كعمليات مكابي: بن نون - المرحلة أ، بن نون - المرحلة ب، يورام، داني. للمزيد، يُنظر: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الخامس، الديار الياقينية (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2018)، ص 375-377. وعن العمليات الصهيونية في المنطقة، يُنظر الحديث عن معارك باب الواد 7-15 أيار/ مايو 1948.

(63) يُنظر: العارف، مج 1، ص 431-435. ويؤكد العارف رواية الريموي بعدم مشاركة الجيش العربي في المعارك، ويشير إلى أنّ المعركة كانت بمشاركة جيش الإنقاذ والمناضلين المحليين من رجال الجهاد المقدس.

وفي ذات اليوم، كان الهجوم قد اشتد في مدينة القدس، فحضر منير أبوفاضل، وأخذ جميع جنود بئرزيت في ثلاث سيارات نقل، وكان عددهم يزيد عن ستين شخصًا. من بعدها، أرسلنا إلى قضاء رام الله ونابلس وجنين، فأحضرت نجدات أخرى وأرسلتها إلى القدس. وقد بقي جنود بئرزيت في مدينة القدس وفي المدينة القديمة وفي باب الجديد، طيلة معركة القدس. وقد أُصيب عشرة أشخاص منهم بجراح، واستشهد ثلاثة منهم، وهم أول من دخل بناية النوتردام⁽⁶⁴⁾ [Notre Dame de France].

وفي هذا الوقت بالذات، وبينما كان جنودنا في مدينة القدس، ذهب المسؤولون عنهم لمراجعة خالد [الحسيني] وداود [الحسيني] وغيرهم، بخصوص مسائل التمويل، فوجدوهم [.....] في دار المتحف الفلسطيني⁽⁶⁵⁾، فاستنكروا ذلك وحاولوا الانسحاب، إلا أنهم بقوا حتى دخلت قوات الجيش العربي، ولم يعودوا إلا يوم 21 أيار/ مايو 1948. وقد استاء جميع من اشترك في معركة القدس من موقف قيادة القدس منهم، إلا أنني كنت أحاول التخفيف من حدة الحانقين. هذه تصرفات المسؤولين قبل دخول الجيوش العربية والجيش العربي الأردني، وأما تصرفاتهم بعد دخول الجيوش فكانت أفظع وأبشع.

(64) عمارة النوتردام: نُزِّل، وضع الفرنسيون حجر أساسه في حزيران/ يونيو 1885، على بقعة أرض مجاورة لسور البلدة القديمة في القدس، لخدمة الحجاج المسيحيين القادمين إلى المدينة. كان الجيش البريطاني يستخدم المبنى بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، وبقي تحت سيطرته حتى الجلاء البريطاني عن فلسطين بحلول 15 أيار/ مايو 1948، فتحوّل المبنى، بسبب موقعه الاستراتيجي المطل على المنطقة، إلى نقطة قتال دائمة بين العرب والصهاينة، خلال شهري أيار/ مايو وحزيران/ يوليو 1948. بعد توقيع اتفاق رودس مع الأردن (نيسان/ أبريل 1949). تحوّل المبنى الذي تضرر قطاعه الشرقي بشكل كبير إلى نقطة مراقبة عسكرية صهيونية متقدّمة لرصد البلدة القديمة.

(65) دار المتحف الفلسطيني: وُضع حجر أساسه في تموز/ يونيو 1930. يقع خارج سور البلدة القديمة في كرم الشيخ محمد الخليلي، مقابل الزاوية الشمالية الشرقية منه، إلى الشرق من المدرسة الرشيدية. ضم متحفًا أسسته وأدارته الحكومة الاستعمارية في فلسطين حتى نيسان/ أبريل 1948. عُرف المتحف أيضًا باسم متحف «روكفلر». وقع المتحف بعد حرب 1947-1949 ضمن ما سيُعرف لاحقًا بالقدس الشرقية.

6. موقف قيادة الجهاد المقدس بعد دخول الجيوش العربية، وعجزهم عن دعم مركز الهيئة العربية العليا أو إيجاد نظام عسكري، علني أو سري، يصلح لأن يكون نواة لتحرير البلاد

لما دخلت الجيوش العربية، كان الكل يعتقد أنّ القضاء على اليهود لن يحدث أكثر من ساعات، وأنّ القوات العربية ستدخل تل أبيب في أيام معدودة. ولكنّ الجيوش العربية لم تتقدّم لمواجهة اليهود، ولم تشتبك معهم في قتال، بل وقفت عند حدود اختارتها لنفسها، تقع خلف المراكز التي كان يقضي فيها المجاهدون. فبعد ثلاثة أيام من انسحابنا من باب الواد، بناءً على أوامر الجيش العربي، تمكّن اليهود من استعادة احتلال المرتفعات المسيطرة على الطريق، واحتلوا [قريتي] بيت محسير ودير أيوب، حتى أنّ بعض الفتيات من الهاغاناه تمكّن من الوصول إلى معسكر الجيش العربي في يالو، وذبحن بالسكين الحرس الذي كان نائمًا. وقد كنّا نعتقد بادئ الأمر أنّها خطة موضوعة.

أما عن الحالة في منطقة اللد والرملة، فكانت متدهورة للغاية، فاتصلت بالقاهرة مرارًا، وأوضحت حقيقة الخطر الذي يهدد تلك المنطقة، واقترحت تشكيل لجنة للاستفادة من الأسلحة التي كانت في تلك المنطقة، وهي أسلحة كثيرة فيها مئات الرشاشات، إن لم تكن ألوف الرشاشات، وعشرات الألوف من البنادق، وأطنان من الذخيرة والمتفجرات. وقد اقترحت أن تكون اللجنة برئاسة محمد سليم أبو لبن⁽⁶⁶⁾، فلم أجب إلى طلبي هذا. وقد أخذت على عاتقي مسؤولية جمع السلاح، وإعادة تنظيم الدفاع في تلك المنطقة التي عمّتها الفوضى، إثر استشهاد المرحوم

(66) محمد سليم أبو لبن (1902-1974): وُلد في يافا. كان عضوًا في جمعية الشبان المسلمين والحزب العربي، وبسبب نشاطه الوطني في ثورة 1936-1939، لاحقته السلطات الاستعمارية البريطانية، فُلجأ إلى سورية والعراق، وعاد إلى فلسطين مع نهاية الحرب العالمية الثانية. اختير عضوًا في لجنة يافا القومية في أثناء حرب 1947-1949. وبعد سقوط المدينة، انتقل وأسرته إلى القاهرة متفرغًا للعمل في الهيئة العربية العليا، إلى أن توفي فيها بحادث سير.

أبو علي [حسن سلامة]. وكنت كل يوم أبعث برقية بهذا المعنى، إلا أن القيادة العامة في القاهرة لم تُعر هذا الأمر الاهتمام الكافي⁽⁶⁷⁾، ولم تعين خلقاً للشيخ حسن سلامة، فبقيت الحال فوضى، والمجاهدون لا رابط لهم ولا دليل، وحجب بعض الوجهاء قسمًا من الأسلحة والتموين، حتى انتشرت الفوضى انتشارًا مريعًا، وأخذت عشرات الرشاشات والبنادق تُباع علناً. وأخيراً، تمت مؤامرة الجيش العربي، وسلّم اللد والرملة والمنطقة الساحلية، وتشنت أهلوها.

وقد اغتتم أبو حنيك [غلوب باشا] فرصة عوز المهاجرين، فنشر رجاله من البدو لشراء الأسلحة بأرخص الأثمان، فاتصلت بالقاهرة، وأفهمتهم سوء العاقبة، ومحاولات أبو حنيك هذه، فجاءت الأوامر بوجوب محاربة بيع الأسلحة ومنعها. في هذه الأثناء، كان سلوك القيادة في القدس مع سلطات الجيش [العربي] سلوك العبد تجاه سيده، فكانوا يؤمرون فيطيعون. وفي هذه الفترة، صادر الجيش السيارة التي كان يركبها خالد [الحسيني]، وصادر مركز القيادة في باب الساهرة، ولم تحاول قيادة القدس التعرّض أو المحافظة على شيء من كرامتها، مع أنّ القيادة كانت من القوة بحيث إنه لو رافقها شيء من الحزم لتمكّنت من السيطرة على الموقف، واستغلال جهل القادة الأردنيين بالمنطقة، وانعدام الكفاءات الشخصية عندهم، إلى صالحها، لتوجهها حيث تريد.

(67) يُنظر رواية أخرى دونها الريماوي لتنظيم قوات حسن سلامة بعد استشهاد، وبعد سقوط منطقة اللد والرملة وجوارها، في ما أدرج تحت عنوان «إعادة تنظيم الصفوف»، في المحور الخامس من الفصل الثاني في هذا الكتاب. ويقارن ذلك بما يسرده الحاج أمين الحسيني في مذكراته، إذ يقول: «بعد دفن الشهيد حسن سلامة، اجتمعت اللجنتان القوميتان في اللد والرملة، مع هيئتي بلديتي اللد والرملة، ووجهاء المنطقة، وكبار المجاهدين فيها، وتم الاتفاق على اختيار مجلس للقيادة، مؤلف من المجاهدين السادة: محمود أبو الخير، وصلاح الناظر، وحمزة صبح، وخليل العامر، والحاج محمود درويش، وموسى أبو حاشية، وإسماعيل النحاس، ثم انتخب هذا المجلس هيئة مؤلفة من: محمود أبو الخير مسؤولاً عن أعمال القيادة، وصلاح الناظر وحمزة صبح مساعدين له، وبدأ الجميع العمل هذا الأساس»: عبد الكريم العمر (إعداد)، مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1999)، ص 438.

في هذه الأثناء، راجعت خالد [الحسيني] لمعرفة مدى مساهمة القيادة في محاربة بيع السلاح، فقال إنه لا يمكنه الوقوف في وجه السياسة الأردنية، ودل على ذلك بتصرفاتهم معه. ومع محاولتي إقناعه أن ذلك خطأ، وأنه يجب أن يكون أكثر صلابة، قال: «أنا لست على استعداد للدخول في المشاكل السياسية». عندها، ذهبت إلى بئرزيت، ورسمت خطة لمقاومة بيوع السلاح، فأرسلت مفارز من الانضباط إلى رام الله ونابلس، و[قرى] نعلين ورنيس وبئرزيت ودير عمّار، وأمرتهم بإلقاء القبض على كل من يبيع أو يشتري سلاحًا.

وفي ذات الوقت، أرسلت إنذارًا⁽⁶⁸⁾ خطيًا إلى [أحمد] صدقي الجندي، أعلمه فيه سوء عاقبة تجريد أهالي فلسطين من السلاح ونقله إلى خارج البلاد، وأن ذلك يغيّر السياسة العربية العامة. وأفهمته أنني سأقوم كل محاولة لذلك بكل ما أوتيت من قوة، وطلبت إليه المساعدة في هذا الموضوع. وبالفعل، أخذت مفارز الانضباط هذه تطارد البدو والأهالي من تجار الأسلحة وتسوقهم إلى بئرزيت بالعشرات، حيث يودعون السجن، ويتعرضون للعقاب الشديد والجلد. وكان معدل من يُسجن منهم شهريًا ثلاثمئة شخص، وكانوا يدفعون غرامات، وتُقدّم لهم إيصالات رسمية بذلك. وقد تمكّننا من التعرّف على رئيس حركة شراء الأسلحة، وكان يركب سيارة فخمة، ويحمل تفويضًا رسميًا من قيادة الجيش بشراء الأسلحة، ومعه ثلاثة أعوان. وأطلقنا عليه النار، وورّي بالتراب في مقرّ الجيش العراقي⁽⁶⁹⁾.

وقد بلغ من قوة مطاردتنا باعة الأسلحة أن انضباطنا قد تمكّن، المرة تلو الأخرى، من اقتحام مركز قيادة الجيش العربي في المنطقة، وإلقاء القبض على تجار الأسلحة المفوضين من الجيش، وإحضارهم إلى بئرزيت، ولم

(68) كان الريماوي، كما يبدو، قد كتب «كتابًا»، لكنّه حذفها واستبدلها بلفظة «إنذارًا». وصيغة النص أقرب للكتاب الذي يشرح أخطار مسألة بيوع السلاح أكثر منها للإنذار.

(69) لا تتضمن المصادر الأولية المتاحة بين يدي الباحث أي إشارة إلى هذا الموضوع، ومن ثمّ لا يمكن التحقق من الأرقام التي يوردها الريماوي، وكذلك مدة الفترة الزمنية التي استمرت فيها عمليات الملاحقة تلك.

يجرؤ الجيش على مقاومة رجالنا أثناء ذلك. وقد أقصّ مضاجع [الملك] عبد الله وأبو حنك [غلوب باشا] هذا التصرف، فطلبوا مقاومتنا والتحقيق في قضية القتيل، فحضر محمود الهباب إلى بئرزيت، ومعه قائد من الجيش العراقي للتحقيق، فطرده وأعلمته أننا لا نعترف بالسلطة الإدارية التي يمثّلها، وأنّ هذا ليس من حقهم، لأنهم ليسوا حكومة شرعية في البلاد، وأنّ جيشهم مسؤول عن إدارة الحرب فقط. وأقنعت المسؤول من الجيش العراقي بوجهة نظري.

وهكذا، لم يستطع المسؤولون التحقيق، فألحّ الملك عبد الله على الحاكم العسكري، بهجت طبارة، بوجوب وقف هذه الأعمال، فحضر بهجت طبارة إلى مقرّ اللجنة القومية، وكنت آنذاك مجتمعا إليهم لبحث موضوع الدفاع عن المنطقة، فلما دخل قاعة الاجتماع، وهو يعرفني من السابق، مدّ يده لمصافحتي، فقلت له: «إنني أترك قاعة الاجتماع، لأنني وإن كنت صديقك إلا أنني لا أقرّ صفتك الرسمية، وهي حاكم لهذه المنطقة». وقد كان ذلك بمثابة قبلة هزّت قاعة الاجتماع. فلما شعر بهجت طبارة بحراجه الموقف، أرسل من يجتمع إليّ للتحدّث، فرفضت الاجتماع به، وأرسلت موسى شيان بالنيابة عنيّ للتحدّث إليه، فاجتمع به موسى، فأطلعه بهجت على الأمر الذي وصله بوجوب إلقاء القبض عليّ، وفضّ الجهاد المقدس، والاحتجاج الذي بعث به بهجت إلى الملك، وأشار فيه إلى أعمال الجهاد المقدس، وقوة تعلّق الأهلين بهم، واستحالة مقاومتهم، وإصراره على الاستقالة في حالة عدم الأخذ برأيه. ولما نقل إليّ موسى الخبر، وافقت على الاجتماع به، فذهبت إلى بيته، حيث أطلعني على كتاب الاستقالة الذي قدّمه والدافع إليه.

وخلفه عزمي النشاشيبي، فطلب الكاتب الذي يوقع إيصالات الغرامات التي نتقاضها في بئرزيت، وأفهمه أنه لا يمانع في أن نأخذ رسوماً، وإنما لا يحق إعطاء إيصالات رسمية، لأنّ ذلك يدل على وجود سلطتين في البلاد، فأجابته بأنّه «لو كان فيك شرف كفلسطيني، يجب أن تنزع هذه التيجان والنجوم، وتلتحق بقيادة الجهاد المقدس». وأخيراً، طلب منه أن يجتمع بي،

فقال له يمكنك الذهاب إلى بئرزيت إذا أردت ذلك. وهكذا، عرف عزمي أنه فاشل في مهمته، فاعتزل العمل العسكري، واتجه إلى الإذاعة ليتولى الإشراف عليها⁽⁷⁰⁾، وخلفه عارف العارف⁽⁷¹⁾ الذي حاول أن يتفد رغبات [الملك] عبد الله، فأرسل الجبأة ليجمعوا الضرائب من القرى، وحاول الاستفادة من خبرته السابقة لتنفيذ مشروعات الحكومة الأردنية. فذهبت بنفسي إلى قرية دورا⁽⁷²⁾ التي بدأ بالحصول منها، وطردت الجبأة، وأفهمت الأهالي بأن لا يدفعوا أي قرش، لأن حكومة شرق الأردن لا يحق لها جمع الضرائب، فهي حكومة غير شرعية.

وفي تلك الليلة، أرسلت قوة مسلحة إلى دار عارف العارف فطوقوها ودخلوا إليه، وأندروه بأن يقلع عن معاونته الأردنيين، وأن يضع مشروع الجبائية على الرف، وهددوه إن عاد إلى الطلب من الأهلين تقديم مضابط الولاء لـ [الملك] عبد الله فإنهم سيطلقون عليه النار. وفي اليوم الثاني، عقدت اجتماعاً مستعجلاً للجنة القومية. وقد اتصلت بخالد [الحسيني] وداود [الحسيني] وكامل [عريقات]، وطلبت منهم حضور الاجتماع فحضروا.

(70) نشرت الجريدة الرسمية قرار الملك عبد الله إنهاء خدمة الناشبي كمساعد للحاكم العسكري في رام الله: الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 967 (1 كانون الثاني/يناير 1949)، ص 2. ويبين كتاب رئيس الوزراء، توفيق أبو الهدى، في 27 تشرين الأول/أكتوبر 1948، لرئيس الديوان الملكي، بعض خلفيات هذا القرار. ففي كتابه، يشير أبو الهدى إلى عدم الحاجة إلى إبقاء وضع مساعد الحاكم العسكري في رام الله على ما كان عليه، خصوصاً في ظل غياب الناشبي الدائم عن مركز عمله، كما ينقل أبو الهدى عن الحاكم العسكري العام: البخت، الوثائق الهاشمية، الإدارة، مج 6، ص 78. وقد توحى هذه الوثيقة بوجود خلاف ما بين الحاكم العسكري العام عمر مطر والنشاشيبي.

(71) استمر العارف في هذه الفترة الانتقالية بعمله الإداري السابق، كمساعد لحاكم لواء رام الله في الحكومة الاستعمارية البريطانية. وتُبرز تغطيات الصحافة الاستقبال الحافل من العارف وبعض وجهاء المنطقة الآخرين، كعبد الله الجوده، للجيش العربي الأردني، وتمثيل العارف المبكر للسلطة الجديدة. يُنظر مثلاً: الجزيرة، 23/5/1948، ص 1؛ الجزيرة، 24/5/1948، ص 1.

(72) قرية دورا القرع: تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة رام الله، وتبعد عن مدينة البيرة نحو ستة كيلومترات. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 370 شخصاً. للمزيد، يُنظر: الدباغ، بلادنا، ج 9، ص 240.

وبعد البحث طويلاً في الموضوع، استدعينا عارف العارف إلى الاجتماع، فحضر، وأخذ يتبجح بوطنيته، ولم يجرؤ أحد من الحضور على مخالفته أو التعرض إليه.

ولما انتهى الجميع من الحديث، انبريت له، فأفهمته بأنه خائن لوطنه وبلاده، لأنه يعمل مع الأردنيين لتثبيت سلطانهم ومركزهم، ويتقاضى الضرائب والرسوم ليقدمها إليهم، ولم يعمل شيئاً للمساعدة في حفظ الأمن الداخلي، أو الدفاع عن المنطقة، أو تموين المجاهدين. وأنه يستغل رخص استيراد المؤن ليتاجر بها ويشترى بعض الوجهاء من النفعيين. وقلت له إننا نحاسبه على أنه كان مسؤولاً عن الإدارة قبل الانتداب، وأن الهيئة العربية العليا أقرت وجود المسؤولين، وأعطتهم صلاحية الاستمرار، ولهذا، فإنه إن أراد الاستمرار يجب أن يكون من تحت إشراف اللجنة القومية، وأن بعض حسابات اللجنة يختارها الحضور لفحص الوارد والصادر. وقد وافق على جميع تلك الطلبات، إلا أنه، حال خروجه، اتصل بالملك [عبدالله] وطلب مقابلته، وكتب تقريراً يقول فيه إنه لا يمكن قيام أية سلطة أردنية في المنطقة بوجود قاسم [الريماوي] والجهاد المقدس في بئرزيت. وقد طلب منه الملك إلقاء القبض عليّ، وحلّ الجهاد المقدس، إلا أنه أفهمه تعذّر ذلك واستحالته، وأن ذلك خطر عليه، فلما ألحّ عليه الملك وطلب منه كتابياً تنفيذ هذا الأمر، استقال من منصبه.

وفي هذه الفترة، قمنا بتخميم مضبطة موجهة إلى اللجنة السياسية [في جامعة الدول العربية]، والهيئة العربية العليا، ووزير الدفاع العراقي⁽⁷³⁾، وقّعها جميع وجهاء ومخاتير وأعضاء اللجنة القومية، استنكرنا فيها محاولة الأردنيين إقامة سلطة إدارية في البلاد، واستعدادنا مقاومتها. وأرسلناها إلى الهيئة في

(73) شغل وزارة الدفاع العراقية في أثناء فترة الحرب ثلاثة وزراء، فكان شاعر الوادي وزيراً للدفاع في حكومة صالح جبر (29 آذار/ مارس 1947 - 29 كانون الثاني/ يناير 1948)، وكان أرشد العمري وزيراً للدفاع في حكومة محمد الصدر (29 كانون الثاني/ يناير - 26 حزيران/ يونيو 1948)، وصادق محمد البصام وزيراً للدفاع في حكومة مزاحم الباجه جي (26 حزيران/ يونيو 1948، وحتى 6 كانون الثاني/ يناير 1949). وأغلب الظن أن المضبطة أرسلت خلال فترة ولاية صادق البصام في الوزارة.

دمشق، وسلّمت رئيس أركان حرب الجيش العراقي، السيد صالح صائب باشا⁽⁷⁴⁾، نسخة منها، يدًا بيد⁽⁷⁵⁾.

وحصلنا على مضابط أخرى من نابلس وجنين وطولكرم، أرسلت إلى الهيئة العربية العليا [إحداها] بواسطة الدكتور داود [الحسيني]، والأخرى

(74) صالح صائب الجبوري (1898-1993): وُلد في بغداد. التحق بالجيش العثماني، وتخرّج في الكلية الحربية العثمانية، وشارك في أثناء الحرب العالمية الأولى في معركة جناح قلعة على جبهة الدردنيل، ثم قاتل في القفقاس. مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وتشكيل الجيش العراقي في كانون الثاني/يناير 1921، التحق بالجيش العراقي معلمًا في المدرسة العسكرية العراقية. أُحيل على التقاعد بعد فشل انقلاب بكر صدقي، لكنّه أُعيد إلى الخدمة ليتخرّج في عام 1941 في كلية الأركان. تسلّم، بعد فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني، قيادة فرقة في آب/أغسطس 1941. شغل منصب رئاسة أركان الجيش العراقي من أواخر 1944 وحتى عام 1951. وخلال رئاسته للأركان، وقعت حرب فلسطين التي شارك فيها الجيش العراقي، ونشر مذكراته عن هذه الفترة. للمزيد، يُنظر: صالح صائب الجبوري، محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014).

(75) نص هذه الوثيقة، كما أثبتته الجبوري:

«سعادة قائد القوات العراقية العام في فلسطين وشرق الأردن

بواسطة أمر القوات العراقية في دير نظام

بواسطة القيادة العامة للجهاد المقدس في بئرزيت

نعرض لسعادتكم، نحن وجهاء وممثلي قرى منطقة رام الله والقضاء، ورؤساء المسلمين فيها، وأعضاء اللجنة القومية واللجان المحلية في القضاء، ما يلي، راجين أن تشملوه بعين الرعاية والاعتبار. إن حالة قضاء رام الله يُرى لها من جميع الوجوه؛ فالطرقاّت دُمّرت، والأمراض انتشرت، وشؤون الأهلين فيها مضطربة لأبعد حدّ، والحالة الاقتصادية فيها تدعو إلى مزيد من القلق، خاصة وأنّ أكثر اللاجئين يقطنون فيها، وشؤون التموين مهملة، فيستغلها أكثر المسؤولين لمصالحهم الشخصية، ومنافعهم المادية، والأمن فيها مهمل إهمالاً لا حدّ له، وشؤون الدفاع عنها غير مطمئنة بالمرّة، فلا همّ للحكام الإداريين والعسكريين والمسؤولين عن الأمن إلا جمع النقود وصرف الرواتب، وكل ذلك ناتج عن عدم وجود إدارة واحدة تتولى الإشراف على الشؤون العسكرية والإدارية، والعوامل المذكورة تدعونا إلى نزع الثقة نهائيًا من الحاكم العسكري والإداري اللذين يعملان بإشراف الحكومة الأردنية. أما المسؤولية العسكرية في معظم أنحاء المنطقة فهي تحت إشراف الجيش العراقي، وقد لمسنا بأنفسنا مدى حب التعاون وحسن الإدارة والنزاهة في القائمين على أمر القوات العراقية. لذلك، نرجو أن يُعيّن لمنطقة رام الله والقضاء حاكمًا عسكريًا عراقيًا، وذلك لتوحيد السلطة، والتخلص من المشكلات الناجمة عن الحكم المزدوج، ولوضع حدّ للبلبلة والفضوى الضاربة أطناها. كما نطلب انتخاب حاكم إداري للمنطقة من الذين يتمتعون بثقة الشعب، ولم يتعاونوا مع حكومة الانتداب السابقة. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام سيدي». وعلّق الجبوري على هذه الوثيقة بقوله: «وقد احتفظت بالمذكورة، ولم أفتح أحدًا من الأردنيين بشأنها، وذلك خوفًا على مقدّمي المذكرة من أن يصيهم سوء من الجانب الأردني»: الجبوري، ص 443-444.

بواسطة إبراهيم العلي - طولكرم. ولما عُقد الاجتماع في غزة، [في 1 تشرين الأول/أكتوبر 1948]، أخذنا ندعو الوجهاء لحضور الاجتماع، متحدثين بذلك إرادة الأردنيين، وأخذنا نطوف في نابلس وجنين وطولكرم وعنبتا وقليلية، لتبليغ المدعويين. وقد قررت الذهاب إلى غزة، مع أن الأردنيين وضعوا مصفحة على الطريق، فاجتزت الطريق الجبلي. وفي هذه الأثناء، عُيِّن المقدم محمد هاشم⁽⁷⁶⁾، ابن عم الملك، حاكمًا عسكريًا لرام الله، إلا أنه لما درس الوضع وعرف الموقف، رفض قبول المهمة.

وأخيرًا، تم تعيين عمر مطر حاكمًا عامًا. وقد تمكن عمر مطر من الاحتيال على موسى شيان، ووضعه في السجن. فلما بُلِّغَت الأخبار، قررت العودة في الحال من غزة، فعدت وعرفت أن عمر مطر قد أصدر أمرًا بوجوب اعتقالي، فلم أعبأ بذلك، وبقيت في بئرزيت. ولما علم الجيش العربي بقدمي، حضر لبئرزيت صادق الشرع، رئيس أركان حرب الفرقة الأولى، يرافقه فواز ماهر آمر الكتيبة الثامنة⁽⁷⁷⁾، وعدد من الضباط، على رأس عدد من الجنود في سيارتين. وفي الحال، اتجهوا إلى دار اللاسلكي، وكانوا قد تمكنوا من الاستيلاء على آلة اللاسلكي في بيت لحم دون مقاومة.

فلما عرفنا أمرهم، أرسلت جماعة من الجنود، فما شعروا إلا وجنودنا [يطوقونهم] من كل ناحية. وبعد أن جردوهم من السلاح، اقتادوهم إليّ في مقرّ القيادة. فلما حضروا، حجزتهم في غرفة، ووضعت حرسًا عليهم، وأمرت عددًا من الجنود بالركوب في السيارات، وأخذت ثلاثة رشاشات، وسرت أمامهم

(76) محمد هاشم (1914-1988): وُلد بالقرب من مكة المكرمة، وارتحل إلى شرق الأردن في عام 1922. التحق بقوات البادية في عام 1931، ووصل في عام 1946 إلى قيادة منطقة البادية، قبيل دخول الجيش العربي الأردني الرسمي إلى فلسطين، للمشاركة في معاركها. رُقي إلى رتبة قائد في 1 أيار/مايو 1948. صدر الأمر بتعيين محمد هاشم حاكمًا عسكريًا لقضاء رام الله في 26 أيلول/سبتمبر 1948: الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 959 (18 تشرين الأول/أكتوبر 1948)، ص 301؛ البخيت، الوثائق الهاشمية، الإدارة، مج 6، ص 75. وفي 20 كانون الثاني/يناير 1949، عُيِّن أحمد بك الخليل حاكمًا عسكريًا جديدًا لقضاء رام الله: الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 969 (1 شباط/فبراير 1949)، ص 34؛ البخيت، الوثائق الهاشمية، الإدارة، مج 6، ص 80.

(77) كان فواز ماهر أمرًا للسرية الثانية في الكتيبة السادسة من الجيش العربي الأردني.

في طريقي إلى رام الله، وأبلغت الحرس أنني إن قُتلت أو أُسرت أن ينتقموا من هؤلاء الرهائن. وتوجهت إلى رام الله، وبعد تطويق المركز، دخلت شاهرًا السلاح إلى دار الحاكم العسكري، حيث يحتجز موسى شيان، فلمّا شعر الحاكم بالحركة، هروا واختفى في أحد البيوت في الدار.

أما أنا، فتقدّمت إلى السجن، وأمرت الحراس بفتحه، وكان يقف خلفي أربعة مسلّحين، ففتحوا الباب، فأخرجت موسى [شيان] من السجن، واصطحبته معي خارج ساحة العمارة، ولكنه لمّا أبعدنا قليلاً قال إنّ الحاكم العسكري أعلمه أنه سيخرج غدًا، فلا ضرورة لذلك، فقلت له: «لك الخيار». فعاد هو. وفي المساء، أُفرج عنه، وعدت إلى بئرزيت، حيث أُفرج عن قادة الجيش العربي. ولقد استقبل الأهليون هذه الأنباء بمزيد الحماس، وأخذت الوفود ترد إلينا من مختلف الأنحاء مشجعة ومؤازرة. أما قيادة القدس، فكانت ترسخ في عبوديتها وإطاعة الأوامر، وكلما انتقلوا إلى دار، يطلب الجيش منهم إخلاءها وهم يطيعون، فلمّا سمعوا الأخبار استهجنوها، وأخذوا يلومون أنفسهم على اللين والضعف الذي أظهره تجاه الأردنيين، واستكبروا ما عملناه.

في هذه الأثناء، كانت علاقاتنا الشخصية تتوثق مع الجيش العراقي، ولا أبالغ أنّ مركز قيادة بئرزيت كانت مرجعًا لهم، يترددون إليها أفرادًا ومجموعين. وقد زاد موقفهم منّا من سلطتنا، وقوة تأييد الأهالي إلينا، وقد تمكّنا بفضل ذلك من فرض التجنيد الإجباري، وجمعنا حوالي تسعمئة مسلّح دفعت القرى ثمن أسلحتهم، وكانت تدفع لهم رواتب شهرية بواسطة سلطتنا، بمعدل عشرة جنيهات للشخص الواحد.

7. نحن والجيش العراقي

على إثر تسليم الأردنيين لمنطقة اللد والرملة، أخذ اليهود يزحفون في المنطقة الجبلية، فتصدّت لهم قواتنا بالقرب من [قرية] رنتيس، وأوقفت

زحفهم، مع أنّ أهالي [قرى] رنتيس واللّبن⁽⁷⁸⁾ وعبود كانوا قد هربوا من قراهم وتركوها خالية. وفي هذه الأثناء، وبعد اتصالات مع قيادة الجيش العراقي، تمكّنت من إقناع القيادة العراقية بوجوب إرسال فوج إلى تلك المنطقة، بعد أن تمكّنت من إقناع الزعيم طاهر الزبيدي⁽⁷⁹⁾، وأركان حرب الجيش العراقي الذين زاروا المنطقة وشاهدوا الخطر المحقق الذي يهدّد مؤخرتهم، فحضر الفوج [يوم 18 تموز/ يوليو 1948] وتمركز في [قرية] دير نظام، على بُعد خمسة عشر كيلومتراً من الخطوط الأمامية التي يربط فيها جنودنا⁽⁸⁰⁾.

(78) قرية اللّبن: تقع شمال شرق قرية رنتيس، وإلى جوار قرية عبود. تُعرف باللّبن الغربي، تمييزاً لها عن اللّبن الشرقي في قضاء نابلس. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 340 شخصاً. للمزيد، يُنظر: المرجع نفسه، ج 5، ص 406-407.

(79) طاهر محمد الزبيدي (1900-؟): وُلد في بغداد، ودرس الابتدائية في مدرسة الحميدية، ثم انتقل إلى المدرسة الرشدية العسكرية، فالمدرسة الإعدادية العسكرية. التحق بالمدرسة الحربية في إسطنبول، ليعمل في أثناء الحرب كآمر فصيل في سرية الهندسة في الفيلق السابع عشر في أزمير. مع نهاية الحرب العالمية الأولى، التحق بالجيش الفيصلي إلى أن سُرح في نهاية العهد في آب/أغسطس 1920. ثم التحق بالجيش العراقي مع بداية تأسيسه، وترقى في المناصب إلى أن كان لحظة صدور الأمر بالاستعداد لدخول الجيش العراقي إلى فلسطين، في نيسان/أبريل 1948، أمراً للقوة الآلية. عُيّن قائداً للقوات العراقية بين 13 أيار/ مايو و20 تموز/ يوليو 1948. وكان الملك عبد الله قد أعلن تعيين الزعيم طاهر محمد حاكماً عسكرياً للمناطق التي يربط فيها الجيش العراقي في فلسطين، بتاريخ 26 تموز/ يوليو 1948: الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 954 (1 آب/أغسطس 1948)، ص 249؛ البخت، الوثائق الهاشمية، الإدارة، مج 6، ص 74. وكان ذلك بعد اندلاع تظاهرات في نابلس، إثر سقوط اللد والرملة، وعجز الحاكم العسكري إبراهيم هاشم عن السيطرة على الموقف.

(80) كتب الريماوي عن هذه الحادثة مفصلاً: «قمت بزيارة لمدينة نابلس، على إثر انسحاب السرية الأردنية [من قولة والمزيرة]، وقابلت الحاكم العسكري الزعيم طاهر الزبيدي، وطلبت منه إرسال قوة عراقية للمرابطة في تلك المنطقة، والتي تُعتبر امتداداً لمنطقة كفر قاسم التي تحتلها قوات الجيش العراقي، وأوضحت أثر ذلك على نفوس السكان من القرى الأمامية، كما أنّ ترك المنطقة مفتوحة سيكشف جناح الجيش العراقي من اليسار أمام قوات العدو. وبعد يومين من ذلك الاجتماع، حضر الفوج الأول من اللواء الرابع عشر، وكان في مقدّمهم سيارة جيب تقلّ الزعيم طاهر الزبيدي، والعقيد عمر علي، بطل جنين. وبقيت معهم من بئرزيت، وتوجهنا إلى المنطقة العربية، حيث تقرر أن تربط هذه القوات في قطاع دير نظام - عبود - رنتيس، وكان ذلك في شهر رمضان من ذلك العام. وبقيت القوات العراقية هنالك إلى أن تم توقيع اتفاق رودس»: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (15)»، الدستور، 13/11/1972، ص 4. وسلّم قاطع دير نظام للقوات الأردنية في 6 نيسان/أبريل 1949. يُنظر: الجبوري، ص 461.

وقد اغتنمت هذه الفرصة، وعقدت لوجهاء المنطقة [اجتماعًا] في مقرّ القيادة العراقية، وأعلنت التجنيد الإجباري بنسبة 5% من السكان، مبتدئًا بـ 1%. وبذلك، تمكّنت من جمع تسعمئة مجاهد في أسبوع⁽⁸¹⁾، اشترت بنادهم القرى، وكانت تدفع لهم رواتب شهرية بمعدل عشرة جنيهات للجندي الواحد، وأخذ العراقيون يدربونهم، ووضعوهم في الخطوط الأمامية. وقد كان بودي استرجاع منطقة اللد والرملة، ورسمنا الخطة لذلك، إلا أنّ القيادة العامة في الزرقاء، وبتأثير من [الملك] عبد الله، منعتنا من الهجوم، فاكْتفينا بالدفاع عن تلك المنطقة، من على طول خمسة وثلاثين كيلومترًا في المرتفعات بين [قريتي] بيت نبالا وكفر قاسم.

وقد زادت هذه القوات من قيمة الجهاد المقدس والهيئة العليا، فإنّها كانت تعمل باسم الهيئة وسماحة المفتي [محمد أمين الحسيني]. وقد كان من أثر توسط سماحة المفتي مع [مزاحم] الباجه جي⁽⁸²⁾ أن صدرت الأوامر لتموين خمسمئة منهم على نفقة الجيش العراقي، وبقيادتي، إلا أنني رفضت أن أكون تحت قيادة الجيش العراقي، وأعلمتهم أنني تحت قيادة الهيئة العربية وحكومة عموم فلسطين. وفي هذه الأثناء، [رئي] من المصلحة تشكيل قوة بقيادة [محمود] أبو الخير⁽⁸³⁾، تكون تحت إمرة العراقيين، فتم تشكيل هذه القوة، وتمركزت في [قرية] عابود. وبقيت أنا في بئرزيت لأوجّه السياسة

(81) حذف الريماوي من الأصل جملة «وسلمتهم للجيش العراقي»، واستبدل بها ما أثبت في

متن النص.

(82) مزاحم أمين الباجه جي (1891-1982): تسلّم رئاسة الوزراء العراقية خلال فترة

الحرب، من 26 حزيران/يونيو 1948 وحتى 6 كانون الثاني/يناير 1949.

(83) محمود العبدخير الدين أبو الخير (1905-1985): وُلد في قرية عارورة قضاء رام الله.

شارك في ثورة البراق في عام 1929. التحق بثورة 1936-1939، وأصيب في إحدى معاركها بالقرب من قرية رنتبة. خلال حرب 1947-1949، كان أحد أبرز القادة العسكريين المرافقين لقائد القطاع الغربي في المنطقة الوسطى حسن سلامة، وشارك في معظم معاركه. كما شارك في معارك القدس المركزية، وأبرزها معركة النبي صمويل في نيسان/أبريل 1948. اتخذ من قرية عابود مقرًا لقيادة قواته بعد استشهاد حسن سلامة وتشتت قواته الذي اكتمل بعد سقوط اللد والرملة. بعد الهزيمة، اعتُقل في عام 1953 في الأردن، وأتهم بتنظيم أعمال فدائية ضدّ الاحتلال الصهيوني لفلسطين.

التي ترسمها الهيئة العربية العليا، واستغل وجود الجيش العراقي لتحقيق هذا الهدف⁽⁸⁴⁾.

ولا أبالغ إن قلت إنّ مركز قيادة بئرزيت كان مرحّبًا لمعظم قادة الجيش العراقي في فلسطين، سواء منهم المقيم في جنين أو طوباس أو طولكرم أو نابلس، فكانوا يترددون عشرات ووحداً لزيارتنا والتحدّث إلينا عن [...] الهاشميين ونوري السعيد وغيره. وقد حضر الدكتور داود [الحسيني] أحد المرات، عن طريق الصدفة، وكان عندي ستة وثلاثون جنراً عراقياً، كلهم من رتبة تاج فما فوق، وكانوا يتكلمون بصراحة تامة، ويشتمون عبد الله ونوري السعيد وعبد الإله [بن علي] وسياستهم، ويتحدّثون في أخطر الأمور بلا كلفة، فدهش لذلك. وقد كانت علاقتنا مع الجيش العراقي ليست علاقة النّدّ للنّدّ فحسب، بل أكثر من ذلك، إنهم كانوا يعتبروننا قدوة لهم، ويقدموننا على أنفسهم في كل شأن، ويدعوننا للحفلات الخاصة. ولم نكن نتهاون معهم في أمر، فلا يتمكّنوا من اعتقال أحد من الأهالي، أو التعرّض إليه، أو إلى أي مسلّح، إلا بموافقتنا وإرشاداتنا.

وقد حدث، بينما كنت في مقرّ القيادة العامة في نابلس، أن تناول أحد ضباط الاستخبارات على سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني] وحكومة عموم فلسطين، وكان لا يعرفني، فوبّخته وشتّمته وشتّمت نوري السعيد. وفي الحال، قدّمت احتجاجاً خطياً على ذلك، ومنه نسخة إلى وزارة الدفاع. وذلك ما أدّى بالزعيم طاهر الزبيدي بالحضور إلى بئرزيت والاعتذار رسمياً. كما حضر المذكور واعتذر على تصرّفه، وطلبوا منّي سحب الاحتجاج فسحبته.

(84) يُنظر ما كُتب لاحقاً عن هذا التعاون. ووفقاً لتأريخ الجيش العراقي، فإنّ رسالة وردت من الحاج أمين الحسيني إلى الحكومة العراقية، في آب/أغسطس 1948، تم على إثرها الأمر بإعاشة خمسمئة من المجاهدين الفلسطينيين، استضافهم الفوج الأول من اللواء الرابع عشر الذي استقر في دير نظام: خليل سعيد، تاريخ حرب الجيش العراقي في فلسطين 1948-1949 (بغداد: مطبعة الجيش العراقي، 1966-1969)، ج 3، ص 110.

وقد اعتُقل الحاكم العسكري العراقي فريد فخر الدين، بعد مؤتمر أريحا [عُقد في 1 كانون الأول/ديسمبر 1948]، لأنّ الأردنيين لم يستطيعوا اعتقاله، فأنذرت القائد محمود المهدي أنه إذا لم يطلق سراحه فسأعتقل محمد السعدي ومحمد الأسطى وعلي غالب (الحاكم العسكري)، الذين يمثّلون الحكم الأردني. وبالفعل، توجهت إلى نابلس، على رأس قوة كبيرة، لتنفيذ هذا الأمر، فما كان منه إلا أن ذهب بنفسه إلى نابلس، واتصل بالقائد العام، وأفرج عن فريد، فما وصلت بالقوة إلى نابلس حتى كان فريد ينتظر في الطريق. هذا موقفنا مع العراقيين، أما موقفنا مع الأردنيين، فكان إحباط مساعيهم ومناوراتهم السياسية، وعدم الاعتراف بحكمهم.

8. محاولة إحباط مساعي شرق الأردن السياسية

كان أول عمل سياسي قام به الأردنيون في فلسطين هو مؤتمر أريحا، وقد وردت إلينا التعليمات لإحباط مساعي المؤتمرين. في الحال، توجهت إلى القيادة في القدس، فوجدت خالد وداود [الحسيني] وفوزي عريقات، فقلت لهم: «سيُعقد المؤتمر غداً، فما هو موقفكم؟ وما هي الإجراءات التي ستخذونها لإحباطه؟». فقالوا نحن [عسكريون] ولا نتدخل في السياسة، فقلت لفوزي [عريقات]: «وما رأيك أنت؟ إنّ أريحا منطقة نفوذكم». فقال: «نحن لم نتمكن من منع أهالي قريتنا [أبو ديس] من إعلان الولاء لـ [الملك] عبد الله».

فخاب أملي، وعدت فطبتعت حوالي ألف منشور، وأرسلتها مع اثنين من الجنود لتوزيعها عند انعقاد المؤتمر، وكلها تبيان لحقيقة المؤتمر، ونوايا الأردنيين والإنجليز. وكنت قد مهّدت بعقد اجتماع في قاعة سينما دنيا برام الله، لجميع وجهاء المنطقة واللاجئين فيها⁽⁸⁵⁾، وذلك لأخذ قرارات تُتلى في مؤتمر أريحا باسم المنطقة واللاجئين، وذلك لقطع خط الرجعة على المأجورين الذين سيؤيدون المؤتمر في أريحا، ولضمان صيغة المقررات،

(85) عُقد مؤتمر تمهيدي في رام الله، يوم الأحد 28 تشرين الثاني/نوفمبر 1948. وأشارت المصادر إلى أنه ضم رؤساء بلديات رام الله والبيرة ونابلس، ومخاتير ووجهاء القرى، بهدف التمهيد لمؤتمر أريحا. يُنظر: «Jericho Conference», *The Palestine Post*, 30 November 1948, p. 3.

بحيث تلائم الميثاق القومي. وضمنت الوصول إلى القرارات التي أريدها، لأنّ المدعويين من الرجال الذين أعتد. وقد ذهب أخي أديب [الريماوي] وموسى [شيبان] وفريد [فخر الدين] وعبد الله [الريماوي] للاجتماع، وتمكّنوا من إبعاد المأجورين كلهم، أمثال عبد العزيز صفا وسيف البرغوثي، من قاعة الاجتماع.

وبالفعل، اتّخذت قرارات إجماعية تنافي أهداف مؤتمر أريحا، وانتُخبت لجنة لتوصيل هذه القرارات إلى مؤتمر أريحا. وبعد تردد، وافق عزيز شحادة⁽⁸⁶⁾ على تلاوتها. وقد طبعت منها ألف نسخة لتوزيعها أثناء انعقاد المؤتمر. وفي الصباح الباكر، استأجرت خمس سيارات شحن وأرسلتها إلى القرى الموالية، حيث أحضرت حوالي [مئتي] رجل من الأهالي إلى بئرزيت، وأبلغتهم أن يتوجهوا مع الأخ أديب [الريماوي] وفريد [فخر الدين] وموسى شيبان إلى قاعة الاجتماع، لهدم المؤتمر. وبالفعل، توجهوا إلى أريحا عن طريق رام الله، وكانوا يهتفون بحياة سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني].

ولمّا وصلوا، وجدوا أنّ جماعة [محمد علي] الجعبري قد احتلوا المقاعد، ويظهر أنهم ناموا في أريحا قبل ليلة. ومع ذلك، تمكّن الإخوان أديب وفريد وموسى وناصر من دخول قاعة الاجتماع، وإحداث الفوضى فيه، ومن إنزال عجاج نويهض وشمته، وشم الجعبري. وأخذوا يُسقطون مقرراته، ويصفقون لعزيز شحادة. وهكذا، لم يتوصل المؤتمر إلى قرارات معيّنة. وتمكّنوا من إحداث الفوضى، بالرغم من وجود قوات الأمن والحكام العسكريين الذين يحافظون على الاجتماع. وقد حاول البوليس اعتقالهم، إلا أنّه لم يتمكّن، لأنّ الجماعات التي تقف خارج الساحة أنقذتهم. وهكذا، اعتُبر مؤتمر أريحا فاشلاً⁽⁸⁷⁾.

(86) عزيز بولس شحادة (1912-1985): وُلد في بيت لحم. درس في مدرسة صهيون الإنكليزية في القدس. حصل على دبلوم الحقوق من معهد الحقوق في القدس. عمل محامياً، وكان مقيماً في رام الله. والده هو مؤسس صحيفة مرآة الشرق وصاحبها.

(87) عن مؤتمر أريحا ووصف لكيفية عقده، ومحاولة إضافية لإفشاله أو استغلاله، لإسكات الملك عن قوة الجهاد المقدس، يُنظر: عبد الله التل، كارثة فلسطين مذكرات عبد الله التل قائد معركة القدس، ط 2 (كفر قرع: دار الهدى، 1990)، ص 374-379.

وقد ساء عمر مطر ونديم السَّمَان ما وصل إليه المؤتمر، وقرروا عقد مؤتمر آخر في رام الله، [في 26 كانون الأول/ديسمبر 1948]، يحضره الملك. فأحضرت ثلاث سيارات من أقاربي، وذهبوا مع أخي أديب [الريماوي] إلى رام الله، قبيل انعقاد المؤتمر، وقاموا بمظاهرة امتدت على مسافة ثلاثة كيلومترات. وكانوا يهتفون بحياة سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني]، وسقوط الملك عبد الله، حتى وصلوا قاعة الاجتماع، ولم يتمكن الانضباط من تفريقهم. وفي هذا الوقت الذي كُنّا نقاوم الأردنيين، ونتظاهر بإسقاطهم، اصطفت قوات الجهاد المقدس في مدخل القدس وعند العيزرية، وفي مقدمتها قائد الجهاد المقدس خالد بك [الحسيني]، والمفتش العام داود [الحسيني]، لتؤدي تحية الولاء والإجلال لجلالة الملك عبد الله.

وقد رافقه القادة [المذكورون]، وساروا خلفه إلى ساحة الحرم، حيث جلسوا هناك بين يديه، وأخذ توفيق صالح⁽⁸⁸⁾ يقبّل يديه، ويدعو له بطول العمر والبقاء، والدكتور موسى الحسيني يلفّ حوله كـ [...] الأمين حول صاحبه⁽⁸⁹⁾. تصوّر بربك ماذا سيكون أثر هذه الأنباء على الشعب، خاصة في منطقتنا! أما [الملك] عبد الله فقد سرّ من ذلك سرورًا ما بعده سرور، ووقف ليعبّر عن شكره وامتنانه لجيش الجهاد المقدس. تصوّر أي سخط سيحلّ به حين يرى قادة الجهاد المقدس في القدس كالعييد بين يديه، ويرى تلك الشرذمة في بئرزيت تعرقل مساعيه وتشتت حكامه وتسجن رجاله! أي حنق سيحلّ به،

(88) توفيق «محمد صالح» الحسيني (؟-1952): وُلد في القدس، ووالدته زليخة سليم الحسيني، شقيقة «موسى كاظم». تلقى تعليمه في مدرسة المطران في القدس. كان ضمن الوفد الذي سلّم مدينة القدس إلى قوات الاحتلال البريطاني، في 9 كانون الأول/ديسمبر 1917. عمل موظفًا في المجلس الإسلامي الأعلى. اعتُقل مدة قصيرة في تشرين الثاني/نوفمبر 1938 بتهمة تهريب المال والسلاح للثورة. بعد إبعاد شقيقه جمال، إثر ثورة 1936-1939، تولى مسؤولية الحزب العربي الفلسطيني بالوكالة، وانتُخب وكيلاً للحزب بعد إعادة تنظيمه في نيسان/أبريل 1944. شغل، قبل حرب 1947-1949، إدارة المسجد الأقصى. اعتُقل وشقيقه داود بعد اغتيال الملك عبد الله في عام 1951، وتعرّض للإهانة والتعذيب، على الرغم من كبر سنه، قبل أن تُعلن براءته.

(89) وفقًا لبالستين بوست، فإنّ موسى الحسيني كان أحد الخطباء في حفل استقبال للملك عبد الله في القدس، في الجمعة 12 تشرين الثاني/نوفمبر 1948. يُنظر: «Abdullah 'King of Palestine'», *The Palestine Post*, 14 November 1948, p. 1.

بل وأي مكيدة سيدبرّها لهم! وهو المعروف [...].....]. وقد زاد الطين بلة أنّ الاجتماع الذي عُقد في نابلس بعد مدة أُلقيت عليه قبلة، فقبل إنّها من الجهاد المقدس.

وفي هذه الأثناء، وقعت حوادث قتل بالقرب من [قرى] بئرزيت والمزارع [مزارع النوباني]⁽⁹⁰⁾ وجمالة. كما حدث شجار في قرية أبو قش⁽⁹¹⁾، على بُعد بضعة كيلومترات من رام الله، فلم يستطع البوليس التدخل في الأمر، فذهبت قواتنا وألقت القبض على الجناة وأودعتهم السجن، وأحالتهم على المحاكمة العسكرية التابعة للجيش العراقي، ورفضت تسليمهم للبوليس الأردني في رام الله، وأرفعت ذلك بكتاب إلى المحكمة العسكرية، أنوّه به بقصور الإدارة الأردنية، وعدم صلاحيتها للحكم، وانتشار الفوضى فيها.

من هذا، تفهم أنّ القوات الأردنية كانت لا تملك من السلطة والهيبة ما يمكنها من حفظ الأمن في أقرب قرية إلى عاصمة ملكها، وهي قرية صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها بضع مئات، بل طلبت رسمياً من قيادة بئرزيت المحافظة على الأمن فيها. وهنا، لم يجد الحاكم العسكري [حرجاً] من خطب ودنا في بئرزيت، فحضر نديم السمان بنفسه إلى مقرّ القيادة في بئرزيت، يرافقه جميل عبد الهادي، وقال لي إنهم على استعداد لمنحي جميع التسهيلات والمساعدات التي أريدها، وأنّ عمر مطر يوّد الاجتماع إليّ للتباحث في بعض الأمور، وأنّه سيزور بئرزيت ويردّ زيارتي إليه، وأنّه كلّفه بالحضور للسلام عليّ.

فقلت له: «وأي شيء يريد؟ إن أراد قتال اليهود فسنسبقه إلى ذلك، وإن أراد [شراءنا] فنحن لا نُشترى بكثير أو قليل، ونحن لن نتعرّض إليه طالما لم يتعرّض إلينا، ولا يمكن أن نقرّ أي سلطة غير حكومة عموم فلسطين، فإن أراد البحث معي في هذه الأمور فليتفضل إلى بئرزيت. وأما عسكرياً فإنني متعاون

(90) قرية مزارع النوباني: تقع في الجهة الشمالية من مدينة رام الله على بُعد 16 كلم عنها. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 1090 شخصاً. للمزيد، يُنظر: الدباغ، بلادنا، ج 9، ص 200-202.

(91) قرية أبو قش: تقع شمال رام الله، وتجاور قرية بيرزيت. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 300 شخص. للمزيد، يُنظر: المرجع نفسه، ج 9، ص 239.

مع الجيش العراقي، وإداريًا فإنَّ لي صلاحية رسمية من حكومة عموم فلسطين بممارسة الأعمال التي أقوم بها». فعرض عليّ نديم أن يرسل مفرزة من الشرطة تكون تحت إمرتي، وتحصّل الرسوم، وتدفعها إلى صندوق «الجهاد»، وتتولى هي إصدار الأوامر، فرفضت ذلك.

9. احتلال مقرّ قيادة الجهاد المقدس في بئرزيت

بعد ذلك، صدرت الأوامر إلى الكتيبة الثامنة⁽⁹²⁾ لاحتلال بئرزيت والدور التي تشغلها قيادة الجهاد المقدس، فاحترق قائدها المسمى فوّاز ماهر في الأمر، وكيف يُقدم على ذلك، وقد رأى بأم عينيه لَمّا قدم لمصادرة اللاسلكي، صلابة جنود الجهاد المقدس وقوة تصميمهم، فأوعز إليه الاتصال بخالد الحسيني، وهو يمهد له ذلك الأمر، فذهب إلى العيزرية ليلة 19 تشرين الأول/أكتوبر 1948، واتصل بخالد بك الحسيني. وفي ذات الليلة، حضر إلى بئرزيت وأطلعني على حقيقة الأمر، ومعه كتاب من خالد لتسليمه إحدى الدور التي نشغلها في بئرزيت، وقال لي إنه لا يودّ أن تُسفك قطرة واحدة من الدم، لأنّه مسلم قبل كل شيء، فرفضت إجابة مطلبه، وأعلمته أنه يوجد دار خالية خارج بئرزيت، وأرسلته إلى مختار القرية لإخلائها. وفي ذات الليلة، وردت إلينا أوامر لإرسال سرية إلى بيت لحم، فأرسلنا سرية، أي مئة جندي، فتمكّنت من صدّ الزحف اليهودي، واسترجاع [قرى] الولجة وبتير وحوسان، وبقيت مرابطة هناك ثلاثة أشهر.

أما الجيش العربي، فجاء في صباح اليوم الثاني. وفي الحال، حضر فوّاز ماهر، وهو قائد برتبة تاج، إلى مقرّ قيادة بئرزيت. وهو شركسي، وكان أحد الذين احتجزوا في مقرّ القيادة يوم محاولة الجيش مصادرة اللاسلكي. فبعد أن شرب القهوة، أعلن أنه سيعمل معنا، وأخذ يشتم سياسة الدول العربية، فدعوته لتناول الغداء، [هو ومساعديه]، فلَبّوا الدعوة. وفي أثناء ذلك، قال لي إنه قابل إخوانه الضباط، وكانوا كلهم مستغربين كيف تمكّن من دخول بئرزيت والبقاء

(92) كان فوّاز ماهر أمرًا للسرية الثانية في الكتيبة السادسة من الجيش العربي الأردني.

جنبًا إلى جنب مع قوات الجهاد المقدس. والحق أنّ الجيش العربي كان يطير هلعًا وخشية من رجال الجهاد المقدس.

وقد تناولنا طعام الغداء بدعوة منهم في اليوم الثاني، وبقي الجيش العربي، أي الكتيبة الثامنة، مدة شهر واحد، كانت مواصلاتهم التلفونية طيلة الوقت مقطوعة، وقد فقدت بعض رشاشاتهم، إلا أنه في هذه الأثناء أُذيع في أوساط عمّان أنّ الجيش العربي احتل بئرزيت. وبقي الوضع كذلك، إلا أنّ نشاط مأجوري [الملك] عبد الله أخذ يزيد، فأخذوا يختمون مضابط الولاء له⁽⁹³⁾، فأرسلت جنودًا تعقبوا القائمين على هذا الأمر، واعتقلوهم في قرية صفا⁽⁹⁴⁾، واقتادوهم إلى بئرزيت، وهم عثمان الخواجا ومحمود أبو غوش، فسجنتهم وعذبتهم، وأخيرًا أطلقت سراحهم، بعد أن أنذرتهم بعدم العودة إلى مثل هذه الأعمال. وبقيت الحال كذلك مدة ثلاثة أشهر، كانت في خلالها الإدارة الأردنية معطلة تمامًا، وكانت دوريات الجهاد المقدس تسيطر على مدينة رام الله ذاتها، وتجوب في مختلف الأنحاء؛ من نابلس إلى جنين إلى طولكرم وقلقيلية وطوباس وغيرها.

وقد نشط الحكّام العسكريون في رشوة الوجهاء والتجار، فمנحو عددًا كبيرًا منهم رخص استيراد المؤن والكايز، وقد درّت أرباح هائلة على عدد منهم، أمثال عبد الله الجودة ومحمد عبد الله الأسمر، فكانوا يأخذون على بدل التنازل عن كل ترخيص مئات الجنيهات. وبقيت الحال كذلك، حتى سُفنت دار محمود الهباب، بتاريخ 15 كانون الثاني/يناير 1949، فحضر أحد

(93) من ذلك الدعوات المتواصلة لحاكم رام الله العسكري في تشرين الثاني/نوفمبر 1948 لقرى قضاء رام الله، لإرسال مندوبين لمبايعة الملك. وأشارت المصادر إلى خروج وفد من بلدة الطيبة ليبايع الملك باسم قضاء رام الله: «Call of the War, Says Ramallah.» *The Palestine Post*, 21 November 1948, p. 1.

(94) قرية صفا: تقع غرب رام الله. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 790 شخصًا. تعرّضت لهجوم صهيوني في 18 تموز/يوليو 1948، بهدف احتلالها، لوقوعها على طريق رام الله - اللطرون، لكنّ الهجوم فشل، بعد تصدّي الجيش الأردني للقوات المهاجمة. للمزيد، يُنظر: الدباغ، بلادنا، ج 9، ص 259.

ضباط الشرطة، ويدعى هاشم العفيفي، ومعه تسعة جنود، للتحقيق مع قيادة بثرزيت، فرفضنا طلبه، وأخذنا الحيطة اللازمة، لأننا عرفنا أن الجيش سيحاول التعدي علينا. ونصبنا الاستحكامات وسط الطرق، والرشاشات على أسطح المنازل⁽⁹⁵⁾، فحضرت قوة، ولكنها رأت الاستعدادات الكبيرة فعادت قبل دخول القرية.

وفي هذه الأثناء، ذهب إلى خالد [الحسيني] وأبلغته تطورات الموقف، وأشرت عليه ببيع السيارات، فرفض قائلاً: «أفضل أن يأخذها الجيش ولا نبيعها، لأن الناس سيقولون إننا نتاجر بها». أما الجيش، فلم يحضر، لا في أول يوم ولا ثاني يوم. وبعد ظهر اليوم الثالث، أي يوم 18 كانون الثاني/يناير 1949، حضر قائد الجيش العراقي، وقال: «ليس من الضروري اتخاذ مثل هذه الترتيبات، فالجيش العربي لا ينوي عمل أي شيء، وإنني أنصحكم أن تتوجهوا إلى عابود لتتخذوا مقرّكم هناك». وبالفعل، اتفقنا على [هذا الأمر]، وذهب وإياه لاختيار المكان المناسب، وعدت في نفس الليلة. وبعد منتصف ليلة 18 كانون الثاني/يناير 1949، أعلمني الحرس أنه شاهد سيلاً لا ينقطع من السيارات، قادمة من طريق نابلس - القدس ومن طريق عابود - بثرزيت⁽⁹⁶⁾. في الحال، أيقظت الجميع، وذهبنا إلى مقرّ القيادة، حيث فتحت مخزن الأسلحة، ونقلنا جميع الأسلحة والذخيرة الجيدة، ووضعناها في

(95) دَوْن التَّل في مذكراته أنه في أوائل كانون الثاني/يناير 1949، وضع مجهول لغماً في منزل الهباب، فُسِّف جزء منه، فأخذ غلوب هذه الحادثة ذريعة للبطش بالجهاد المقدس، فعُقد اجتماع يوم السبت 15 كانون الثاني/يناير 1949، حضره حاكم رام الله نديم السمان، وحكام الخليل والقدس ونابلس، والحاكم العام عمر مطر. واقترح غلوب في هذا الاجتماع حل الجهاد المقدس ومصادرة أسلحة مجاهديه، وأيد مطر ذلك، مبرّزاً رسالة من الملك عبد الله توصيه بضرورة القضاء على الجهاد المقدس، ومحو هذا الاسم من الوجود. ووفقاً للتل، فإنّه اعترض على الحديث، مشيراً إلى خلفيات إجرامية للهباب، في أثناء عمله في الفترة الانتدابية، وقد يكون الحادث ناجماً عن خلافه مع شركائه في الإجرام: التل، ص 365-366.

(96) وفقاً للتل، فإنّ غلوب جرّد لواءً كاملاً لمهاجمة قوة الجهاد المقدس في بيرزيت، وزحف هذا اللواء بقيادة نيومان الإنكليزي، ومعه حاكم رام الله، القائد نديم السمان، ووكيل القائد فوزا ماهر، بصفته قائداً لإحدى الكتائب، والرئيس محمود الهباب، قائد الشرطة: التل، ص 366.

اليوت المجاورة، وكان الطوق قد وصل أطراف القرية، فأخذ الحرس يتبادل معهم النيران بقصد إعاقة زحفهم.

وبالفعل، تمكّن من إعاقتهم ساعتين من الزمن، تمكّن خلالها من نقل جميع الأوراق الهامة والبرقيات والأسلحة الجيدة. وانسحب الجنود من بئرزيت عن طريق برهام، وآخر من ترك البلدة أنا، بعد أن وضعت الضابط حسني بدار لتسليم المكتب. ومن بئرزيت انتقلنا إلى عابود، وقد جنّ جنون القيادة العراقية لهذا العمل، وأرسلوا برقيات الاحتجاج على ذلك، وادّعوا أنهم لم يعرفوا شيئاً عنه. أما الجيش، فقد دخل المكتب وصادر كل ما وقعت عليه يده. وأما المتفجرات، فلم يستطع نقلها إلا إلى مسافة قصيرة بجانب بئرزيت، حيث أتلفها هناك. وكان كل ما استولى عليه الجيش من بئرزيت عددًا من البنادق الإيطالية، حوالي إحدى عشرة بندقية، وصادروا من بعض الجنود بعض البنادق، وهي ست بنادق. كما صادروا جميع محتويات المخزن التي أحضرت من [قرية] عين سينا⁽⁹⁷⁾ قبل الحادث بأسبوع، وهي ذخيرة قديمة تالفة، وبعض الألغام المركّبة من ناسفات الجسور. وأما آلة اللاسلكي، فإنهم تمكّنوا من الاهتداء عليها، وكانت هي وبعض المتفجرات، مخبأة في مغارة بالقرب من بئرزيت.

أما نحن، فتوجّهنا إلى عابود، حيث رحّب بقدمونا الجيش العراقي، وكان القائد يبكي عندما قابلنا. أما القوات التي طوّقت بئرزيت، فكانت: الكتيبة الأولى، وهي كتيبة البادية، ويقودها الإنجليزي نيومان [G. Newman]؛ والكتيبة الرابعة، وقائدها إنجليزي كذلك؛ والكتيبة الثامنة، وقائدها فوّاز ماهر؛ وخمس وسبعون مصفحة، أي ثلاثة آلاف جندي. وبذلك، يكون الجيش قد سحب قواته من خطوط القتال في [قرى] نعلين وبدرس والقدس إلى بئرزيت، وطوّق جميع القرى والجبال المحيطة بها، كما طوّق قرية بيت ريما، واعتقل جميع الشبان والوجهاء، وأخذهم إلى السجن. وقد استاء الشعب كثيرًا لأعمال

(97) قرية عين سينا: تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة رام الله. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 330 شخصًا. للمزيد، يُنظر: الدباغ، بلادنا، ج 9، ص 231-232.

الجيش العربي، وبلغت درجة الاستياء الغليان، لأنّ تلك القوات لو وجّهت إلى تل أبيب لاحتلتها. وأخذت جميع طبقات الشعب تلعن سياسة [الملك] عبد الله. وكان هذا العمل لا يقل في أثره عن تسليم [الملك] عبد الله منطقة اللد، بل أنّ السخط كان أعم.

أما إخواننا في القدس، فيظهر أنّ الأمر هالهم، فلم يبدوا ساكنًا، بل أخذوا يتحاملون على السياسة التي اتبعناها في بئرزيت، وأخذوا ينددون بأعمالنا، ويتبجحون أنهم لم يوافقوا عليها، و[تبرؤوا] منّا أمام الشعب والأردنيين والحكّام العسكريين، وأعلنوا أنّ لا دخل لهم في ذلك، وأنّ هذا السلوك هو سلوك شخصي فقط. وقد أرسلوا إلّيّ رسوّلًا ليلبغني بوجود مغادرة البلاد، وإلا فإنّ حياتي في خطر، ولا أمل لي في البقاء أو الحياة، لأنهم فهموا أنه تقرر إعدامي. أما أنا، فاتصلت بالقاهرة، وعرضت عليهم إما السماح برفع العدد لخمسمئة مقاتل، وأتّي على استعداد لتولي المقاومة المسلّحة العلنية في البلاد، وإما السماح بعمل تشكيلات سرية، أو الموافقة على الالتحاق بالجيش العراقي، فجاءت التعليمات بوجود الالتحاق بالجيش العراقي فقط.

وبدل أن يستغلّ إخواننا في القدس عمل الأردنيين للدعاية ضدّهم، أخذوا يستغلّونه للدعاية ضدّي حتى مع أقاربي، فبلّغهم أنني متهور، وأني أعمل تصرفات لا يقرّها سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني]، وكادوا [يوجدون] شقاقًا بيني وبين أقاربي. ولما فُحصت الأوراق، ولم يثبت ارتكابنا أي عمل، أخذ عمر مطر يسعى للاجتماع بي، فاتصل بقریب لي، وهو مدير مدرسة الزرقاء، وأحد أصحابه، وأعلن أنه على استعداد للتفاهم معي على الشكل الذي أريده، وتعهّد بعدم التعرّض إلّيّ بأي سوء، أو طلب أي بيان، أو توقيع أي تعهد.

وفي هذه الأثناء، حاول قائد الجيش العراقي الضغط عليّ وعلى [محمود] أبو الخير للانضمام، على أساس كتائب باسم الجهاد المقدس، للجيش العربي. وأخذ على مسؤوليته إبقاء كل ذي رتبة على رتبته، مع ضمان توليتي القيادة العامة، وذلك بواسطة الوصي [عبد الإله بن علي]، فأجبتة قائلاً: «إننا لن ننضم إلى الجيش العربي لأنّه إنجليزي، وأنا شخصيًا لن أنضم إلى الجيش العراقي

كذلك. وإن كنتم تريدون مجاملة الأردنيين، فاتَّبِعُوا طَرِيقًا غَيْرَ هَذَا. أما أنا، فإن كنتم تتضايقون من وجودي، فإنني سأسَلِّمُ نفسي للأردنيين، ودعهم يشنقوني، فلن أُغَيَّرَ [مبدئي]، وسأصِرُّ على ما في نفسي، فأنا لست مجرمًا، بل أقوم بواجبي نحو أمتي وبلادتي». وقد حدث في هذه الأثناء أن وقع اشتباك بين قافلة من الجيش العربي وحرسي الخاص، وأُصِيبَ حُرسي بجراح خطيرة، وتدخل الجيش العراقي في الأمر، فأهان الأردنيين وضربهم وسجنهم وجردهم من السلاح، وكاد يحصل اشتباك بين الجيشين.

وبعد الاتصالات التي قام بها عمر مطر، واستشارة القاهرة في أمر مواجهتهم، وأخذ الموافقة على ذلك، قابلت عمر مطر، فاستقبلني بكل حفاوة، وقال: «أرجو أن يزيل كلُّ منّا ما في نفسه على الآخر، وإتّنا لن تعرّض إليك بسوء، ولكن السياسة اقتضت أن تكون حكومة واحدة في البلاد، فإن عملت مع الجيش العراقي أو معنا فأهلاً بك. وإن في الماضي أخطأنا جميعاً، وعفا الله عمّا مضى. وإن كنت تقدّس سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني]، فنحن نقدّسه كذلك، ولن نطلب إليك مقاومته أو تغيير رأيك فيه. وإنني سأزورك في أقرب وقت، وكم كان بودي أن أتعاون معك».

وبعد ثلاثة أيام على زيارتي له، اتصل به الملك [عبد الله]، وأبلغه أنه يريد مقابلي، فتوجّهت إلى الشونة، حيث قابلته هناك، وكانت هذه المرة الثالثة التي أقابله فيها؛ ففي المرة الأولى قابلته عندما أحضرت المتفجرات من دمشق إلى فلسطين، وحاول حراس الجيش منعي من المرور بها عبر الجسر، فقابلته وتمكّنت من المرور بالمتفجرات التي نسفت بها [شارع] بن يهودا و[مقرّ] الوكالة [اليهودية في القدس]. والمرة الثانية قابلته أنا وكامل عريقات في عمّان، عندما عدنا إلى فلسطين من دمشق، بعد مقابلة سماحة المفتي، بطلب منه، وبضغط من المحافظ.

وإنني أذكر، بكل فخر، أنني أبلغت المحافظ أنّ الملك إذا ما تعرّض لسماحة المفتي فإنني سأجيبه على كل كلمة يتفوّه بها. وفي هذه المقابلة الأخيرة، أُشهد الله أنّ الملك عبد الله أحسن استقبالي، وأجلسني بجانبه، وقال

لي بالحرف الواحد: «أنا أعرف أنّك تحب سماحة المفتي، وأنا والله أحبه، ويا حبذا لو يكون هنا ضيفاً عندنا في [عمّان]⁽⁹⁸⁾. إنني لا أكرهك، بل بالعكس، أُقدّر مواقفك في باب الواد وفي الجهاد، فإن أردت أن تناصرني فأهلاً بك، وإن لم تُرد فيمكنك أن تقعد في بيتك آمناً مطمئناً. وإن أردت قضاء أي مصلحة فراجعني رأساً في أي وقت تشاء».

وأشهد الله أنني لم أجه بأي كلمة طيلة الوقت، إلا بما يلي، وذلك عند وداعه: «أشهد الله بأنني سأكون مخلصاً لله ولأمّتي ولبلادي». وهكذا تمّت المقابلة. وقد عمل أبو حنيك [غلوب باشا] بكل تلّهف على محاولة إغرائي للعمل معهم، فأرسل إليّ قائد الشرطة خليل حيمور، ومدير الاستخبارات رشيد عبد الفتاح، وأعلمهم أنه ينوي إسناد القيادة العامة لقوات الحدود الفلسطينية إليّ، وأنّه في حالة موافقتي سيزورني. كما طلب من الحاكم العسكري محاولة إغرائي بذلك، ولكنني رفضت، بالرغم من إلحاحهم، وأفهمتهم أنني لا أطلب مركزاً أو وظيفة.

وأما جنودي الذين أخذتهم، فلم يقبلوا الانضمام كذلك إلى الأردنيين، بالرغم من شدة عوزهم وحاجتهم إلى الرواتب، وترحيب الأردنيين بهم، كما ضمّوا غيرهم. وقد انضم قسم منهم إلى الجيش المصري، قبل انسحابه⁽⁹⁹⁾، وحاول قسم آخر الالتحاق بالجيش السوري، وقطعوا الحدود، واتصلوا بالهيئة، إلا أنّ طلباتهم رُفضت، فعادوا إلى فلسطين، وهم على عهدهم باقون، ولرسالتهم حافظون.

(98) كتب الريماوي في المخطوط «عندنا في دمشق»، والأرجح أنّ المقصود «عمّان» وليس

«دمشق».

(99) انسحبت قوات الجيش المصري من المناطق التي كانت تسيطر عليها في فلسطين الوسطى، بعد الهزائم التي حلّت بها في جنوب فلسطين، وانقطاع خطوط التواصل بين القوات في المنطقة الوسطى والجنوبية، خصوصاً الموجودة في منطقتي بيت لحم والخليل، وحلّت في مواقعها قوات الجيش العربي الأردني: للمزيد، يُنظر: العارف، مج 2، ص 277-278؛ محمد حسنين هيكل، العروش والجيوش، الكتاب الثاني، أزمة العروش صدمة الجيوش يوميات الحرب (فلسطين 1948)، الأعمال الكاملة لمحمد حسنين هيكل (القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009)، ص 219-220،

244، 288، 301-302، 474.

إنني وإن كنت قد أسهبت في الموضوع، إلا أنني أرى أنّ سرد هذه الحقائق واجب عليّ، خاصة وأنها شهادة أؤديها إلى زعمي [محمد أمين الحسيني] وإلى خالقي، لأشهد الله أنني لم أقصّر بواجبي، ولم أتمكّن من أي عمل فيه الخدمة العامة أو الخاصة، للهيئة ولسماحة المفتي، إلا وقمت به، ولو كان يكلفني حياتي⁽¹⁰⁰⁾.

قاسم

(100) أصدر مجلس الوزراء الأردني، في 12 شباط/فبراير 1949، قراره الذي سيحوّل إلى قانون الإدارة العامة في فلسطين، ونص على تأمين الخدمات العامة في المناطق الفلسطينية المتاخمة للمملكة الأردنية الهاشمية، والتي يشغلها الجيشان الهاشميان الأردني والعراقي، بوساطة موظفين مدنيين، واستبدال حكام إداريين مكان الحكام العسكريين. وعلل ذلك القرار بعودة الحالة في هذه المناطق إلى وضعها الاعتيادي. يُنظر القرار: البخيت، الوثائق الهاشمية، الإدارة، مج 6، ص 83. ويُنظر القانون: الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 957 (16 آذار/مارس 1949)، ص 69. وتبعاً لهذا القانون، أعلن الملك عبد الله تعيين الحاكم العسكري العام السابق، عمر مطر، حاكماً إدارياً عاماً لفلسطين، يشرف على شؤون الإدارة في المناطق، ويتبع وزارة الداخلية. وعيّن الحاكم العسكري السابق لقضاء رام الله، أحمد الخليل، متصرفاً للواء السامرة: الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، العدد 978 (2 نيسان/أبريل 1949)، ص 82؛ البخيت، الوثائق الهاشمية، الإدارة، مج 6، ص 89. لكنّ مطر قدّم استقالته، معللاً إياها بالأسباب الصحية بتاريخ 4 نيسان/أبريل 1948: المرجع نفسه، مج 6، ص 92.

الفصل الثاني

نصوص من سيرة الجهاد المقدس

الصورة (2-1)

جنود الجهاد المقدس في مسير عسكري استعراضي أمام أهالي بلدة بديا



المصدر: أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، التقطت في كانون الثاني/يناير 1948، تصوير خليل

رصاص.

أولاً: قبل النهاية، ظروف التأسيس

[دوّن قاسم الريماوي في مخطوطه عن عبد القادر الحسيني تفصيلات حول نشاط الحسيني في ثورة فلسطين الكبرى 1936-1939، خلال مرحلتها الأولى والثانية، أكتفي منها بشذرات نُشرت في المقدمة، عند الحديث عن علاقة الريماوي مع الحسيني خلال هذه الفترة. وأقتصر هنا على نصوص أخرى لخصت نظرة الريماوي للواقع العسكري والسياسي السابق والمعاصر لانطلاقة وتأسيس تنظيم الحسيني الجديد، مع قدومه إلى مصر في شباط/فبراير 1946].

حالة البلاد الداخلية⁽¹⁾

في حالة الحرب [العالمية الثانية 1939-1945]، لم يُبدِ أهالي فلسطين أي نشاط سياسي، ولم [يعارضوا] سير السياسة البريطانية، لا في كثير أو قليل. [وأقبل] بعض الشبان على التطوّع في الجيش البريطاني⁽²⁾. وبعد انتهاء [الحرب]، نشطت جمعيات الإرهاب اليهودي نشاطاً كبيراً، وأخذت [تهاجم] الإنجليز وتدمر مراكزهم. وقد ساعد العصابات اليهودية [في ذلك]، استخداء الحكومة أمامهم. واستعمل اليهود ضدّ الإنجليز

(1) ما أُدرج تحت هذا العنوان مستل من: قاسم الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، مخطوط محفوظ في أرشيف مشروع توثيق وبحث القضية الفلسطينية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، دفتر مخطوط رقم 7.

(2) ظهرت خلال فترة الحرب العالمية الثانية دعوات لتطوّع الفلسطينيين، إسناداً إلى المجهود الحربي لقوات الحلفاء في معركتهم ضدّ «المحور النازي»، عن ذلك يُنظر: Mustafá Abbasi, «Palestinians fighting against Nazis: The story of Palestinian volunteers in the Second World War,» *War in History*, vol. 26, Issue 2 (November, 2017), pp. 1-23.

أعمالاً وحشية لم [يسبق] لها مثيل، فشنقوا رجالها، وנסفوا عماراتها. كل ذلك [والحكومة] لا تجرؤ [على] اتخاذ أي عمل حاسم. وبقيت الوكالة [اليهودية]، رأس هذه [العمليات]، هي الموجّهة لها، بالرغم من تنصّلها الظاهري⁽³⁾. [ولمّا رأى] العرب تماادي اليهود في أعمالهم، أخذوا يفكرون في [حالهم]، لأنهم يعرفون أنهم هم الهدف الأساسي، فعقدت اجتماعات كثيرة.

وأخيراً، عاد الحزب العربي إلى نشاطه، وفتحت [مقرّاته] في جميع أنحاء البلاد، ونشطت فروعه⁽⁴⁾. وبعد انتهاء الحالة المسلّحة [بتوقف الحرب]، سُمح

(3) نفّذ البريطانيون سلسلة من العمليات العسكرية ضدّ المنظمات الصهيونية، بعد إقرار الكتاب الأبيض في عام 1939، وانطلاق العنف الصهيوني المنظم ضدّهم، خصوصاً منظمتي الإيتسل و«ليحي». يُنظر عن العنف الصهيوني ضدّ البريطانيين: David A. Charters, *The British Army and Jewish Insurgency in Palestine, 1945-1947* (New York: Palgrave Macmillan, 1989), pp. 42-83, 182-197.

كما استهدف البريطانيون منظمة الهاغاناه في عمليات بلغت ذروتها في عملية أجاثا (Operation Agatha) التي تُعرف صهيونيّاً بالسبت الأسود، والتي استهدفت يوم السبت 29 حزيران/يونيو 1946 مقرّات الهاغاناه والبلماح، ولم تستنّ مقرّ الوكالة اليهودية في القدس. كما فرضت منع التجوّل والحصار على معظم المدن والمستوطنات الصهيونية الرئيسة، فاعتقل العشرات، وصودرت مئات قطع السلاح، خصوصاً مع انكشاف أحد أبرز مستودعات أسلحة الهاغاناه في كيبوتس ياغور. وبكل تأكيد، فإنّ الاطلاع على المصادر الأولية الصهيونية يُظهر تأثير هذه الهجمات الجلي في قدرات المنظمات الصهيونية، وتأثر تسليحها، خصوصاً في مرحلة الحرب الأولى كانون الأول/ديسمبر 1947 - أيار/مايو 1948. يُنظر:

ويُنظر أيضاً: يهودا سلوتسكي، تاريخ الهاغاناه، القسم الثالث: من النضال إلى الحرب [بالعبرية]، مج 2 (تل أبيب: عام عوفيد، 1972)، ص 893، 1220-1222؛ «احتلال دار الوكالة واعتقال الزعماء اليهود»، الرأى العام، العدد 2 (30 حزيران/يونيو 1946)، ص 1، 4.

لكن يلاحظ أنّ القيادة السياسية للتيار الصهيوني الرئيس ومنظّمته الهاغاناه، وعلى رأسها دافيد بن غوريون، كانت تعتقد بضرورة إعطاء الأولوية للاستعداد للخطر العربي الآتي حال خروج البريطانيين الحتمي، واعتبار الصراع الصهيوني البريطاني صراعاً ثانويّاً. يُنظر: Amir Bar-Or, «The Evolution of the Army's Role in Israeli Strategic Planning: A Documentary Record,» *Israel Studies*, vol. 1, no. 2 (Fall 1996), pp. 100-101.

(4) عن إعادة تنظيم الحزب العربي ونشاطه، يُنظر: بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1986)، ص 307-310، 480-475.

لرئيس الحزب العربي، جمال الحسيني⁽⁵⁾، بالعودة من روديسيا، وكان منفيًا فيها⁽⁶⁾، فلمّا عاد استقبله الشعب الفلسطيني استقبالاً منقطع النظير، لأنّه رأى في شخصه [رجل الساعة]. وما أن وطأت قدما جمال الحسيني البلاد حتى [بدأ] يطوف بالمدن والقرى، حاثًا الناس على التسلّح والتنظيم. وكان من أثر زيارته هذه أن ارتفعت المعنويات عند السكان العرب، وأكل الحسد [الآخرين]، فأخذوا يعقدون الاجتماع تلو الآخر لعمل أحزاب [تنشط مقابله]. وعندها، رأى جمال [الحسيني] ضرورة تأليف لجنة عليا، ولكنها لم تزد الوضع إلا إرتباكًا وانقسامًا.

وبعد مداورات مع الجامعة العربية، وبفضل وصول سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني] إلى الوطن العربي، تم تشكيل الهيئة العربية العليا، [وانتدب] إليها رئيس الحزب العربي جمال [الحسيني]، وسكرتيره إميل الغوري. وعهد إليّ الإشراف على شؤون الحزب [العربي] عامة، وكنت آنذاك مدير المكتب المركزي. وبقي الحزب يواصل أعماله بنشاط كبير في مختلف أنحاء البلاد، وأصبح الأداة التنفيذية للهيئة العربية العليا. وقد تمكّن

(5) جمال «محمد صالح» الحسيني (1892-1982): ولد في القدس. تخرّج في مدرسة المطران سانت جورج في القدس. درس الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت، لكنّه انقطع عن الدراسة بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى. عمل في دائرة الصحة في الحكومة العسكرية البريطانية بعد احتلال فلسطين. انتُخب في عضوية اللجنة التنفيذية العربية، ثم سكرتيرًا لها. عمل سكرتيرًا للمجلس الإسلامي الأعلى، وشغل عضوية الوفد الفلسطيني إلى لندن عام 1930. انتُخب رئيسًا للحزب العربي بعد تأسيسه في القدس عام 1935، وشغل عضوية اللجنة العربية العليا في نيسان/أبريل 1936. اعتُقل بعد خروجه من فلسطين في العراق عام 1941، ونُفي إلى جنوب روديسيا. عاد إلى فلسطين في عام 1946 ليعيد تفعيل الحزب العربي. مثل الهيئة العربية العليا في الأمم المتحدة بعد عام 1947، وشغل وزارة الخارجية في حكومة عموم فلسطين. انتقل بعد الهزيمة في حرب 1947-1949 للعمل في السعودية مستشارًا للملك.

(6) عاد جمال الحسيني إلى فلسطين صباح الأربعاء 6 شباط/فبراير 1946، ودخلها من الناقورة، وحظي الحسيني باستقبال لافت، واحتفاء جماهيري كبير. يُنظر مثلاً: «الجماهير الغفيرة تحتشد لاستقبال السيد جمال الحسيني، حماسة الجماهير، هتافات وأهازيج، كلمات السيد جمال الحسيني في الوفود، حفلات النوادي والجمعيات»، الدفاع، 7/2/1946، ص 1، 4؛ «فلسطين تزحف من كل حذب وصوب لاستقبال ابنها البار الزعيم جمال الحسيني»، الوحدة، 9/2/1946، ص 8.

[الحزب] من تقديم خدمات اجتماعية في مختلف النواحي، وانحصر همّه في معالجة الشؤون الوطنية، وأبرزها [قضية] بيع الأراضي، وزيارة القرى المهدة.

وعقدت عدة اجتماعات في دار الحزب لهذا الغرض. وبحق، كان الحزب العربي يرقب كل حركة بيع في [مختلف] أنحاء البلاد، ويحبطها بمختلف الوسائل والطرق، [ويحثّ على] مقاطعة البضائع الصهيونية، وذلك بطريقتين؛ [الأولى] سلبية، وهي مقاومة الشراء والباعة ومنعهم بالقوة. وأخرى إيجابية، بعقد اجتماعات لمختلف أنواع [التجار]، لعمل شركات للاستيراد، وفتح مصانع إن أمكن. وأحرز نجاحًا ملحوظًا في هذا المضمار، وكان [قوة] توجيهية للقائمين على شؤون اللجنة الاقتصادية في [الهيئة] العربية العليا.

[.....] [كما] تمكّن الحزب العربي من محاربة الفساد بطريقة فعالة، فكان كلما وقع اختلاف في قرية يحتكم المتخاصمون [إلى الحزب]، فيفضّ المشاكل بينهم بالحق. وكثيرًا ما كانت تعجز [المحاكم] عن حسم النزاع، فتحيل قضاياها إلى الحزب العربي فيتولى حلّها. وقد تمكّن الحزب من إجراء الصلح في قضايا كثيرة حدثت في الماضي، وهو يهدف من وراء ذلك [توحيد] كلمة الأهلين، وإزالة أسباب الفساد التي دمرت صفوفهم في الماضي. والحق أنه نجح بذلك نجاحًا كبيرًا. [.....] [وعمل الحزب العربي على] تأليف مجموعات الفتوة⁽⁷⁾، على نظام عسكري بديع، وعُهد

(7) فرق الفتوة: بدأ الحزب العربي الفلسطيني بإنشائها في عام 1936 كذراع شبابية له. توقّف نشاطها بتوقّف نشاط الحزب بعد اندلاع ثورة 1936-1939. أعيد تأسيسها بعد قرار اللجنة التنفيذية للحزب في اجتماعها الأول، بعد عودة قائد الحزب جمال الحسيني من منفاه في 6 شباط/فبراير 1946. وأشار الحزب إلى أنّ هدف الفرق بتّ روح الرياضة والتعاون والنظام بين الشباب، وتوجيههم التوجيه القومي الصحيح. وتولى رئاسة الفرق كامل عريقات، واعتُبرت إعادة تأليف الفرق تحديًا لنشاط الهواري ومنظمة النجادة من الحزب العربي. حول نشاط الفرق، يُنظر: «اجتماع اللجنة التنفيذية للحزب العربي الفلسطيني، استئناف نشاط فرق الفتوة»، فلسطين، 5/9/1946، ص 1؛ الحوت، القيادات، ص 508-

إلى السيد كامل عريقات بقيادتها. ومع أنّها لم تكن عسكرية، إلا أنّها [عملت على بثّ] حب النظام في الأفراد، وكانت عاملاً قوياً [في رفع] معنويات السكان.

[.....] [وإضافة إلى الفتوة، وُجدت في البلاد منظمة النجادة بقيادة] محمد نمر الهواري⁽⁸⁾. وقد تمكّنت الهيئة [العربية العليا] من توحيد المنظمين تحت لواء منظمة الشباب [العربي]، واختير لرئاستها السيد محمود لبيب⁽⁹⁾ - مصري. إنّ هاتين المنظمين، وإن لم تكونا عسكريتين، إلا أنّهما كانتا دلالة [واضحة] على استعداد الشبان لتحمل المسؤوليات، وعن [تقديرهم] للتضحية والجهاد. وقد زار أفراد المنظمين [القطر المصري]، واجتمع عبد القادر [الحسيني] بجميع أفرادها. وكان برنامج الجهاد المقدس لا على أساس حزبي؛ «فتوة» و«نجادة»، بل على أساس العمل الصالح والأفراد [الصالحين]، ولذا فإنّه اختار صفوة هؤلاء، وأسرّ إليهم، وأسند إليهم المهمات الخاصة بهم، وطلب من بعضهم البقاء في مصر لإتمام الواجبات التي ستُعهد إليهم. واغتتم فرصة وجود بعضهم، فأخذ يدرّبهم على [تصنيع] المتفجرات، ويرشدهم إلى

(8) محمد نمر الهواري (1907-1984): وُلد في الناصرة. عمل في التعليم ثم المحاماة. ترأس المجلس الأعلى لمنظمة النجادة، ثم أصبح نائباً لقائد منظمة الشباب العربي. عينه الحاج أمين الحسيني مسؤولاً عن الدفاع في يافا، مطلع كانون الأول/ديسمبر 1947، فأسس مجلس الأمن في المدينة. عُزل من منصبه واستُدعي إلى القاهرة في 16 كانون الأول/ديسمبر 1947، بعد افتضاح أمر لقاؤه مع الصهاينة في 11 كانون الأول/ديسمبر. شارك في تمثيل لاجئي رام الله في مؤتمر لوزان (نيسان/أبريل - أيلول/سبتمبر 1949)، حيث اقترح على الصهاينة ضم الضفة الغربية إلى إسرائيل، وتوطين اللاجئين فيها، وحصل على دعم وزارة الخارجية الصهيونية، برئاسة موشيه شاريت، لكنّ فشله أوقف الحديث في مقترحه بعد تخوفات صهيونية. عاد إلى فلسطين المحتلة (كانون الثاني/يناير 1950)، بتنسيق مع الصهاينة، بهدف التأسيس لحزب عربي منافس للحزب الشيوعي الإسرائيلي، لكنّه فشل في ذلك فاعتزل السياسة، وعمل محامياً فقاضياً في المحاكم الصهيونية.

(9) محمود لبيب (1882-1951): وُلد في القاهرة. انتسب إلى جماعة الإخوان المسلمين المصرية في عام 1938. اختير في الربع الأول من عام 1947 لقيادة منظمة الشباب العربي، واختير في عام 1947 ليكون وكيل الإخوان المسلمين للشؤون العسكرية. خلال حرب 1947-1949، تولى القيادة العامة لمتطوعي الإخوان المسلمين المصريين في فلسطين. وهو من أبرز مؤسسي تنظيم الضباط الأحرار.

الأعمال القادمة [التي يعدّها لها]، ولم يدُر بخلد أحد أنه كان قد أتم برنامجها [لتأسيس] قوات الجهاد المقدس⁽¹⁰⁾.

(10) لاحقاً، دوّن قاسم الريماوي، معقّباً على ما ورد في كتاب يا قدس، فقال: «لقد خلط خلطاً عجيباً بين قوات الجهاد المقدس، ومنظمة الفتوة، وقال [كتاب يا قدس] إنّ هذه المنظمة كانت ينبوع الذي مدّ الجهاد المقدس بالرجال، من الأحداث والشباب الصغار، شأنها في ذلك شأن منظمة الأشبال التابعة للهاغاناه. وقال [كتاب يا قدس] إنّ هذه المنظمة كانت تعمل لحساب المفتي [محمد أمين الحسيني]، والحقيقة هي أنّ الحزب العربي الفلسطيني، وكنت المدير العام له في ذلك الوقت، ولم أكن عضواً في الفتوة، والذي كان يترأسه السيد جمال الحسيني، قد بعث قوة الفتوة، التي كانت واردة في دستوره، إلى الحياة، وذلك للإجابة على منظمة النجادة التي كان يقودها المحامي محمد نمر الهواري، والتي كانت تطرح شعار اللاحزبية، وبالتالي تعادي الحزب العربي. وبسبب الشك في محمد نمر الهواري نفسه، واتصالاته المرية آنذاك بالسيدة غولدا مايرسون، وهو اسم غولدا مائير السابق، والتي ثبت صحتها بعد حرب سنة 1948، وبقاء الهواري في القسم المحتل. ولما تفاقم الخلاف بين المنظمين، عمدت الهيئة العربية العليا، وكانت بمثابة ائتلاف للأحزاب برئاسة سماحة المفتي، إلى توحيدهما في منظمة واحدة سمّتها منظمة الشباب، بقيادة المرحوم السيد محمود لبيب، وهو مصري الجنسية، وكان يساعده السيدان كامل عريقات ومحمد نمر الهواري، وأصبحت منظمة الشباب تابعة للهيئة العربية العليا، وكانت مهمتها تنظيم الشباب، والقيام بالاستعراضات الكشفية، ولم تكن تضم صغار الشباب أو الأحداث، كما ورد في الكتاب، بل كان من بين أعضائها السيد جاد الله محمود جاد الله، وعمره ستون سنة من صور باهر، كما كان من الأعضاء من هو دون العشرين، وغالبيتهم في الثلاثين، وكانت تعمل علانية أمام سلطات الانتداب، ولم يكن مسموحاً لأعضائها باقتناء أي سلاح أو القيام بأية تدريبات عليها. وليس بينها وبين تشكيلات الجهاد المقدس أية صلة عضوية»: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (3)»، الدستور، 1972/8/21، ص 4.

وكتب الريماوي أيضاً: «مخطئ من يظن أنّ الجهاد المقدس كان طفرة عابرة أو ردّ فعل [عاطفي]. والحقيقة أنّ الجهاد المقدس كان يجسد فكراً وعقيدة. وامتاز عن غيره من الثورات السابقة بأنه جاء نتيجة تخطيط مسبق، وتصميم وإصرار وتنظيم دقيق، يمتاز بالواقعية والكتمان، ففي الوقت الذي كانت فيه منظمة الشباب، الفتوة والنجادة، منهمكة في إقامة الاستعراضات والمهرجانات الشعبية، وسوقاً للخطابات والتصفيق والتهافتات، وكان أفرادها يملأون الشوارع بالبستهم الكاكي، وبلغ بعضهم أنهم أثناء زيارتهم للقاهرة وضعوا التيجان والنجوم والسيوف على أكتافهم، بعضها أحياناً من الذهب، أذكر منهم صحافياً لامعاً، يحتل مكاناً وطنياً مرموقاً الآن في بيروت. وفي القاهرة، نزلوا في أفخم الفنادق، وبدّروا في الإنفاق كل حسب أهوائه. في هذا الوقت، كانت الشقة المتواضعة التي يسكنها عبد القادر [الحسيني] وعائلته، بحيّ شبرا بالقاهرة، مركزاً لتشكيلات الجهاد المقدس التي كانت تسير على قدم وساق تحت الأرض في فلسطين ومصر ومن ثم في لبنان»: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (4)»، الدستور، 1972/8/28، ص 4. كما علّق الريماوي في موضع آخر منتقداً أداء منظمة الشباب، وقائدها كامل عريقات، بشكل غير مباشر، وهو ما أثبت في الفصل الثالث «شذرات»، تحت عنوان «إبعاد محمود لبيب». أما ما يرد هنا عن صلة الهواري بالحركة الصهيونية، فسيتم نقاشه في هوامش النص «إبعاد محمود

[كانت البلاد، بعد الحرب العالمية الثانية]، خالية تقريبًا من السلاح، ذلك لأنّ بريطانيا كانت تقف موقفين متضاربين من سكان البلاد، فبينما تمدّد يد التحرير إلى السكان اليهود، وتغض النظر عن تهريب الأسلحة إليهم، وعن تشكيلاتهم العسكرية باسم حرس المستعمرات، بينما هم يتنكرون لها وينسفون بناية الملك داود، حيث تقع مكاتب السكرتيرية العامة لحكومة الانتداب [في 22 تموز/ يوليو 1946]، ويشنقون ويجلدون العساكر البريطانيين، نراها تمدّد يدًا من حديد إلى السكان العرب، فتقمع ثوراتهم بمنتهى الشدة والعنف، وتعلن الأحكام العرفية التي تبيح إعدام أي شخص توجد بحيازته أسلحة أو عتاد، ولو كان طلقة واحدة. وقد أعدمت المئات من الشباب⁽¹²⁾.

= لبيب». وللمزيد عن تحولات موقف الريمائي من منظمة الشباب عمومًا، ومن قائدها كامل عريقات خصوصًا، يُنظر المحاولة التفسيرية التي أثبتت في المقدمة.

(11) ما أدرج تحت هذا العنوان مستل من: قاسم الريمائي، «الحقيقة كما عرفتها وعشتها (8)»، الدستور، 25/9/1972، ص 4. مع الإشارة إلى أنّ الريمائي تطرّق في مخطوطه عن عبد القادر الحسيني، دفتر مخطوط رقم 4، وتحت عنوان «الإنجليز يشددون الأحكام العرفية، ويطوّقون المدن والقرى العربية، ويقتلون الأبرياء، ويزجّون بعشرات الألوف في السجون»، إلى ما وثّق أعلاه، مع فارق السياق، إذ كان يتحدث في المخطوط عن خواتيم ثورة 1936-1939، وخروج الحسيني من فلسطين متوجّهاً إلى العراق. لكنّ روايته في النص المدرج، مقالة الدستور، كانت مفصّلة بشكل موسع، وارتبطت بالحديث عن أوضاع فلسطين قبل اندلاع حرب 1947-1949، فاعتمدت كنص رئيس للمتن، مع الإشارة إلى بعض الإضافات المستلّة من المخطوط في الهوامش، أو بإضافاتها بين علامتي < >.

(12) وفقًا لإفادة وزير المستعمرات البريطاني، جورج هول، في 3 تموز/ يوليو 1946، بأنّ حكومته في فلسطين أصدرت منذ 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 1937 أحكامًا بإعدام 188 عربيًا، وثقّد الحكم في 142 شخصًا: «تنفيذ حكم الإعدام في 142 عربيًا، وفي يهودي، واحد خلال سنوات»، الدفاع، 4/7/1946، ص 1. ويؤكد هذه الإحصائية إحصاءات عقل، في: محمد عقل، سجل المحكومين بالإعدام في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني (لندن: دار إي كتب، 2017)، ص 50. ولكنّ هذه الإحصاءات لا تشمل من أعدم ميدانيًا، كحالة الشهيد فائق الريمائي التي وثّقها النص أعلاه، ولم تكن الصحف أو المصادر المنشورة توثّق هذه الحالات، وبقي الكثير منها متداولًا في الرواية الشفوية فحسب: مصطفى كبا ونمر سرحان، سجل القادة والثوار والمتطوعين لثورة 1936-1939 (كفر قرع: دار الهدى، 2009)، ص 102-104. أما الدكتور الريمائي، فيسجّل في مخطوطه عن الحسيني، دفتر مخطوط رقم 4، رقم 238 شخصًا من المجاهدين أعدموا خلال هذه الفترة، ولا يبيّن الريمائي مصدر هذا الرقم، وإن كان شمل من أعدم ميدانيًا أم لا.

وبعد أن وجدت أنّها لم تستطع القضاء على الثورة بالموالفة، بعد أن استقدمت حوالي مئة ألف جندي، وعلى رأسهم كبار قادة أركانها، مثل دل (13) [Sir John Greer Dill]، وويفل (14) [Archibald Wavell]، عمدت إلى إفساد الثورة من الداخل، وقد نجحت في ذلك إلى حدّ كبير، وانقسم الشعب على نفسه (15). ثم قامت بنزع السلاح بأقصى أنواع العذاب والبطش. وأنا لا أقول هذا الكلام تجنّباً أو مبالغة، ويكفي أن أذكر مثلين اثنين، عشت أحدهما بنفسني، وهما: بيت ريما - لواء رام الله، <في شهر نيسان/ [أبريل] 1939>، وحلحول - لواء الخليل، <في شهر [آذار]/ مارس 1939> (16). فسيقتي ما قامت به السلطات البريطانية في هذين البلدين وصمة عار في سجلّ الانتداب البريطاني.

ففي بيت ريما، أعرف بنفسني - وليس بناءً على أقوال الغير - أن قوة من

(13) جون جرير دل (1881-1944): قائد عسكري بريطاني، شغل في أيلول/ سبتمبر 1936 منصب القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين، وعبر الأردن (إمارة شرق الأردن)، إثر اندلاع الثورة الكبرى (1936-1939)، بعدما كان يخدم في هيئة الأركان العامة في لندن. وبقي في منصبه إلى أن حلّ محله الجنرال ويفل.

(14) أرشيبالد ويفل (1883-1950): قائد عسكري بريطاني، خدم في المعارك في فلسطين أواخر الحرب العالمية الأولى. عاد إلى فلسطين من جديد مع اندلاع الموجة الثانية من ثورتها (1936-1939)، فعُيّن في آب/ أغسطس 1937 قائداً عاماً للقوات البريطانية في فلسطين وعبر الأردن (إمارة شرق الأردن)، وبقي في هذا المنصب إلى نيسان/ أبريل 1938.

(15) يمكن ملاحظة تلخيص مكثف لحديث الريماوي أعلاه عن نشأة ما عُرف بـ «فصائل السلام»، والقمع البريطاني المكثف للقرى والبلدات الفلسطينية بالاستعانة بهذه الفصائل، في نص مراسلات وثّقها محمد عزة دروزة، وتطرّق جزئياً لما جرى في منطقة بيت ريما: محمد عزة دروزة، مذكرات محمد عزة دروزة سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمن 1305-1404هـ/ 1887-1984م، مج 3 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993)، ص 831-833.

ويقارن حول فصائل السلام مع: كيهبا، ص 77-88. ويُنظر: Matthew Hughes, «Palestinian Collaboration with the British: The Peace Bands and the Arab Revolt in Palestine, 1936-9», *Journal of Contemporary History*, vol. 51, Issue 2 (2015), pp. 1-25.

(16) لا يرد في البيانات الرسمية للحكومة الاستعمارية أي إشارة إلى عمليات تفتيش في حلحول في آذار/ مارس، وإنما يُشار إلى مثل هذه العملية في 11 أيار/ مايو 1938، إذ يشير البيان إلى قيام الأورطة الثانية من فرقة بلاك ووتش بتفتيش قرية حلحول: «تفتيش حلحول»، فلسطين، 12/ 5/ 1939، ص 4. ووفقاً لوثيقة معاصرة للحدث، فإنّ الجيش البريطاني حاصر، صباح الخميس 6 أيار/ مايو 1939، قريّتي حلحول وبيت فجار، بعد رفضهما التوقيع على شروط بريطانية تطلب استنكار الثورة ومساعدة الجيش البريطاني في نقلاته للقضاء على المجاهدين ونزع سلاح القريتين. ووفقاً =

الجيش البريطاني، من فرقة البلاك ووتش [The Black Watch]⁽¹⁷⁾، قد طوّقت البلدة لمدة أسبوعين متتاليين، ووضعت النساء في جهة والرجال في جهة أخرى. وأنها كانت أول من استعمل طريقة «السحل» في الشرق الأوسط، فقد ربطت فائق زكي الريمائي⁽¹⁸⁾ بسيارة وسحلتها، مما أدى إلى وفاته، وسحلت آخرين أصيبوا بعاهات دائمة، توفوا بعد ذلك بمدة وجيزة⁽¹⁹⁾. كما أنّ ست نساء أجهضن. وقد منعت السلطات البريطانية الأكل والشرب عن النساء والرجال، مع قليل من التساهل مع النساء. ودمرت جميع البيوت، وأتلفت وأحرقت موجوداتها. كما تركت المواشي والأولاد سائبين على وجوههم، يعبثون كما يشاؤون⁽²⁰⁾.

= للوثيقة، فإنّ الرجال حتى اليوم الخامس ظلّوا محاطين بالأسلاك الشائكة، وطعامهم الضرب بالأسواط وأكعاب البنادق. يُنظر: «فئاتع الجيش البريطاني السافل في قريتي حلهول وبيت فجار - الخليل»، رسالة بامضاء ضمائر مراقبة متاملة، أرسلت إلى القنصل المصري في القدس، بتاريخ 10 أيار/مايو 1939 في: أرشيف الدولة، ف-5/367. عن هذه العملية في الروايات المحلية، يُنظر: كبتها، ص 107. (17) وفقاً للبلاغ الرسمي البريطاني، فإنّ الجهة المسؤولة عن تفتيش قرية بيت ريماء كانت الأورطة/الكتيبة الثانية، وست يوركشير [West Yorkshire, Regiment, 2nd Battalion]: «الحوادث كما جاءت في البلاغات الرسمية»، فلسطين، 26/4/1939، ص 2.

(18) فائق زكي الريمائي (1914-1939): من قرية بيت ريماء، استشهد في نيسان/أبريل 1939، بفعل التعذيب على أيدي الجنود البريطانيين، بحثاً عن سلاحه.
(19) يدوّن الريمائي في مخطوطه عن الحسيني، دفتر مخطوط رقم 4، أسماء شهداء آخرين، وهم: محمد العشوي، محمد عمر الريمائي، وذيب العثمان الريمائي، وكامل أحمد الريمائي، مشيراً إلى أنهم جميعاً ماتوا تحت الضرب والتعذيب.

(20) كجزء من سياستها لقمع الثورة، قامت السلطات الاستعمارية البريطانية بحملات تفتيش وقمع متتالية، تكثفت في خواتيم الثورة، ضدّ القرى والبلدات الفلسطينية المختلفة. وبرزت تبع البلاغات الرسمية، الصادرة عن مكتب الإعلام الحكومة الاستعمارية خلال شهري نيسان/أبريل - أيار/مايو 1939 اللذين شهدا حصار بلدة بيت ريماء وتفتيشها المشار إليه أعلاه، إلى قيام مجموعات من الفرق البريطانية المختلفة بعمليات تفتيش متتالية، كانت تنتهي بعمليات قتل أو اعتقال للاستجواب أو مصادرة أسلحة وعتاد وألبسة عسكرية. ووفقاً للبيانات الرسمية الصادرة عن الحكومة الاستعمارية، فإنّ الحصار والتفتيش على بيت ريماء استمر من 23 نيسان/أبريل وحتى 2 أيار/مايو 1939: «الحوادث كما جاءت في البلاغات الرسمية»، فلسطين، 25/4/1939، ص 2؛ «انتهى»، فلسطين، 3/5/1939، ص 5. وللمزيد عن الحادثة في الذاكرة الشعبية، يُنظر شهادة حسين زكي الريمائي، شقيق الشهيد فائق، عن أيام الحصار، والتي شكّل نموذجاً لتذكّر أهالي القرية لحادثة حصارها في نيسان/أبريل 1939: نصير أحمد الريمائي، «قصة شهيد الطوق المشؤوم»، دنيا الوطن، 5/5/2016، شوهد في 2/10/2018، في: <https://bit.ly/2T9mr8K> وكذلك: كبتها، ص 109-110.

وكانت تعذب كل من لا يقدم بندقية، ولو لم يكن عنده بندقية، فتضربه حتى يفقد الوعي. وقد بلغ من قسوتها أنّها أحضرت فائز حسن طه الريماوي⁽²¹⁾ من السجن، وكانت قد أُلقت القبض عليه وعلى زميله فخري البرغوثي⁽²²⁾ - كفر عين⁽²³⁾، في معركة جرح فيها الاثنان، وطلبت من فائز تقديم عشر بندقيات، ولما لم يستطع تقديم البنادق، ضربه حتى فقد الوعي عدة مرات. وكانوا [يربطونه ويدلّونه] في بئر ماء، حتى يفوق إلى منتصفه، فأحالوه إلى كومة من اللحم مغطاة بالدماء والجراح، ثم طلبوا من أخته دفع مئة جنيه ذهب، ففعلت ذلك⁽²⁴⁾. ولا يزال الكل يذكر كيف أنّها عندما مرّت بشقيقها في طريقها إلى مقابلة القائد الإنجليزي ركلتها بقدمها، وقالت له: «ارفع رأسك يا فائز، ولا تشمت الأعداء فيك».

ولم يكتفوا بذلك، فقد نقلوه إلى المستشفى، وبعد أن شُفي من جراحه أعدموه، هو وزميله فخري البرغوثي⁽²⁵⁾. كما أعدموا بعد ذلك عبد القادر

(21) فايز حسن طه الريماوي (1912-1939): من قرية بيت ريماء. حُكم بالسجن عشرة أعوام، بسبب نشاطه في ثورة 1936-1939، ثم حُكم بالإعدام. أعدم ورفيقه البرغوثي في 17 آب/أغسطس 1939، ودُفنا في مقبرة باب الساهرة: عقل، ص 184-185؛ فلسطين، 4 آب/أغسطس 1939، ص 5. (22) فخري حمد دغرة البرغوثي (1915-1939): من قرية كفر عين، شمال غرب رام الله. قائد فصائل الثوار في بلدته خلال ثورة 1936-1939. في صباح الأربعاء 29 آذار/مارس 1939، فرضت وحدات بريطانية كبيرة طوقاً على قرى خربة قيس وأم صفا والنبي صالح ودير غسانة. وأشار البيان الرسمي للحكومة الاستعمارية إلى تسبب فرقة البلاك ووتش بجرح زعيم جماعة يُدعى فخري [حمد]، وأُسرته ومجموعة من جماعته من فرقة الكنجراون، ومصادرة بندقيته و169 طلقة. حُكم بالسجن عشرة أعوام، ثم حُدّل الحكم إلى الإعدام، فأعدم وفايز الريماوي في 17 آب/أغسطس 1939 شنقاً في سجن القدس المركزي (المسكوبية): عقل، ص 185-186؛ كبتها، ص 667-673؛ «عمليات عسكرية»، فلسطين، 30/3/1939، ص 5.

(23) قرية كفر عين: تقع شمال غرب رام الله. قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 550 شخصاً. للمزيد، يُنظر: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء التاسع، ديار بيت المقدس (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2018)، ص 199.

(24) يسجّل كبتها وسرحان شهادة شفوية يقدّمها عبد العزيز الريماوي أبو بشار، يتحدث فيها أنّ شقيقة الشهيد حفيفة باعت ذهبها واشترت عشر بنادق فداء لشقيقها: كبتها، ص 663.

(25) وفقاً لما يورده الدكتور عقل، فإنّ الحُكم على فايز والبرغوثي قد استُبدل من عشرة أعوام إلى الإعدام، بعد أن أحضرت النيابة أقارب قتيلين من قرية راس كركر للشهادة ضدهما، قُتلا كما يبدو كجزء من الصراع الداخلي الذي اشتعل بعد تأسيس ما عُرف بفصائل السلام، فاستُبدل الحكم في 3 آب/أغسطس 1939: عقل، ص 184-186. ويُنظر أيضاً: «الحكم على عربيين بالإعدام عسكرياً»، فلسطين، 4/8/1939، ص 5.

الراعي الريماوي - المغار⁽²⁶⁾. ويسمح لي القارئ الكريم أن أذكر هذه القصة التي لن أنساها، وهي قصة وداع فائز وفخري قبل إعدامهما بيوم واحد. سمحت السلطات لذويهما المقربين بزيارتهما للوداع. قمنا بهذه الزيارة عصر الإثنين، لأنّ أحكام الإعدام كانت تُنفذ عادة يوم الثلاثاء⁽²⁷⁾. حرصنا أن ندخل قبل النساء، لثلا نشاهد منظر شقيقات فائز الست، وزوجته، وابنته البكر التي تقل عن سنة من العمر، ومشاهدة والدة فخري وخطيبته تودّع وحيدها.

زرنا الاثنين من وراء القضبان الحديدية بحماس وشجاعة عجيبة، وحدث أن دمعت عين أحدنا، فإذا بفائز ينتهره ويقول له: «أخس عليك يا فائق [علي الريماوي] - اسم الشخص - أنا لا يُبكي عليّ، بل يجب أن تُعقروا طرابشيكم - أي ترفعوا رؤوسكم لميتي - فهذه الميتة التي كنت أسعى إليها عندما كنت أقابل مصفحات الأعداء وقواتهم وسط الأسفلتات». وإن نسيت، فلن أنسى ما حدث عند ابتعادنا واقتراب الأم والشقيقات والخطيبة والزوجة والابنة [الرضيعة] للوداع الأخير، فلقد أخذن يزغردن بأعلى أصواتهن، وكأئنهن في حفلة زفاف، لا في وداع أخير لأعز الإخوان والأبناء. أقسم غير حاث بأنّ ذلك حدث أمامي. [وقد بلغ الأمر بالضابط الإنجليزي الذي كان] يراقب الزيارة، أن قال: «هذا شيء عجيب! إنكم تفوقون شعب إسبارطة. هذا شعب لن يموت».

وقد استغلّت إذاعة «برلين» التي تنطق بلسان النازيين، استغلّت هذا الحدث [حصار بيت ريما]، فأخذت تذيع كل ليلة أنباء الفظائع التي ارتكبت فيه بحذافيرها وبالأسماء. نعم، لقد وجد، حتى [النازيون]، مادة دسمة في هذه

(26) عبد القادر مصطفى محمد الراعي (1903-1940): من قرية المغار الواقعة إلى الجنوب الغربي من مدينة الرملة، وتعود أصوله إلى قرية بيت ريما، نشط خلال ثورة 1936-1939، واعتُقل لقتله، ومجموعة من رفاقه، أحد الضباط البريطانيين في أيلول/سبتمبر 1938، وحُكموا جميعًا بالإعدام، ونُفذ بهم الحكم خلال شباط/فبراير 1940. يُنظر: عقل، ص 161.

(27) كما تؤكد مصادر عقل من الصحافة الصهيونية، وما تؤكد أيضًا صحيفة فلسطين، فإنّ أحكام الإعدام نُفذت في 17 آب/أغسطس 1939. ووفقًا لصحيفة فلسطين، فإنّ الحكم نُفذ في الساعتين الثامنة والتاسعة من صباح الخميس: «تنفيذ حكم الإعدام في شابين»، فلسطين، 18/8/1939، ص 3؛ عقل، ص 184-186. ويؤكد عبد العزيز الريماوي أبو بشار أنه زار الشهيد في سجن المسكوبية بصحبة قاسم الريماوي: كبتها، ص 662.

الأعمال. وقد صادرت السلطات، نتيجة ذلك كله، مئة بندقية ومدفع رشاش واحد⁽²⁸⁾. وكان عدد من المسلّحين خارج البلدة، في الجبال المحيطة بها، فلم يسلموا أسلحتهم، وكانوا بإمرة أحمد العودة⁽²⁹⁾ - كفر الديك، ومحمد الذيب [الريماوي] - بيت ريما. وعادوا بعد أن أصدر المندوب السامي العفو العام، وساعدهم الضابط منير أبو فاضل في ذلك.

أما قادة الرأي وقادة الفصائل، فقد اختفوا في البلاد عدة أشهر، ثم غادروها إلى العراق عبر صحراء الأردن، فصحاء السعودية فالعراق. فقد تمكّن شقيقي أديب من اجتياز النهر إلى عشيرة العدوان، حيث قاموا بنقله إلى بيت الشيخ صالح الهزيل - بني صخر - الذي قام بنقله مشكورًا إلى اقريات المالح بالسعودية، وهناك قابله الشيخ عبد العزيز السديري⁽³⁰⁾. وبعد أن مكث

(28) في محصلة حملة التفتيش، ووفقًا للبيان الرسمي، كان ما عُثر عليه من سلاح في نهاية 2 أيار/ مايو 1939، ما مجموعه 40 بندقية، وأكثر من 1,500 رصاصة فحسب: «انتهى»، فلسطين، 1939/5/3، ص 5.

(29) أثبت الريماوي في مقالاته، في صحيفة الدستور، حديثًا مستفيضًا عن أحمد عودة: «لا بد لي، وأنا بصدد زيارة عبد القادر إلى بديا والقرى المجاورة، أن أذكر أنّ الثائر أحمد العودة من كفر الديك، والذي تُعتبر حياته أسطورة من الأساطير، ولو كان في بلد آخر لثم تأليف الروايات السينمائية عن حياته، والمخاطر والمهالك بل البطولات التي تعرّض لها. فلقد أبى هذا الثائر أن يغادر الجبال المحيطة بقرية كفر الديك، والقرى المجاورة، منذ ثورة سنة 1936 [التي] أبلى فيها بلاءً حسنًا. وكانت الدوريات البريطانية تتعقبه باستمرار، تارة من نابلس، وأخرى من رام الله، وثالثة من الرملة، ويشاركها بعض أعدائه التقليديين. والسبب الرئيس في نجاته هو حذره الشديد، وإتقانه إصابة الهدف بشكل يدعو إلى الإعجاب. وقد كان الجميع يعرف هذه الصفات عنه، ولذلك كان الذين يتعقبونه من البريطانيين أو العرب، يتحاشون الاصطدام به وجهًا إلى وجه، مهما كان عددهم. أذكر أنّ أحد الضباط البريطانيين المعروفين بشدتهم، واسمه المستر فورد، وكان مسؤولًا عن بوليس رام الله، كان حينما يخرج في مهمة لمطاردته لا بد وأن يعرّج على بيت ريما، وهو يعرف أنّ عددًا من شبانها كانوا يرافقون أحمد العودة سرًا وعلانية، وكان يقول لشيخ البلدة: 'اسمع يا حبيبي، أنا أحب أحمد العودة، فهو قبضاي مثلي، ولذا فإنني لن أتعرّض إليه بسوء، وأطلب منه أن لا يتعرّض إلينا بسوء'. كان المذكور يعيش على الصيد، وعلى ما يقدّمه له بعض الأصدقاء المحدودين من أكل، وكان ينام صيف شتاء فوق الجبال وفي الكهوف، وبقي كذلك مدة اثني عشر عامًا حتى تم ضم الضفتين، وألقي القبض عليه، وحُكم بالإعدام بتهمته قتل مختار قريته، ولكن المحكمة برّأته لعدم ثبوت التهمة ضده، وكان الأستاذ يحيى حمودة هو الذي دافع عنه»: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (11)»، الدستور، 16/10/1972، ص 4.

(30) عبد العزيز أحمد السديري (1909-1955): أحد الشخصيات النجدية القريبة من الملك =

مدة في القريات، حضر فؤاد نصّار⁽³¹⁾، وكان يعمل مع عبد القادر الحسيني في ثورة سنة 1939، وعيسى [الحمزة] وإسماعيل الشخامي وعلي محمد [عيسى] وعبّاد⁽³²⁾، من أهالي [قرية] عين كارم⁽³³⁾، ومن رجال عبد القادر الحسيني.

وقد سافروا جميعًا على ظهور الجمال لمدة أربعين ليلة إلى العراق عبر الصحراء. أما فؤاد نصّار فلم يستطع مرافقتهم، لأنّه كان مصابًا بجراح، فعاد إلى بيت الشيخ مثقال الفايز، حيث أمّن نقله بسيارة إلى العراق. ووصل بعد ذلك كلُّ

= عبد العزيز آل سعود. عُيّن بدءًا من عام 1935 أميرًا على منطقة القريات، بعد أن كان أميرًا على منطقة الجوف. وبحلول عام 1938، أصبح مسؤولًا عن جميع الشريط الحدودي الشمالي الغربي للمملكة العربية السعودية. (31) فؤاد نعمه نصّار (1914-1976): ولد في الناصرة. نشط في صفوف الحركة الوطنية بدءًا من حوادث 1929 (ثورة البراق) التي اعتُقل فيها، ثم التحق بثورة 1936-1939، فاعتُقل ونُفي مرات عدة. نشط خلال عام 1939 في منطقة القدس، إلى أن غادرها إلى الأردن متجهًا إلى العراق أواخر عام 1939. التحق بالمدرسة العسكرية في العراق، وشارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني، فغادر بعد فشلها إلى إيران ثم عاد إلى العراق، فکردستان، حيث اعتُقل، ثم عاد إلى فلسطين، بعد عفو عام صدر نهاية عام 1943. كان أحد مؤسسي عصبة التحرر الوطني، والأمين العام الأول لمؤتمر العمال العرب. خلال حرب 1947-1949، كان من بقية عصبة التحرر التي نادى بالموافقة على قرار التقسيم، انسجامًا مع موقف الاتحاد السوفياتي. أسس، وبعض أفراد العصبة، الحزب الشيوعي الأردني في أيار/مايو 1951، وكان الأمين العام الأول له. اعتُقل مرات عدة في السجون الأردنية بسبب نشاطه في الحزب. توفي في عمّان، في 30 أيلول/سبتمبر 1976: إميل حبيبي، «فؤاد نصّار أبو خالد حياة وذكرى عاطرة»، الاتحاد، 5 تشرين الأول/أكتوبر 1976، ص 2.

(32) قد يكون الشخص المقصود عايد جبر، أحد أبناء عين كارم الذين شاركوا في ثورة 1936-1939. وإضافة إلى عيسى الحمزة، وعلي محمد عيسى، تورّد بعض المصادر المحلية اسم إبراهيم موسى الذي شارك في معارك الثورة إلى جوار الشهيد الحسيني، وغادر فلسطين إلى العراق، وبعد ثورة رشيد عالي الكيلاني غادرها إلى إيران حيث سُجن هناك، ثم انتقل إلى ألمانيا، ثم إلى سورية التي بقي فيها حتى جلاء المستعمر الفرنسي عنها. وعاد إلى بلده عين كارم عام 1946. يُنظر: عطية عبد الله عطية، عين كارم بين الحقيقة والحلم دراسات وخواطر (عمّان: نشر خاص، 1992)، ص 156؛ تيسير البسطي، صفحات جهادية من عين كارم: شهداء من عين كارم سقطوا في ثورات فلسطين من 1929 حتى عام 1948 (عمّان: منشورات لجنة تراث عين كارم، 2002)، ص 61-63. وبخلاف ما تبثته هذه المصادر، فإن إبراهيم محمد عيسى موسى استشهد في 29 كانون الأول/ديسمبر 1947. يُنظر: «مهاجمة قريتي عين كارم والعيزيرية»، الشعب، 30/12/1947، ص 1؛ «معركة بعين كارم واستشهاد عربي»، الدفاع، 30/12/1947، ص 4.

(33) قرية عين كارم: قرية تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة القدس، على بُعد سبعة كيلومترات عنها. يُعتقد أنّ يوحنا المعمدان وُلد فيها. تعدّ من أكبر قرى قضاء القدس، قُدّر عدد سكانها في عام 1945 بـ 3,180 شخصًا. اتخذها عبد القادر الحسيني مركزًا لعملياته في ثورة 1936-1939. احتُلت القرية، وهُجّر أهلها، في 18 تموز/يوليو 1948. للمزيد: الدباغ، بلادنا، ج 9، ص 117-120.

من عاهد الريماوي ومحمود أبو الخير وسعيد الطريفي إلى القريات، ولكنهم لم يسلكوا الطريق الصحراوي على الجمال، بل نُقلوا بالسيارات السعودية، بمساعدة الشيخ [عبد العزيز] السديري، إلى أول مخفر عراقي في الصحراء، وذلك إثر اتصال تم مع الحكومة السعودية، قام به السفير السعودي بالعراق، الشيخ يوسف ياسين، بعد وصول الفوج الأول على ظهور الجمال وتعرضهم للموت.

وفي العراق، التحق معظمهم بالكلية العسكرية الملكية العراقية. وبعد ثورة رشيد عالي، التجأ أديب وعاهد إلى إيران، وتفرّق الآخرون. أما العراق، فقد كان يدفع لهم الرواتب ويدربهم، دون علم البعثة البريطانية. أما عبد القادر، فقد أودع السجن بزاخو⁽³⁴⁾، ثم انتقل إلى السعودية فالقاهرة. هذه القصة، وعشرات القصص المماثلة، كلها تبيّن بوضوح كيف كانت البلاد خالية من السلاح.

ثانياً: جذور الجهاد المقدس

مصر قاعدة الانطلاقة⁽³⁵⁾

>لقد بدأت تشكيلات الجهاد المقدس منذ أن وطأت قدم عبد القادر الحسيني أرض الكنانة، وبدأت في بيته بحَيِّ شبرا بالقاهرة>. بعد مضي شهر على وصوله مصر، [استقبلني عبد القادر] في بيته، >وكنت في ذلك الوقت

(34) بعد فشل ما عُرف بثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق (نيسان/أبريل - أيار/مايو 1941)، خرج معظم من لجأ إلى العراق من الفلسطينيين، واعتُقل أو نُفي من بقي، وكان مصير الحسيني، وبعض رفاقه، النفي إلى منطقة زاخو الواقعة اليوم في محافظة دهوك في كردستان العراق، وبقي منفياً فيها إلى أن اغتيل فخري النشاشيبي في بغداد (ظهر الإثنين، 10 تشرين الثاني/نوفمبر 1941)، فاعتُقل ورفاقه لاتهمهم بالمسؤولية عن عملية الاغتيال. ودوّن الريماوي في مخطوطه عن الحسيني تفاصيل رحلته إلى العراق، ومشاركته في ثورة الكيلاني، فنفيه ثم اعتقاله: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، مخطوط رقم 3/ج. ويُنظر: عيسى خليل محسن، فلسطين الأم وابنها البار عبد القادر الحسيني (عمّان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 1986)، ص 195-203.

(35) ما أُدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 4. أما الإضافات الواردة في المتن بين علامتي < > فمستلة من: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (3)»، ص 4.

قد وفدت إلى القاهرة، بناءً على استدعاء منه، نقله إليّ ابن عمه المرحوم عمر [حسين] الحسيني، وكنا نعمل سوية في تحرير جريدة الوحدة بالقدس، وجلست [أسلم عليه] وأهنته بالسلامة، وقد التفتّ حوله أشباله فيصل وموسى، حيث أخذوا يسردون له ما رأوه في فلسطين، [وكيف] كانوا [يُهزّئون] الجنود الإنجليز كلما رأوهم. وقد أخذ عبد القادر [يسأل] عن كل صغيرة وكبيرة، وسرد كل ما حصل له.

وفي منتصف [ليلة]، [بعد وقت] من قدومي، من ليالي كانون الثاني/يناير، اصطحبني وأخذني من [يدي] إلى غرفة جانبية في الدار، وأشعل المصباح، وإذا بها ثلاثة أكياس، [وسألني] هل تعرف ما فيها، فقلت: «وهل أعلم الغيب؟!». فتقدّم من أحدها، وإذا هو يسحب منه بندقيتين ومدفع ستن. فقال: «اسمع، أول عمل قمت به حالما وطأت قدماي أرض مصر هي شراء [الأسلحة]، فقد كان معي سبعون جنيهاً، أنفقتها في هذا. والآن إننا [نستغل] هذه الفرصة لشراء وخزن أكبر كمية ممكنة من السلاح، لأنّه [الطريق] الوحيد لنا. والسلاح هنا رخيص جداً، إذ إنه من [مخلفات الحرب العالمية الثانية]». ولمّا قال لي عن الثمن، دُهِشت جداً، فالبندقية بأربعة جنيهات، [وئمنها أقل] لو تمكّنا من إحضارها من الصحراء الغربية. يجب أن نبدأ في [الشراء فوراً].

وبعد تفكير، تمكّنا من الحصول على رأسمال بسيط للبدء في [شراء الأسلحة]. وأخذ يتنقل من مكان إلى آخر ليقابل فلان [السمسار، وفلان] بائع الأسلحة، ولم يثنِ عزمته كثرة [المنافقين]، وكذب الأدعياء، إلا أنه ثابر. بقينا على هذه الحال [مدة]، تجولنا خلالها في ضواحي القاهرة، ووصلنا إلى [...]. يطلب إلى التجار أن يشتروا ما يمكنهم شراءه [من السلاح]. وقد لاحظنا في هذه الأثناء أنّ بعض اليهود [يشترون] كميات من الأسلحة ويرسلوها لفلسطين، فأخذ [يحدّث منهم]، ويكتب للسلطات عنهم وعن أعوانهم، حتى تمكّن من [إيذائهم] كثيراً.

وما أن ترامى إلى مسامعه خبر وصول سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني إلى فرنسا]، حتى استبشر خيراً، وقال: «قد [حانت] فرصة لقائه، حيث

يمكننا التوسع في عمليتنا». ومن القاهرة، وجّه إلى سماحة المفتي كتاباً رقيقاً قال له فيه، [بعد تقديم] واجبات الاحترام والتحية والتقدير: «إنني [أخفت] في الماضي في انتزاع ثقتكم، إلا أنني سأواصل العمل [لانتزاعها]، وإنني واثق من قدرتي على ذلك». إلى أن قال: «سترى [أنني] سأموت تجاه واجبي، ولا أحد يسمع أنيني. وكذلك زوجتي [وأبنائي] من بعدي»⁽³⁶⁾.

وقد وجّه إليه سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني] هذا الكتاب، قال له فيه: «إنك موضع ثقتي، [وأستغرب] أنك تتصور أنك أخفتت [في] الحصول على ثقتي [التامة]، بل تأكد يا عبد القادر أن لك في نفسي مكانة [لا تعلمها]، وأنك بأعمالك المجيدة حُزت على ثقة لا تعادلها ثقة، وإن كنت أبدي شيئاً من التحفظ فهو لثني قوة اندفاعك، وخشيتي أن أفقدك، [والبلاد] ما زالت في حاجة إلى أمثالك، فثق أنني أكرُّن لك كل احترام، وقد حزّ في نفسي وآلمني قولك إنك تموت ولا [تتن ولا يُسمع] أنينك أنت وزوجك»⁽³⁷⁾.

(36) وفقاً لرد الحاج محمد أمين الحسيني على رسالة عبد القادر، فإنّ المقطع المقتبس من الرسالة جاء كالآتي: «ولا يدخل قلبي اليأس إخفاقي نيل ثقتكم في ما مضى. وإنني على يقين بأنني سوف انتزعها انتزاعاً رغم كل العقبات». وكذلك: «ستجدوني دائماً ذلك الجندي الذي يموت في سبيل أمته ومبادئه، دون أن يكلف الناس سماع آثات نزاعه. وكذلك زوجتي، وسوف يكون كذلك أولادي». ووفقاً لهذا الرد، فإنّ رسالة عبد القادر وصلت إلى الحاج أمين الحسيني في 14 ربيع الأول 1365 هجرية، أي ما يوافق 16 شباط/فبراير 1946. يُنظر صورة عن الرسالة في: فلسطين - نشرة دورية تشرف عليها الهيئة العربية العليا، العدد 162 (أيلول/سبتمبر 1964)، ص 9.

لا توضح هذه المراسلات بين عبد القادر الحسيني والحاج أمين الحسيني الموضوع الذي فشل فيه عبد القادر بنيل ثقة الحاج أمين، وأغلب الظن أنّ ذلك عائد إلى لحظة وجودهما في العراق، بعد انتهاء ثورة 1936-1939، وخروج عبد القادر من فلسطين للمرة الثانية.

(37) كان ردّ الحاج أمين الحسيني على عبد القادر في 28 جمادى الأولى 1365 هجرية، أي ما يوافق 30 نيسان/أبريل 1946: «[.....] فإني أؤكد لك بأنك لم تخفق في ما مضى، ونلت الثقة التامة وفوق الثقة. ومن يستحق الثقة كلها إن لم تستحقها أنت، بعد طويل جهادك، وبسالتك، وتفانيك في سبيل بلادك؟ ولست في حاجة لانتزاعها، فالله يعلم بما لك في قرارة نفسي من ثقة وافية، ومحبة عظيمة. ولا أدري ما الذي يجعلك تظنّ أنك أخفتت في نيل الثقة في الماضي، ولعلّ ذلك حين كنت ترى تربيّ أحياناً في تلبية بعض رغباتك في الإقدام والتضحية. إنّ ذلك التريث، وكل ما رأيت نحوه، لم يكن لضعف ثقة، وإنما كان لأنني كنت ولا أزال جدّ ضنين بك، أعرف قيمتك. وكنت ولا أزال أرى من مصلحة القضية التي وقفنا جميعاً حياتنا عليها أن أكبح، بقدر الإمكان، من جماح الجواد الكريم، وأنهنه =

وبقي عبد القادر في مصر، بعد أن اتفقت وإياه على [طريقة] خاصة للمراسلات. وقد تحوّل مكتب الحزب العربي - [الذي كنت] مديرًا له في هذا الوقت - إلى مكتب قيادة [لمجموعة] ابتدائية للجهاد المقدس الذي يشرف عليه القائد عبد القادر، فأخذ الإخوان و[المجاهدون] يترددون على دار الحزب [للقيام] بعملية التنظيم التي ارتأها عبد القادر في مصر، [والاتصال في] الإخوان الذين يهيمه أمرهم، والذين سيكونون نواة المستقبل. وبقينا على هذه الحال حتى صيف سنة 1946، حيث [وصل] المفتي [محمد أمين الحسيني] إلى مصر، وبعودته تدفقت وفود المهنيين [والشخصيات] للسلام عليه. وحال هبوطه، توجهت أنا [وبعض الإخوان] الصادقين إلى مصر للسلام عليه، ولنهتهه بالسلامة، [وللاتصال به] لوضع البرنامج العام للجهاد المقدس، وعرضه على سماحة المفتي، وأخذ المساعدة لتنفيذه. وقد عقدنا عدة اجتماعات، وفي هذه الأثناء [كان اليهود] يهاجمون الإنجليز.

الإعداد للجهد المقدس⁽³⁸⁾

يخطئ من يظن أنّ الجهد المقدس جاء ارتجالاً، وبدون سابق إعداد، فالواقع أنّ عبد القادر [الحسيني] قد أعلن هذا الجهد منذ أن التحق بثورة فلسطين سنة 1936، فكان في كل مرحلة بعدها يعتبر أنّ حالة الجهد قائمة، وأنّ عليه الإعداد بكل ما أوتي من قوة ووسائل لخوض معارك التحرير. أما في المرحلة الأخيرة، فإنّه حالما هبط أرض مصر، قبل سنة من بدء الحركات، قام بالتنظيمات التالية:

= من الاندفاع المقدم المستميت، مدّخراً إياه لموقف أكبر، ولمازق أحوج، ولغاية أسمى، لمصلحة القضية نفسها. ولسوف تثبت لك الأيام أنّ ثقتي فيك كانت منذ القديم ثقة تامة وافية، وأني كنت على حق في الضنّ بك، وأدّخارك...: فلسطين - نشرة دورية تشرف عليها الهيئة العربية العليا، العدد 162 (أيلول/سبتمبر 1964)، ص 9.

(38) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 5. أما الإضافات الواردة في المتن بين علامتي < > فمستلة من: المرجع نفسه، دفتر رقم 4.

[أولاً]: تنظيم خطة عامة للجهاد المقدس، تناولت الهجوم والدفاع في جميع أنحاء فلسطين. [ثانياً]: تنظيم خلايا صغيرة لتعمل داخل البلاد، عُرفت فيما بعد بـ «الحرية» و«القوة» و«الثأر» و«المنظمة العسكرية العربية» وغيرها. [ثالثاً]: إقامة شبكة استخبارات واسعة، وبناء مخازن بسرية داخل البلاد. [رابعاً]: شراء الأسلحة من الصحراء القريبة، وخبزها في مصر، وعمل صيانة للمعطوب منها [.....]. [خامساً]: إقامة مختبر لصنع المتفجرات، وتنظيم دورات في مصر لتدريب أكبر عدد ممكن من الشبان الفلسطينيين على أمور النسف، وخصائص المتفجرات، واستعمال الأسلحة الثقيلة والخفيفة. [سادساً]: تنظيم اجتماعات شخصية مع جميع الوجهاء ورؤساء الحمايل ومشايخ القبائل، لحثهم على شراء الأسلحة. [سابعاً]: تأمين نقل الأسلحة من مصر إلى فلسطين، وعمل مخازن داخل فلسطين لخبزها⁽³⁹⁾.

إنّ هذا البرنامج لم يبقَ حبراً على ورق، بل إنّ عبد القادر [الحسيني] طبّقه بحذافيره وبقوة فائقة، فأنتج إنتاجاً لم يتصوره أي شخص، بل لم يدُر بخلده هو شخصياً أن يكون تطبيقه ناجحاً لهذه الدرجة. والحق أنّ مرجع هذا النجاح راجع في كليته إلى معرفة عبد القادر الشخصية بأهالي البلاد، وحالة الشعب وإمكاناته، ومعرفته بحقيقة الخصم وقوته. وقد كان يؤمن إيماناً قاطعاً بقوة الشعب الفلسطيني وتضحياته [.....]. وعلى هذه المعرفة وحدها، وهذه الخبرة، أقدم على تولي أعظم مسؤولية عرفها التاريخ.

فبالرغم من خذل الجامعة [العربية] له، والحيلولة دونه ودون أية مساعدة

(39) إضافة إلى النقاط أعلاه التي أثبتتها قاسم، بوصفها تنظيمات تمت قبل البدء بالقتال مع حلول كانون الأول/ديسمبر 1947، فإنّ قاسم أثبت الأعمال الآتية أيضاً: «عمل شبكة لتأمين الاتصال اللاسلكي بين فلسطين والأقطار العربية المجاورة، وعمل محطة إذاعة محلية لتناول الدعاية في داخل البلاد، وتنظيم شؤون دعابة قوية تتولى إصدار النشرات بالعربية والإنجليزية، وتوزيعها بطرائق مختلفة على السكان وأفراد الجيش والبوليس البريطاني». لكن حفاظاً على التسلسل الزمني قدر الإمكان، حُذفت هذه الأعمال من النص أعلاه، وأثبتت هنا. وسيتم تفصيل ما تم في هذه الأعمال في مواضع أخرى من هذا النص، على أن يُقتصر في هذا العنوان على تفصيل ما تم من أعمال - وفقاً لنصوص قاسم - قبل انطلاق شرارة المعارك الأخيرة.

معنوية أو مادية، وبالرغم من مقاومتهم إياه في السر والعلانية، وبالرغم من حرص الإنجليز واليهود ومؤامراتهم، ومحاولاتهم إبعاده عن المعركة، وبالرغم من عدم توفر العدة والعتاد والمال، أقبل عبد القادر، فحمل هذه المسؤولية وهذه الأمانة التي تعجز عن حملها الجبال، وقد عُرِضت على الجبال فأبَيْن حملها، فحملها الإنسان لأنه جبار ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]، فأنعم به من حامل لها، وأنعم بها من رسالة.

[.....] نعم، لقد وقف شرتوك [موشيه شاريت] وسط هيئة الأمم يطلب التوسط لإعلان هدنة في مدينة القدس، لحراجه موقف اليهود فيها. وهبت الولايات المتحدة على الأثر لتعلن عن عدولها عن مشروع التقسيم، في نهاية شهر آذار/ [مارس] سنة 1948، وأخذ المندوب السامي البريطاني يعرض على الهيئة العربية العليا قبول الهدنة، واعتبار القدس مدينة مفتوحة، ويُلحّ بطلبه، وتقوم بريطانيا بالضغط على الجامعة [العربية] لقبول ذلك، ولكن عبد القادر يقف كالحصن المنيع، فلا تجبره الجامعة على فرض استخائها عليه، وكيف يتسنى لها ذلك وهو لا يعمل لها ولا بأموالها أو أسلحتها، وقد حرّمته المساعدة! فعمل بمجهوده ومجهود الشعب الفلسطيني والهيئة العربية العليا ما عمل. فتتورط الجامعة، وتشعر بحراجه الموقف فتضيق عليه، وتسدّ جميع المنافذ في وجهه، وتحاول مقاومته، عن طريق حرمانه من الأسلحة الثقيلة والخفيفة والمعدات.

وتوهم الناس أنّ القوى الشعبية الفلسطينية لن تتمكّن من عمل شيء حاسم في الموضوع، وأنّ الجيوش العربية هي التي ستبدد أحلام اليهود، هذا بعد الفشل الذي أظهرته باعتمادها على جيش الإنقاذ، نتيجة إخفاقه في تحقيق أماني الشعوب العربية، والشعب الفلسطيني بصورة خاصة. نعم إنّها تضنّ عليه، وتوجه إليه رسائل التقرّيع والتهديد حتى يجتمع بساستها ورجالها، فيقتحم الموت شهيداً، ليحيا في جنات الخلد، بعد أن حالت الجامعة وقادة العرب بينه وبين ما يشتهي.

نعم، لقد وقف الشعب الفلسطيني، ممثلًا في قوى الجهاد المقدس، وبقيادة هذا البطل، وقفة خارقة في تاريخ الحروب، فثبت في وجه قوى الأعداء منفردًا وحيدًا، فيدد أحلامهم، ويتفوق عليهم في كل المعارك التي خاضها معهم. ولكن تأبى الجامعة العربية، وقادة الرأي فيها، أن تمدّ عرب فلسطين بالمساعدات التي كانت ترد إليهم من الشعوب العربية والإسلامية، وتأمّر جيوشها بدخول البلاد لتنفيذ مؤامرات الإنجليز و[الأميركيين]، وتمنع القوى الشعبية الفلسطينية من مواصلة الجهاد. فسلمت ما سلمته، إن حربًا أو سلمًا، وشرّدت الشعب الفلسطيني، وقضت على قواته، وانتزعت الأسلحة من المجاهدين، وطاردت قادتهم، وحرّمت على بعضهم دخول البلاد. تصوّر بربك أية مهزلة تمت على أيدي هؤلاء الجنّاة!

وإليك الخطة التي سار عليها القائد الباسل في أعماله، مطبقًا البرنامج الذي رسمه بحذافيره وبقوة فائقة. [بعد قدوم المفتي الحاج محمد أمين الحسيني إلى مصر]، تم الاتفاق على التشكيلات التالية:

> [أولًا]: تنظيم خطة عسكرية عامة للجهاد المقدس في فلسطين، لتنفيذها [عند الجلاء] وعند الاشتباكات مع اليهود. أما هذه الخطة [فتضمنت]:

- الدفاع: [أولًا]، تنظيم الدفاع عن المدن الثلاث؛ القدس [ويافا وحيفا]. [ثانيًا]، تنظيم الدفاع عن القرى المحاطة باليهود. [ثالثًا]، تنظيم الدفاع عن القرى المحيطة باليهود.

- الهجوم: [أولًا]، قطع المواصلات اليهودية بين المدن [والمستعمرات، ومنع] قوافل التموين والركاب من التنقل بين هذه البلاد. [ثانيًا]، محاصرة المستعمرات اليهودية ليلاً ونهارًا، [وإشعال] حرب القناصة ضدّ حراسها. [ثالثًا]، شنّ هجمات ليلية وقوية على المستعمرات، [وتدمير] حصونها. [رابعًا]، شنّ هجمات معاكسة على أطراف أحياء المدن، [لتخفيف] الضغط اليهودي في حالة هجوم اليهود على العرب.<

[ثانيًا]: > إقامة فرق صغيرة باسم «الحرية» و«الثار» و«القوة»، و«المنظمة

العسكرية العربية»، على أن لا يتجاوز [عدد] أفراد الفرقة الواحدة الخمسة أشخاص⁽⁴⁰⁾.

[وتفصيل مهمات هذه الوحدات كالآتي]:

[فرق الحرية]: وقد عُهد إلى وحدات الحرية أن تعمل على تنفيذ مقاطعة البضائع الصهيونية، فأخذت تطارد المتعاملين مع اليهود، وتلقي على بيوتهم ومخازنهم القنابل والمتفجرات للتهديد، وحرقت بعض المخازن، بعد إنذار أصحابها عدة مرات، وخروجهم على شؤون المقاطعة. ومهمة هذه الوحدات هي تعبئة القسم السلبي من المقاطعة العربية. وقد نجحت نجاحًا كبيرًا في ردع ضعاف النفوس عن الانصراف والتمادي في معاملاتهم مع اليهود، وكان [المشرفون] عليها بعض الشبان المعروفين بصدق ووطنيتهم وغيرتهم وجرأتهم، وكان على رأس هذه الوحدة السيد صبحي أبو غربية⁽⁴¹⁾.

(40) كتب الريماوي في مقالاته في صحيفة الدستور عن التشكيلات العسكرية للتنظيم السري: «كانت هنالك تشكيلات تتألف من حلقات، كل حلقة من خمسة أشخاص، لا يُعرفون بأسمائهم بل بالأرقام، ولا يعرف أحدهم الآخر، إلا من خلال العمليات المشتركة. وكنت أحتفظ بشيفرة خاصة لمخاطبة القائد الشهيد [عبد القادر الحسيني] في كل ما يتعلق بهذا التنظيم. وبلغ حدّ سرية العمل في المرحلة الأولى أنّ أقرب المقرّبين إلى عبد القادر الحسيني لم يطلعوا عليه، بعكس ما قيل عنه ونُشر. أذكر بهذه المناسبة أنني قمت بزيارة السيد جمال الحسيني بفندق شبرد بالقاهرة، رفقة عبد القادر والأخ عبد الرحمن علي شحده. وكان جمال آنذاك نائب رئيس الهيئة العربية العليا بالقدس، فطلب السيد جمال منه معرفة أسماء القائمين على العمل السري. وكانت أعمال هذا الجهاد في مقاومة الصهاينة وأعاونهم قد برزت بشكل ملحوظ ومنظم، إلا أنّ عبد القادر رفض، وبعد إصرار جمال على معرفة شخص واحد على الأقل، أشار أبو موسى، رحمه الله، إلينا نحن الاثنين الجالسين إلى جانبه، وقال له: 'هذان اثنان منهم'. إنني أريد أن أؤكد هنا أنّ أسماء العاملين في هذه الحركة لم تُكشف بعد، كما أنّ أعمالهم لم يسجلها أحد، على الرغم مما كُتب عن ذلك من قبل، وسأتولى نشر بعض التفاصيل، إن رأينا أنّ الوقت قد حان لذلك. واكتفي بهذه المناسبة أن أشير إلى المسؤولين عن بعض الخلايا واستشهدوا، وهم: إبراهيم أبودية - صوريّف الخليل، خليل منون - عين كارم القدس، محمود جميل الحسيني - عين سينا رام الله، صبحي أبو غربية - القدس، وسرور [برهم] - حيفا»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (3)»، ص 4.

(41) صبحي عليان أبو غربية (1921-1967): وُلد في الخليل. تلقى تعليمه في المدرسة العمرية في القدس. اشترك في ثورة 1936-1939، وكان مرافقًا لعبد القادر الحسيني في معاركه، وأصيب في معركة بني نعيم في كانون الأول/ديسمبر 1938. بعد إصابته، غادر فلسطين إلى سورية ثم =

فرق القوة: وهي تلك الخلايا التي كان معهود إليها مقاومة بيوع الأراضي ومطاردة السماسرة. وقد تمكّنت من القضاء على بعض السماسرة المعروفين، بعد إنذارهم عدة مرات.

فرق الثأر: ومهمتها تنحصر في الرد على أعمال العدوان اليهودي، إن هم تعرّضوا للعرب في كثير أو قليل. وقد ردّت هذه الفرق على اليهود ردّاً قوياً في رمضان سنة 1947، في منطقة يافا⁽⁴²⁾.

المنظمة العسكرية العربية AMO: وهي تشرف على جميع الوحدات والخلايا، وتوجهها حسب إرادة القائد العام، وتُعدّ الأشخاص المسؤولين ورؤساء الفصائل الذين ستعهد إليهم مهمات تنظيم الدفاع والهجوم في مختلف أنحاء البلاد⁽⁴³⁾.

= إلى العراق. شارك في حراك رشيد عالي الكيلاني، ونُفي إلى زاخو شمال العراق. هرب إلى حلب لكنّ المستعمر الفرنسي اعتقله، وسلّمه إلى البريطانيين، وظل معتقلاً إلى أواخر الحرب العالمية الثانية. كان من أبرز قادة الجهاد المقدس، وأصيب إصابة خطيرة في رأسه، في معارك الحيّ اليهودي داخل البلدة القديمة. استشهد دفاعاً عن حيّ باب الساهرة، في حزيران/يونيو 1967.

يقارن بما دوّنه بهجت أبو غربية عن منظّمته الحرية: بهجت أبو غربية، في خضمّ النضال العربي الفلسطيني: مذكرات المناضل بهجت أبو غربية 1916-1949 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1993)، ص 138-139. وعن تواصله واندماجه ومنظّمته في تنظيم عبد القادر الحسيني، بعد تواصلهم مع الحاج أمين الحسيني، ثم مع عبد القادر الحسيني: المرجع نفسه، ص 152-153.

(42) الحديث هنا عن المواجهات التي اشتعلت في منطقة يافا - تل أبيب بين العرب والصهيانية، بعد هجمات منظمة من قيادة الهاغاناه خلال 10-21 آب/أغسطس 1947. يُنظر رواية عربية أولية عمّا حدث، في: «تقرير عن حوادث الاضطرابات الأخيرة التي وقعت بين العرب واليهود في يافا وتل أبيب في ما بين 10-21 آب سنة 1947»، أرشيف الدولة، ملف رقم: ف- 3221/27؛ مقارناً بـ: سلوتسكي، مج 2، ص 1334-1336.

(43) سجّل الريماوي في مخطوطه كذلك مهمة أخرى: «تأليف مكتب عسكري للجهاد المقدس، [بعد عرضه] على سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني]، وأخذ الموافقة عليه، وتقدير الميزانية [المتوقعة]. واستدعى [عبد القادر الحسيني] القائد حسن سلامة، حيث عرض البرنامج عليهم، وطلب إليهم السير بموجبه واتخاذ [اللازم]. وقد توجه كل منّا إلى جهة اختصاصه»: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 4. وأضاف في إحدى مقالاته: «تم الاتفاق على تنظيم القيادة العامة للجهاد المقدس [....]. أسندت [مراكز مهمة] إلى كل من عبد القادر، وحسن سلامة، وأبو محمود [محمد غزلان] الصفوري، والحاج فهمي [توفيق الإبراهيم] أبو إبراهيم الصغير، وسرور [برهم]،»

[ثالثاً]: >الاستخبارات. كان [عبد القادر الحسيني]، رحمه الله، يُبدي اهتمامًا كبيرًا في شؤون الاستخبارات، وقد عيّن شخصًا مسؤولًا عنها، وزوّده بجميع المعلومات التي يريدها. وتمكّن من إيجاد عدد من الشبّان الذين يتقنون اللغة العبرية، وأمرهم بمحاولة معرفة ما يلي: [أولاً]، معلومات عن المستعمرات اليهودية. [ثانيًا]، معلومات عن القرى القريبة. [ثالثًا]، معلومات عن المنظمات العسكرية اليهودية، وعن أماكن تدريبها ومخازن أسلحتها.

ومع أنّ اليهود يُبدون تكتّمًا شديدًا في جميع شؤونهم الخاصة والعامة، إلا أنّ رجال عبد القادر تمكّنوا من الدخول إلى قلب المنظمات اليهودية، فبعضهم اتصل بجماعة «الأرغون» [الإيتسل] و«شتيرن» [ليحي] (44). وقد تمكّن بواسطتهم من معرفة جميع تفاصيل الشؤون العسكرية اليهودية، ونظم تقريرًا أسبوعيًا كان

= وأبو عمر [عبد الرحمن الصالح الحمد] من سيلة الظهر. وتولى كاتب هذه السطور مركز أمين السر العام للجهاد المقدس. وتُرك إلى عبد القادر تعيين قادة المناطق الأخرى، إلى حين عودته إلى فلسطين، وبالتشاور مع الأهالي. وقد تم بحث موضوع 'س' من المسؤولين، فاستقر الرأي على إسناد منصب إليه، لأمع في ظاهره بسيط في حقيقته. أما المسؤولون عن الحلقات السرية، فأسندت إليهم مراكز حساسة، كل في منطقتة. وبعد فراغنا من هذا التنظيم، ومباركة المفتي، رُفِع إلى اللجنة العسكرية». الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (6)»، ص 4. وألمح محمد عزة دروزة إلى وجود مثل هذا التشكيل لإدارة الشؤون العسكرية من الهيئة العربية العليا، فأشار إلى أنّ المفتي عيّن عبد القادر الحسيني، وسعد عبد اللطيف، وسليم الحسيني، ومحمد سليم أبو لبن، ليكونوا لجنة التنظيم الكفاحي: دروزة، مج 5، ص 593. وكما أُشير في مواضع مختلفة من هذا الكتاب، فإنّ التشكيلات العسكرية هذه تغيّرت في وقت لاحق، خصوصًا مع مطلع شباط/فبراير 1948 الذي أُعيد فيه توزيع الجبهات الرئيسية. وعلى الرغم من أنّ الهيئة العربية العليا سعت إلى فرض بعض القادة، فإنّ مساعيها باءت في كثير من الأحيان بالفشل، خصوصًا مع زيادة سيطرة اللجنة العسكرية العربية على جميع التفاصيل المتعلقة بالحرب وإدارتها، خصوصًا المال والسلاح والعتاد.

(44) لوحامي حيروت يسرائيل (ليحي): المقاتلون من أجل حرية إسرائيل، منظمة أسسها أبراهام شتيرن، بعد انشقاقه عن الإيتسل في عام 1940، بعد قرار الأخيرة وقف هجماتها ضدّ البريطانيين خلال الحرب العالمية الثانية. وكانت أبرز عمليات ليحي اغتيال اللورد مورين، الوزير البريطاني لشؤون الشرق الأوسط، في القاهرة عام 1944، وكان لها دور في حرب 1947-1949. ومن أبرز عملياتها تفجير سيارة مفخخة أمام مقرّ السرايا القديمة في يافا، في 4 كانون الثاني/يناير 1948، واغتيال وسيط الأمم المتحدة، الكونت برنادوت، في 17 أيلول/سبتمبر 1948، والذي أُتخذ سببًا لإعلانها منظمة إرهابية من الحكومة الصهيونية.

يبعثه إلى اللجنة العسكرية عن أعمال اليهود وأسلحتهم، وحقائق قواتهم وعددها، وعن خططهم وتحصيناتهم. كما أنّ هؤلاء الرجال تمكّنوا من القيام ببعض الأعمال وراء الخطوط اليهودية، فمعظم حوادث الإرهاب التي وقعت بين اليهود، من حجز سيارات ومهاجمات، كانت بفعلهم وبتوجيههم، واستغلوا بعض رجال العصابات في تنفيذ تلك الخطط. كما أنّ بعض رجاله تمكّنوا من معرفة بعض مخازن الأسلحة اليهودية، فاستولوا على بعضها، كما حصل في سلمة، ودلّوا السلطات الإنجليزية على بعضها الآخر.

[رابعاً]: تعيين لجنة لشراء الأسلحة والمتفجرات من القطر المصري، [وتخزين] السلاح في مصر تمهيداً لنقله إلى فلسطين. >وتأسيس مكتب الصيانة لتنظيف الأسلحة.

[خامساً]: [تأسيس] مختبر لصنع المتفجرات، وتدريب فرق النسف والتدمير، [إذ] كان عبد القادر [الحسيني] مولعاً بالكيمياء، وقد أوتي قسطاً كبيراً من المعرفة فيها. كما أنه خبر صنع جميع أنواع المتفجرات في الأيام التي قضاها أثناء حربه ضدّ الإنجليز، وقد سافر إلى ألمانيا سنة 1939، حيث حضر دورة كاملة في شؤون المتفجرات والكيمياء، عدا عن تحصيله الجامعي واختصاصه فيها. فكان كلما حلّ في بيت، أقام مختبراً فيه للتجارب الكيماوية، وبهذا تمكّن من صنع أنواع مختلفة من المتفجرات. وقبل بدء عمليات الجهاد المقدس، أحضر عددًا من الشبان الفلسطينيين، وأخذ يدرّبهم على جميع أنواع المتفجرات، ويعطيهم دروساً خاصة، نظرية وعملية، فكان يُجري تجاربه خارج مدينة القاهرة، وكان كلما أنهى فوج الدورة التدريبية أحضر فوجاً آخر، حتى تم له إعداد وحدات كثيرة من فرق التدمير، كان لهم أكبر الأثر في الأعمال التدميرية التي عقب ذلك.

وكان يعدّ كل فئة منهم لنسف بعض الأهداف المعيّنة لهم، وكانت خطته تقوم على نسف 165 هدفاً، فأعدّ العدد الكافي من الخبراء، وطلب إلى كل منهم تدريب عدد من الشبان الذين سيلتحقون بوحداتهم. وهكذا، عاد هؤلاء الشبان، حيث أخذوا يدرّبون فئات مختلفة من الشبان على أعمال النسف

والتدمير، ولم تُطلق الرصاصة الأولى حتى كان مئات من الشبان يتقنون أنواع المتفجرات، ويقفون استعدادًا للعمل، ولكن شاءت إرادة الدول العربية أن لا تصل إليهم المتفجرات لتنفيذ أهدافهم! ومن هذه الخلايا، وُجدت فرقة التدمير⁽⁴⁵⁾ التي قامت بأعمال النسف الخالدة في معارك فلسطين، وكان على رأس هذه الفرقة السيد فوزي القطب⁽⁴⁶⁾، وهو من أشهر الخبراء بصنع المتفجرات، وقد اشترك في الإشراف على شؤون تدريب الفدائيين في مصر طيلة فترة التدريب، ويرجع إليه الفضل في بناء فرقة التدمير هذه.

[سادسًا]: [عقد] الاجتماعات الشخصية مع وجهاء ورؤساء عائلات وحمائل فلسطين، [إذ] اغتتم السيد عبد القادر فرصة وفود عدد من وجهاء فلسطين ورجالها العاملين، للاجتماع بأكبر عدد ممكن منهم، لتوجيههم الوجهة الصالحة، والطلب إليهم إعداد العدة لمعاودة الجهاد. وقد اتفق مع كثير منهم على شؤون الدفاع والهجوم، وأخذ منهم معلومات كافية عن حالة مناطقهم. وبالفعل، إنهم كانوا خير عون وسند له في عملياته في فلسطين، وسنأتي على تفصيل ذلك في حينه.

(45) يُنظر أسماء بعض النشطين في هذه الفرقة في: محسن، ص 217؛ عارف العارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947-1949، الجزء الأول، من قرار التقسيم 1947/11/29 إلى بدء الهدنة الأولى 1948/6/11 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012)، مج 1، ص 128-129. علمًا أن العارف يشير إلى أن الفرقة ألفت من مجموعة من الفدائيين الذين فشلوا في نسف فندق عدن في 18 آذار/مارس 1948، تكريمًا لهم من عبد القادر الحسيني، وتوسّعت الفرقة لتضم خمسة وعشرين مناضلاً: العارف، مج 1، ص 128.

(46) فوزي نامق القطب (1917-1988): وُلد في دمشق، تلقى تعليمه في المدرسة الرشيدية وكلية ترسانطة (Terra Sancta College) في القدس. عمل موظفًا في مطبعة الحكومة الاستعمارية. شارك في ثورة 1936-1939، ونقذ عددًا من العمليات رفقًا صبحي أبو غربية وآخرين. خرج إلى سورية، ثم إلى العراق، حيث شارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني. غادر العراق من جديد إلى سورية، ثم لجأ إلى تركيا. غادر تركيا إلى إيطاليا، حيث التحق بدورة تدريب عسكرية هناك، ثم التحق بدورة جديدة في ألمانيا، وتدرّب على صناعة المتفجرات. مع نهاية الحرب العالمية الثانية، غادر ألمانيا رفقًا الحاج أمين الحسيني، قبل أن ينتقل بحرًا إلى لبنان. التحق بعد عودته بنشاط عبد القادر الحسيني لشراء السلاح من مصر، قبل أن يغادر مصر من جديد عائلاً إلى فلسطين. أسس فرقة التدمير في الجهاد المقدس في القدس، وتولى قيادتها خلال حرب 1947-1949. غادر فلسطين إلى سورية، بعد ملاحقته إثر اغتيال الملك عبد الله في عام 1951، وعمل في الترجمة.

طلب إلينا عبد القادر [الحسيني]، بعد عودتنا إلى [فلسطين، تزويده] بالمعلومات التالية عن اليهود والعرب في جميع أنحاء فلسطين:

[أولاً]: المستعمرات اليهودية والمدن؛ اسم المستعمرة، عدد سكانها، طرق المواصلات ووسائل النقل فيها، المعامل الصناعية، مع وصفها وصفاً دقيقاً، [ووصف أبنيتها]، وطريقة حراستها، وعدد سلاح الحراس، ومواعيد الحراسة فيها، طريقة الدفاع عن المستعمرة، عدد حراسها والخبراء، [تحصيناتها] من قلاع وأسلاك شائكة، المنظمات العسكرية فيها، وأماكن تدريبها، وأسماء [قاداتها]، ومخازن الأسلحة فيها، طريقة حماية المزارع، وعدد البيارات فيها، خارطة مفصلة لها، أسماء وجهائها ومساكنهم، أقرب قرية إليها، وصلة المستعمرة بالقرى المجاورة، موارد الرزق في المستعمرة، المراكز والدوائر الحكومية فيها.

هذا عن المستعمرات، أما القرى، فقد طلب أخذ المعلومات التالية عنها: اسم القرية، وموقعها، وعدد سكانها، عدد المسلحين فيها، ونوع أسلحتهم، عدد الذين خدموا الجندية فيها، و[أسماءهم]، الأشخاص [المعروفون] بصدق ووطنيتهم، عدد الدواوين فيها، عدد السيارات، وما هي وسائل النقل فيها، الأماكن الحصينة من جبالها وأراضيها، موجز عن تاريخ القرية في الجهاد [السابق]، مورد الرزق فيها، وحالة السكان المادية، عدد حمائل القرية، والحالة الداخلية فيها، أسماء الأفراد الذين يتعاملون مع اليهود [والبريطانيين]، خارطة القرية.

وبعد شهرين، عدت ومعني جميع التقارير والخرائط اللازمة⁽⁴⁸⁾. وهنا،

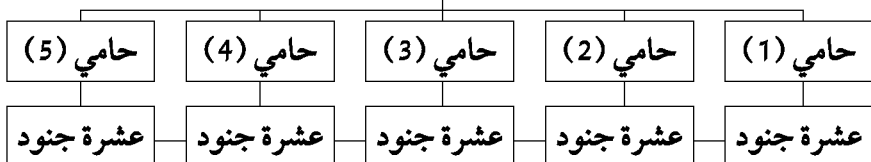
(47) ما أُدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط

عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 4.

(48) دَوْن طه الهاشمي في يومياته ليوم 2 كانون الأول/ديسمبر 1947: «أطلعت على المعلومات التي جُمعت بشأن الأهداف والمستعمرات اليهودية ورجال الإرهاب، وهو عمل يُشكرون عليه»: «يوميات طه الهاشمي»، مخطوط محفوظ في مركز المعلومات والتوثيق في مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت، يومية 2 كانون الأول/ديسمبر 1947. وتؤكد هذه المعلومة ما أشار إليه الريماوي من نجاحهم في جمع المعلومات وتزويد عبد القادر بها.

أخذ القائد الباسل يعدّ خطة، فقسّم القرى [إلى]: أ- القرى المحاطة باليهود. ب- القرى المحيطة باليهود. ج- القرى البعيدة عن الخطر. وأما المدن، فقد قسّمها إلى أحياء، ورمز لكل حيّ بحرف خاص. وقد رسم خطة الدفاع عن كل حيّ، وعدد [الحراس] اللازمين لحماية الحيّ، ونوع الأسلحة اللازمة، [وعين] مسؤولاً عن كل حيّ. كما عين شخصاً واحداً [لمسؤولية] الدفاع عن المدينة بأسرها، وسمّاه أمر الحامية. وأخذ [يتصل] في الرجال، ويتصل بالأشخاص، لتعيينهم مسؤولين، [وتزويدهم] بالسلح اللازم والمصاريف، فتم له بذلك تنظيم [الفرق] بقدر المستطاع، وذلك ليكون نواة [تكبر مع الوقت] والموجودات، وطلب إليهم إقامة الاستحكامات للدفاع. ومع أنّ [هذه الفرق] الصغيرة جداً لم تكن تعادل واحداً بالمئة من قوة [اليهود]، إلا أنّها كانت صالحة للبدء بالعمل، وحماية المناطق [المهددة بالخطر]، ونجحت نجاحاً كبيراً في الاحتفاظ والدفاع عن المناطق [المهاجمة] بعد [التقسيم]، وحالت دون تقدّم اليهود وسحقهم المقاومة [خلال] بضعة أيام، كما كان متوقعاً.

أمر الحامية



وقد وضع فرقة خاصة للدفاع الهجومي، ولنجدة الأحياء الأخرى، [وشبكة اتصال] تلفوني بين مختلف أمراء الحاميات. وإذا ما تحرّج [الموقف] كانت [النجادات] ترسل إلى المدينة من الخارج، وتبقى حتى يزول [الخطر] عنها]. أما القرى، فقد عين فيها مسؤولاً عن المسلّحين، [وتوزّع المسلّحون] فيها كما يلي:

1. القرى المحاطة باليهود: كل قواتها للدفاع [عنها]، وإرسال النجادات إليها من المناطق الأخرى، وإقامة استحكامات [قوية].

2. القرى المحيطة باليهود: يقسّم [المسلّحون فيها إلى قسمين]:

أ. القسم الأول للدفاع عنها، والبقاء ليلاً نهاراً في [المرتفعات] التي تسيطر على القرية بالتناوب.

ب. النصف الآخر للمرابطة في القرى المحاطة [باليهود].

3. القرى البعيدة: وُزِعَ [المسلّحون فيها] إلى ثلاثة أقسام:

أ. قسم للدفاع، وإحباط أي تسلل يهودي.

ب. قسم للمرابطة دائماً في مناطق الخطر في القرى الأخرى.

ج. القسم الثالث لنجدة المدن [والقرى التي] يهاجمها اليهود.

شكّل القوى التالية للقيام بالهجمات:

1. سرايا القوافل: للانقضاض على [القوافل] التي تسير بين المستعمرات والمدن، وقطع [المواصلات] والتنقلات العسكرية.

2. سرايا القناصة: لمحاصرة المستعمرات، واقتناص حراسها، وإغلاق راحة سكانها.

3. القوة الضاربة: لإنزال ضربات قوية باليهود ومستعمراتهم وقوافلهم في مختلف أنحاء البلاد. وهذه [القوة تتحرك بقوة] وبسرعة، وأول مهماتها الانتقام من اليهود وتسديد [الضربات] إليهم، والقيام بمهمات الدفاع المتحرك لتخفيف الضغط في حالة هجوم اليهود، لإرغام اليهود على عدم تركيز [قواتهم] في مكان واحد.

4. فرقة التدمير: وهي التي يُعهد إليها نفس الأهداف اليهودية، وإنزال ضربات قوية لشلّ الحياة الاقتصادية، وتدمير حصونهم وقلاعهم، [وضرب] معنويات السكان.

لَمَّا تم لعبد القادر [الحسيني] الحصول على [المعلومات] عن المدن والمستعمرات اليهودية، أقام [نظام] الأهداف، وهو ذلك النظام الذي لو أُتيح له [تنفيذه] لقضى على اليهود، وقلع الأحلام اليهودية من جذورها. [وحيل] بين عبد القادر وبين ما يشتهي، ويشتهي كل أصيل، فلقد أعدَّ عبد القادر نظامًا دقيقًا [من الأهداف]، ضمَّنه مئة وخمسة وستين هدفًا في مختلف أنحاء المدن والمستعمرات [اليهودية]، ورسم الخطة الكاملة لنسف كل هدف، وعيَّن بعد [أن درس] طريقة حمايته وموقعه دراسة دقيقة، وقدَّر له [كمية المتفجرات] اللازمة، وعدد الأشخاص اللازمين لنسفه، مع نوع [الأسلحة]، وخطة النسف. وعيَّن لكل هدف شخصًا [من] الذين يثق بقدرتهم، والذين يجاورون ذلك [الهدف]، [وإن] انتهى من الإعداد اللازم لذلك الهدف، وضع عليه [خريطة] تمكَّن من إعداد الرجال والسلاح والمتفجرات، والأشخاص المسؤولين عن جميع هذه [الأهداف]⁽⁵⁰⁾.

وكان يقصد، رحمه الله، تنفيذ الخطة بكل تكتم، حتى [يتم توصيل] الأسلحة والمتفجرات وتسليمها للمسؤولين. فبقي كل [مشترك ينتظر] الأوامر للتنفيذ في الوقت المعيَّن، وحالما تصدر الأوامر بتقسيم فلسطين، [أو يهاجم] اليهود، ففي يوم واحد يُنسف مئة وخمسة وستون هدفًا، [في جميع] أنحاء البلاد. ومما لا شك فيه، أنه لو تمت هذه الخطة [التي] ما كان تحقيقها سهلاً، لاستسلم اليهود، لأنَّ تلك المفاجأة [ستدمر] وتحطم معنوياتهم، وتشل الصناعة عندهم، [وكل] المصانع، بما فيها مصانع الأسلحة. وكيف لا ومن [ضمن هذه] الأهداف مشروع روتنبرغ الذي يدير المعامل [اليهودية في] مختلف أنحاء البلاد ويزوِّدها بالكهرباء، ومشاريع أخرى مختلفة!

(49) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 4. ويُنظر حديث الهاشمي في الهامش السابق الذي يؤكد وجود هكذا خطة. (50) بالغ الحاج أمين الحسيني في مذكراته في حديثه عن هذه الخطة، فكتب أنَّ الأهداف بلغت 3,600 هدف. ويتقاطع بقية حديث الحسيني عن هذه الخطة مع ما كتبه الريماوي، وكأنه كان يتخذ ما كتبه الريماوي مرجعًا: عبد الكريم العمر (إعداد)، مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1999)، ص 420.

يا لها من مفاجأة ستهزّ العالم اليهودي هزاً، وتقلعهم من جذورهم. وكم [كان سهلاً] تنفيذها، لأنّ الرجال [مستعدون]، والخبراء [جاهزون]، والمتفجرات مخزونة في مصر، فلا تنقص إلا [الأوامر] وتوصيل الأعدّة والمتفجرات إلى الأيدي [العاملة]. هيهات، فقد أبت السلطات العربية هذا الأمر، بالرغم من التوسل إلى زعماء الدول العربية، وإطلاعهم على هذه النوايا. [هذا...]. اليهود لم يكونوا بادئ ذي بدء قد استعدوا لمثل [هذه الضربة] القاضية، فكان الوصول إليهم سهلاً؛ لكل شخص [وكل هدف] في هذه الخطة.

وقد نجح رجال عبد القادر [الحسيني]، بعد [أن بنى] اليهود الاستحكامات، وعزّزوا وسائل الدفاع، [وأخذوا وسائل] الحيطة كلها. بالرغم من كل ذلك، وبالرغم من [اطلاعهم على] إنذار عبد القادر لهم، وتهديده إياهم [بعمليات] النسف هذه، والاحتياطات والتحصينات [الكثيرة]، تمكّن رجال عبد القادر من الدخول إلى قلب [تحصينات] ملكهم، فنسفوا جريدة الباليستين بوست، [وأعقبوها بنسف] رئاسة جيش الهاغاناه وشارع بن يهودا [.....]. وتوجّوها بنسف مقرّ الوكالة اليهودية، وقلب [الصهيونية] العالمية.

ولم تحلّ يقظة اليهود، ومساعدة الإنجليز لهم، [دون ذلك]، فنصوّر بعد ما عرفت من تدهور معنوياتهم، وسيرهم بالمظاهرات للاستسلام للعرب، [بتأثير هذه] الضربات، إن وقع مئة وخمس وستون ضربة [مثلها في] أنحاء البلاد! إنه يجب أن لا [يذهب] ذهنك إلا أنّ اليهود سيستسلمون، ولن تحول دون ذلك وعود أمريكا، وأمّنيات [بريطانيا]، وتهديدات الهاغاناه، فالشعب اليهودي [أضعف من أن يحتمل] مثل هذه الضربة ويتجاوزها، أو [يتمكّن من الصمود] والوقوف على رجليه بعدها، ولكن [شاءت] التقادير أن تكون الجامعة العربية والدول العربية الأداة المسخرة للحيلولة دون هزيمة [اليهود على أيدي] العرب [.....].

نعم، إنني أقول كل هذا، وقد شاهدت بأم عيني، وسمعت بأذني، وحضرت بنفسي، عبد القادر [الحسيني] يقدّم] خطته هذه، خطة الأهداف، إلى رجلين من كبار رجال [جامعة الدول العربية]، ويطلب إليهم المساعدة في تنفيذها، وتسهيل نقل [المتفجرات، لكن] لم يُعرّ لذلك اهتماماً، وبقيت الأسلحة

[مخزونة] في مصر، إلى أن احتل اليهود فلسطين، واستشهد [عبد القادر]، فأتلفتها السلطات وصادرتها. اللهم إنيها [كلمة] حق في جناية كبرى جناها ولاية الأمر في الجامعة والدول العربية، كل حلقة من حلقاتها [يتركز فيها الذل] والاستخذاء، ممثلة في أبشع صورها وأدق مراحلها. [وكان في] قلب [أروقة] خيانات الجامعة والزعماء، وشهد بأم عينه، وجرب بنفسه، خيانتهم الكبرى.

ثالثاً: حرب ضدّ التقسيم (تشرين الثاني/ نوفمبر - كانون الأول/ ديسمبر 1947)

أول الرصاص⁽⁵¹⁾

أخذ الضغط يشتد على حامية القدس قبيل إعلان مشروع التقسيم، وكان لا بد من نجدة حاميتها. وقد وصلت إليّ أوامر من عبد القادر [الحسيني] بوجود التحرك لدعم حامية القدس. فعقدت اجتماعاً للمسؤولين عن حلقات

(51) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (9)»، الدستور، 2/10/1972، ص 4. أما في مخطوط عبد القادر الحسيني، فاقصر حديث الريماوي على الآتي: «مرّت فترة وجيزة بين دخول عبد القادر الحسيني فلسطين، وبين إعلان هيئة الأمم مشروع التقسيم، وإقرار الجامعة العربية على مقاومته. وقد أوجس جميع الأهالي خيفةً من استيلاء اليهود على المدن العربية والقرى، إلا أنّ نواة الدفاع عن تلك المدن كانت موجودة، ولكنها لا تكاد تُذكر، لأنها لا تزيد في أيّ منها عن عشرات الأشخاص، ففي الحال اتصل بي القائد العام [عبد القادر الحسيني]، بصفتي مسؤولاً عن جميع أعمال الجهاد المقدس في داخل البلاد، وطلب جمع المسلّحين من الأهالي، والإحاطة بالقدس، مع تعزيز حمايتها. وبالفعل، عقدت اجتماعاً حضره جميع [مسلّحي] قضاء رام الله في بئرزيت، وبلغ عدد الحضور حوالي خمسمئة رجل، كان حوالي ثلاثمئة منهم مسلّحين. وفي الحال، اتصلت بلجنة الطوارئ بالقدس، وبالهيئة العربية العليا، لحضور الاجتماع، وأخذ متطوعين للدفاع عن مدينة القدس، فحضر السيد إميل الغوري عن الهيئة العربية، والسيد سامي الحسيني عن لجنة الطوارئ، وأخذت أربعين مسلّحاً لتوزيعهم على حاميات الدفاع في مدينة القدس، واحتفظت بالمسلّحين الآخرين، وأخذت أنجول في القرى المجاورة للقدس لنجدها، فيما إذا شنّ اليهود هجوماً قوياً عليها. وفي هذه الأثناء، تمكّنت من إحضار بعض الأسلحة من دمشق لتعزيز حاميات الدفاع في مدينة القدس، وكانت هذه الحاميات مقسمة إلى ست حاميات، وعلى رأس كل واحدة منها شخص مسؤول، وعلى رأس الجميع شخص واحد مسؤول»: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 5.

العمل السري في منطقة رام الله، وكان عددهم سبعة. عقدنا الاجتماع، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يلتقي فيها المسؤولون وجهًا لوجه، ويتعرفون على بعضهم البعض، قررنا عقد اجتماع للمسلّحين في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي في بئرزيت، واختارناها لتوسط موقعها، وسهولة الاتصال الهاتفي بها ومنها.

وفي صباح اليوم التالي، أخذ المسلّحون يتوافدون من مختلف الجهات: فحضر السيد محمد عبد الله الأسمر، على رأس أربعين مسلّحًا، من ترمسعيا؛ وأمين حميدة، على رأس ثلاثين مسلّحًا، من المزرعة الشرقية؛ ومحمد السلوادي⁽⁵²⁾، على رأس عدد من المسلّحين، من سلواد؛ وموسى شيبان، وجميل احويح، على رأس المسلّحين، من يبرود وعين يبرود؛ وعلي [فريح سمور أبو قرع]، وسميح [علي الشيخ يوسف أبو قرع]، على رأس المسلّحين، من المزرعة القبليّة. كما حضر عدد من المسلّحين من قرى سنجل وعبوين وعارورة ومزارع النوباني ودير السودان وعابود؛ وحضر عبد الفتاح [حسين بركات]⁽⁵³⁾، على رأس عدد من المسلّحين، من دير جرير؛ والعبد إسماعيل، على رأس عدد من المسلّحين، من أبو قش. كما حضر حوالي تسعين مسلّحًا من بيت ريما، وعدد منهم من قرية كوبر وأبو شخيدم وسردا. وبلغ العدد حوالي ثلاثمئة وخمسين مسلّحًا.

ولمّا تكامل العدد، خطبت فيهم، وحثتهم على الجهاد وللدفاع عن المدينة المقدسة والمسجد الأقصى. فتعلت أصوات الجهاد مرددة «الله

(52) محمد السلوادي (محمد عبد العزيز رية) (1921-1966): وُلد في بلدة سلواد قضاء رام الله. التحق بثورة 1936-1939، تحت إمرة القائد يوسف أبو درة، وشارك في عدد من معاركها. التحق خلال حرب 1947-1949 بحامية حيفا، مع عدد من أبناء سلواد الذين انتقلوا للقتال في معارك القدس، فاشتركوا في عدد من معاركها البارزة، كمعارك النبي صمويل ومعارك باب الواد. بعد الهزيمة، أسس مع صبحي ياسين تنظيم «طلائع الفدا لتحرير فلسطين»، ولاحقه النظام الأردني بسبب نشاطه هذا.

(53) عبد الفتاح حسين بركات (1922-): وُلد في قرية دير جرير شرقي رام الله. عمل في جهاز شرطة الحكومة الاستعمارية في فلسطين حتى عام 1945. خلال حرب 1947-1949 انضم إلى قوات الجهاد المقدس. بعد الحرب، غادر فلسطين في عام 1955، وعاد إليها في عام 1966، حيث عُيّن مختارًا لدير جرير بمساندة من قاسم الريماوي وزير الداخلية للشؤون البلدية والقروية.

أكبر، الله أكبر. لِنَمْتُ وَلِتَعِشْ القدس وتحيا فلسطين». وأعربوا عن رغبتهم في التوجه إلى القدس، فأمهلتهم قليلاً ريثما اتصل بالقدس.

ذهبت إلى كلية بثرزيت، واتصلت من مكتب المديرية المرحومة نبيهة ناصر بالسيد أحمد حلمي باشا، بالهيئة العربية العليا. وهنا، لا بد لي من أن أسجّل بكل أمانة أنّ هذا الرجل الأمين قد وقف طيلة الوقت يدافع عن القدس بكل قوة، ولم يغادرها إطلاقاً، بل إنه رفض مغادرة بيته بالبقعة الفوقا، بعد سقوط الحيّ في يد اليهود. وقد نقله المجاهدون بالقوة من بيته إلى البلدة القديمة، ورفض نقل أي متاع معه. وقد وقف إلى جانبه كذلك الدكتور حسين فخري الخالدي الذي لم يغادر القدس إطلاقاً، وبذل [كل ما] في استطاعته لدعم المجاهدين، وسأشير إلى ذلك في تسجيل الفترة التي تبعت معركة القسطل وموقفه الجريء.

أقول إنني اتصلت بأحمد حلمي باشا، وطلبت منه إرسال سيارات ومعتمدين تنقل المتطوعين لنجدة القدس. وبعد حوالي الساعة، حضر السيد إميل الغوري، والسيد شفيق اعويس الذي كان مسؤولاً عن حامية القطمون التي كانت تتعرض لخطر شديد. وقد تطوّع للذهاب معهما حوالي ستين مسلّحاً كانت أسلحتهم وذخيرتهم ملكاً لهم، وأذكر أنهم بقوا يدافعون عن القطمون بكل جرأة طيلة الثلاثة أشهر الأولى، ولما اشتد القتال، تسلّم مسؤولية الدفاع عن الحيّ الشهيد البطل إبراهيم أبو دية الذي يحاول كتاب يا قدس التقليل من شأنه، بل يوجّه إليه عبارات غير لائقة، فهو لا يذكر اسمه إلا ويردّفه بكلمة «راعي الغنم في الخليل⁽⁵⁴⁾»! مع أنه من أذكى الشباب، ويتمتع بجرأة نادرة، وله مكان محترم في قريته والقرى المجاورة.

وقد استشهد في الأسبوع الأول من وصول المتطوعين إلى القدس،

(54) استخدم الكتاب عبارة «Illiterate Shepherd»، بمعنى «الراعي الأمي» قبل الحديث عن

إبراهيم أبو دية، يُنظر: Dominique Lapierre & Larry Collins, *O Jerusalem* (London: Weidenfeld and Nicolson Ltd, 1972), p. 129.

المرحوم محمد عبد الرزاق البرغوثي⁽⁵⁵⁾ - بيت ريما، وجرح أبو منصور - عارورة. كما استشهد المرحوم سلطي إبراهيم من ترمسعي، بالقرب من سور بيت إميل الغوري، إذ إنه كان يقوم بحراسة البيت هو وزميل آخر، علمًا بأنه كان مطلوبًا للإنجليز منذ أيام الثورة الأولى، وكانوا يتعقبونه باستمرار، إلا أن حذره وشجاعته حالت دون إلقاء القبض عليه، إلى أن قتلته دوريتهم في القدس⁽⁵⁶⁾. وبمناسبة ذكر القطمون والدفاع عنه، فإنه لا بد لي من الإشارة إلى صمود وتعاون آل السكاكيني، وسكان الحيّ جميعًا، فعلى الرغم من تعرّضهم للرصاص، فقد صمدوا في بيوتهم ولم يغادروها.

كما أنّي أذكر ما قام به السيد خالد فوزي، من المتطوعين المصريين، في الدفاع عن الحيّ، وكان ضابطًا، وقد التقيت به في جمهورية الأورغواي بأميركا الجنوبية، أثناء قيامي بجولة إعلامية في دول أميركا اللاتينية، وكان سفيرًا للجمهورية العربية المتحدة آنذاك، وصحّني إلى الباراغواي، حيث قابلنا رئيس جمهوريةها، ووزراء الخارجية والإعلام، وقمنا بمقابلات تلفزيونية بمساعدته في كل من الأورغواي والباراغواي. كما قابلت في تلك الجولة السيد عصام، وكان يعمل مديرًا لمكتب الجامعة العربية بالأرجنتين. وكان يشغل في حرب فلسطين سنة 1948، مركز الملحق العسكري بالقنصلية المصرية، وعرفته منذ ذلك الوقت، وكان يقدّم لنا بعض المساعدات.

(55) محمد صالح عبد الرزاق/ البرغوثي (1913-1948): وُلد في قرية بيت ريما. التحق بحامية القدس بعد اندلاع معارك حرب 1947-1949، واستشهد في حيّ القطمون خلال هجوم قوات الهاغاناه الذي استهدف نسف فندق سميراميس في 5 كانون الثاني/يناير 1948. يُنظر: «شهادتنا»، الدفاع، 6/1/1948، ص 1؛ نصير أحمد الريماوي، « قصة الشهيد محمد صالح أحمد عبد الرزاق»، دنيا الوطن، 11/4/2016، شوهد في 2 تشرين الأول/أكتوبر 2018، في: <https://bit.ly/2vwLv0v>

(56) استشهد سلطي عودة عبد الهادي فجر 22 كانون الأول/ديسمبر 1947 برصاص دورية عسكرية بريطانية، أثناء حراسته وآخرين حيّ البقعة الفوقا: الدفاع، 23/12/1947، ص 4. وقد استفز ذكر الريماوي لهذه الحادثة إميل الغوري، واعتبرها من ضمن مساعي الريماوي للإساءة إليه، ويشير الغوري إلى أنّ منزله في حيّ الوعرية، وبعده تقريبًا كيلو متر واحد عن موضع استشهاد سلطي: إميل الغوري، إظهار حقائق وتفنيد أباطيل: ردود على مقالات السيد قاسم الريماوي (عمّان: د. ن.)، (1974)، ص 81.

أول السلاح لحرب النهاية: خطتنا للتسليح⁽⁵⁷⁾

> كانت خطتنا تركّز على شراء الأسلحة من أي مصدر كان، وكان علينا أن نبدأ بأنفسنا. وبالفعل، بدأنا عملية الشراء بتبرعات شخصية. وفي أول لقاء تم بيني وبين عبد القادر [الحسيني]، بعد رجوعه إلى القاهرة، بدأنا نبحث عن السلاح، فزُرنا مديرية الشرقية بمعرفة صديق اسمه حسن عبد المقصود، وكان يعمل محرراً بجريدة الأهرام، ومن أسرة مجلة الأنصار. اجتمعنا ببعض المزارعين، في عزة تملكها عائلة أباطة باشا. وعدونا بمساعدتنا في هذه العملية، وبالفعل، تم شراء كمية محدودة من السلاح بأثمان بخسة، إذ كانت البندقية تُباع بخمسة جنيهات. غادرت القاهرة، وعدت إليها بعد حوالي الشهر، فوجدت أنّ عملية الشراء قد تعثرت⁽⁵⁸⁾.

أعلمني عبد القادر [الحسيني] أنّ يهود مصر أخذوا يلاحقون هذه العملية، ويفسدونها بشتى الطرق. وقد حلّ بعبد القادر وبأسرته حادثان مؤلمان؛ أولهما، سرقة جميع محتويات بيته، ولم يبقَ إلا ملابس النوم. وثانيهما، إصابته، وجميع أفراد عائلته، بحادث تسمم، على إثر تناولهم الحليب من بائع اللبن الذي كان

(57) ما أدرج تحت هذا العنوان، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 5. أما الإضافات الواردة في المتن بين علامتي <> فمستلة من: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (8)»، ص 4.

(58) عن هذه المرحلة، كتب الريماوي في مخطوطه عن عبد القادر: «قلنا في حينه إنه ما وطأت قدم عبد القادر [الحسيني] مصر، حتى أخذ يشتري ما تصل إليه يده من سلاح. أما السلاح فإنّه متوفر بكثرة، لأنه من مخلفات الجيوش في الحرب الأخيرة، وأثمانه رخيصة جداً بالنسبة إلى ما هي عليه في أي قُطر آخر، لأنها لا تكلف سوى إرضاء ناقلها، ومصاريف النقل، وأجور العمال الناقلين. لقد بدأ عبد القادر منفرداً شراء بعض الأسلحة، ومن ماله الخاص. وكان يستعين ببعض إخوانه الذين كانوا يقدون إلى القطر المصري للسلام عليه، إلا أنه لما حضر سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني] من باريس، وعرض عليه المشروع وأقرّه، أخذت الهيئة العربية العليا تمدّ عبد القادر بالمال، فأخذ يطوف في أنحاء القطر المصري، فكنّت تراه إما في حلوان أو في الشرقية ففوس، أو بالقرب من الأهرام متجهاً لمقابلة بعض تجار الأسلحة. وكثيراً ما كانوا [يعدونّه] ولا [يَقُون]، ولكنه لم يضجر ولم يمل، بل واصل عمله ليلاً نهاراً. وأذكر أنني قضيت بجانبه شهرين كاملين، لم تستقر له قدم في بلد واحد طيلة هذه المدة. وقد لاحظ أنّ عدداً من التجار اليهود يتجولون لشراء الأسلحة ليهود فلسطين، فأخذ يطاردهم، وكثيراً ما لفت نظر المسؤولين من رجال الحكم إليهم»: المرجع نفسه، دفتر رقم 5.

يحضره كل صباح. ويرجع الفضل في إنقاذ حياتهم إلى جارهم الدكتور أنور، فلقد بذل جهداً جباراً، وقدم كل مساعدة لهم، حتى كتب الله لهم النجاة. كما أنّ صديق العائلة الأستاذ محمد علي الطاهر⁽⁵⁹⁾، قدّم كل مساعدة ممكنة. وقد انصرف شكنا إلى أنّ عملية التسميم قد تكون مدسوسة ومدبرة من اليهود، ولكن لم يكن لدينا الدليل المادي لإثبات صحة ذلك.

على أية حال، واصلنا المساعي إلى أن عاد المفتي [محمد أمين الحسيني] إلى القاهرة، وتم فتح مكتب الهيئة العربية بالقاهرة. وهنا، طلب منّي عبد القادر [الحسيني] إرسال أشخاص موثوقين لمساعدته في عملية شراء الأسلحة. عدت إلى القدس لأرسل إليه الأخ عبد الرحمن علي شحدة من لفتا، وهو صديق لابن العم صالح الريماوي الذي كان مسؤولاً عن التنظيم السري في ثورة سنة 1936. كما أرسلت، فيما بعد، السيدين محمد الشخامي [من] عين كارم، وحسن أحمد طه الريماوي، وبقياً مع عائلة عبد القادر، حتى بعد استشهاده لمدة طويلة⁽⁶⁰⁾.

(59) محمد علي الطاهر (1896-1974): وُلد في مدينة نابلس. تلقى تعليمه في الكتاب في مدينة يافا. انتقل إلى مصر عام 1912. أسس صحيفة الشورى في عام 1924. ساهم من خلال دار الشورى في الدعاية للقضية الفلسطينية ولثورتها الكبرى. بعد الهزيمة في حرب 1947-1949، وبسبب هجومه على بعض الدول العربية ودورها في الحرب، اعتُقل في مصر في عام 1949.

(60) دؤن الريماوي، إضافة إلى النص المذكور في المتن، نصّاً مختصراً في مخطوطه عن هذه المرحلة، فكتب: «وهكذا أخذ ينتقل من قرية إلى أخرى، ومن بلد إلى بلد، حتى تسوّى له جمع كمية من السلاح خزّنها في بيته. ولما أمدّته الهيئة بالمال اللازم، أخذ يتوسّع في مشروعات شراء الأسلحة. وقد استفاد المجاهد عبد [الرحمن] علي شحدة ليعاونه في شراء الأسلحة، فأخذ يتجوّل وإياه لهذا الغرض، حتى وضعوا النواة وتعرّفوا على مورّد السلاح الأول. وقد انتهر فرصة مجيء فرق الفتوة والنجادة إلى مصر، فاختار شخصين آخرين، هما: أبو رشيد [محمد رشيد أبو خضير] و[خليل أحمد] العوري، وألحقهما بقسم شراء الأسلحة. وقد تمكّن من شراء سيارة للسفر، فعوّل على الذهاب إلى مراكز الأسلحة الأصلية في الصحراء الغربية. وهكذا، تمكّن من إيجاد مراكز ثابتة في مرسى مطروح والضيعة والصحراء الغربية، ووضع كل شخص من معاونيه في مركز من تلك المراكز، فأخذ رجاله يشتغلون ليلاً ونهاراً، ويتنقلون بين العربان لجمع الأسلحة والذخائر، وكلما جمعوا شيئاً أرسل سيارة لإحضارها إلى مصر. وبهذه الوساطة، تمكّن من الحصول على مختلف أنواع الأسلحة بأزهد الأثمان. وهنا، رأى ضرورة بناء مخازن سرية في القاهرة، فبنى ثلاثة مخازن، أشرف هو بنفسه، وأحد أعوانه الموثوقين، على البناء، فكان ينقل الحجارة ويشغّل بنفسه حتى تم تجهيزه تماماً، وأخذ يخزّن كل ما يصله من سلاح في

تولى السيد عبد الرحمن أبو علي مسؤولية شراء الأسلحة⁽⁶¹⁾، وبذل جهودًا جبارة في هذا الشأن، وانتقل من قرية إلى قرية، إلى أن انتهى به المطاف إلى عشيرة أولاد علي، في الصحراء الغربية، حيث كانت تتكدّس الأسلحة بمختلف أنواعها من بقايا الحرب العالمية الثانية، وبأسعار رمزية. وقد انتدبت الهيئة كذلك السيد عبد الفتاح عبد الباسط التميمي أبو محمد، وهو من أهالي الخليل المقيمين في القاهرة، وخال الأستاذ عبد الخالق يغمور الذي كان يدرس الحقوق في القاهرة في ذلك الوقت. ولما توسّعت عملية شراء الأسلحة، استدعى أبو علي كلاً من محمد رشيد أبو اخضير [من] شعفاط، والمرحوم خليل أحمد العوري [من] بيت عور التحتا، فعملًا معًا طيلة الوقت. وقد أقمنا مخازن سرية للأسلحة في المطرية، وعين شمس، وعزبة النخل، وحلمية الزيتون.

[.....] أريد أن أشير إلى حادثة مثيرة، فلقد اصطدم أبو علي برجال الحدود من الجيش المصري، وأخيرًا قابل قائد الصحراء الغربية، وهو اللواء محمد نجيب - الرئيس السابق للجمهورية - فقال له: «إنك تتاجر بهذه الأسلحة». ولكن لما كشف له عن هويته، قال له: «إنني أعرف أنّ سيادتكم أسهمت في ثورة ليبيا، وأنك مجاهد أقدم منا». اطمأن إليه اللواء نجيب ورحّب به، وأعلمه أنه سيزور القائد عبد القادر الحسيني في بيته بحلمية الزيتون، وكان عبد القادر قد انتقل إلى الحلمية من شبرا، وسكن في فيلا سوسن، وهي قرينة المقدم السيد عبد الخالق، مساعد اللواء نجيب. قام اللواء نجيب بالزيارة فعلاً، وتحدّث مع عبد القادر طويلاً، وبلغ من تأثره بحركة الجهاد أنه طلب من عبد القادر أن يصلي

= هذه المخازن، واختار شخصاً رابعاً ليتولى الإشراف على عملية التخزين هذه. كل ذلك تم [.....] قبل بداية الحركات»: المرجع نفسه، دفتر رقم 5.

(61) عبد الرحمن علي: من قرية لفتا قضاء القدس. اشترك في ثورة 1936-1939. انتقل، في شباط/فبراير 1947، للعمل مع عبد القادر الحسيني في شراء السلاح من مصر استعداداً للحرب، ثم اشترى السلاح لصالح اللجنة العسكرية العربية، بعد تولي صبحي الخضراء، ممثل فلسطين في اللجنة، مسؤولية شراء السلاح. يُنظر شهادته عن هذه المرحلة في: عبد الرحمن علي وعبد الله مهنا، «من مذكرات 1947-1948: هكذا كنّا نجمع السلاح»، شؤون فلسطينية، العدد 21 (أيار/مايو 1973)، ص 108-118.

بالحاضرين ركعتين للتبريك والدعاء، فقام عبد القادر وتوضأ وأمّ الجميع، ومنهم اللواء نجيب، ودعا إلى الله أن يوفّق المجاهدين ويحقق آمالهم⁽⁶²⁾.

ولمّا كانت الأسلحة في حالة غير جيدة، لأنّها من مخلفات الجيوش، فقد استقدم بعض الخبراء لتنظيفها وتصليحها، فبذلك تم له تجهيز كميات صالحة منها. وقد استمرت هذه العمليات بشكل قوي، حتى أنّ معظم الأسلحة التي دخلت فلسطين، كانت طيلة مدة الحرب⁽⁶³⁾ من مشتروات الصحراء الغربية. ومع أنّ هذه الأسلحة لم تكن في حالة جيدة، إلا أنّها كانت رخيصة جدًّا ويمكن الاستفادة منها، خاصة المتفجرات. وقد تمكّن القائمون على أمر الشراء من تخزين كميات كبيرة منها بأرخص الأثمان. وهكذا، تم لعبد القادر [الحسيني] إعداد كميات لا بأس بها من الأسلحة.

الواجب الأول: تخزين السلاح⁽⁶⁴⁾

هذا من ناحية شراء الأسلحة من مصر، ولكن كان علينا إلى جانب ذلك واجبان آخران مهمان، وهما: أولاً، نقل السلاح من مصر إلى فلسطين. وثانياً،

(62) إضافة إلى ذلك، استطرد الريماوي في حديثه عن محمد نجيب في مقالته، فكتب: «أذكر كذلك أنه حينما انتهى به المطاف - بعد توقيع اتفاقية رودس - بالسكن بجوار عائلة الشهيد بحلمية الزيتون، ذهبت وأبو علي ومحمد الشخامي لإحضار أبناء الشهيد موسى وفيصل وغازي من مدرسة الخليفة المأمون بمصر الجديدة، وإذا باللواء نجيب قادم في سيارة عسكرية لأخذ أبنائه الذين كانوا يدرسون بنفس المدرسة، فما أن رأى سيارتنا حتى نزل من سيارته وسلّم علينا، ورحّب بنا كثيراً، وأخذ يترحم على الشهيد ويذكر بطولاته، وكال الشئام على الأمة العربية والحكام العرب، وتحدّث عن معركة فلسطين، وعن الفساد في مصر، وكان يتوعد ويتهدد»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (8)»، ص 4.

(63) كتب الريماوي أول الأمر «طيلة هذه الـ»، لكنه حذفها لتصير كما ذكر في النص «طيلة مدة الحرب». وبمراجعة تفصيلية لمصادر السلاح الذي دخل إلى فلسطين، فإنّ مصدر السلاح الرئيس كان ما ورّده للجنة العسكرية العربية، وليس السلاح المُشترى من الهيئة العربية العليا، علماً أنّ بعض سلاح اللجنة العسكرية العربية كان أيضاً من مخلفات الحرب العالمية الثانية. وبهذا فإنّ عبارة الريماوي المحذوفة، والتي كان من الممكن أن تكون «طيلة هذه المدة من الحرب»، والحديث عن بواكيرها، كانت ستكون أدق من العبارة التي أثبتتها الريماوي.

(64) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: المرجع نفسه،

تخزين هذا السلاح في مخازن سرية، إلى حين الحاجة. ولتحقيق الواجب الثاني، طلبت من المسؤولين عن العمل السري إقامة مخازن سرية، كل في منطقته. وبالفعل تم ذلك، فأقام في القدس كل من المجاهدين المرحومين حافظ بركات وصبحي أبوغربية مخزنًا سرّيًا. وأقام السيدان المرحومان خليل منون وعبد الله سمرين مخزنًا في عين كارم. وأقيمت خمسة مخازن في لواء رام الله، منها اثنان أقامهما المرحومان موسى شيبان ومحمود جميل الحسيني⁽⁶⁵⁾. كما أقام القائد الشهيد إبراهيم أبو دية مخزنًا رئيسيًا في قرية صوريف - لواء الخليل. وكان هؤلاء جميعًا يتصلون بي فرادى، واتصل بدوري بعبد القادر [الحسيني].

ولتحقيق الواجب الأول، وهو تهريب السلاح من مصر إلى فلسطين، فقد اتفقنا في بداية الأمر مع شباب وطني من عشيرة الترابين - بئر السبع، وهو الشيخ «ع» رحمه الله⁽⁶⁶⁾. وكنت في القاهرة آنذاك، وطلب منه عبد القادر

(65) محمود جميل الحسيني (1923-1948): وُلد في القدس. تخرّج في كلية روضة المعارف، وعمل فيها مدرسًا. كان قائدًا لحامية حيّ الشيخ جرّاح ومنطقة وادي الجوز. استشهد في حيّ الشيخ جرّاح في القدس، في 8 كانون الثاني/يناير 1948، بعد إصابته برصاص أحد رجال الشرطة العرب. كان والده مقيمًا في مزرعته في عين سينا التي اتخذها عبد القادر الحسيني ملجأً ومستودعًا لبعض سلاحه.

(66) استطرد الريماوي في مقالته عند الحديث عن الشيخ «ع»، فكتب: «أذكر أنّ السيد موسى الصوراني حضر من غزة خصيصًا للاحتجاج إلى المفتي [محمد أمين الحسيني]، لإبعاد السيد «ع» عن نقل السلاح، ولكن لما عرف الحقيقة سكت ولامه على ذلك. وقد رويت هذه الواقعة، لا بقصد النيل من سمعة أحد، ولا من جهاد الأخ المرحوم السيد «ع»، فقد كان من أنشط الشباب وأذكاهم، وتُعتبر حياته سلسلة من الجهاد المتواصل، وقضى نحبّه مدافعًا عن أمته وبلاده، ولكنها الحقيقة التي لا أملك إلا تسجيلها»: المرجع نفسه، ص 4.

وأغلب الظن أنّ المقصود الشيخ عبد الله أبو ستة، إذ أثبت الريماوي في مخطوطه أنّ الشيخ فريح هو المصدر، والشيخ عبد الله أبو ستة، والسيد إبراهيم أبو دية، أسهموا في نقل السلاح إلى المخزن العام في قرية صوريف، ويسكت الريماوي في مخطوطه عن ذكر ما أثبتته في مقاله من إشارة حول الشيخ «ع»، ويقتصر على الإشارة إلى جهده في نقل السلاح.

أما أبو ستة، فهو عبد الله موسى أبو ستة (1914-1970)، ولد في قرية معين أبو ستة قضاء بئر السبع. تلقى تعليمه في كلية الروضة في القدس. شارك في ثورة 1936-1939، وبعد الثورة، خرج إلى مصر، قبل أن يعود إلى فلسطين عام 1942. شارك بدور قيادي في معارك حرب 1947-1949 في الجبهة =

[الحسيني] تسليم السلاح إليّ في القدس، واتفقنا على موعد لذلك، ولكن الشحنة لم تصل في الوقت المحدد، وحضر الأخ «ع» إلى القدس، ليعلمني أن أفراد عشيرته أبوا إلا أن يتسلّحوا هم بالأسلحة، لأنهم بحاجة إليها. فقلت له: «لكنّ هذه الأسلحة مخصصة للدفاع عن القدس». فقال إنه لا يملك شيئاً من الأمر. وبالطبع ذهبت إلى القاهرة، وتم استبدال الشخص المذكور بالشهيد إبراهيم أبو دية⁽⁶⁷⁾. ولمّا بدأت عمليات الجهاد، تولى هذه المهمة السيدان

= الجنوبية. لجأ إلى قطاع غزة بعد الحرب وشارك في الحياة السياسية في القطاع. كما ساهم في إسناد العمل العسكري الفدائي المبكر مطلع الخمسينيات. عُيّن مديراً لمكتب منظمة التحرير في قطر، قبل أن يلتحق بمنظمة التحرير في الأردن مسؤولاً عن التنظيم الشعبي. قُتل في جرش في تشرين الأول/أكتوبر 1970.

(67) يؤكد حديث الريماوي في ما ورد أعلاه عن نقل السلاح وخزونه، قبل كانون الأول/ديسمبر 1947، ما سجّله طه الهاشمي في يومياته ليوم 2 كانون الأول/ديسمبر 1947. فبعد اجتماعه مع الحاج أمين الحسيني، بصحبة محمد عزة دروزة ومعين الماضي، كانت شكواه من عدم معرفة اللجنة العسكرية بكمية السلاح الذي أدخلته الهيئة العربية العليا إلى فلسطين. على إثر ذلك، كما يبدو، استدعي عبد القادر الحسيني بالمعلومات، فكتب الهاشمي: «وأخيراً، أتى عبد القادر الحسيني بجدول يحتوي على عدد السلاح الذي دخل فلسطين بمعرفة المفتي [محمد أمين الحسيني]، وهو موزّع على بعض المواقع والأشخاص الرمزيين؛ فلدى شخص رمز 'د' مثلاً 120 بندقية، وغير ذلك. وظهر من الجدول أنّ السلاح الداخِل ما يلي: [...] أربعمئة بندقية، 141 تومي، و27 رشاشة، 170 مسدساً، 1 مدفع هاون [...]، 1 مدفع ضدّ الطائرات، 2,572 قنبلة [...]»: «يوميات طه الهاشمي»، مخطوط، يومية 2 كانون الأول/ديسمبر 1947.

لكنّ قاسم الريماوي، عندما تحدث في مقالاته عن كمية السلاح المدخلة إلى فلسطين، أشار أولاً إلى أنهم لم يستطيعوا نقل المتفجرات والأسلحة التي كانت مخزنة في القاهرة وضواحيها، استعداداً لتنفيذ خطة الأهداف مع إعلان التقسيم، وعلل ذلك بعدم وفاء الساسة العرب بوعودهم التي قُطعت في مؤتمر عاليه في لبنان، مؤكداً أنه لو تم ذلك لتبدلت الصورة: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (9)»، ص 4. وأضاف في موضع آخر: «عندما بدأت عمليات إطلاق النار والمفاوضات الخفيفة بين العرب واليهود، إبان إعلان مشروع التقسيم، كادت المدينة تكون خالية من السلاح، فلم نستطع إلا إحضار كميات محدودة من السلاح، بسبب عدم تسهيل مهمة النقل من جهة، وبسبب تشدد السلطات البريطانية في فلسطين من جهة أخرى. وقد طفق القرويون يبحثون عن السلاح في كل ركن وناحية، وباعوا الغالي والتمين من أجل الحصول عليه بأعلى الأسعار»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (8)»، ص 4. وسبق ذلك كله ما دوّته الريماوي في مخطوطه: «اعترت عبد القادر [الحسيني] عقبه كأداء، وهي كيفية نقل الأسلحة والمتفجرات إلى فلسطين. وبالرغم من محاولاته مع رجال الجامعة المسؤولين، فإنّ أعماله باءت بالفشل، فلم يستطع نقل ما يحتاجه من المتفجرات والأسلحة قبل إعلان حالة الجهاد، ولو أُتيح له نقل المتفجرات فقط، لاختلقت النتائج الحاسمة للمعركة بكاملها، ولتغيّر وجه القتال، ولكن الحكومة المصرية، وكان النقراشي باشا على رأسها، لم تسهّل ولم تسمح بنقل السلاح قبل بدء الحوادث. وهكذا، أوقف الشحن في طريق تنفيذ خطة الأهداف التي رسمها القائد الباسل، إلا أنه تمكّن بواسطة بعض =

خليل منون وعبد الله سميرين، وتولى كاتب هذه السطور الإشراف على نقل شحنة واحدة منها إلى القدس، سأذكر شيئاً عنها [لاحقاً].

الواجب الثاني: نقل السلاح⁽⁶⁸⁾

كانت البلاد، [لحظة إقرار مشروع التقسيم]، في حاجة ماسة إلى السلاح، فوزّعت اللجنة العسكرية [العربية] بعض الأسلحة إلى مختلف المناطق. وقد عُهد إليّ نقل مخصصات منطقة القدس، فاستلمت الشحنة الأولى من دمشق، وتمكّنت من إيصالها إلى القدس عن طريق طبريا والعمقولة وجنين، ماراً بعدد من المستعمرات اليهودية، ومتخطياً مخافر الجمارك بين الحدود السورية والفلسطينية، بنقلها على ظهور الجمال. وكانت هذه الشحنة عبارة عن خمس وأربعين بندقية ألمانية مع ذخيرتها. وقد شاءت التقادير أن لا يعترضها الحرس اليهودي.

وقد عدت مرة ثانية لنقل الشحنة الأخرى من سوريا، وهي مئة بندقية، فسلكت الطريق نفسه، وأخفيت الأسلحة بالبرتقال. وهكذا، تمكّنت من إيصال بعض الأسلحة إلى مدينة القدس، وقد كانت أحوج ما تحتاج إليه في تلك الآونة، [وهنا تفصيل عملية نقل السلاح هذه].

نقل السلاح عبر طبريا⁽⁶⁹⁾

>كنا مجموعة من الأصدقاء ننزل في فندق بسيط متواضع في دمشق، وهو فندق الجامعة العربية، وكلنا، أو جلنا، حضر إلى دمشق جرياً وراء السلاح

= رؤساء العشائر من تهريب كميات صغيرة من الأسلحة الخفيفة. وقد تعهد عملية التهريب هذه بعض أعوانه، مثل الشيخ فريح المصدر، والشيخ عبد الله أبو ستة، والسيد إبراهيم أبو دية. وقد نقلوها، حيث وضعوها في المخزن العام في قرية صوريف: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 5. (68) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 5.

(69) ما أدرج تحت هذا العنوان، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 5. أما الإضافات الواردة في المتن بين علامتي <> فمستلة من: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (11)»، ص 4.

الذي طفق الناس من مختلف البلاد والقرى يبحثون عنه في كل مكان، وبأغلى الأسعار، فقد وجد الشعب نفسه أعزل من السلاح في مواجهة عدو لئيم غادر، لا همّ له إلا تشريده والقضاء عليه، ليحلّ محله في وطنه ووطن آبائه وأجداده الأولين.

كان حديثنا يدور حول السلاح وأسعاره، والقصاص المختلفة عنه وحوله؛ فهذا الشيخ محمد الصالح الغزاوي يحدثنا عن سكان إحدى المدن العربية الكبيرة، ولا يشير إليهم إلا بـ «يهود العرب»! وكان رحمه الله من أركان الحركة الوطنية في الأغوار ومنطقة بيسان، وكانت تربطنا به صداقة وأخوة وجهاد طويل، وله باع طويل ومواقف تستحق الإكبار والتقدير. أما الأخ المجاهد الشهيد السيد سرور [برهم]⁽⁷⁰⁾، رحمه الله، فيحدثنا عن حيفا ومنطقتها، وكان مسؤولاً عن التنظيم السري للجهاد المقدس، هو ونفر من إخوانه القساميين. أما الأخ الدكتور رفعت عودة⁽⁷¹⁾، وشقيقه الأستاذ مصطفى⁽⁷²⁾، فقد كانا منهمكين في البحث عن السلاح، وكانا على استعداد لشراء ما تيسر منه بأي ثمن لتسليح أبناء عشيرتهم، وأهالي قريتهم بديا، والقرى المجاورة بلواء نابلس.

(70) سرور برهم (1903-1948): ولد في حيفا. التحق مبكراً في صفوف الثورة الفلسطينية ضدّ المستعمر البريطاني، ونشط في منظمة الكف الأسود. عمل خلال الأربعينيات في شبكة السكك الحديدية في فلسطين، ورئيساً للعمال في شركة فورمن في ميناء حيفا. كان أحد أبرز القادة المؤسسين لحامية مدينة حيفا. استشهد في اشتباك مسلّح مع كمين صهيوني استهدف قافلة إمداد لمدينة حيفا، بعد قدومها من سورية بمعية قائد الحامية محمد الحنيطي وعدد من كوادرها، في 17 آذار/ مارس 1948.

(71) رفعت محمود عودة (1911-1988): وُلد في قرية بديا. درس في المدرسة الصلاحية في نابلس، درس الطب مدة سنتين في المعهد الطبي في دمشق، واستكمل دراسة الطب العام في إيطاليا. عاد إلى فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية، وافتتح عيادته في قلقيلية، وبلدته بديا. نشط في حرب 1947-1949، وكان على علاقة جيدة مع القوات العراقية التي اتخذت من قرية كفر قاسم مستقراً لها. بعد الهزيمة، توجه، في عام 1949، للتخصص في طب العيون في إيطاليا. شغل عضوية المجلس الوطني الفلسطيني، والمجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وافتتح أول سفارة لفلسطين في الجزائر في عام 1965.

(72) مصطفى محمود عودة (1917-1977): وُلد في قرية بديا. تخرّج في الكلية العربية، وعمل مدرساً في جنين، ثم في دار المعلمين في بيت حنينا. بعد الهزيمة في الحرب، درس الحقوق في سورية، ليعود إلى ممارسة مهنة المحاماة في نابلس في عام 1956.

وأذكر أنني ذهبت والدكتور رفعت إلى قرى جبل لبنان، بالقرب من بحمدون وحمانا، علّه يستطيع، بمعرفة أصدقاء له في تلك المنطقة، من الحصول على شيء من السلاح. فلم نتوفّق، وعدنا في اليوم التالي إلى دمشق.

كانت هناك شحنتان من الأسلحة؛ إحداهما معدّة للمجاهدين في حيفا، والأخرى لخدمة القدس. أما الشحنة الأولى، فقد تسلّمها الأخ سرور [برهم]، وقد خرج عائداً إلى حيفا، [فهاجمه] الحراس في إحدى المستعمرات القريبة من المدينة. فلمّا أيقن أنهم لا محالة مستولون على الأسلحة، عمد إلى تفجير السيارة، وكان فيها سلاح وديناميت وذخيرة، فقضت عليه وعلى الحراس اليهود، وهدمت الأبنية المجاورة. رحمك الله يا أخي سرور، فقد عشت مجاهداً، ومثّ بطلاً شهيداً⁽⁷³⁾.

أما شحنة القدس، فقد اتفقنا على أن نقلها عبر بحيرة طبريا إلى المدينة المقدسة، وقد تعهد الأخ محمد سليم أبو لبن بتزويدنا بالدليل من منطقة الجولان. وكان لا بد لي من الاستعانة بعدد من الشبان ليتولوا نقلها على ظهور الجمال إلى الشاطئ الشمالي للبحيرة، أو النهر الموصل إليها، ومن ثم تُنقل بالقوارب الصغيرة إلى الشاطئ الجنوبي في فلسطين. اتصلت بالمسؤول عن

(73) يظهر أنّ الرماوي خلط بين عملية جلب السلاح هذه وبين عملية أخرى، فوفقاً لرواية الرماوي، فإنّ عملية نقل السلاح التي يصفها تمت في كانون الأول/ديسمبر 1947، وقبل دخول عبد القادر الحسيني إلى فلسطين. أما سرور برهم، فإنّ استشاده وأربعة عشر شخصاً من كوادر حامية حيفا وقادتها، بعد اعتراض قافلتهم بين عكا وحيفا، كان في 17 آذار/مارس 1948، أي بعد أشهر من عملية نقل السلاح التي تحدث عنها الرماوي. للمزيد عن اعتراض الصهاينة لقافلة سلاح حيفا، وآثارها التالية على معارك المدينة، يُنظر: «قافلة من الشهداء زفتها حيفا في أحد مواكب المجد يوم أمس»، فلسطين، 19/3/1948، ص 2؛ رشيد الحاج إبراهيم، الدفاع عن حيفا وقضية فلسطين: مذكرات رشيد الحاج إبراهيم، 1891-1953 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2005)، ص 88-90؛ عارف العارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947-1949، الجزء الثاني، من بدء الهدنة الأولى 11/6/1948 إلى اتفاقيات الهدنة الدائمة بين الدول العربية وإسرائيل شباط/فبراير - تموز/يوليو 1949، مج 1 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012)، ص 208-209؛ سلوتسكي، مج 2، ص 1386. ويُنظر أيضاً: Uri Milstein, *History of Israel's War of Independence, Vol. 4: Out of Crisis Came Decision*, Alan Sacks (trans.), (Lanham: University Press of America, 1998), pp. 8-10.

معسكر قطنه⁽⁷⁴⁾، حيث كان عدد من الشبان من أقاربي يتدربون، وطلبت إرسال أربعة منهم. وبالفعل، حضروا إلى الفندق مساء ذلك اليوم، وهم: حسين أحمد طه، وشقيقه رفيق، ومحمود يوسف علي، وعبد العزيز محمد ياسين. وقد حدث أن أُطلقت صفارات الإنذار من الغارات الجوية، وأُطفئت الأنوار، ومُنع التجول في تلك الليلة.

ولكن ذلك لم يمنعنا من تكميم خطتنا، فغادرنا المدينة قبيل طلوع الفجر. وقد رافقني، بالإضافة إلى الشبان الأربعة والدليل، الدكتور رفعت عودة، وفريد فخر الدين، وهو من رجال الحزب العربي بيسان، وقد شغل منصب ضابط في إدارة قيادة الجهاد المقدس في بئرزيت. سرنا بسيارتين صغيرتين إلى مقربة من الحدود السورية - الفلسطينية وهناك افترقنا؛ الشبان الأربعة والدليل ولّوا وجوههم تجاه المكان الذي حملوا منه السلاح، والدكتور رفعت عودة وفريد وكتب هذه السطور اجتزنا الحدود، وتوجهنا إلى طبريا، إلى بيت الأخ صدقي بك الطبري⁽⁷⁵⁾، وهو من رجال الحركة الوطنية، وتمتع وعائلته بنفوذ واسع، ومن ذوي الأملاك الكبيرة في تلك المنطقة.

سألنا عن البيت، فدلّتنا سيدة في منتصف العمر، وكم كانت دهشتنا كبيرة لما عرفنا أنّ السيدة تلك كانت يهودية. والحقيقة أنّ الاشتباكات لم تكن قد

(74) معسكر قطنه: معسكر للجيش السوري، قائم في منطقة قطنه، الواقعة جنوب غرب مدينة دمشق. تحوّل المعسكر، قبيل حرب 1947-1949 وخلالها، إلى معسكر تدريبي، أشرفت عليه اللجنة العسكرية العربية العليا، بدعم وإسناد سوري، وتدرّب فيه المتطوعون من أهل فلسطين والعرب والمسلمين، قبل انتقالهم إلى جبهات القتال ضمن صفوف جيش الإنقاذ، أو القوات المحلية الأخرى، مثل الجهاد المقدس.

(75) صدقي عبد السلام الطبري (1899-1994): وُلد في مدينة طبريا، ودرس فيها، ثم التحق في الجامعة الأمريكية في بيروت ليتحصل على إجازة في العلوم السياسية والاقتصاد في عام 1927. شارك في النشاط الوطني مبكراً، ومثّل طبريا في العديد من المؤتمرات الرئيسية. شغل رئاسة اللجنة القومية في طبريا المشكّلة قبيل ثورة 1936-1939، وأبعد إلى القدس بسبب نشاطه في اللجنة القومية. تسلّم إدارة البنك الزراعي، ثم عمل مديراً للبنك العربي وصندوق الأمة العربية. شغل عضوية اللجنة المركزية للحزب العربي، وكذلك رئاسة اللجنة القومية خلال حرب 1947-1949 التي تولت مسؤولية إدارة الدفاع عن المدينة حتى سقوطها في نيسان/أبريل 1948.

بدأت بعد في طبريا بشكل ملحوظ، وكانت الأحياء متداخلة في بعض المناطق، إلا أن الإنسان يلاحظ بوضوح أن كلاً من العرب واليهود أخذ يحتاط لنفسه، ويقيم المتاريس والحصون. وصلنا إلى فيلا الأخ صدقي، فوجدناها محاطة بعدد من المسلّحين. استقبلنا الرجل أكرم استقبال، وقضينا ليلة كريمة في ضيافته، وقد أعلمناه عن مهمتنا، وطلبنا منه أن يحضر إلينا سيارة شحن، و[سائقاً موثوقاً] من جماعته.

وفي الحال، حضر السائق والسيارة، فأعطيناه عشرة جنيهات، وطلبنا منه أن يشتري [برتقالاً] ليغطّي به السلاح، وطلبنا منه التوجه إلى المكان المتفق عليه لإحضار الشبان والسلاح. وبالفعل، ذهب إلى الموقع المعين، فوجد أن السلاح قد نُقل إلى الشاطئ بواسطة أربعة قوارب صغيرة، بعد أن نقله الشبان الأربعة على ظهور الجمال عبر هضبة الجولان. عاد السائق ومعه السيارة مغطاة بالبرتقال، وبصحبة الشبان الأربعة، فسرنا أمامهم؛ الدكتور رفعت [عودة]، وفريد [فخر الدين]، وكاتب هذه السطور، في سيارة صغيرة، ومررنا بعدد من المستعمرات اليهودية الواقعة بين طبريا وجنين. وكنا نمرّ من أمام الاستحكامات التي أقامها حرس المستعمرات على جانبي الطريق، ولكن شاءت قدرة الله أن لا يعترض سبيلنا أحد.

وكانت أخطر مستعمرة مررنا بها هي مستعمرة العفولة، فلقد صعد الحراس من البيارات المجاورة إلى الطريق العام، وعلمنا أن سيعترضون سبيل سيارة الشحن ويفتشوها، ولكنهم لم يفعلوا ذلك. وبالقرب من العفولة، مررنا بمعسكر الجيش العربي، فتنفسنا الصعداء، وسلّمنا عليهم، وواصلنا سيرنا إلى مدينة جنين. وقد وجدنا أن الطريق المؤدي إليها يمرّ بمركز الشرطة، وكان البريطانيون يشرفون عليه، ويفتشون السيارات المارة به، فتركنا الأسفلت، ومررنا بطريق فرعي ترابي يلتقي بالطريق المعبد على بُعد حوالي مئة متر من المركز، وبذلك تخطينا نقطة التفتيش، إلى أن وصلنا محطة البنزين التي يمتلكها السيد عبد العفو أمين - عضو اللجنة المركزية للحزب العربي - فما أن رأنا حتى أخذنا بالأحضان، وأصرّ على أن نزل في ضيافته. جلسنا أمام الكازية

على جانب الطريق، حيث تبادلنا بعض الأكل والمرطبات، وأطلعناه على ما نحمل، وقلنا له إننا نخشى أن الدورية البريطانية، لأنهم لا شك قد لاحظوا أننا تخطينا مركز البوليس. فضحك، وقال: «إنني أعرف كيف أضللهم. سيروا على بركة الله».

وقد علمت منه أنهم حضروا بالفعل بعد مغادرتنا المكان، وسألوا عن سيارة الشحن، فقال لهم إنها تحمل برتقالاً، وإنه يعرف صاحبها، وألح عليهم بوجوب تناول الشاي، وكان الجاويش البريطاني المسؤول عن الدورية صديقاً له، فلبى الدعوة، وأخذ يؤخرهم كلما حاولوا استئناف السير، فتارة يحضر الفواكه، وتارة يتأخر الشاي، وأخرى يقسم بأن يشربوا القهوة، وهكذا. أما نحن، فواصلنا سيرنا على طريق جنين - نابلس، وقبيل وصولنا إلى مركز شرطة سيلة الظهر، قابلتنا سيارة عسكرية قادمة من بعيد، فأسرعنا بسيارة التاكسي لمواجهتها، وطلبنا من سيارة الشحن أن تتأخر قليلاً، فإذا ما تعرّضت الدورية لنا، فعليها أن تغيّر اتجاهها وتمرّ عن طريق طوباس - الفارعة - نابلس فرام الله.

وكنا مسلّحين جميعاً، وقد كنا على استعداد للمواجهة المسلّحة إن اقتضى الأمر. وعندما قابلنا سيارة الدورية، كنا نقف إلى الجانب الأيمن من الطريق استعداداً للطوارئ، ولكنّ الدورية لم تعترض سبيلنا إطلاقاً ومرّت بسلام. واصلنا سيرنا إلى نابلس، ومنها إلى بئرزيت، فقرية أبو قوش، حيث يقع المخزن رقم 4، فأفرغنا حمولة السيارة فيه، وكانت تحتوي على مئة بندقية من الفرنسيات الطويل البيادي، وبعض البنادق الألمانية، وحوالي ستة صناديق مسدسات، فيها مئة و[عشرون] مسدساً، وثلاثين صندوق ذخيرة، وستة صناديق متفجرات وقنابل يدوية. وهنا، ودّعنا الدكتور رفعت عودة، لنتلقى به مرة أخرى في جولة المصالحة الوطنية [التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً].

أما الشحنة الثالثة، فقد طُلب إلّيّ المرور بها عبر الأراضي الأردنية، فكانت أول شحنة تمرّ من شرقي الأردن. وقد تمكّنت من تهريبها عبر الأردن بمساعدة بعض الأصدقاء، وكانت عبارة عن أربع وعشرين بندقية. هذا وكانت هذه الشحنات هي جميع ما استلمه السيد عبدالقادر الحسيني من اللجنة

العسكرية⁽⁷⁶⁾. ولمّا وصلت بالشحنة الثالثة، علمت أنّ عبد القادر قد دخل فلسطين، فهرعت إليه. [وهنا تفصيل شحنة السلاح الثالثة]:

شحنة سلاح للقدس، عبر شرق الأردن⁽⁷⁷⁾

اجتمعت بعدد من المسؤولين عن تنظيمات الجهاد المقدس بمدينة القدس، وكانوا يتذمرون جدًّا من قلة ما لديهم من سلاح، خاصة وأنّ المناوشات قد بدأت بين العرب واليهود، ويُبدي السكان العرب تخوفًا شديدًا من قلة السلاح، ومن التهويل في أخبار القوة العسكرية لدى الأعداء. قررت السفر إلى دمشق لمراجعة المسؤولين، وقد صدف وجود السيد [حنّا] العسّس في رام الله، فقلت له: «إنني ذاهب إلى دمشق». فقال: «وأنا على استعداد للذهاب معك في سيارتي الخاصة». اتفقنا وتوجهنا إلى دمشق عبر رأس الناقورة. وصلناها في حدود الساعة الحادية عشرة صباحًا، نزلنا في مدخل سوق الحميدية لتبديل بعض النقود، وإذا بي ألتقي صدفة بالسيد محمد سليم أبو لبن، من رجال الهيئة العربية العليا الموثوقين. تحدّثنا عن سبب الزيارة، فقال لي فجأة: «إنّ لدينا عددًا من البنادق والذخيرة، نريد إرسالها عبر شرق الأردن لنجسّ النبض. فإن توفقنا في ذلك، فإنّه أسهل علينا أن نرسلها عن هذا الطريق، بدل إرسالها عن طريق شمال فلسطين، حيث تكثّر المستعمرات اليهودية». فرحّبت بالفكرة، وقلت له: «إنني على استعداد لنقلها بنفسي».

غاب، وبعد حوالي الساعة، عاد إليّ ومعه شخص قصيرة القامة، أبيض اللون، قدّم نفسه إليّ باسم خالد كم الماظ - مدير مالية درعا - وقال: «إنّ خالد

(76) دؤن الريماوي في مخطوطه، وكذلك في مقالاته، رحلات أخرى جلب فيها السلاح. وتؤكد يوميات طه الهاشمي أنّ اللجنة العسكرية العربية زوّدت عبد القادر الحسيني وقواته بأسلحة أخرى، في مراحل تالية لدخوله فلسطين. كما زوّدت قوات حسن سلامة وبقية القوات داخل فلسطين، لكن كما يبدو، فإنّ الريماوي هنا يتحدث عن الأسلحة التي زُودوا بها قبل دخول عبد القادر الحسيني إلى فلسطين، كما سيبيّن من السياق التالي.

(77) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (10)»، الدستور، 9/10/1972، ص 4.

بك سيساعدك في مهمتك». ركبنا في سيارة السيد حنّا العسّس؛ خالد بك، وكاتب هذه السطور، وصاحب السيارة، وتوجهنا إلى درعا. وبعد أن اجتزنا «الشيخ مسكين»، عرّجنا في طريق يقع إلى يمين طريق درعا - دمشق من الجهة الجنوبية الغربية، حتى وصلنا إلى مرتفعات الجولان في مشارف القنيطرة، وهناك وجدنا معسكرًا للجيش السوري. نزلنا أمام خيمة كبيرة، وقد نُصبت أمامها يافطة مكتوب عليها العبارة التالية: «أرواحنا فداء فلسطين».

سَلّمنا على القائد الموجود فيها، واسمه السيد سامي الحناوي⁽⁷⁸⁾، وهو الذي قاد أحد الانقلابات العسكرية فيما بعد. سَلّمناه الأمر بتسليمتنا السلاح، وبعد أن قدّم الشاي، أمر بوضع ثلاث وعشرين بندقية فرنسية - بيادي، من النوع «الويل»، وثلاثة صناديق مقفولة من الذخيرة، يحتوي كل صندوق فيها على مئتين وخمسين مشطًا. ودّعناه وسرنا إلى درعا، وقبيل وصولنا إلى المدينة، بدأت سيارة العسّس تقطّع، وتغيّرت ملامح وجهه، فقلت لخالد بك: «إنّ الأخ حنّا مرتبط بموعد بدمشق، وسيارته بحاجة إلى تصليح. لذا، فإنّنا سنفرغ [حمولة] سيارته في سيارة أخرى ليعود هو إلى دمشق».

توجهنا إلى بيت خالد بك، وأفرغنا السلاح. وزوجته هي شقيقة حسني الزعيم، قائد الانقلاب الأول في سورية. أما ابنه، فهو الملازم إحسان [كم الماظ]⁽⁷⁹⁾ الذي كان أمرًا لمدرسة تدريب المتطوعين في قطنة، ولكن لما اشتد القتال ترك المدرسة، ودخل فلسطين على رأس فريق من قوة التدمير، واستشهد بعد أن قام بأعمال جلية، ولكنّ والدته لم تصدّق أنه استشهد، فأخذت تبحث

(78) «محمد سامي» حلمي الحناوي (1898-1950): وُلد في مدينة حلب. حارب في فلسطين خلال حرب 1947-1949. قاد الانقلاب الثاني في تاريخ سورية، والذي استهدف حسني الزعيم، وسرعان ما تم انقلاب أديب الشيشكلي عليه واعتقل. اغتيل في بيروت، بعد فترة قصيرة من الإفراج عنه.

(79) إحسان كم الماظ (؟-1948): استشهد في 30 أيار/ مايو 1948، في معركة جسر جانيا، وفقًا لنصي وزارة الدفاع السورية. دخل فلسطين للاشتراك في معاركها قبل دخول الجيوش العربية الرسمي، وكان له إسهام رئيس في معارك صفد قبل سقوطها. وينفي الباحث السوري الأستاذ محمد جمال باروت وجود أي صلة قرابة بين الزعيم وكم الماظ.

عنه في كل مكان، وقد حضرت إلى بثرزيت ورام الله لمراجعة هيئة الصليب الأحمر الدولية، علّها تعرف إن كان أسيرًا، أو تعرف شيئًا عنه.

بعد أن أفرغنا السلاح في بيت هذا الرجل الطيب الأمين الذي أصبح بيتة محطة للمجاهدين، يأوون إليه في حلّهم وترحالهم إلى درعا ومنها، ذهبنا سوية إلى بيت محافظ درعا، فرحّب بنا، وكان طويل القامة، عريض المنكبين، تبدو عليه علامات الجدّ والحزم. قدّمه إليّ خالد بك باسم عبد الكريم العائدي⁽⁸⁰⁾. رحّب بنا الرجل أيّما ترحيب، وفي الحال استدعى مدير أمن درعا واسمه السيد بهجت، وقال له: «اتصل بالجانب الأردني، واطلب مساعدة المسؤول عن الجمرک بصفة شخصية».

غاب بهجت وعاد ليقول إنه اتفق مع المسؤول عن مركز جمرک الرمثا بالموافقة على تسهيل مرور السيارة دون تفتيش بالمرة، وإنّهما اتفقا على أن تكون كلمة السر «الله بالخير»، يقولها الريماوي حالما مقابلة مأمور الجمرک. سرّنا ذلك، ولكنني طلبت للزيادة في الاحتياط أن ترسل الشحنة الأولى بسيارة أحد المهريين إلى عمّان، وبعد أن نظمتن بوصولها، أذهب أنا في السيارة الأخرى، دون أن يكون فيها شيء، حتى إذا ما غيّر المسؤول رأيه فإنّه لن يجد فيها شيئًا.

أحضرت السيارة المطلوبة، وطلبت من السائق أن يسلم السلاح إلى مثقال باشا الفايز في عمّان. ولم أكن قد اجتمعت به من قبل، بل إنني لم أكن قد دخلت الأردن قبل ذلك التاريخ. حمل الرجل السلاح وتوجه إلى عمّان عن طريق التهريب، أما أنا فبقيت ضيفًا على خالد بك إلى الساعة العاشرة مساءً،

(80) عبد الكريم عثمان العائدي (1903-1980): وُلد في دمشق. تخرّج طبيبًا للأسنان في المعهد الطبي العربي. شارك في الثورة السورية الكبرى، ولجأ على إثرها إلى الحجاز. بعد عودته إلى سورية، بدأ حياته الحزبية في صفوف الكتلة الوطنية، قبل أن يتركها ليسهم في تأسيس عصبة العمل القومي. اعتقلته سلطات الاستعمار الفرنسي لنشاطه السياسي أكثر من مرة، ونُفي من سورية. عُيّن، بعد جلاء الاستعمار الفرنسي، قائم مقام في مدينة دوما، ثم مديرًا للشرطة والأمن العام، فمحافظًا لمدينة درعا ثم لحمّة ثم لدير الزرو، ثم مديرًا للعشائر، وأخيرًا مفوضًا عامًا لمكتب مقاطعة إسرائيل في البلدان العربية التابع لجامعة الدول العربية.

حيث اعتقدت أنّ السيارة قد وصلت إلى عمّان. استأجرت سيارة أخرى، بمعرفة بهجت بك، وسرت إلى الرمثا. وعلى الحدود، أوقفني المسؤولون عن جوازات السفر، فلم أكن أحمل تأشيرة دخول، قلت لهم إنني صحفي، وإنني عائد من لبنان، وكنت أعطي أخبار مؤتمر الجامعة العربية بعاليه، وأبرزت لهم بطاقتي الصحفية. فاتصلوا بالمسؤولين في عمّان. وأخيرًا، قرروا إعطائي سمة دخول، على أن أتصل، حال وصولي إلى عمّان في اليوم التالي، بوزارة الداخلية أو المحافظ⁽⁸¹⁾.

انتقلت إلى جمرك الرمثا. قابلني المسؤول عن الجمرك، فبادرته قائلاً «الله بالخير»، فقال: «سيد ريمايوي». قلت: «نعم». قال: «أهلا بك». وعانقني وألح عليّ بوجوب تناول الشاي في مكتبه، وقال لي إنّ اسمه هو قاسم، وإنّه تلميذ لقريبي عبد الغني الريماوي الذي كان من الذين اشتهروا في الأردن في العشرينيات. تحدثنا طويلاً، ولم يقرب أحد من السيارة ولم تُفتح إطلاقاً، فعرفت أنّ الرجل صادق وأمين، ويمكن الاعتماد عليه.

واصلنا السير إلى عمّان، فوصلت إليها بعد منتصف الليل، ولم أجد سوى فندق في شارع السلط، كان اسمه على ما أظن بلاط الرشيد، ولا يوجد مكان فيه سوى كرسي مريح بجانب الدرج وحرام. قبلت ذلك، وقضيت بقية الليلة. وفي الصباح الباكر، توجهت إلى بيت مثقال باشا، بالقرب من موقف باصات الزرقاء السابق - طلعة الشابسوغ. وجدت ديوانه عامراً بالمراجعين، وبعد أن حضر، طلبت مقابلته على انفراد.

جلسنا في غرفة خاصة، وأعلمته عن السلاح، وأعطيته اسم السائق ورقم السيارة، فقال: «إنّه لم يراجعنا». استدعى ابنه عاكف، وكان يلبس اللباس الغربي، وعرفه عليّ، وطلب منه البحث عن السائق. عاد السيد عاكف ليعلّمنا أنّ السيارة موجودة، وأنّ السلاح فيها، وهي في الكراج. قلت للباشا:

(81) عقد مجلس جامعة الدول العربية مؤتمره الأبرز قبيل حرب فلسطين 1947-1949 في عاليه، في لبنان في 9 تشرين الثاني/أكتوبر 1947. وسيرد تفصيل بعض قراراته في موضع نال.

«المطلوب الآن هو أن تتكرم بمرافقتي إلى فلسطين، وأن نحمل السلاح في سيارتك الخاصة، لأنها لا تُفتش على الجسر». رحّب بالفكرة، وطلب من السيد عاكف نقل السلاح إلى سيارته الخاصة، ففعل ذلك، ولم نستطع تحميل صندوق واحد من الذخيرة، لضيق الصندوق الخلفي للسيارة، فتركناه بالدار.

ثم ذهبت من هناك لمقابلة المسؤولين، حسب طلب مركز الرمثا وغايات السيد سليمان النابلسي، ولا أعرف ماذا كانت وظيفته في ذلك الوقت، إلا أنني أذكر أنّ المكتب كان في طريق السلط، على بُعد قليل من نادي عمّان. قال الأخ سليمان: «ما هي مهمتك؟ وما هو سبب مجيئك إلى عمّان؟». فقلت له إنني صحفي أعمل مع جريدة الوحدة، وكنت في لبنان لتغطية أخبار اجتماعات مجلس الجامعة العربية، وعدت عن طريق شرقي الأردن لأنني أريد أن أتعرف على هذا الطريق الذي لم أسلكه من قبل. قال: «لو كنت أعلم أنّك لست من 'هادول الناس' (يعني المجاهدين)، لما سمحت لك بدخول البلاد». قلت له: «ولكنني قلت لك الحقيقة». فسكت وقال: «على أية حال هذا بلد كل عربي».

غادرت عمّان برفقة الشيخ مثقال [الفايز]، وبسيارته الخاصة، وأذكر أنّ إحدى عجلات السيارة صُربت في صويلح، فقام السائق بتبديلها، وحاولت أن أدفع ثمن الفردة الجديدة، فأبى الشيخ. وصلنا إلى جسر اللنبي، وما أن رآه المسؤولون حتى هبوا جميعاً لتحيته والترحيب به، وأظن أنّ أحد أبنائه أو أفراد عشيرته كان مع الحامية الموجودة هناك. وبعد أن شربنا القهوة ودّعناهم، دون أن يمدّ أحد يده على السيارة إطلاقاً. واصلنا سيرنا إلى رام الله، وأفرغنا الأسلحة في مخزن رقم 4، بالقرب منها. أما الشيخ فبقي في ضيافتنا، وقد قضى تلك الليلة سهراً مع صديقه الشخصي عوض الله إبراهيم الزيتاوي الذي كان يطرب لنكاته وأحاديثه، ثم انتقل إلى يافا وعاد منها إلى عمّان.

اتفقت مع المسؤولين في القدس أن يتم تسليمهم السلاح في بيت جماعة الإخوان المسلمين، الواقع بقرب ملعب الروضة بباب الساهرة، ملك إسماعيل بك الحسيني. وفي الوقت المحدد، توجهت سيارة بلا سلاح من رام الله إلى المكان المتفق عليه، وحالما وصلت، وإذا بقوة من الشرطة البريطانية تحاصر

الدار، وتفتش السيارة والدار، وتلقي القبض على بعض الموجودين وتحقق معهم. وبعد مرور ساعة على قيام السيارة الأولى، قامت السيارة الثانية، وكنت راكبًا فيها واثنين آخرين، هما «ع. أ» و«م. أ». وما أن وصلنا إلى جامع الشيخ جرّاح، وإذا بالشخص المتفق على وجوده يقف أمام مدخل الجامع، فعرفنا أنّ علينا أن نغيّر الاتجاه ولا نذهب إلى المكان المتفق عليه، وكان ذلك بناءً على الترتيب المسبق الذي اتفقنا عليه، وإشارة إلى وجود خطر في المكان المذكور. توجهنا إلى حيّ وادي الجوز، وإلى البيت الذي كنت أسكنه بالقرب من المتحف الفلسطيني. وهناك، تم تسليم البنادق والذخيرة إلى المسؤولين، بحضور عضوين عن اللجنة القومية.

نقل سلاح من مصر، ودور الإخوان المسلمين المصريين⁽⁸²⁾

في إحدى زياراتي للقاهرة، تسلّمت حوالي مئة بندقية من السيد مصطفى كامل الحسيني، وكان رئيسًا لقسم الأراضي في الهيئة العربية العليا، وانتقل في ذلك الوقت إلى مصر. تسلّمتها منه من مدينة الإسماعيلية، وقمت بنقلها إلى العريش. وأذكر أنني في العريش زرت المحافظ، ولا أذكر اسمه، وكان مربوع القامة، طلق المحيّا. أكرمني إكرامًا زائدًا، وتحدّث عن الجهاد حديثًا كله إيمان واندفاع وحيوية، وقد سهّل لنا كل الإجراءات. ولمّا وصلنا إلى بضعة كيلومترات إلى شمالي غزة، قابلنا قافلة الجهاد المقدس المخصصة لنقل السلاح، وكانت السيارات القادمة من مصر والجنوب تتوقف عند هذه النقطة ولا تستطيع اجتيازها، لوجود نقطة تفتيش بريطانية، أما السيارات القادمة من الشمال فممن السهل أن تعود.

قمنا بتفريغ حمولة السيارة، وتسلّمها المرحوم السيد عبد الله سمرين، وعاد بها ليسلّمها بدوره إلى المرحوم السيد موسى شعبان «م 4» من يبرود. وبعد ذلك، سلّمها السيد موسى إلى المسؤول عن «م 2» في بيت ريماء.

(82) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «بعد

كتاب يا قدس (9)»، ص 4.

ومن هناك، جاء المسؤولون عن حمايات القدس الستة، وهم السادة: بهجت أبو غربية، وحافظ بركات، وأبو حمدي [محمد سعيد] بركات⁽⁸³⁾، ومحمود جميل الحسيني، ورفيق اعويس، ومحمد عادل النجار⁽⁸⁴⁾. وتسلّموا البنادق، وكانت من النوع الألمانيّ الجيد جدًّا، وتم ذلك بحضوري، ولم تنقص المئة بندقية إلا [بندقيتين] كان حارس «م 4»، التابع للسيد أبو شعبان، قد أخذ واحدة منها، وشخص آخر اسمه مسعود الخطيب أخذ بندقية أخرى. هذه هي البنادق الجديدة الممتازة التي أعرف أنّ حامية القدس قد تسلّمتها من الهيئة بالقاهرة.

أما بقية الأسلحة فقد كانت تتولى القيادة نفسها إرسالها من مخازنها بالقاهرة إلى فلسطين، وقد كانت تتم في بداية الأمر بطريق التهريب. ولا بد لي هنا من الإشارة، عرفانًا بالجميل، إلى المساعدات الضخمة التي كان يقدمها نفر من الإخوان المسلمين. ولا يزال الكل يذكر قصة سيارة الجيب⁽⁸⁵⁾ التي أُلقي القبض فيها على الأخ السيد [محمود] الصباغ⁽⁸⁶⁾ وثمانية عشر شخصًا آخر،

(83) «محمد سعيد» عارف بركات (؟-1978): وُلد في مدينة الكرك، واستقر مع عائلته في القدس. التحق بثورة 1936-1939، واعتُقل فيها. تولى مسؤولية حامية حيّ الثوري في القدس خلال حرب 1947-1949، وأصيب في معاركها. توفي في عمّان.

(84) محمد عادل النجار (1921-؟): وُلد في القدس، وامتحن فيها مهنة الخياطة. شارك في ثورة 1936-1939، ولجأ إلى سورية خشية الاعتقال. بعد عودته إلى فلسطين تسلّم، خلال حرب 1947-1949، قيادة منطقة الشيخ جراح ووادي الجوز، بعد استشهاد القائد محمود الحسيني. كما قاد السرية الثانية من قوة الجهاد المقدس. غادر فلسطين عام 1949، بعد إنهاء قوة الجهاد المقدس، ولجأ إلى القاهرة.

(85) قضية السيارة الجيب: قضية نظرتها المحاكم المصرية، ضدّ جماعة الإخوان المسلمين، بعد اعتقال ثلاثة وثلاثين شخصًا من أفراد التنظيم الخاص «الجهاز العسكري السري الخاص بالجماعة»، في 15 تشرين الثاني/نوفمبر 1948، واكتشاف الأمن المصري لأرشيف التنظيم. وكان من أبرز الشهود في القضية الحاج أمين الحسيني الذي تحدث عن مشاركة الإخوان المسلمين في حرب فلسطين، وتسهيلهم لحركة الشهيد عبد القادر الحسيني ونشاطه لشراء السلاح في مصر. يُنظر هذه الشهادة: جمال البنا (تقديم)، من وثائق الإخوان المسلمين المجهولة، ج 3 (القاهرة: دار الفكر الإسلامي، 2009)، ص 171-177.

(86) محمود السيد خليل الصباغ (1918-2011): من مواليد هرية رزنة، إحدى قرى محافظة الشرقية في مصر. درس الفيزياء في كلية العلوم في عام 1938، والتحق أثناء دراسته بجماعة الإخوان المسلمين. تولى مسؤولية تأسيس ورئاسة مجموعة النظام الخاص للإخوان المسلمين في بور سعيد التي =

وبحيازتهم أسلحة مهربة كانت مخبأة بالسيارة. وقد حضرت بنفسه إحدى جلسات المحكمة، وشهد السيد عبد الرحمن علي شحدة في تلك الجلسة لصالحهم، وكان شاهد دفاع.

كما أنّ عددًا من الضباط الأحرار كان يتعاون تعاونًا وثيقًا معنا، ويساعد في تهريب السلاح بصورة سرية. ويشير المرحوم الرئيس [جمال] عبد الناصر إلى اجتماعه بالمفتي [محمد أمين الحسيني]، لبحث وتنظيم هذا الأمر في كتابه فلسفة الثورة، ويقول إنهما اختلفا منذ الاجتماع الأول⁽⁸⁷⁾. كما أنّ اللواء المرحوم صالح حرب باشا⁽⁸⁸⁾، رئيس عام جمعية الشبان المسلمين، وعضو البرلمان السيد محمد، ولا أذكر اسمه الأخير، مع أنّي زرت في بيته بالزيتونة مرتين، وهو ممتلئ وضخم الجثة، وبشوش جدًّا، فقد قدّم كل منهما مساعدات قيمة، وكانا يسهلان كل مشكلة تحدث مع الدولة أو البوليس.

كما أنّ السيد رشاد مهنا⁽⁸⁹⁾، الوصي السابق الذي عُيّن بعد طرد فاروق،

= عمل فيها رئيسًا لمحطة الأرصاد. خلال حرب 1947-1949، تولى مسؤولية التنسيق بين النظام الخاص والهيئة العربية العليا. كان من أبرز معتقلي قضية السيارة الجيب. يُنظر: محمود الصباغ، حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين (القاهرة: دار الاعتصام، 1989)؛ محمود الصباغ، التصويب الأمين لما نشره بعض القادة السابقين عن التنظيم الخاص للإخوان المسلمين (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، 1998).

(87) يُنظر: جمال عبد الناصر، فلسفة الثورة (القاهرة: دار المعارف، 1954)، ص 64.

(88) محمد صالح حرب باشا (1889-1968): وُلد في إحدى قرى محافظة أسوان في مصر. التحق بمدرسة خفر السواحل، وتخرّج فيها في عام 1903. ساهم في إسناد حركة الجهاد اللبية ضدّ المستعمر الإيطالي. لجأ إلى تركيا، ثم عاد إلى مصر، بعد عفو سعد زغلول عن المنفيين. شغل مناصب حكومية عدة، وعمل وزيرًا للدفاع بين عامي 1939 و1940. اختير، في عام 1940، لرئاسة جمعية الشبان المسلمين في مصر، وبقي في هذا المنصب حتى عام 1967.

(89) محمد رشاد مهنا (1909-1996): وُلد في مركز كوم حمادة مديرية البحيرة في مصر. التحق بالجيش المصري في سلاح المدفعية، ثم شغل مناصب عسكرية مختلفة في الجيش. ساهم في دعم الهيئة العربية العليا خلال الأشهر السابقة لحرب 1947-1949، واعتُقل في عام 1947 لفترة وجيزة، بتهمة التآمر على الملك فاروق. شارك في انقلاب تموز/يوليو 1952، وكان ممثل الضباط في أول حكومة مصرية، وعُيّن عضوًا في مجلس الوصاية على عرش الملك أحمد فؤاد، لكنّه سرعان ما أُقيل من مناصبه، واعتُقل ليُحكم عليه بالسجن المؤبد، بتهمة السعي للانقلاب على نظام الحكم الجديد.

كان يساعد مساعدات لا بأس بها. وإن أنسى فلن أنسى الصاغ المرحوم محمود لبيب الذي عمل رئيسًا لمنظمة الشباب [العربي في] فلسطين. وأذكر، بمناسبة ذكر اسمه، أنني قمت بزيارته في بيته، بعد أن ألمح لضرورة القيام بهذه الزيارة، ونقل إليّ رغبته هذه الأخ عبد الرحمن [علي]. وقد حضر أثناء الزيارة شاب أسمر طويل، ومعه شخص آخر، وجلس الاثنان حول مائدة في غرفة السفارة، وجلست والأستاذ محمود لبيب في غرفة الصالون، والغرفتان مفتوحتان على بعضهما، ووضع الاثنان خريطة كبيرة للقاهرة أمامهما، وأخذنا يؤشران عليها، ويحددان مراكز سمّياها «مراكز الوثوب والتجمع».

ولم أبدأ اهتمامًا بما كانا يقولان، وواصلت حديثي مع محمود لبيب عن الجهاد المقدس، وعن الأحوال العصيبة التي مرّت بنا. كان ذلك بعد استقرارني في القاهرة سنة 1949، وكنت بالفعل شبه يائس من الحكام العرب والسياسيين العرب والفلسطينيين، ومن الجيوش العربية، ومنصرفًا إلى متابعة التحصيل العلمي والدراسة. وكم كانت دهشتي كبيرة عندما عرفت، بعد حدوث الانقلاب في مصر، أنّ ذلك الشاب الأسمر العملاق هو المرحوم الرئيس [جمال] عبد الناصر، وزادت دهشتي عندما اطلعت على مدونة عن تلك الزيارات في كتابه فلسفة الثورة، والتي كان يقوم بها إلى «م. ل.»، أي محمود لبيب⁽⁹⁰⁾.

عن سلاح مصري لم يصل⁽⁹¹⁾

حدّثني السيد عادل التاجي بأنّه في إحدى زيارته إلى القاهرة، سنة 1948، اجتمع بالسيد سعود، قنصل مصر السابق في حيفا، وسكرتير النقراشي باشا في ذلك الوقت، بمقهى «جروس»، وإذا به يروي إليه الخبر التالي، قال سعود:

(90) لم ترد إشارة إلى دور م. ل. في كتاب فلسفة الثورة، ووردت مثل هذه الإشارة في مقالات الصحافي حلمي سلام، المنشورة في مجلة المصور، في تشرين الأول/أكتوبر 1952، بعنوان «قصة ثورة الجيش من المهدي إلى اللحد»، والتي أسست على مقابلات مع الرئيس جمال عبد الناصر: محمود لبيب، حماة السلوم (القاهرة: دار الأنصار، 1980)، ص 5.

(91) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «بعد

كتاب يا قدس (9)»، ص 4.

«هل تعرف يا عادل بك بأنّ برقية مكتومة ومهمة قد وصلت من القنصلية العامة المصرية بالقدس، إلى النقراشي باشا، تقول بأنّ البنادق التي سلّمها الباشا إلى الهيئة العربية العليا، وصاحبها أحد أعضاء الهيئة بالقدس، قد سُرّبت إلى الأعداء، ومباع البندقية الواحدة بأربعمئة وخمسمئة جنيه». وأضاف قائلاً: «لقد جنّ جنون النقراشي باشا، واستدعى المفتي [محمد أمين الحسيني]، ووجه إليه كلاماً قاسياً».

قال الأخ عادل، فسألته عن قصة البنادق هذه، فقال: «كان لدى الجيش المصري حوالي ثلاثة آلاف بندقية جديدة، أمر النقراشي باشا تسليم نصفها إلى الهيئة العربية العليا، وقد تسلّمتها فعلاً». انتهت هذه الرواية. وإنني أنقلها إلى القارئ الكريم بكلّ تحفظ وأمانة، وأنا من جانبي لا أشكّ [في ما] قاله الأخ عادل [التاجي]، بل أثق به. أما السيد سعود، فلا أعرفه إطلاقاً، ولا بد من الرجوع إلى ملف البرقيات المكتومة لسنة 1948، في وزارة الخارجية المصرية، للتأكد من وجود البرقية المذكورة. وإن وُجد، فإنّ معلومات القنصلية المصرية في القدس تحتل الخطأ والصواب. أما القيادة العامة للجهاد المقدس، فلا تعلم شيئاً عن هذا الموضوع، لا من قبل ولا من بعد، ولم نتسلّم أية بندق من هذا النوع الجديد.

صراع أول ضدّ الإلغاء: اللجنة العسكرية العربية والقاوقجي⁽⁹²⁾

يوم 25 أيلول/ سبتمبر 1947، انتقل سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني إلى عاليه]، وصحب معه السيد عبد القادر الحسيني. وفي مساء ذات اليوم، وصلت أنا من فلسطين، وتوجهت [لمقابلة] سماحة المفتي وعبد القادر. وفي هذه الأثناء، أخذت وفود البلاد من أقصاها [إلى أقصاها] تفد للسلام على

(92) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 10. ويشكّل ما أدرج تحت هذا العنوان نموذجاً للاتفاق بين السرديات المتضادة لتاريخ الجهاد المقدس، كما سبقت الإشارة إليه، فهذه السرديات تشكك في الدور العربي الرسمي عموماً، وفي دور اللجنة العسكرية العربية خصوصاً، وتضعه موضع اتهام دائم. وكما سيلاحظ، فإنّ هذه السردية التي يقدّم الريماوي هنا نموذجاً عنها، تشمل بالاتهام أيضاً «الاستقلالين»، لتأثيرهم المؤسس على شبكة علاقات قديمة مع الشخصيات العربية الفاعلة آنذاك. ويسمي الريماوي في موضع =

سماحة المفتي، وقد أُتيح لعبد القادر، في هذه الأثناء، الاجتماع [بجميع من همّه] أمرهم. وقد عرف أنّ الجامعة العربية عدلت عن الذي تم الاتفاق عليه سابقاً في بلودان، وهو تسليح عشرة آلاف مسلّح على الأقل، ومنحهم أربعة ملايين جنيه، [وكان] ذلك بتأثير الإنجليز، وقررت تشكيل لجنة عسكرية [تشرف على] الحرب في فلسطين، واستندت في ذلك إلى [حجج مختلفة] (93).

أولها: إنّ قضية فلسطين قد تبنّتها الجامعة، فلا [يجوز المضي] منفردين، والسير في أية ناحية من نواحيها، إنّ [عسكرية أم سياسية]، بل إنّ كل ما يتعلّق بالقضية يجب أن يكون تحت إشراف الجامعة.

ثانياً: ادّعوا أنه لو تم تسليح عرب فلسطين [لاختلفوا مع] بعضهم بعضاً، حتى بوجود الخطر الصهيوني.

= لاحق قائمة بأسماء هذه الشخصيات، سيُكتفى هنا بالإشارة إلى بعض المصادر الأساسية لقراءة مقارنة مع قراءة الريماوي، على أن يناقش هذا الجانب من السرديات التاريخية عن الجهاد المقدس، المتجذرة في الوعي الشعبي أيضاً، مقارنة مع حصر شامل لمصادر منشورة وغير منشورة، تُبرز وجهات النظر المختلفة حول دور اللجنة العسكرية العربية خصوصاً، ودور بعض رموزها في حرب فلسطين ومعاركها، خصوصاً مرحلة القتال الأولى، في نص مستقل يؤمل أن يرى النور قريباً.

أبرز النصوص التي يمكن الإحالة إليها للمقارنة بنص الريماوي أعلاه، والتي ترد في كثير من الأحيان بشكل تفصيلي غير مباشر على الادعاءات التي يقدّمها الريماوي، هي: دروزة، مج 5، ص 572-618؛ المرجع نفسه، مج 6، ص 8-15؛ خلدون ساطع الحصري (تحقيق وتقديم)، مذكرات طه الهاشمي 1942-1955 العراق - سوريا - القضية الفلسطينية، ج 2 (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1978)، ص 148-220. مع الإشارة إلى أنّ اليوميات المتعلقة بالقضية الفلسطينية غير محققة كاملة.

(93) عُقدت جلسة استثنائية لجامعة الدول العربية في بلودان السورية، في 8 حزيران/يونيو 1946، بعد صدور تقرير لجنة التحقيق الإنكلو-أميركية، لكن مقررات المؤتمر العلنية والسرية لم تتطرق لتفصيلات دعم فلسطين، وإنما نوقشت هذه التفصيلات في مؤتمرات لاحقة، كان أبرزها مؤتمر جامعة الدول العربية في صوفر في لبنان، خلال الفترة 16-19 أيلول/سبتمبر 1947، والذي أقرّ تأسيس لجنة فنية عسكرية لرفع تقرير إلى مجلس الجامعة العربية، لبيان حقيقة الوضع في فلسطين، وتحوّلت هذه اللجنة بعد اجتماع جامعة الدول العربية في عاليه في لبنان، في 9 تشرين الثاني/أكتوبر 1947، إلى لجنة عسكرية دائمة تشرف على العمل العسكري العربي وتنظمه، وتتولى مسؤولية إنفاق الأموال المرصودة من حكومات دول الجامعة لمساعدة عرب فلسطين. حول قرارات مؤتمر بلودان السرية، يُنظر: تقرير لجنة التحقيق النيابية في قضية فلسطين (بغداد: مطبعة الحكومة، 1949)، ص 55-56. وحول قرارات صوفر وعاليه السرية، يُنظر: المرجع نفسه، ص 75-78. مقارناً ب: دروزة، مج 5، ص 597-599.

ثالثًا: أرادوا إشراك الشعوب العربية في [القتال]، لتكون شريكة بأخذ الثأر من الخصوم.

وكانت هذه الإيحاءات من الإنجليز الذين يعرفون أنه لو عُهد الأمر إلى أهالي فلسطين منفردين فإنّ [خطتهم] ستُحبط حتمًا، وبالتالي لن يتمكن سادتهم اليهود [من الوصول] إلى أهدافهم. لذلك، وبفضل أوامر الإنجليز، بدون [أخذ] الموافقة على تشكيل لجنة عسكرية تتولى جميع [الشؤون العسكرية] في فلسطين، وتأخذ على نفسها التبعية. وهنا، [أصروا] على الضغط لوضع الأشخاص الذين يريدونهم، وبذلك تم تعيين إسماعيل صفوت [رئيسًا]، وطه الهاشمي⁽⁹⁴⁾ مفتشًا عامًا، ومحمود الهندي و[شوكت شقير⁽⁹⁵⁾] أعضاء. وطلب إلى الهيئة [العربية تعيين ممثل] فلسطين، وقد قررت الهيئة وسماحة المفتي [محمد أمين الحسيني] تعيين [عبد القادر] الحسيني عضوًا في الهيئة.

وهنا، انبرى جماعة [من المحرّضين] الذين كانوا يختبئون في نادي الصفا وفي بنسيون [.....] دمشق، ويستغلون طيبة خلق شكري القوتلي⁽⁹⁶⁾، [وضعف

(94) طه حلمي الهاشمي (1888-1961): وُلد في بغداد. درس العسكرية في إسطنبول، وتخرّج في مدرسة الأركان فيها عام 1909، ليلتحق بالجيش العثماني. التحق بالجيش العراقي إبان الحكم الفيصلي، إلى أن أصبح رئيسًا لأركانه. أُحيل على التقاعد إثر انقلاب بكر صدقي عام 1936. شغل وزارة الدفاع، كما شغل رئاسة الوزراء، بعد فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني. كان مقرّبًا من الرئيس السوري شكري القوتلي، وساهم بشكل فاعل في التحضيرات لحرب 1947-1949، وكان من الشخصيات العسكرية الأبرز المؤثرة في الاستراتيجية العربية للمواجهة في مرحلة الحرب الأولى.

(95) شوكت فؤاد شقير (1912-1982): وُلد في أرسوص في لبنان. التحق بالكلية الحربية في دمشق إبان الاستعمار الفرنسي. التحق بالجيش اللبناني، بعد حل قوات الشرق الخاصة، وشارك في معارك حرب 1947-1949 بقيادة جيش الإنقاذ. استقال من الجيش اللبناني في حزيران/يونيو 1949، ليلتحق بالجيش السوري. تدرّج في مراتب الجيش السوري إلى أن تولى رئاسة الأركان العامة في تموز/يوليو 1953.

(96) شكري محمود القوتلي (1891-1967): وُلد في دمشق. درس العلوم السياسية في الكلية الشاهانية في إسطنبول في عام 1912. التحق مبكرًا في الجمعية العربية الفتاة. أسهم في تأسيس حزب الاستقلال العربي خلال الحكم الفيصلي لسورية. أسند الثورة السورية الكبرى، فاعتُقل ونُفي إلى أرواد. أسهم في تشكيل الكتلة الوطنية، وكان أحد أركانها. شغل مناصب وزارية ثم رئاسة الوزراء بالإنباء قبيل الاستقلال. فاز برئاسة الجمهورية السورية في عام 1943، وخلال حكمه تم جلاء القوات الفرنسية عن سورية في عام 1946. خلال حرب 1947-1949، كان من أبرز الرؤساء العرب المساندين للحراك =

شخصيته]، وانتسابه إلى حزب الاستقلال ليوجهوه ويوجهوا الحكومة السورية حسبما [تشاء أهواؤهم] وعداؤهم لسماحة المفتي، لا حسبما تقتضيه [المصلحة]. وكانوا يتحكمون في سياسة شكري تحكماً [تاماً، فعلياً] أحد خلائهم⁽⁹⁷⁾. وهذه الزمرة [تعدّ] من المسؤولين عمّا وصلت إليه الحالة في [فلسطين]، وعلى الشعب محاكمة أعضائها. وأما [القائمون على] هذا الأمر، فهم: [محمد] عزة دروزة⁽⁹⁸⁾، عوني [عبد الهادي]⁽⁹⁹⁾، صبحي الخضرا⁽¹⁰⁰⁾،

= العسكري الفلسطيني المبكر. كما كان من أبرز الرؤساء العرب الداعمين لتدخل الجيوش العربية في المرحلة الثانية من الحرب، على الرغم من مخاوفه من مشروع الملك عبد الله «سوريا الكبرى».

(97) يُشار إلى أنّ الريماوي كان قد دوّن في مخطوطه «وهو صبحي الخضرا»، لكنّه حذفها ودوّن ما أثبت في متن النص. وللأهمية المفترضة لهذه الإشارة، أثبتت هنا في الهامش.

(98) محمد عزة عبد الهادي دروزة (1888-1984): وُلد في نابلس، حيث تلقى تعليمه

الأساسي. عمل في دائرة البرق والبريد قبيل الحرب العالمية الأولى. التحق بالجمعية العربية الفتاة وعمل سكرتيراً للجنة المركزية خلال الحكم العربي لسورية، كما اختير سكرتيراً للمؤتمر السوري العام. بعد وأد الحكم العربي، عاد إلى فلسطين، وبدأ نشاطه السياسي فيها من جديد، وكان من أبرز الشخصيات المحرّضة على الثورة على المستعمر البريطاني. ساهم في تأسيس حزب الاستقلال العربي، وعمل إلى جوار الحاج أمين الحسيني في المجلس الإسلامي الأعلى. خلال الثورة العربية الكبرى 1936-1939، ساهم في قيادة الثورة من دمشق، وبقي مطاردًا خارج فلسطين، خلال الأعوام السابقة لحرب 1947-1949. مثل الهيئة العربية العليا في اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في اجتماعات صوفر وعاليه في أيلول/سبتمبر - تشرين الأول/نوفمبر 1947، وكان على صلة مباشرة مع عدد من أبرز القادة المؤثرين في المرحلة الأولى من الحرب، كالرئيس السوري شكري القوتلي، وطه الهاشمي، والحاج أمين الحسيني، لكنّه كان دائم النقد لمنط قيادة الأخير.

(99) عوني عبد الهادي القاسم (1882-1970): وُلد في نابلس. التحق بالكلية الملكية في

إسطنبول، قبل أن يتجه إلى فرنسا في عام 1909 لدراسة الحقوق. كان من أبرز مؤسسي الجمعية العربية الفتاة. عمل مستشاراً للملك فيصل في أثناء اجتماعات مؤتمر الصلح (1919-1920) في باريس. بعد وأد الحكم العربي في سورية، استقر في فلسطين، حيث بدأ بمزاولة المحاماة. شارك في تأسيس الحزب العربي، وعُيّن سكرتيراً للجنة العربية العليا في عام 1936. خلال حرب 1947-1949، انتقل إلى دمشق ثم القاهرة. اختير عضواً في حكومة عموم فلسطين، لكنه غادرها سريعاً، ليستقر عام 1951 في عمان، حيث عُيّن سفيراً وعيّنًا، ثم وزيراً للخارجية في عام 1956.

(100) صبحي سعيد الخضرا (1895-1954): وُلد في صفد. أتم دراسته في الجامع الأحمر في

صفد، ثم انتقل إلى الكلية الصلاحية في القدس، فالمدرسة السلطانية في بيروت. التحق بالجيوش العثمانية، وشارك في الحرب العالمية الأولى. بعد أن أسره البريطانيون، التحق بحراك الأمير فيصل بن الحسين. شغل منصب نائب قائد الأمن العام في الحكومة العربية في دمشق. بعد وأد الحكم العربي في دمشق، توجه إلى الأردن، ثم انتقل إلى العراق حيث خدم في الجيش العراقي الجديد. عاد إلى فلسطين في عام 1925، =

معين الماضي⁽¹⁰¹⁾، رشيد الحاج إبراهيم⁽¹⁰²⁾، أكرم زعيتر⁽¹⁰³⁾، أحمد حلمي باشا، واصف كمال⁽¹⁰⁴⁾. [وهؤلاء] الجناة قد ضلّلوا الحكومة [السورية] التي

= ليسهم في تشكيل حزب الاستقلال، بعد فصله من الخدمة في صفوف شرطة الحكومة الاستعمارية. كما عُيّن مديراً لأوقاف عكا، فمحامياً عامّاً للأوقاف. اعتُقل مرات عدة إبان ثورة 1936-1939، وخرج من السجن في عام 1940. شغل عضوية اللجنة العسكرية العربية في أثناء حرب 1947-1949، مثلاً لفلسطين، وتولى مسؤولية شراء الأسلحة خلال الفترة الأولى من الحرب. بعد الهزيمة، لجأ إلى دمشق.

(101) معين عبدالله الماضي (1887-1957): من إجزم قضاء حيفا. تلقى تعليمه في المدرسة الرشيدية في حيفا، ثم في الكلية الملكية في الأستانة، وتخرّج فيها عام 1912. التحق بالعمل الإداري في الدولة العثمانية في ولاية بيروت. التحق بالجمعية العربية الفتاة مبكراً، ثم التحق بالحكم العربي في دمشق، ومثّل حيفا في المؤتمر السوري العام. كان من أركان حزب الاستقلال العربي الفلسطيني. عمل في اللجنة العربية العليا، وخرج من فلسطين إبان ثورتها الكبرى، ونشط في الهيئة العربية العليا بعد تأسيسها. توفي في دمشق.

(102) رشيد إبراهيم الحاج إبراهيم (1889-1953): وُلد في حيفا. عمل موظفاً في سكة حديد الحجاز في حيفا، ثم عمل في التجارة، بعد الاحتلال البريطاني لفلسطين. اشترك، مثلاً لحيفا، في جميع المؤتمرات الفلسطينية. تولى إدارة البنك العربي في حيفا في عام 1930، ورئاسة جمعية الشبان المسلمين بين عامي 1928 و1932. أسهم في تأسيس حزب الاستقلال العربي. اعتُقل إثر ثورة 1936-1939، بسبب دوره القيادي في منطقة حيفا، وصلته بالشيخ عز الدين القسام. نُفي إلى جزيرة سيشل، وعاد إلى فلسطين في عام 1940، ليعمل مديراً لبنك الأمة العربية. خلال حرب 1947-1949، كان الشخصية العربية الأبرز في حيفا، وترأس لجنة المدينة القومية. لجأ بعد الهزيمة إلى عمان.

(103) أكرم عمر زعيتر (1909-1996): وُلد في مدينة نابلس. حصل على الشهادة الثانوية من كلية النجاح في نابلس، وشهادة الحقوق من مدرسة الحقوق في القدس. عمل مدرساً في معارف فلسطين خلال فترة الحكم الاستعماري البريطاني لفلسطين، واشتغل آنذاك في الصحافة. ساهم في تأسيس حزب الاستقلال، قبل أن ينتقل إلى التعليم في العراق (1933-1935). كان من أبرز المحرّضين على الثورة العسكرية ضدّ المستعمر البريطاني لفلسطين. اعتقلته سلطات الاستعمار البريطاني مرات عدة، قبل أن يخرج خلال ثورة فلسطين الكبرى ليتولى الإشراف على قسم الدعاية للثورة في سورية. اختير، في عام 1947، رئيساً للوفد العربي إلى أميركا اللاتينية، واختير وزيراً للمعارف في حكومة عموم فلسطين. بعد الهزيمة في حرب 1947-1948، عمل مع الحكومة السورية ثم الأردنية، وشغل مناصب عدة. ترك نصوصاً مهمة، كتباً ويوميات، تعدّ من أغنى مصادر تاريخ فلسطين المعاصر.

(104) واصف سعيد كمال (1907-2007): وُلد في نابلس. درس في مدرسة النجاح وتخرّج فيها في عام 1923. التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت لدراسة الطب، لكنّه سافر لاستكمال تعليمه في لندن، وهناك درس الحقوق بدلاً من الطب، وعمل مدرساً في مدرسة النجاح. ساهم في النشاط الوطني المضاد للمشروع الاستعماري في نابلس وعموم فلسطين، فاعتُقل، في عام 1931، مدة عام. ساهم في إسناد ثورة 1936-1939، وكان أحد المختارين للعمل الاستشاري إلى جوار قادة فصائل الثورة. خرج من فلسطين لاجئاً إلى سورية فالعراق فتركيا. تحصّل على الجنسية السورية في عام 1947، بقرار من الرئيس شكري القوتلي، ليشترك في عضوية الوفد الفلسطيني إلى الأمم المتحدة قبيل اندلاع الحرب.

كان في الإمكان أن تتجه اتجاهًا غير الذي رسموه لصبحي الخضرا ليتولى عضوية اللجنة العسكرية⁽¹⁰⁵⁾. [ولم] يجد المفتي، أمام رغبة بعض أعضاء الهيئة، [والرئيس] شكري القوتلي والحكومة السورية، إلا [الموافقة على ذلك]⁽¹⁰⁶⁾. وإنما أذكر أن قادة المجاهدين اجتمعوا [محتجّين] إلى المفتي على هذا التعيين، وكنت أحدهم، [فحاول] الدفاع عن الرجل، ولكن لما أُخرج قال إنه [وافق] لضغوط من الحكومة السورية. وهكذا، تمت [المهزلة]. نعم، مهزلة اللجنة العسكرية التي جنت [على أهل فلسطين] خاصة، والعرب والإسلام أجمع. أما إسماعيل صفوت فإنه رجل مستهتر [.....]⁽¹⁰⁷⁾.

بربك أية مهزلة قد تمت، بل [فضيحة] قد ارتكبها القائمون على أمر وشؤون الدول [العربية] والجامعة، بتعيينهم أمثال هذا الرجل قائدًا عامًا! وإنّ القارئ لا يكاد يصدّق حينما يعرف أنّ طه [الهاشمي] زميله في هذا المضمّار، فهو ذنب من أذنان [.....]، ولم يَزُرْ الجبهة أو [يصلها] إطلاقًا، لا قبل المعركة ولا بعدها، وكل همّة في اللجنة هو مقاومة إنقاذ فلسطين، ومحاربة الفلسطينيين بصورة خاصة. لذلك، ليس عجيبيًا على هذا [الشخص] أن يقول في أحد الاجتماعات التي عقدها [في] الجمهورية السورية واللبنانية، بحضور بعض [الشخصيات]، «القدس وشيكة السقوط بدون [مدفعية]، وإن سقطت القدس

(105) يُشار إلى أنّ الريماوي كان دَوّن في مخطوطه «شاركوا المتأمّرين»، لكنّه حذفها ودوّن ما أُثبت في متن النص. وللأهمية المفترضة لهذه الإشارة، أُثبت هنا في الهامش.

(106) قَرّب الحاج أمين الحسيني إليه جُلّ القادة الاستقلاليين الذين تعرّض لهم الريماوي في نصه المبكر، خصوصًا وأنّ للحاج أمين صلة مبكرة ببعضهم، مثل محمد عزة دروزة، تعود إلى بواكير المقاومة الفلسطينية مع الاحتلال البريطاني لفلسطين. لكنّ هذه العلاقة كان يشوبها التوتر، في كثير من الأحيان، لمأخذ بعض هذه القيادات، مثل دروزة وأكرم زعيتر، على الحاج أمين وأسلوب قيادته، وكان هذا سببًا لانسحاب دروزة من نشاط الهيئة العربية العليا بشكل رسمي.

(107) يرد في المخطوط استطراد عن إسماعيل صفوت، يتهمه فيه الريماوي بالسكر الدائم ولعب القمار، على هامش اجتماعات جامعة الدول العربية في القاهرة، وما ترتب عليها من فضائح. والقصة التي يحكيها الريماوي مما استعاده النظام المصري الناصري، فنشرتها مجلة آخر ساعة المصرية إبان رئاسة تحرير محمد حسنين هيكل، وأعاد هيكل نشرها في: محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، الكتاب الأول، الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية، الأعمال الكاملة لمحمد حسنين هيكل (القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009)، ص 249-250.

فإننا سنسترجعها». [لم يكن همّه] غير أن يقاوم عبد القادر الحسيني، ويحرّم عليه كل مدد، مع علمه أنه هو المنقذ، وأن كل طلبة يستلمها ستقتل [صهيونياً].

وأما محمود الهندي، فإنّه وإن كان رجلاً طيب القلب، إلا أنّ همّه الوحيد كان إرضاء سادته، [لذلك عمل] بكل حماس لمساعدة فوزي القاوقجي [وجيش الإنقاذ]. أما صبحي الخضراء، عضو فلسطين [في اللجنة العسكرية العربية]، فإنّه كان [...]، وكان همّه الوحيد الدسّ على المفتي [محمد أمين الحسيني]، وتسليح محاسبيه، ومحاسيب من لفّ [لفيفه]، ولم يكن له أي أثر على اللجنة لضعف مواهبه [.....]⁽¹⁰⁸⁾.

وليس غريباً عن هذه الزمرة أن تقاوم [المخلصين] من أبناء العروبة والإسلام، وتدفع بهم إلى [امتحان] القائد المغفور له عبد القادر الحسيني، [تدفّعه] لاقتحام المهالك، وتضنّ عليهم بالسلاح والمال الذي جمعته من أجلهم ومن أجل إنقاذ البلاد. [وبهذا]، حالت بينهم وبين النصر الذي كان وشيكاً، [وتيسّر] للإنجليز تحقيق الفصل الأول من المهزلة.

جيش الإنقاذ⁽¹⁰⁹⁾

كان أول عمل قامت به اللجنة العسكرية التابعة [لجامعة الدول] العربية أن وضعت يدها على جميع الأسلحة التي [جمعتها الدول] العربية في المزمّة

(108) لم تحظّ اللجنة العسكرية العربية عموماً، ولجنة شراء السلاح فيها خصوصاً، بما تستحقّه من بحث. أما عن نشاط صبحي الخضراء في اللجنة، فيمكن مراجعة سردية مغايرة لما أثبتته الريماوي في: مصطفى العباسي، «صبحي الخضراء سيرة قائد من صفد»، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 59 (صيف 2004)، ص 48-50.

(109) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 10. يقارن بالمراجع المدوّنة في الهامش المدرج أسفل العنوان السابق، والتي تتطرّق بشكل مباشر لتأسيس جيش الإنقاذ من وجهة نظر مغايرة لسردية الريماوي. ويُنظر أيضاً: خيرية قاسمية (إعداد)، مذكرات فوزي القاوقجي 1890-1977 (دمشق: دار النمير، 1995)، ص 313-505، 185؛ هاني الهندي، «جيش الإنقاذ (1947-1949)»، شؤون فلسطينية، العدد 23، (تموز/يوليو 1973)، ص 27-58؛ هاني الهندي، «جيش الإنقاذ (1947-1949)»، شؤون فلسطينية، العدد 24، (أب/أغسطس 1973)، ص 115-132. ويُنظر: Laila Parsons, *The Commander Fawzi al-Qawuqji and the Fight for Arab Independence 1914-1948* (New York: Hill and Wang, 2016), pp. 181-347.

لتسليح عرب فلسطين. كما وضعت [يدها على] النقود التي سُلمت إليها لإنقاذ [فلسطين]، وهي أربعة ملايين جنيه، وبذلك تمكّنت من [حرمان أهل] فلسطين منها، وسلّمتها لأناس لا عهد لهم ولا دين؛ وضعتها تحت تصرّف فوزي القاوقجي، ذلك [...] الذي تمكّن أن يجعل من خياناته ونذالته وجبنه [بطلاً] من الأبطال، وذلك بفضل الدعاية [...]. وبفضل انغماسه في بعض الحركات التحريرية السابقة، [وما وصل] سمع الناس، وادعائه النصرة والفوز حتى [خُدعوا به]، إلا العارفين له، المطلعين على حقيقة أمره في [العراق] - حرب العراق - وما [لبث أعضاء] اللجنة العسكرية [...]. ولمجرد معاداة المفتي [محمد أمين الحسيني]، ولنصرة جماعة [الاستقلال]، [أن] أخذوا يطبلون لفوزي [القاوقجي]، ويزمرون أنه [عهدت قيادة] جيش التحرير لفوزي القاوقجي، بالرغم من [معارضة أهل] فلسطين، وبالرغم من أنّ اللجنة كانت قد وافقت على تعيين عبد القادر [الحسيني] قائداً عاماً للجهاد، على أن يتولى تنظيم القوى الشعبية في البلاد. تمت المهزلة، وعُيّن فوزي القاوقجي قائداً [.....].

وهكذا، تمّت مهزلة تشكيل جبهة الإنقاذ، وطلب من الفلسطينيين إرسال متطوعين لتدريبهم في سورية. وهكذا، وفد مئات منهم إلى معسكر قطنة للتدريب، وبقوا [يتدربون] بضعة أشهر، إلا أنه أخذ اليهود خلال هذه الفترة يهاجمون القرى والمدن العربية، فتصدى لهم حامياتها التابعة للجهاد المقدس. وهكذا، عقد عبد القادر [الحسيني] ورجاله لواء الحرب وتبعاتها في الأشهر الأولى من القتال، وقد أخذ الأهالي يلحّون بوجوب دخول جيش الإنقاذ، واشترائه في المعارك القائمة، إلا أنّ اللجنة العسكرية لم تُلبّ هذه الرغبات. وظهر أنّ ذلك كان تلبية لضغط الإنجليز الذين كتبوا إلى الجامعة بأن بريطانيا تعدّ دخول جيش الإنقاذ، قبل انسحاب حكومة الانتداب في 15 أيار/ مايو 1948، عملاً غير ودي.

وهكذا، وقف عبد القادر [الحسيني] ورجال الجهاد المقدس منفردين في المعركة، وتحملوا عبء [القتال] كاملاً، وقد أبلوا بلاءً حسناً، وكالوا لليهود الضربة ضربتين، وانتقلوا من نصر إلى آخر، حتى ضجّ اليهود وشلّت مواصلاتهم. وفي هذه الأثناء، ولدى سماع المتطوعين أخبار الهجوم على بلادهم، قرر عدد كبير دخول فلسطين، سواءً أرضيت اللجنة العسكرية أم لم

ترصّص. فتوجه عدد كبير منهم، بقيادة الملازم الأول إحسان كم الماظ (وهو ابن أخت حسني الزعيم)، والمشرف على حركة تدريب المتطوعين في قطنة.

نعم، لقد أبى هذا الرجل الشهم الرضوخ لخيارات التأجيل والتأمر، وقذف برغائب اللجنة العسكرية والحكومات العربية والجيش السوري وفوزي القاوقجي عرض الحائط، والتحق بالقتال في فلسطين، وأسندت إليه قيادة المجاهدين في الناصرة [وجوارها]، وقد أبلى بلاءً حسنًا، وتم له تنظيم قوى المجاهدين، وأحرز انتصارات متتالية، ووجه لليهود ضربات قوية. والحق أنه أظهر من روح الجرأة والمثالية ما سجّل له مكانة مرموقة في صفوف المجاهدين، وبقي يقود هذه القوات في المنطقة الشمالية حتى دخلت الجيوش العربية فلسطين، فاشترك مع الجيش السوري في القتال، حتى كُتب له الاستشهاد [في] تلك المعركة.

وهكذا، قضى هذا الشاب الجريء والقائد الباسل، وهو في مقتبل العمر. وبلغ من حماسه واندفاعه أنه حضر إلى وزارة الدفاع لقبض راتبه، فقبل له أن يعود بعد نصف ساعة، إلا أنّ نفسه المتحفزة أبت الانتظار، فاقترض نصف جنيه من أحد مرافقيه، وأسرع في طريقه إلى الجهاد في فلسطين، حيث باب الجنة والعز والفخار. [مضى] وقد ودّع خطيبته الشابة الوداع الأخير، ومّر بوالده ووالدته وإخوانه المؤمنين الصابرين، ليلقي عليهم النظرة الأخيرة. أما اللجنة العسكرية، فإنّها لمّا رأت أنّ عبد القادر [الحسيني] قد وقف وخصمه اليهود وحيدًا، وعلى الرغم من حرمانها إياه من السلاح والعتاد، رأته يحرز الانتصارات المتتالية، ويحاصر المستعمرات والمعسكرات اليهودية، ويقطع عنها التموين، حتى ضجّ اليهود، وضجّ العالم من ورائهم.

نعم، لقد عزّ عليها أن ترى هذا النصر يتحقق بدون عونها ومساعدتها، فأخذت ترسل كتب الانتقاد واللوم إلى عبد القادر [الحسيني]، وتحدد له قيادته وتسميته؛ فتارة تسميه القائد عبد القادر، وتارة قائد منطقة القدس، وتارة أمر القطاع الجنوبي من الجبهة الوسطى، وتارة قائد الجهاد المقدس. وهكذا، فإنها اكتفت بهذه الكتب التي إن دلّت فلا تدلّ إلا على سحق المسؤولين⁽¹¹⁰⁾.

(110) سيتكرر هذا الاتهام وهذه اللغة العنيفة في غير موضع من هذا النص، وهذا الخلاف =

نعم، لقد كانت ترد إليه هذه الكتب في الوقت الذي كان يتحرَّق فيه على طلقة واحدة أو بندقية جيدة، بينما هي تحتفظ بمخازن الأسلحة الثقيلة والخفيفة، وتحجزها في المزة، لتسلّمها إلى فوزي القاوقجي، ليبيدها ويسلّمها لجماعات من متشردي البلاد العربية لينهبوا بها فلسطين⁽¹¹¹⁾.

وأخيراً، وبعد إلحاح [أهل] فلسطين، وعدم ممانعة الإنجليز، ووثوقهم أنّ هذه الأسلحة لن توجه إلى سادتهم اليهود، بل [ستظل في] جبال نابلس ومزابل جبع، سُمح لفوزي القاوقجي أن [يدخل] البلاد، ويا ليته لم يدخلها، فدخلت معه الدبابات [والمدافع]، ومئات الرشاشات والبنادق السريعة والخفيفة، وأنواع من مختلف الأسلحة الحديثة. دخل، ولكن لا ليواجه اليهود، بل ليستقر في جبال نابلس، وعلى مزابل جبع، وليطوّق طوباس، ويتنقل من جبال جنين إلى جبال طولكرم.

وهكذا، دخل فوزي [القاوقجي]، وأخذ أذنابه والمنافقون يفدون إليه

= امتداد لخلاف الحاج أمين الحسيني، بوصفه رئيساً للهيئة العربية العليا، مع جامعة الدول العربية، ولاحقاً اللجان المنبثقة عنها، السياسية والعسكرية. كانت رغبة الحاج أمين الحسيني أن يوكل أمر المرجعية العامة إلى الهيئة العربية العليا، وأن يُعيّن عبد القادر الحسيني قائداً عاماً. لكن اعترضت الدول العربية على هذا المقترح. وبعد مخاض طويل، تولى إسماعيل صفوت القيادة العامة لقوات فلسطين، بينما تولى فوزي القاوقجي قيادة المنطقة الشمالية، وعيّن عبد القادر الحسيني وحسن سلامة قائدين للمنطقة الوسطى، ووضعت حامية القدس تحت تصرّف الحسيني. لكن خلال ذلك الوقت، وحتى استشهاد الحسيني، كثرت شكاوى صفوت من تجاوز قيادته العامة، وكان النقاش الرئيس في اجتماعات الحسيني الأخيرة مع اللجنة العسكرية في نيسان/أبريل 1948 حول هذا الموضوع. يُنظر نموذجاً لشكاوى صفوت في: «التقرير الذي وضعه أمير اللواء الركن إسماعيل صفوت إلى لجنة فلسطين عن تدخلات سماحة مفتي فلسطين»، بتاريخ 11 آذار/مارس 1948، ورد في: تقرير لجنة، ص 149-150.

(111) تتابع السردية التي يعدّ ما أثبتته الريماوي هنا نموذجاً لها، في حجم السلاح الذي امتلكته اللجنة العسكرية العربية، فكما تبرز يوميات الهامشي المخطوطة، فإنّ هذا السلاح كان محدوداً في مجمله، ووُزّع على مختلف جهات القتال، وفقاً لسياسات اللجنة العسكرية القائمة على اعتماد قوة جيش الإنقاذ كقوة هجومية، واقتصار دور القوات الأخرى على الدفاع، وهي السياسة التي خضعت لمراجعة ذاتية من اللجنة العسكرية، في أواخر نيسان/أبريل 1948. أما عن تكوين جيش الإنقاذ فلم يكن مقتصرًا على المتطوعين العرب، وإنما اشتمل في جزء كبير منه على مجندين محليين من أبناء فلسطين، ممن تدرّبوا في معسكر قطنة، أو من الجنود المسرحين الذين خدموا سابقًا في الفيلق العربي، أو في الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية.

زرافات ووحداناً، فأخذ ينتقل من حفلة طبخ وحفلة سُكَّر إلى [حفلة أخرى]، واليهود يهاجمون العرب بلا هوادة، وهو [لا ينوي] على مواجهة اليهود، ويظهر أنّ ذلك تنفيذاً لرغبات السادة [الإنجليز]. وهكذا، استمرت المعارك الدامية في جبال القدس، بقيادة عبد القادر [الحسيني]، وفي منطقة يافا بقيادة حسن سلامة، والمنطقة الساحلية، وفي مختلف المدن العربية، وفوزي [القاقوجي] وجيشه مقيمون بحفلات السُكَّر والاستمتاع، حتى ضجّ الشعب، [وأخذ] بعض الضباط من العراقيين الذين تحت إمرة فوزي [القاقوجي] يتدمرون، وانفصّوا من حوله مع بعض العناصر التي أبت الوقوف والبلاد تحترق من هول الهجوم [اليهودي].

وأخيراً، قام محمد صفا⁽¹¹²⁾، مساعد [فوزي] القاقوجي، بهجوم على مستعمرة الزراعة، فارتكب أخطاءً فظيعة لا [يُتوقع] أن تصدر عن جندي محنك. وهكذا، قاد صفا شرذمة من جيش الإنقاذ ليلقوا حتفهم بالعشرات. ودارت الدائرة عليهم. ولو لم يهرع مسلّحو القرى المجاورة لنجدتهم، لُقضي عليهم جميعاً. وتُرك عدد كبير من القتلى في ساحة المعركة، وخسروا معدات كثيرة. وقد بلغ من غباوة هذا القائد أنه اختار يوماً ماطرًا لهجومه هذا، وقد أفلتت برك المياه المصنوعة لصيد السمك على جنوده، فبدلاً من أن يستعمل الجندي بندقيته لمهاجمة العدو، استعملها لإنقاذ نفسه من الأوحال⁽¹¹³⁾.

وهكذا، انكشفت حقيقة قوة جيش الإنقاذ التي طبلّ لها [فوزي] القاقوجي وأعوانه، وشاركتهم الصحف حتى أوهموا الجميع أنّ مدة إجهاز القاقوجي على اليهود لن تستغرق إلا بضعة أيام، وأنّه سيجتاح المستعمرات اليهودية ويسقي حصانه الأبيض، كما زعم، من ميناء تل أبيب في بضعة أيام.

(112) محمد صفا: ضابط لبناني. التحق بجيش الإنقاذ، رئيساً لفوج اليرموك الأول، أحد أفواج جيش الإنقاذ الرئيسة. تعززت علاقته بالمقدم أديب الشيشكلي، قائد فوج اليرموك الثاني. التحق، بعد الحرب، بالجيش السوري، ورُقي إلى رتبة عقيد. شارك صفا الشيشكلي، بعد الحرب، انقلابه على سامي الحناوي في كانون الأول/ديسمبر 1949.

(113) للمزيد عن معركة الزراعة/طيرات تسفي، في 16 شباط/فبراير 1948، يُنظر: العارف، مج 1، ص 100-102. مقارنةً بتقييم وصفي التل، أحد قادة جيش الإنقاذ آنذاك في: ناهض حتر (إعداد وتحرير)، وصفي التل في مجابهة الغزو الصهيوني (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2008)، ص 43-45. وصهيونياً، يُنظر: سلوتسكي، مج 2، ص 1412-1414. ويُنظر: Uri Milstein, *History of Israel's War of Independence*, Vol. 3: *The First Invasion*, Alan Sacks (trans) (Lanham: University Press of America, 1998), pp. 71-80.

وبانكشاف أمر [فوزي] القاقوجي، عرف اليهود أنّ جيش الإنقاذ ما هو إلا طبل أجوف، وأيقن أهالي فلسطين خاصة، والعرب عامة، أنهم خُدعوا بجيش الإنقاذ، وأنهم اعتمدوا عليه أكثر من اللازم.

وقد أراد [فوزي] القاقوجي رفع المعنويات، وتسديد ضربة قوية إلى اليهود، فجمع قواته، وهاجم مستعمرة مشمار هعيمك، وأخذت الصحف تنشر البلاغات الحربية، فوصفتها بعض الصحف أنها أصبحت أطلالاً بائدة، ووصفها البعض أنّها أصبحت رمادًا تذروه الرياح، إلى آخر هذه المبالغات الكاذبة، وإذا [باليهود] يسخرون من القاقوجي، فيعرضون أمر هدنة، فيقرّها، وتحضر قوات كبيرة، و[تطوّق] قوات القاقوجي تطويقًا كاملاً، فهرعت النجذات إلى الميدان من كل حدب وصوب، حتى من شرق الأردن. وبفضل مساعدات المدفعية، تم فتح الطوق وانسحاب قوات القاقوجي، بعد أن خسرت عددًا من رجالها⁽¹¹⁴⁾.

وهكذا، انتقل القائد والبطل المهزوم من هزيمة إلى أخرى. أما في منطقة طولكرم، فإن [فوزي] القاقوجي اجتمع بوفد من رؤساء المستعمرات اليهودية في سجن نور شمس. وقد مهّد لهذا الاجتماع السمسار المعروف علي القاسم الذي كان منضمًا إلى القوات اليهودية. وقد تم الاتفاق في هذا الاجتماع على

(114) للمزيد عن معركة مشمار هعيمك 4-17 نيسان/أبريل 1948، يُنظر: العارف، مج 1، ص 190-191؛ حتر، ص 46-50. وصهيونياً، يُنظر: سلوتسكي، مج 2، ص 1564-1566؛ إالحان أورن، «هزيمة جيش الإنقاذ من مشمار هعيمك»، معرخوت [بالعبرية]، العدد 294-295 (تموز/يوليو 1984)، ص 84-120. ويُنظر نماذج لبيانات جيش الإنقاذ وقائده في الصحف: «قوات جيش البرموك تستهل أعمالها الكاسحة باحتلال مستعمرة مشمار هعيمك في المثلث الخطر»، فلسطين، 1948/4/5، ص 1؛ «القائد المظفر فوزي بك القاقوجي يشرف بنفسه على تدمير مستعمرة مشمار هعيمك»، فلسطين، 1948/4/6، ص 1؛ «قوات التحرير تشتبك بمعركة دموية جديدة مع عصابات الهاغاناه على أطلال مستعمرة مشمار هعيمك وهزيمة العصابات»، فلسطين، 1948/4/7، ص 1؛ «الأعلام العربية ترفرف فوق مستعمرة مشمار هعيمك، بعد أن استسلمت حاميتها نهائيًا»، 1948/4/8، ص 1؛ «قوات جيش الإنقاذ في المثلث الخطر تملّي شروط الاستسلام على مستعمرة مشمار هعيمك، وتمهل سكانها 24 ساعة»، الدفاع، 1948/4/8، ص 1؛ «بيان مكتب النشر لقيادة قوات الإنقاذ»، فلسطين، 1948/4/11، ص 1؛ «سقوط مستعمرة صهيونية بأيدي المجاهدين العرب في هجوم عنيف»، الجزيرة، 1948/4/7، ص 1؛ «بلاغ عربي عن مستعمرة صهيونية»، الجزيرة، 1948/4/8، ص 1.

عدم مهاجمة المستعمرات اليهودية، مقابل دفع مبلغ من المال⁽¹¹⁵⁾! وهكذا، أخذ رجال جيش الإنقاذ ينتقلون من قرية إلى أخرى، ومن مدينة إلى مدينة، وهم ينهبون كل ما وصلت إليه يدهم من سيارات وأثاث وملابس، حتى أن بعضهم حمل ثلاث سيارات شحن عند خروجه من فلسطين، وكلها مملوءة بالأثاث والأدوات المنزلية والملابس.

أما فوزي القاوقجي، فبعد أن أخذ التبرعات والمخصصات التي كانت ترد عليه، فإنه خرج من فلسطين بثروة تقدّر بمئات الألوف من الجنيهات المنهوبات، ملأت خمس عشرة سيارة نقل، ومع عدد من السيارات الخاصة. وبعد استشهاده المرحوم عبد القادر الحسيني، وبفضل خذلانه لحاميات الدفاع في المدن والقرى من الأهالي، وبعد استيلائه على الأسلحة التي كان يجب أن تُسلم إلى أهلها، فإنه تمّ لليهود الاستيلاء على يافا وحيفا. [وأوضح] مهازل جيش الإنقاذ هو تسليمه، خيانة [...] ومؤامرة، تسليم مدينة الناصرة إلى اليهود، قبيل دخول الجيوش العربية⁽¹¹⁶⁾.

ولا بد لنا، وقد ذكرنا بإيجاز بعض أعمال جيش الإنقاذ، أن نذكر أن بعض الضباط من العراقيين والسوريين الذين كانوا يعملون معه كانوا من ذوي الأخلاق والاندفاع الوطني، وبأنه لم تُرق لهم هذه الأعمال، فقسم منهم انفصل

(115) وفقاً لمصادر صهيونية، فإنه بناءً على اتصالات من أفراد القسم العربي في جهاز استخبارات الهاغاناه، لعقد تحالفات أو تفاهات عدم اعتداء مع القاوقجي، سعياً لفصل جبهة القدس التي كان يقودها عربياً عبد القادر الحسيني عن الجبهة الشمالية، جرى لقاء مع عباس مدلول، أحد قادة جيش الإنقاذ في قرية طيرة بني صعب، بلدة علي قاسم، حضره من الطرف الصهيوني، جاد مكنس ويهوشوع فيلدمان (جوش بلمون)، في 30 آذار/مارس 1948، انبثق منه اجتماع بين القاوقجي وبلمون في نور شمس مطلع نيسان/أبريل 1948، ولم يخرج الاجتماع بأي تفاهات، وإن خرج منه بلمون بتصور أن القاوقجي غير مكترث بمعارك القدس أو بمساعدة حسن سلامة، يُنظر: Milstein, vol. 4, p. 12. ويُنظر رواية شفوية لبلمون عن لقائه في القاوقجي سُجّلت في 28 أيلول/سبتمبر 1980: دافيد بيلد، «مقابلة جوش مع القاوقجي أبريل 1948»، كولموسانت، شوهد في 30/12/2018 في: <https://bit.ly/32EEaY>. ويُقارن بقراءة عربية للمصادر الصهيونية في: محمد عقل، المفصل في تاريخ وادي عارة، عارة وعرة من بداية ثورة 1936 إلى نهاية حرب 1948 (عرعة: [نشر خاص]، 1999)، ص 200-205.

(116) عن أثر قيادة فوزي القاوقجي في معارك المدن، يُنظر كنموذج دوره في معارك مدينة يافا الأخيرة، في: بلال محمد شلش، يافا دمّ على حجر.. حامية يافا وفعلها العسكري دراسة ووثائق؛ الجزء الأول سيرة البارود اليافي: دراسة في بنية حامية يافا وفعلها العسكري كانون الأول/ديسمبر 1947 - نيسان/أبريل 1948 (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)، ص 248-252.

عنه وانضم إلى المجاهدين الفلسطينيين، وقسم انسحب من الميدان، وعاد وهو ساخط على فوزي [القاوقجي] وأنصاره. وعدا عن نهب هذا الجيش لأموال العرب في فلسطين، فإنه استنفد جميع الأسلحة والمعدات التي أعدتها الجامعة لإنقاذ فلسطين. كما أنه أنفق، في بضعة أشهر، ملايين الجنيهات التي جمعت لإنقاذ فلسطين، وذلك بدل رواتب وتموين، والله يشهد أنها كانت في كثير من الأحيان سبباً لنكبة فلسطين. ولا يفوتني أن أذكر أنه سبب أضراراً كثيرة للجيش السوري والحكومة السورية التي تحمّلت العبء الأكبر بتمويله بالمال والسلاح والرجال، وعلقت عليه آمال إنقاذ فلسطين وتحقيق بعض الأهداف من ذلك، فخيّب آمالها، وأضعف جيشها، ونهب مؤنها [.....].

رابعاً: عبد القادر على أرض الجهاد (أواخر كانون الأول/ ديسمبر 1947 - 8 نيسان/ أبريل 1948)

الصورة (2-2)

عبد القادر الحسيني في أثناء جولاته التأسيسية للحشد والتنظيم، بعد دخوله إلى فلسطين. والصورة له في أثناء وجوده في بلدة بديا



المصدر: أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، التقطت في كانون الثاني/يناير 1948، تصوير خليل

رصاص.

دخل عبد القادر الحسيني البلاد، يصحبه السيد مالك الحسيني، قادماً من مصر، [في 22 كانون الأول/ ديسمبر 1947]، وماراً ببئر السبع، فالخليل، فقريّة صوريف من أعمال قضاء الخليل. وما أن عرف الأهالي نبأ قدومه، حتى هرع جميع الوجهاء ورؤساء حاميات الدفاع والمسلّحين للسلام عليه، وكان يحتفظ في صوريف بمخزن سري للأسلحة، فأخذ يوزّع هذه الأسلحة على حاميات الدفاع التي أقامها في المدن والقرى. ومكث في صوريف أسبوعاً واحداً، تمكّن خلاله من تنظيم الدفاع في جميع أنحاء منطقة الخليل، ومن البدء بتشكيل سرية لمرافقته⁽¹¹⁷⁾، ولتكون نواة للقوة الضاربة التي يقودها بنفسه. وقد كانت خطته تُقسّم إلى قسمين؛ أما القسم الأول، فهو إعداد القوى الشعبية وتنظيمها للهجوم والدفاع. والخطة الأخرى هي تشكيل فرقة ضاربة، يتولى قيادتها بنفسه، على أساس عسكري صحيح. وقد انصرف في بدء أمره إلى تنظيم القوى الشعبية⁽¹¹⁸⁾.

زيارات تأسيسية⁽¹¹⁹⁾

وحالما انتهى من تنظيم منطقة الخليل، وتسجيل أسماء رؤساء المسلّحين، وأسماء المسلّحين، ونوع البنادق التي يحملونها، انتقل إلى قضاء رام الله، فزار جميع قرى القضاء، واستقبل فيها استقبالاً حماسياً. وبعد ترتيبه القوى الشعبية فيها، انتقل إلى جنين حيث قام بزيارة المدينة. كما زار قرى رمانة وأم الفحم

(117) يربط عارف العارف بين هذه اللحظة والجهد المقدس بوصفها لحظة التأسيس، ويساوي بين السرية التي تحدّث عنها الريماوي و«قوات الجهاد المقدس»، كتب العارف: «في 25 كانون الأول/ ديسمبر 1947، أي بعد صدور قرار التقسيم بشهر، تألفت في صوريف من أعمال جبل الخليل قوة من الشباب المتحمسين للقتال، أُسميت قوات الجهاد المقدس، ألّفها عبد القادر الحسيني. وكانت يومئذٍ من خمسة وعشرين مقاتلاً». العارف، مج 1، ص 68. ويمكن مراجعة أسماء المقاتلين في هذه المجموعة وفقاً للعارف في المصدر نفسه.

(118) النص في المتن أعلاه مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 5. وكتب عبد القادر الحسيني إلى الحاج أمين الحسيني رسالة في 24 كانون الأول/ ديسمبر 1947، يشرح له عن وصوله إلى فلسطين وفعله الأول فيها: «وصلت البلاد منذ يومين، وبدأت اتصلاّتي، وقمت بما يأتي: 1- ترتيب حرس قوي للقيادة. 2- ترتيب قناصة حول المستعمرات. 3- تنظيم الدفاع في القدس والقرى، وترتيب الحرس الليلي»: العمر، ص 431-432.

(119) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، =

وعرّابة وسيلة الظهر والكفير⁽¹²⁰⁾. وكان يزور أكبر قرية في كل مجموعة قرى، حيث يعقد اجتماعًا يحضره جميع المسلّحين في تلك المنطقة، ويجري في تلك الاجتماعات اختيار رؤساء المسلّحين. وبعد مراجعات رؤساء المسلّحين، وأخذ رأي جميع المسلّحين ووجهاء القرى والمناطق، قسّم منطقة جنين إلى خمسة أقسام، عيّن لكل مجموعة منها مسؤولاً عامًا عن المسلّحين، وحدّد له صلاحياته، وحصرها في الأمور العسكرية البحتة. وإليك صورة التعيين:

بسم الله [الرحمن] الرحيم

قد عيّنا السيد مسؤولاً عامًا عن المسلّحين في قرى وتنحصر مسؤوليته هذه في الشؤون العسكرية فقط، فلا يجوز له التدخل في شؤون الأهالي الإدارية والمالية. وهو مسؤول تجاهنا فقط.

والله من وراء القصد

عبد القادر الحسيني

القائد العام للجهاد المقدس

= «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 5. ويُقارن ما أثبتته الريماوي هنا، بشهادة صالح الريماوي في: محسن، ص 229. ويُقارن ما قدّمه الريماوي بطرح راداي عن هذه الزيارات التي اعتُبر بعضها تجاوزًا من عبد القادر لصلاحياته المقرّرة من اللجنة العسكرية العربية، وهذا يحتاج إلى مزيد من التفصيل والنقاش في ضوء وثائق اللجنة العسكرية العربية المختلفة. كما يخلص راداي إلى أنّ الزيارات فشلت في تحقيق غرضها بتأسيس قوة عسكرية شاملة تحت إمرة عبد القادر لأسباب مختلفة، بعضها مناطقي - عائلي، وبعضها لمصالح اقتصادية وأمنية أملت سياسات تهدئة مع اليهود في العديد من الأماكن، وهذه الاستنتاجات تحتاج إلى مزيد من النقاش والتفصيل الذي لا يتسع هامش هذا النص لمثله، والأمل أن يتيسر في القريب دراسة أكثر عمقًا استنادًا إلى مصادر أولية قديمة/جديدة. يُنظر نقاش راداي في: إيتمار راداي، «القوى غير النظامية والمنظمات في المجتمع العربي في منطقة القدس من أوائل كانون الأول/ديسمبر 1947 إلى 19 أيار/مايو 1948 [بالعبرية]»، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، الجامعة العبرية، القدس، 2002، ص 14-18.

(120) أشار عبد القادر الحسيني إلى الحاج أمين الحسيني، في الأول من كانون الثاني/يناير 1948، أنه الآن مقيم في قضاء رام الله. وفي 4 كانون الثاني/يناير، أشار إلى زيارته لمنطقة القدس ولفتا والقرى المجاورة. وفي 12 كانون الأول/يناير، كتب أنه الآن في جنين، وله أمل كبير فيها: العمر، ص 432-433.

الصورة (2-3)

قاسم الرياوي وكامل عريقات على رأس مقاتلي الجهاد المقدس، في مسيرة
عسكري استعراضي أمام أهالي بلدة بديا



المصدر: أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، التقطت في كانون الثاني/يناير 1948، تصوير خليل
رصاص.

الصورة (2-4)

عبد القادر الحسيني وقاسم الرياوي ومالك الحسيني يقابلهم كامل عريقات،
في أثناء مسيرة عسكري لقوة الجهاد المقدس في بلدة بديا



المصدر: أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، التقطت في كانون الثاني/يناير 1948، تصوير خليل
رصاص.

وقد عُيِّن الأشخاص التالية أسماؤهم رؤساءً للمسلّحين في منطقة جنين: فوزي جرار⁽¹²¹⁾، نجيب المصطفى⁽¹²²⁾، محمود ارشيد، محمد العطارى - عرابة، علي الفارس⁽¹²³⁾. وقد استغرقت هذه الجولة ثلاثة أيام⁽¹²⁴⁾، وانتقل من قضاء جنين إلى قضاء نابلس، مبتدئاً بطوباس، وهي أكبر قرى القضاء، فبدى فكفر قدوم. وقد نظّم الدفاع في تلك المنطقة، وعيّن مسؤولين عن المسلّحين،

(121) فوزي فيّاض جرار (1917-1976): وُلد في قرية سانور قضاء جنين. كان ملاًكاً وعمل في الزراعة. ترأس فصيلاً عمل بإمرة عبدالرحيم الحاج محمد في ثورة 1936-1939، ورافق الحاج محمد إلى آخر لحظات حياته. طورد بعد استشهاد الحاج محمد، واختفى في حيفا، حيث نشط في التنظيم السري للعمل العسكري. خلال حرب 1947-1949، قاد قوة عسكرية محلية بعد انضمامه إلى قوات الجيش المقدس، شاركت قوته في عموم معارك منطقة جنين، وأبرزها معركة الدفاع عن المدينة في حزيران/يونيو 1948. كما شاركت في نجدة القدس وجوارها قبل 15 أيار/مايو 1948. بعد الحرب، انتُخب لعضوية مجلس النواب الأردني الثامن في تموز/يوليو 1963، نائباً عن جنين، وأعيد انتخابه في المجلس التاسع.

(122) نجيب مصطفى الأحمد (1920-1995): وُلد في قرية رمانة. أنهى دراسته الثانوية في كلية النجاح في نابلس. كان ملاًكاً، وعمل في الزراعة. عيّن عبد القادر الحسيني مسؤولاً لتشكيلات الدفاع في منطقته، لكن انتقلت قيادة المنطقة لاحقاً إلى فوزي القاوقجي، وكان الأحمد على خلاف معه. عمل في العهد الأردني مفتشاً لتموين اللاجئين في منطقة جنين، وانتُخب لعضوية مجلس النواب الأردني الثاني وحتى السابع. شارك في عضوية المجلس الوطني الفلسطيني منذ تأسيسه وحتى وفاته. بعد احتلال حزيران/يونيو 1967، اعتقلته سلطات الاحتلال في عام 1968، وأبعد من سجنه إلى الأردن مطلع أيلول/سبتمبر 1969. عُيّن إثرها قائداً لقطاع الضفة الغربية في جيش التحرير الفلسطيني، ثم ممثلاً للدائرة السياسية للمنظمة في الأردن في عام 1974، لكنّه أبعد في العام التالي إلى سورية، حيث استقر فيها مدة خمسة أعوام. في عام 1980، عُيّن مديراً لمكتب ياسر عرفات في عمّان، وفي عام 1989 أمين سر للجنة دعم الانتفاضة، ثم مستشاراً لرئيس السلطة الفلسطينية للشؤون العامة عام 1994. عن دوره في حرب 1948، يُنظر: نجيب الأحمد، «مناقشات: حول مذكرات القاوقجي»، شؤون فلسطينية، العدد 60 (تشرين أول/أكتوبر - تشرين ثاني/نوفمبر 1976)، ص 189-199.

(123) علي الفارس المحاميد (1913-2007): وُلد في أم الفحم. شارك في ثورة 1936-1939 نائباً لقائد فصيل أم الفحم، تحت إمرة القائد يوسف أبو درة. استشهد شقيقه أحمد في 28 آب/أغسطس 1939 على يد القوات البريطانية. شارك في معارك حرب 1947-1949 في منطقة وادي عارة، ولجأ بعد الهزيمة إلى سورية، حيث توفي هناك.

(124) الريمائي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 5. وكان مما دوّنه الريمائي وحذفه: «كل شخص منهم يقود عددًا من المسلّحين لا يقل عن 100 شخص (لا يقل عن سرية). وكان يمدّهم بما يستطيع من مال وسلاح وعتاد، وقد كان لهذه النواة التي شكّلها الفضل الأول في الدفاع عن تلك المنطقة».

منهم: عبد الكريم طوباسي، مصطفى العودة - بديا، جميل القدومي - كفر قدوم. وقد استغرقت هذه الزيارة ثلاثة أيام⁽¹²⁵⁾، ومن ثم انتقل إلى قلقيلية مارًا بعزون، حيث عيّن السيد سعيد السبع⁽¹²⁶⁾ مسؤولاً عن المسلّحين فيها. ومن قلقيلية إلى طولكرم، حيث اجتمع برجال اللجنة القومية. ومن ثم زار الطيرة وقلنسوة، وتفقد استحكامات الدفاع فيها، وعيّن السيد حسن العبد الله مسؤولاً عن المسلّحين فيها، والسيد محمد أبو دية⁽¹²⁷⁾ مساعدًا له. كما زار قرية الطيبة ودير الغصون واشويكة وزيتا. وانتقل إلى عنتبا وبلعا وبرقا فمدينة نابلس. وقد استغرقت هذه الزيارة بكاملها تسعة أيام، تمكّن خلالها من تنظيم القوى الشعبية، ووضع أسس الدفاع في جميع منطقة المثلث العربي، أي أقصى جنين ونابلس وطولكرم⁽¹²⁸⁾.

(125) وفي مقالاته في صحيفة الدستور، بعد حديث للريماوي، سبقت الإشارة إليه، عن مرافقته للدكتور رفعت عودة في أثناء رحلة لجلب السلاح من دمشق، تحدّث الريماوي عن زيارته لقرية بديا، ولقائه من جديد بعودة، فكتب: «وهنا ودّعنا الدكتور رفعت عودة، لنلتقي به مرة أخرى في جولة المصالحة الوطنية التي قام بها الشهيد القائد عبد القادر الحسيني في لواء نابلس، حيث قضينا ليلة ممتعة في بيت والده الأستاذ محمود العودة رحمه الله. وكنا قد اجتمعنا صباح ذلك اليوم بوفود من رجالات القرى المجاورة؛ الزاوية، وكفر الديك، وبروقين، ورافات، ودير بلوط وغيرهم. وتم الاتفاق على أن يقوم الأستاذ مصطفى عودة شقيق الدكتور رفعت الذي صدف أن كان متغيّبًا عن القرية في ذلك اليوم، يتولى إمرّة المجاهدين في القرى المذكورة. وقد أصدرت براءة الاعتماد بذلك»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (11)»، ص 4.

(126) سعيد نمر السبع (1926-1995): وُلد في قلقيلية. كان والده من أثرياء قلقيلية وملاكها، لكنه قُتل في تشرين الثاني/نوفمبر 1938. خلال حرب 1947-1949، أسهم في شراء السلاح من مصر، كما عيّنّه الشهيد عبد القادر الحسيني قائدًا في منطقة قلقيلية، ثم عمل إلى جانب القوات العراقية التي استقرت في المنطقة. بعد الهزيمة، التحق بالجيش العربي الأردني، وانظم في صفوف حزب البعث العربي، وتنظيمه السري في الجيش. وبعد الانقلاب الملكي في نيسان/أبريل 1957، لجأ السبع إلى سورية، وحوكم غيابيًا بالإعدام. مثل منظمة التحرير في الجزائر في عام 1965، ثم في السودان في عام 1966. كما شغل مناصب عدة في دوائر منظمة التحرير المختلفة.

(127) محمد أبو دية (-1955): وُلد في قرية كفر ثلث، قبل هجرة أسرته إلى طيرة بني صعب. شارك في ثورة 1936-1939، وأسهم وزوجته فاطمة خاصكية في تهريب السلاح والذخائر من سورية إلى فلسطين. شغل عضوية اللجنة القومية في بلده، وشارك في معارك الدفاع عن البلدة خلال حرب 1947-1949.

(128) كان عبد القادر الحسيني، كما تُظهر رسائله إلى الحاج أمين الحسيني، يخطط لزيارة مناطق أخرى من فلسطين، فأشار في رسالة مرسلة إلى الحاج أمين، في 12 كانون الثاني/يناير 1948، بأنّه ربما سيسير غدًا إلى حيفا ثم عكا: العمر، ص 433. لكنّ التغييرات التي ستحصل لاحقًا، بقرار من

وكان استقبال الشعب له في جولته هذه منقطع النظير، سواءً أكان في المدن أو القرى، فكانت الطرقات والشوارع والأسطح مملوءة بالرجال والنساء. وقد أظهر أهالي تلك المنطقة كرمًا زائدًا في مقابلته وإكرامه والحفاوة به. والحقيقة أنه ورّع زيارته بشكل نال استحسان الجميع، فلم يفرّق بين حزب وحزب، أو بين عائلة وأخرى، مما جعل الجميع يشيدون بذكره، ويلهجون بالثناء عليه، خاصة بعد ما لمسوه من لطف معشره وطيب عنصره.

أثر الزيارات: المؤاخاة⁽¹²⁹⁾

[إنّ عبد القادر، في جولته على المدن والقرى]، قد آخى بين المجلسيين والمعارضين. وكانت البلاد منقسمة إلى قسمين نتيجة الثورات السابقة؛ قسم يؤيد الثورة، وقسم يعارضها. وقد أدّى ذلك إلى معارك دموية، خاصة في القرى. وكان كل فريق يخزّن السلاح ضدّ الآخر، ولكن عندما آخى بينهما في الجولة [المشار إليها سابقًا]، تحوّلت جميع البنادق ضدّ الصهاينة. وكان الخندق الواحد، في بعض الأحيان، يشتمل على الشخص وقاتل ابن عمه.

حدث ذلك في عديد من القرى؛ كقرية عبوين، والنبى صالح، وبني زيد، وقرى المثلث وغيرها. والحق أنّ الكل حمل السلاح الذي كان يشتري البندقية منه بمئة وعشرين دينارًا في بعض الحالات، والذي كان بعضه يُخترن ضدّ الحمولة الأخرى. حمل الجميع السلاح ضدّ العدو، وشهدت البلاد وحدة لم يُشهد لها مثل من قبل أو من بعد، وعمل الكل تحت قيادة الجهاد المقدس. [.....] كانت هذه القوات هي الرصيد الكبير الذي اعتمد عليه الجهاد المقدس، والقائد الشهيد، في جميع المعارك [التي] خاضها⁽¹³⁰⁾.

= اللجنة العسكرية العربية، قصرت دوره على القطاع الشرقي من فلسطين الوسطى، وإن حافظ عبد القادر على بعض الصلات التي كانت موضع شكوى من إسماعيل صفوت.

(129) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «بعد

كتاب يا قدس (3)»، ص 4.

(130) أكّد الريماوي في موضع آخر على ما كُتب هنا، متأثرًا كما يبدو بحوادث أيلول/سبتمبر

1970، فعلق بعد حديثه عن بطولة أحمد عودة، أحد ثوار قرية كفر الديك، والتي وردت أعلاه: «هذه =

[لم يكتفِ عبد القادر بهذه الخطوة، وإنَّما عمل أيضًا على المؤاخاة] بين أبناء البادية من شرقي الأردن الذين وفدوا بالآلاف إلى أرض فلسطين، وأبناء فلسطين الذين حملوا السلاح، وكان اللقاء في الله هو أول لقاء تم بين الشعبين، وكانت لحمة التضحية بالنفس والنفيس، ومبدأ الإيمان بالله، والثورة لكرامة الأمة العربية، والدفاع عن الحريات والأعراض والوطن. لقد سبقت هذه الوحدة في الجهاد، وحدة الحكم التي جاءت معلنة وصاهرة وحدة الشعبين اللذين هما في الحقيقة والتاريخ والواقع شعب واحد.

لقد عرفت قيادة الجهاد المقدس كيف تستفيد من هذه القوة الهائلة

= الفضة، وكثير غيرها، تدل على أنه لا يتقصنا الأفراد القادرين على حمل السلاح والصبر، فالبطولات الفردية متوفرة بكثرة، إنما عيننا الوحيد الكبير هو أن نعرف كيف نعيش كجماعة، إذ كثيرًا ما تفشل مشاريعنا وخططنا لهذا السبب، وهذا في رأيي يعود إلى عجز مؤسساتنا العامة التي يتكوّن منها مجتمعنا. وقد استطاعت سلطات الانتداب أن تنفذ من هذه الثغرة، فقسمت العرب عربين في الثورة الأولى، وحمل أبناء البلد الواحد السلاح ضدّ بعضهم البعض، وبذلك فشلت الثورة. ولقد تنبه الجهاد المقدس لهذه الناحية، فلم يترك ثغرة إلا وأقفلها، فكانت ترى الشخص وقاتل أبيه أو ابن عمه في خندق واحد، ولدي الشواهد الكثيرة على ذلك. وبذلك، تسجّل صفحة خالدة في تاريخ الثورة العربية. والمؤسف حقًا أن يحاول البعض التناكر لهذا الدور التاريخي، بل طمسها، وإظهارها بمظهر يغيّر حقيقتها، وشمولها بحرب الأجيال، فكل ما هو قديم رجعي لا يصلح. وأنا أقول إنّ العبرة، كل العبرة، أن يتعظ الإنسان من أخطاء الماضي، والعيب كل العيب أن يكرر هذه الأخطاء، وأن يبني الحاضر والمستقبل على أساس تجاربه الماضية، وهذا هو دور القيادة الرئيسي. أما الشعب، فهو شعب معطاء، يهتّب لبيذل النفس والنفيس في سبيل كرامته وحرياته، وقد أثبت المرة تلو المرة بأنّه شعب أصيل، مجاهد بفطرته وغرائزه، فلا تلبث أن تُشفى جراحه حتى يهتّب من جديد، وهكذا. أما الجهاد المقدس فقد استفاد من أخطاء الماضي، وأؤكد أنه لم يكررها، فهل نحن مستفيدون من أخطاء الماضي، أم نكررها ونُدلغ من جحر واحد المرة تلو المرة؟ هذا هو السؤال الكبير الذي يجدر بنا دائمًا أن نطرحه، وعلى كل مخلص أن يجيب عليه بأمانة وصدق: «الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (11)»، ص 4. أما في مخطوطه عن عبد القادر الحسيني، فكتب: «وكان من أثر تلك الزيارة أن التفت الصفوف وتآخى الجميع، وزالت الهواجس التي كانت تساور بعض النفوس، حتى أنّك كنت لا تجد شخصًا واحدًا أو امرأة أو طفلًا إلا ويُثني عليه الشاء العاطر، ويتمنى له النصر الكامل. وهم يبكون اليوم بحرقه ما بعدها حرقه، خاصة بعد ما لمسوه من خيبة أمل وفشل، على يد [فوزي] القاقوجي الذي اتخذ منطقتهم مركزًا لأعماله. وفي الحق أنّ خير من دافع عن تلك المنطقة هم الرجال الذين اعتمدتهم عبد القادر [الحسيني] في كل أطوار الدفاع والهجوم، سواء قبل دخول الجيوش العربية أم بعد دخولها، فكانوا خير نواة للعمل في تلك المناطق، لأنهم من خيرة أبنائها»: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 5.

الممثلة في أبناء القبائل الأشداء الذين لا يهابون الموت، ويتقنون استعمال السلاح. وقد كان سلاحهم البنادق من النوع الجيد الجديد، الإنجليزي والألماني. لقد أصبحت هذه القوة قوة ضاربة من قوى الجهاد المقدس، تخصص عملها في الغارات على القوافل اليهودية. وقد زوّدتهم القيادة بهويات الجهاد المقدس، وكانت تحمل توقيعي، والبعض منهم يحتفظ بها إلى الآن. وكانت تزوّدهم بمساعدات بسيطة من التموين والذخيرة والنقلات. وقد ارتبط قادتهم بصداقات مع المسؤولين في الجهاد المقدس، أذكر منهم الزملاء الذين أعتز بأخوتهم، وهم: الشيخ هارون بن جازي، والشيخ محمد الفايز رحمه الله، وقد جُرح بجانبني في معركة بيت سوريك الأولى، والشيخ المرحوم نائل بن جازي، وقد جُرح معي في معركة باب الواد الكبرى، وتوفي على إثر جراحه في مستشفى رام الله.

[.....] هذان هما العملان الكبيران أو الركيزتان الأساسيتان اللتان قام بهما القائد الشهيد وأعوانه، وقد توقف عليهما نجاح حركة الجهاد المقدس في تسجيل انتصارات كبيرة في هذه الفترة. ولو أنّ الجهاد المقدس لفّ في معارك جانبية، سواء بين مجلسي ومعارض، أو بين بدوي أردني ومناضل فلسطيني، لما تمكّن الجهاد المقدس من أن يقف على رجليه. هذه هي التواصي والأسس التي لم يسجّلها المؤرخون أو الباحثون، وهي وإن بدت بسيطة في ظاهرها، إلا أنّ لها سحرًا عجيبًا في نتائجها، وتحتاج إلى دراية إدارية واسعة بجانب النواحي العسكرية الأصلية، خاصة وأنّ البلاد كانت خالية تقريبًا من أية حكومة، فلقد كانت حكومة الانتداب تستعد للرحيل، ولم يكن للقانون أو للحكم أية هيبة، فكان الكل ينتظر انتشار الفساد والفوضى وأعمال السلب والنهب، خاصة وأنّ البلاد كانت تعجّ بالمسلّحين من أبناء البلاد، من أبناء القرى وأبناء البادية، كما أنّها شهدت هجرة الألوف أو مئات الألوف من اللاجئين الذين شردتهم قوات الأعداء من بيوتهم.

ولكنني أقولها بكل صراحة، إنّ فلسطين لم تشهد استقرارًا وأمنًا، في تاريخها الطويل، أكثر من تلك الفترة، وذلك بفضل هذا التآخي الذي لولاه

لعمّ النهب والسلب، واستشرى العداة والمذابح بين القرى، وأغلب الظن أنّ الإنجليز كانوا يتوقعون ذلك، فتركوا الحبل على غاربه. قد تكون حالة الهدوء والأمن أشبه بمعجزة، ولكنني أقول إنّها حقيقة واقعة، فلم يُقتل فيها أحد، وقد تحلّت قوات الجهاد المقدس بانضباطية تامة، كما أنّها كانت سبباً رادعاً ضدّ أية محاولة عبث أو فساد. وكانت اللجان الأخرى، القومية والمالية والسياسية، تعمل ضمن اختصاصها دون تدخل من أحد، وقد تناسى الناس خلافاتهم العشائرية والحزبية، وأخذوا يعملون صفّاً واحداً. وحمل أهل القرى العبء الأكبر في ذلك المجال، فكان الواحد منهم يشتري السلاح، ويبيع أغلى ما يملكه حتى تموين أسرته، ويهبّ للنجدة والمرابطة، ولا يحصل إلا على القوات الضروري.

اتخاذ بئرزيت مقرّاً لقيادته العامة⁽¹³¹⁾

عاد عبد القادر [الحسيني] إلى قضاء رام الله ليتخذ مركزاً لأعماله، وقد أحسن الاختيار⁽¹³²⁾، ودلّ بذلك على حنكة بارعة، فما [إن] أعلن استقراره في قضاء رام الله، حتى التفتّ عليه جميع رجال القضاء يمدّونه بالسلاح والمال⁽¹³³⁾، ويضعون حياتهم وأموالهم وأسلحتهم تحت تصرفه. ولا أبالغ إذا قلت إنّ أهالي هذا القضاء حملوا العبء الأول في جميع نواحي الجهاد المقدس، قبل دخول الجيوش العربية؛ فمنهم كان المسلّحون الذين يخوضون المعارك بجانبه وتحت قيادته، ومنهم كانت النجديات تتوارد بالمتات، وتبقى

(131) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 5.

(132) كتب بهجت أبو غربية، مستحسناً فعل عبد القادر الحسيني باتخاذ بئرزيت مقرّاً للقيادة العامة: «وكان اختياره في محله، فقضاء رام الله يتوسط فلسطين، ويسهل الاتصال منه جنوباً إلى القدس، وشمالاً إلى نابلس، وغرباً إلى يافا، وشرقاً إلى الغور وشرق الأردن، ولا توجد فيه مستعمرات يهودية أو معسكرات للجيش البريطاني، وجباله حصينة وعرة ومشجرة، ورجاله أشداء»: أبو غربية، في خضم، ص 163.

(133) كتب عبد القادر الحسيني إلى الحاج أمين الحسيني في 1 كانون الثاني/يناير 1948: «ستخذ قضاء رام الله مركزاً للحشد، وقد انتقلنا إليه بالفعل»: العمر، ص 432.

أشهرًا للدفاع عن مدينة القدس، ومنهم تواردت النجديات إلى منطقتي اللد والرملة، ورأس العين، وبيت لحم، وبيت جالا، وقضاء الخليل.

وقد التفّ جميع أهالي القضاء حول عبد القادر [الحسيني] التفاف الإسور بالمعصم، وكان لا يبدأ المعركة إلا بثلاثين شخصًا، ولا يخرج منها إلا بالمئات. وقد باع القرويون منهم مؤنهم وأعز ما لديهم لشراء الأسلحة، حتى أربى عددهم عن الألوّف. وكانت كل قرية لا تألوا جهدًا في تقديم خيرة شبابها لئجدهته وتحت قيادته، ولم يتأخر أي شاب أو دكتور أو ممرضة عن تقديم ما في استطاعته لمؤازرة القائد الباسل، يقدّمون ذلك عن حب خالص، وبمحض اختيارهم بلا إكراه أو إجبار. أما أسباب اختياره لهذا القضاء ليكون مقرًا لأعماله، فترجع إلى ما يلي:

أولًا: لأنّ قضاء رام الله قضاء عربي خالص، فهو القضاء الوحيد الذي لم يدنسه اليهود، ولم يستولوا على شبر من أراضيه، ولم يُسمح لهم التجول فيه.

ثانيًا: لأنّ هذا القضاء يمتاز بموقعه الجغرافي، فهو يقع في قلب فلسطين، ومنه [...]، ومنه يتيسر الوصول إلى مختلف المدن والأنحاء بسهولة فائقة، لسهولة المواصلات وكثرتها فيه.

ثالثًا: لقربه من مدينة القدس.

رابعًا: لِمَا عُرف عن رجاله من شدة البأس، وعِظَم التضحيات في سبيل الله والوطن، وما عُرف عن سعة وعيهم، وعلو ثقافتهم، فهو الذي قال فيه القائد دل في تقريره إنه خير قضاء حمل أعباء الثورات والتضحيات في مختلف أنحاء الثورة.

خامسًا: لأنّ المعروف عن أهالي هذا القضاء أنهم يتناسون انقساماتهم الحزبية وقت الجد، فيقفون صفاً واحداً في سبيل الذود عن بلادهم.

سادسًا: لأنّ فيه عددًا كبيرًا من المسلّحين.

سابعًا: لأنّ خيرة أنصار عبد القادر [الحسيني]، ورجاله العاملين، من الأشخاص البارزين في هذا القضاء.

[ثامناً]: لأنه يوجد في هذا القضاء حمائل وعشائر وعائلات كثيرة وكبيرة، معروفة بصدق وطنيتها، وتمسكها بالمبادئ القومية الصحيحة.

[تاسعاً]: لتوفر وسائل النقل، ووجود المستشفيات، ورجال الطب والمرضات.

[عاشرًا]: لأن فيه حصونًا طبيعية، و[جبلاً] صعبة، ومواقع استراتيجية كثيرة.

وهكذا، تم اختيار بلدة بئرزيت لتكون مقرًا للقيادة العامة للجهاد المقدس، فتم استئجار ست بنايات لهذا الغرض، ولتكون مقرًا للقوى الضاربة والقوى النظامية، ومركزًا للقيادة العامة. [.....] [و] بئرزيت قرية تقع على بُعد خمسة وعشرين كيلومترًا شمال القدس، وعلى بُعد خمسة وعشرين كيلومترًا شرق اللد، وعلى بُعد خمسة وعشرين كيلومترًا جنوب نابلس، وعلى بُعد ثمانية كيلومترات من رام الله. وهي قرية هادئة، ومعظم سكانها من المسيحيين، وتحيط بها قرى بني زيد الشرقية والغربية، وقرى بني مرّة وبني حارث، أي إنها تقع وسط منطقة قضاء رام الله.

أما طرق المواصلات فيها فهي معبّدة، ووسائل الاتصال بها سهلة جدًا. وقد توزّعت بنايات الجهاد المقدس كالشكل التالي: 1 - دار لمحطة اللاسلكي. 2 - دار لتكون مقرًا للسرية الأولى. 3 - دار لتكون مقرًا للسرية الثانية. 4 - دار لتكون مطبخًا للجنود. 5 - دار لحزن الأسلحة والعتاد. 6 - دار للضباط والقائد العام ومساعديه. 7 - دار لتكون مقرًا للقائد العام ولمكاتب الجهاد المقدس. 8 - بناية لحجز الأسرى والمساجين. 9 - غرفة للتجارب الكيميائية وتركيب المتفجرات. 10 - مكتب الدعاية والشؤون الاجتماعية والبلاغات الحربية.

أما مكاتب الجهاد المقدس، فقد رُتبت كما يلي: تتألف عمارة المكاتب من طابقين؛ فالطابق الأول يحتوي على كراج للسيارات، وعلى غرفة يجلس فيه مأمور الأحوال ليسجّل في دفتر خاص أسماء الوافدين والذاهبين من الرجال

الرسميين، وبجانبه مساعد له يسجل أسماء الزائرين للقيادة على أوراق خاصة لترفع إلى القيادة، لتسهيل مهمة القادمين، وبجانبها غرفتين للحرس الخاص. وفي مدخل الباب، يقضي جندي بسلاح وحرية، لا يسمح لأحد بالدخول إلا من يؤذن لهم.

أما الطابق الثاني، فيحتوي على خمسة غرف وديوان كبير؛ ففي [إحداها] يجلس القائد العام السيد عبد القادر الحسيني، وفي الغرفتين المجاورتين، يجلس في إحداها مساعد القائد السيد كامل عريقات، وفي الأخرى يجلس أمين السر العام قاسم الريماوي. ويقضي في مدخل الطابق جنديان بأسلحتهما. وفي الغرفة المواجهة لمدخل العمارة يجلس مدير المكتب، وبجانبه ثلاثة مساعدين، وبجانبهم غرفة المسؤولين الإداريين، المسؤولين عن النقلات والمالية والتموين، وهم: موسى شيبان، وفريد فخر الدين، وصلاح الحسيني، ومالك [الحسيني]، وشكري [الحسيني] وغيرهم. وفي الطابق الثاني، يوجد ديوان كبير يمتد على طول البناية، وهو مكان مُعدّ للاجتماعات العامة العسكرية والمدنية، ففيه يُستقبل القادمون من الأهالي، وفيه تُعطى المحاضرات للضباط وصف الضباط. وقد وُضعت على جدرانه لوائح للبلاغات الرسمية والتعليمات العامة.

أما غرفة القائد العام، فكانت مزودة بطاولة، وحوالي ستة مقاعد. وقد علّقت على جدرانها خرائط كثيرة لجميع أنحاء فلسطين، ووضعت على الطاولة بعض الكتب العسكرية التي تبحث في الشؤون العسكرية العامة، وفي شؤون المتفجرات. وكثيراً ما كان يغشى الطاولة أنواع من الأسلحة والعتاد والمتفجرات. أما مكاتب القيادة فقد نُظّمت بشكل بديع، إذ إنّ المشرف على المكتب من الذين مارسوا هذه المهنة، فقد كان مديراً لمكاتب الجيش البريطاني في الحرب الأخيرة [الحرب العالمية الثانية]، وهو السيد سليم ربيع⁽¹³⁴⁾. وأهم ما في المكتب ما يلي:

(134) في مقالات الدستور، أثبت الريماوي: «مدير المكتب السيد سليمان ربيع، وكان يتمتع بكفاءة وخبرة طويلة في إدارة المكاتب والسجلات، كسبها من عمله مع الجيش البريطاني، وكان يساعده السيدان فؤاد وعبد العزيز الريماوي»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (5)»، ص 4.

1. دوسيات الجنود الشخصية: فقد كان لكل جندي دوسية خاصة توضع فيها: أ- ورقة تعهد من الشخص، وهذا التعهد يشمل تعهده بأن يطيع الأوامر، ولا يتردد في تنفيذ المسؤوليات، وأن يقدم نفسه حرًا مختارًا في الجهاد في سبيل الله. وفيها تقرير طبي عن حالة الجندي وصلاحياته. ب- التقارير التي تُرسل إليه، أو المحاكمات، مع بيان تقييمه، والمعارك التي اشترك فيها. وفيها اسمه، وعنوانه، وولي أمره، ونوع البندقية التي يحملها، وخبرته العسكرية.

2. دوسيات خاصة للصادر والوارد من العسكريين والإداريين والقائد العام ومساعديه.

3. دوسية لكل قرية مبيّن فيها عدد المسلّحين، ورؤسائهم، والمراسلات الواردة إليهم والصادرة.

4. سجلات للمالية، ولمخزن الأسلحة، ولمخزن التموين: وكانت مرتبة ترتيبًا، ليتمكّن بواسطته الناظر أن يعرف قيمة الموجود منها والمستهلك بنظرة واحدة.

5. كشوفات يومية عن عدد الجنود والضباط، وأمكنة وجودهم.

6. كشوفات يومية عن المستهلك من العتاد والذخيرة.

7. كشوفات يومية عن المصاريف المستهلكة.

وكان القائد العام هو الذي يوقّع جميع هذه الكشوفات. أما الشيفرة، فقد كانت محفوظة في مكتب أمين السر العام، كذلك المراسلات السرية الخاصة، وتقارير الاستخبارات، والخطط العسكرية الهامة. وكان لا يحق مرور أية رسالة خاصة أو عامة إلى القائد العام، إلا عن طريق المساعد، فأمين السر العام، فالقائد العام.

أما المقابلات الشعبية، فإنّها كانت مسموحة لكل ذي شأن، خاصة لرؤساء مسلّحي القرى ورجال اللجان القومية. وقد كنت ترى عشرات الأشخاص يحتشدون عند مكاتب القيادة للمراجعات، فيُجري مقابلاتهم كل

على حدة، ويزوّدون بكل ما يحتاجونه من ذخيرة وعتاد ومصاريف ومؤن. كما يمدّون بالرجال وحاميات الدفاع، إن كانوا بحاجة لذلك.

أعمال الجهاد المقدس⁽¹³⁵⁾

كانت الأعمال موزّعة إلى قسمين:

1 - القسم الإداري: ويشمل المالية والتموين والنقل والشؤون الاجتماعية، ومهمته توفير مقتضيات العسكريين، وتسهيل مهمتهم. وكان يقوم على كل فرع مسؤول خاص، منهم السادة: موسى شيبان، فريد فخر الدين، شكري الحسيني، عاهد الريماوي. ويتصل هؤلاء بالقائد العام بواسطة مساعد القائد أو أمين السر العام.

2 - أما [العسكريون]، فكانوا يوزّعون على النحو التالي: يُقسّمون إلى سرايا، وكل سرية تحتوي على أمر السرية، ومساعد أمر السرية، وأربعة فصائل، على رأس كل فصيل منها ضابط، وله مساعد برتبة رئيس عرفاء. وكل فصيل يتألف من ثلاث حظائر، وعلى رأس كل حظيرة مسؤول برتبة نائب عريف، وسبعة جنود. وكان لكل سرية [طاه] واحد، ومراسل، و[خادمان]، ومأمور لاسلكي، وكاتب. وقد وُزّع السرايا على الشكل التالي:

أ. أما السرايا الضاربة: فكانت مهمتها مهاجمة قوى اليهود، والالتحام بها وجهاً إلى وجه، وسنأتي على تفاصيل المعارك التي خاضتها ضدّ قوى الأعداء.

ب. سرايا القوافل: فكانت تربط على طول طرق المواصلات بين القدس وتل أبيب، وبين القدس والمستعمرات المجاورة، فتهاجمها وتشتت شملها.

ج. سرايا الدفاع المستكن: كانت مهمتها محاصرة المستعمرات اليهودية، واصطياد حراسها، وعدم السماح لهم بمغادرتها، ومنها رجال القناصة العرب.

(135) ما أُدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي،

«مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 5.

د. سرايا الدفاع المتحرك: كانت تهاجم اليهود للتخفيف من ضغطهم، إن هم هاجموا العرب، وتختار مكاناً لمهاجمة اليهود غير المكان الذي يهاجمون هم فيه.

وقد شكّل فرقة المغاوير، وفرقة التدمير، وهي فرق صغيرة تتولى عمليات النسف والتدمير، واختار رجالها من الأشداء الذين يصلحون لأعمال الكوماندو. وكانت هذه الفرق بقيادة السيد فوزي القطب، وكانت مهمتها تنحصر في ضرب الأهداف اليهودية التي تعينها القيادة، وفي التسلل إلى الاستحكامات اليهودية، والعمل خلف الخطوط. وقد أبلى رجالها بلاءً حسناً، وأحرزوا انتصارات خارقة في هذا المضمار.

التدريب العسكري⁽¹³⁶⁾

كان يجري في كل يوم تدريب الجنود النظاميين على مختلف أنواع الأمور العسكرية، من استعمال أسلحة، وقيام مناورات، ونسف متفجرات. وكان يشرف على حركة التدريب هذه عدد من الضباط الذين اشتركوا في الحرب الأخيرة [الحرب العالمية الثانية]. كما استُعين بعدد من الضباط المسلّحين من أتراك ويوغسلافيين وغيرهم. وكان لا يحق لأي شخص الالتحاق بهذه القوة، إلا بعد التأكد من صلاحيته ومن حالته الصحية، ويُشترط فيه أن يكون قد نال قسطاً من التدريب العسكري، وخدم في الجيوش النظامية، مع مراعاة صغر سن الجندي المتقدم.

وقد أتقن رجال الجهاد المقدس شؤون التدريب العسكري إتقاناً كبيراً، في كل حركاتهم وسكناتهم. وكانت تظهر قوة تدريبهم ومهاراتهم في كل حركاتهم العادية والعسكرية، وفي روح النظام والطاعة التي كانوا يتحلّون بها. وكان يراعى في اختيارهم الناحية الخلقية مراعاة كبيرة، فكانوا جميعاً من ذوي العقيدة الصحيحة والأخلاق القيمة، ويقوم ضباطهم بإعطاء دروس لهم في الوطنية والجهاد. وكانت معنوياتهم مرتفعة ارتفاعاً لا مثيل له، وكانت الثقة بأنفسهم وقيادتهم تفوق كل حدّ. وكان كلهم متطوعين دفاعاً عن الحرية والدين والوطن وللجهاد في سبيل الله، لا

(136) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: المرجع نفسه.

يطلبون راتبًا أو مصاريف، حتى أنني أذكر أنه قد عُرض على أحدهم أخذ مبلغ من المال فرفض، بحجة أنه مجاهد، وأن ذلك قد يُعدّ أجرًا له، وهو لا يقصد إلا وجه الله وحده. وكان قائدهم خير مثل لهم في هذا المضمار وخير قدوة.

الشبكة اللاسلكية⁽¹³⁷⁾

كان أول عمل قام به القائد المرحوم [عبد القادر الحسيني]، عقب استقراره في مقرّ قيادته في بئرزيت، هو عمل شبكة لاسلكية للاتصال بعواصم البلاد العربية. وقد استعان ببعض الخبراء المصريين لإقامتها⁽¹³⁸⁾، ونقل إليها بعض مأموري اللاسلكي المعروفين بصدق وطنيتهم. وقد تم له، بفضل هذه المحطات، سرعة الاتصال بمقرّ الهيئة وبسماحة المفتي [محمد أمين الحسيني] في دمشق والقاهرة وبيروت وغيرها. وكان يوميًا ينقل إليهم الأخبار، ويأخذ منهم الرسائل والتوصيات. وقد عيّن السيد عريف بركات مأمورًا لاسلكيًا لبئرزيت. وقد كانت جميع الرسائل الصادرة والواردة إليه تُكتب بالشفيرة الخاصة، وكان في سيارته آلة لاسلكي ليتصل بها بمقرّ القيادة أيا كان وُجد⁽¹³⁹⁾.

محطة الإذاعة⁽¹⁴⁰⁾

بينما كنّا في بيت الدكتور سليمان سليم⁽¹⁴¹⁾ - من الكرك - في رام الله، وكثيرًا ما كنّا نجتمع فيه، فلقد كان عبد القادر [الحسيني] يحترم صاحب البيت

(137) ما أُدرج تحت هذا العنوان كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: المرجع نفسه.

(138) كتب عبد القادر الحسيني إلى الحاج أمين الحسيني في 4 كانون الثاني/يناير 1948، بعد أسبوعين تقريبًا من وصوله إلى فلسطين، يخبره فيها بوصول عريف اللاسلكي، وأنه سيبدأ أعماله: العمر، ص 433.

(139) يُنظر أيضًا ما كُتب داخل النص، في موضع آخر، عن نظام المراسلات اللاسلكية، ونظام تشفير المراسلات الخاص بقوة الجهاد المقدس.

(140) ما أُدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (17)»، الدستور، 27/11/1972، ص 4. وسبق للريماوي أن دوّن في مخطوطه عن عبد القادر الحسيني، في دفتر رقم 5، نصًا مختزلًا يتقاطع مع النص المدرج أعلاه. واقتصر على ما ورد في مقالة الدستور لشمولها جميع ما ورد في المخطوط.

(141) سليمان سليم (1897-؟): وُلد في مدينة الكرك في إمارة شرق الأردن. تلقى تعليمه في =

ويجلبه، وكان طبيب الحكومة في رام الله، حضر إلينا شاب اسمه أكرم، يعمل خبيراً فنياً في الإذاعة، فقال لعبد القادر إنه على استعداد لإقامة محطة إذاعة خاصة للجهاد المقدس، فرحب عبد القادر بذلك، فما كان من المهندس المذكور إلا أن أقام جهازاً بسيطاً في غرفة على سطح فندق الكازابلانكا برام الله، الواقع تجاه دار المعلمات حالياً، وربط، بطريقة فنية، الأسلاك بمحطة الإرسال برام الله. وأخذنا نبث من هذه المحطة أنباءً وتعليقات بالعربية والإنجليزية والعبرية. كان السادة: راجي صهيون يذيع بالعربية أحياناً، وحسن البيرودي بالعبرية، وكتب هذه السطور بالإنجليزية. وكانت الإذاعة مسموعة في القدس ورام الله، ونذيع مرتين؛ إحداهما في المساء، الساعة الثامنة والنصف. والأخرى في الصباح، في تمام السادسة والنصف⁽¹⁴²⁾.

كانت الإذاعات قصيرة ومقتضبة. وهنا، لا بد لي من التنويه بأننا لم نركز جهداً ملموساً أو كبيراً في هذا المجال، بل كانت إذاعة بسيطة ومتواضعة جداً، ولا تكلفنا شيئاً. وكنا نستعين ببعض الأساتذة لكتابة التعليقات أحياناً، و[حتى] انسحاب الإنجليز، ثم احتلال الإذاعة الرسمية (محطة الإرسال) أخذ العرب يذيعون بياناتهم منها. وقبل ذلك بقليل، تمكّن [فوزي] القاقوجي من استخدام

= مدرسة صهيون في القدس، ثم في الجامعة الأمريكية في بيروت التي تخرّج في كلية العلوم فيها في عام 1917. التحق بالقسم الطبي، ونال شهادة الطب في عام 1921. بعد تخرجه، عمل في دائرة الصحة في مدن عدة، قبل أن يلتحق بجامعة لندن الطبية للتخصص، ويتخرج فيها في عام 1937. عُيّن طبيباً للصحة في رام الله في عام 1940.

(142) نشرت صحيفة الدفاع بياناً من «إدارة محطة «الإذاعة العربية» التي سُبِّت باللغات الثلاث باسم الجهاد العربي المقدس، التابعة لقيادة الجهاد»، أشارت فيه إلى أنه سيتم إطلاق بثّ الإذاعة يوم الإثنين 1 آذار/ مارس 1948، وسيكون على موجة طولها 43 متراً، من الساعة السابعة صباحاً، والسابعة والتاسعة مساءً: «محطة إذاعة الجهاد العربي المقدس»، صوت العروبة، يتردد على موجات الأثير لنقل أنباء الجهاد»، الدفاع، 1/3/1948، ص 1. لكن كما يبدو، لم ينتظم البث، فأعادت الصحيفة نشر خبر يفيد بأنّ البث سينطلق يوم الأربعاء 10 آذار/ مارس 1948: الدفاع، 9/3/1948، ص 1.

يُشار إلى أنّ عيسى خليل محسن سجّل، من غير توثيق، أنّ بثّ الإذاعة كان من أحد الكهوف بالقرب من رام الله، وأشرف عليها خبراء يوغسلافيون، بالتعاون مع مهندس مصري يُدعى أنور الصدر، وأنّ عبد الله الريماوي وأكرم عبد السلام الحسيني المذيع في إذاعة «هنا القدس» تولّيا مسؤولية إذاعة البيانات: محسن، ص 217.

محطات الإرسال لإذاعة البيانات التي يريد، وكانت طافحة بالمبالغات والتهويل والتمجيد لشخصه ولجيشه.

تنظيم الدعاية⁽¹⁴³⁾

كان عبد القادر [الحسيني] يصدر بلاغات حربية موجزة وصادقة عن جميع المعارك التي كان يقودها ضدّ الأعداء. وكان مكتب النشر التابع لقيادة الجهاد المقدس يصدر البيانات المتتالية والتعليمات العسكرية إلى جمهرة الشعب، وتوزّع إما باليد أو بنشرات القنابل. وكثيراً ما كانت هذه البيانات مثار تعليقات الصحف اليهودية التي كانت تتناقلها بلا استثناء، وتعلّق عليها. وكان مكتب الدعاية يصدر نشرات باللغة الإنجليزية بتوقيع AMO، توزّع على رجال الجيش وأفراد البوليس البريطاني، وهي كلها تذكير بأعمال الإرهاب اليهودي ضدّ الإنجليز، واستخذاء الإنجليز أمام اليهود. وكان الجنود والرعايا [البريطانيون] يتلقفونها ويعلقون عليها، وهي في الحق كانت مقتطفات سهلة التريديد، حيث إنّ بعضها نُظِم شعراً لسهولة تلاوتها، وكلها تنديد بأعمال اليهود وبجرائمهم ضدّ البريطانيين.

إنّها الحرب: الدفاع/الهجوم

الدفاع عن القدس وجوارها⁽¹⁴⁴⁾

[إضافة إلى الترتيبات السابقة في مقرّ القيادة العامة، اهتم عبد القادر الحسيني بالدفاع عن مدينة القدس، وكذلك بوضع خطة هجوم عامة، نظّمها وأشرف على تنفيذها بنفسه]. أما الدفاع في مدينة القدس، فقد تم ترتيبه على النحو التالي⁽¹⁴⁵⁾:

(143) ما أُدرج تحت هذا العنوان، كنصّ رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 5.

(144) ما أُدرج تحت هذا العنوان، كنصّ رئيس معتمد في المتن، مستل من: المرجع نفسه.

(145) يغيب التزمين عن نصّ الريماوي وحديثه عن تأسيس النظام الدفاعي عن مدينة القدس، =

وُزَّعت المدينة إلى ستة أحياء، وهي: 1 - حيّ الشيخ جرّاح وباب الساهرة وواد الجوز، وُعِين السيد محمود جميل الحسيني قائدًا له، وبعد استشهاده [في 8 كانون الثاني/يناير 1948]، عُيِّن السيد محمد عادل النجار قائدًا للشيخ جرّاح وواد الجوز. 2 - حيّ البلدة القديمة، وُعِين السيد صبحي أبو غربية مسؤولًا عنه، وبعد إصابته، عُيِّن السيد حافظ بركات. 3 - حيّ دير أبو طور، وُعِين السيد أبو حمدي [محمد سعيد] بركات. 4 - حيّ القطمون، [وُعِين له] السيد شفيق اعويس، وبعد فشله، عُيِّن السيد إبراهيم أبو دية. 5 - مأمن الله، [وُعِين له] السيد محمود أبو تايه. 6 - باب الخليل، [وُعِين له] صبحي بركات⁽¹⁴⁶⁾، وقد استشهد. 7 - وحيّ النبي داود، [وُعِين له] السيد صبحي الداودي. وكان يشرف على الجميع السيد سامي الحسيني.

= فكما توضح المصادر، فإنّ النظام الدفاعي عن الأحياء وعموم المدينة بُني بالتدرّج. وكذلك الأمر في الخطة الهجومية التي تطورت مراعية ظروف المعارك، ومستفيدة من تجارب القتال. وتنعكس ذلك بعض مراسلات عبد القادر الحسيني، فأرسل إلى الحاج أمين الحسيني بعد أيام من استقراره في فلسطين، في 1 كانون الثاني/يناير 1948، رسالة كان مما جاء فيها: «1- أصبح دفاع القدس حسناً، وقد تحوّل في بعض الأحوال إلى هجوم قوي معاكس. 2- رأينا أنّ الهجوم من داخل القدس لا بد منه لتقوية المعنويات، ولإزالة بعض النقاط الخطرة، مثل مستشفى الأمراض العقلية في الشيخ جرّاح، ومستشفى هداسا والجامعة العبرية، إذ يكمن الخطر فيها على الاتصال بالمدينة من الشمال والشرق: العمر، ص 432. وأرسل في 4 كانون الثاني/يناير 1948: «1- قد أكملنا الأسس اللازمة لتنظيم قرية لفتا والقرى المجاورة لها، وقد عيّنا السيد يحيى حمودة مسؤولاً عنها. 2- نحن مهتمون جداً بمنطقة عين كارم، وسننتقل إليها في القريب العاجل. 3- إنّ مسألة تأمين الدفاع عن القدس والقرى المحيطة بها هي شغلنا الشاغل، وقد قطعنا شوطاً في هذا السبيل. 4- نحن يقظون وحذرون، ونحاول الاستفادة من مجهود كل فرد، في سبيل المصلحة العامة»: العمر، ص 432. وكتب أيضاً في اليوم ذاته: «إنّ اليهود ينقلون قواتهم من كل مكان إلى القدس، وإنّ خسائر الهاغاناه في القدس جسيمة جداً، ونحن نحاول قطع جميع طرق المواصلات اليهودية المؤدية إلى القدس، وننتقل من مكان إلى آخر حسب الظروف، وننتصل بالرجال المسؤولين لإعداد نظام ثابت، وتركيز المسؤوليات في مختلف المناطق. وما زال هجومنا دفاعياً، لرفع المعنويات، وإزالة بعض نقاط يهودية خطيرة لا بد من إزالتها لتسهيل مهمة الدفاع»: المرجع نفسه، ص 431. وكتب أيضاً في 12 كانون الثاني/يناير 1948: «1- أنا مهتم جداً بدفاع القدس، وقد أصبح قوياً، والقدس الآن ساحة حربية»: المرجع نفسه، ص 433.

(146) صبحي رباح بركات (؟-1948): وُلد في القدس. اشترك في ثورة 1936-1939، ومع اندلاع حرب 1947-1949، تسلّم قيادة المقاتلين في حيّ النبي داود في القدس. استشهد في 7 كانون الثاني/يناير 1948، بعد إلقاء مجموعة من الإيتسل قنابل على باب الخليل.

وقد عُيِّن السيد صلاح الحاج مير آمرًا لمدينة القدس بعد ذلك. وقد سُكِّلت فرقة صغيرة متجولة كقوة ضاربة، بقيادة السيد [عبد النور] جنحو أبو خليل⁽¹⁴⁷⁾. وقد أقام المسؤولون عن هذه الفرق الاستحكامات المتينة وحواجز الأسمت المسلَّح في منافذ الشوارع المؤدية إليها من الأحياء اليهودية، واحتلوا جميع العمارات التي تواجه اليهود وزوّدوها بأكياس الرمل، وكان يربط المجاهدون في هذه الاستحكامات ليلاً نهارًا. ووضِع في البنايات المشرفة على المناطق اليهودية عدد من أمهر الرماة، وسُمّوا بالقنّاصين، لاصطياد كل من يلوح من جنود الأعداء، وكثيرًا ما أوقعوا بهم إصابات عديدة، حتى حرّموا عليهم الحركة من قريب أو بعيد، وأوجدوا الذعر في قلوبهم وشلّوا حركتهم.

وكان لكل حامية من هذه الحاميات، مقرّ مزود بأجهزة التليفون، [.....] تربطه بجميع مراكز الدفاع الأمامية ومراكز الحاميات الأخرى، ومنه يجري تبليغ المسؤولين عن الحالة، فإذا قام الأعداء بهجوم في نقطة من النقاط، لا يمضي [بضع] دقائق حتى يُحاط جميع مراكز الدفاع علمًا بها، وفي الحال، يُنقل الخبر إلى مركز القيادة العامة، فإن لزم الأمر، تحركت القوى من المركز العام للنجدة. وبفضل هذه الوسائل، والسهر ويقظة المسؤولين، ومراعاتهم النظام، واستبسالهم وسهرهم الليل والنهار، نجت جميع الأحياء العربية من

(147) عبد النور خليل جنحو (1923-1978): وُلد في يافا، ثم انتقل وأسرته للعيش في القدس. تلقى تعليمه الثانوي في مدرسة المطران، ثم التحق، في عام 1942، بالجيش البريطاني، واشترك في المعارك على الجبهة المصرية. عمل، بعد الحرب، مراقبًا للأسرى في سجن القدس إلى أن التحق في الجهاد المقدس. بعد انتهاء حرب 1947-1949، انتقل إلى رام الله، ومارس نشاطًا تجاريًا هناك، وعُرف خلال هذه الفترة بقربه من نظام الحكم الأردني. بعد احتلال عام 1967، أقام جنحو علاقات تجارية مع شخصيات إسرائيلية. وكما يبدو، فإنّ صلاته أيضًا توثقت مع رجال المخابرات الصهيونية، والإدارة العسكرية الصهيونية في الضفة الغربية، وكان أحدهم ضابط مخابرات الهاغاناه الأبرز خلال حرب 1947-1949، المختص بالشؤون العربية، يهوشوا فيلدمان (جوش بلمون). سعى جنحو إلى تشكيل قائمة للمشاركة في الانتخابات البلدية في عام 1972، فكان لصلاته مع الصهاينة، ومن ثم تحديه لمنظمة التحرير وقراراتها المتعلقة بالمشاركة في هذه الانتخابات، أثر في تعرّضه لعدد من الهجمات. وفي أثناء تظاهرة ضدّ هذا النشاط، قتل جنحو خليل الفتاوي، في 16 نيسان/أبريل 1976، بسلاح مرّخص من الصهاينة، وبرأت المحاكم الصهيونية جنحو. في 8 شباط/فبراير 1988، اغتالته مجموعة من ناشطي الجبهة الشعبية في وسط مدينة رام الله.

شروع الهجمات اليهودية المركزة التي كانت تتعدد في اليوم الواحد. وكثيراً ما تبادلت الأيدي العمارة الواحدة عدة مرات. وكثيراً ما كان المجاهدون يحتلون طابقاً من العمارة، ويحتل الأعداء الطابق الآخر، والبنائات الواقعة في مناطق الحدود خير شاهد على ذلك، فالتى سلّمت منها من النسف، في كل شبر منها أثر للرصااص والمتفجرات.

وقد أبلى رجال عبد القادر [الحسيني] بلاءً حسناً، فعدا عن صدهم لهجمات اليهود في مختلف الأنحاء طيلة الأشهر التي كان يقود فيها الجهاد المقدس، والتي سبقت دخول الجيوش العربية، إلا أنّ رجال عبد القادر تمكّنوا من تدمير مئات الاستحكامات والعمارات اليهودية التي تجاوز الأحياء العربية، وجعلوها أطلالاً، فإذا ما دخل زائر القدس قادماً من الشمال، يرى على يساره، وهو مار بحيّ الشيخ جرّاح، عشرات البيوت اليهودية تحرّ على الأرض وهي مدمرة كل التدمير، وقد نُسفت على رأس من فيها من رجال الحرب اليهود. [.....] وقد كان لا يمضي يوم واحد إلا ويقوم اليهود فيه بهجمات شديدة في مختلف النواحي، وإليك الحالة، حسب التقارير الحربية في مختلف الأحياء، بعد مرور شهر على بدء الاشتباكات:

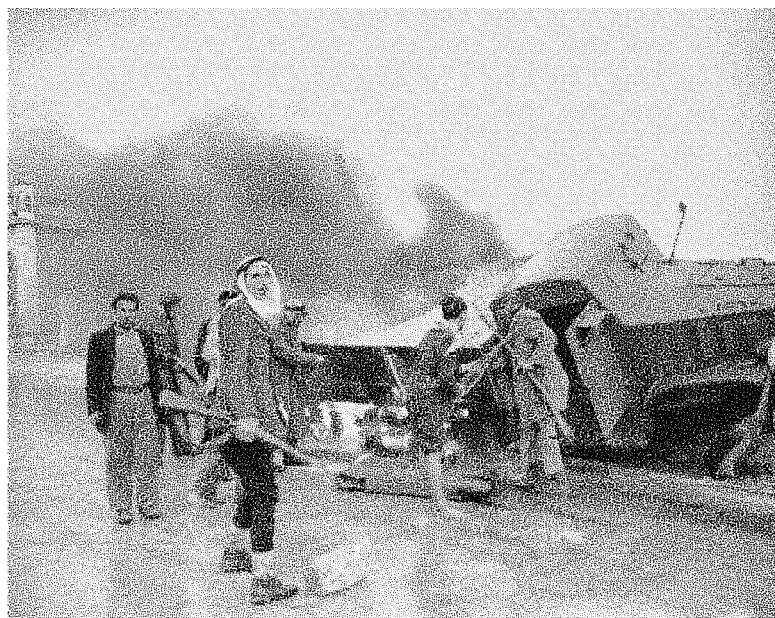
منطقة الشيخ جرّاح: قام اليهود في الشهر الأول بعشر هجمات مركزة، كانوا يهدفون فيها تدمير استحكامات العرب، وقطع الطريق الموصلة القدس بالمنطقة الشمالية، أي طريق القدس - رام الله - نابلس، إلا أنهم فشلوا فيها جميعها، وتكبدوا خسائر فادحة، وتمكّن الفدائيون العرب من نسف خمسة استحكامات تسيطر على طريق القدس - رام الله، فكان يكمن فيها [المتلصصون] اليهود، حيث [يطلقون] النار على المارة.

وبذلك تمكّن رجال حامية الشيخ جرّاح وباب الساهرة - الذين كانوا بقيادة السيد محمود الحسيني - من تقديم خط الدفاع عن المنطقة ثلاثمئة متر إلى الأمام في قلب المنطقة اليهودية، فأصبحت منطقة سانهدست اليهودية هي خط الدفاع الأول لحامية الشيخ جرّاح وباب الساهرة. وقد نُسفت بعد ذلك جميع العمارات اليهودية التي كان يتحصن فيها اليهود، ويتخذون منها مراكزهم

الأمامية للدفاع، وكان عدد هذه البنايات كثيرًا جدًا، فبذلك أصبح خط الدفاع اليهودي في تلك المنطقة ركامًا من الحجارة، وأقيمت خلفه خطوط الدفاع العربية. وقد تم بذلك تطويق القسم اليهودي من الجهة الشمالية، وقد كان في النية اتخاذ هذه المنطقة نقطة لاحتلال القسم اليهودي من مدينة القدس. وقد تم بالفعل احتلال حيّ ميثاه شعاريم، وهو قلب المنطقة اليهودية فيما بعد، إلا أنّ المسؤولين عن الجيش العربي أمروا المجاهدين بالانسحاب من تلك المنطقة، هذا بعد دخول الجيوش العربية فلسطين، وتسلم قيادة الدفاع والهجوم ومهمة الحرب إليها.

الصورة (2-5)

مقاتلون عرب في منطقة الشيخ جراح، في أثناء هجوم لهم على قافلة صهيونية



المصدر: أسوشيتد برس، التُقطت بتاريخ 7 آذار/ مارس 1948، تصوير جيم برينجل.

استشهاد قائد الحيّ: إلا أنه حدث، [...] بينما كان يقوم قائد المنطقة المرحوم السيد محمود جميل الحسيني بالتفتيش على مراكز الحرس، أن أُطلقت عليه النار، فاستشهد عن عمر يناهز الخامسة والعشرين، وهو من خيرة

الشبان المندفعين الذين اشتهروا بالإقدام والجرأة، وكان أعوانه منتقين من خيرة الرجال من قضاء رام الله وجنين والسيلا وغيرها. وقد تمكّن القائد المذكور من قطع المواصلات بين مستشفى هداسا والجامعة العبرية، وبين يهود القدس. وقد هاجم، هو وبعض إخوانه، قافلة كانت تقلّ عددًا من حراس هاتين العمارتين بالأسلحة الأوتوماتيكية، فأوقعوا بهم خسائر فادحة، وأصابوا عددًا منهم بجراح. وبذلك، تكون الحالة في هذه المنطقة قد تحوّلت من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم.

البلدة القديمة: لا يخفى ما للدفاع عن البلدة القديمة من أهمية بالغة، إذ إنها تحتوي على الأماكن المقدسة، وهي مركز تجاري كبير تنحصر فيه معظم ثروات السكان العرب. وفي البلدة القديمة، تقع حارة اليهود، ويسكنها حوالي ألف يهودي⁽¹⁴⁸⁾، وقد عهد إلى السيد صبحي أبو غربية، وهو من أبرز رجال الجهاد المقدس، مهمة الدفاع عن البلدة القديمة. وكان السيد حافظ بركات يتولى قيادة إحدى نواحي الدفاع في تلك المدينة إلى جانبه، فقام السيد صبحي بمجهودات جبارة، والتفّ حوله عدد من الرجال الأشداء، حتى أنه في الأيام الأولى لنشوب القتال تمكّن من دخول الحيّ اليهودي، بالرغم من وجود قوات الدفاع اليهودية القوية والكثيرة، ومساعدة الإنجليز لهم، وبالرغم من الاستحكامات الكثيرة والمنيعة.

نعم، لقد تمكّن حُماة البلدة القديمة، وعلى رأسهم القائد صبحي أبو غربية، من اقتحام خطوط الدفاع اليهودية، والتوغل إلى قلب المدينة حتى الكنيس اليهودي. وبعد أن دخل السيد صبحي الكنيس الذي كان يحتمي فيه المحاربون اليهود، ويتخذونه وكرًا لهم، محاولًا احتلاله، أُطلقت عليه النار، فأصيب في رأسه إصابة بالغة، وتُقل على الأثر إلى المستشفى الفرنسي

(148) حول حارة اليهود قبل الحرب وخلالها، يُنظر: نظمي الجعبة، حارة اليهود وحارة المغاربة في القدس القديمة التاريخ والمصير ما بين التدمير والتهويد (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2019)، ص 36-48، مقارنةً عن الوضع الديمغرافي في الحيّ ب: موشيه أرنولد، حصار داخل حصار: المربع اليهودي في القدس العتيقة في حرب الاستقلال [بالعبرية] (تل أبيب: دار نشر وزارة الدفاع، 2004)، ص 7-30.

بالقدس، حيث أُجريت له عمليات. وقد بقي بين الحياة والموت عدة شهور، إلى أن كُتبت له السلامة، فشُفي بأعجوبة بعد مرور سنين على إصابته⁽¹⁴⁹⁾. وقد عُهد بالقيادة إلى السيد حافظ بركات، فأخذ يشدّد الخناق على اليهود، وحاصرهم حصارًا شديدًا، وتمكّن من قطع التموين والمدد عنهم. وكان يهاجمهم في الليل والنهار، حتى استسلموا في النهاية، ونُسفت استحکاماتهم والبيوت التي كان المسلّحون اليهود يكمنون فيها ويطلقون النار على العرب. وكان الاستسلام بعد دخول الجيوش العربية⁽¹⁵⁰⁾.

شارع مأمّن الله: وكان السيد محمد أبو نواب مسؤولًا عن الدفاع عنه، فتمكّن بفضل النجيدات التي كانت ترابط فيه من صدّ هجمات اليهود المتتالية على هذا الحيّ، فلم يتمكّن اليهود من الوصول إليه، بالرغم من أنه يقع في قلب المدينة الجديدة، وتسيطر عليه أبنية الوكالة اليهودية والأحياء الأخرى من المدينة اليهودية. وكان يحمي مداخله استحکامات كبيرة من الأسمنت المسلّح. ولم يتمكّن اليهود من احتلاله، إلا بعد دخول الجيوش العربية، ونفاد العتاد والذخيرة من المجاهدين. وقد كانت عمارة الأوقاف الكبيرة⁽¹⁵¹⁾ مركزًا للقيادة، وقد حاول اليهود نسفها مرات عديدة، إلا أنهم لم يتمكّنوا من ذلك.

(149) أُصيب صبحي أبو غربية في 11 كانون الأول/ديسمبر 1948، في اشتباكات مع الحيّ اليهودي في البلدة القديمة. يُنظر ما كتبه بهجت أبو غربية، مقارنًا بما كتب الريماوي، في: أبو غربية، في خضم، ص 158-159، مع الإشارة إلى خطأ تزمين أبو غربية لتاريخ الإصابة، ونقاشه لبعض ما انتشر حول الإصابة كما سجّل الريماوي هنا، وللמיד عن هذا الهجوم وإصابة صبحي أبو غربية، يُنظر: «إصابات العرب»، الدفاع، 12/12/1947، ص 4. وعن الهجوم، يُنظر: «معركة تستمر 5 ساعات داخل المنطقة اليهودية بالقدس»، الدفاع، 12/12/1947، ص 1، 4؛ «مناوشات القدس»، الشعب، 12/12/1947، ص 4. ويُقارن بتغطية الصحف العبرية لخبر الهجوم وإصابة أبو غربية، في: «معارك شوارع في القدس ليلا ونهارًا بلا هدوء»، عال همشمار [بالعبرية]، 12/12/1947، ص 10؛ «قائد الفتوة يقتل في القدس»، هبوكر [بالعبرية]، 12/12/1947، ص 2؛ «زوار رأس العصابة»، عال همشمار [بالعبرية]، 14/12/1947، ص 1.

(150) حول سقوط الحيّ اليهودي، في 28 أيار/مايو 1948، ومعاركه الأخيرة، يُنظر: عبد الله التل، كارثة فلسطين مذكرات عبد الله التل قائد معركة القدس، ط 2 (كفر قرع: دار الهدى، 1990)، ص 110-137؛ العارف، معج 1، ص 478-483؛ مقارنًا بـ: أرنولد، ص 173-253.

(151) فندق الأوقاف (فندق القصر The Palace Hotel): فندق بُني بمبادرة من المجلس =

باب الخليل والنبي داود: وكان يشرف على الدفاع عنهما السيد صبحي بركات، وهم من خيرة المجاهدين البارزين الذين يثق بهم عبد القادر [الحسيني]، وقد تمكّن من الدفاع عن هذه المنطقة. وقد كان اليهود في الماضي يتسللون لإلقاء المتفجرات في باب الخليل⁽¹⁵²⁾، أو يدخلون منها إلى البلدة القديمة، إلا أن أعين الحراس ورجال الدفاع حالت دون بلوغهم مرادهم. وقد أُلقي القبض على أحد اليهود اليمينيين، بينما كان يركب سيارة مملوءة بالمتفجرات، ويحمل هوية عربية موقعة من قائد اللواء الإنجليزي. كما أُلقي القبض على يهودي آخر يحاول ارتكاب نفس الجريمة⁽¹⁵³⁾.

وكان ليقظة المسؤولين الفضل الأول في وقف أعمال النسف وإلقاء القنابل اليهودية على الأحياء والسكان العرب، كما اعتادوا عمله في السابق، في حوادث التسلل التي كانوا يرسلون نساءهم بزي مسلمات لإلقاء القنابل في سوق [البازار] وغيره. ولمّا فشل اليهود في إلقاء المتفجرات على السكان العرب، قاموا بمحاولة أخيرة، إذ تقدّمت سيارة، ولمّا أصبحت على مقربة من الحرس، انتهروها ففرّت، ولحقوا بها مطلّقين النار عليها، فأُلقيت قبلة أصابت السيد صبحي [بركات] بجراح توفي على إثرها شهيداً [في 7 كانون الثاني/يناير 1948]. ولم يتمكّن اليهود من احتلال هذه المنطقة، إلا بعد دخول الجيوش العربية واستلامها مهمة الدفاع عنها وعن غيرها⁽¹⁵⁴⁾.

=الإسلامي الأعلى، برئاسة الحاج أمين الحسيني، في عام 1927، وشكّل نقطة فاصلة مع الأحياء اليهودية القريبة، ويقع إلى جوار المقبرة الإسلامية في مأمن الله. افتتح في كانون الأول/ديسمبر 1929. استأجرت الحكومة الاستعمارية الفندق بعد إغلاقه عام 1935، ليصبح مبنى لمكاتبها، وتحوّل خلال حرب 1947-1949 إلى منطقة تماس، إلى أن احتلّ في 18 أيار/مايو 1948. يُنظر: العارف، مج 1، ص 327.

(152) من ذلك إلقاء أفراد من منظمة الإيتسل قنابل على الموجودين في المنطقة في 7 كانون الثاني/يناير 1948، استشهد على إثره 15 شخصاً: «14 شهيداً و35 جريحاً في اعتداء غادر بالقدس والفتك بثلاثة من المجرمين وإصابة اثنين بجراح»، الدفاع، 8/1/1948، ص 1؛ «شهاداؤنا في جناية باب الخليل»، الدفاع، 9/1/1948، ص 1؛ العارف، مج 1، ص 77-78.

(153) المصدر نفسه، مج 1، ص 281.

(154) عن معارك الأيام الأخيرة في هذه المنطقة، يُنظر: المصدر نفسه، مج 1، ص 422-425،

461-460.

أما حامية النبي داود، فإنّها تقع على مرتفع جبل صهيون، وتسيطر على حيّ المنتفوري اليهودي، فكانت تُسكت مقاومتهم وتصليهم وإبلاً من نيرانها، كلما حاولوا التعرّض إلى السيارة العربية التي تسلك طريق القدس - بيت لحم - الخليل. وقد تمكّن الفدائيون العرب من نسف هذا الحيّ، كما سيأتي بعد ذلك.

حيّ القطمون: وهو الحيّ الذي يقع جنوب وجنوب غرب القدس، ويواجه الأحياء اليهودية من مدينة القدس. وكان أمر الدفاع فيه موكولاً إلى السيد شفيق اعويس. وبالرغم من شدة الجنود الذين عُهد إليهم بالدفاع عن الحيّ، إلا أنّ كفة اليهود كانت الراجحة، وذلك راجع إلى زيادة عددهم وتوفر عتادهم، وإلى ضعف قيادة الحيّ، فتمكّن اليهود من التسلل ونسف بعض العمارات، ومنها فندق سميراميس [مطلع 5 كانون الثاني/يناير 1948]⁽¹⁵⁵⁾. ومع أنّ اليهود تمكّنوا من الوصول إلى بناية الفندق، بعد أن مهّدوا له بنيان رشاشاتهم الكثيرة، إلا أنّ المسؤول عن الدفاع لم تهنّ عزيمته، وأصرّ على المقاومة إلى النهاية، حتى خرّ شهيداً، فكان أول الشهداء، وهو السيد محمد عبد الرازق من بيت ريماء.

وقد أوجس أهالي الحيّ، ومعظمهم من الطبقة الراقية والأغنياء، أوجسوا خيفة، وطلبوا المدد، فحضر القائد عبد القادر [الحسيني] إلى الحيّ، وأشرف بنفسه على إقامة خطوط الدفاع، ومكث بضعة أيام ثم انسحب إلى مقرّ قيادته، بعد أن عهد إلى السيد إبراهيم أبو دية، أمر السرية الثالثة، بأن ينتقل إلى حيّ القطمون بسرية للدفاع عنه، فتولى إبراهيم [أبو دية] الدفاع، وقد أبلى بلاءً

(155) عن تفجير الفندق، يُنظر: فلسطين، 1948 / 1 / 6، ص 1؛ الدفاع، 1948 / 1 / 6، ص 1؛

العارف، مج 1، ص 76؛ سلوتسكي، مج 2، ص 1395. ويُنظر: Milstein, vol. 3, pp. 88-93; Eliezer Tauber, *Military Resistance in Late Mandatory Palestine the Activities of the Jewish and Arab Military Organizations as Reflected in the Reports of High Commissioner General Sir Alan Cunningham* (Ramat Gan: Bar-Ilan University Press, 2012), pp. 215-216.

ويُنظر وصفاً لحال السكان بعد التفجير في: خليل السكاكيني، يوميات خليل السكاكيني: يوميات، رسائل تأملات، الكتاب الثامن: الخروج من القطمون، 1942-1952، أكرم مسلم (محرر) (القدس: مركز خليل السكاكيني؛ مؤسسة الدراسات المقدسية، 2010)، ص 237-238.

حسناً، فتمكّن من قهر اليهود ومن صدّ هجماتهم المتكررة وتكبيدهم أفدح الخسائر، وأخذ يهاجمهم هجمات جريئة موفقة، وأُصيب في بعض المعارك بجراح، إلا أنه بقي رافضاً الابتعاد عن الحيّ. وبالرغم من كثرة جراحه، إلا أنه بقي مرابطاً في الحيّ، حتى يوم 15 أيار/ مايو 1948، أي بعد دخول الجيوش العربية، حيث شنّ اليهود هجوماً قوياً قام به ألوف منهم، فاستشهد معظم حُماة الحيّ وزاد عددهم عن 90 شخصاً.

أما اليهود، فكان قتلهم يُعدّون بالمئات، وتمكّن [إبراهيم] أبو دية، وعدد من الجنود، من النجاة، وقد تم ذلك بعد دخول الجيوش العربية، وبعد استلامها مهمة الدفاع عن تلك المنطقة، وعلى مرأى منها. وقد كانت بعض قوى جيش الإنقاذ ترابط في تلك المنطقة، إلا أنّها انسحبت في بدء المعركة تاركة مراكزها، مما ساعد على احتلال اليهود لهذه المنطقة⁽¹⁵⁶⁾.

حيّ دير أبو طور [حيّ الثوري]: وهو من الأحياء العربية الواقعة إلى الجنوب الشرقي من القدس. وقد عُهد إلى السيد [أبي] حمدي [محمد سعيد] بركات مهمة الدفاع عنه، فتمكّن من السيطرة على الموقف، وصدّ جميع هجمات اليهود، حتى أنه بالرغم من محاولات اليهود المتكررة الدخول إلى الحيّ واحتلاله، قبل دخول الجيوش العربية وبعدها، إلا أنهم لم يتمكّنوا من ذلك، وبقي الحيّ عربيّاً، وله أهمية لوقوعه في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة، إذ لو تيسر لليهود احتلاله لتمكّنوا من السيطرة على المواصلات التي تصل بين القدس والمناطق العربية الأخرى في هذه المنطقة.

أما حاميات الدفاع في ضواحي القدس فهي: 1 - حامية بيت صفافا.

(156) عن معارك الأيام الأخيرة في القطمون، يُنظر من وجهة نظر السكان: السكاكيني، الكتاب الثامن، ص 300-303؛ العارف، مج 1، 281-288. ولمقارنة الأرقام التي قدّمها الريمائي عن خسائر الصهاينة وعن المعارك في الحيّ عموماً، يُنظر: معارك يوسفي [بالعبرية]، ألون كاديش وموشيه أرنولد (محرران) (تل أبيب: دار نشر وزارة الدفاع، 2008)، ص 99-168؛ إياهو سيلع، «معركة القطمون»، في: القدس في 1948: مصادر، ملخصات، قضايا ومواد مختارة [بالعبرية]، مردخاي نؤار (محرر) (القدس: ياد يتسحاق بن تسفي، 1983)، ص 72-79.

2 - حامية صور باهر. 3 - حامية شعفاط. 4 - حامية الطور وسلوان. 5 - حامية لغتا وعين كارم. 6 - حامية قلندية وكفر عقب. [و]حاميات النبي صمويل ودير أيوب وبيت سوريك وقلونيا وبيت إكسا والقسطل وبيت محسير، وهي القرى التي تسيطر على طريق القدس - يافا، وتواجه المستعمرات اليهودية في تلك المنطقة [.....].

- بيت صفافا: بيت صفافا قرية تتصل بناياتها بمدينة القدس من الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية، وتتصل بحيّ ميكور حاييم اليهودي، ومهمة الدفاع عنها مهمة شاقة، لأنّ اليهود يحيطون بها ويكادوا يفصلونها عن القدس، ولا توجد قرى عربية بجانبها، اللهم إلا قرى بني حسن، وهي تبعد عنها عشرين كيلومتراً. وهي تُعتبر من القرى المحاطة باليهود، وقد أُطلق عليها نظام الدفاع من القسم «أ». أما سكانها، فكان عدد كبير منهم قد غادر القرية لحرارة موقفها، وثبت فيها فئة من المؤمنين الصابرين من مسلّحي القرية، بقيادة السيد محمود العمري⁽¹⁵⁷⁾، رحمه الله، الذي أبى هو وأقربائه من أفراد عشيرته مغادرة القرية، وأبوا إلا أن يموتوا فيها.

وقد بدأت المناوشات بينهم وبين اليهود، فصدّوها⁽¹⁵⁸⁾. وقد أخذت نجدات القرى المجاورة تهرع إليهم وترابط في قريتهم، إلا أنّها لم تكن كافية للدفاع عنهم، فحضر عبد القادر [الحسيني] إلى القرية، وشنّ فيها هجوماً كبيراً على الحيّ اليهودي المجاور ميكور حاييم، ونسف بعض استحكاماته. ولم يغادر القرية حتى ترك حامية للدفاع عنها، وهي سرية كاملة من رجال الجهاد

(157) محمود الشيخ جابر العمري (1925-1948): وُلد في قرية بيت صفافا جنوب شرق القدس. عمل في قوة حرس الحدود المشهورة بـ «الزناز الأحمر» التابعة للحكومة الاستعمارية البريطانية، كان من مؤسسي فرقة الفتوة وقادتها في بلدة بيت صفافا. استشهد العمري في المعارك الأولى خلال حرب 1947-1949، صباح الجمعة 13 شباط/فبراير 1948، أثناء التصدي لهجوم قوة من الهاغاناه على بلدته بيت صفافا.

(158) عن معركة بيت صفافا الأولى، في 25 كانون الأول/ديسمبر 1947، التي استشهد فيها أحد مقاتلي البلدة، موسى عيسى محمد، يُنظر: «حوادث القدس»، الدفاع، 26/12/1947، ص 4؛ «حوادث القدس»، الشعب، 26/12/1947، ص 4؛ العارف، مج 1، ص 71-72؛ Tauber, *Military*, p. 203.

المقدس الأشداء، ومعظمهم من السودانيين، بقيادة السيد محمد علي⁽¹⁵⁹⁾. وقد استبسل حُماة القرية في الدفاع عنها واستماتوا، وبذل السيد عبد الله العمري⁽¹⁶⁰⁾ جهودًا كبيرة في تسهيل أمور القيادة والإشراف على المسلّحين.

وبذلك صمدت القرية، وبقيت شوكة في حلق اليهود، إلا أنّ السيد محمود العمري استشهد في المعارك الأولى للدفاع، فتولى السيد محمد علي الإشراف التام على الشؤن العسكرية، وقد أبلى هو ورجاله البلاء الحسن، وأذاق اليهود أهوال الحرب ومرارته، وردّ جميع هجماتهم، حتى أنّ اليهود كانوا لا يجرؤون على مهاجمة حُماة القرية، ويفرّون أمامهم حالما يرونهم، وهم من الرجال السود الأشداء المجاهدين. وهكذا بقيت هذه القرية، بالرغم من تفوّق اليهود وإحرازهم انتصارات في جميع الميادين، وبالرغم من احتلالهم الأحياء العربية في مدينة القدس والقرى المجاورة لهذه القرية، بقيت علمًا في قلب المنطقة اليهودية، تدافع بهمة عالية حتى لم يستطع اليهود الاقتراب منها، لا قبل دخول الجيوش العربية ولا بعده، عدة أشهر، حتى تم تسليمها لليهود في معاهدة رودس، وأمر حُماؤها بمغادرتها بعد ذلك التاريخ. وبذلك، تم تسليمها لليهود سلّمًا لا حربًا، بعد أن عجزوا عن احتلالها بالقتال⁽¹⁶¹⁾.

صور باهر: تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة القدس، وإن صحَّ

(159) يشير بهجت أبو غربية إلى أنّ المتطوعين السودانيين في الجيش المصري وصلوا إلى بيت صفافا عند جلاء المستعمر البريطاني عن فلسطين: أبو غربية، في خضم، ص 173. أما التل فيشير إلى أنّ القوات المصرية، بقيادة أحمد عبد العزيز، وصلت إلى البلدة وتعاونت مع مجاهديها بعد 20 أيار/ مايو 1948: التل، ص 164.

(160) عبد الله محمد العمري (1907-1989): وُلد في بلدة بيت صفافا جنوب شرق القدس. تلقى تعليمه في مدرسة البلدة، ثم كلية الفرير في القدس، في عام 1925. نشط في ثورة 1936-1939، واعتقلته السلطات الاستعمارية البريطانية أكثر من مرة، ولجأ إلى لبنان، ثم إلى سورية، ثم إلى بغداد، ثم إلى عمّان خلال السنوات 1937-1940. بعد عودته إلى فلسطين، فُرِضت عليه إجراءات لتحديد إقامته. عمل في التجارة، إلى أن اندلعت حرب 1947-1949، فأسهّم في قيادة الدفاع عن بلدته، وبقي فيها حتى وفاته.

(161) عن مفاوضات رودس وما حدث في جنوب القدس، وصور باهر، وجبل المكبر، وبيت صفافا، يُنظر: التل، ص 545-567؛ العارف، ص 349-355.

للفلسطينيين أن يفتخروا بمحافظتهم، وقوة شكيمتهم في الدفاع، فإنَّ صور باهر وبيت صفافا [مجال] للفخر ومدعاة للعزة، وشاهدتان على قوة واستماتة الفلسطينيين في الدفاع عن بلادهم وأراضيهم، واستعدادهم بذل الدم والنفس في كل شبر منها. وهي على مقربة من أحياء القدس الجنوبية، وتكاد بيوتها تتصل بحيّ مستعمرة رامات راحيل. وقد برهن أهالي صور باهر أنهم رجال حرب أشداء، وعزيمة حديدية، فانخرط شبّان القرية وانتظموا مشكّلين سرية كاملة⁽¹⁶²⁾، وعهد إلى السيد جاد الله الخطيب بأمر قيادتهم، وقد أحسنت قيادة «الجهاد» الاختيار، إذ إنَّ السيد جاد الله من خيرة رجال الجهاد المقدس، ومن أقربهم مودة إلى القائد الشهيد عبد القادر الحسيني، فقد صاحبه في مختلف المعارك التي خاضها في فلسطين في الثورات الأولى وفي العراق، وأبلى بلاءً حسنًا في جميع أدوار حياته. فقام هذا القائد المجرّب بإقامة الاستحكامات القوية المنيعة، وأخذ ينازل اليهود في الليل والنهار.

وبالرغم من مناعة موقع أحيائهم وسيطرتها على تلك الأنحاء، إلا أنه تمكّن من إقامة خط دفاع قوي يحاذي المنطقة اليهودية، فكال لليهود الكيل كيلين، وأقّص مضاجعهم، وأخذ يهاجمهم في أحيائهم، ويدكّ حصونهم على رجالهم، حتى تمكّن في [إحدى] المعارك من الدخول إلى قلب مستعمرة، ونسف معظم استحكاماتها، ولم يتمكّن اليهود من احتلال شبر من تلك المنطقة، لا قبل دخول الجيوش العربية ولا بعدها، وكانوا طيلة الوقت قد فقدوا حالة الهجوم، وكانوا في حالة دفاع مستمر، وعرضه لأخطار الهجمات المتتالية التي يشنّها جاد الله [الخطيب] وأعوانه في الليل والنهار. وتعرّضت استحكاماتهم للنسف فوق حُماتها المرة تلو الأخرى⁽¹⁶³⁾، كما تعرّض رجالهم

(162) عن سرية صور باهر التي قادها جاد الله محمود الخطيب، ونشاطها في القرية، ثم في منطقة بيت لحم، يُنظر ما سجّله أحد مقاتلي السرية: محمد محمود جاد الله، 100 عام من حياتي، عزيز محمود العصا (مراجعة وتحرير) (القدس: الرقمية، 2019)، ص 35-74.

(163) لِنماذج عن عمليات النسف التي نفّذتها سرية صور باهر، يُنظر: المصدر نفسه، ص 63-66. ويُنظر أيضًا شهادة أحد مقاتلي جماعة الإخوان المسلمين الذين رابطوا في صور باهر عن إحدى عمليات النسف في: حسين حجازي، من بطولات الإخوان في حرب فلسطين: جماعة افتدت أمة من مذكرات حسين حجازي (القاهرة: دار العدالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1988)، ص 133-145.

لرصاص القناصة العرب [الذين] كانوا يرابطون لهم، ويجندلوهم كلما لاح منهم شخص أو بدت حركة. وهكذا، عجز اليهود عن إحراز أي تقدّم بالحرب، إلا أنهم تمكّنوا من الاستيلاء على بعض الأراضي من القرية نتيجة لمفاوضات رودس وبطرق سلمية. [.....] (164).

الدفاع عن بقية منطقة القدس: ويشمل قرى شعفاط، والنبي صمويل، بدّو، دير أيوب، كفر عقب، قالونيا، بيت سوريك، القسطل، عين كارم، لفتا. إنّ هذه القرى تتمتع بمواقع استراتيجية هامة بالنسبة لمدينة القدس نفسها، فهي تشرف عليها وتحيط بها، عدا عن أنّها تشرف على طريق القدس - تل أبيب. ومعظم هذه القرى قلاع حصينة، كما هي الحال في النبي صمويل والقسطل. وقد كان أمر الدفاع عن هذه القرى موكولاً إلى مسلّحي أهل القرية أنفسهم الذين نظمهم القيادة، ومدّتهم بما تيسر من السلاح والذخيرة، وعيّنت شخصاً منهم مسؤولاً عنهم، يُضاف إليهم حاميات دفاع ثابتة تُرسل للمرابطة في قراهم بواسطة قيادة الجهاد المقدس، من مسلّحي قرى قضاء رام الله. وبالإضافة إلى ذلك، فكان يرابط فيها مغارز ثابتة من رجال جيش الجهاد المقدس النظاميين، وعلى رأسهم مسؤول من القيادة. وتتولى القيادة العامة مدّهم بالمؤن والذخيرة والمعدات، ونجدتهم عند الضرورة.

وقد هُجّر معظم سكان هذه القرى من الشيوخ والنساء والأطفال بيوتهم، وبقي المسلّحون. وقد شهدت هذه القرى معارك عنيفة دامية، كانت تتوقف في نتائجها على مقدار ثبات مسلّحي القرية، ومقدار تصميمهم وثباتهم للدفاع عن بيوتهم. وقد تحطمت قوات اليهود المرة تلو المرة على أبواب هذه القرى، ففي النبي صمويل، قام اليهود في شهر شباط/ فبراير 1948 بهجوم قوي جداً لاحتلال القرية، لما تتمتع به من حصانة، فهي على قمة جبل مشرف يسيطر

(164) كتب الريماوي في نهاية حديثه عن الدفاع في صور باهر: «وإليك وصف بعض المعارك التي دارت في هذه المنطقة، كما رواها قائد الحامية». لكن الريماوي ترك بقية صفحة المخطوط فارغة، ولم يثبت أي شهادة لجاد الله، ولا يُعرف إن كان الريماوي سيعتمد على تقارير جاد الله التي قد يكون سجّلها لُرسِل إلى قيادة الهيئة العربية العليا، أم أنه كان سيعمد إلى تسجيل هذه الشهادة من جاد الله مباشرة، لحظة وجودهما في القاهرة بعد الهزيمة وحل قوات الجهاد المقدس.

على مدينة القدس وضواحيها والطريق الموصل إليها من تل أبيب. واستمات اليهود في هجومهم، وقد اختاروا مطلع الفجر لمباغثة الحامية، إلا أن حُماة القرية كانوا لهم بالمرصاد، فأصلوهم وابلًا من نيرانهم، فارتدّوا على أعقابهم خاسرين، بعد أن تركوا عددًا من قتلاهم، وقد أُسر قائد الحامية اليهودية، وهو برتبة كابتن، ومسكوبي الأصل، وأُحضر إلى مقرّ القيادة في بئرزيت، حيث جرت محاكمته وأُطلقت عليه النار⁽¹⁶⁵⁾.

وقد شهدت قرى قالونيا ودير ياسين وبيت أكسا والقسطل معارك دامية مستمرة، شنها يهود المستعمرات المجاورة عليها، فكان يصدها حُماؤها. وبقيت هذه القرى شوكة في حلق المواصلات اليهودية، حتى استشهد القائد البطل المرحوم عبد القادر الحسيني في معركة القسطل، وهي أول قرية عربية حاول اليهود احتلالها في تلك المنطقة. أما قرى دير أيوب وبيت محسير، فكانت مفتاحًا لباب الواد، وكان يربط فيهما حاميات ثابتة من رجال الجهاد المقدس الأشداء، وتمكّنوا من المحافظة عليهما من محاولات اليهود المتكررة لاحتلالهما وفتح الطريق. وقد اتُخذت جميع هذه القرى مراكز لرجال الجهاد المقدس الذين كانوا يغيرون على القوافل اليهودية، فيحيطونها ويقضون عليها قضاءً تامًا، وذلك ما أقصّ مضاجع اليهود، وجعلهم يطلبون الهدنة المرة تلو الأخرى.

(165) لا يرد في المصادر المختلفة أي إشارة إلى مثل هذا الهجوم على النبي صمويل، لكن تتقاطع مع تفصيلات هذا الخبر التي يوردها الريمائي من أسر ضابط صهيوني، خبر أوردته صحيفة الدفاع، يتحدث عن فشل هجوم صهيوني استهدف قرية ساريس. ووفقًا للدفاع، فإنّ هذا الهجوم استهدف التخفيف عن الهجمات على مستعمرات كفار عتسيون، كما هو موضح لاحقًا، لكنّه فشل وأسفر عن استشهاد محمد خليل عليا (45 عامًا)، وموسى أحمد محمد (31 عامًا)، وإصابة أربعة آخرين. وأضافت الدفاع أنّ المناضلين غنموا أسلحة وعتادًا، وأسروا قائد اليهود، وهو من الهاغاناه، وأنّه لا يزال أسيرًا لدى قيادة المناضلين، وقد احتجز في مكان ما: الدفاع، 1948/1/17، ص 1، 4. صهيونيًا، تتحدث المصادر الصهيونية الرسمية اليوم عن وجود ثلاثة مفقودين، فُقدوا خلال هجمات في المنطقة بين 7-20 نيسان/أبريل 1948. والأقرب منها إلى المواصفات التي تحدّث عنها الريمائي هو موشيه بن طوف طربلنسكي، وهو من مواليد بولندا، وفقد في 12 نيسان/أبريل 1948، في أثناء محاولة إحدى القوافل الصهيونية الوصول إلى القدس، وكان يعمل سائقًا في لواء هارئيل، وصُنّف على أنه قتيلاً مجهول موقع الدفن.

[...] أما عين كارم، فإنّها تقع في الجهة الجنوبية الغربية من القدس، والأبنية اليهودية تشرف عليها إشرافاً تاماً، فهي وادٍ، وتمتد على سفح جبلين، تقوم على أحدهما الأبنية والحصون اليهودية من حيّ بيت هاكيرو. وقد قام اليهود بهجوم قوي من بداية الاشتباكات على القرية، فتصدى لهم حرّاسها من مسلّحي القرية، فصدّوهم وأوقعوا بهم خسائر فادحة، إلا أنّهم فقدوا أمر الحرس المرحوم محمد [الشخامي]⁽¹⁶⁶⁾، وهو من أبطال الجهاد المقدس المعروفين، ومن رجال عبد القادر الحسيني الأولين. وبالرغم من استشهاده، فقد صمم الأهالي على الدفاع إلى النهاية، وتولى السيد خليل منون قيادتهم، فعمل ليلاً نهاراً. وقد بقيت القرية، بالرغم من خطورة موقعها وقربها من مدينة القدس، طيلة الأشهر الأولى، ثابتة، وسكانها لم يغادروها إطلاقاً، حتى سقطت بعد دخول الجيوش العربية بشهرين، على مرأى من قيادة الجيشين العربي والمصري.

ولم يترك مسلّحو عين كارم الميدان، بل استحكموا في الجبال المحيطة بقريتهم، وشكّلوا سرية كاملة بقيادة السيد خليل منون، كانت تغير على اليهود ليلاً نهاراً في منطقتي الولجة وعين كارم، إلى أن حُلّت قوات الجهاد المقدس وتفرّق شملها.

أما قرية لفتا، فإنّ بيوتها مختلطة بالبيوت اليهودية بالقدس، وكثير من بيوت أهلها يسكنها اليهود، وموقعها خطر جداً⁽¹⁶⁷⁾، وقد غادرها معظم سكانها

(166) يظهر أنّ الريماوي أخطأ في اسم هذا القائد، فكما يظهر من نصوص الريماوي فإنّ محمد الشخامي لم يستشهد، ولجأ بعد الحرب إلى القاهرة. ويشير مؤرخ محلي إلى أنّ الشهيد إبراهيم محمد عيسى موسى (1892-1947)، «استشهد في أول معركة نشبت بين العرب واليهود في القرية، بالقرب من عين رواس، في 7/12/1947، بعد أن كاد يعتنه عبد القادر الحسيني في مركز القيادة بعين كارم، ولكنّ الأقدار سبقت تنفيذ كل قرار»: عطية، ص 156. مع ضرورة الإشارة إلى أنّ الشهيد سقط في منطقة عين رواس بعد هجوم صهيوني على بلدة عين كارم ليلة 29 كانون الأول/ديسمبر 1947، وليس كما ذكر المصدر السابق الذي يخطئ أيضاً في اسم الشهيد. يُنظر تفصيلات عن هذه المعركة في: «مهاجمة قريتي عين كارم والعيزرية»، الشعب، 30/12/1947، ص 1؛ «معركة بعين كارم واستشهاد عربي»، الدفاع، 30/12/1947، ص 4.

(167) يُنظر وصفاً لقرية لفتا في أربعينيات القرن العشرين: شريف كتعاينة ولبنى عبد الهادي، =

بعد شهرين من بدء الاشتباكات، وبقيت فيها حامية من النجديات، إلا أنّها لم تستطع المحافظة عليها، لانقطاع وسائل تمويلها، ولإحاطة اليهود لها من كل جانب. وقد تمكّن اليهود من نسف بعض بيوتها المجاورة لهم، ومعظم البيوت المنسوفة تخصّ عائلة آل صيام الذين رفضوا مغادرة البلدة حتى نُسفت بيوتهم فوقهم، بعد أن دافعوا قدر طاقتهم⁽¹⁶⁸⁾.

وأما قرى الطور والعيسوية والعيزرية وسلوان وأبوديس، وهي تحيط بالقدس من الجهة الشرقية والشمالية الشرقية، فإنّها لم تتعرّض لهجمات عنيفة كباقي القرى، ومع ذلك، كانت ترابط فيها قوات كبيرة من مسلّحي تلك القرى، وكان الرئيس الأول، السيد رشيد عريقات⁽¹⁶⁹⁾، مسؤولاً عامّاً عن تنظيم

= قرية لفتا، سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة رقم 13 (بيرزيت: جامعة بيرزيت، 1991)، ص 20-22، 28-30.

تعرّضت قرية لفتا لهجمات صهيونية متتالية منذ لحظة الاشتباك الأولى، وكانت «الحارة الفوقا» المجاورة لحيّ روميما، والوجود العربي في الحيّ موضع هذا الاستهداف الرئيس، فتعرّض بعض أهالي البلدة لإطلاق النار من صهيوني اقتحمها مساء 12 كانون الأول/ديسمبر 1947. وتعرّضت حافلة صهيونية، كانت تمرّ عبر حيّ روميما، لانفجار قنبلة يدوية ظهر 25 كانون الأول/ديسمبر 1947. وفي اليوم التالي، هاجم الصهاينة مقهى عربي في الحيّ بالنيران من دون وقوع إصابات، ونسفت الهاغاناه لاحقاً مصنعاً للمشروبات الغازية، لمالكه محمود اللفتاوي: Tauber, *Military*, p. 179, 203-204. وصباح 28 كانون الأول/ديسمبر 1947 ألقى الصهاينة قنبلة يدوية على محطة الوقود في روميما، ومن ثم فتحت مجموعة من منظمة «ليحي» الصهيونية النيران على مقهى صالح عيسى اللفتاوي، فاستشهد خمسة، وأصيب سبعة آخرون، لكنّ حُماة البلدة قتلوا مهاجماً وأصابوا البقية: «اشتباكات بالأسلحة والقنابل والمدى، واستشهاد 5، وإصابة 8 من العرب»، الدفاع، 29/12/1947، ص 1. ووفقاً لعارف العارف، فإنّ هذا الهجوم كان سبباً لرحيل معظم أهالي لفتا الذين يعيشون بين ميكور باروخ وروميما: العارف، مج 1، ص 73. وتشير روايات السكان إلى أنّ الرحيل تم من الحارة العليا المجاورة للوجود الصهيوني، إلى وسط البلدة أول الأمر: كناعنة، ص 23.

(168) هاجم الصهاينة مساء 19 كانون الثاني/يناير 1948 أولاً كسّارة لأحمد صالح عبد الله من لفتا، ونُسفت بعد تبادل لإطلاق النار مع حاميتها، ثم نسفوا منزل محمود عمر صيام، قرب مدرسة القرية الأميرية على طريق روميما، بعد اشتباك قصير مع حامية البلدة: الدفاع، 20/1/1948، ص 4؛ Tauber, *Military*, p. 231. ويُنظر شهادة الأهالي عن هجرة بقية سكان الحارة العليا بعد عمليات النسف هذه في: كناعنة، ص 24.

(169) رشيد عبد الرحمن عريقات (1920-2000): وُلد في قرية أبوديس قضاء القدس. أكمل تعليمه في مدرسة الفرنرز في رام الله في عام 1938. التحق بالجيش البريطاني في عام 1939. خلال =

المسلّحين في تلك القرى، وقد اشتبك مع اليهود من مستشفى هداسا والجامعة العبرية، بعد استشهاد عبد القادر الحسيني في قرية الطور في موقع أم الطلقة، وأوقع بهم خسائر فادحة، وردّهم على أعقابهم خاسرين. وكان السيد عثمان بدران مسؤولاً عن مسلّحي قرية الطور، والسيد إبراهيم أبو الريش عن مسلّحي قرية العيزرية.

وكانت قيادة الجهاد المقدس تحتفظ بأسماء المسلّحين ونوع بنادقهم، وتمدّهم بالذخيرة المطلوبة عن طريق رئيس المسلّحين، كما تقدّم لهم بعض البنادق، وما يتيسر من الرشاشات ومدافع الهاون، وتقدّم لهم التموين ومصاريف النقلات الضرورية، ونفقات الاستحکامات والتحصينات. كما تمنح بعضهم بعض المكافآت بين حين وآخر. وفي حالات الخطر والهجوم القوي، كانت ترسل إليهم النجادات الكبيرة من متطوعي قضاء رام الله، فترابط أياماً وأشهرًا حتى يزول الخطر تمامًا.

الهجوم: التقسيم سيمرّ، فليمرّ على أجسادنا⁽¹⁷⁰⁾

[شملت الخطة العسكرية التي أقرّها عبد القادر الحسيني، إضافة إلى الجانب الدفاعي الذي وُضّحت أبرز ملامحه في النص السابق، خصوصًا في الدفاع عن القدس وجوارها، جانبًا هجوميًا]. كانت خطته تقوم على ما يلي:

كان [الحسيني] يعرف تمامًا أنّ المستعمرات اليهودية محصنة تحصينًا تامًا، ففيها البروج المشيدة من الأسمنت، وفيها الخنادق، وتُبتّ حولها حقول الألغام، وتحاط بالأسلاك الشائكة، والهجوم عليها يحتاج إلى أسلحة ثقيلة، ورشاشات وذخائر وعتاد حديث. ولمّا كانت هذه الأسلحة الحديثة ليست

= حرب 1947-1949، التحق بقيادة قوة الجهاد المقدس قائدًا لمنطقة القدس الشرقية. عمل بعد الحرب ملحقًا عسكريًا للأردن في كل من فرنسا وبريطانيا، ثم رئيسًا للجنة الهدنة في هيئة الأمم المتحدة عام 1959، ومساعدًا لرئيس أركان الجيش الأردني في عام 1966. شغل منصب وزير الأشغال العامة ووزير النقل في الحكومة الأردنية، كما وشغل عضوية مجلس الأعيان الأردني.

(170) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي،

«مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 6.

متيسرة له، فإنه عمد إلى تنفيذ خطة أخرى، كانت فائدتها أعظم وأجدى، والنصر فيها محققاً. أما فشل الخطة الأولى، وهي مهاجمة المستعمرات مباشرة، فقد ظهر ملياً على يد [فوزي] القاوقجي، فبالرغم من توفر المدفعية والرشاشات والدبابات، إلا أنه فشل فشلاً ذريعاً حينما هاجمت قواته مستعمرة مشمار هعيمك ومستعمرة الزراعة، وفقد عددًا كبيراً من قواته، [كما أشير إلى ذلك في موضع سابق من النص]. أما عبد القادر، فقد رسم الخطة التالية:

[أولاً]: القيام بهجمات قوية على أحياء القسم اليهودي من مدينة القدس، وذلك كجزء من خطة الدفاع المتحرك، وعندما يقوم اليهود بهجوم قوي على المراكز العربية من المدينة.

ثانياً: محاصرة المستعمرات اليهودية من الخارج، ومنع الدخول أو الخروج منها، واستعمال حرب القناصة على نطاق واسع لاصطياد حُماة المستعمرات.

ثالثاً: الغارة على قوافل التموين والمواصلات المؤدية إلى مدينة القدس والمستعمرات، وقطعها تماماً.

رابعاً: قطع أنابيب المياه الموصلة إلى مدينة القدس والمستعمرات.

خامساً: نسف أهداف يهودية معينة تقع في قلب المناطق اليهودية، وذلك ردًا على أعمال النسف اليهودية، وتدميرًا لمراكز التوجيه العسكري والسياسي والتجاري، وبالتالي تحطيم معنويات الشعب اليهودي بأسره [.....]، [وهنا تفصيل للفعل الهجومي لقوة الجهاد المقدس بقيادة الحسيني]:

أولاً: الهجوم الدفاعي أو الدفاع المتحرك⁽¹⁷¹⁾

وقد كان ذلك باكورة الأعمال العسكرية التي قام بها عبد القادر [الحسيني] في الميدان الحربي، تقوية للدفاع العربي في مدينة القدس وضواحيها، ولم

(171) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: المرجع نفسه.

يلبث بعد ثلاث هجمات أن تحوّل القتال بصفة عامة إلى حالة هجوم في جميع الميادين، بينما انقلب الوضع العسكري عند اليهود إلى حالة دفاع شامل.

27 كانون الأول/ ديسمبر 1947: الهجوم على حيّ سانهدريا⁽¹⁷²⁾

يقع حيّ سانهدريا في الجهة الشمالية من مدينة القدس، وهو حيّ يهودي كبير، وكان مركزاً لقيادة الهاغاناه، تشنّ منه الهجمات المتتالية على حيّ باب الساهرة والشيخ جراح. وقد شنّ اليهود هجوماً قوياً يوم 27 كانون أول/ ديسمبر 1947، ولم يمضِ على دخول عبد القادر [الحسيني] سوى بضعة أيام، فاتصل أمر حامية الشيخ جراح [آنذاك محمود الحسيني] بالسيد عبد القادر، وكان في قرية يبرود، وأخبره نبأ شدة هجوم اليهود. وكان يرافق عبد القادر حوالي ثلاثين جندياً، إلا أنه تمكّن من جمع حوالي مئتي مسلّح من أهالي قرى بني مرة، قضاء رام الله.

وتوجه إلى قرية النبي صمويل لمهاجمة مقرّ قيادة القوات اليهودية في سانهدريا، بقصد تخفيف وطأة الهجوم اليهودي، وإلحاق أكبر ضرر ممكن بقوات الأعداء. وكان عليه أن يجتاز حوالي عشرين كيلومتراً بين قرية النبي صمويل وسانهدريا مشياً على الأقدام، وهي طريق وعرة المسالك وسط جبال عالية، تنعدم فيها الطرق المعبّدة وغير المعبّدة، فاجتازها غير عابئ بوعورتها، متجهاً إلى الهدف المطلوب. وكان يرافقه السيد كامل عريقات مساعده، والسيد عبد الله الريماوي، مدير قسم الدعاية والنشر [في الهيئة العربية العليا]، وعدد من رجال بني مرّة الأشداء، فتولى هو قيادة القلب، وأمر قائد الميسرة أن

(172) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: المرجع نفسه. والهجوم الموصوف هنا لا يرد له أي ذكر له في مصادر أخرى بتاريخ 27 كانون أول/ ديسمبر 1947، بما في ذلك الصحف العربية والعبرية التي تابعت المعارك بصفة يومية، وكذلك تقارير الحكومة الاستعمارية البريطانية، باستثناء الحديث عن اشتباكات روتينية في منطقة الشيخ جراح المجاورة: الدفاع، 1947/12/28، ص 4. أما عارف العارف، فإنّه يتحدث بما يتقاطع مع وصف الريماوي لهذا الهجوم، لكنّه يشير إلى أنه نُفّذ في 10 كانون الثاني/يناير 1948: العارف، مج 1، ص 78-79. وتدقيق المصادر الأولية العربية والعبرية والصهيونية، لا أثر أيضاً لمثل هذا الهجوم على الحيّ في هذا التاريخ.

لا تقاتل إطلاقاً، بل ترابط لصدّ هجمات اليهود من الأحياء اليهودية الأخرى، إذا ما هبوا لنجدة سانهدريا.

وفي تمام الساعة التاسعة، وقبل بداية الهجوم، تقدّم بعض رجال القناصة إلى مسافة قريبة من المراكز اليهودية، وأطلقوا النار على المصاييح الكشافة فعطلوها عن العمل، وكان عددها ثلاثة. ومن ثم تسلل رجال القلب، حتى أصبحوا على بُعد بضعة أمتار من الحراس اليهود، فانتهرهم الحرس، وما كاد ينتهرهم حتى أطلقوا عليه وابلًا من رصاص بنادقهم، فقتلوهم جميعًا، ثم قفزوا إلى الاستحكامات اليهودية، والبيوت كانت خالية من السكان، فأخذوا يدمرون ما تصله إليه أيديهم. وقد راع القيادة اليهودية ذلك الأمر، وأيقنوا أنه قد تم تطويقهم، فانسحبوا من ميدان الهجوم في حيّ الشيخ جرّاح ومن منطقة سانهدريا.

وعندئذٍ تقدّمت قوات الشيخ جرّاح، فاحتلت المراكز اليهودية في تلك المنطقة، وبقيت فيها طيلة مدة القتال، بعد أن نسفت جميع الاستحكامات اليهودية القائمة بها بعد ذلك. أما عبد القادر [الحسيني]، فلمّا تحقق من تقهقر اليهود، أمر قواته بالانسحاب، خشية أن يصطدم بعضهم بعضًا لشدة الظلام، وترك أمر الاحتلال إلى حامية الشيخ جرّاح. وقد انسحب من سانهدريا إلى قرية بيتونيا، فوصلها في الصباح. ولم يُصب أحد من قواته بأذى، وبذلك تم احتلال خطوط اليهود الأمامية في سانهدريا، وتدمير استحكاماتهم فيها⁽¹⁷³⁾.

6 كانون الثاني/يناير 1948: الهجوم على ميكور حاييم⁽¹⁷⁴⁾

يقع هذا الحيّ في الجهة الجنوبية الغربية من مدينة القدس، وهو يجاور حيّ القطمون وقرية بيت صفافا، وقد اتخذه اليهود وكرًا لهجماتهم ضدّ العرب

(173) كتب بهجت أبو غربية ناعيًا قائد حامية الشيخ جرّاح، محمود الحسيني، فقال بأنّه «أرعب سكان سانهدريا بهجمات»؛ أبو غربية، في خصم، ص 170.

(174) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 6.

في هاتين المنطقتين. وقد وصلت أنباء من قائد حيّ القطمون إلى عبد القادر الحسيني في رام الله، بأن اليهود شنّوا هجومًا على حيّ القطمون، وتمكّنوا من دخول الحيّ ونسف فندق سميراميس فيه [مطلع 5 كانون الثاني/يناير 1948].

ففي الحال، أمر بتجهيز جميع قواته وركوب السيارات، وكان عدد الجنود النظاميين الذين التحقوا به لغاية ذلك التاريخ حوالي خمسين جنديًا، معهم ثلاثة رشاشات. وفي الحال، توجه إلى أحد البيوت في حيّ البقعة الفوقا في مدينة القدس، وأحضر عددًا من الجنود من حاميات الشيخ جرّاح والبلدة القديمة، وبلغ المجموع حوالي تسعين مسلّحًا. ورّع الذخيرة على الجنود، حضّر ثلاثة ألغام، وبعد أن أرخى الليل سدوله، انتحى بي وبالسيد كامل عريقات جانبًا، وقال: «نريد مهاجمة حيّ ميكور حاييم، وهو قريب من الدار التي نرابط فيها». وقبل تعيين موعد وخطّة الهجوم، نزل وأخذني معه لنقوم بعملية استكشاف بالقرب من الحيّ المذكور، وكان يرافقنا ثلاثة من الحرس، فتسللنا إلى حديقة مفروشة بالأشجار، تشرف على الحيّ. وبعد إجراء الاستكشاف المطلوب، اتضح لنا أنه لا يمكن مهاجمة الحيّ من تلك الناحية، لأنّ المهاجمة ستقع بين معسكر الجيش البريطاني وبين الحيّ، وتكون عرضة لأنوار الكشافات الكهربائية، عدا عن عمارات تلك الجهة من الحيّ، وانكشاف ظهر المهاجمين تمامًا.

فعدنا وقد قررنا مهاجمة الحيّ من جهة بيت صفافا، أي من الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية. وقبل انتقالنا إلى قرية بيت صفافا، أحضرنا إلى تلك الدار السيد عبد الله العمري، وجيه القرية، والسيد محمود العمري، قائد المسلّحين فيها، للتداول معهم على كيفية تنفيذ خطّة الهجوم. وبعد حضورهما، قررنا التوجه إلى القرية، فتوجهنا إليها، حيث عقدنا اجتماعًا مع المسلّحين فيها، وكان عددهم حوالي أربعين مسلّحًا. [أفهمهم] عبد القادر [الحسيني] أنّ واجبهم الأول حماية مداخل القرية والمرابطة فيها، لإبطال أي هجوم قد يقوم به اليهود [المجاورون] عليها، وطلب إليهم عدم الاشتراك إطلاقًا في الهجوم، وعهد إلى السيد محمود العمري، رحمه الله، أمر قيادتها والإشراف عليهم، أما هو فقد عمل الخطة التالية لمهاجمة الحيّ:

وزَّع قواته إلى ثلاثة أقسام:

[أولاً]: حاملو الرشاشات، وكان عددها خمسة رشاشات، ومهمتهم تغطية الهجوم. وقد عيّن لهم مركزاً يقع في الجهة الشرقية من القرية، ويشرف على الحيّ اليهودي، وتقع فيه مطحنة شاهقة. وأمرهم بأن يفتحوا نيران رشاشاتهم بشدة، بعد نصف ساعة من بدء الهجوم من الجهة الشمالية، أي من حيّ القطمون.

[ثانياً]: حُماة حيّ القطمون. وقد أمرهم بالبدء بالهجوم في تمام الساعة الثالثة، على أن يستمر إطلاقهم النار مدة نصف ساعة، وأمرهم أن لا يتقدّموا إطلاقاً، بل يكتفوا بإطلاق النار على الحيّ، لإيهام اليهود أنّ الهجوم قد بدأ من الجهة الشمالية.

[ثالثاً]: [حاملو] الألغام والمسّلحون الآخرون، ومركزهم الجهة الغربية والجنوبية الغربية، ومهمتهم الاستفادة من تغطية الرشاشات والاندفاع إلى الحيّ لنسف الاستحكامات اليهودية، وإلحاق أكبر ضرر ممكن بها. وكانت كلمة السر «أمين». وعُيّنَت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل موعداً للهجوم، [ليلة الثلاثاء 6 كانون الثاني/يناير 1948]. ففي تمام الساعة الثالثة، بدأت قوات الجهاد المقدس تطلق النيران من الجهة الشمالية، أي من حيّ القطمون، ففتح اليهود نيران رشاشاتهم عليهم بكثرة، حتى أنهم أطلقوا عشرات الألوف من الطلقات. وبعد مضي نصف ساعة، سكت إطلاق النيران من الجهة الشمالية، وبدأت فرقة الرشاشات تطلق النيران بكثرة من الجهة الشرقية، وفي ذات الوقت، أخذت قوات الاحتلال تتسلل إلى داخل الحيّ. أما اليهود، فإنهم أخذوا من خطة الهجوم، وما لبثت مقاومتهم أن سكتت.

فتقدّم عبد القادر [الحسيني]، وأمامه [حاملو] المتفجرات، وكنت أنا والسيد كامل عريقات بجانبه حتى دخلنا المستعمرة، وعندئذٍ تقدّم [حاملو] الألغام، وكانوا بقيادة الجاويش عبد الحميد [أبو لبن]⁽¹⁷⁵⁾ من قرية زكريا، حتى

(175) يُنظر: خضر سلامة، قرية زكريا (الخليل: مطبعة رابطة الجامعيين، 2013)، ص 229.

دخلوا إلى قلب استحكام يهودي كبير يقع في طرف الحيّ، فوضعوا لغماً كبيراً فيه. وأما اليهود، فإنهم اختفوا في بروجهم، ولم يجرؤ أحد منهم إخراج رأسه ليرى ماذا حلّ بالحيّ. وبعد أن وُضع اللغم، أراد إشعاله، فانطفأت السيجارة التي كان سيشعله بها، فعاد إلى أعوانه بالقرب من المستعمرة، وأخذ عددًا من الكبريت، وولع السيجارة بصورة لم يظهر فيها ضوء الثقب، وعاد ليولع الفتيل المتصل باللغم، ولم تمضِ بضعة دقائق حتى ثار اللغم، فهزّ جميع تلك النواحي، وأيقظ جميع سكان مدينة القدس.

وهكذا هوى حصن اليهود الحصين في ذلك الحيّ على رأس من فيه من رجال الهاغاناه، وعندها أطلق القائد الباسل شارة الانسحاب من مسدس إشارات كان يحمله، فعاد الجميع إلى مقرّ القيادة في بيت صفافا، على بُعد مئة متر عن الحيّ اليهودي، وبقي مرابطاً فيه طيلة ذلك اليوم، خشية قيام اليهود بهجوم معاكس قوي. وفي الصباح، أخذ سكان المدينة يتساءلون عن مصدر الانفجار، حتى صدر البلاغ الرسمي للحكومة البريطانية من محطة الإذاعة، مُعلنًا خبر الهجوم على ميكور حاييم، ونسف بعض حصونها⁽¹⁷⁶⁾.

أما الصحف اليهودية، فقد أبرزت أخبار هذا الهجوم على صفحاتها، ووصفته بأنه أكبر هجوم منظم حدث منذ وقعت الاشتباكات في فلسطين، وأشادت بالخطة النظامية التي اتبعتها المجاهدون، ولم تُخفِ القلق والوجوم

(176) جاء في البيان الرسمي الصادر عن مكتب المطبوعات للحكومة الاستعمارية البريطانية في فلسطين: «دوّى أزيز الرصاص بصورة متقطعة في منطقة ميكور حاييم بالقدس، في نحو الساعة الواحدة، واستمر حتى الرابعة والنصف صباحًا. وعند الساعة الثانية والدقيقة 50، سُمع دوي انفجار شديد، لم يكن بالمستطاع تعيين مكانه. وبعد ذلك، وُجد أنّ بيتًا يقع على طريق ميكور حاييم - بيت صفافا، يُعتقد أنّ صاحبه يهودي، قد تهدّم، ويُظن أنّ ذلك نتج من الانفجار المذكور. ولم يبلغ البوليس عن وقوع إصابات»: الدفاع، 1948/1/7، ص 1. وصدر لاحقًا بيان ثانٍ جاء فيه أنّ عملية النسف استهدفت زريبة للبقر في ميكور حاييم، وأنّه عُثر على أحد القرويين اليهود، يُدعى أبراهام زيرمان، مصابًا بجراح خطيرة. كما أشار البيان إلى إصابة اثنين من العرب، أحدهما صالح أبو حسين من بيت صفافا، أصيب إصابة طفيفة، والآخر إبراهيم أحمد عودة من قرية المالحه، أصيب إصابة بليغة في رأسه: الدفاع، 1948/1/8، ص 4.

اللذين استحوذا على الشعب اليهودي في مدينة القدس⁽¹⁷⁷⁾. ولم يغادر عبد القادر [الحسيني] بيت صفافا حتى ترك حامية فيها من خيرة رجاله من السودانيين، بقيادة السيد محمد علي. وقد حافظت هذه الحامية على تلك القرية طيلة حرب فلسطين، ولم يستطع اليهود احتلالها، لا قبل دخول الجيوش ولا بعده، [كما هو مدوّن هنا].

نهاية شباط/ فبراير - مطلع آذار/ مارس 1948:

احتلال معسكر رأس العين⁽¹⁷⁸⁾

يُعتبر مركز رأس العين من أهم، بل أهم، المواقع الاستراتيجية في فلسطين بأسرها، ففيه تقوم المضخات والماكينات والموتورات التي تمدّ مدينة القدس

(177) يُنظر كنموذج لتغطية الصحف العبرية ما ورد في صحيفة دفار: «التصدي لهجمات قوية على ميكور حاييم»، دفار [بالعبرية]، 1/7 / 1948، ص 1. ويلاحظ أنّ الصحيفة أبرزت في صدر خبرها أنه من المعتقد أنّ الهجوم الذي بدأ في الواحدة من ليل الثلاثاء، تم بتخطيط وتوجيه من بولنديين وألمانيين نازيين. ويُنظر أيضاً: «اختراق حصون اليهود»، الدفاع، 1/8 / 1948، ص 4. وفيه تلخّص الدفاع أبرز ما ورد في الصحف اليهودية عن الهجوم.

(178) ما أُدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 6. وإضافة إلى ما ورد في المخطوط، تحدث الريماوي عن احتلال المعسكر في إحدى مقالاته في صحيفة الدستور: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (15)»، الدستور، 11/13 / 1972، ص 4. وفي حال الاقتباس منها في المتن ستكون الإضافات بين علامتي < >.

أما لماذا أثبت الريماوي الحديث عن رأس العين في مقالاته، فقد أشار إلى أنّه، على الرغم من أهمية رأس العين ومعاركها الموازية للقسطل، «فقد وردت إليه إشارات عابرة مشوشة، لا رابط بينها ولا تدقيق، بل وردت عفواً واقتربت باستشهاد حسن سلامة، ووجود عبد الكريم قاسم وجيش الإنقاذ والجهاد المقدس، وقوات المتطوعين من رجال البادية بالأردن. وكانت المعلومات الواردة لماماً، لا رابط بينها ولا تمحيص، وهي عبارات مقتضبة متفرقة وردت في كتاب النكبة لعارف العارف، [العارف، مع 1، ص 511-514]، وكتاب يا قدس الذي نحن بصده. أما ما هي التفصيلات؟ وكيف احتل العرب الموقع؟ وكيف تبادلته الأيدي بين العرب واليهود؟ وكيف حافظ العرب عليه طيلة هذه المدة؟ فهي أسئلة بقيت من دون جواب، أو بأجوبة متفرقة من هنا وهناك، وهذا ما حدا بي إلى تسجيل حقائق هذه المعارك المرتبطة ارتباطاً مباشراً بمعركة القدس وبمعركة فلسطين بأسرها»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (15)»، ص 4.

بأسرها بالمياه⁽¹⁷⁹⁾، وتُقدَّر بملايين الجنيهات. وفيه تقع أكبر محطة لسكة الحديد، تتفرع منها خطوط إلى حيفا، وتل أبيب ويافا والقدس واللد، ومصر والجنوب بأسره. وهي تسيطر على الطريق العام الوحيد الذي يوصل الشمال بالجنوب، وهو واقع على بُعد ثمانية كيلومترات من تل أبيب، وثلاثة كيلومترات من مستعمرة بيتح تكفا، وهي أكبر المستعمرات اليهودية وأقدمها، وعلى بُعد ثمانية كيلومترات من قلقيلية، وحوالي عشرة كيلومترات من مدينة اللد. وتقوم فيه منشآت كبيرة لمعسكرات الطيران البريطاني ومطار كبير، وقد أنشئت في الحرب الأخيرة.

أما الأرض التي يقوم عليها، فهي ملك للعرب، من قرى مجدل الصادق وكفر قاسم ودير بلوط. وقد وضع الإنجليز أيديهم عليها وقت الحرب [العالمية الثانية]. وفي تمام الساعة الثانية من بعد ظهر يوم [28] شباط/فبراير 1948، حضر إلى مقرّ قيادة الجهاد المقدس وفد من وجهاء المنطقة الساحلية، وأبلغوا القائد العام بأنّ الإنجليز سيجلون عن هذا المعسكر صباح يوم [29] شباط/فبراير 1948، ويسلموه للهاغاناه⁽¹⁸⁰⁾. وقد اشترى اليهود المعسكر بثمانية آلاف جنيه، وأوضحوا له العواقب التي تكمن وراء احتلال اليهود

(179) وصلت المياه إلى القدس عبر رأس العين، بعد افتتاح خط أنابيب يمرّ بعدد من محطات الضخ الرئيسة في تشرين الثاني/نوفمبر 1935. ونظرًا إلى حداثة الأحياء الصهيونية، بالمقارنة مع الأحياء العربية المؤسسة لمراعاة حاجات المياه السابقة لهذا المشروع، فإنّ الصهاينة كانوا يخشون بقوة توقف عملية ضخ المياه من رأس العين، وما قد ينتج منه من تعطيش لسكان الأحياء اليهودية، فكانت هذه المعضلة أحد أبرز القضايا التي اهتمت القيادة الصهيونية، وعلى رأسها بن غوريون، بمعالجتها من خلال محاولة إيجاد احتياطات بديلة، أو التفكير باحتلال آبار عربية. كما اهتم البريطانيون بحفظ أمن خطوط الإمداد هذه حتى نهاية وجودهم في فلسطين، حيث توقف ضخ المياه بعد تفجير محطات الضخ الرئيسة. يُنظر: دافيد بن غوريون، يوميات الحرب، حرب الاستقلال 1947-1949 [بالعبرية]، غيرشون ريفلين وإلحانان أوران (محرران)، مج 1 (تل أبيب: جمعية نشر تعاليم دافيد بن غوريون؛ دار نشر وزارة الدفاع، 1984)، ص 128.

(180) في مقالته، يشير الريماوي إلى أنّ الصحف كانت نشرت أن قوات الهاغاناه اشترت مخلفات الجيش بعشرات الألوف من الدنانير، فأدّى هذا إلى توجه وجهاء القرى المجاورة للبحث عن نجدة وعون، فلم يجدوا أدنًا صاغية، إلى أن انتهى بهم المطاف في بيرزيت. ومن حضر منهم، وفقًا للريماوي، مختار مجدل الصادق خالد السالم، يرافقه مختار النبي صالح محمود عبد الحميد: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (15)»، ص 4.

لذلك المعسكر، وطلبوا منه احتلاله بالقوة، لأنه لا توجد قوات كافية عند قيادة المنطقة الساحلية لاحتلاله⁽¹⁸¹⁾.

ففي الحال، أمرني أن أتوجه إلى المعسكر، وهو على بُعد أربعين كيلومترًا إلى الشمال من بئرزيت، وأن أحتله قبل مطلع فجر [29] شباط/فبراير 1948، مهما كلفني الثمن. فأخذت عددًا من جنود الجهاد المقدس، وأرسلت سيارات أحضرت نجدات من قرى بني زيد وبني ميرة⁽¹⁸²⁾، وفي مقدمتهم السيد محمود عبد الحميد، ومحمد عبد الله الأسمر، وتوجهت وبرفقتي مختار قرية مجدل الصادق التي تبعد كيلومترين فقط عن رأس العين، فوصلت قرية المجدل في تمام الساعة السادسة مساءً، وقد بلغ مجموع المسلّحين معي حوالي مئة شخص.

(181) زمن الريماوي للحدث بيوم 10 شباط/فبراير 1948 كيوم لقدم وجهاء المنطقة الساحلية، و11 شباط/فبراير كموعده لتسليم المعسكر. أما في مقالته في الدستور، فأشار إلى أنّ عملية إخلاء المعسكر كانت في أواخر شباط/فبراير، وأوائل آذار/مارس 1948: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (15)»، ص 4. وبالعودة إلى المصادر الأولية، يتضح أنّ العرب تسلّموا المعسكر صباح 29 شباط/فبراير 1948، إذ أوردت الدفاع خبرًا صغيرًا جاء فيه: «في الساعة التاسعة والنصف من صباح أمس، سلّمت السلطات العسكرية معسكر رأس العين للعرب، وقد زفر العلم العربي فوقه»: الدفاع، 1/3/1948، ص 2. وبمراجعة الصحافة العبرية وتعليقاتها على الموضوع، يمكن تأكيد أنّ ما يتحدث عنه الريماوي أعلاه لن يكون قبل خواتيم شباط/فبراير 1948، وهو ما يتسق أيضًا مع تزامن بقية الحوادث والمعارك، فالصحافة العبرية أشارت إلى سيطرة قوة عربية على المعسكر خلال هذه الفترة، مع ادعائها بأنّ هذه القوة عراقية - سورية: همشكيف [بالعبرية]، 5/3/1948، ص 8. وعن تفصيلات وجود قوات جيش الإنقاذ، وعلى رأسها الضابط العراقي مدلول عباس، يُنظر النص اللاحق، تحت العنوان الفرعي «استشهاد الركن الثاني».

(182) في مقالته، يشير الريماوي إلى انشغال قوة الجهاد المقدس الأساسية في معارك القدس وباب الواد، فأرسل الريماوي سيارتي شحن إلى بيت ريماء، والثالثة إلى المزرعة القبلية، لإحضار النجديات، فحضر نحو مئة مسلّح في أقل من ساعة. ويضيف بأنّه خرج وعشرة مسلّحين من قيادة بئرزيت، على رأسهم الضابط فهمي العقرباوي. وكان التجمع مع قوات النجدة في منطقة عابود، حيث سارت القوات إلى مجدل صادق بشكل منفرد: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (15)»، ص 4.

وفهمي المذكور، هو فهمي صالح عبد الرحمن ديرية. ولد في بلدة عقربا، وخدم في الجيش البريطاني إبان الحرب العالمية الثانية، وكان أحد الضباط العاملين في معسكر صرفند لحظة قرار جلاء المستعمر البريطاني عن فلسطين. عمد ومجموعة من شباب نابلس على اغتنام أسلحة من المعسكر بعد القرار بإخلائه، واستشهد في أثناء انسحاب المجموعة أحد سكان قرية صرة. عمل، بعد ضم بقية فلسطين الوسطى للمملكة الأردنية الهاشمية، مسؤولاً عن الأشغال العامة في منطقة نابلس.

وقبل محاولة الاحتلال، عازمت على استطلاع حالة المعسكر، فارتديت الملابس المدنية، وذهبت أنا والمختار إلى قائد المعسكر الإنجليزي، وكان صديقه، فقدمني إليه بأني أحد أقربائه، وأنني أريد التعرّف عليه قبل مغادرته المنطقة. وقد سُئنت لي فرصة التجوّل في المعسكر⁽¹⁸³⁾، وشاهدت الاستحكامات المحيطة به، ومراكز الخفراء اليهود الذين يحرسون مضخات المياه، والمعسكر والمزارع اليهودية المجاورة. وبعد أن استوضحت جميع معالم المعسكر، عدت إلى المجدل⁽¹⁸⁴⁾، ومنها توجهت إلى القائد حسن سلامة في مقرّ قيادته في قرية العباسية⁽¹⁸⁵⁾، فأعلمته أنني قادم لاحتلال المعسكر، وأنني سأدخله في هذه الليلة بالتسلل، واتفقت وإياه على طريقة نجديتي، إن اشتبكت مع القوات اليهودية.

وعدت إلى القرية ثانية، وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة، فورّعت المسلّحين الذين معي إلى عشر حظائر، مع كل حظيرة رشاش، وأخذت أمراء الحظائر معي إلى مقربة من المعسكر، وأفهمت كل قائد حظيرة المكان الذي يجب عليه دخوله بالتسلل، والطريق الذي عليه أن يسلكه. وعدت وإياهم، وأخذت أنقل القوات حظيرة فحظيرة إلى مواقعها. ولما سرت مع الحظيرة الأولى، شاهدت أنّ أمرها متردد في الأمر، وهو ضابط، فاستوضحت منه الخبر، فقال إنه يخشى أن يقع في كمين، فأمرته بالعودة في الحال، وأوقفته عن العمل،

(183) يشير الريماوي في مقاله إلى أنه اجتمع بعد دخوله المعسكر إلى مهندس المشروع، واسمه نجيب ناصر من بيرزيت، حيث تجوّل بصحبته في أركان المعسكر: المرجع نفسه.

(184) يثبت الريماوي في مقاله قصة لم يُشر إليها في المخطوط، فيقول إنه بعد مغادرته للمعسكر باتجاه مجدل صادق، وجد «أن الضابط السيد فهمي [العقرباوي] أخذ يهبط عزيمة المجاهدين، بنشر الإشاعة فيهم بأن المختار متواطئ مع اليهود، وأنّه يريد أن يجزّنا إلى مذبحه. فطلبته إليّ، وقلت له: اذهب إلى عبد القادر، وبلغه بأنّ بحاجة إلى قوة كبيرة لاحتلال المعسكر». وفي الوقت ذاته، سلّمت سائق سيارة الستيشن واجن، واسمه محمد رباح الريماوي، وهو من أهالي المجدل، سلّمته رسالة مكتومة إلى عبد القادر، طلبت فيها منه أن يضع الضابط المذكور في السجن، وقصصت عليه أقواله. عاد الضابط، وسلّم السائق الرسالة إلى القائد الشهيد، فوجد أنّ الضابط المذكور مصاب بمرض عصبي، فأحاله إلى المستشفى، حيث مكث مدة من الزمن»: المرجع نفسه.

(185) في المقالة، يشير الريماوي إلى أنّ الاجتماع مع حسن سلامة تم إثر اجتماعه أولاً مع مختار كفر قاسم ووجهاء البلدة، وكان اجتماعه مع سلامة في منزل الشيخ عطا بدير طريف، وكان بصحبته الأستاذ نمر المصري [سكرتير حسن سلامة آنذاك]: المرجع نفسه.

بعد أن جرّده من سلاحه، وأمرت اثنين من الجنود بحراسته وإعادته إلى بئرزيت في سيارة خاصة، وعهدت بقيادة الحظيرة إلى الجاويش [لم يدون الريماوي اسمه] من طوباس، وكان شجاعاً مقداماً، فتقدّم إلى الأمام، إلى المراكز التي كان قد أخلاها الإنجليز ذلك اليوم، وهي تقع في الجهة الغربية من المعسكر، وتسيطر على مراكز الخفراء اليهود الذين لا يبعدون عنها سوى ثلاثين متراً.

وهكذا، تقدّمت الحظيرة الأولى بعد أن فتحت فجوة في الأسلاك الشائكة، واحتلت المراكز الأولى القريبة. وتقدّمت الحظائر الأخرى فاحتلت مراكزها، ولم يشعر أحد، لا من الإنجليز أو اليهود، بدخول قواتنا إلى المعسكرات، وسيطرتها على جميع الاستحكامات القوية والمحصنة المقامة فيها. ودخلنا أنا وأعواني إلى دار الضباط الواقعة في منتصف المعسكر، واتخذتها مقرّاً لي، واتصلت في تمام الساعة الواحدة بالقائد عبد القادر [الحسيني] بالاسلكي، وأخبرته أنني احتللت المعسكر بدون قتال. ولما أصبح الصباح، ما فتح القائد الإنجليزي وجنوده، والخفراء اليهود، والسكان اليهود [المقيمون] داخل المعسكر [أعينهم]، إلا والعلم العربي يرفرف فوق بناية الضباط، والرشاشات تصوّب إليهم من جميع الاستحكامات المحيطة بهم وبالمعسكر، فأخذتهم المفاجأة، وطلب قائد المعسكر الإنجليزي، وهو برتبة ميجر، >رئيس أول، وهو إيرلندي الأصل<، مقابلة القائد المسؤول، فطلب إليه الحرس الذي يحمي أبواب المعسكر الوقوف بعيداً، وبعد أن فتشوه ونزعوا سلاحه، أوقفوه بجانب المدخل الرئيسي للمعسكر.

فتقدّمت إليه، فقال لي: «هل أنت يا سيدي القائد المسؤول». قلت له: «نعم». قال: «ولكننا نحن نحمي المعسكر، وقد باعت القيادة العامة محتوياته إلى اليهود». فقلت له: «إنني أعرف أنّ الأرض التي يقوم عليها هذا المعسكر هي أرض عربية، سلّمكم إياها أصحابها لاستعمالها أثناء الحرب، أما وقد عزمتم أن تتركوها فلن نسمح لأحد دخولها إلا على جثتنا، وبعد أن ترتوي من دمائنا». فقال: «ولكنني أريد مراجعة القيادة، وكيف أضمن أنّ رجالك لن يتعرّضوا لي أثناء مغادرة المعسكر؟». فقلت له: «يمكنك عمل ذلك، أنت ومن

يشاء من رجالك، بعد الحصول على تصريح موقع منّي». فقال: «أرجوك أن تعمل ذلك». فقدّمت له تصريحًا، وبقيت ذلك اليوم في المعسكر.

فحضرت طائرة بعد الظهر، حامت حوالي نصف ساعة على ارتفاع بسيط من المعسكر، فأمرت عدم التعرّض إليها، فغادرت من حيث أتت. ولمّا عاد الميجر الإنجليزي، أبلغني أنّ قائد القوات البريطانية في فلسطين يريد مقابلتي في الساعة العاشرة من صباح اليوم الثاني، في مكتب حاكم اللواء في اللد، فذهبت وأخذت معي وجهاء المنطقة الذين يملكون تلك الأرض؛ >الشيخ اذياب الموسى، وحميد خليل - بيت نبالا، وعطا الحاج - دير طريف، وخالد السالم - مجدل الصادق، ورئيس بلدية اللد السيد محمد علي الكيالي، والسادة: شحادة حسونة⁽¹⁸⁶⁾، وعود الرفيدي وغيرهم<. فحضر القائد العام إلى مكتب السيد إسحاق النشاشيبي⁽¹⁸⁷⁾ >القائمقام<، فبعد أن أبلغته تصميمنا الاحتفاظ بالمعسكر إلى آخر حدّ، وآخر نقطة من دمانا، قال: «نحن لا يهمنا من سيحتفظ بالمعسكر، ولكن لنا مخلفات من براكات وحمامات وأدوات، تبلغ قيمتها ألوف الجنيهات، وقد دفع اليهود فيها ثمانية آلاف جنيه، فزيدوا عليهم وخذوها». فقلت له: «نحن لا نقبل المساومة في هذا الأمر، والأرض أرضنا، وقد حرّمتم أهلها من استثمارها طيلة إقامتكم بها، وعليكم الآن تعويضهم عن الأتلاف التي لحقت بها». وبعد أخذٍ ورَد، نزلت القيمة إلى ثلاثمئة جنيه، فقلت له: «لا يمكنني الإجابة حتى أرجع إلى قائدي المسؤول، وهو عبد القادر بك الحسيني، فسأعطيك الجواب بعد يومين»⁽¹⁸⁸⁾.

(186) شحادة يعقوب حسونة (1895-؟): وُلد في مدينة الرملة، وتلقى تعليمه الأساسي فيها. ترأس الحزب العربي في مدينة اللد وجوارها، وانتُخب لأكثر من دورة في المجلس البلدي للمدينة. مثّل اللد في عدد من المؤتمرات الوطنية، واختير في تشرين الأول/أكتوبر لرئاسة اللجنة القومية في اللد. لجأ بعد الهزيمة وسقوط المدينة إلى قطاع غزة، حيث عمل في التدريس.

(187) إسحاق خليل النشاشيبي (1907-1986): وُلد في القدس، وتلقى تعليمه في روضة المعارف والكلية الإنكليزية في القدس. تخرّج في كلية التجارة والاقتصاد في الجامعة الأميركية، في عام 1927. عُيّن مديرًا لجمرك نابلس، وعُيّن قائمقام في الحكومة الاستعمارية البريطانية في أكثر من مدينة فلسطينية. بعد الهزيمة في حرب 1947-1949، عُيّن في حزيران/ يوليو 1949 متصرفًا لمدينة نابلس.

(188) في المقالة، يرد الحوار مع القائد العسكري بصيغة أخرى، إذ يشير الرماوي إلى حديث القائد على أنّ قيمة موجودات المعسكر تساوي آلاف الجنيهات، من دون أي إشارة إلى وقوع عملية =

فتوجهت إلى عبد القادر بك [الحسيني] في رام الله، فسُرَّ للنتيجة، وقال: «إنهم لا يفهمون إلا هذه اللغة، سندفع لهم مئتين وخمسين جنيهاً فقط. خذ هذه النقود وادفعها لهم، لأنهم قد يهدمون البراكات وينقلوها لبيعها، وهي تساوي آلاف الجنيهات». فعدت بعد يومين، ودفعت المبلغ إلى القائد العام، بحضور القائمقام السيد إسحاق النشاشيبي، وأخذت منه ورقة البيع. وهكذا، تمركزت قواتنا في هذا المعسكر، وكان غاية في الإتقان والتنظيم⁽¹⁸⁹⁾. وقد اتصلت بقلقلية وكفر قاسم والقرى المجاورة، فأخذوا يرسلون كل يوم مئة مسلح للمرابطة مع قواتنا في المعسكر. أما اليهود، فقد هالهم الأمر، وأخذت صحفهم تهاجم الحكومة الإنجليزية، وتطالب إخراجنا بالقوة، وتقول إنَّ الإنجليز [مسؤولون] عن أرواح السكان والمهندسين اليهود المحاصرين في المعسكر⁽¹⁹⁰⁾.

وعلى الأثر، حضر القائد العام الإنجليزي، وأربعة من أركان قيادته، وطلبوا الاجتماع بي لبحث موضوع السكان اليهود، فاجتمعت بهم، وقالوا إنهم يخاطبوني باسم حكومة فلسطين التي تهمها سلامة السكان والمهندسين اليهود، ويطلبون ترحيل السكان إلى تل أبيب، فأعلنت لهم موافقتي ابتداءً على ذلك، وطلبت تأجيل الجواب إلى الساعة الرابعة، كي أستشير عبد القادر بك

= البيع لصالح الصهاينة. وكانت مطالبة الريماوي بأن يتم البيع للعرب منطلقاً من أن البريطانيين استأجروا الأرض بأسعار زهيدة وانتفعوا بها، أفلا يحق لأصحاب الأراضي أن تكون لهم الأولوية في الحصول على مخلفات الجيش بسعر رمزي أيضاً! وتحدث الريماوي عن إصراره بأن لا يتجاوز المبلغ المدفوع 250 ديناراً، أي جنيهاً، لكنَّ القائد لم يتخذ قراراً، ووعد بنقل ما جرى للمندوب السامي. أما الاتصال بعبد القادر، وفقاً للريماوي، فلم يكن لأخذ رأيه، وإنما أجرى الريماوي الاتصال به وبحسن سلامة، من أجل الحصول على الـ 250 جنيهاً منهما مناصفة: المرجع نفسه.

(189) ألمحت الصحافة الصهيونية لتمازج عملية البيع هذه التي لم يتسنَّ التأكد من تفصيلاتها من مصادر بريطانية، إذ نشرت الصحف العربية والصهيونية إعلاناً يشير إلى رغبة السلطة الاستعمارية بيع بعض معسكراتها، من دون عرض معسكر رأس العين. وعقبت صحيفة هبوكر على الخبر بالإشارة إلى أن معسكر رأس العين لا يقل أهمية عن المعسكرات المعروضة للبيع: هبوكر [بالعبرية]، 8/3/1948، ص 4. يُنظر الإعلان في: الدفاع، 5/3/1948، ص 3؛ فلسطين، 5/3/1948، ص 3.

(190) من ذلك ما نُشر في: «من الخطر بقاء القدس بدون مياه للشرب لاستيلاء العصابات على رأس العين»، همكيف [بالعبرية]، 5/3/1948، ص 8؛ «كتيبة عراقية في معسكر رأس العين»، هبوكر [بالعبرية]، 8/3/1948، ص 4.

[الحسيني] في ذلك الأمر. فاستشرته، وعدت لأبلغهم موافقته على ترحيل السكان اليهود، على شرط أن يركبوا سيارات مقفلة ومغطاة، بشرط أن لا يظهر أحد منهم، وأن لا يمرّوا من داخل المعسكر، ومن بين الجنود، بل يسلكوا الطريق الخلفي للمعسكر الموصل إلى مستعمرة ملبس، ففرحوا بذلك.

وفي تمام الساعة الرابعة، خرجت السيارات ناقلة السكان اليهود. وقد ظهر أنّ الخفراء اليهود قد اختفوا بين المدنيين⁽¹⁹¹⁾. وقد بقيت قواتنا تسيطر على المعسكر بعد ذلك عدة أشهر. وقد حاول اليهود احتلاله، إلا أنهم لم يستطيعوا. وقد استشهد المرحوم حسن سلامة في [إحدى] المعارك التي دارت بين جنودنا وبين اليهود لاحتلال المعسكر. ولمّا دخلت الجيوش العربية، عُهد بأمر حماية المعسكر إلى الجيش العراقي، فربط فيه، إلا أنه تخلى عنه على إثر هجوم اليهود واحتلالهم للدد والرملة، [كما سيأتي الحديث عنه في موضع لاحق].

ثانيًا: حرب المواصلات

16 كانون الثاني/يناير 1948: معركة صوريف⁽¹⁹²⁾

صوريف قرية تقع في قضاء الخليل، يجاورها بعض المستعمرات اليهودية؛ مستعمرة كفار عتسيون⁽¹⁹³⁾. وكانت فيها مخازن الأسلحة للجهاد المقدس،

(191) أشارت صحيفة همكيف إلى أنّ قيادة القوة العربية التي استحكمت في المعسكر 102، توجهت إلى المعامل اليهودية طالبة منهم المغادرة، وعلى إثر ذلك، غادر عدد من المهندسين المكان. وفي سياق تحذيرها من خطورة الموقف على القدس، أشارت الصحيفة إلى أنّ الأمر قد يتجاوز المصالح اليهودية في المعسكر إلى المصالح المجاورة، كالمحاجر في مجدل صادق: همكيف [بالعبرية]، 5/3/1948، ص 8. ولم يُطلّ مقام عمال المحاجر طويلاً، فأشارت صحيفة الدفاع إلى رحيل اليهود عن محاجر المجدل، وبثهم الألغام في المنطقة، بعد الضربات المتوالية التي قام بها المناضلون العرب ضدّ حرس المحاجر: الدفاع، 7/3/1948، ص 1.

(192) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنصر رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 6.

(193) وُجد في مطلع عام 1948، في تجمّع عتسيون الاستيطاني أربعة «يشوفيم»، وهي: كفار عتسيون، وعين تسوريم، ومسؤوت يتسحاق، ورفاديم. الثلاثة الأولى كيبوتسات للمتدينين المرتبطين بهوعيل همزراحي، وهي منظمة صهيونية اهتمت بتنظيم العمال المتدينين، وفقاً لعقيدتها التوراة/العمل، والأخير كيبوتس تابع لمنظمة هشومير هتسعير الصهيونية. ولم يتجاوز عدد سكان التجمع عموماً =

وهي مسقط رأس القائد إبراهيم أبو دية. وقد حدث أن تعرّضت إحدى قوافل مستعمرة عتسيون إلى هجوم عربي مسلّح⁽¹⁹⁴⁾، فحاول اليهود الأخذ بالثأر ومهاجمة صوريّف، للانتقام وتدمير مخزن الأسلحة فيها، فتوجهت قوة منهم من خيرة رجالهم المدربين، قوامها خمسة وخمسون شخصاً، يحملون مختلف أنواع الأسلحة، في ليلة 16 كانون الثاني/يناير 1948، إلى قرية صوريّف لمهاجمتها في باكورة ذلك اليوم. وقد ارتدى معظم أفرادها الملابس العربية، كي لا يشك أحد في أمرهم⁽¹⁹⁵⁾.

= الخمسمئة شخص: يوحنا بن يعقوب، غوش عتسيون: خمسون عامّاً من النضال والإبداع [بالعبرية] (غوش عتسيون: مدرسة سديه كفار عتسيون، 1983)، ص 32. ويُنظر أيضاً: يوحنا بن يعقوب، قافلة الجبل: قصة الخمسة وثلاثين [بالعبرية] (تل أبيب: دار نشر وزارة الدفاع، 2008)، ص 14-15. ويُنظر: Uri Milstein, *History of Israel's War of Independence, Vol. 2: The First Month*, Alan Sacks (trans.), (Lanham: University Press of America, 1997), pp. 321-344.

(194) سبق القضاء على قوة «الـ 35» في وادي الصر التي يروي تفصيلاتها الريماوي أعلاه، وقوع اشتباكات حامية في المنطقة، كان أبرزها المعارك التي اندلعت في 14 كانون الثاني/يناير 1948، إثر قيام قوة صهيونية بنصب كمين لمجموعة من السيارات العربية، كانت إحداها للتفصليّة العراقية. وفي هذه المعارك هاجم المئات من أهالي المنطقة، ومن عموم الخليل وجبلها، التجمع الاستيطاني في غوش عتسيون، لكنّ الهجوم العشوائي فشل في مجمله، وأدّى إلى سقوط عدد كبير من الشهداء والجرحى، إلا أنه كان مؤشراً لِمَا ستشهده المنطقة مستقبلاً، وتحوّلها إلى أحد أبرز نقاط المواجهة، حتى لحظة سقوط التجمع في 13 أيار/مايو 1948. يُنظر تفصيلات معارك 14 كانون الثاني/يناير في: فلسطين، 14، 1/16/1948، ص 1؛ الدفاع، 14، 15، 1/16/1948، ص 1؛ العارف، مج 1، ص 79-80؛ بن يعقوب، غوش، ص 136-163؛ بن يعقوب، قافلة، ص 27-51؛ يتسحاق ليفي، تسعة تدابير: القدس في معارك حرب الاستقلال [بالعبرية] (تل أبيب: دار نشر معرخوت - جيش الدفاع الإسرائيلي، 1986)، ص 85-88. ويُنظر: Uri Milstein, *History of Israel's War of Independence, Vol. 1: A Nation Gird for War*, Alan Sacks (trans.) (Lanham: University Press of America, 1996), pp. 344-353; Tauber, *Military*, p. 224-225.

(195) وفقاً للمصادر الصهيونية، فقد تشكّلت القوة من مقاتلي الهاغاناه في القدس، وضمت أول الأمر أربعين مقاتلاً، بقيادة قائد غوش عتسيون السابق دانيال ماس، بهدف إسناد تجمع غوش عتسيون بالعتاد والمقاتلين. وبعد تأخر وتردد، خرج ثمانية وثلاثون مقاتلاً، لعدم وجود تسليح كافٍ لبقية أفراد القوة. وبعد فترة من المسير، عاد ثلاثة من المقاتلين بعد إصابة أحدهم، أما البقية فقتلوا جميعاً بعد انكشاف أمرهم: بن يعقوب، غوش، ص 164-184؛ بن يعقوب، قافلة، ص 77-82؛ ليفي، ص 89-90. ويُنظر: Milstein, vol. 3, pp. 3-4.

وتقاطعت رواية صحيفة فلسطين مع هذه الرواية جزئياً، فأشارت إلى أنّ القوة الصهيونية جزء من قوة استقرت في مستعمرة هارطوف، وأنها أرادت التسرب عبر الجبال والوديان الممتدة من المستعمرة إلى كفار =

الصورة (2-6)

مقاتلون عرب، يُظنُّ أنّ منهم الثاني من اليمين حافظ عبد الشكور بركات،
بعد الانتهاء من معركة كفار عتسيون الثانية



المصدر: أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، التُقطت في نهاية آذار/ مارس 1948، تصوير خليل رصاص.

= عتسيون، على شكل مفارز، وخلال تسلل المفزة الأولى التي قُدّرت بخمسين شخصًا، انتهت نساء قرية خاراس الخارجات للاحتطاب إلى القوة، فشاع الخبر فورًا، وحذر أهل صوريف خشية أن يكون الغرض مهاجمة القرية، لتبدأ القوات العربية والنجيدات من القرى المجاورة بالتوافد إلى موقع القوة التي حوصرت في واد الصر، على بُعد خمسة كيلومترات عن صوريف: فلسطين، 1948/1/18، ص 1. أما رواية صحيفة الدفاع، فأشارت إلى أنّ القوة كانت تنوي مهاجمة صوريف، وأنها تزيت بزّي عربي، لكنّ انتباه أحد الرعاة وتحذيره المبكر للحرس أفضل مهمتها: الدفاع، 1948/1/18، ص 1. وقد يكون الدافع وراء هذه الرواية قرب القوة المهاجمة من صوريف، وحجم تسليحها الكبير، وكذلك البيان الرسمي الصادر عن الحكومة الاستعمارية الذي دمج بين تقريرين أول وثانٍ، من دون أن يحجب التقرير الثاني ما ورد في الأول من معلومات مغلوطة، فالتقارير البريطانية أشارت أولاً إلى وقوع هجوم، لما يقارب المئة يهودي، استهدف صوريف، باستخدام الأسلحة الرشاشة والبنادق، وأنّ هذا الهجوم أسفر عن إصابة ستة من العرب قبل انسحاب المهاجمين. يُنظر:

= Tauber, *Military*, p. 226.

ولكن بعض الطوابع من حراس القرية شاهدتهم، فشك في أمرهم، وأسرع إلى القرية، حيث أخبر القائد [إبراهيم] أبو دية بذلك، ففي الحال هب مسلحو القرية، وعلى رأسهم أبو دية، وتمركزوا في المرتفعات المطلّة على القرية والموصلة إليها، وكنموا لليهود، بعد أن عرفوا وجهتهم. وبعد برهة قصيرة، كان اليهود في قبضتهم، ففتحوا نيرانهم عليهم، واشتبكوا معهم في قتال دام ثلاث ساعات. تمكّن حُماة القرية من الإجهاز عليهم جميعهم، وتركوهم جثثًا في أرض المعركة، تربو عن الخمسين جثة، بعد أن استولوا على أسلحتهم وهوياتهم. وقد حضرت قوة من الجيش البريطاني، حيث نقلت الجثث وسلمتهم إلى ذويهم⁽¹⁹⁶⁾. وقد كان لهذا الخبر وقع كبير لدى جميع الأوساط الرسمية والعربية واليهودية⁽¹⁹⁷⁾.

ومنذ ذلك اليوم، أخذ نجم [إبراهيم] أبو دية، أمر السرية الثالثة،

= لكن لم تكن هذه المعلومات إلا معلومات أولية، إذ أُتبع بتقرير ثانٍ، اعتمادًا على روايات محلية، وشهادة من حضر من الجيش البريطاني والشرطة إلى المنطقة بعد انتهاء الهجوم، أشار إلى اكتشاف أهل صوريف مجموعة يهودية تقارب المئة شخص، فتصدّوا لها بالقرب من البلدة. وأشار التقرير إلى بلاغ بوجود سبع وأربعين جثة، لكن بعد قدوم الجيش والشرطة، وُجدت خمس وثلاثون جثة فحسب. يُنظر: Ibid., p. 227.

(196) وفقًا لبيان السلطات الاستعمارية البريطانية في صحيفة فلسطين، 1948/1/18، ص 4، والروايات الصهيونية، فإنّ عدد القتلى بلغ 35 قتيلاً. أما الصحافة العربية، فأشارت إلى سقوط 50 قتيلاً، مستنكرة التضليل الصهيوني/البريطاني، مشيرة إلى احتفاظ اللجنة القومية بوثائق القتلى جميعًا: «50 قتيلاً يهوديًا يخزون صرعى برصاص الحُماة العرب»، فلسطين، 1948/1/18، ص 1، 4؛ «50 قتيلاً يهوديًا في معركة حادة بجوار صوريف، تنتهي بالسلح الأبيض»، الدفاع، 1948/1/18، ص 1، 4.

(197) على الرغم من أنّ هذه لم تكن أول قافلة صهيونية تُباد في المنطقة، إذ سبق وهوجت قافلة إسناد خرجت من القدس إلى غوش عتسيون، فقتل عشرة أشخاص من أفرادها، في 11 كانون الأول/ديسمبر 1947: «9 قتلى و16 جريحًا يهوديًا في معركة بجبال الخليل»، الدفاع، 1947/12/12، ص 1؛ بن يعقوب، قافلة، ص 30-34؛ ويُنظر: Milstein, vol. 1, pp. 107-109.

فإنّ قتل الـ 35 تحوّل إلى علامة فارقة في تاريخ الحرب، وكان دليلًا إضافيًا على الفشل القيادي في الهاغاناه. وعلى الرغم من هذا الفشل، سُطرت الحادثة، بدءًا من لحظتها الأولى، واعتنى الصهاينة ومؤرخوهم بأدق التفاصيل المتعلقة بها، ومن أبرز الأمثلة على ذلك كتاب بن يعقوب المشار إليه سابقًا، والصادر عن وزارة الدفاع في 259 صفحة.

ورجال الجهاد المقدس، يلمع. وقد استشهد ثلاثة أشخاص من المجاهدين، وأصيب خمسة بجراح. وقد أصدرت قيادة الجهاد المقدس البلاغ الثالث، وهو: «اشتبكت قوات السرية الثالثة للجهاد المقدس مع مفرزة من القوات اليهودية حاولت مهاجمة قرية صوريف، فُقضي على جميع القوات اليهودية، واستشهد ثلاثة مجاهدين، وأصيب خمسة بجراح بسيطة»⁽¹⁹⁸⁾.

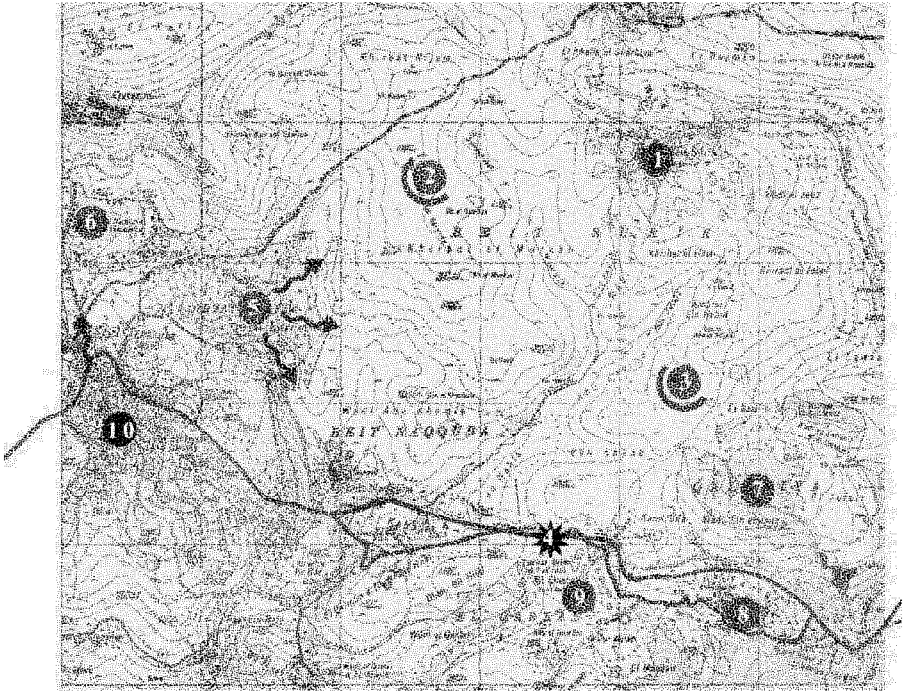
24 كانون الثاني/يناير 1948: معركة بيت سوريك⁽¹⁹⁹⁾

علم مصدر استخبارات الجهاد المقدس أنّ قيادة الهاغاناه، قررت إرسال ثمانين سيارة، مملوءة بالجنود والمعدات والمؤن، إلى يهود القدس من تل أبيب، صباح يوم 24 كانون الثاني/يناير 1948. وقد وصلت الأنباء إلى القائد عبد القادر [الحسيني] مساء يوم 23 كانون الثاني/يناير 1948، وكان آنذاك في قرية بئرزيت. ففي الحال، أحضر السيد فوزي القطب وخمسة أشخاص من فرقة التدمير، وأمرهم بالتوجه حالاً لبتّ الألغام على طريق القدس - تل أبيب، على مسافة خمسمئة متر مقابل قرية بيت سوريك.

(198) وفقاً لما جاء في صحيفة فلسطين، استشهد في الخليل، في 16 كانون الثاني/يناير 1948، كل من: [جمال] حميد من صوريف، وحسين أبو رحمة من العماريد، وعبد المجيد عيسى خميس من بيت نتيف. وأُصيب، وفقاً لصحيفة فلسطين، كل من: أحمد شنك من خاراس، وإبراهيم عبد الحيح من صوريف، ومحمد أحمد عبد الله من ترقوميا، وأحمد حميدان من صوريف: «في قضاء الخليل 3 شهداء و4 جرحى»، فلسطين، 1948/1/17، ص 1؛ «شهداء الخليل»، الشعب، 1948/1/17، ص 1. لكن في اليوم التالي، صدر نعي رسمي من مكتب الشؤون العامة لقضاء الخليل، نُعي فيه شهداء معركة صوريف، وهم: حسين سالم أبو رحمة، جمال احميد، عبد المجيد عيسى اخميس، عبد الكريم عدرية: «شهداء الخليل»، فلسطين، 1948/1/18، ص 1. وأكد البيان البريطاني أنّ الشهداء أربعة، بينما أُصيب ستة نُقلوا جميعاً إلى مستشفى بئر السبع الحكومي.

(199) ما أُدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمَد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 6. أما الإضافات الواردة في المتن بين علامتي < > فمستلة من: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (17)»، ص 4.

الخريطة (2-1) موقع معركة بيت سوريك



المصدر: إعداد الباحث، استنادًا إلى خريطة «عين كارم 13/16» المنجزة في عام 1943،
وخرطة «باب الواد 13/15» المنجزة في عام 1945، ضمن مشروع Survey of Palestine، بوحدة قياس
1:20,000.

(1) مركز قرية بيت سوريك، موقع تمركز قوة الجهاد المقدس الرئيس. (2) موقع تمركز قوة
أبودية المفترض. (3) موقع تمركز قوة عريقات المفترض. (4) موقع نصب الألغام المفترض. (5)
مستوطنة كريات عنافيم، موقع خروج قوة البلماح للجوار. (6) مستوطنة معاليه هحميشاه التي لجأت
إليها القافلة بعد تغيير مسارها عن طريق يافا - القدس. (7) قرية قالونيا. (8) مستوطنة موتسا. (9) قرية
القسطل. (10) قرية العنب/أبو غوش.

وانتقل بالقوة التي معه، وعددها اثنان وثلاثون شخصًا، إلى قرية بيت
سوريك نفسها، وأمرني بإحضار النجديات من مسلّحي قضاء رام الله. وبعد بثّ
الألغام في الطريق العام، وفي تمام الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، قسّم القوة
التي معه إلى ثلاثة أقسام، فوضع ثمانية وعشرين شخصًا بقيادته في استحكامات
تشرف على الطريق العام المبتوث بالألغام، ووزّعهم إلى أربع حظائر، كل

حظيرة تبعد عن الأخرى خمسمئة متر، وبين كل شخص والآخر خمسون مترًا. أما القسم الثاني، فوضعه في قمة الجبل، خلف الفصيل المرابط بجانب الطريق العام، وكان بقيادة إبراهيم أبو دية، يساعده السيد عزمي الجاعوني⁽²⁰⁰⁾. وأفهمهم أنّ مهمتهم هي حراسة المؤخرة، والمرابطة للنجادات اليهودية التي قد تفد من مستعمرة كريات عنافيم التي تواجهها. أما الفريق الثالث، فجُعل مركزًا على رأس قمة تواجه الطريق من الناحية الأخرى، وجعله بقيادة السيد كامل عريقات مساعده⁽²⁰¹⁾، وأمره بمنع النجادات التي قد تفد من مستعمرة موتسا والمستعمرات المجاورة.

وكان كل قسم من [الأفرقة] عبارة عن حظيرة واحدة، ومع كل حظيرة رشاش واحد، ومعه هو ثلاثة رشاشات. وقد تم بثّ الألغام في تمام الساعة الثالثة بعد منتصف ليلة 23 كانون الثاني/يناير 1948. وبعد أن أطلعني على خطة الهجوم، أمرني بالتوجه إلى رام الله وإحضار النجادات، والإشراف على المعركة من قرية بيت سوريك، وتوزيع الوافدين من النجادات حسب المراكز التي عيّنها، وذلك لئلا يحدث في وفود المسلّحين من النجادات فوضى في القتال. وعيّن في كل مركز شخصًا مسؤولًا عن استقبال النجادات في كل منطقة، لإرشادها عن مكان العدو واتجاه المعركة. وقد رابط مع رجاله بجانب الطريق العام في انتظار حضور القافلة اليهودية.

وعند طلوع الفجر، حضرت طائرة حامت حول الطريق، وبعدها، حضرت مصفحة إنجليزية، فما وصلت إلى الطريق الملعومة حتى عادت، ويظهر أنّها

(200) عزمي عارف الجاعوني (؟-2000): وُلد في القدس. كان والده من الشخصيات الأقرب إلى الحاج أمين الحسيني، وأسهم بشكل كبير في العمل الأمني خلال ثورة 1936-1939، قبل أن يغادر فلسطين إلى لبنان ثم إلى العراق، ويتوفى في منفاه، بعد اعتقاله في إيران إثر مشاركته في ثورة رشيد عالي الكيلاني. عمل عزمي، خلال حرب 1947-1949، في فرقة التدمير التابعة للجهاد المقدس في القدس، وشارك في عدد من المعارك. غادر فلسطين بعد الحرب، واستقر في القاهرة. مُنح الجنسية المصرية في 22 حزيران/يونيو 1955، أثناء رئاسة جمال عبد الناصر للوزارة المصرية، «وذلك للخدمات الجليلة التي أداها للدولة».

(201) يقارن عن دور كامل عريقات في المعركة، ما دُوّن في: أمين أبو الشعر، مجاهد من أبو ديس (عمّان: [د. ن.]، 1975)، ص 144-147.

أبلغت القافلة اليهودية بوجود الكمين، فعادت القافلة من منتصف الطريق⁽²⁰²⁾، وصدرت الأوامر لحرّاسها وحرّاس المستعمرات بالتوجه لمقابلة المجاهدين العرب، فساروا في الوديان المجاورة للطريق⁽²⁰³⁾ للالتفاف حول المجاهدين، وكانت الساعة قد بلغت التاسعة تمامًا. وما أن وصلوا نقطة الحراسة الخلفية التي يتولى إمرتها [إبراهيم] أبودية، حتى اشتبكوا معها، وجرح أبودية أثناء الاشتباك، فعرف عبد القادر [الحسيني] بالأمر، فأصدر أوامره إلى الحظيرة الأولى بالالتفاف حول الجبل الذي تتمركز فيه حظيرة أبودية، لقطع خط الرجعة على اليهود. وأمر كل حظيرة من الحظائر الأخرى بالتقدّم إلى المرتفعات المحيطة بالوديان الموصلة إلى الطريق العام، لمفاجأة قوات اليهود.

وبالفعل، ما شعر اليهود، وهم [متقدّمون] للالتفاف حول المجاهدين، إلا والنيران تنصبّ عليهم كالمطر من المجاهدين، بقيادة عبد القادر [الحسيني]، فقد كمنوا لهم حتى أصبحوا على بُعد ثلاثين مترًا منهم⁽²⁰⁴⁾، وعندها أصدر عبد القادر أوامره إلى حاملي الرشاشات بفتح نيرانهم التي أخذت تحصد اليهود حصدًا. أما اليهود، فلم تُغنهم كثرتهم وتوفر عتادهم بشيء⁽²⁰⁵⁾، فقد

(202) وفقًا لمصادر صهيونية، غيرت القافلة طريقها فلم تجتزّ باب الواد. يُنظر: Milstein, vol. 1, p. 358. وذلك بعد أن علمت بوجود قوات عربية على الطريق. وأبرزت الصحافة الصهيونية أنّ الهجوم منع وقوع هجوم كبير على القوافل من وإلى القدس: «المعركة منعت هجوم مئات العرب على القوافل»، هبوكر، 1948/1/26، ص 1.

(203) وفقًا لمصادر صهيونية، فإنّ القوة الصهيونية التي اصطدمت بالقوات العربية بالقرب من بيت سوريك، قوة تابعة للبلماح، كانت تستهدف، كما يبدو، السيطرة على مرتفعات قريبة، تمهيدًا للتصدي لقوة الجهاد المقدس التي انتشرت في المنطقة على طريق القدس - يافا: Milstein, vol. 1, pp. 355-360. ووفقًا لصحيفة هبوكر، فإنّ القوة الصهيونية قتلت سبع ساعات للسيطرة على منطقة القسطل. يُنظر: «10 يهود سقطوا في معركة بجوار القدس»، هبوكر، 1948/1/26، ص 1.

(204) يتقاطع هذا الوصف للالتحام في المعركة مع شهادة قَدَمها أحد جنود البلماح المشاركين فيها الذي أشار إلى أنّ العرب «هاجمونا واشتبكوا معنا مباشرة»، مقدّرًا المسافة بينهم بثلاثين ياردة. يُنظر كامل الشهادة في: Milstein, vol. 1, pp. 358-359.

(205) كان عدد القوة الصهيونية التي شاركت في المعركة الأولى محدودًا، وكانت كمية السلاح وجودته أحد أبرز إشكاليات قوة البلماح، وفقًا لمصادر صهيونية، إضافة إلى إشكالات أخرى لخصت في تقرير قائد كتيبة البلماح السادسة، تسفي زمير، عن المعركة. ومما كتب زمير: «المعدات التي لدينا الآن محدودة، وحالة أسلحتنا حقيرة. تعطلت فعالية أسلحتنا في هذه العملية، لأنّ الكثير من =

أذهلتهم المفاجأة، وأخذوا يصيحون بأعلى أصواتهم، ولم يقاوموا إطلاقاً، بل أخذوا يلقون أنفسهم فوق بعضهم بعضاً، فكنت تجد كل سبعة أو أربعة منهم قتلى في حفرة واحدة. وقد أخذ المجاهدون ينهشونهم نهشاً، وثبتوهم كالذئب في مزربة الأغنام.

وقد اتصلت قيادتهم بالاسلحي بالمستعمرات المجاورة وبالقدس، طالبة النجدة، ولكن هيهات أن يتيح لها المجاهدون الوصول إلى ميدان المعركة، فقد وصل مئات المسلّحين من النجدات، من مسلّحي قضاء رام الله، وتوجهت وإياهم للميدان وللمنافذ الموصلة إلى المستعمرات اليهودية، وهكذا حيل بين اليهود وبين النجاة، واستمرت المعركة من الساعة التاسعة حتى الساعة الخامسة مساءً. وقد بدأها عبد القادر [الحسيني] بأربعين شخصاً، وخرج منها بثمانمئة مقاتل وفدوا لنجدته من قرى قضاء رام الله⁽²⁰⁶⁾.

وبعد انتهاء المعركة، ونزع أسلحة وهوية القتلى اليهود، صدرت الأوامر بالانسحاب في تمام الساعة الخامسة، فعاد المجاهدون إلى قرية بيت سوريك، ولم يُصب إلا ثلاثة مجاهدين بجراح بسيطة، منهم السيد محمد الفايز، فاصطف المسلّحون، وقد وُجد أنّ أحد الجنود غائب، فأمر عبد القادر [الحسيني] أربعة جنود وجاويش يحمل رشاشاً بالذهاب إلى ميدان المعركة المجاورة للقرية، لنقل جثته إن كان قد استشهد، فذهبت المفرزة. وبعد نصف ساعة، سُمعت عدة طلقات نارية، فقفز المسلّحون، لأنهم أوجسوا خيفة أنّ يكون اليهود قد كمنوا عند القتلى، وأنهم اشتبكوا مع الجنود الذين عادوا إلى الميدان، فأمرهم

= الرصاص [القديم] كان طائشاً [.....]، وبسبب عدم وجود قطع غيار، وفني قادر على صيانة السلاح، فإنّ جزءاً من سلاحنا خارج الخدمة». يُنظر: Ibid., p. 359.

(206) كتبت الدفاع: «وقد تميّزت المعركة بحماس النجدات للمناضلين العرب من جميع القرى العربية [.....]، واستمر وصول النجدات التي كانت تأتي في الباصات والسيارات الكبيرة إلى ما بعد انتهاء المعركة»: الدفاع، 1948/1/26، ص 1. أما قائدة كتبية البلماح السادسة زمير، فقد كتب في تقريره عن المعركة: «نظرًا لقدرة العرب على حشد قوات هائلة في غضون مهلة قصيرة، لا يمكن لوحدة من عشرين رجلاً أن تغادر قاعدتها كما يجري لغاية الآن». يُنظر: Milstein, vol, 1, p. 359. ويقارن بشهادة عارف العارف عن موقف الأهالي حال طلب النجدة في: العارف، مج 1، ص 87.

عبد القادر بالتريث، وأرسلني إلى مكان مرتفع يشرف على مكان القتلى لاستطلاع الخبر، وأعطاني منظاره. فذهبت ورأيت جنودنا يقلّبون القتلى، فعدت بعد أن تأكدت من أنه لم يحدث لهم ضرر، وطمأنته على الجنود.

وبعد نصف ساعة، وإذا بجنودنا يعودون والجندي المفقود معهم، ولكنهم يرتدون ألبسة الهاغاناه، ويحملون عددًا من الرشاشات والبنادق والأحذية، فسألتهم عن الخبر، فقال الجاويش المسؤول: «حينما وصلنا ميدان المعركة، وجدنا الجندي المفقود كامنًا في مغارة، لأنه أُصيب بجراح ولم يستطع مواصلة السير، ويريد الاستراحة وتضميد جراحه. وحالما وصلنا الكهف، رأينا مصفحة تقف في الطريق العام، فكمنّا لنستطلع الخبر، وإذا بأحد عشر خفيًا يهوديًا، من بوليس المستعمرات، ينزلون منها ويتوجهون إلى مكان القتلى، فكمنّا لهم، وسدّدنا بنادقنا ورشاشاتنا عليهم. فلمّا وصلوا جث القتلى اليهود وحاولوا نقلها، أصليناهم النيران التي سمعتموها. ولم تمض خمس دقائق حتى قضينا عليهم أجمعين⁽²⁰⁷⁾، فأخذنا أسلحتهم، وجردناهم من بدلاتهم الرسمية، وحملنا هويّاتهم، وها هي بين يديكم». وهكذا تم النصر في أول معركة من معارك المواجهة للمجاهدين العرب، بقيادة قائدهم الباسل الذي أصبح اليهود يخشون اسمه.

وفي اليوم الثاني، حضر قائد الجيش الإنجليزي، وأخذ الجنود، بمساعدة أهالي قرية بيت سوريك، يجمعون جث القتلى اليهود، فزادت عن مئة وعشرين جثة⁽²⁰⁸⁾. وغنم العرب عشرة مدافع رشاشة، وأربعين بندقية، وعددًا من القنابل والذخيرة والألبسة الحربية، وبعض الخرائط، وجهاز لاسلكي. وقد هال اليهود ما سمعوه عن المعركة، وظهرت الصحف اليهودية مجلّة بالسواد في اليوم

(207) وفقًا لتقرير بريطاني، فإنّه قُتل مايكل شفانثير من شرطة المستعمرات، عندما ذهب مع جماعة منهم لإحضار جث القتلى اليهود: الدفاع، 1948/1/26، ص 1. ويُنظر: Milstein, vol. 1, p. 359.

(208) وفقًا لمصادر صهيونية، قُتل عشرة أشخاص: «10 يهود سقطوا في معركة بجوار القدس»، هبوكر، 1948/1/26، ص 1؛ «عشرة من رجال الدفاع سقطوا بالمعركة»، دفار [بالعبرية]، Milstein, vol. 1, pp. 359-360. ويُنظر: 1948/1/26، ص 1.

ووفقًا للتقارير الصادرة عن السلطات الاستعمارية البريطانية، فإنّ التقرير النهائي تحدث عن مقتل 10 من اليهود وإصابة اثنين. يُنظر: Tauber, *Military*, p. 237-238.

الثاني، وقالت إنّ ستمئة يهودي من رجال الهاغاناه، الموكول إليهم حراسة القوافل والمستعمرات، هزمهم عشرات الجنود بقيادة عبد القادر الحسيني، وطالبت بتغيير القائمين على أمر القيادة في لواء القدس. أما الصحف العربية، فقد أشادت بذكر المجاهدين، وبالغت كثيرًا في النتائج التي أحرزوها⁽²⁰⁹⁾.

وأما الشعب العربي الفلسطيني، فقد بات تلك الليلة فرحًا بالنتائج، وارتفعت المعنويات عند العرب. وقد عادت عشرات السيارات تقلّ المسلّحين من قضاء رام الله، يهتفون للقائد الباسل، ويحملون الغنائم، وكان يرافقهم فرقة إسعاف كاملة من متطوعي رام الله، بقيادة الدكتور سليمان سليم. وقد نُقل الجرحى إلى مستشفى الجهاد المقدس في رام الله الذي كان يشرف عليه الدكتور سليمان سليم، وعدد من المتطوعين والمتطوعات من مدينة رام الله. وأصيب السيد إبراهيم أبو دية بجراح بسيطة في هذه المعركة، كما أُصيب محمد الفايز من عرب الصخور بجرح في صدره. وقد أبلّى عوض [محمود أحمد الترمسعاوي]⁽²¹⁰⁾,

(209) بخلاف حديث الريمائي، لا يظهر أي مبالغة في صيغة أخبار الصحف العربية، فالريمائي هنا يتحدث عن مئة وعشرين قتيلًا، وفي مقالته في الدستور تحدث عن أربعة وثلاثين قتيلًا، لكن في صحيفة الدفاع مثلاً جاء الخبر معنويًا بالآتي: «مصرع 15 يهوديًا في معركة حامية بأراضي قرية بيت سوريك، وإصابة مناضل عربي بجراح». وفي التفصيلات، أشارت الصحيفة إلى أنّ مصدرها العربي تحدث عن وقوع 15 قتيلًا من الإرهابيين، وأنّ المناضلين غنموا أربعة مدافع برن وتومي، وكمية كبيرة من القنابل والبنادق والذخيرة وأدوات الإسعاف: الدفاع، 1948/1/26، ص 1. وبالمقارنة مع الصحف العربية، تحدثت الصحف العبرية بكثير من المبالغة عن الخسائر العربية، فتصدّر مثلاً صحيفة دفار عنوان رئيس «حوالي أربعين مشاعبًا قُتلوا بمعركة على القسطل»: دفار، 1948/1/26، ص 1. وعنوانت هبوكر عنوانًا فرعيًا «40 عربيًا قُتلوا، والكثير مثلهم جرحوا»: هبوكر، 1948/1/26، ص 1. وأبرزت هذه الصحافة كذلك اتهامات للبريطانيين بالتسبب بقتل بعض رجالهم، في لازمة تتكرر في المصادر الصهيونية بشكل دائم للتخفيف من أثر الفعل العربي العسكري فيهم، كما يبدو، فعنوانت هبوكر «أربعة من [القتلى العشرة سقطوا] بيد الجيش»: هبوكر، 1948/1/26، ص 1. وعنوانت دفار «عشرة من رجال الدفاع سقطوا بالمعركة، أربعة منهم برصاص الجيش»: دفار، 1948/1/26، ص 1.

(210) عوض محمود أحمد أبو عؤاد: من قرية ترمسعيا قضاء رام الله. التحق خلال الاستعمار البريطاني لفلسطين بقوة الحدود، ومع إقرار مشروع تقسيم فلسطين ترك الخدمة ليشارك في هجوم على مستوطنة عين زيتيم/ عين الزيتون، بالقرب من صفد، في كانون الأول/ ديسمبر 1947. التحق لاحقًا بقوة الجهاد المقدس مرافقًا للقائد العام الشهيد عبد القادر الحسيني، وشارك في معظم معاركها الأساسية في منطقة القدس وجوارها.

من ترمسعيًا، من حرس عبد القادر، بلاءً حسنًا في هذه المعركة، فصدرت أوامر بترقيته إلى رتبة جاويش. كما تمت ترقية عبد العزيز الريماوي إلى رتبة أمر حظيرة، ومُنحت بعض المكافآت للجنود الذين استبسلوا في المعركة.

[وعلى إثر هذه المعركة، صدر البيان الأول للجهاد المقدس، في 25 كانون الثاني/يناير 1948]، وكان هذا البيان الأول مختصرًا. وقد كان لكاتب هذه السطور شرف صياغته. وكان يدور حول النقاط الرئيسية التالية:

1 - إننا نرحب بنقل معركة فلسطين من ميادين السياسة والمحافل الدولية التي تمتع فيها اليهود بباع طويل، وبسيطرة تامة، إلى ميادين القتال على أرض فلسطين، حيث يدفع اليهود الأرواح والدم ثمنًا لعدوانهم.

2 - إنكم اليهود تقفون وجهًا لوجه أمام أصحاب البلاد الشرعيين، وأمام المجاهدين الذين باعوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله والوطن، وهو صراع بين الحق والباطل، وسينتصر الحق ويُهزم الباطل، إن الباطل كان زهوقًا.

3 - إنَّ المسؤول عن أرواح الأربعة والثلاثين قتيلاً هم قادتكم وساستكم - اليهود - الذين ساقوكم للعدوان على أهالي البلاد الآمنين في أوطانهم، وأذكر العبارات التالية التي وردت في البيان: لقد صعدت أرواح أربعة وثلاثين قتيلاً من رجالكم، لتشكو إلى بارئها رعونة وطيش قادتها الذين جروها لمواجهة المجاهدين الأبطال الذين هم على استعداد لتقديم أرواحهم في سبيل الله، دفاعًا عن حرياتهم وكرامتهم، وحفاظًا على وجودهم وأوطانهم. إنَّا لا نقتل حبا في القتال، ولكن من أجل أن نحيا بأمن وسلام في وطننا ووطن أجدادنا، لا ولن. ولتكن لكم العبرة في هذه المعركة، وليكن هذا القصاص رادعًا لتماديكم في العدوان. إننا ماضون في الجهاد إلى أن ننال إحدى الحسينين؛ النصر أو الشهادة، والله من وراء القصد.

توقيع: عبد القادر الحسيني⁽²¹¹⁾

(211) لم يُعثر على أصل هذا البيان حتى تحرير هذا النص. وكما يبدو، فإنَّ الريماوي كان يقتبس من صورة عن البيان احتفظ بها. كما لم ترد أي إشارة لهذا البيان في الصحيفتين الفلسطينيتين الأبرز، الدفاع =

هذا ولم تصدر أية بيانات أخرى سوى بيان صحفي واحد، أدلى به عبد القادر إلى الصحفيين حول الجامعة العبرية ومستشفى هداسا، وأعلمهم فيه بأننا نترفع عن تدميرها ونسفها، لأننا نؤمن برسالة العلم وبالمؤسسات الإنسانية، وقال لهم: «والدليل على ذلك هو هذه الرخصة التي أحملها»، وأبرزها إليهم، وهي رخصة سيارة يمتلكها يهودي يُدعى وايزمن، فقال لهم: «إنّ رجالنا من فرقة المغاوير قد دخلوا حرم الجامعة العبرية، واستولوا على هذه السيارة، وأخرجوها من داخل ساحة الجامعة، والسيارة من نوع بلايموت زيتية اللون، وقد أرسلت في ما بعد إلى القاهرة، وكان بإمكانهم أن يضعوا المتفجرات مكانها ويدمروا البناية، ولكنهم ترفعوا عن ذلك»⁽²¹²⁾. وأذكر أنه أجاب على أسئلة صحفية لإحدى الوكالات الأجنبية، نقلها إليه السيد حسيب ابن المرحوم الدكتور بولص، وكنا وقتئذٍ في قرية يبرود، في بيت السيد أحمد شعبان.

أما البيانات الأخرى، فقد كنا نكتفي بإرسال برقيات مختصرة جداً عن المعارك⁽²¹³⁾ أو الحوادث المهمة التي كنا نقوم بها إلى القاهرة بالشفيرة، إلى

= وفلسطين، في أي من أعداد كانون الثاني/يناير 1948. ولا يمكن التأكد إذا ما كان البيان في حديثه عن 34 قتيلاً يشير إلى قتلى معركة صوريف، في 16 كانون الثاني/يناير 1948، أم إلى قتلى معركة بيت سوريك، خصوصاً أن نص الريمابوي عن بيت سوريك تحدث عن عدد أكبر بكثير من القتلى.

(212) عُقد المؤتمر الصحفي في 17 آذار/مارس 1948 في القدس، وصرّح فيه عبد القادر بالبيان الآتي: «طالما استفزنا اليهود من الجامعة العبرية ومستشفى هداسا بأن هاجموا أحياءنا منهم، ونسفوا بيوتنا على الأطفال والنساء، بغية إرغامنا على الاعتداء على المعاهد العلمية والصحية، ليقوموا بدعاية واسعة ضدّ العرب. وهذا العمل، أي اتخاذ المعاهد العلمية والصحية قواعد للاعتداء منها على النساء والأطفال والأمنين، هو بحدّ ذاته مبرر لضرب هذه الأماكن التي ينبعث منها الشر والقتل والفتك، بدل العلم والرحمة والشفاء. فالقيادة العامة للجهاد المقدس تلفت نظر الصحافة والعالم أجمع إلى هذه الجرائم التي يقترفها اليهود دون أن يقول العالم كلمته»: فلسطين، 18/3/1948، ص 1. ثم أجاب عن أسئلة الصحافيين. ولم تُشر المصادر الإخبارية التي غطّت الخبر إلى حديث قاسم أعلاه، بخصوص اقتحام رجال المغاوير لحرم الجامعة. يُنظر: فلسطين، 18/3/1948، ص 1، 4؛ الدفاع، 18/3/1948، ص 1، 4؛ «الجامعة العبرية ومستشفى هداسا»، الجزيرة، 19/3/1948، ص 1. ويُنظر صدى المؤتمر في الصحافة الصهيونية: «عبد القادر الحسيني اليهود حاولوا اغتيال»، عال همشمار [بالعبرية]، 19/3/1948، ص 1. ويُنظر: «Husseini Threatens Hadassah», *The Palestine Post*, 18 March 1948, p. 1.

(213) بمراجعة الصحف العربية الصادرة خلال أشهر المعارك في مرحلتها الأولى (مطلع=

مكتب الهيئة العربية العليا، أكثرها باللغة الإنجليزية، بقصد التموية. أذكر على سبيل المثال أننا أرسلنا البرقية التالية بعد نصف الوكالة اليهودية في 11 شباط/فبراير 1948. «تهانينا، نُسفت أبنية الوكالة اليهودية»: «Congratulations Stop. Jewish Agency Building Blown Up Stop».

4 آذار/مارس 1948: معركة المصيون⁽²¹⁴⁾

لقد أقلق قيادة القوات اليهودية تدهور معنويات الشعب اليهودي، إثر الضربات المتتالية والمعارك الحاسمة التي تعرّض لها على أيدي رجال الجهاد المقدس، وساءهم القضاء على قوافل التموين الوافدة إليهم من تل أبيب والمستعمرات المجاورة، فقاموا بهجوم على المواصلات العربية، للانتقام ورفع المعنويات، واختارت القيادة فصيلاً كاملاً من خيرة الفدائيين اليهود من رجال «شتيرن [ليحي]» والهاغاناه⁽²¹⁵⁾، وطلبت إليهم الغارة على مواصلات العرب،

= كانون الأول/ديسمبر 1947 - 15 أيار/مايو 1948)، يُلاحظ بوضوح محدودية البيانات الصادرة عن قيادة الجهاد المقدس، خصوصاً في مرحلة عبد القادر الحسيني، ومحدودية الظهور الإعلامي له، مقارنة مع قائد القطاع الغربي في المنطقة الوسطى، حسن سلامة الذي أصدر مجموعة من البيانات العامة والصحفية، وأجرى كذلك عددًا من المؤتمرات الصحفية، منذ اللحظة الأولى لوصوله لمنطقته وحتى استشهاده.

(214) ما أُدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمَد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 6، كُتبت تحت عنوان «معركة رام الله - اللطرون». أما الإضافات الواردة في المتن بين علامتي < > فمستلة من: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (17)»، ص 4. (215) لم تكن القوة الصهيونية المهاجمة قوة مشتركة من الإيتسل، أو من «ليحي (شتيرن)» والهاغاناه، وإنما كانت وحدة من كتبية موريا التابعة للواء عتسنيوني، بعدما رفض يتسحاق رابين تنفيذ أمر رئاسة أركان الهاغاناه العامة بالخروج لتنفيذ عملية أُطلق عليها اسم «عملية شمويث»، لمهاجمة المواصلات العربية على طريق رام الله - اللطرون، لعدم منطقية الأمر واستحالة تنفيذه، وكذلك بعد رفض تسفي زمير، قائد الكتبية السادسة في البلماح، تنفيذ الأمر للسبب ذاته. وهدفت هذه العملية إلى ضرب خطوط المواصلات في المناطق العربية، ردًا على الهجمات العربية المتواصلة على القوافل الصهيونية، خصوصاً على طريق القدس - يافا. يُنظر عن هذه المعركة للمقارنة: العارف، مج 1، ص 117-118؛ أبو غربية، في خضم، ص 196. ولمصادر صهيونية: سلوتسكي، مج 2، ص 1401؛ دافيد شلتيل: القدس 1948 [بالعبرية]، يوسف شابيرا (محرر) (تل أبيب: دار نشر وزارة الدفاع، 1981)، ص 101-102؛ ليفي، ص 77. ويُنظر: Milstein, vol. 3, pp. 208-213.

فتوجهوا إلى مستعمرة قلندية، حيث كمنوا فيها، وقرروا مهاجمة الباص العربي الذي ينقل الأهالي من السكان المدنيين بين رام الله والرملة. ومستعمرة قلندية لا تبعد أكثر من خمسة كيلومترات عن طريق رام الله - اللطرون. وفي تمام الساعة السادسة من صباح أحد أيام الأسبوع الأول من شهر آذار/ مارس 1948، [صباح 4 آذار/ مارس 1948]، هاجم الكوماندو اليهود أحد الباصات العربية، بينما كان متوجهاً من رام الله إلى الرملة، وعلى بُعد خمسة كيلومترات غربي رام الله، فأصابوا امرأة وطفلاً في الباص⁽²¹⁶⁾، وفرّوا عائدين إلى المستعمرة، ظناً منهم أنهم سيبلغوها قبل أن يجندلهم رجال الجهاد المقدس.

ولكن هيهات هيهات، فقد أبت الأقدار إلا أن يلاقوا حتفهم قبل أن يستطيعوا قطع هذه المئات من الأمتار إلى المستعمرة، إذ إنه ما كان يدور بخلداهم أنّ سرعة التنظيم التي فرضها الجهاد المقدس، ويقظة حرسه الدائمة، ستحول دونهم ودون النجاة بمثل هذه السرعة. فما كادوا يطلقون النار، حتى وصل إليّ خبر هجومهم على الباص⁽²¹⁷⁾، وكنت آنذاك في طريقي إلى محطة الإذاعة السرية التي كانت تذيع باسم «صوت الجهاد المقدس» في مدينة

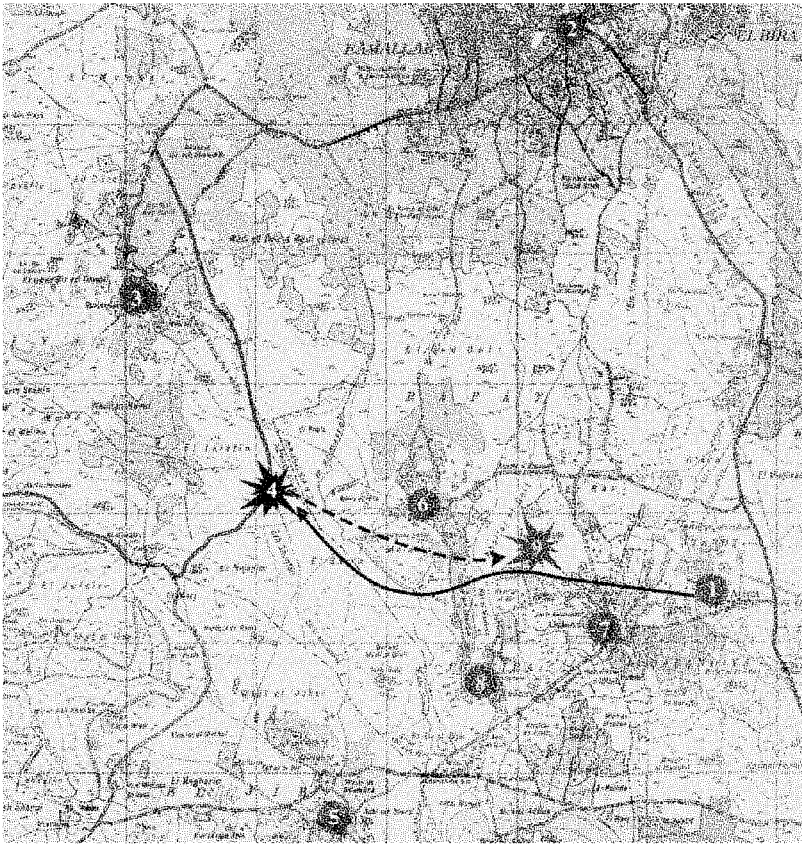
(216) وفقاً للتقرير الصادر عن الحكومة الاستعمارية، فإنّ القوة الصهيونية أغلقت الطريق الواقعة عند ملتقى طرق قرية بيتونيا - الجيب، بوضع قطع حديدية عليه، واعترضوا سيارة باص عربية، لكن لم تلحق أي أضرار بها، ولم تقع أي إصابات بين ركابها: الدفاع، 1948/3/5، ص 4؛ فلسطين، 1948/3/5، ص 1. أما صحيفة فلسطين، فأشارت، نقلاً عن روايات محلية، إلى أنّ الباص أتى في أثناء زرع بعض أفراد المجموعة لغماً على الطريق، فأطلقت عليه النار من بعض أفرادها المستجكمين في جبل مجاور، فاخترقت أربع رصاصات مقدّمته، واخترقت أخرى النافذة المجاورة للسائق، فأصيب أحد الركّاب بشظايا الزجاج. ووفقاً لهذه الرواية، فإنّ تدارك السائق السريع للموقف، وعودته إلى رام الله سريعاً، ساهم في إنقاذ عموم الركّاب: فلسطين، 1948/3/5، ص 1.

(217) سبق أن هاجمت وحدة عسكرية من كتيبة موريا/لواء عتسوني، خرجت من عطروت، حافلة عربية رقم 12، على طريق رام الله - اللطرون، قرب بيتونيا، في 21 كانون الأول/ديسمبر 1947، بعد قطع الطريق، فاستشهد عيسى غنائم من رام الله، وعبد الله صالح زعتر من البيرة، وداود يوسف عبد الرحيم من بيت دقو. وأصيب السائق يعقوب خلف بجراح طفيفة. ولم تستطع قوات النجدة اللحاق بالمجموعة المهاجمة: الدفاع، 1947/12/22، ص 1؛ «قضاء رام الله يشيع شهداء الأبرار»، فلسطين، 1947/12/24، ص 2؛ سلوتسكي، مج 2، ص 1395. ويُنظر: Milstein, vol. 3, p. 209.

ويظهر أنّ سرعة الاستجابة للهجوم التالي كانت نتيجة لتطور الأداء الدفاعي لقوة الجهاد المقدس وحاميات القرى المجاورة.

رام الله، <في فندق الكازابلانكا [.....]>، ومعى سيارة استيشن واجن، وفيها عدد من المسلّحين، وسيارة جيب كنت أتقل فيها.>

الخريطة (2-2) موقع عملية المصيون



المصدر: إعداد الباحث، استنادًا إلى خريطة «البيرة 14/17»، وخريطة «رام الله 14/16»، المنجزتين في عام 1943، ضمن مشروع Survey of Palestine، بوحدة قياس 1:20,000.

(1) مستوطنة عطرورت، موقع خروج القوة الصهيونية، كما هو مبين بالخط المتصل. (2) مركز مدينة رام الله. (3) مركز بلدة بيتونيا. (4) موقع الكمين الصهيوني لحافلة رام الله - اللطرون، بالقرب من تقاطع بيتونيا الجيب. (5) قرية الجيب. (6) قرية رافات. (7) بلدة قلندية. (8) قرية الجديرة. (9) موقع المعركة الرئيس المفترض، بعد انسحاب القوة الصهيونية، كما هو مبين بالخط المتقطع⁽²¹⁸⁾.

(218) وفقًا لمصادر الصهيونية، فإنّ الوحدة المهاجمة خرجت من مستوطنة عطرورت في حدود =

وما أن بلغني الخبر، حتى أرسلت علمًا إلى مقرّ قيادة منظمة الشباب في رام الله، فتوجه أمر السرية الثامنة للجهاد المقدس، الدكتور <جليل> بدران⁽²¹⁹⁾، وقائد المنظمة، ومعه فصيل من حُماة رام الله، إلى مكان المعركة. وقد تولى قيادة الميسرة من الجهة الغربية. وأُرسلت قوة من حرس الإذاعة في سيارة شحن إلى الجهة الشرقية [من مكان المعركة]، فوضعهم في الجهة الغربية من مستعمرة قلندية. وقد وصلوا إلى غربي المستعمرة، قبل أن يتمكن اليهود من الوصول إليها، فبذلك قطعوا خط الرجعة عليهم، وكمنوا لهم في مرتفعات حصينة هناك. وكانت هذه القوة بقيادة السيد عبد الدايم <عبد الصمد>، رئيس مسلّحي البيرة.

وأرسلت إشارة لاسلكية إلى القائد العام عبد القادر بك [الحسيني] أعلمه. وقد أخذت قوة من رجال الجهاد المقدس، وتقدّمت إلى قلب الهجوم، حيث تقع المرتفعات الواقعة بين طريق رام الله - اللطرون، وطريق رام الله - القدس. >هذا وقد علمت أنّ حرس رافات قد طوّقوا المعتدين من الجهة الجنوبية، وكذلك حرس الجيب. وبذلك أحكم الطوق عليهم⁽²²⁰⁾>، وما شعر اليهود إلا

= الساعة الثانية ليلاً، وكان خط سيرها ثلاثة كيلومترات شمال غرب المستوطنة، ومن ثم الاتجاه غربًا حتى الوصول إلى مفترق الجيب - بيتونيا، على طريق رام الله - اللطرون، بحدود الساعة الخامسة فجراً، وأطلقت الرصاص على الحافلة العربية بحدود الساعة السابعة إلا ثلثًا صباحًا. واختلف خط سير عودة بعض أفراد المجموعة المهاجمة إلى عطرورت عن خط سير خروجها، بعد تشتت القوة بفعل الهجوم العربي المبكر عليها، والخلافات الداخلية بين أفراد المجموعة حول خط الانسحاب الصحيح. يُنظر: Milstein, vol. 3, pp. 211-212.

(219) جليل بدران (1913-؟): وُلد في رام الله. أنهى تعليمه الثانوي في مدرسة الفرنرز للبنين، ثم التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت، فخرّج فيها في عام 1936 كطبيب جرّاح للأسنان. عمل طبيبًا في رام الله بين عامي 1936 و1941، ثم التحق بقوة حدود شرق الأردن خلال أعوام الحرب العالمية الثانية، بين عامي 1941 و1944. ترأس منظمة الشباب العربي في رام الله في عام 1947، مسهمًا من خلال دوره هذا في الحرب. عاد لممارسة الطب، ثم انتُخب رئيسًا لبلدية رام الله خلال الفترة من تشرين الأول/أكتوبر 1951 إلى أيلول/سبتمبر 1956. عُيّن وزيرًا للتجارة والإنشاء والتعمير في حكومة هزاع المجالي في كانون الأول/ديسمبر 1955، والتي استمرت لأيام.

(220) وفقًا لِمَا رواه مراسل الدفاع الذي قدّم تقريره بعد التوجه إلى المنطقة، أنه على إثر الاشتباك، «جاءت النجديات العربية من جميع القرى المجاورة، وطوّقت الغادرين اليهود، وجعلتهم هدفًا لنيران الحامية. كما ذهب آخرون من المناضلين إلى الجبال، والطرق المؤدية والمحيطة بمستعمرة =

والمجاهدون يطوّقونهم من كل جانب، فخارت قواهم، وفقدوا وعيهم، وأخذ كلُّ منهم يحتمي بالآخر، وهم يتساقطون كورق التين كل خمسة منهم في حفرة واحدة. وقد أظهرت هذه الصفوة من رجال الكوماندو اليهودي جُبناً ما بعده جبن، إذ إنهم كانوا يُقتلون الواحد تلو الآخر، ولا يجرؤون على المقاومة، مع أنّ المنطقة وعرة المسالك وحصينة، ومع أنهم كانوا يحملون أحدث أنواع الأسلحة الأوتوماتيكية والرشاشات والقنابل والمسدسات⁽²²¹⁾.

وقد فاجأنا سبعة منهم، بينما كانوا يختفون عند سفح أحد الجبال، فحاولنا أسرهم، وطلبنا إليهم المشي على أيديهم وأرجلهم ففعلوا، إلا أنّ أحدهم كان جريحاً ودمه ينزف، وكان يحمل قنبلة في يده، فصاح بالعبرية، فألقى اليهود أنفسهم على الأرض، ففي الحال عرفنا أنه سيلقي القنبلة فانبطحنا على الأرض،

= عطروت، بقطع خط الرجعة على الغادرين، ومنع وصول النجيدات اليهودية إليهم»: الدفاع، 1948/3/5، ص 1. وكما يتضح، فإنّ هذا الوصف يتقاطع كثيراً مع الوصف الذي قدّمه الريماوي هنا. (221) يظهر هنا أنّ الريماوي لم يحدد عدد القتلى في المعركة الأولى، ويقتصر على ذكر الستة الذين حوصروا وطلب استسلامهم، في إشارة ضمنية إلى مقتل 11 شخصاً في المعركة الأولى، وهذا يتقاطع جزئياً مع أحد عناوين الصحف الصهيونية في اليوم التالي للمعركة: «معركة حُتى الرصاصة الأخيرة» بالقرب من عطروت في جبال القدس، وحدة جواله وقفت أمام المئات من المشاغبين. 11 شاباً سقطوا في المعركة، 5 أسروا وقُتلوا»، هبوكر [بالعبرية]، 1948/3/5، ص 1. وكذلك يتقاطع مع ما رواه مراسل الدفاع الذي كتب تقريراً من أرض الحدث جاء فيه: «حاول الغادرون مقاومة المناضلين البواسل لكن عبثاً. وفي قليل من الوقت، سقط منهم أحد عشر إرهابياً يتخبطون بدمائهم، وبقي من زملائهم ثمانية أشخاص، أصيب منهم اثنان، ورفع الستة الباقون أيديهم إلى المناضلين مستسلمين، وألقوا بنادقهم إلى الأرض. وكان قائدهم، وهو من اليهود اليمن، يحمل بعض القنابل، فألقى بإحداها على المناضلين، فأخطأهم ولم يُصّب أحد منهم، فاضطر المناضلون إلى إطلاق النار عليه وعلى رفقاءه فقتلوه جميعاً»: الدفاع، 1948/3/5، ص 4.

لكن الريماوي قال في مقاله: «وقد قُتل منهم ستة أشخاص في بداية المعركة، من القوات التي تقدّمت من رام الله ورافات والجيب». وأضاف: «أما الباقون، وعددهم ثلاثة عشر، فقد تمكّنوا من الإفلات من الطوق الأول، فقابلتهم القوات التي نظمناها إلى مستعمرة قلندية لتقطع خط الرجعة، ويظهر أنّ اثنين منهم تمكّنوا من الاختفاء وراء التل والتسلل إلى قلندية، أما الباقون فرفعوا الرايات البيضاء علامة الاستسلام، فوافق المجاهدون على ذلك، وتقدّم الشيخ عبد الدايم وثلاثة آخرون لنزع أسلحتهم، بينما استحكم عادل [الطوباسي] وشخص آخر معه رشاش بجدار قريب، ولما اقترب الشيخ عبد الدايم، وإذا بأحد اليهود...»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (17)»، ص 4.

فأطلق القنبلة، وأصاب عددًا من زملائه بجراح، كما أصاب عبد الدايم بجرح بسيط في وجهه، فأطلق المسلّحون منّا رصاصهم على اليهود يجندلونهم. وبعد مضي ساعتين من الزمن، انتهت المعركة. وقد أرسل قائدها عدة إشارات خطر حمراء من مسدس كان يحمله، ولكن بلا جدوى.

وعند نهاية المعركة، لم أسمح لأحد مغادرة مكان المعركة، وكمنّا لعل القوات اليهودية تحضر لنقل جثث القتلى، إلا أنهم لم يحضروا. وبعد مدة من الزمن، أمرت المجاهدين جمع جثث القتلى اليهود، فأخذوا يجمعونها من سفوح الجبال والوديان. وأحضرت سيارتي نقل، ووضعت الجثث التي جُمِعَت فيها، وركبت سيارتي، وسرت أمام سيارات النقل التي تحمل الجثث اليهودية، وقد ركب المسلّحون وراء الجثث وهم يهتفون، ويرفعون الرايات البيضاء⁽²²²⁾. وما أن وصلنا مدينة رام الله، حتى كانت عشرات الألوف من النساء والأطفال والرجال يملأون الطرق والشوارع، يحيوننا وعلامات البشر تملأ وجوههم، وزغاريد النساء تشقّ عنان السماء⁽²²³⁾. فسرنا مخترقين شوارع رام الله والبيرة، وبعدها توجهنا إلى دار الحكومة الإنجليزية، وعند المدخل، قابلت السيد عارف العارف، قائم مقام مدينة رام الله، فأبى إلا أن يأخذ صورة معي، فصعدنا إلى سيارة الشحن، حيث تتكدس الجثث، وأخذنا صورة والجثث ملقاة بقاع السيارة. ويظهر أنّ الأخ عارف نسي هذه الصورة⁽²²⁴⁾، حيث حضر القائد

(222) يقصد الريماوي بالرايات البيضاء هنا رايات جنود الاحتلال، والتي رُفعت شارة لاستسلامهم، كما تؤكد مقالته. وفي المقالة، لم يُشر الريماوي إلى قيامه بترقب قدوم قوات إمداد صهيونية، وإنما كتب: «ولمّا عاد المسلّحون إليّ، أمرتهم بجمع جميع الجثث، وإحضارها إلى المكان الذي كنت أفق فيه، وبالفعل عادوا وجمعوا الجثث بكاملها وقد سحبوها، مما أدى إلى تمزيق جميع الملابس، فأحضر القتلى وكلهم عراة. وكانت قد وصلت إلينا نجدات من بئريزيت في ثلاث سيارات شحن، فوضعت الجثث في سيارة منها، وركبت بجانب السائق، ومنعت المسلّحين من الركوب بجانب الجثث»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (17)»، ص 4.

(223) يقول مراسل الدفاع، واصفًا الحالة عند وصوله إلى مكان الحدث: «وجدت جماهير كبيرة محتشدة على الطرقات، وكأنهم في أحد المواسم أو الأعياد القومية»: الدفاع، 1948/3/5، ص 1.

(224) أشارت الصحف الصهيونية والعربية إلى وقوع حادثة التصوير هذه. يُنظر مثلاً: دفار [بالعبرية]، 1948/3/5، ص 1؛ الدفاع، 1948/3/5، ص 1. ويحتفظ أرشيف مستوطنة بني عطروت =

وطلب الجثث، فسلمته إياها، بعد أن اشترطنا عليه إعطائي وصلًا بعددها، لأنهم ينكرون ذلك في بلاغاتهم الرسمية⁽²²⁵⁾.

[.....] وقد غنم المجاهدون خمسة رشاشات، وعشرين بندقية، وعشرة مسدسات، وكمية كبيرة من الذخيرة والمعدات، ومنظارات، ومسدس إشارات. ومن مراجعة أسماء القتلى وهوياتهم التي انتزعناها منهم، ظهر أنهم من خيرة الشبان اليهود، وبعضهم من موظفي دائرة البريد ومحطة الإذاعة، ولكنهم من فرقة شتيرن [ليحي]⁽²²⁶⁾.

= بنسخة عنها، وكذلك يحتفظ الباحث بنسخة عنها. ولا يقتصر انتقاد الريماوي للعارف في ما يتعلق بالصورة، وإنما أسست المقالة على ما دوّن العارف في كتابه النكبة، فكتب الريماوي: «وعلى الأثر، حدثت معركة المصيون التي وصفها السيد عارف العارف في كتابه النكبة، [العارف، مج 1، ص 117-118]، والحقيقة أنه جمع لمعلومات فقط، وأشبه ذلك بجمع أجزاء الجسم التي لا تشكّل إنساناً، فالروح هي التي تصيّر الجسم إنساناً يتحرك، ويقوم بمهمة الحياة. ومع أنّ السيد عارف العارف جمع معلومات لا بأس بها، إلا أنه في نهاية الوصف قد أورد بعض المغالطات، وأظن أنه تجاهل ذلك، وصح المثل القائل تجاهل عارف وهو عارف العارف. لقد تجاهل الحقيقة عندما قال إنّ مصفحة بريطانية سلمته جثث القتلى اليهود، سامحه الله، وهو يعرف تماماً أنّ جثث القتلى اليهود كانت في سيارة شحن أهلية، وأنّ كاتب هذه السطور سلّمها بحضوره إلى الضابط البريطاني، ورفض تسليمه إياها إلا بعد أن قدّم له وصلًا بذلك، لكيلا ينكر اليهود عدد القتلى والحادث بالمرّة كعادتهم»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (17)»، ص 4.

(225) وثقّ مراسل الدفاع الحادثة، فكتب: «عندما جاءت سيارة كبيرة لنقلهم، قال المناضلون لمن فيها من البريطانيين: 'أعطونا قبل مغادرتهم إيصلاً يُشعر باستلامكم جثث 17 إرهابياً من عصابة الهاغاناه خشية إخفاء الحقائق'. وها هي هويات اثني عشر شخصاً منهم، ولم يكن بقتيتهم يحملون بطاقاتهم»: الدفاع، 1948/3/5، ص 4. ووفقاً للتقارير الاستعمارية البريطانية، فإنّ عدد القتلى الصهيينة كان 17 قتيلاً. يُنظر:

(226) يظهر أنّ الريماوي بالغ في عدد الأسلحة المغتنمة، خصوصاً أنّ الحديث يدور عن قوة مجمل عددها تسعة عشر شخصاً. وقد سجّل مراسل الدفاع ما غنمه العرب، فأشار إلى «اغتنام مدفعي ستن، ومدفعي رشاش، وثمانى بندق، وكمية من القنابل والذخيرة، وأدوات الإسعاف والميدان»: الدفاع، 1948/3/5، ص 4.

وعن تأثر الصهيينة في القدس بالحدث، يُنظر: «معركة 'حتى الرصاص الأخيرة'، بالقرب من عطرورت في جبال القدس، وحدة جوالّة وقفت أمام المئات من المشاغبين. 11 شاباً سقطوا في المعركة، 5 أسروا وقتلوا»، هيوكر [بالعبرية]، 1948/3/5، ص 1. ووفقاً للمصادر الصهيونية، فإنّ جميع القتلى من أبناء الهاغاناه، كما أشير في الهامش أعلاه. كما أنّ قائد المجموعة، نعوم غروسمان (مواليد نيويورك، 1927)، ابن أحد الكتاب الصهيينة المعروفين، روبن غروسمان. ووفقاً للتقرير الصادر عن السلطات =

«وفي المساء، توجهت إلى محطة «صوت الجهاد المقدس» برام الله، ومعني السيد حسن البيرودي، ومعنا هويّات القتلى، فأذعنا أسماءهم، وأرقام هويّاتهم، وأماكن عملهم، باللغتين الإنجليزية والعبرية. وقد كان عدد منهم من سكان القدس، وبعضهم يعمل في دائرة البريد. هذه المعركة، وإن كانت بسيطة في حدّ ذاتها، إلا أنّها تعكس صورة عن القوة العسكرية التي كان يتمتع بها العدو في ذلك الوقت، فقيام تسعة عشر من خيرة رجال الكوماندوز بعملية مع الفجر، وفي مكان لا يبعد سوى بضعة كيلومترات عن مستعمرة قلنديا، وبعيد عن القرى والمدن العربية كذلك، ووسط السهول والجبال والوديان، وما عاد منهم إلا اثنان. أما الآخرون، فعادوا جثثاً مزّقتها رصاص المجاهدين الذين هبّوا من كل ناحية وصبوب، وما لبثت المعركة سوى ساعات معدودة. أما الأخ عبد القادر الحسيني، فقد كان في ذلك اليوم في مدينة القدس، وعاد إلى بئرزيت ليطلع على هويّات القتلى، وليعرب عن غبطته وسروره بالنتيجة، ولو كان في رام الله أو بئرزيت لما سبقه أحد إلى الميدان، فقد كان سبّاقاً للميدان، ولا يتردد لحظة واحدة في إلقاء نفسه، ولو بمفرده، في المعركة حال نشوبها وسماعه عنها، خلافاً لما ذكر السيد عارف العارف.

لقد أحدثت هذه المعركة أثراً كبيراً لدى السكان، خاصة سكان رام الله والبيرة واللواء، ولو أنّنا انفقنا ملايين الدنانير في سبيل إحداث أثر مماثل، لما تمكّنا، فارتفعت معنويات السكان، وزاد التفاتهم وحماسهم للجهاد المقدس، وإيمانهم بأنفسهم وبمقدرتهم على الدفاع عن بلادهم. هذه هي الحقائق المتعلقة بهذه المعركة كما شهدتها بنفسني، وهي تُكتب لأول مرة.

= الاستعمارية البريطانية، فإنّ جثث القتلى السبعة عشر، وليس ست عشرة جثة كما أدعت الرواية الصهيونية، نُقلت إلى مستشفى هداسا: الدفاع، 5/3/1948، ص 4. وكان لفشل العملية الصهيونية أثر كبير في توتر العلاقات بين قائد الهاغاناه في القدس، دافيد شلتييل، وكتيبة موريا، وبين شلتييل وبقية قادة الهاغاناه الرئيسيين وقادة البلماح. وكانت مؤشراً على ضعف القدرات العسكرية للهاغاناه ومحدوديتها حتى ذلك الوقت من الحرب، إذ كانت وسائل اتصال القوة المهاجمة معطلة، ولديها نقص معلوماتي عن القوات العربية في المنطقة، ولم توجد أي خطة لتنفيذ عملية إنقاذ في حالات الطوارئ. يُنظر التقييم الصهيوني لهذه العملية في: Milstein, vol. 3, p. 213. مقارناً ب: شابير، دافيد، ص 101-102.

كنت أجلس بجوار القائد العام، مساء يوم 22 آذار/ مارس 1948⁽²²⁸⁾، في مدينة القدس، أي [قبل]⁽²²⁹⁾ نسف حيّ المنتفوري بيوم واحد، فإذا به ينهض ويقول: «وصلتني معلومات تدل على أنّ اليهود سيقومون بهجوم قوي هذه الليلة لاحتلال مدينة القدس، فعليك أن تتوجه في الحال لإحضار النجذات من منطقة رام الله». فنهضت في الحال، وكانت الساعة قد بلغت الثامنة مساءً، وتوجهت إلى رام الله، ومن رام الله صادرت ما وصلت إليه يدي من سيارات النقل، وملاؤها بالبازين، وكتبت حوالي ستين أمراً إلى رؤساء مسلّحي القرى بوجوب الحضور مع جميع مسلّحي قراهم إلى رام الله.

وفي تمام الساعة الحادية عشرة، توجهت من رام الله إلى القدس، مارّاً بمستعمرة نفيه يعقوب، وخلفي ست عشرة سيارة شحن، وثمانية [سيارات] (باص)، تقلّ حوالي تسعمئة مسلّح. وصلنا القدس، فوزّعنا المسلّحين على خطوط الدفاع في مختلف أحياء المدينة، إلا أنّ اليهود لم يقوموا بهجوم،

(227) ما أُدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمَد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 6. وعن معركة شعفاط، يُقارن ب: العارف، مج 1، ص 133-135؛ أبو غربية، في خضم، ص 198. ولمصادر صهيونية، يُنظر: سلوتسكي، مج 2، ص 1401؛ شابير، دافيد، ص 107. ويُنظر: Milstein, vol. 4, pp. 112-116. ولمصادر صهيونية عن معارك نفيه يعقوب وجوارها الصهيوني عموماً، يُنظر: ليفي، ص 76-82.

(228) كان الريماوي قد دوّن في الأصل «يوم 10 آذار/ مارس 1948»، لكنّ هذا التزمين خطأً. كما أخطأ الريماوي أيضاً في تزمين نسف حيّ المنتفوري، فجعله في 11 آذار/ مارس 1948، والصحيح، كما تؤكد المصادر العربية والصهيونية والبريطانية المعاصرة للحدث، فإنّ عملية النسف تمت مساء 23 آذار/ مارس 1948. وبناءً عليه، أعيد ضبط التزمين في المتن أعلاه. للمزيد عن عملية نسف حيّ المنتفوري، يُنظر النص المتعلّق بعملية النسف في العنوان التالي من هذا الفصل.

(229) دوّن الريماوي في الأصل «أي بعد نسف حيّ المنتفوري بيوم واحد»، لكنّ هذا التزمين لا يستقيم مع تسلسل الحدث الحقيقي، فعملية نسف حيّ المنتفوري، كما تؤكد المصادر الأولية المعاصرة، بريطانية وعربية وصهيونية، تمت مساء يوم 23 آذار/ مارس 1948. أما الهجوم على مستوطنة نفيه يعقوب، فتمّ في اليوم التالي مباشرة، أي في 24 آذار/ مارس 1948. وفي ضوء بقية التفصيلات، فإنّ طلب النجذات سيكون سابقاً لعملية المنتفوري.

ويظهر أنه وصلتهم أخبار من مستعمرة نفيه يعقوب الواقعة على طريق القدس - رام الله، بوصول قوات كبيرة إلى المدينة⁽²³⁰⁾.

وفي اليوم الثاني، [أي 24 آذار/ مارس 1948]، وصل القائد العام خبر يفيد بأن قافلة يهودية، محمية بالمصفحات لنقل الجنود والمؤن، ستوجه إلى مستعمرة نفيه يعقوب. ففي الحال، أمرني بتجهيز مئة جندي من رجال النجدة الذين وفدوا إلى القدس في تلك الليلة، والتوجه للمرابطة للقافلة والقضاء عليها. وبعد نصف ساعة، كان المسلحون يرابطون على طريق القدس - رام الله، بجانب قرية شعفاط، وقد وُضع لغم أرضي في منتصف الطريق. وفي تمام الساعة العاشرة، حضرت القافلة، وتحميها ثلاث مصفحات، فما [أن] وصلت المصفحة الأولى مكان اللغم، حتى تطايرت في الفضاء وهوت تحترق بمن فيها. وعندها، حاولت المصفحات الأخرى والسيارات الرجوع، ولكن هيهات، فقد انقُص عليها المجاهدون كالنسور، وأصلوها وإبلاً من رصاصهم.

وقد بلغت الجرأة بالسيد محمد عمر النوباني⁽²³¹⁾، وأخيه إبراهيم [النوباني]، وبعض الشبان، أن قفزوا على المصفحات وصعدوا عليها، بينما اختفى حراسها، فقتلوهم بالمسدسات، إلا أنه أُصيب بجرح بسيط، نُقل على

(230) أغلب الظن أن عملية الحشد وطلب النجدة ارتبطت بالتجهيز لعملية المنتفوري. وكما يشير الريماوي في غير موضع، فإنَّ عبد القادر الحسيني كان يأخذ استعداداته بتعزيز جبهات الدفاع في أحياء المدينة المختلفة قبل أي عملية نفس، استعداداً لأي ردة فعل صهيونية متوقعة. وبهذا، وكما أُشير سابقاً، فإنَّ ضبط التزمين الصحيح لمجريات الحوادث أنَّ الطلب بإحضار النجدة كان قبل عملية النسف بيوم، وليس بعدها، وهذا ما ينسجم مع باقي تزمين الوقائع التالية للحدث، كما تؤكد المصادر المعاصرة.

(231) محمد عمر النوباني (1892-1971): وُلد في قرية مزارع النوباني، قضاء رام الله. شارك في ثورات وانتفاضات فلسطين المختلفة، وقاد فصيلاً من الثوار في منطقة رام الله، نقد سلسلة من الهجمات على خطوط المواصلات البريطانية، وكانت مشاركته الأبرز في اقتحام مدينة رام الله في أيلول/ سبتمبر 1938، ولم تستطع القوات البريطانية اعتقاله أو قتله خلال أعوام الثورة. خلال حرب 1947-1949، قاتل إلى جوار الجهاد المقدس. بعد الهزيمة، اعتقلته السلطات الأردنية في عام 1953، لاتهامه بنشاط فدائي ضدَّ الاحتلال الصهيوني.

إثره إلى المستشفى. وهكذا، استولى المجهدون على بقية المصفحات وسيارات القافلة⁽²³²⁾. وفي هذه الأثناء، صادف أن حضر قائد الجيش الإنجليزي العام في فلسطين، يرافقه غلوب، قائد الجيش العربي، ومعهم سيارة من الجنود تحرسهم، فأخذوا يتوسلون لاستلام الجرحى. وبعد استشارة الحمية والشهامة العربية، استلموا سبعة عشر جريحاً، وواحدًا وعشرين قتيلاً من حُماة القافلة⁽²³³⁾، وغنم المجهدون جميع الأسلحة والمصفحات والبنادق والمؤن⁽²³⁴⁾.

(232) أشارت رواية صحيفة فلسطين، حول الهجوم، إلى أنه قد زرع لغم كبير في الطريق العام بين القدس ورام الله، بالقرب من مدخل قرية شعفاط، وأن قوة انتشرت في المناطق المجاورة لمنع وصول أي نجمات للصهيانية. وتألقت القافلة التي هوجمت من مصفحتين، وسيارة شحن مصفحة، كانت تتجه من القدس إلى مستعمرتي نفيه يعقوب وعطروت، وعند وصول القافلة، فُجّر اللغم الكهربائي بالسيارة الأولى، فتوقفت السيارتان الأخرتان. وهنا، تحدثت الصحيفة عن فعل محمد النوباني المشار إليه أعلاه، فكتبت: «فزحف نحوهما أحد أفراد الفرقة البواسل، وقذف بقنبلة يدوية داخل إحدى المصفحتين، فانفجرت ووقعت على عدد كبير من ركابها». وأضافت الصحيفة: «وكان القناصة يجندلون أفراد عصابة الهاغاناه واحدًا بعد الآخر، كلما أطلوا من السيارة». وفي ما بعد، أضرمت النيران في السيارات: فلسطين، 1948/3/25، ص 1. أما عن الإصابات، فأشارت الصحيفة إلى إصابة محمد عمر النوباني (أبو شوكت)، من قرية مزارع النوباني، وجودة العبد من عابود، وثالث من قرية حزما، نُقلوا جميعاً إلى المستشفى: فلسطين، 1948/3/25، ص 4.

(233) وفقاً للبيان الرسمي الصادر عن الحكومة الاستعمارية، فإنه قُتل إثر هجوم نُصب بالقرب من قرية شعفاط، 14 يهودياً، وجرح 10 آخرون. وكان الهجوم في تمام الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة مساءً، واستهدف الهجوم سيارتين مصفحتين: فلسطين، 1948/3/25، ص 1. أما المصادر الصهيونية، فتشير إلى أنه، بناءً على أمر قائد الهاغاناه في القدس، دافيد شلتييل، بخروج قافلة من سيارة مصفحة وشاحنة مصفحة، وكانت من آخر المصفحات الموجودة لدى الهاغاناه في القدس آنذاك، لإسناد نفيه يعقوب وعطروت، وبعد تفجير اللغم، أُطلقت النيران على المصفحتين، إضافة إلى القنابل اليدوية والقنابل الحارقة، إلى أن قُتل وأصيب جميع من كان فيهما. وأخلى البريطانيون لاحقاً 14 قتيلاً و11 جريحاً. يُنظر: شابيرا، دافيد، ص 107. وكذلك: Milstein, vol. 3, pp. 115-116.

وأكدت صحيفة فلسطين الرواية التي يقدها الريماوي، فأشارت إلى أنه تصادف وقت الهجوم مع مرور الجنرال ماكميلان، القائد العام للقوات البريطانية، والبريغادير غلوب باشا، القائد العام للجيش العربي، فتوسط لدى العرب للسماح للشرطة بنقل الجرحى اليهود إلى المستشفى: فلسطين، 1948/3/25، ص 1.

(234) وثقت صحيفة فلسطين اغتنام ثلاثة رشاشات برن، وخمسة رشاشات ستن، وعشر بنادق، وكمية كبيرة من العتاد. وأشارت الصحيفة إلى احتفاء نساء شعفاط - اللواتي نقلن الذخيرة إلى =

وقبل انسحاب المجاهدين، أمرني القائد العام بوجود مهاجمة مستعمرة نفيه يعقوب في تلك الليلة، لمعرفة مدى تحصيناتها، للانتقام من حرسها الذين كانوا يتعرّضون للسكان المدنيين من العرب الذين كانوا يفدون إلى القدس من نابلس ورام الله⁽²³⁵⁾. ففي الحال، توجهت إلى مدرسة بيت حنينا، رافقني السيد محمود عبد الحميد، ومحمد عبد الله الأسمر، وحوالي مئة مسلّح، الواقعة بالقرب من المستعمرة، واتخذتها مركزاً للإسعاف. وقد أحضرت بعض القوات من مسلّحي بيت حنينا وحزماً، فبلغ مجموع المسلّحين مئة وخمسين جندياً.

وبعد أن ورّعت عليهم الذخيرة المطلوبة، رسمت خطة الهجوم، وهي تقضي بأن يقوم الجناح الأيمن بإطلاق النار من الجهة الشرقية للمستعمرة مدة نصف ساعة، وبعدها يقوم الجناح الأيسر بتغطية قوية من نيران الرشاشات من الجهة الغربية، بينما تتقدّم قوات القلب، فتدخل المستعمرة وتدمر الاستحكامات الأمامية. وقد كان موعد بدء الهجوم الساعة الثامنة، وكلمة السر «حسين»، وعلامة الانسحاب شارة بيضاء من مسدس التنوير الذي كنت أحمله.

وقبل موعد الهجوم بأربع ساعات، أرسلت مفرزة رشاشات لتكمن في المحاجر المشرفة على المستعمرة، وذلك خشية تسرّب اليهود إليها، تلافياً لوقوع المجاهدين في فخ أو كمين، ولمراقبة حركات حُماة المستعمرة. وهذه المحاجر تسيطر على المستعمرة من الجهة الجنوبية الشرقية، وهي مرتفعة ووعرة، وهي بطبيعتها استحكامات قوية، وتبعد عن المستعمرة

=المجاهدين - بالمجاهدين، بحماستهم وزغاريدهم التي كان مطلعها «أبو موسى يا منصور»: فلسطين، 1948/3/25، ص 4؛ الدفاع، 1948/3/25، ص 1.

(235) كانت مستوطنتي عطروت ونفيه يعقوب مصدر قلق دائم للمواصلات العربية على طريق القدس رام الله الرئيس. وأشارت الصحف إلى أنّ هذا الهجوم ثار للاعتداء على طفلة من سكان شعفاط، ولاستشهاد ثلاثة من ركّاب إحدى حافلات الشركة الوطنية المارة على الطريق الرئيس سابقاً: الدفاع، 1948/3/25، ص 1. وبقيت هاتان المستوطنتان مصدر إزعاج لاحقاً، إلى أن احتلنا في 16 أيار/مايو 1948.

حوالي ثمانين مترًا. وفي تمام الساعة السابعة [مساءً]، تحرك المجاهدون كلُّ إلى الموضع المُعدَّ له. وقد بدأ الهجوم في تمام الساعة الثامنة [مساءً]، فأخذت الميسرة تطلق نيرانًا متقطعة من الجهة الشرقية، ففتح اليهود نيران رشاشاتهم، وقد قدرتها بسبعة عشر رشاشًا. وأخذوا يطلقون نيرانهم على غير هدى وبدون تمييز، وكان إطلاقهم [مرتفعًا] جدًّا، فعرفت أنهم يحمون رؤوسهم وأجسامهم وراء بروجهم المشيدة، ومن كثرة الإطلاق، عرفت أنهم غير مدربين.

وكنت أُشرف على المعركة بنفسي، وأنتقل من الميسرة إلى الميمنة وإلى القلب، فأمرت حُماة القلب بالتقدُّم إلى المستعمرة فتقدَّموا، ولم يحاولوا التستر من نيران العدو، لأنَّها كانت مرتفعة جدًّا. وهكذا، تقدَّمت حظيرة بقيادة العريف عوض [محمود الترمساوي]، [من] ترمسعا، من جنود الجهاد المقدس، حتى وصلت الأسلاك الشائكة المحيطة بالمستعمرة، وتخطَّت حقول الألغام المبوثة حول المستعمرة إلى قلب المستعمرة، فأخذوا يُلقون القنابل اليدوية على الاستحكامات اليهودية، فعَلَّا صراخ اليهود وعويلهم.

ولمَّا دمروا الاستحكامات، أخذت الألغام تنفجر، ولكن خلفنا. وفي الحال، قفز الجاويش عوض [محمود الترمساوي]، وعبد العزيز وأحمد الريماوي، ومحمود عبد الجليل [من] قراوة وغيرهم، داخل المستعمرة، بعد أن قضوا على جميع اليهود الذين كانوا في تلك الناحية. وكانت الساعة قد بلغت الواحدة بعد منتصف الليل. ولمَّا كانت الأوامر الصادرة إليَّ لا تتعدى [...] الهجوم بحجم تحصينات المستعمرة وتأديبها، فإنني، محافظة على إطاعة الأوامر، وخشية على أرواح الجنود الذين قد يطلقون النار على بعضهم البعض لشدة الظلام، فإنني أصدرت الأمر بالانسحاب، فانسحبت جميع القوات، وذهبنا إلى مدرسة بيت حنينا. وقد جرح ثلاثة جنود. أما إصابات اليهود، فإنَّها كانت كثيرة، وقد ذكر البلاغ الرسمي لحكومة الانتداب، بعد ظهر اليوم الثاني، أنَّ مستعمرة نفيه يعقوب تعرَّضت لأكبر هجوم شهدته

منذ بدء الاشتباكات، وأنّ عددًا من الأشخاص قد قُتلوا، ودُمرت بعض استحكامات المستعمرة⁽²³⁶⁾.

ثالثًا: عمليات النسف والتفجير

كان اليهود في الثورات السابقة يتفوّقون في الغدر والفتك بالأبرياء من السكان الأمنيين من العرب، فيتسلل [كلّ من] نسائهم ورجالهم، ويضعون القنابل والمتفجرات في الشوارع والمراكز التجارية المزدهمة بالسكان، كما فعلوا في سوق [البازار] بالقدس، وفي الحسبة بحيفا، وسوق الخضار بيافا⁽²³⁷⁾. ساعدهم استخذاء السلطات الإنجليزية أمام إرهابهم إلى القيام بأعمال نسف كبيرة ضدّ مراكز الحكومة الإنجليزية، فنسفوا مكاتب السكرتارية العامة لحكومة فلسطين في بناية الملك داود بالقدس⁽²³⁸⁾.

وكان الكل يتوقع تماديههم في هذه الحرب، واستعمالها على شكل واسع عند اشتباكهم بالعرب، ففي تاريخ 4 كانون الثاني/يناير 1948، نسف اليهود بناية دائرة الشؤون الاجتماعية بيافا، فذهب ضحيتها عدد من السكان الأمنيين

(236) لا يرد في التقارير الرسمية الصادرة عن الحكومة الاستعمارية المتوافرة للباحث أي إشارة لمثل هذا البلاغ، وكذلك لا يرد في المصادر العبرية ذكر لهذا الهجوم إثر كمين القافلة. وفي الصحف العربية، وردت إشارة إلى قيام مستوطنة نفيه يعقوب بإطلاق النار من جديد على طريق رام الله - القدس، فأصيب ثلاثة من ركّاب إحدى السيارات الصغيرة، فأطلق المجاهدون في إثر ذلك النار على المستوطنة، من الاستحكامات المجاورة لها، وتبادلوا إطلاق النار مع حرسها على فترات متقطعة: الدفاع، 1948/4/26، ص 1، 4.

(237) يُنظر كنموذج عن هذه التفجيرات: «الفاجعة تقع في الساعة السادسة صباحًا في الحسبة قرب مركز بوليس حيفا»، الجهاد، 1939/6/20، ص 1؛ «قنبلة جهنمية أخرى في حيفا يذهب ضحيتها 43 شهيدًا وجريحًا بينهم نساء وأطفال، الحادث الإجرامي يقع في سوق الخضار، 3 قنابل في يافا وفرض منع التجول»، فلسطين، 1939/6/20، ص 1.

(238) نَقّذت الإيتسل تفجير فندق الملك داود في 22 تموز/يوليو 1946 الذي كان جناحه الجنوبي مقرًا لسكرتاريا الحكومة الاستعمارية، كجزء من صراعها مع البريطانيين. للمزيد: «انفجار عظيم ينسف جناحًا كاملاً في فندق الملك داود»، الدفاع، 1946/7/23، ص 1. وقُتل في التفجير، وفقًا للبيان الرسمي الصادر عن الحكومة الاستعمارية، 91 شخصًا، ومُرح 45: «ضحايا فاجعة الملك داود يبلغون 91 قتيلًا»، فلسطين، 1946/8/3، ص 1.

من العرب⁽²³⁹⁾. واتبعوها، يوم 5 كانون الثاني/يناير 1948، بنسف فندق سميراميس في حيّ القطمون بمدينة القدس على سكانه من المدنيين العرب. وأحبطت ثلاث محاولات بنسف بعض الأحياء العربية في مدينة القدس. فكان لهذه الأعمال وقع سيء على نفوس الأهلين. وقد كان عبد القادر [الحسيني] قد استعد للإجابة على أعمال النسف بأعمال أدهى وأمرّ، فجهز المتفجرات، وصنع المُرْكَبَات، ودرّب بعض الفدائيين للعمل وقت اللزوم كلما رأى تمادي اليهود في أعمالهم الإجرامية هذه، وكال لهم الكيل عشرة أضعاف⁽²⁴⁰⁾.

1 شباط/فبراير 1948: نسف البالستين بوست⁽²⁴¹⁾

أعلن عبد القادر [الحسيني]، أواخر كانون الثاني/يناير 1948⁽²⁴²⁾، أنه مريض، واعتكف في غرفته الخاصة في عين سينيا، وأبلغني أنه لا يريد مقابلة أي شخص كان، وأخذ يركّب لغماً كبيراً، وزنه طن ونصف، في سيارة نقل كبيرة، يساعده السيد فوزي القطب. وبعد أن تم تركيب اللغم، وضع فيه مركّباً خاصاً لا يعرف سرّ تركيبه ونسب المواد الداخلة فيه إلا هو، من شأنه أن يزيد قوة الانفجار إلى عشرة أضعاف. وبعد أن أتمّ تحضير اللغم، أحضر السيد [عبد النور] خليل جنحو، من أهالي مدينة القدس، وأمر فرقة المغاوير، و[هو]

(239) نفّذت الهجوم منظمة «ليحي» الصهيونية، وكان الهجوم الدموي الأعنف على يافا. وأوقع الهجوم في حصيلته النهائية تسعة وعشرين شهيداً: بلال محمد شلش، يافا، ج 1، ص 84. وصهيونياً، يُنظر: Milstein, vol. 3, pp. 85-88.

(240) ما ورد أعلاه مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 6. (241) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: المرجع نفسه. ويقارن بـ: العارف، مج 1، ص 92-95؛ أبو غربية، في خصم، ص 186. وصهيونياً، يُنظر: سلوتسكي، مج 2، ص 1397؛ ليفي، ص 328-329. ويُنظر: Milstein, vol. 3, pp. 105-107.

(242) زَمَن الريماوي اعتكاف عبد القادر استعداداً للتجهيز للعملية في 10 شباط/فبراير 1948. أما يوم التنفيذ، فكان في 11 شباط/فبراير 1948. وهذا التزمين غير دقيق، إذ إنّ الهجوم قد نفّذ في 1 شباط/فبراير 1948. وعليه، فإذا كان عبد القادر أعدّ المتفجرات قبل التنفيذ بيوم، فإنّه سيكون فعل ذلك في 31 كانون الثاني/يناير 1948، لذلك أعيد ضبط التواريخ في المتن ليتوافق مع التاريخ الفعلي للهجوم.

معروف بجراته وإقدامه وإتقانه للإنجليزية، ولتقليده التام للإنجليزية في نطقهم، وألبسه بدلة عسكرية إنجليزية برتبة كابتن، وسلّمه سيارة خصوصية صغيرة. وأحضر متطوعاً آخر من الأجانب الذين يعملون في فرقة المغاوير، وأمره أن يسوق سيارة الشحن خلف السيارة التي يسوقها [عبد النور] جنحو، ورسم [لهما] الخطة، وحدد [لهما] موعد ومكان تفجير اللغم.

وهكذا، وفي ليلة 1 شباط/فبراير 1948، سارت السيارة الخاصة، يقودها [عبد النور جنحو] أبو خليل، وتتبعها سيارة شحن أخرى، يقودها المتطوع رقم «1» من بئرزيت، مارة برام الله، فشعفاط، فمدينة القدس، مخترقة الشوارع العربية، حتى وصلت بالقرب من الشارع الموصل للأحياء اليهودية بمكاتب مباحث الجنايات الإنجليزية. وهنا، عرّجت عن تلك المكاتب في طريقها إلى الأحياء اليهودية، وعند مدخل الحيّ اليهودي، اعترض الحرس اليهودي الأول سيارة [عبد النور جنحو] أبو خليل، عند المستشفى الإيطالي في شارع الحسبة، فكلمه أبو خليل برطانة الإنجليزية المعروفة وبقوة جأش، قائلاً له: «ألا تعرفني، إني مدير المباحث الجنائية، وأريد إيصال هذه القاذورات التي خلفي في سيارة الشحن إلى مركز المستشفى». أما الحارس، فما كاد يسمع الصوت ويرى الزيّ والنجوم تلمع على كتفه حتى فتح الباب، قائلاً بصوت متلعثم، وقد أخذته هيئة المتكلم: «تفضل يا سيدي بكل سرور».

وهكذا، مرّت السيارة الخصوصية، وتبعها سيارة النقل الأخرى، في طريقها إلى عمارة البالستين بوست، فوصلتها بعد مسافة قصيرة، وفي تمام الساعة الحادية عشرة، وقد وضعها سائقها في المكان المحدد، بينما وقفت السيارة الخاصة على بُعد خمسين متراً منها، وقفز منها أبو خليل، وترك ماكنتها مشغلة، وقفز سائق سيارة الشحن إلى السيارة الخاصة. أما أبو خليل، فقد اقترب من سيارة الشحن، وولّع فتيل اللغم، وعاد بسرعة فائقة إلى سيارته الخصوصية، وأسرع في العودة من الطريق التي قدم منها، فما رآه الحرس حتى فتح له الباب، وقد انفجر اللغم بعد دقيقتين من إشعال الفتيل.

الصورة (2-7)

شرطي بريطاني يقف أمام مبنى صحيفة بالستين بوست المنسوف
في شارع هاسوليل في القدس



المصدر: أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، التُقطت بتاريخ 1 شباط/فبراير 1948، المصوّر مجهول.

فتطيرت عمارة بالستين بوست، وجميع العمارات المجاورة لها، والتهبت السنة النيران فيها وفي معامل الورق المجاورة، حتى قلبت الليل نهارًا من شدة توهج النيران. وقد استيقظ جميع سكان المدينة والقرى المجاورة على صوت الانفجار. وقد هال القيادة اليهودية والشعب اليهودي هذا الأمر، وخطّمهم تحطيمًا، فأخذوا يضربون أحماسًا بأسداس؛ فتارة يقولون إن خبراء إنجليز هم الذين وضعوا اللغم، وتارة يقولون إنهم ألمان، وهكذا بقوا في حيرة من قوة الانفجار ومصدره. وقد كانت سيارة النقل التي استعملت من السيارات التي تخصّ منظمة شتيرن [ليحي] اليهودية، تمكّن المجاهدون من الاستيلاء عليها في [إحدى] المعارك. وقد ذهب بعضهم إلى أنّ شتيرن [ليحي] هي التي نسفت الجريدة⁽²⁴³⁾.

(243) وصف أحد تقارير السلطات الاستعمارية الانفجار، فأشار إلى أنه في الساعة 22:58 من =

أما الشعب اليهودي، فقد هالته الضربة وكثرة الضحايا والخسائر المادية، واستحوذ الهلع عليهم في كل مكان، وأخذوا يكيلون اللعنات على قيادة الهاغاناه، وصدرت صحفهم مجللة بالسواد. ولم يسرع عبد القادر [الحسيني] بإصدار بلاغ رسمي من محطة «صوت الجهاد المقدس» بالحادث، لمعرفة ارتباك القيادة اليهودية في ذلك الأمر، واستهجانها صدور الانفجار عن العرب، لعل ذلك يوقع بين اليهود بعضهم بعضاً، أو بينهم وبين الإنجليز⁽²⁴⁴⁾.

ولكنه أخيراً أصدر بلاغاً قال فيه إنّ هذا عمل تأديبي لليهود على أعمالهم السابقة، وإنه لم يقصد إيقاع الأذى بالسكان المدنيين، ولذلك اختار ساعة متأخرة في الليل لتنفيذ ذلك الأمر. أما القيادة اليهودية، فإنها حاولت رفع معنويات اليهود، فقامت بهجوم على القطمون، ونسفت عمارة شاهين العربية، وهي من أكبر البنايات في ذلك الحيّ، ولكنها كانت خالية من السكان، لأنها تقع في محيط يسيطر عليه اليهود⁽²⁴⁵⁾، فصمم عبد القادر [الحسيني] تنفيذ ضرب الهدف الثاني، وهو شارع بن يهودا وفندق أتلانتيك، فرسم الخطة التالية:

=الأول من شباط/فبراير 1948، سُمع دوي انفجار كبير في القدس. وأظهرت التقارير أنّ القنبلة كانت في شاحنة توقفت في شارع هاسوليل، وانفجرت في مكاتب صحيفة البالستين بوست، وتبع الانفجار اندلاع حريق كبير في المنطقة. يُنظر: Tauber, *Military*, p. 240.

أما المصادر الصهيونية، فأشارت إلى أنّ قيادة الحركة الصهيونية اعتقدت أنّ الانفجار من تدبير أحد البريطانيين الراغبين في الانتقام لمقتل شقيقه، خصوصاً أنّ الشاحنة المفخخة كانت من ملكيات الجيش البريطاني سابقاً. ووفقاً للمصادر الصهيونية، فإنّ الانفجار أدى إلى تدمير مبنى البالستين بوست وسبعة مباني أخرى، وأدى كذلك إلى خراب في أربعة وأربعين مبنى آخر. للمزيد، يُنظر: سلوتسكي، *Milstein*, vol. 3, pp. 105-107. مع 2، ص 1397؛ ليفي، ص 328. ويُنظر:

(244) يُنظر، ملخصاً لما كان يُداول في الصحافة الصهيونية حول الجهة المنفذة للهجوم: «تعليقات الصحف اليهودية على نفس البالستين بوست»، الدفاع، 1948/2/4، ص 2.

(245) نفس الصهاينة عمارة لمؤسسة حراسة الأراضي المقدسة، المعروفة بتراسانطة، في حيّ القطمون، كان يسكنها رئيسها ملفورد. ونشرت الجمعية بياناً يفند اتهامات الهاغاناه بأنّ البناية كانت تُستخدم كاستحكام عربي لإطلاق النار: «المزاعم اليهودية حول عمارة ترسانطة بالقدس»، الدفاع، 1948/2/5، ص 2.

شارع بن يهودا من أكبر الشوارع وأجملها في مدينة القدس اليهودية، وهو قلب المدينة التجاري، وفيه تسكن الطبقة الراقية من يهود القدس، ويقع فيه فندق أتلانتيك⁽²⁴⁷⁾، حيث ينزل كبار الضيوف والشخصيات اليهودية البارزون، كما تقع بناية رئاسة قيادة الأرغون [الإيتسل] فيه. وتوضح أهميته من التسمية التي يحملها. وبعد تفكير طويل، صمم القائد العام على نسف هذا الشارع بأكمله بأسرع وقت ممكن⁽²⁴⁸⁾.

(246) ما أُدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 6. أما الإضافات الواردة في المتن بين علامتي < >، فمستلة من مقالات عدة للدكتور الريماوي. فعند الحديث عن عملية نقل المتفجرات، فالنص مستل من المقالة: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (6)»، الدستور، 11/9/1972، ص 4. وعند الحديث عن كيفية الحصول على المصفحة البريطانية، فالنص مستل من: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (19)»، الدستور، 11/12/1972، ص 4. وعند الحديث عن كيفية تنفيذ عملية التفجير، فالنص مستل من: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (الحلقة الأخيرة)»، الدستور، 18/12/1972، ص 4. ويمكن المقارنة ب: العارف، مج 1، ص 107-110؛ أبو غربية، في خضم، ص 192-193. ولمصادر صهيونية، يُنظر: سلوتسكي، مج 2، ص 1397؛ ليفي، ص 328-331؛

(247) فندق أتلانتيك (Atlantic Hotel): أُسس في الثلاثينيات، على تقاطع شارع بن يهودا مع شارع مردخاي بن هيليل. وتعود ملكيته إلى عائلة اليهودي (Todros Warshavsky) الذي اشتغل، هو وأبناؤه من بعده، في صناعة الفنادق، مؤسسين لسلسلة فنادق في القدس وتل أبيب. دُمر الفندق بالكامل في 22 شباط/ فبراير 1948، في عملية تفجير شارع بن يهودا. للمزيد يُنظر: Kobi Cohen-Hattab & Noam Shoval, *Tourism, Religion, and Pilgrimage in Jerusalem* (New York: Routledge, 2015), p. 60.

(248) في مقالاته، تحدّث الريماوي عن سبب ومبرر لتنفيذ عملية التفجير لم يسبق أن أشار إليه في النص المخطوط المدرج هنا. كما أنّ عموم المصادر المتوافرة عن الهجوم لا تؤكد، كتب الريماوي: «وفي أحد الأيام القارصة البرد والممطرة من أواخر كانون الثاني/يناير سنة 1948، أعلمني عبد القادر أنه علم من مصدر موثوق أنّ بعثة عسكرية أميركية، تتألف من أكثر من ستين خبيرًا وعسكريًا قد وصلت إلى القدس، وينزل أفرادها في فندق أتلانتيك وفندق أمدورسكي بشارع بن يهودا، وأنها ستعمل على تنظيم القوات الإسرائيلية، والتوفيق بين قيادة الهاغاناه وقوات منظمة شتيرن وغيرها. وأنّ اجتماعًا كبيرًا سيتم في 22 شباط/ فبراير سنة 1948، من أجل هذا الغرض، في فندق أتلانتيك المجاور لمقر قيادة الهاغاناه، الموجود في بناية الهستدروت بشارع بن يهودا. وأضاف يقول إنّ مهمة كبيرة تنتظرنا. علينا أن نسف مكان الاجتماع، وإن أمكن نسف جميع هذه العمارات والفنادق التي تتخذها البعثة العسكرية مقرًا لها. كما أنّ موظفي لجنة التقسيم يقيمون فيها كذلك»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (19)»، ص 4.

>أعدّ عبد القادر بنفسه خطة النسف، وهي تقضي بإرسال ثلاث سيارات معبأة بالديناميت، بحيث تقف واحدة منها أمام كل من الفنادق المذكورة، [تحدّثت المقالة، إضافة إلى فندق أتلاتيك، عن فندق أمدورسكي]، وأمام بناية الهستدروت، حيث يقع مقرّ قيادة الهاغاناه. وحدّد مسافة خمسين مترًا بين الواحدة والأخرى، لكي يكون الانفجار شاملًا، على أن يتم ذلك صباح يوم 22 شباط/فبراير في الفجر، لتجنب قتل العديد من المدنيين، فالتركيز على الهدف العسكري وحده، وبعكس الإسرائيليين⁽²⁴⁹⁾ الذين كانوا يوجهون ضرباتهم إلى الأماكن المحتشدة بالمدينين، كسوق البازار وباب العامود وفندق سميراميس.

وبنى خطته الأخيرة على الخبرة السابقة التي تم بواسطتها تدمير بناية البالستين بوست، في منتصف الليل، وهي التزييف بلباس الشرطة البريطانية. فكان لا بد من إدخال القافلة بزي قافلة بريطانية، والاستعانة ببعض المتطوعين البريطانيين، وكان أحدهم، وهو إيدي براون (Eddie Brown)، قد تطوّع قبل ذلك وشارك في عملية نسف هاسوليل بالقدس، [أي تفجير البالستين بوست]، في أول شباط/فبراير 1948، والعملية تتطلب ثلاث سيارات عسكرية كبيرة، ومتفجرات من نوع TNT الجيدة، ومصفحة بريطانية من التي تستخدمها قوات الأمن البريطانية، وألبسة وتجهيزات من ملابس الشرطة البريطانية.<

= وهنا، لا بد من الإشارة إلى أنّ المقالة التاسعة عشرة كتبت متأثرة بالرد على ما كتّب في كتاب يا قدس. وأفرد الريماوي مقالته الثامنة عشرة بشكل كامل لتلخيص أبرز ما ورد في كتاب يا قدس: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (18)»، الدستور، 4/12/1972، ص 4. يُشار إلى أنّ بعض الضباط الأميركيين خدموا بصفة استشارية أو بشكل مباشر لصالح الهاغاناه، وكان أبرزهم دافيد ماركوس الذي عمل، مع وصوله إلى فلسطين في شباط/فبراير 1948، مستشارًا لدافيد بن غوريون، في استكمال بناء قوات الهاغاناه وتنظيمها، استعدادًا لتأسيس الجيش الإسرائيلي. وُعِين لاحقًا قائدًا للقوات الصهيونية في القدس، إلى أن قُتل في أثناء الهدنة الأولى خطأ، في 10 حزيران/يونيو 1948. يُنظر: بن غوريون، مج 1، ص 86، 204، 273-276؛ المرجع نفسه، مج 2، ص 503-504؛ تيد بيركمان، الجنرال سيرة الكولونيل دافيد (ميكي) ماركوس [بالعبرية] (تل أبيب، عام هاسفر، 1965). ووفقًا لميلشتاين، فإنّ الفنادق استُخدمت لمبيت قوة البلماح المخصصة لمرافقة القوافل المتجهة من القدس إليها، وإنّ هذه القوة غادرت قبل التفجير بوقت قصير جدًا. يُنظر: Milstein, vol. 3, p. 109.

(249) لم يكن الريماوي يستخدم في مخطوطه لفظ «الإسرائيليون»، وإنما «اليهود» أو «الصهيانية»، أو أسماء المنظمات الصهيونية مثل الهاغاناه أو الإيتسل.

ولتنفيذ الخطة، قرر وجوب الحصول على إحدى المصفحات الإنجليزية، وسيارات نقل بمقدار كبير من المتفجرات. > أما السيارات، فلقد هرب سائقان من العاملين في قوة البوليس بسيارتين منهما، و[أحضرهما] إلى مقر القيادة العامة في بئزيت. وأما الثالثة، فقد استولى عليها عدد من المسلحين، بينما كانت عائدة من نابلس إلى رام الله، ولم يكن فيها سوى السائق، فأنزله منها وأحضرها إلى بئزيت. وهكذا، حصلنا على المتفجرات [كما سيُبين لاحقاً] والسيارات. وكان سهلاً علينا الحصول على الملابس والشارات، وكانت الصعوبة الكبرى هي كيفية الحصول على المصفحة، لأنها أساسية في العملية⁽²⁵⁰⁾.

كان أحد الموظفين العرب، السيد أحمد الكاظمي، صديقاً لبعض أفراد البوليس الإنجليزي، فطلب إليه عبد القادر [الحسيني] أن يستفسر منه عن إمكانية الحصول على مصفحة إنجليزية، ولو بأغلى الأثمان، مع محاولة إغرائه بالمال، فوافق على جمعنا بسائق [إحدى] المصفحات، ويُدعى المستر وايت [جورج أنتوني وايت (George Anthony White)]، وهو يعمل في يافا وتل أبيب، فانتدبني السيد عبد القادر للاجتماع بهما. وبعد أخذ وردّ، اتفق وايت أن يحاول التفاهم مع أفراد الدورية الذين يراقبونه على خطة للهرب بالمصفحة، وأعلمتهم أننا على استعداد لشراء المصفحة وأسلحتهم، وأن نضمهم إلى قواتنا، ونوفر لهم الأكل والنوم والراتب.

فذهب، وعاد إليّ في اليوم الثاني، ليبلغني موافقتهم جميعاً على الخطة، شريطة أن ندفع له ولرفاقه، وعددهم أربعة أشخاص، ألف جنيه، مع قبول انضمامهم إلى قواتنا⁽²⁵¹⁾، على أن يقدموا لنا المصفحة والرشاش من طراز

(250) قدّم الريماوي لسرده عن كيفية الحصول على المصفحة بالإشارة إلى عدم تأريخ عارف العارف للعملية، فكتب بأنّ العارف حاول الإجابة عن كيفية الحصول على المصفحة، لكنّه لم يوفّق، وجاء جوابه خطأً كبيراً، عندما قال بأنّ العاملين، أي المجاهدين، سرقوا المصفحة من كراج في يافا: العارف، مج 1، ص 108. وعلّق الريماوي على قول العارف بأن هذه الكلام تنقصه الدقة والتروي، وأنّ مقالته التالية ستجيب عن هذه المسألة: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (18)»، ص 4.

(251) في مقالته، يسرد الريماوي قصة الالتقاء بأحمد الكاظمي والشرطي البريطاني بطريقة =

برن، وأربع بنادق، وأربعة مسدسات. وكانت البندقية الواحدة تساوي ستين جنيتهاً، والرشاش يساوي مئتين وخمسين جنيتهاً، وفرحنا لهذه الصفقة. وأبلغونا أنهم يريدون أن نحميمهم من يافا إلى بئرزيت، كي لا تعترضهم مراكز البوليس الأخرى، فاتفقت وإياهم على الخطة التالية: أن أتوجه في الساعة الثامنة من مساء يوم 15 شباط/ فبراير 1948⁽²⁵²⁾، ومعني قوة كبيرة من المسلحين إلى يافا، فأضع قوة بالقرب من مركز بوليس سارونا، >بجانب الدوّار الرئيسي لمدخل

= مختلفة وبشكل مغاير جزئياً، فكتب الريماوي في مقالته: «طلب منّي عبد القادر [الحسيني] أن أتوجه إلى مدخل بئرزيت من الجهة الجنوبية، حيث تمرّ طريق رام الله - أبو قش - بئرزيت، لأقابل شخصاً يقف إلى يمين الطريق العام، بجانب مركز الحراسة، وأن أذهب مشياً على الأقدام، لئلا نلفت النظر. وأعلمني أنّ الرجل يعرفني، وأتّه سيقدم نفسه إليّ حالما يراني. وطلب مني الاستماع إليه، وبحث موضوع المهمة التي هو قادم من أجلها معه، وإعلام عبد القادر عندما تنفق عليه. توجهت إلى المكان المعين سيراً على الأقدام، وبالقرب من كروم العنب الواقعة إلى الجنوب الشرقي من بئرزيت، وجدت شاباً في مقبل العمر يقف على جانب الطريق الأيمن، تقدّم إليّ مبتسماً، وحيثاني بعد أن صافحته، وقدم لي نفسه، وقال إنه من عائلة الكاظمي بالقدس، وبأنّه يعمل في دائرة البريد. علمت منه أنّ له صديقاً بريطانياً يعمل جاويشاً بدائرة السير بتل أبيب، وأنّ الجاويش قد أبلغه أنه باستطاعته أن يحصل لنا على مصفحة بريطانية، بالاتفاق مع سائقها. رحّبت بالفكرة، ولو أنّني شككت كثيراً في صدق البريطاني المذكور. على أية حال، طلبت منه أن يجمعني به، واتفقنا أن نجتمع بعد يومين من تاريخ ذلك اليوم، في تمام الساعة العاشرة، بفندق القصر الصيفي برام الله. عدت إلى عبد القادر، وأبلغته بما جرى، فرحّب بالفكرة، وقال: 'يجب الحصول على المصفحة بأي ثمن'. ذهبت في الوقت المحدد إلى الفندق، فوجدت الجاويش البريطاني موجوداً هناك، وقد وجدت أنّ الموضوع [جديّ]، وأنّ له صديقاً يسوق المصفحة، وأنها تقوم بدورية ليلية بين تل أبيب ويافا عن طريق سارونا». ويستكمل الريماوي السرد في المقالة بطريقة مغايرة، فيتحدث عن أنّ مقترح عمل البريطانيين مع قوة الجهاد المقدس أتى منهم. وكذلك يتحدث عن ثمن مختلف دُفع لقاء إرضاء بعض أعضاء الدورية البريطانية، فأضاف الريماوي: «وأنّ السائق المذكور، وثلاثة غيره، من أفراد البوليس البريطاني، على استعداد للتطوع والعمل معنا للانتقام من الإسرائيليين الذين يقتلون البريطانيين، وينسفون فندق الملك داود عليهم. رحّبت بالفكرة، وقلت لهم إننا على استعداد لتنفيذ المطلوب متاً، فقال: 'العملية تحتاج إلى مئتي جنيه فقط، لأنّ بعض أفراد الدورية سنغريهم بالمال، وإن عارضوا فيجب أن يكون هناك قوة من المسلحين كافية لتجريدهم من السلاح عند اللزوم'. قلت له: 'نحن على استعداد للقيام بالمطلوب'»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (19)»، ص 4.

(252) التزمين الذي يقدّمه الريماوي في المخطوط في عمومه غير صحيح، فالريماوي يتحدّث في المخطوط عن أنّ الانفجار تم في 17 شباط/ فبراير 1948، وأغلب الظن أنه قاس بقية تذكره للأيام على يوم التفجير المفترض، فإذا كان يوم 17 خطأ، لأنّ الانفجار تم في 22 شباط/ فبراير، فأغلب الظن أنّ بقية التواريخ المدرجة في المخطوط أيضاً خطأ.

مدينة يافا، من طريق القدس، وعلى بُعد خمسين مترًا إلى الشمال في الشارع المؤدي إلى سارونا وتل أبيب. وقد اتفقنا على أن تقوم المصفحة قبل وصولها إلى المكان، فيطفئ السائق النور ويشعله ثلاث مرات متتالية، وهذا يعني بأن كل شيء على ما يرام، ولا داعي لأية إجراءات. أما كلمة السر فهي «صديق (Friend)»، وقوة أخرى بالقرب من مركز بوليس بيت دجن، وثالثة بالقرب من مدخل الرملة، وقوة رابعة بالقرب من مستعمرة بن شيمن لحراسة الطريق، وأن أركب معهم في المصفحة. فذهبنا.

عدت إلى بئرزيت، وأطلعت عبد القادر [الحسيني] على التفاصيل، فسُرَّ كثيرًا بذلك، وأمرني بتنفيذ المهمة. كان عليّ أن أحضر عددًا من المسلّحين، لأنّ العملية تحتاج إلى ما لا يقل عن ثلاثة فصائل، أي خمسة وسبعين مسلّحًا، ولم يكن لدينا أية قوة إضافية في بئرزيت، سوى سبعة جنود. أرسلت طلبًا للنجدة، وحضرت قوات من بيت ريما والمزرعة القبلية، تبلغ حوالي السبعين مسلّحًا. كان عليّ أن أسلك طريقًا قصيرًا، وبالطبع فأقرب الطرق هي طريق بئرزيت - النبي صالح - عابود - مستعمرة بن شيمن - اللد، فيافا. وسلوك هذا الطريق في الليل يقتضي وضع حامية للإحاطة بمستعمرة بن شيمن، لإشغال الحراس إن حاولوا التعرّض للقافلة، والطريق كانت تمرّ من وسط المستعمرة إلى اللد.

توجهنا في سيارة بيك أب وسيارة شحن وسيارة جيب، في تمام الساعة مساءً. وقبل أن نصل إلى المستعمرة بن شيمن، وضعت حامية مكوّنة من خمسة وعشرين مسلّحًا، أحاطت ببرج الحراسة بالمستعمرة، وكان المسؤول عنها المرحوم محمد اقطيش. ومن المسلّحين الذي رافقوني في هذه العملية، المرحوم هاشم الخريم، والسيد علي [فريح سمور أبو قرع] من المزرعة. وطلبت منهم عدم التعرّض لحرس المستعمرة، ولكن في حالة محاولة الحرس التعرّض لقافلتنا، عليهم مشاغلهم بالنار، من الجهة الشرقية والشمالية الجنوبية. وأبقيت معهم سيارة البيك أب، وقد كمنوا على بُعد يسير من المستعمرة، ولم يكونوا ظاهرين للحرس.

واصلنا مسيرتنا، مرورًا بمنتصف مستعمرة بن شيمن، فلم يتعرّض أحد إلينا بأذى. وكانت السيارات العادية تستعمل هذا الطريق. توجهنا إلى دار السيد محمد علي الكيالي، رئيس بلدية اللد. طلبت منه أن يجمعنا ببعض أعضاء اللجنة القومية⁽²⁵³⁾، ورئيس الحرس، فحضر السادة [شهادة] حسونة رحمه الله، والحاج عوّاد الرفاتي وغيرهم. كما حضر السيد حمزة [صبح]⁽²⁵⁴⁾ رئيس الحرس. أفهمتهم أنّنا [متوجهون] في مهمة، وأننا سنعود بمصفحة، وطلبت منهم إبلاغ الحرس بعدم التعرّض إلينا، وعلّمنا أنّ كلمة السرهّي «أمين». ذهب السيد حمزة معنا إلى مدخل المدينة من جهة طريق اللد - يافا، وهناك اجتمعنا بالمسؤول عن مركز الحراسة، وتعرّف علينا، وأبقينا خمسة مسلّحين للمرابطة معهم.

وعلى الجانب الآخر من الطريق العام، وفي السيارات المقابلة، كانت نقطة حراسة مدينة الرملة، فطلبنا منهم أن يرسلوا إلينا المسؤول عن الحراسة، فحضر السيد المهندس كاظم اخرينو، فأطلعنا على المهمة، وطلبنا منهم التيقّظ، فإذا ما حاولت قوات الأمن التعرّض لنا، أو اللحاق بنا، فعليهم مقاومتها. وأمام مركز بوليس بيت دجن، وفي البيارات المواجهة للمركز، وضعنا حامية مؤلفة من خمسة وعشرين مسلّحًا، للتصدّي لرجال الشرطة، إن حاولوا اعتراض طريقنا أثناء عودتنا بالمصفحة، لأنّنا قدّرنا أن تبرق قوات الأمن في تل أبيب إلى جميع المخافر بإلقاء القبض على المصفحة ومن فيها. وصلنا إلى الدوّار الرئيسي المؤدي إلى مدينة

(253) تشكّلت اللجنة القومية في اللد، في 26 تشرين الثاني/نوفمبر 1947، بعد انتخاب أعضائها بالتزكية، وهم: شهادة يعقوب حسونة (اختير لاحقًا رئيسًا)، عزت الكرزون، حافظ المهدي، محمد علي شكوكاني، سليم الهندي، عبد الوهاب حمام الصالح، منيب الكيالي، إلياس سليم الحلّنة، يعقوب الحبش، عبد ربه أبو مشرف، حافظ أبو كويك، داود حمدان (استقال لاحقًا)، عواد الرفاتي: «تأليف اللجنة القومية في اللد»، الشعب، 1947/11/27، ص 4؛ «اللجنة القومية في اللد»، فلسطين، 1947/11/27، ص 3.

(254) حمزة حسين صبح (1922-2006): وُلد في مدينة اللد، وتلقّى تعليمه فيها، ثم في مدرسة دار الأيتام الإسلامية في القدس. التحق بالجيش العربي الأردني في عام 1944. بعد اندلاع المعارك الأولى في حرب 1947-1949، استقال من الجيش والتحق بقوات الدفاع عن مدينة اللد، وكان أحد أبرز مساعدي قائد القطاع الغربي من المنطقة الوسطى حسن سلامة، وبقي في قيادة حامية المدينة إلى أن سقطت في تموز/يوليو 1948.

يافا، فوجدنا قوة من حرس البلدية ترابط هناك، فنزلنا وأعلمناهم أننا سنطوّق الشارع المؤدي إلى تل أبيب، وأننا سنقوم بمهمة، وعليهم مساعدتنا، إن لزم الأمر. وكانت الساعة قد بلغت التاسعة والنصف مساءً.

أقمنا حاجزًا على بُعد خمسين مترًا في الوادي، ووزّعنا المسلّحين، وكان عددهم حوالي خمسة وعشرين مسلّحًا، على جانبي الطريق. وفي تمام الساعة العاشرة، ظهرت المصفّحة قادمة من سارونا وتل أبيب، ولمّا اقتربت من الحاجز، أطفأت الضوء وأشعلته ثلاث مرات متتالية. فهمنا أنّ كل شيء على ما يرام. صرخت عليهم قائلاً: «صديق (Friend)». وهي كلمة السر المتفق عليها، أجاب السائق مردّدًا الكلمة ذاتها، ووقف وقال: «Every Things OK». أي أنّ كل شيء على ما يرام.

تقدّمت إلى المصفّحة، فنزل الجاويش الذي كان يركب بجانبه وصافحني. صعدت وجلست بجانب السائق، وصعد الجاويش إلى الخلف، وصعد اثنان من المجاهدين معه⁽²⁵⁵⁾. وعند وصولنا مفرق وادي جنين رحبوت - ديران، أراد أن يتجه فيه، على أن يمرّ بطريق وادي السير، فإلى اللطرون ورام الله، فقلت له: «لا. إنّنا رتبنا طريق اللد، وسيارة الجيب ستسلّكه، فاتبعها». وسارت في المؤخرة سيارة الشحن، وعليها المسلّحون، ولمّا وصلوا إلى بيت دجن، صعد المسلّحون إليها، وتبعونا إلى اللد. من اللد مررنا بمستعمرة بن شيمن، فلم يعترض طريقنا أحد. وفي الجهة الشمالية من المستعمرة، وعلى بُعد قليل منها، كانت تنتظرنا سيارة البيك أب، والحامية التي تركناها لتطويق المستعمرة عند اللزوم، فطلبنا منهم أن يتبعونا إلى بئرزيت.

وإن نسيت، فلن أنسى تلك الليلة، فقد شعرت فيها بنشوة لم أشعر بمثلها قط. كانت الساعة تقترب من منتصف الليل، والهدوء يخيم على الطريق، وقد تنفست الصعداء بعد خروجنا من المستعمرة، وأيقنت أنّ الحلم قد تحقق، وها

(255) في نص المخطوط، أثبت الريماوي اسم أحمد الكاظمي كشخص ثانٍ شاركه في ركوب المصفّحة.

هي المصفحة تتجه إلى بئرزيت، وكان يتدلى في مؤخرتها جنزير من الحديد، كان كلما لامس الأسفلت يُحدث صوتًا موسيقيًا، لم تسمع أذني أجمل منه في الحياة. كان الصوت موسيقيًا، وزاد من روعته هدوء الليل والسكون الذي كان يخيم عليه، سوى صوت السيارات والمصفحة التي كانت تتهدى في طريقها إلى القيادة، حيث كانت تنتظرها عملية مهمة طالما انتظرناها.

وأرجو أن لا يستغرب القارئ هذا الشعور بالبهجة والغبطة والفرح، فلقد كان الحصول على مصفحة في ذلك الوقت أهم من الحصول على طائرة فانتوم أو صاروخ في هذا الوقت، بل إن الطلقة الجديدة كانت عزيزة وغالية. وصلنا بئرزيت حوالي الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل. نزل البريطانيون، وهم: تومي (Tomy)، [وجورج أنتوني وايت، وبيتر مارسدن (Peter Marsdon)]. وكان هنالك بريطاني آخر يعمل مع قواتنا، اسمه إيدي براون]. صافحناهم جميعًا ورحبنا بهم. وكان في المصفحة خمس بنادق إنجليزية جديدة من نوع الصواري، وجهاز لاسلكي ممتاز، ورشاش برن جديد، وبعض المعدات الأخرى، وثمانها لا يقل عن ألف جنيه في ذلك الوقت. كان عليّ أن أدفع مئتي جنيه إلى الجاويش⁽²⁵⁶⁾، وقد أعلمني أنه يودّ العودة إلى تل أبيب.

جلس الجميع في مكاتب القيادة، وذهبت إلى عين سينيا، حيث كان ينام الشهيد عبد القادر [الحسيني] في بيت قريبه جميل بك الحسيني، وكان أبناء جميل بك يتعاونون معنا جميعًا، وبقوا كذلك بعد استشهاد المرحوم عبد القادر. أيقظت أبا موسى من النوم، وبشّرته بوصول المصفحة، وأننا وضعناها في الكراج الواقع تحت مكاتب القيادة وأقفلنا عليها. فرح فرحًا كبيرًا بذلك، وقلت له: «إننا بحاجة إلى مئتي جنيه لدفعها إلى الجاويش، قبل عودته إلى تل أبيب». فقال: «والله إنني لا أملك شيئًا منها». وأضاف قائلًا: «دبرّ حالك».

استأذنت وعدت إلى بئرزيت، وتوجهت إلى بيت المخترع موسى الداود، من آل ناصر، وكان صديقًا حميمًا لنا، ويتعاون معنا تعاونًا كبيرًا، كما

(256) وفقًا لرواية المخطوط المثبتة أعلاه، كان الاتفاق على دفع مبلغ ألف جنيه.

أنه كان عضوًا [في] اللجنة القومية. طلبت منه المبلغ كدين، فلم يتردد لحظة واحدة، وسلّمني مئتي جنيه، وأعطيته إيصالًا رسميًا بذلك، ولم يُدفع له المبلغ إلا بعد استشهاد عبد القادر [الحسيني]، ودُفع من جملة الديون التي خلفها، وتبلغ حوالي الستة آلاف دينار. عدت إلى مكتب القيادة، وتوجهت بصحبة البريطانيين إلى رام الله، حيث قضوا ليلتهم في فندق البانوراما، وكنا نتردد عليه كثيرًا، وصاحبه من آل نزال. وقد عاد الجاويش في صباح اليوم التالي. أما الآخرون، فقد عملوا معنا واشتركوا في عملية نسف بن يهودا⁽²⁵⁷⁾.

[.....]⁽²⁵⁸⁾ [وأما المتفجرات اللازمة لتفخيخ السيارات، فإنها سبق واستُحضرت من دمشق، من اللجنة العسكرية العربية، إذ إنه بعد اجتماع] >تم في بيت الدكتور سليمان سليم برام الله [.....]، [حضره عبد القادر الحسيني وحسن سلامة، تقرر]⁽²⁵⁹⁾ التوجه إلى دمشق للمطالبة بالأسلحة والمتفجرات. غادرنا رام الله صباح [أحد أيام]⁽²⁶⁰⁾ شهر كانون الثاني/يناير 1948. وصلنا جسر اللنبي، وترجّلنا وسرنا بمحاذاة النهر إلى المخاضة القريبة، ومنها اجتزنا النهر، وقابلتنا السيارة على بُعد حوالي مئتي متر من الجسر.

(257) وأضاف الريماوي في مقالته، مدافعًا عن المتطوعين الأجانب في صفوف قوة الجهاد المقدس، في ردّ ضمني على ما ورد في كتاب يا قدس: «ولم يكونوا الوحيدين من غير العرب الذين تطوعوا مع قواتنا، فلقد كان هنالك عدد من الضباط اليوغوسلافيين المسلّحين، وعدد آخر من الضباط الأتراك والألمان. وقد أظهر الجميع منهم إخلاصًا وتفانيًا في العمل، ومقدرة فائقة»: المرجع نفسه، ص 4؛ مقارنةً في: Dominique Lapierre & Larry Collins, *O Jerusalem* (London: Weidenfeld and Nicolson Ltd, 1972), p. 192.

(258) حُذف من نص المخطوط المثبت أعلاه فقرة تتقاطع مع السرد المستل من المقالة المثبتة في المتن بين علامتي < >. ولأنّ سرد المقالة أكثر تفصيلاً، اقتصر عليه في المتن.

(259) في المخطوط، يختلف التزمين المتعلّق بالحصول على المتفجرات، ففي المقالات، كما هو مبين أعلاه، يشير الريماوي إلى أنّ الحصول عليها كان سابقًا على التخطيط للهجوم على شارع بن يهودا، وأنه ارتبط بالحصول على أسلحة أفرقتها اللجنة العسكرية العربية لقوة الجهاد المقدس، وأنّ عبد القادر الحسيني كان في دمشق لحظة الحصول على المتفجرات. أما في المخطوط، فإنّ الحصول على المتفجرات كان تاليًا للحصول على المصفحات، وأنّ عبد القادر كان في استقباله لحظة وصول الشاحنات، وأنّه استبشر خيرًا بها وقال إنها تكفي للعرض المطلوب.

(260) لا يسجّل الريماوي اليوم، ويتركه فارغًا.

مررنا بالأردن دون أن يتعرّض أحد إلينا. وصلنا نحن الثلاثة؛ عبد القادر [الحسيني]، وحسن سلامة، وكاتب هذه السطور، إلى دمشق قبيل الظهر، واجتمعنا بالمفتي [محمد أمين الحسيني] في فندق الأوريون/ [الشرق]، ونزل أبو علي في الفندق كذلك، بعد أن أحضر السيد فخري مرقة⁽²⁶¹⁾ زوجته - أم علي - من بيروت. أطلعنا المفتي على الوضع بكامله، وطلبنا الدعم لدى اللجنة العسكرية [العربية]، وخاصة ضرورة تزويدنا بالمتفجرات لتنفيذ بعض العمليات المهمة. وأذكر أنّ المفتي قدّم لكل واحد منّا مسدس براشوت من النوع الجديد، كانت قد وصلت هدية من المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود. كما قدّم إليّ منظر ميدان كبير، لا زلت أحتفظ به إلى اليوم.

وأذكر أنّ السيد جمال الحسيني قابلنا في بهو فندق الأوريون/ [الشرق]، وطلب أن يتحدث مع عبد القادر ومعني على حدة، وإذا به يروي لنا قصة غريبة، وهي أنه علم أنّ أحد الأشخاص الذين كانوا في المنطقة التي تحتلها سلطات العدو، قد شاهد السيد «ج»، من الذين يترددون على قيادة الجهاد المقدس بئرزيت، يتصل بضباط العدو. والشخص المذكور معتمد اعتمادًا لا حدّ له من أحد رجال الهيئة العربية العليا. فطلب منّي عبد القادر [الحسيني] أن أبلغ العضو المذكور بأنّ صديقه «ج» يجب أن لا يدخل البلاد. قمنا بعد ذلك بزيارة القصر الجمهوري، فاستقبلنا الأمين العام، وطلب منه عبد القادر أن يلتصق من الرئيس شكري القوتلي دعمنا بالسلاح، ومع اللجنة العسكرية. واقترح الأمين أن نقابل الرئيس، ولكنّ عبد القادر اعتذر لانصرافنا لأعمال أخرى، وأننا لسنا سياسيين.

(261) فخري أسعد مرقة (1908-1976): وُلد في الخليل. عمل في سلك الشرطة التابع للحكومة الاستعمارية البريطانية في فلسطين، وساهم من خلال عمله في دعم ثورة 1936-1939، فتطوّر إلى أن اعتُقل في عام 1939، وحُكم عليه بالإعدام، ثم خُفف الحكم فسُجن إلى أن هرب من سجن عكا، بعد هجوم منظمة الإيتسل عليه في 4 أيار/ مايو 1947، وانتقل على إثر ذلك إلى دمشق لاجئًا سياسيًا. التحق بقوات حسن سلامة النشطة في القطاع الغربي من المنطقة الوسطى، ومن ثم التحق بقوة الجهاد المقدس في بلدة عابود. بعد انتهاء الحرب، التحق بالحزب الشيوعي الأردني، إذ كان على صلة سابقة بناشطتي الحزب الشيوعي الفلسطيني، فعصبة التحرر الوطني. اعتُقل في الأردن لنشاطه السياسي، وطورد بعد نيسان/ أبريل 1957، فلجأ إلى قطاع غزة. بعد احتلال حزيران/ يونيو 1967، عاد إلى الأردن، ونشط في قوات الأنصار، الذراع العسكري للحزب في الأردن، والتي لم يطل نشاطها فؤتدت مع خروج العمل الفدائي من الأردن بعد حوادث أيلول/ سبتمبر 1970.

تمت اجتماعات بين القائدين وبعض المسؤولين، ووافقت اللجنة على تزويدنا ببعض المتفجرات وبعض الذخيرة، وسافر القائدان عبد القادر [الحسيني] وحسن سلامة من دمشق إلى فلسطين عبر الأردن، وبقيت أنا في دمشق لاستلام المعدات. وعلمت أنّهما لَمَّا وصلا إلى عمّان، طلب جلاله الملك عبد الله من حسن سلامة الحضور إلى قصر رغدان، حيث اجتمع به فترة من الوقت. أما عبد القادر، فقد عاد إلى بئرزيت، ولم يعترض سبيله أحد.

توجهت في اليوم التالي إلى شعبة فلسطين، وكان يرأسها السيد بشير الزعيم، شقيق حسني الزعيم، فانتدب أحد موظفي الشعبة، واسمه السيد عبد الرزاق، لمرافقتي إلى مستودعات المزة لتسلّم المواد المطلوبة. وبالفعل، تم استلام ستة أطنان من المتفجرات⁽²⁶²⁾، وأربعة عشر مسدسًا جديدًا، ماركة وييلي الأميركي - طاحونة، وكمية من الذخيرة. وقد كنت مفوضًا لدى اللجنة العسكرية لتسلّم معدات الجهاد المقدس، وتوقيعي [معمدًا] لديهم.

كان البرد شديدًا، والسيول والثلوج تتساقط، ولكنّ عبد القادر [الحسيني] قد أرسل [السيد عبد الرزاق من ضباط الأمن في سورية]، على الرغم من أنّ التعليمات هي أن يسلمني فقط. كما رافقنا صديق له اسمه وليد، وهو طالب بكلية الحقوق. أما المعدات، فقد حملتها سيارات الجيش السوري، وأعلمونا أنهم لا يستطيعون اجتياز الحدود السورية. فلَمَّا وصلنا إلى درعا، قام مدير الأمن، واسمه السيد بهجت، وكان يعرفني، إذ نقلت شحنة سابقة بمساعدته، قام بزيارة الرمثا، ومن هناك تمكّن من إحضار ثلاث سيارات شحن من إربد.

وقد ذهبت إلى بيت السيد خالد كم الماظ، وهو والد الشهيد إحسان كم الماظ، ومن خيرة العاملين. وكنت أنزل في بيته في الغدو والرواح، فيُحسن استقبالي ومعاملتي، ويقدم إليّ ما أحججه من مساعدة. وكان المطر غزيرًا جدًّا،

(262) في المخطوط، أشار الريماوي إلى أنه تسلّم من اللجنة العسكرية العربية ثلاثة أطنان من المتفجرات، وبعض الكبسول والعتاد، وسلّمت جميعًا من مخازن المزة. ولا يرد في المخطوط أي إشارة إلى المتفجرات المسلّمة إلى مجموعات سلامة في القطاع الغربي من المنطقة الوسطى، وهذا ما قد يفسر اختلاف الرقم بين المقالات والمخطوط.

ولم ينقطع طيلة ذلك اليوم أو بعده. ولمّا حضرت السيارات في صباح اليوم الثاني، <أفرغنا سيارات الجيش السوري فيها، وسرنا من درعا إلى الرمثا>، ومعني السيد عبد الرزاق، ومعني سيارة جيب تخص آل محيي الدين الحسيني، ويسوقها هارون الطوري، فرافقني من دمشق. <وقد وجدنا في درعا ثلاث سيارات كبيرة محمّلة بالمؤن، ومُرسلّة إلى القواقجي، ومضى عليها وقت في درعا، ولم يحضر أحد لمرافقتها. طلبوا منّا أن نأخذها معنا، فوافقنا على ذلك، وسار رتل من السيارات تتقدّمها سيارة الجيب التي [كنّا] فيها نحن الثلاثة والسائق.

وقد رفض الأخوان السوريان العودة إلى دمشق، وأصرّا على مرافقتي إلى بئرزيت. لم يعترض أحد طريقنا في الرمثا، ولكن لمّا وصلنا المفرق، وجدنا متصرف وقائد اللواء في انتظارنا، وهما السادة بهجت طبارة ونديم السّمان. قالوا لي: «إنّنا لا نستطيع أن نسمح لهذه السيارات بالتوجه إلى عمّان، بل عليكم أن تتوجهوا عبر جسر الشيخ حسين، فهو المخصص لذلك». فقلت لهما: «إنّ الجسر مغلق بسبب السيول والثلوج، ولا بد لنا من المرور عبر جسر اللّبي». وبعد حديث بسيط، توجهنا جميعًا إلى مركز الشرطة، ومن هناك، اتصل السيد بهجت طبارة بجلالة الملك⁽²⁶³⁾، وطال الحديث بينهما.

أما السيارات، فقد واصلت سيرها إلى عمّان. وبعد ذلك، قيل لنا إنّ شخصًا قادم في الطريق إلى المفرق لمرافقتنا. وبالفعل، [وصل] الرجل، وهو طويل القامة، قوي البنية، يرتدي اللباس العربي، وعلى رأسه طربوش، وعرفنا باسمه، وهو السيد الشوربجي⁽²⁶⁴⁾، من تجّار عمّان، ومن أصدقاء جلالة الملك.

وصلنا عمّان في مساء ذلك اليوم، واستضافنا عدد من الإخوان في نادي عمّان، ودارت بيننا أحاديث عن العمليات في فلسطين واللجنة العسكرية [العربية]،

(263) في المخطوط، عندما كان يتحدث الريماوي عن الملك عبد الله، وفي سياق حديثه عن جلب هذه الشحنة من السلاح، كان يكتب «الملك» فحسب، من دون إضافة «جلالة»، كما في مقالاته.

(264) اشتهر بالتجارة خلال أربعينيات القرن العشرين في عمّان عبد الرزاق مصلح الشوربجي (1922-2004)، لكنّ أغلب الظن أنّ الريماوي هنا يتحدث عن والده مصلح الشوربجي، وهو مجاهد سوري ضدّ الاستعمار الفرنسي، انتقل وشقيقه الحاج حسن الشوربجي إلى الأردن مبكرًا واستقرّ فيه.

وكان حديثاً ودياً للغاية، عرفت منهم شخصاً اسمه كذا طوقان، ودكتوراً كان في ألمانيا مع المفتي [محمد أمين الحسيني]، لا أذكر اسمه. سهرنا معهم، وقد طلبت من السيارات التوجه إلى الجسر والمبيت هناك على مقربة منه. وفي الساعة الرابعة من صباح اليوم التالي، سرنا إلى الجسر، فوجدنا أنّ العريف المسؤول عن المخفر بالقرب من الجسر قد أوقف السيارات، ومنعها من اجتياز الجسر.

اتصلنا برجال الجمرک في الجانب الفلسطيني، وكان المسؤول عنهم هو السيد هاشم عريقات، ومعه شقيق إبراهيم أبو دية، ولا يوجد إلا إنجليزي واحد. حاولنا إقناع العريف بالسماح لنا بالمرور فرفض، ثم همس أحدهم في أذني، وقال لي: «إنّ جلالته الملك موجود في قصر الشونة، فاذهب إليه واطلب منه المساعدة»⁽²⁶⁵⁾. توجهت إلى القصر منفرداً بالسيارة الجيب. دخلت إلى القصر، فاستقبلني جلالته في «البرندة»، وهذه أول مرة ألتقي بجلالته. قال لي: «هل أنت صاحب السيارات؟». قلت له: «يا سيدي، إنّ هذه الأسلحة هي من اللجنة العسكرية، وأنا مسؤول عن نقلها إلى قوات الجهاد المقدس».

قال جلالته: «ولكنكم تعرفون أنني متفق مع القواقجي بالمرور عن طريق [جسر] الشيخ حسين، وتصله الإمدادات عن طريقه، حسب اتفاقنا». قلت لجلالته: «ولكنّ الجسر مقفل، فهناك طوفان بسبب الأمطار والثلوج». قال: «حسنًا، أحضروا السيارات هنا، ونحن سنتدبر أمرها، فأنا لا أريد أن يتخذ الإنجليز حجة من هذه ويغلقوا لنا الجسر، وهو المنفذ الوحيد لنا، بل هو شريان حياة لنا». قلت له: «يا سيدنا، ولكنّ هذه متفجرات، وقد مضى عليها ثلاثة أيام بلياليها وهي تحت المطر، وأخشى أن تنفجر إحدى السيارات، وهي كافية لتدمير هذه المنطقة بكاملها إلى عمّان». فسكت، ثم قلت له: «على أية حال، إنّنا ننوي القيام بأعمال ترفع رأس كل عربي، وستسمع بها جلالتك».

(265) اختلفت عبارات سرد الريمائي لما حدث على الجسر بين النص الوارد في مقالاته والمثبت أعلاه، والنص المختصر في المخطوط، ففي المخطوط يتحدث الريمائي عن مجادلة عنيفة بينه وبين المسؤولين، تبعا اتصال من طرفهم بالملك، فطلب مقابلة الريمائي في مقرّه بالشونة، وبناءً على هذا الطلب تمت المقابلة مع الملك.

ومن أولى منك بالجهاد! فأنت ابن بنت رسول الله، وأنا قابل أي قرار تتخذه». فسلمت وتركته. وقبل أن أصل إلى الباب الخارجي للحديقة، وإذا به ينادني قائلاً: «يا شاب، تعال». قال: «إنني سأطلب من عبد القادر الجندي أن يساعد بنقلها بواسطة سيارات الجيش».

غادرت القصر وعدت إلى الجسر، وقلت لقائد المخفر: «لقد وافق جلالته على المرور. وإنني سأبدأ بإرسال سيارة من سيارات التموين، فإذا اعترض الشرطي الإنجليزي عليها فلن أرسل سيارات الأسلحة». وعمدت إلى الحاجز فرفعته بيدي، ومرّت السيارة الأولى بسلام، وتبعها السيارات الأخرى. قلت للعريف: «يا أخي نحن على استعداد لتحمل أية مسؤولية تترتب عليك، أنت هنا عريف، تعال معنا وستكون ضابطاً، وعليك واجب مثلما علينا». فتحمّس الرجل، وركب معنا في السيارة، إلى أن وصلنا إلى عين السلطان، متوجهين عبر الجفتلك إلى بئرزيت، مروراً بنابلس. وبعد أن اطمأن الرجل إلى اجتيازنا الطريق بسلام، ودّعنا وعاد إلى المخفر بجانب الجسر⁽²⁶⁶⁾.

وصلنا إلى بئرزيت، مروراً بنابلس، وعند وصولنا إلى مفرق طوباس بالفارعة، افترقت عنّا سيارات التموين، واتجهت إلى مقرّ قيادة [فوزي] القاوقجي. وصلنا ببئرزيت حوالي الساعة الحادية عشرة، سلّمنا المتفجرات والمسدسات والذخيرة إلى مأمور المستودع، مقابل الإيصالات الرسمية التي نحملها من اللجنة العسكرية [العربية]. وتوجهنا إلى العباسية عن طريق عابود. وقمنا بتسليم قسم من المتفجرات والمسدسات والذخيرة إلى الحاج محمود

(266) اختلف سرد الريماوي للقائه مع الملك عبد الله في المخطوط عنه في المقالة أعلاه، فتوسّع في تفصيلات المقابلة والحوار، وتحدّث عن خاتمة مختلفة لما ورد في المخطوط المختزل، ففي المخطوط كتب: «وبعد بحث طويل، قال لي إنه يسمح بنقلها عبر المخاضات، ولكن ليس عبر الجسر، لأنّ الإنجليزي ما زالوا يراقبونه، وهو يخشى أن يفلتوه. فغادرت القصر وأنا مُصرّة على المرور عبر الجسر، ولمّا وصلت، فتحت الجسر، بعد أن سحبت مسدساً، وقلت لهم: 'إن لم تمرّ هذه المتفجرات الآن فإنني سأطلق النار عليها، فتنسفي وتنسف الجسر وجميع الأبنية القائمة في هذه المنطقة على بُعد عشرين كيلومتراً'. وهكذا، مرّت السيارات الثلاث بعد جهد ومراوغة. وقد كان شعور موظفي الجمرك والجنود معي»: «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 6.

درويش، بحضور الشيخ حسن سلامة، وكان أهالي القضاء [يلقبونه] بهذا الاسم «الشيخ». أما المتفجرات، فهي التي استخدمناها في نسف شارع بن يهودا».

[بعد اكتمال التحضيرات للتفخيخ، أعدّ فوزي القطب] >الألغام إعدادًا محكمًا، والحقيقة أنه كان يتقن صنع جميع أنواع المتفجرات والألغام بشكل يشير الدهشة؛ من الألغام المقاومة للدبابات، إلى ألغام الطرود البريدية. وقد تدرّب على ذلك في ألمانيا، إذ اشترك في دورة من أجل [هذا] الغرض، كما اشترك عبد القادر في دورة مماثلة. وكان فوزي القطب مسؤولًا عن فرقة المغاوير، وهو من المقاتلين الذي اشتركوا في الثورات السابقة، ولجأ إلى العراق وتركيا وألمانيا، إلى أن عاد إلى فلسطين ليعاود جهاده من جديدة، بإمرة القائد عبد القادر الحسيني [.....] (267).

وضع [في] كل من سيارات الشحن حوالي طن من المتفجرات، من مادة تي إن تي شديدة الانفجار، بدقة متناهية، وبشكل مضغوط. وأضاف إلى كل سيارة أربع صفائح من الصفائح المستعملة للزيت، وضع في كل منها مزيجًا من مسحوق البوتاسيوم والألمنيوم، يزن حوالي سبعين باوندًا، في كل سيارة، ومن شأن هذا المزيج أن يزيد من فعالية الانفجار، ويرفع الحرارة إلى درجة عالية جدًا، كما أنه ينصهر ويرش رذاذًا من مولوتوف كوكيتل الحارق على مكان الانفجار. وربط كل لغم بفتيل طويل ينتهي بأنبوب معدني مثبت في القسم الأمامي من السيارة، لضمان سريان الاحتراق، وإيصاله إلى الكبسول المتفجر في الجانب الآخر. وقد وصل شريطي الفتيل بالقرب من عداد السيارة الواقع جانب محرك السيارة أمام السائق، وما على السائق إلا أن يوصلها بأصبعه لإشعال الفتيل.

وقد اختلفت أطوال أشرطة الفتيل بين سيارة وأخرى، وبفارق دقيقة واحدة بين الواحدة والأخرى، بمعنى أنّ السيارة الأولى سيحدث الانفجار فيها بعد

(267) كان الريماوي قد كتب هنا: «وسأكتب المزيد من التفاصيل عن فرقة المغاوير والأعمال التي قامت بها في مجال آخر، وأعود بعد هذه المقدمة إلى ذكر التفاصيل التي قام بها في تركيب الألغام». لكنّه لم يعاود الكتابة في مقالاته عن هذه الفرقة، إذ نُحِتت مقالاته في الدستور بتفصيلات عملية النسف في شارع بن يهودا التي وردت في الحلقة الأخيرة.

ثلاث دقائق من إشعال الفتيل، والثانية بعد الإشعال بدقيقتين والثالثة بدقيقة واحدة. وقد قام بكل ذلك بإشراف عبد القادر الذي أضاف بدوره مركبًا كيميائيًا من تركيبه هو، يعمل على مضاعفة قوة الانفجار⁽²⁶⁸⁾.

أذكر بهذه المناسبة أن الخبير الألماني الذي كان يعمل مع الشيخ حسن سلامة قد حضر في إحدى الليالي إلى رام الله، وطلب منه إعطاءه المعادلة الكيميائية لاستخدامها في نسف بناية نيترا التي استعصت على جميع محاولات النسف، وكانت تضايق حامية يافا مضايقة كبيرة، لأنها تقع في مدخلها الرئيسي، فسلمه إيها عبد القادر، وقد تمّ على الإثر نسف هذا المعقل اليهودي⁽²⁶⁹⁾. كانت هذه المعادلة الكيميائية من الأشياء التي يحتفظ بها عبد القادر [الحسيني] لنفسه، ويشرف على تركيبها شخصيًا. أضاف إلى كل سيارة مركبًا منها، ثم تمّ

(268) اختلف سرد الريمائي لعملية تفخيخ الشاحنات بين نص المقالة المثبت أعلاه ونص المخطوط، فالمخطوط الذي دُوّن أساسًا احتفاءً بعبد القادر الحسيني، جعله الشخصية المركزية في عملية التفخيخ، ولم يقصر دوره على إضافة المركب الخاص، فكتب الريمائي في المخطوط: «أخذ عبد القادر ثلاثة منها [أي المركبات] إلى عين سينيا، وأعلن كعادته أنه مريض. وأخذ يركب اللغم المشهور الذي يُعتبر أكبر لغم على الإطلاق عرفته حرب فلسطين، حتى وغيرها من الدول، فقد ملأ سيارات النقل الثلاث بالمتفجرات، وزوّدها بمركبات استحضرها بنفسه، وحدّد لها مواقيت متفاوتة، لتنفجر كل واحدة تلو الأخرى، ومادة تلو مادة، وعيّن المكان الذي يجب أن تقف فيه كل سيارة ليضمن تدمير الشارع، وجميع الشوارع المجاورة. وبعد تجهيز السيارات والألغام، نقلها إلى كراج الجهاد المقدس في بئرزيت، حيث تمّ إخفاؤها، ورسم خطة التنفيذ، وعيّن الأشخاص الذين يجب أن يتولوا قيادة السيارات وحراستها، وعندها استدعي إلى القاهرة، فغادر فلسطين إلى القاهرة».

(269) الحديث هنا عن عملية نسف مبنى حزبون، أو مبنى الهكيرن هكيمت (الصندوق القومي الإسرائيلي)، بالتسمية الصهيونية، في 18 آذار/ مارس 1948، والذي تحوّل خلال أشهر الحرب الأولى إلى استحكام صهيوني كبير، مسطرًا أيضًا على طريق يافا - القدس، ومعرقلاً لحركة المواصلات العربية باتجاه يافا. للمزيد عن عملية نسف هذا المبنى، يُنظر: «مؤتمر صحافي للقائد السيد حسن سلامة»، الدفاع، 1948/3/21، ص 1، 4؛ «مع أبي علي في مؤتمره الصحافي أمس، النصر لنا لأننا ندافع عن حق ووطن»، فلسطين، 1948/3/21، ص 1، 4. ويُنظر: يوسف أوليتسكي، من أحداث إلى حرب: فصول من تاريخ الدفاع عن تل أبيب [بالعبرية] (تل أبيب: قيادة الهاغاناه بتل أبيب - دائرة الثقافة بجيش الدفاع الإسرائيلي، 1950)، ص 353-363. وعن الضباط الألمان المشاركين في عملية النسف هذه، يمكن مراجعة نص مذكرات أحدهم، مع الإشارة إلى أنها تعاني إشكالات مضاعفة تُضاف إلى إشكالات نصوص المذكرات التقليدية: هربرت بريتكسكه، الطبيب البدوي مغامرات ضابط ألماني في الشرق الأوسط، ترجمة أحمد إيبش (أبو ظبي: أبو ظبي للثقافة والتراث، 2011)، ص 179-236.

إقفال السيارات الشاحنة، وتغطيتها بمشمعات من مشمعات الشرطة، وتمّ تثبيتها بمربعات صفراء، من المربعات المشموعة على شكل أختام رسمية، ووُضعت جميعها في الكراج الواقع تحت مكاتب القيادة ببئرزيت.

وكان من المقرر أن تقف السيارة الأولى ملاصقة لبناية الهستدروت، حيث تقع مكاتب قيادة الهاغاناه، وعلى بُعد حوالي خمسين مترًا منها، تقف السيارة الثانية، ملاصقة لفندق أتلانتيك، حيث يقيم أفراد البعثة الأميركية، وفي مواجهة لمثلث ساحة صهيون - زيون، تقف السيارة الثالثة. وقد أعدّ عبد القادر [الحسيني] الخطة، وكانت أمامه خريطة مفصّلة لشارع بن يهودا والأبنية المطلوبة، وقد شرح الخطة في اجتماع سري حضره فوزي القطب، وعزمي الجاعوني، وكاتب هذه السطور. وتقرر أن يقود العملية البطل عزمي الجاعوني، وأن يُطلع الأفراد الذين سيشاركون معه من البريطانيين وغيرهم، يطلعهم عليها صباح يوم التنفيذ، وليس قبل ذلك.

[بعد اكتمال التجهيزات، ولاكتمال التنفيذ، كان لا بد من شارة البدء].
>دقّ جرس التلفون بمنزل طبيب صحة رام الله، الدكتور سليمان سليم - كركي - وكانت الساعة تقارب الساعة من مساء يوم السبت 21 شباط/فبراير 1948. رفع الدكتور السماعة وقال لي: «طلبك. القاهرة». أخذت السماعة، وكان المتكلم على الطرف الآخر السيد اذياب [ذياب حسين معمر]، من دورا القرع لواء رام الله، وهو سكرتير المفتي [محمد أمين الحسيني] الخاص، وعامل التلفون. سألته عن صحته وعن صحة الجميع، وطلب مكالمة الأخ [أبي] موسى، أي عبد القادر الحسيني، وكان يوم ذاك يزور القاهرة، خلافاً لما ذكره عارف العارف وغيره من المؤرخين، إذ ذكروا أنه كان موجوداً في فلسطين أثناء القيام بعملية نسف شارع بن يهودا [.....]. كانت المكالمة بيني وبينه تقتصر على سؤال واحد، وهو هل نرسل المكاتيب الأربعة إليه بالبريد، أم نؤجل إرسالها. وجاء الجواب، يجب إرسالها كما اتفقنا تمامًا، وبدون تأخير، وهذا يعني وجوب تنفيذ عملية نسف شارع بن يهودا، حسب الخطة التي رسمها تمامًا، دون تغيير أو تعديل.

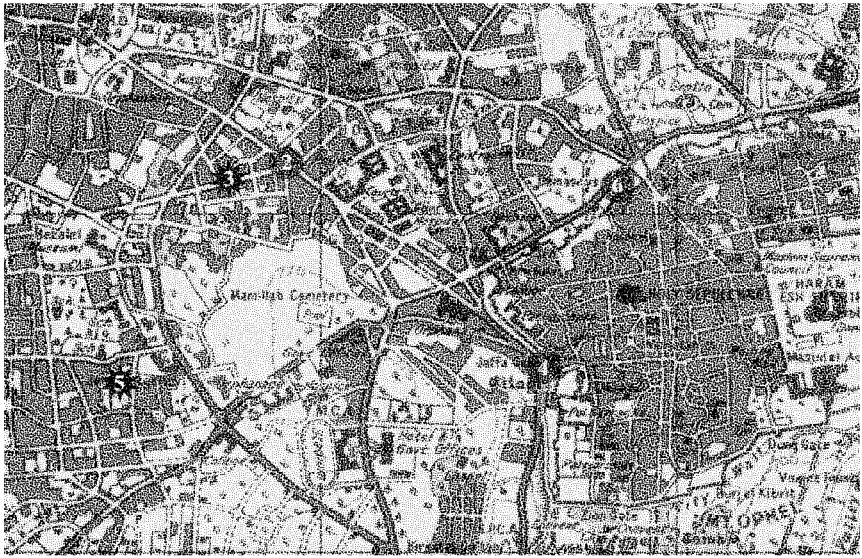
عدت إلى مقرّ قيادة الجهاد المقدس العامة ببثريزيت، واتصلت بكل من السادة كامل عريقات وفوزي القطب وعزمي الجاعوني، وأبلغتهم بأنّ عبد القادر يأمر بتنفيذ الخطة دون تغيير [...] في تمام الساعة السادسة والنصف من صباح الأحد 22 شباط/فبراير 1948، وفي مطلع الفجر، تحركت القافلة من مقرّ قيادة بثريزيت، بقيادة السيد عزمي الجاعوني، وكان عزمي يرتدي معطفًا طويلًا، وقبعة من ملابس الشرطة البريطانية، بحيث لا يشك أحد في أنه إنجليزي من قمة رأسه إلى أخمص قدمه. وعزمي فارح القوام، أزرق العينين، أشقر الشعر، وهو يتقن الإنجليزية.

ركب عزمي في المصفحة البريطانية، وتبعته سيارات الشحن الثلاث، يقود كل منها بريطاني من أفراد الشرطة الذين حضروا إلى بثريزيت مع المصفحة⁽²⁷⁰⁾. [...] وقد رافق القافلة عدد من السيارات المحملة بالمسلّحين، لحماية طريقها عندما تجتاز منطقة باب الواد. فسار في المقدمة سيارة تكسي عمومي، يسوقها شخص من الخليل، اسمه سعدو، ومعه عدد من المسلّحين، منهم شخص من طوباس، اسمه أبو اعطير الملقب ببشارة. وسار في سيارة أخرى السيد كامل عريقات، ومعه عدد من المسلّحين. وفي سيارة ثالثة كاتب هذه السطور. مرّت القافلة من رام الله، واتجهت نحو الغرب في طريق رام الله - الرملة، مرورًا بقري بيت عور وبيت نوبا وعمواس فاللطرون. وقد كمنت قوة من المسلّحين عند مفترق اللطرون، وكنت مسؤولًا عنها. وعند مداخل باب الواد، كمنت قوة أخرى، وكان المسؤول عنها السيد

(270) أشارت بعض المصادر الصهيونية إلى أنّ من شارك في الهجوم من البريطانيين كانوا ستة أشخاص. وكما هو مبين أعلاه، أثبت الريمائي أسماء بعضهم، بينما حجب أسماء الآخرين، وهم: إيدي براون، بيتر مارسدن، وسبق لهما المشاركة، كما أكد الريمائي في عملية نسف البالستين بوست، في 1 شباط/فبراير 1948. وكذلك ضباط الشرطة الذين أحضروا معهم عربة مصفّحة، وهم: جورج أنتوني وايت، جورج روس غودفري، آلان ستيفنسون، وهاريسون. ويدافع الريمائي عن دوافع هؤلاء في المشاركة في الهجوم، وينفي أنّ الدافع مادي، وهو ما أسست عليه سردية يا قدس: Lapierre, p. 192. فكتب الريمائي في مقاله في الدستور: «هذا كلام مردود عليه، فلقد قال لي إيدي براون، في أول مقابلة له معي بعد العملية مباشرة، ما يلي بالحرف الواحد: تطايرت الشظايا، ووقعت على بناية فندق الملك داود. وهو يعني بذلك أنّ في العملية انتقالًا لما قام به اليهود بنسف مكاتب سكرتير عام حكومة الانتداب بفندق الملك داود»: الريمائي، «بعد كتاب يا قدس (الحلقة الأخيرة)»، ص 4.

كامل عريقات. وقد صدف أن مرّت قافلة صغيرة يهودية، فلم نعرض سبيلها لأنها كانت متجهة إلى تل أبيب.

الخريطة (2-3) نسف شارع بن يهودا



المصدر: إعداد الباحث، استنادًا إلى خريطة القدس المنجزة في عام 1945، ضمن مشروع Survey of Palestine، بوحدة قياس 1:10,000.

(1) المسجد الأقصى. (2) شارع يافا/القدس. (3) موقع تفجير شارع بن يهودا. (4) باب الخليل/باب يافا. (5) موقع تفجير الوكالة اليهودية. (6) باب العمود.

حدّثني السيد عزمي الجاعوني⁽²⁷¹⁾، قال: «واصلنا سيرنا متجهين إلى

(271) يدافع الريماوي في مقاله عن الجاعوني الذي وُصف في كتاب يا قدس بأنه مريض نفسي، يعالج في المستشفى في القاهرة الآن، فقال: «أما البطل عزمي الجاعوني، فلقد كانت معنوياته مرتفعة، وبقي يعمل مع قوة الجهاد المقدس وفرقة التدمير، إلى أن انتهى به المطاف في مدينة القاهرة، بعد توقيع رودس، شأنه في ذلك شأن عدد من قادة الجهاد المقدس. وقد كان على اتصال بي طيلة عامين قضيناهما في القاهرة. ومع أنه كان يشكو ويتذمر من أشياء كثيرة، إلا أنه كان بصحة جيدة، حتى ألمّ به مرض عضال، فألزمه المستشفى. ومن هنا، تتضح لهجة التشفي التي وصف بها كتاب يا قدس هذا البطل، حينما قال بأنه قام بعملية النسف ليذهب إلى مصحة الأمراض العقلية كذا. ولمرضه أسباب كثيرة، قد يكون من بينها ما قام به من مغامرات، وما لقيه من متاعب وإهمال بعد ذلك، وما أحاط بعائلته المجاهدة من تشرد والده وموته بالمنفى، وغير ذلك»: المرجع نفسه.

القدس، وعند مدخل المدينة الغربي، بالقرب من حيّ روميما، قابلتنا نقطة الحراسة اليهودية، بجانب الحاجز المقام في مدخل الشارع القريب من مستشفى والاخ، فانحنيت بجسمي في اتجاه المسؤول، وأومأت بإبهامي إلى السيارات، وقلت له: «إنّها معي، إنّها تمام». وتمتم الحارس المرافق للمسؤول عن نقطة الحراسة مع أحد سائقي السيارات الإنجليزي: «They are OK». وأشار إلى صاحبه بأن يفتح الحاجز، ففتحه، وسرنا مسرعين إلى شارع بن يهودا، وإلى ساحة صهيون.

وقفت السيارة الأولى على الجانب الأيمن من الشارع، أمام فندق أتلانتيك، وسارت الثانية حوالي خمسين مترًا، ووقفت أمام فندق أمدورسكي وبنية فايلنشك. أما الثالثة، فقد وقفت في مدخل المنعطف المواجه لسينما زيون، أمام عمارة الهستدروت، وكانت المصفحة قد دارت إلى الخلف وعادت لتقف إلى جانب السيارة، فأشعل السائق الفتيل وقفز إلى المصفحة، وسارت بسرعة إلى السيارة الثانية، فأشعل السائق الفتيل وقفز إلى داخل المصفحة كذلك، وهكذا فعل السائق الثالث.»

وأضاف يقول: «عندما وصلنا السيارة الثالثة، وإذ بأحد الحراس اليهود يصيح بأعلى صوته 'عرييم عرييم'، أي العرب العرب»، فأطلق عليه حرس المصفحة النار فأراد قتيلاً⁽²⁷²⁾، >فواصلنا سيرنا مسرعين، وعدنا من نفس الطريق التي سلكنها، وعند وصولنا إلى شارع محنه يهودا، دوى الانفجار، وكانت الساعة السادسة والنصف، وقد كاد من شدته أن يقلب المصفحة بنا، وارتفعت سحب الدخان وسط تعاقب الانفجارات. أما حارس المدخل الغربي، فقد فتح الحاجز وهو مذهول لا يدري ما الذي حدث. والحقيقة أنّ العادة كانت إرسال قافلة أسبوعية بريطانية من تل أبيب إلى القدس، محمّلة ببعض المهملات، ليجري إتلافها في مقرّ المخابرات بالقدس، وهذا ساعد على تغطية العملية ونجاحها، عدا عن الإجراءات الأخرى».

(272) كان الحارس القاتل أحد حراس بنك ديسكونت (Discount Bank).

الصورة (2-8)

شارع بن يهودا، في قلب الأحياء الغربية في القدس لحظة تفجيره



المصدر: أسوشيتد برس، التُقطت بتاريخ 22 شباط/ فبراير 1948، تصوير جيم برينجل.

الصورة (2-9)

مشهد عام لمباني شارع بن يهودا بعد عملية النسف



المصدر: أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، التاريخ المتوقع لالتقاطها 22-25 شباط/ فبراير 1948، المصور مجهول.

ولا أبالغ أنّ هذه كانت أكبر ضربة أصابت اليهود في حرب فلسطين، سواءً في خسارتهم المادية أو المعنوية أو عدد القتلى، فقد بلغت الألوف، والبنائات

ذات الأربع طوابق خرّت على من فيها. وبقيت النيران والدخان تتصاعد أسبوعًا كاملًا، وامتدت حتى شملت جميع المنطقة اليهودية⁽²⁷³⁾. وقد بلغ من شدة الانفجار أن تكسّرت النوافذ في جميع أنحاء مدينة القدس. وفي رام الله، انطفأت الأضوية. وحتى سكان بئرزيت، على بُعد اثنين وثلاثين كيلومترًا، كان الانفجار زلزالًا قويًا في القرية.

أما اليهود، فقد هالتهم الضربة، وحملوا الأعلام البيضاء، وساروا إلى الأحياء العربية للاستسلام، وكانوا كلما [يلاقون] رجال الهاغاناه يبصقون عليهم ويشتمونهم. وتزعزع مركز القيادة اليهودية تمامًا، ولم تستطع قوات الهاغاناه تفريق المتظاهرين، إلا بعد استعمال نيران الأسلحة⁽²⁷⁴⁾. والحق أنّها كانت ضربة ما بعدها ضربة، فقد حطّمت معنويات الشعب اليهودي وأوصلتها إلى الحضيض، وهبّ يهود العالم ليكون لِمَا حلّ بيهود القدس، ويرقّون لحالهم. وما زالت القيادة اليهودية لتاريخنا هذا تعاني أزمة هذه الضربة القاضية⁽²⁷⁵⁾.

(273) وفقًا لميلشتاين، شمل الدمار المباشر تدمير أربعة مباني، وتحطمت مبانٍ في دائرة نصف قطرها يزيد على نصف ميل، وُرُفِعَ من تحت الأنقاض 52 جثة، وأصيب 38 شخصًا آخرون، توفي منهم ستة متأثرين بجراحهم. يُنظر: Milstein, vol. 3, p. 111. مقارنةً بـ: «64 قتيلًا، و200 جريح، وكثيرون تحت الأنقاض، وخسارة مليون جنيه بحادث نسف بن يهودا بالقدس»، الدفاع، 1948/2/23، ص 1. أما صحيفة فلسطين، فتنقل عن البيان الرسمي للحكومة الاستعمارية سقوط 54 قتيلًا، و20 مفقودًا، و61 جريحًا في المستشفيات، و140 غادروها بعد العلاج: «275 قتيلًا وجريحًا يهوديًا في حادث نسف شارع بن يهودا بالقدس»، فلسطين، 1948/2/25، ص 1.

(274) لا تشير أي من المصادر المعاصرة للحدث، أي لمثل هذه التظاهرات التي خرجت معلنة الاستسلام، خصوصًا وأنّ معظم القراءات الصهيونية الأولية للحدث كانت تنسب إلى الجيش البريطاني، أو إلى بعض عناصره، واستبعدت مسؤولية قوة الجهاد المقدس عنه، لهذا توجه الغضب الصهيوني بشكل أساسي ضدّ الجنود البريطانيين، فقتل عدد منهم خلال الساعات التالية للهجوم على يد مختلف المنظمات الصهيونية. يُنظر: Tauber, Military, p. 262.

أما التظاهرات التي تتحدث عنها المصادر الصهيونية، فكانت تجمعات توجهت إلى مكان الهجوم، ورفضت السماح للبريطانيين بالدخول إلى المنطقة لرفع الأنقاض، وأعاقت عمليات الإخلاء التي أشرفت عليها قوات الهاغاناه في القدس، ففرّقت هذه التجمعات بالقوة وفقًا لهذه الرواية. يُنظر: Milstein, vol. 3, pp. 111-113.

(275) تعددت مستويات تأثير هذا الهجوم، فأولًا كان ضربة للجهد الأمني للهاغاناه، وإثباتًا لفشل مخابراتها التي كان لديها، كما تؤسّر المصادر الوثائقية، بعض المعلومات الأولية عن استعدادات =

تفاصيل نسف الوكالة اليهودية من أنطون داود: أنطون جميل داود، مولود [في] بوغوتا، عاصمة كولومبيا، أميركا اللاتينية الجنوبية، سنة 1909. أتم دراسته الثانوية في مدرسة بوغوتا، والتحق في كلية سانت جونس [.....]، القسم التجاري، وتخرّج منها سنة 1930، والتحق بجيش أميركا الوسطى (Guatemala). حصل على رتبة ملازم أول. [.....] تمكّن من تأسيس شركة الطيران المدني المسماة تاكا [TACA Airlines]، بالتعاون مع الدكتور باونس

= قوة الجهاد المقدس لمثل هذا الهجوم. وكان تأثير هذا الفشل مضاعفًا، كونه الهجوم الثاني، إذ أتى بعد أيام قليلة من هجوم البالستين بوست، وسيضاعف هذا الفشل بعد نجاح الهجوم الكبير التالي بنسف الوكالة اليهودية. وثانيًا، كون هذا الهجوم أربك صانع القرار الصهيوني، فالقناعة الأولية التي تولدت لدى الحركة الصهيونية كانت أنّ هذا الهجوم من تنفيذ الجيش البريطاني أو بعض ضباطه، وانعكس ذلك مزيدًا من التوتر على العلاقات الثنائية بين الحركة الصهيونية والحكومة الاستعمارية في فلسطين. وتعكسه بعض مراسلات المندوب السامي التي يدافع فيها عن قواته، ويتهم الحركة الصهيونية بادعاء النقاء والاستعجال في الاتهام. وثالثًا، الأثر الدولي لهذا الهجوم والهجمات التالية، خصوصًا في التأثير اللحظي في موقف الولايات المتحدة الأميركية من قرار التقسيم، إذ أكد الهجوم والهجمات التالية وجود مقاومة عربية شديدة لمشروع التقسيم، واستحالة تنفيذ المشروع، وعزّز وجهة نظر الخارجية الأميركية. وكان لهذا القرار أثر لحظي إيجابي في صفوف العرب، وسلب في صفوف الحركة الصهيونية وقادتها، كما بيّن في موضع آخر من هذا الكتاب. ويُنظر نماذج لتغطيات الصحف الصهيونية للحدث الذي أفرد له ما لم يُفرد من قبل من مساحات، وإبراز في تغطيات الصحف الصهيونية لأي من حوادث الحرب ومعاركها: «قتل جماعي في مركز القدس اليهودية»، دفار [بالعبرية]، 23/2/1948، ص 1؛ «نصف شارع بن يهودا أجلي»، معاريف [بالعبرية]، 23/2/1948، ص 1؛ «الانفجار المروّع كما ترويه الصحف اليهودية، هول الحادث يماثل أشد الغارات على لندن أيام الحرب»، الدفاع، 23/2/1948، ص 1؛ «تعليقات الصحف اليهودية على حادث القدس: السلاح الذي استعملته عصابات الإرهاب للغدر تذوق مرارته في الصميم»، الدفاع، 24/2/1948، ص 1. وأصدرت القيادة العامة للجهاد المقدس بيانًا جاء فيه: «قامت مفرزة من فرقة المغاوير بنسف شارع بن يهودا بالقدس، جوابًا وتأييدًا على الجريمة التي ارتكبتها اليهود في مدينة الرملة. وإننا ننذر اليهود بأنهم إن لم يرتدعوا عن أعمال الغدر والفتك بالأبرياء، فستقابلهم بأعمال لا هوادة فيها ولا رحمة. إنّ تمادي المجرمين اليهود بهذه الأساليب من الغدر وسفك دماء الأبرياء سيجرّ الضرر على الشعب اليهودي، وعلى نفسها جنت براقش، والشرف للبشر، والبادي أظلم، وإن عدتم عدنا»: الدفاع، 24/2/1948، ص 1.

(276) ما أدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 7. وما وضع بين [.....] فإنّه إشارة إلى مواضع عبارات لم يستطع المحقق قراءتها.

الأميركي، وجيمس ويلزيات، والطيار الأسترالي يركس [Lowell Yerex]. [.....] ولما سمع بنشوب حرب بين كولومبيا، مسقط رأسه، وبيرو، اتجه إلى كولومبيا للاشتراك في الحرب، إلا أنه ما وصل إليها حتى كانت الحرب قد وضعت أوزارها، سنة 1933. واتجه بعدها عن طريق البحر إلى فرنسا، وبقي فيها عند أقاربه آل جاسر سنة كاملة.

ومن هناك، عاد لبلدته ومسقط رأس آبائه وجدوده بيت لحم، مارًا بمرسيليا، حيث تمكّن من التعرّف على عدد من اليهود، وبواسطة تخفيّه على أنه يهودي، تمكّن من الهجرة إلى فلسطين، بدون جواز سفر فلسطيني. ولما حضر الموظف البريطاني المسؤول عن التحقيق في جوازات السفر في ميناء حيفا، وطلب منه جواز السفر، أبلغه [أنّه] يهودي، فقال: «امشي مع جماعتك حاليًا»، ولم يحاول إعاقته، وسهّل نزوله إلى البر. وقد استضافه مرافقوه اليهود إلى تل أبيب، حيث حلّ في بيت يقع في 75 شارع النبي في تل أبيب، حلّ فيها أسبوعًا، وطافوا به جميع أنحاء تل أبيب، حيث تعرّف عليها. وبعد ذلك، طلب الذهاب بزيارة للقدس وبيت لحم والناصرة، فقالوا له إنّ هؤلاء عرب وقطّاع طرق.

= وتتناقض التفاصيل المقدّمة هنا، والتي ينسبها الريماوي إلى أظنون داود، مع تقرير لجنة التحقيق الصهيونية في الهجوم، حيث تؤسس سرديّة لجنة التحقيق على أنّ داود كان عميلًا مزدوجًا، وفي التفاصيل بأنّه تواصل قبل أسبوعين من التفجير مع أحد أعضاء جهاز مخابرات الهاغاناه لإيصاله بالجهاز، من أجل تقديم معلومات ضدّ العرب، بخصوص تنفيذ هجوم بالمتفجرات، لرغبته في جمع المال والهجرة من جديد. فتعاون معه الصهيونية، على أن يساعدهم في شراء أسلحة من العرب. زوّد داود الصهيونية في أول الأمر بمسدسات، ومن ثمّ طلب منه السعي لشراء رشاش برن. تقرر أن يُحضر داود الرشاش صباح 11 آذار/ مارس 1948، وأعطى الحرس أوامر بالسماح له بدخول فناء مبنى الوكالة اليهودية، من أجل إتمام صفقة الشراء وتسليم الرشاش. بعد أن أوقف داود السيارة أمام مبنى الصندوق التأسيسي (الكيرين هايسود)، غادره لادعائه بأنّه سيُحضر سلاحًا إضافيًا من ابن عمه، ليحدث التفجير. ووفقًا للمصادر الصهيونية، فإنّ عملية تفخيخ السيارة تمت بين التاسعة والتاسعة والنصف، إذ غادرت السيارة من القنصلية الساعة التاسعة، ووصلت إلى مبنى الوكالة بحدود التاسعة والنصف. وإضافة إلى ذلك، فإنّ المصادر الصهيونية لا تتحدث عن أي اشتباكات قبل التفجير، كما يسرد داود. يُنظر مختصرًا لتقرير لجنة التحقيق في: شابيرا، دافيد، ص 103-105؛ سلوتسكي، مج 2، ص 1397؛ بن غوريون، مج 1، ص 292؛ Milstein, vol. 3, pp. 113-118. ويمكن المقارنة بتقرير الحكومة الاستعمارية في: Tauber, *Military*, pp. 283-284. وعربيًا، يُقارن ب: العارف، مج 1، ص 124-126؛ أبو غربية، في خضم، ص 197.

وبعدها، توجه إلى يافا، تاركًا ملبسه في تل أبيب. ومن يافا، انتقل إلى القدس في سيارة، واتجه إلى باب الخليل، في طريقه إلى بيت لحم. ولما وصل بيت لحم، توجه فورًا إلى بيته، وبقي في بيت لحم، وأخذ يتنقل في جميع أنحاء المدن في فلسطين. وعند وصوله حيفا، كانت قد بدأت ثورة 1936. ولما لم يكن يتقن اللغة العربية تمامًا، خشي من الالتحاق بالثورة، مع تشوقه وحبه

= وعلى الرغم من خطورة الهجوم واستثنائيته، وتأسسه على اختراق كبير لمخابرات الهاغاناه، فإنه لم يأخذ ما يستحق في المصادر الصهيونية المختلفة. ووفقًا لميلشتاين الذي اعتبر في نصوص متأخرة أنّ هذا الهجوم كان من الممكن أن يؤدي إلى منع إقامة إسرائيل، حال نجاحه بقتل دافيد بن غوريون الذي كان مكتبه في مركز التفجير، فإنّ قادة الهاغاناه في القدس، المتورطين في هذا الفعل، تسلّموا مناصب رفيعة، واستغل بعضهم نفوذه للمصادر التاريخية من أجل حذف ما يمكن أن يسيء إلى شخصهم، ولطّي هذه الصفحة السوداء من تاريخهم. ويبرز ميلشتاين في هذا السياق فعل يتسحاق ليفي الذي كان يشغل مسؤولية جهاز مخابرات الهاغاناه في القدس لحظة التفجير، حيث استغل اندماجه مع قسم تاريخ الجيش الصهيوني، من أجل تدمير جميع الوثائق التي تكشف عيوبه: «أوري ميلشتاين، «بن غوريون نجا بأعجوبة» [بالعبرية]، News 1، 2016/5/13، شوهد في 2016/5/20، في: <https://bit.ly/32H6sC5>

عربيًا، تتقاطع التفاصيل الصهيونية جزئيًا مع شهادة فوزي القطب عن العملية، إذ يشير القطب في مذكراته التي سجلها صوتيًا قبل وفاته، وتستصدر قريبًا عن دار رثيال في القدس، وقد أذنوا مشكورين باستخدامها، بأنّ عبد القادر الحسيني طلب منه، بعد نصف شارع بن يهودا، البحث في إمكانية نسف مقرّ الوكالة اليهودية، فوافق القطب، مشرطًا توفير بعض الدعم المادي المحدود جدًا، من أجل تصنيع صندوق حديدي للمتفجرات يسمح بالتحكم في مسار انفجار السيارة المفخخة، لتحقيق الغرض المطلوب بكمية المتفجرات المتوفرة. ولتحقيق ذلك، استعان القطب بدعم مادي من أحد أقارب عبد القادر الحسيني الصحافيين، بناءً على توصية عبد القادر، أغلب الظن أنه إسحاق عبد السلام الحسيني. استفسر القطب من الصحافي عن وجود سائق عربي في إحدى السفارات الأجنبية، وإن كان ممكنًا إحضاره للاجتماع به. فأحضر الصحافي السائق، أي أنطون داود، إلى منزل المجاهد عادل شرف، ودار بينهما الحوار الآتي: «قلت [أي فوزي القطب] للسائق: أنت كعربي، ألم تفرح من عملية بني يهودا، ومن كل هذه الحوادث الكبيرة ضدّ اليهود؟». قال: «نعم كبيرة كانت فرحتنا وسرورنا، ولكن كنا نتمنى أن تكون من فعل العرب، ونحن سمعنا أنّ من نفذها إنجليز». قلت له: «لا يوجد إصبع أجنبي واحد. وهذا من عمل المخلصين أمثالك. إذا أثبتّ لك أنها من عمل العرب، وكلفتك بمهمة، فهل أنت أمين عليها؟ وخذ من النقود ما تريد». قال: «إذا أعطيتموني ألف جنيه، وأمنتم سفر أهلي للخارج، وتضمن عودتي بسلامة، وأكدت لي هذا، فسأقوم بها». ويضيف القطب بأنه وجّه إليه استفسارًا إذا ما سبق لضباط الوكالة أن سألوه عن إمكانية شرائه لأسلحة من العرب، فأجاب بنعم. ويضيف القطب بأنّ عملية التفخيخ تمت في المنزل ذاته، واتفق على أن يذهب داود بالسيارة إلى الوكالة، ويتسلّم منهم ألفي جنيه، ثمن الأسلحة الموجودة فيها، وأنّ هذا ما حصل، إذ وضع داود السيارة جاعلاً مؤخرتها باتجاه المبنى، لتنفجر وفقًا للمخطط المعد من القطب، وتسلّم المال، وغادر بسيارة ثانية كانت بانتظاره.

لإنقاذ بلاد أجداده، وحبه للحرب. لذلك، آثر أن يخدم بلاده عن طريق التحاقه بالبوليس الفلسطيني، فتطوَّع في البوليس الفلسطيني سنة 1936. نُقل بعدها إلى مركز بوليس زمارين [زخرون يعقوف]، وهناك أخذ يعمل بحريّة لصالح بلاده، مستغلًّا مركزه الرسمي.

وفي أحد الأيام، أطلق النار على يهودي فقتله، بالقرب من زمارين، وأراد اليهود الانتقام من القرية العربية المجاورة (فُريديس)، فطوّقوا بالليل العمّال، وألقوا القبض على رئيس العمال، وهو من المجاهدين، ويُدعى مصطفى، وقد وضع اليهود مسدسًا في جيبه، وسلّموه لمركز بوليس زخرون [يعقوف]، فلمّا عرف أنطون [داود] ذلك، ذهب إلى مكتب الأحوال، وتمكّن من الحصول على المسدس فأتلفه من الداخل، حتى أصبح غير قابل للاستعمال، وأعاد المسدس إلى الخزانة، وسجّل نوع المسدس على علبه سجائره، وأبلغ المتهم بضرورة إنكار المسدس، واتصل بأهله ليطلبوه للشهادة، ولمّا قدم مصطفى المذكور للمحكمة العسكرية، وشهد عليه ضابط المركز اليهودي، وسبعة من البوليس اليهودي، تقدّم أنطون فشهد بأنّ الضابط اليهودي قد أحضر له المسدس المبرز في المحكمة قبل ثلاثة أيام من تاريخ إلقاء القبض على مصطفى، وطلب إليه تعميمه، بصفته خبيرًا في الأسلحة. وللتأكيد، وضع عليه علامات خاصة من الداخل، ولمّا تأكّد من عدم صلاحيته أعاده إليه، وقال إنّ المتهم مسلم وأنا مسيحي من كولومبيا، ولا توجد له بي علاقة أو معرفة. وهكذا، كُتبت النجاة للمتعم الذي كان سيُشنق حتمًا، على يد هذا الرجل الشهم الذي وفقه الله لإنقاذه.

وحدث أن ذهب قوة من البوليس لتفتيش بيت أحد المجاهدين في القطمون، وذهب معهم أنطون [داود]، فلمّا ذهب الضابط لإحضار المختار لتفتيش البيت، انسلّ أنطون إلى صاحب البيت بسرعة خاطفة وأعلمه الخبر، وأخذ بندقيته التي كانت في البيت، ودفنها بعيدًا. ولمّا حضر الضابط وأمر بتفتيش البيت، لم يُعثَر على شيء. وهكذا، كُتبت النجاة من جديد لعائلة كبيرة بفضل جهوده. [ولمّا شكّت السلطات في أمره، أوقفته] عن العمل، بتهمة مساعدة المجاهدين، فانتقل في هذه الأثناء؛ ذهب لبيروت ودمشق، بعد أن حصل على مضبطة من قضاء عكا [لثقت فيه] قيادة المجاهدين.

وبعد حين، اتصل بأبي إبراهيم الكبير [خليل محمد عيسى] في قرية اليامون. وبقي مجاهدًا من سنة 1937 إلى سنة 1938، ومنها عاد إلى بيت لحم، حيث أسس النادي الرياضي الثقافي سنة 1938، وكان رئيسًا له. ولمّا أُعلنت الحرب العالمية سنة 1939، تطوَّع أنطون في الجيش البريطاني في صرفند، [...] وترك الخدمة سنة 1941.

[.....] اتصل، بواسطة جماعة من جمعية الشبان المسيحية، في قنصلية أميركا، حيث اشتغل عام 1947 في قسم التأشيرات، فتعرّف على أسرار القنصلية الأميركية، [إذ] دفعه حب الاستطلاع إلى مطالعة البرقيات والاستماع للمكالمات الهاتفية. كما تعرّف على فتاتين، إحداهما من الأرغون/ [الإيتسل]، والثانية من الهاغاناه، فعرف من خلال ذلك أنّ جميع قوى اليهود المدنية والعسكرية تحت إمرة الوكالة اليهودية، ولا صحة لما يُشاع عن اختلافها مع بعض المنظمات. وكان الميجر [أنجرونوفيتش] ملحقًا عسكريًا بالقنصلية الأميركية بالقدس، وقد علمت أنه على اتصال دائم بالوكالة اليهودية، هو وامرأته فيكي، وهي تسكن حيّ القطمون العربي.

وأذكر أنه في ليلة من الليالي، أقام [الميجر] المذكور حفلة ساهرة في بيته في القطمون، دعا إليها عددًا من الشخصيات [...]. فتسللت متخفيًا بجانب صخور تطل على الدار المذكورة. وفي هذه الأثناء، حضرت سيارة صغيرة، وفيها عدد من رجال الوكالة اليهودية، من الذين يترددون على القنصلية، نزل [أحدهم] وأطلق صفييرًا، فخرج على الأثر الميجر المذكور، و[قابه] وسلّم [عليه]، وسلّمه آخر أشياء لم أتبيّن حقيقتها. وبعد نصف ساعة، انفجر لغم كبير في القدس. [.....] لا بد من هدم الوكالة اليهودية، لأنّها مصدر الجرائم الرئيسية، ولا فائدة بدون تدميرها ودكّها من أساسها. ومن هنا، قررت العزم على تنفيذ هذا الأمر، ولو كلفني أعزّ ما أملك من حياة أو مال، ورسمت خطتي، وهي كما يلي:

عرفت، بفضل وجودي في القنصلية، وبطريقة سرية، أنّ ضابطين من أعظم الشخصيات البارزة في الوكالة، وأحد أعضاء الوكالة اليهودية، [...] [قادمان] إلى القنصلية الأميركية، صباح اليوم الثاني السبت، في تمام الساعة العاشرة. حيث

توجهت إلى عاملة التلفون اليهودية المسماة فكتوريا، وهي يهودية، وقلت لها: «إنَّ غدًا السبت، وأنت امرأة لكِ أولاد، وأنا أريد أن أعمل مكانك لتقضي عيد السبت مع أهلك وعائلتك». فسرت سرورًا عظيمًا لذلك، وقالت لا مانع عندي إن وافق القنصل. فأبلغتها بأني سأكلم القنصل أمامها. قلت للقنصل: «إنَّ هذه السيدة خجلانة منك لغيابها يومين في الأسبوع الماضي، وابنها مريض، وأنا مستعد أن أشتغل مكانها غدًا». فوافق القنصل، وقدر شعوري نحوها، وإنسانيته في ذلك، رفة بها وبابنها المريض. ومن شدة سروره وتقديره للمساعدة الإنسانية التي تبرعت بها، وعد بإعطائي إجازة يومين مقابل ذلك الشعور. فقالت: «كيف أستطيع مكافأتك يا أنطون؟». فقلت لها: «يكفي أن تعرفي أن العرب عندهم شهامة، ولا يمنعهم أعمالكم معهم عن بذل المعونة لكم».

وبقيت تلك الليلة في القنصلية، ولمّا سألني القنصل ما هو سبب تأخري حتى ساعة متأخرة في الليل، أجبته أنني لا أتمكّن من الذهاب إلى بيتي في بيت لحم لبعده، ولأنني لا أستطيع أن أترك التليفون. ورسمت الخطة لأنفذها صباح اليوم التالي، وذهبت لأنام. وأما الخطة فهي:

في الساعة الثامنة من صباح يوم السبت، صعدت إلى غرفة القنصل، وكانت خالية من الرجال، فرفعت سماعة التلفون، وكنت مستحضراً لبأناً من جنس نستلة (أميركي)، ووضعتها بين السماعة ونقطة ارتكازها على جسم التلفون، ووضعت بينهما علبة كبريت، لتفصل بين السماعة والجسم، وبفضل ذلك بقي التلفون مفتوحاً، بالرغم من أنه مقفل، وبفضل هذه العملية أصبح في إمكاني من مكتب التوزيع الهاتفي، أن استمع إلى كل ما يدور في غرفة القنصل. وفي تمام الساعة العاشرة، ولمّا حضر مندوبو الوكالة اليهودية، [...] تمكّنت من الاستماع إلى جميع الأحاديث التي دارت بينهم وبين القنصل في غرفته، ومنها استطعت معرفة الأسرار التالية:

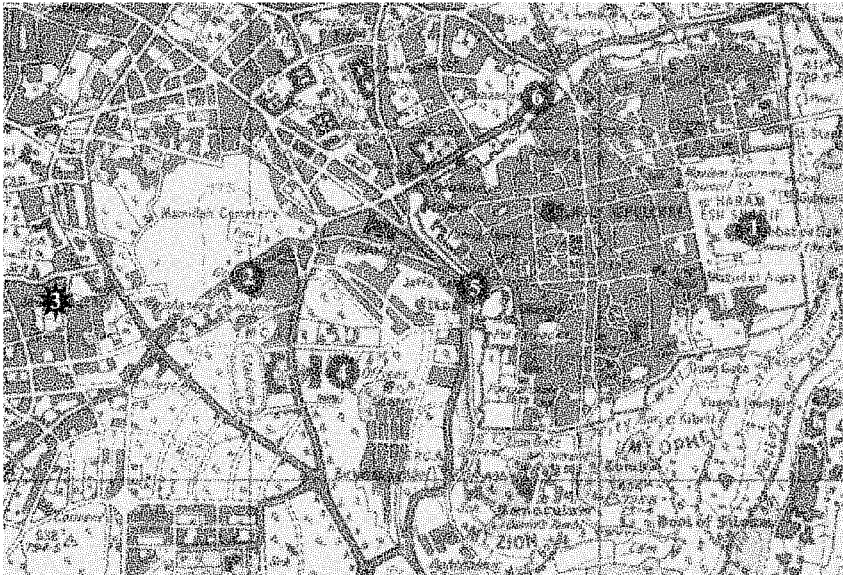
إنَّ من بين الحاضرين ضابطين من كبار ضباط الجيش الأميركي اليهود، وهما ينويان تأليف قوى الميليشيا اليهودية، وإنهم سيعقدون يوم الخميس الموافق [11 آذار/ مارس 1948]، اجتماعاً في تمام الساعة العاشرة في دار الوكالة

اليهودية. وكان هؤلاء يقطنون في فندق عدن بالقدس، وقد عرفت بعد ذلك أنّ الميجور المذكور، الملحق بالسفارة الأميركية، يتردد كثيرًا على فندق عدن.

رسمت الخطة، وعملت الترتيبات لتنفيذ هذا الأمر، وفي الحال اتصلت بعبد القادر [الحسيني]، لتتميم هذه العملية بالألغام. وفي صباح يوم الخميس، ودّعت زوجتي وأولادي الوداع الذي كنت أعتقد أنه الأخير، وذهبت لمكان عملي في القنصلية كالمعتاد، فغافلت موظفي القنصلية، وأخذت السيارة في تمام الساعة [التاسعة إلا ربعًا صباحًا]، وذهبت حيث وضعت اللغم فيها، في المدينة القديمة. وفي تمام الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة، توجهت نحو هدفي المنشود الذي كثيرًا ما [زرته]، ورسمت الخطة التالية:

الخريطة (2-4)

نسف مكاتب الوكالة اليهودية



المصدر: إعداد الباحث، استنادًا إلى خريطة القدس المنجزة في عام 1945، ضمن مشروع Survey of Palestine، بوحدة قياس 1:10,000.

(1) المسجد الأقصى. (2) مكاتب الحكومة الاستعمارية البريطانية. (3) موقع التفجير. (4) فندق الملك داود. (5) باب الخليل/باب يافا. (6) باب العمود.

إنني أعرف أنه عليّ أن أجتاز، قبل الوصول إلى الهدف المنشود، حاجزين إنجليزين، وأربعة حواجز يهودية. وكنت أحمل مسدسين أوتوماتيكين، وأربع علب سجائر أميركي. وصلت لأول حاجز من حواجز المناطق المحظورة التي يتولى حراستها الإنجليز. حيّت الحارس بالإنجليزية، وقدمت له سيجارة أميركية، فقال شكرًا. وهكذا، اجتزت الحاجز الأول والحاجز الثاني بنفس الطريقة تمامًا. وعند وصولي أول حاجز لهاغاناه، في شارع الملك جورج، حضر إليّ الضابط المسؤول وأربعة حراس من الهاغاناه، الموكول إليهم أمر الحراسة، فكلمني بالعبرية، فقلت له: «إنني أعرف قليلاً. تكلم معي بالإسبانيولي أو الإنجليزي». فسألني: «إلى أين أنت ذاهب». قلت له: «أليس لديك تعليمات أتّي ذاهب إلى القنصلية الأميركية لإحضار الشخصين العسكريين، من غرفة رقم 14 في فندق عدن، إلى الوكالة اليهودية؟». فلمّا سمع ذلك، قال: «أهلاً بك، تفضل». فقلت له: «شكرًا». وقدمت لكل واحد منهم سيجارتين أميركيتين. واجتزت الحاجز الثاني بنفس الطريقة الأولى، برباطة جأش أكثر من الأولى، لأنني أيقنت أنّ أمامي هدفي، ومن ورائي ومن حوالي الموت المحقق.

وهكذا، اجتزت الحاجزين الأول والثاني. وبعد أن دُرت الدوّار، وقفت أمام فندق عدن، واشترت جريدة الباليستين بوست، وأخذت أقرأها وأنا في السيارة، كأنني أنتظر قدوم أحد الأشخاص، وفي هذه الفترة، ضبطت ساعة توقيت الانفجار، ووضعتها على العشر دقائق، وعدت إلى دار الوكالة من حيث أتيت. وقفت أمام الحاجز الأول الذي اجتزته، فقال لي المسؤول عن الحرس: «أين [الضابطان اللذان] ستحضرهما؟». فقلت له: «لقد أجملا الموعد إلى الساعة الحادية عشرة والنصف، فأنا بدلاً من الانتظار الطويل سأذهب لأتناول قطعة من الساندويش لأكلها». فاعتلى وجهه علامة التصديق، وناولته سيجارة أخرى، وكنت أكلهمم بالإنجليزية. وسرت في طريقي إلى القنصلية الأميركية، عن طريق شارع الملك جورج، مارًا بالوكالة اليهودية، وقبل وصولي الوكالة، وقفت أمام الحاجز الثاني، وهو حصين وكبير. كلمته بالإسبانيولية، وهي اللغة المحبوبة لدي اليهود الإسبانيول،

فأبلغته أنّ الشخصين تأخّرا للحادية عشرة والنصف، وقدمت له علبة سجائر أميركية، فقال لي: «عندما تعود يجب أن تحسب حسابك أن تقضي بعض الوقت معي لتتحدث بالأوضاع الحاضرة، فأنا أتشوّق للتحدث باللغة بالإسبانية».

ومن هنا، تقدّمت إلى ساحة الوكالة اليهودية، وكانت الساحة محاطة بشريط كهربائي على شكل دائرة، وقد وُضعت براميل مملوءة [...] على مفرق المدخل، وتدلّى من البكرة [سلكان كهربائيان]، وصُبّ حديد وأربعة براميل، وفي مؤخرة البكرة يوجد جرس كهربائي، إن صُغِط عليه حصل تيار كهربائي قوي يدفع البراميل إلى الأمام مسافة كبيرة تحطم أية قوة تقف أمامها، مهما كان ثقلها، وهذه الترتيبات للحيلولة دون اقتحام باب الوكالة بقوة. وبعيد هذا الحاجز عن الحاجز الأول حوالي خمسين متراً، فلمّا قربت من الطريق الموصلة إلى الوكالة، عرّجت عليها، وتقدّمت نحو باب الحاجز الموصول إليها، فما كان من المسؤول من باب الحاجز إلا أنّ فتحه على مصراعيه، لاعتقاده أنني أحمل القوادم معي في سيارة القنصلية للاجتماع.

[ولم يمضِ وقت إلا] وأنا قد اجتزت الحواجز كلها، قادماً من قلب المنطقة اليهودية، فطار قلبي لذلك. وعندما وصلت الساحة، وشاهد الحارس أنه لا يوجد أحد داخل السيارة سواي، صرخ الحارس قائلاً «عربي عربي». فأسرعت في الحال، وأدرت محرك السيارة، وانتبهت إلى الحائط الذي تقع فيه مكاتب الكيرن كاييمت⁽²⁷⁷⁾، ومكاتب الملة اليهودية، ومركز المالية، وقربت السيارة إليه، وكنت أعلم أنّ اللغم الذي تحتي قد أوشك أن ينفجر، لأنني وقتّه في ردهة فندق عدن على عشر دقائق، فقضيت نصفها على أقل تقدير في الطريق، نزلت بسرعة من السيارة، وأقفلت الباب بمفتاح السويتش،

(277) وفقاً لمصادر الحكومة الاستعمارية، وللمصادر الصهيونية المشار إليها أعلاه، فإنّ السيارة رُكّنت إلى جوار مبنى الصندوق التأسيسي (الكيرين هايسود). ويشير ميلشتاين إلى أنها رُكّنت أسفل جناح رئيس الوكالة اليهودية دافيد بن غوريون مباشرة. وكان تأثير التفجير المباشر على مبنى الصندوق التأسيسي، أما آثاره فطالت جميع المباني في المنطقة.

ورميت المفتاح بعيدًا كي لا يتمكن اليهود من فتح السيارة ورفع الألغام إن قبضوا عليّ.

وعلى إثر صيحات الحارس «عربي عربي»، هجم عدد كبير من قوات الهاغاناه من الداخل والخارج نحوي، فألقيت القنبلة الأولى عليهم، وكنت أحمل قنبلتي ملز، [ألقيت الأولى] فلم تنفجر، ألقى الثانية فلم تنفجر، وعندها استللت المسدسين الأوتوماتيكيين اللذين أحملهما، ووضعت السيارة خلفي للدفاع عنها وعنّي. وفي هذه الأثناء، شاهدت مصفحة للهاغاناه تقف على بُعد خمسة أمتار منّي، على شمال الشريط الموصل إلى شارع الملك جورج، ولا أحد فيها. عندها، وجّه إليّ الحرس المقيم على الزاوية الشمالية من الوكالة صليّة رشاش، فأطلقت عليه طلقتين من المسدسات التي أحملها، فأصابته إحداهما، فسقط على أكياس الرمل التي أمامه، وعندئذ قفز أحد قادة الهاغاناه إلى سيارة تقف بجانب المصفحة، وأخذ يشهر مسدسًا من نوع شتاير، فحالما شاهدته أطلقت عليه الرصاص من المسدس الذي أحمله، فأصوبته، وخرّ صريعًا، وارتدى تحت قدمي مضرجًا بدمائه، وعندها أطلق أحد حاملي رشاش هوتشكس النار تجاهي، من البناية المقابلة لعمارة الوكالة، صليتين من الرصاص، ولم يتمكن من مواصلة الإطلاق خشية أن يصيب رجالهم الذين احتشدوا في الساحة.

وتقدّمت نحوهم خشية انفرادي لأكون هدفًا لهم، وكانت مصفحة الهاغاناه تحميني من اليمين، وفي هذه الأثناء، سمعت حركة تصويب مسدس، وإذا بأحد الضباط الهاغاناه مهرولاً من درج الوكالة من الجهة اليسرى، ففي الحال أطلقت الرصاص عليه من المسدس الأوتوماتيكي الذي أحمله، فارتدى على وجهه، ووقع منه المسدس، فخرجت منه طلقتان أصابت بعض اليهود المتقدّمين إليّ. ولمّا لاحظت أنّ قوة الخصم قد زادت من الجهة اليسرى، شعرت بالدقائق تنقضي، وعرفت أنّ اللغم سيثور حتمًا بعد دقيقة، حسب ساعتني، ففي الحال، ألقى بنفسني على الأرض، وقلبت وجهي حتى أصبحت تحت المصفحة اليهودية، وبسرعة فائقة تدرجت من تحت المصفحة، حتى وصلت على حافة الساحة، حيث تؤدي إلى الشارع العام، وما أن وصلت حتى

رأيت نفسي أترنح يمينة ويسرة، وشعرت أنني أكاد أطير في الهواء، كان اللغم قد انفجر، فطير العمارة وجميع من حولها من الاستحكامات وأكياس الرمل التي أمامها في مدخل المنطقة المحظورة⁽²⁷⁸⁾.

وما أن تماكنت شعوري واستويت على قدمي، حتى رأيت سيارة خضراء يهودية تقف، وكان سائقها مندهشاً من الانفجار، وكان إلى جانبي، فقفزت إلى جناح السيارة ويدي المسدس، فضربت السائق على رأسه، وأمسكت بمقود السيارة، فكان نصفه في السيارة والنصف الآخر في الفضاء، وسرت حتى وصلت الترانسطة، وعندها ضرب زامور خطر المرور على السيارات، فتركت السيارة، وقد وجدت بجانب السائق «بكيّتاً» ملفوفاً فأخذته معي، وسرت إلى جانب الطريق، حيث مررت بشجر الزيتون الذي يقع على مسيرة الطريق، ووصلت كراج يملكه عربي. كل ذلك داخل المنطقة المحظورة التي يتولى حمايتها الإنجليز.

في الكراج، حشوت المسدسين اللذين أحملهما، وجهزت نفسي لمغادرة مدخل المنطقة المحظورة التي يتولى حراستها الإنجليز، وكان يحميه ثلاثة

(278) يُنظر، وصفاً لعملية التفجير، في: Tauber, *Military*, pp. 283-284. مقارناً بـ: «لقد تخيلت وكالتهم ثم خالت، وها هي ذي، من قبل أن تهوي سراعاً، قد تهاوت»، فلسطين، 12/3/1948، ص 1؛ «المصادر اليهودية تتحدث عن تفاصيل الحادث، واجتياز سيارة يرفرف عليها العلم الأميركي حواجز الهاغاناه، ووصولها إلى قلب مقر القيادة الصهيونية»، فلسطين، 12/3/1948، ص 1؛ «عمارة الوكالة اليهودية، حصن الإرهاب الرئيسي، تهاوى على من فيها بحادث نسف جريء، ومقتل 12 وإصابة 89»، الدفاع، 12/3/1948، ص 1؛ «الحادث الجريء كما ترويهِ الصحف اليهودية»، الدفاع، 12/3/1948، ص 1؛ «القنصل الأميركي يقول بأن سيارته سُرقت صباحاً»، معاريف [بالعبرية]، 11/3/1948، ص 1؛ «انفجار في الوكالة اليهودية بالقدس»، دفار [بالعبرية]، 12/3/1948، ص 1؛ «غرفة هرتسل نبي الصهيونية تتهاوى مع كتابها الدولة اليهودية: معلومات أخرى مهمة عن نسف وتدمير مكاتب الوكالة اليهودية في القدس»، فلسطين، 13/3/1948، ص 1.

وتختلف المصادر في عدد القتلى والجرحى، فأشار تقرير الحكومة الاستعمارية، الصادر في 12 آذار/ مارس إلى مقتل 13، وجرح 33 بجروح خطيرة، و51 بجروح طفيفة. يُنظر: Tauber, *Military*, p. 283. وأورد ليفي أنّ عدد القتلى 12، نصفهم من الهاغاناه، والجرحى 44، منهم 10 من الهاغاناه: ليفي، ص 443. أما أوراق شلتنيل، فتحدثت عن 13 قتيلاً، وعشرات الجرحى: شايبرا، دافيد، ص 103. وكان من أبرز القتلى مدير عام الصندوق التأسيسي (الكيرن هايسود) ليفي يفه: «رحل ليفي يفه»، معاريف [بالعبرية]، 11/3/1948، ص 1؛ «ليف يفه»، دفار [بالعبرية]، 12/3/1948، ص 1.

من الإنجليز؛ يحمل أحدهم رشاش برن، و[الآخرون يحملون] الأسلحة الأوتوماتيكية. وصلت إليهم، وقد قررت القضاء عليهم، إن قاموا أو حاولوا التعرّض إليّ، إلا أنني وجدتهم مذعورين من الحادث، وهم يتفرّجون على أعمدة الدخان التي اعتلت إلى السماء. وتقدّمت إلى الجاويش، وقلت له: «لقد نسف الإنجليز عمارة الوكالة اليهودية». فقال لي: «اذهب من هنا حالاً».

وهكذا، تمكّنت من الخروج من المنطقة المحظورة، ومنها إلى الحرم الشريف، ومن هناك، توجهت إلى أريحا، ومن أريحا إلى نابلس، حيث تناولت الكنافة، و[خبر] الحدث قد وصل إلى مكان الكنافة. وقد كان صاحب المطعم يرقص، ويقول: «لو تمكّن شخص من تمكيني من تقبيل أنطون داود وأعطيه مئة جنيه». وقد أخذت هذه العملية بأكملها ثلاثين دقيقة. وبعد أن اشترت كوفية وعقالاً، توجهت إلى سوق الحلاقين، وكان وهو يحلق لي يقطع عن الحلاقة ويقول: «أنطون لا يُقدّر»، ويحدّث الحاضرين عن البطولة، فقلت له: «عليك بالحلاقة يا أخي، ودع أنطون داود»، فغضب وقال: «والله إن ذكرت اسمه مرة أخرى بهذه الصورة لأضرب عنقك»⁽²⁷⁹⁾.

[.....] وقد أشار عليّ بعضهم أن أتجه إلى فوزي القاوقجي، فرفضت بالطبع، وأبلغتهم أنني متوجه إلى المكان الذي أريده لا المكان الذي يريدونه هم. فسرت إلى بئرزيت، لمقابلة عبد القادر في رام الله، حيث قابلت عبد القادر الحسيني في بيت الدكتور سليمان [سليم]، وعندها قدّمت له المئة جنيه التي أخذتها من اليهود، وهي ما كانت في «البكيت» الذي انتزعت من جانب السائق، وكانت ثمناً لبنزين لشركة [...]، وقلت له: «إنّ هذه غنمتها من اليهود، وهي

(279) بعيداً عن دقة هذا الحوار، نقلت صحيفة فلسطين بعض مظاهر الاحتفاء بالهجوم، ووصفته بأنه «ضربة معلم»: فلسطين، 12/3/1948، ص 1. أما الدفاع، فكتبت: «وقد قام بهذا العمل الظافر عربي كان يمطي سيارة أنيقة، تحمل شعار القنصلية الأميركية، إذ تمكّن من الوصول إلى ساحة البناية، وألقى بصندوقيّ متفجرات، انفجرا بعد قليل، وجعلا مقرّ الوكالة ومعقل الإرهابيين ركاًماً على من فيه. والخسائر المادية كبيرة. وقد استطاع العربي الباسل الذي تمكّن من اختراق بناية الوكالة العودة سالمًا. وعلى الإثر، قامت مظاهرات يهودية صاخبة، وعلا الهجوم وجوه اليهود لهول الضربة التي أذاقتهم طعم السلاح الذي [بدووا] باستعماله فخورين»: الدفاع، 12/3/1948، ص 1.

مُلك للقيادة». رفض أخذها، وأصرّيت على ذلك، وما كان منه إلا أن أخذها، وعدّها فوجدها مئة. أعادها إليّ، وقال: «إنّها حلال لك حرام على غيرك».

انتقل بعدها أنطون خارج فلسطين، وبالرغم من محاولات العودة للجهاد، إلا أنه [رُئيّ] من المصلحة بقاءه خارج البلاد، محافظة على سلامته، ولتعود إليه صحته وتهدأ أعصابه⁽²⁸⁰⁾.

23 آذار/ مارس 1948: نسف حيّ المنتفوري⁽²⁸¹⁾

حيّ المنتفوري من أقدم الأحياء اليهودية في مدينة القدس⁽²⁸²⁾، وهو عبارة عن بيوت كثيرة متلاصقة بعضها ببعض، ومتداخلة تمامًا، حتى كأنّها بيت واحد. ويحيط بالحيّ سور له أبواب كبيرة، تُعتبر منافذ للحيّ. وهو واقع في سفح الجبل الذي يقابل جبل صهيون ومقام النبي داود، وهو بطبيعة موقعه

(280) نُشر لاحقًا في خبر نعي أنطون داود (توفي في آب/ أغسطس 1969): «وعلى إثر هذا الحادث، [أي نسف الوكالة اليهودية]، قامت قوة الجهاد المقدس بإرسال أنطون داود إلى قيادة الحركة الوطنية في القاهرة، حيث عاش عزيزًا مكرّمًا مع إخوانه والمجاهدين الفلسطينيين. ثم [رُئيّ]، مبالغة في الحرص على حياته من انتقام الصهيونيين، وتلبية لرغبته، أن يُسمح له بالسفر إلى أميركا اللاتينية، فبقي فيها أمداً طويلاً، ثم جاءت الأنباء مشيرة إلى اشتراكه بأعمال الثورة في كوبا، وغيرها من أقطار أميركا اللاتينية، لمقاومة الاستعمار الأميركي. وأخيرًا رأى أنطون داود، بعد اشتداد حركة المقاومة الفلسطينية للعدوان اليهودي الأخير [حرب حزيران/ يونيو 1967]، أن يعود إلى وطنه للالتحاق بالمنظمات الفدائية، فذهب أولاً إلى الكويت، ثم انتقل منها إلى الأردن، ولم تلبث أن وافته المنية وهو يستعد لاستئناف عمله الفدائي»: فلسطين، العدد 102 (أيلول/ سبتمبر 1969)، ص 28-29.

(281) ما أُدرج تحت هذا العنوان، كنص رئيس معتمد في المتن، مستل من: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 6. أما الإضافات الواردة في المتن بين علامتي < > فمستلة من: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (18)»، ص 4.

(282) خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ساهم موشيه منتفوري في تأسيس حيّ يهودي خارج البلدة القديمة، أنشئ في عام 1960، وسُمي شخونات شأنيم، على أرض تعلو بركة السلطان، وتقابل جبل صهيون. لاحقًا لوفاة منتفوري، تقرر بحلول عام 1891 توسعة هذا الحيّ، بتأسيس حيّ جديد بجواره، وسُمي الحيّ الجديد باسم يامين موشيه. وكما يبدو، فإنّ التسمية العربية «حيّ المنتفوري» عمّت الحيّ الجديد والقديم. أما الخرائط التي أصدرتها الحكومة الاستعمارية للقدس، فإنّها تقتصر على الإشارة إلى المنطقة باسم الحيّ الجديد يامين موشيه، واختفت شخونات شأنيم من هذه الخرائط.

يسيطر على طريق القدس - بيت لحم - الخليل، وهي الطريق الوحيدة التي توصل القدس بالمنطقة الجنوبية.

والحيّ مبني على شكل حصن لحمايته من الهجمات العادية، وكل بيت فيه بمثابة استحكام قوي، وقد زاد اليهود من تحصينه كثيرًا، فجعلوه قلعة من القلاع التي تهدد المواصلات العربية، وأخذ المتلصصون اليهود يكمنون فيه لاصطياد المارة من العرب، ولتوجيه نيرانهم إلى السيارات العربية. وكلما كانت تُطلق منه النار على المارة العرب، كان حُماة النبي داود الذين يواجهونه يسلطون نيرانهم الكثيرة على الحيّ المذكور، وقنابلهم كثيرًا ما تُعرض سكان الحيّ المذكور إلى هجمات مركّزة قوية من العرب⁽²⁸³⁾. وأخيرًا، قرر القائد العام تدمير هذا الحيّ بأسره، والتخلص من شرّه، فرسم الخطة كالمعتاد، وحضّر لغمّا زنته ثلاثة أطنان، ووضعه في سيارة شحن كبيرة، وطلب ثلاثة من الفدائيين العرب من فرقة المغاوير، فتقدّم ثلاثة أبطال منهم، وعندها رسم الخطة التالية:

يقوم فصيل من حاملي الرشاشات، بقيادة القائد بهجت أبو غربية، بإطلاق نيران شديدة على الحيّ، من منطقة النبي داود التي تواجه حيّ المتفريوري من الجهة الشرقية. في تمام الساعة السابعة، وكالمعتاد، سيصيب اليهود على

(283) من أبرز هذه الهجمات، الهجوم الذي شُنّ على الحيّ في 10 شباط/فبراير 1948، بعد تعرّض حافلة عربية لهجوم من الحيّ، حيث استشهد أحد ركّابها، حمدان أحمد عوض، وأصيب آخرون. استمر الهجوم، وفقًا للمصادر البريطانية، من الحادية عشرة والنصف صباحًا، وحتى الرابعة والنصف عصرًا، بعد تدخل الشرطة والجيش البريطاني، وسقط على إثره خمسة شهداء، ثلاثة منهم برصاص البريطانيين. والشهداء هم: الحاج فؤاد الدقاق، وحمادة علي النابلسي، وعمر خليل القواسمة، وعوض إبراهيم علوية. وقُتل صهيونيّان، أحدهما من قادة الهاغاناه في الحيّ. يُنظر: Tauber, *Military*, p. 214؛ العارف، ج 1، ص 98-100؛ «القوات العربية تدخل حيّ متفريوري اليهودي في القدس، بعد هجوم عاصف دام ساعات، وإحراق أوكار»، الدفاع، 11/2/1948، ص 1، 4؛ «صدّ هجوم قاس على يامين موشيه»، دفار [بالعبرية]، 11/2/1948، ص 1؛ «توتر في القدس بعد هزيمة مهاجمي يامين موشيه»، دفار [بالعبرية]، 12/2/1948، ص 1؛ «وفاة أفراهام كيرشنباوم من المدافعين عن يامين موشيه»، دفار [بالعبرية]، 13/2/1948، ص 1؛ ليفي، ص 439. وعن الحيّ في الحرب عمومًا، يمكن مراجعة: رامبي يزرجال، «الأحياء في الحرب: يامين موشيه»، القدس في 1948: مصادر، ملخصات، قضايا و مواد مختارة [بالعبرية]، مردخاي نؤار (محرر) (القدس: ياد يتسحاق بن تسفي، 1983)، ص 80-94. وعن هجوم شباط/فبراير، يُنظر: المرجع نفسه، ص 85-89.

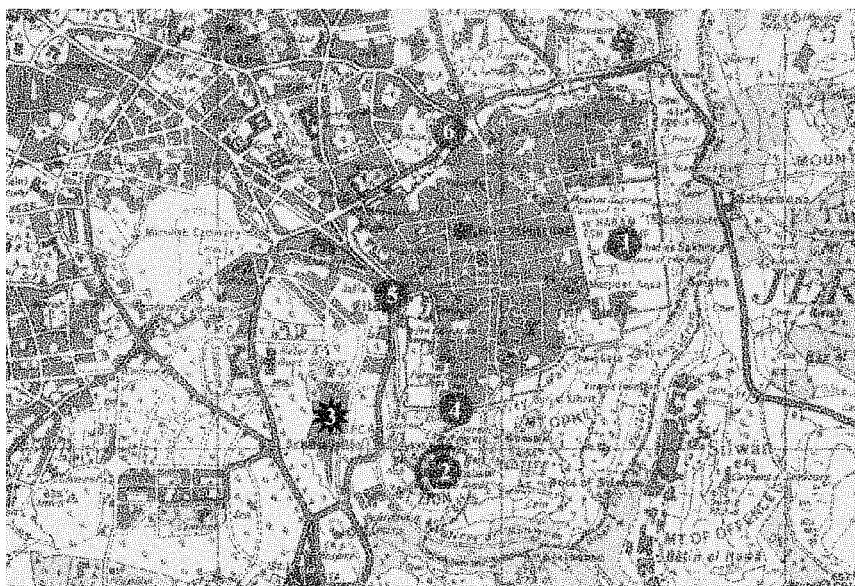
الإطلاق بالمثل، لكنهم لما يروا شدة النيران وكثرتها سيخفون رؤوسهم وأجسامهم وراء بروجهم المشيدة، فتكون التغطية المطلوبة قد تمت بالفعل. وفي تمام الساعة الثامنة، تتقدّم سيارة المتفجرات يسوقها المغربي >[إقدور منصور التونسي، المكنى حركياً بـ] عبد القادر التونسي<، وبجانبه مساعده >[ناجي مصطفى<، و[من] ورائها سيارة صغيرة، إلى الطريق الموصلة إلى قمة الجبل الذي يقع الحيّ في سطحه من الجهة الغربية، فينزل السائق ومعاونه من السيارة، فيشعل المساعد الفتيل، وكان موقوفاً لمدة ثلاث دقائق، ويترك ماكنتها مفتوحة، فتسير في المنحدر حتى تصطدم ببيوت الحيّ وتنفجر، وهي كافية لتدميرها، وتدمير البنايات المحيطة بها على بُعد كيلومتر مربع.

وفي تمام الساعة السابعة، بدأ السيد بهجت [أبو غربية] ورجاله إطلاق نيرانهم الشديدة على حيّ المتفيوري، من جهة النبي داود، فأخذ اليهود يجيئون على إطلاق النار بالمثل، ولكنّ رصاصهم كان مرتفعاً جداً كالعادة. وفي تمام الساعة الثامنة من مساء 23 آذار/ مارس 1948⁽²⁸⁴⁾، تقدّم الفدائيون ومعهم السيارة المملوءة بالمتفجرات، ووراءها السيارة التي ستعود بهم من الطريق العام الموصل إلى الحيّ. وقد بلغ من جرأتهم أنهم لم يتركوا السيارة تنحدر من نفسها على الحيّ، بل بقوا فيها، بينما المجاهدون من الجهة المقابلة يقومون بستار كثيف من النيران للتغطية.

(284) أخطأ الريماوي في ترمين الهجوم، فأشار إلى أنه نُفّذ في 14 آذار/ مارس 1948، والصحيح أنه كان في 23 آذار/ مارس 1948. ولم يكن الريماوي المخطئ الوحيد في ترمين الحدث، فهجعت أبو غربية يقدّم رواية مختلفة جزئياً للحدث، أساسها خطأ في ترمين الهجوم، فيشير إلى أنه نُفّذ في 23 نيسان/ أبريل 1948، أي إنه تم بعد استشهاد عبد القادر الحسيني بأسبوعين تقريباً. ووفقاً لأبو غربية، فإنّ منسق العملية كان صلاح الحاج مير، بعد قرار قيادة الجهاد المقدس تنفيذ العملية، وفوزي القطب معدّ السيارة، وبهجت أبو غربية للتغطية النارية، يساعده فيها حافظ بركات عند باب الخليل، وأبو حمدي [محمد سعيد] بركات عند حيّ الثوري: أبو غربية، في خضم، ص 230. أما صحيفة الدفاع، فقالت بأنّ التفجير قد تمّ بحدود السادسة والنصف مساءً، وأنّه حدث بعد زرع ألغام في ثلاثة مواقع من الحيّ. لكنّ هذه الرواية، كما سيبيّن، تتعارض مع التقارير البريطانية التي أكّدت ما سرده الريماوي: الدفاع، 24/3/1948، ص 1. أما صحيفة فلسطين، فتحدثت عن اقتحام فدائي للحيّ، بحدود الساعة السابعة مساءً، وزراعته لألغام أدّت إلى نصف أربعين عمارة في الحيّ: فلسطين، 24/3/1948، ص 1. ويؤكد ليفي أنّ الهجوم قد نُفّذ في 23 آذار/ مارس 1948: ليفي، ص 444.

وتقدّموا ثم تقدّموا، حتى دخلوا منتصف الحيّ، وتركوا السيارة بعد أن أشعلوا الفتيل، وعادوا مسرعين إلى السيارة الأخرى التي كانت تنتظرهم لتعود بهم سالمين. وبعد ثلاث دقائق، حصل الانفجار، فهدم جميع بنايات الحيّ وزاد عدد البيوت المدمرة عن خمسين عمارة، وبذلك يكون قد اقتلع هذه البوّرة من أساسها⁽²⁸⁵⁾.

الخريطة (2-5) نسف حيّ المتفوري



المصدر: إعداد الباحث، استنادًا إلى خريطة القدس المنجزة في عام 1945، ضمن مشروع Survey of Palestine، بوحدة قياس 1:10,000.

(1) المسجد الأقصى. (2) حيّ النبي داود، موقع الاستحكامات العربية الرئيسة. (3) شخونات شأنيم ويامين موشيه - حيّ المتفوري - موقع الهجوم. (4) باب النبي داود. (5) باب الخليل/باب يافا. وإلى الجنوب منه طريق القدس - الخليل الرئيس. (6) باب العمود.

(285) وفقًا للمصادر البريطانية، فإنّه خلال مساء 23 آذار/ مارس، توقفت شاحنة عسكرية، حاملة ثلاثة أطنان، على مسافة من حيّ يامين موشيه، وشوهد عربي يقفز منها، بعد إضاءة الفتيل، لتصطدم السيارة بجدار على بُعد ثلاثين ياردة، موقعة انفجارًا أدى إلى تدمير ما بين ثلاثين إلى أربعين منزلًا تدميرًا كاملاً، وتضرر منازل أخرى. وأشار التقرير إلى أنّ الصهانية يدعون وقوع عشر إلى خمس عشرة إصابة. يُنظر: Tauber, Military, p. 301. أما ليفي، فيتحدث عن إصابتين: ليفي، ص 444؛ يزرجال، ص 90-91.

وإنني أذكر أنني كنت أجلس بجانب القائد الباسل في بيت ابن عمته الدكتور محمد <النجيب> الحسيني، <بحيّي سعد واسعيد بالقدس>، فإذا به ينظر إلى ساعته، وكانت الثامنة⁽²⁸⁶⁾، ويقول: «افتحوا نوافذ البيت في الحال، لئلا تتحطم النوافذ، لأنّ الانفجار سيحدث بعد ثلاث دقائق». وما أن بلغت الساعة الثامنة والدقيقة الثالثة، حتى دوى الانفجار، فكاد الضغط يقلبنا على الأرض من شدّته، وهزّ جميع أرجاء المدينة. وبعد ست دقائق، كان الأبطال يؤدون التحية للقائد العام، وهو يصفحهم مهنتاً إياهم بالسلامة، وهم يقولون «نحن فداء الوطن، حياتنا رهن إشارة منك، أوامرنا نطعمك». فاغرورقت عيون الجميع من الفرح، وقد أعلموه أنهم أدخلوا السيارة إلى منتصف الحيّ، بالقرب من مدخله الرئيسي.

تصوّر الجرأة المتناهية التي أظهرها هؤلاء الأبطال! فإنّه لو شاءت الأقدار وأصيبت السيارة بطلقة واحدة من النيران الكثيرة التي كانت مسلطة على الأعداء، أو من الأعداء أنفسهم، لطارت السيارة بهم، وتمزّقوا إرباباً، إلا أنهم آثروا المجازفة لضمان النجاح الأكيد. فأكبر بها من جرأة، وأنعم بهم من شبان. وهي تدل على حقيقة الشعب الفلسطيني واستعداده للتضحيات.

خاتمة: الحسيني الشهيد

صراعات دمشق المفترضة⁽²⁸⁷⁾

يزعم بعض الناس أنّ عبد القادر [الحسيني] قد تهوّر حينما هاجم بنفسه قرية القسطل فاحتلها واستشهد. ويزعم الآخرون أنه انتحر، وهم يعلّلون رأيهم بالقول إنّ القائد يجب أن يبقى في المؤخرة، بعيداً عن ميدان المعركة لإعطاء الأوامر، والحقيقة أنّ طريقة الموت التي اختارها عبد القادر، هي التي توجت

(286) أشار الريماوي في مقالته في صحيفة الدستور أنها كانت بحدود السادسة مساءً:

الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (18)»، ص 4.

(287) دؤن الريماوي قصة رحلة عبد القادر الحسيني الأخيرة إلى دمشق، في نيسان/أبريل

1948، في غير موضع. وكما ورد في النص سابقاً، إشارات كثيرة إلى خلافات عبد القادر الحسيني =

أعماله وحياته بهالة المجد والفخار، وفيها تتركز عظمته ومقدار خلوص نيّته وجهاده لله وحده.

فمن كان يدين بدين عبد القادر [الحسيني]، ويعمل بوحيه وعقيدته، يرى أنّ ما عمله عبد القادر كان واجبًا لا بد منه، وأنّ رجال العقيدة والمبادئ يقدمون على الموت بطيبة خاطر، فإما النصر أو الاستشهاد. وفي الحق أنّ عبد القادر كان يطلب هذين الأمرين؛ النصر أو الاستشهاد، ففي النصر العزة لله ولرسوله

= وقواته مع اللجنة العسكرية العربية، واتهامات الريماوي لمعظم أركانها. وعلى الرغم من التكرار، فإنّ إثبات هذا التكرار ضروري، لأنه تكرر مقصود من الريماوي الذي كتب في موضع آخر: «أما مشكلة الجهاد المقدس القتال، والتي ضحى عبد القادر بحياته من أجلها، ولم تنته باستشهاده، بل بقيت بعد ممانته فازدادت حدّتها، فهي نقص السلاح والذخيرة والمال، وهي السبب الذي من أجله ارتحل عبد القادر إلى دمشق والقاهرة يطلب السلاح والمال، ويعود خالي الوفاض. وكانت رحلته إلى دمشق [...] هي النقطة التي بلغت فيها هذه الحاجة ذروتها، والتي أثر الشهيد أن يضحي بنفسه كرمز لإعلانها، وكشاهد للتاريخ ضدّ المسؤولين عنها. ولهذا السبب، كنت حريصًا في كل مرة وكل سنة أسجل فيها شيئًا عن الجهاد المقدس، وعن القائد الشهيد، أن أبرز هذه الرحلة التاريخية التي تدل على ما قبلها وتفسّر ما بعدها»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (3)»، ص 4. إذا، فالريماوي معني بإثبات التكرار، فكان لزامًا إثباته هنا أيضًا.

والنص المدوّن تحت هذا العنوان «صرعات دمشق المفترضة»، مستمد أولاً من مخطوط الريماوي عن عبد القادر الحسيني: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 8. أما الإضافات المدوّنة بين علامتي < > في المتن، فإنّها أخذت من: قاسم الريماوي، «لمناسبة ذكرى استشهاد القائد عبد القادر الحسيني: للجهاد المقدس قصة وأسرار: يرويها الدكتور قاسم الريماوي»، الدفاع، 1970/4/9، ص 7. وحال وُجدت إضافات أخرى من المقالات المنشورة في الدستور [الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (4)»، ص 4؛ قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (5)»، الدستور، 1972/9/4، ص 4]، فإنّ هذه الإضافة أُثبتت في الهامش فحسب.

وتعقيبًا على مقالات الريماوي أعلاه، لا بد من الإشارة هنا إلى أنّ المقالة الأولى، أي مقالة الدفاع، تحفل بذكر عبد القادر الحسيني فحسب، أما مقالات الدستور، فإنّ الريماوي يتحدث فيها عن دورهما المشترك، فكتب مثلاً: «وضع عبد القادر خطته لمواجهة هذا الموقف ولاحتيال القدس، يوم انسحاب القوات البريطانية، بحضوري. وقد دوّنًا ذلك كله في تقرير مفصّل كتبه بخط يدي. وقد أوضحنا في التقرير الموقف العسكري، ومقارنة بين قواتنا وقوات العدو، ونسبة السلاح بيننا وبينهم. وأذكر أننا قدّرنا هذه النسبة 50:1، وواحد إلى خمسين، وأرفقنا بالتقرير خريطة لمدينة القدس، وأشرنا فيها [إلى] 'مراكز الثوب' التي يتوجب علينا احتلالها حال جلاء القوات البريطانية عنها. كما أوضحنا طلبنا بما نحتاجه من ذخيرة وأسلحة أوتوماتيكية، خاصة الرشاشات»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (4)»، ص 4. ويمكن العودة إلى المقدّمة للنظر في مبررات ذلك المتوقعة.

وللمؤمنين، والسؤدد لأبناء الوطن والبلاد، وفي الاستشهاد إيفاء الواجب، والنجاة بالنفس، والخلاص من هذه الدنيا على أكمل وجه وأتمه. فلمّا حيل بين عبد القادر وبين النصر، طلب الموت والاستشهاد، وكان عارفاً ما هو مقدم عليه، مقدّراً لتأنيبه، لكنّه رأى أن لا بد من ذلك الأمر، وأنّ الرجوع عنه كفر وجبن ونذالة، فاقترحه، «وطعم الموت في أمر عظيم، كطعم الموت في أمر حقير». وما مات إلا وفي جسمه أثر لجرح أو طعنة. وإليك الظروف التي سبقت استشهاد، وجعلته يركب هذا المركب، ويجود بنفسه، بعد أن سُدّت جميع المسالك في وجهه، وحيل بينه وبين النصر وإنقاذ البلاد عن عمد وروية.

بعد أن طاف [عبد القادر الحسيني] بجميع قناصل الدول العربية في مدينة القدس⁽²⁸⁸⁾، شارحاً لهم حراجة الموقف، واحداً بعد الآخر، وشدة عوزة،

(288) كانت مقدّمة المقالات مخالفة لمقدّمة المخطوط في هذا الموضوع، أي رحلة دمشق الأخيرة، ففي المقالات، وإن حضرت قصة اجتماع الاتحاد النسائي، وما حصل من اجتماع لعموم القادة والمجاهدين، لطلب الدعم والمساندة، وما تبعها من عجز لعبد القادر الحسيني عن الإيفاء بطلباتهم، فتوجه على إثرها إلى دمشق، إلا أنّ المقالات توحي في مقدّماتها بأنّ التوجه إلى دمشق كان بدرجة أولى لجلب الدعم لخطة المواجهة ليوم 15 أيار/مايو 1948، أي يوم انسحاب القوات البريطانية من فلسطين، وإخلائهم للقدس، فكتب الريماوي: «وضع عبد القادر خطة المواجهة ليوم 15 أيار/مايو 1948، <المواجهة> الموقف المترتب على انسحاب الحامية البريطانية، [...] من المواقع الاستراتيجية ذات الأهمية البالغة في المنطقة الفاصلة بين العرب واليهود. وكل من يتمكّن من الاستيلاء عليها يستطيع أن يسيطر على دفاع الجانب الآخر». وكتب تقريراً مسهباً عن الموقف العسكري، وخطة للدفاع عن القدس، وخطة احتلالها، وضمّنه أرقاماً وحقائق، ودعّمه بخريطة مفصلة لمدينة القدس، وفيه تقدير ومقارنة لقواتنا وقوات العدو. وقد كان تقديره للموقف ولقواتنا وقوات العدو منصفاً، وأذكر أنني قلت له: 'ألا تعتقد بأننا بالغنا في تقدير قوات العدو، وأنا قدّرنا موقف قواتنا بأقل من حقيقتها، خاصة وأنّ النصر كان إلى ذلك الحين في جانبنا، >وقد توجّناه بنسف الوكالة اليهودية يوم 11 آذار/مارس 1948'. قال: 'لا، علينا أن نضع اللجنة العسكرية والقادة العرب أمام مسؤولياتهم، وإطلاعهم على حقائق المستقبل مهما كانت مرّة'. >وكان قبل ذلك قد قرأ تقريراً قدّمته إليه، عن المهمة التي أوكلها إليّ في الليلة السابقة، وهي مهاجمة مستعمرة نفيه يعقوب التي كانت تطلق النار على السيارات المتوجهة من القدس إلى رام الله وبالعكس، وذلك بقصد معرفة قوة السلاح فيها وتحصيناتها، وإلحاق أكبر ضرر فيها. أما ذلك الهجوم [...] الذي ورد تفصيله أعلاه، فقد حقق أهدافه، وقد دام من الساعة الثامنة من مساء ليلة [24] آذار/مارس 1948، إلى الثالثة صباحاً. واشترك فيه، بالإضافة إلى فصيل من الجهاد المقدس، مئتا مسلّح من نجديات منطقة رام الله وبيت حنينا. ومع أنّ أسلحة المتطوعين كانت ملكاً لهم، وذخيرتهم كذلك، فإننا لم نستطع تزويد كل واحد منهم إلا بخمس طلقات. وقد اتخذنا مدرسة بيت حنينا، وكانت =

وطالبًا إليهم الاتصال بحكوماتهم للطلب من اللجنة العسكرية مساعدته بالمال والعتاد. انتهى به المطاف إلى جمعية الاتحاد النسائي بمدينة القدس، وكان ذلك قبل ظهر 27 آذار/ مارس 1948، ليطلب إليهن العون والمعونة، علهن يُبرقن

= فاضية في ذلك الوقت، مركزًا للتجمع والهجوم. وكان معنا رشاش واحد، وثلاثة من فرقة التدمير معهم بعض الألغام. وانسحبنا في الثالثة من صباح يوم [24] آذار/ مارس 1948. وقد فتح حراس المستعمرة نيرانًا كثيفة جدًا علينا من الرشاشات، في عدد من حصون المستعمرة. وتمكنا من اجتياز الأسلاك الشائكة، ووضع بعض المتفجرات التي لم تُحدث أضرارًا كبيرة. وعقب انسحابنا، أبقينا حامية في مدرسة بيت حنينا، وأقمنا حامية صغيرة في المحاجر المواجهة للمستعمرة. لقد شعر عبد القادر بحراجه الموقف، وعرف أنه لا يستطيع الاستمرار على هذا الشكل. وبعد أن قرأ التقرير، واستمع إلى شرح مئي، نهض واقفًا وقال: 'هيا بنا'. >غادرنا مقر القيادة الأمامية للجهاد المقدس ببثزيت، وركب سيارته الفورد السوداء اللون، موديل 1947، وركبت بجانبه. توجهنا إلى القدس، مرورًا برام الله ومستعمرة نفيه يعقوب، وزار الحامية التي أبقيناها في مدرسة بيت حنينا. وصلنا القدس حوالي الساعة الحادية عشرة، وفي القدس قمنا بزيارة جميع قناصل الدول العربية؛ المصري والسوري والعراقي والأردني > والسعودي واللبناني. وكان يشرح لهم الموقف وخطورته، ويناشدهم الاتصال بحكوماتهم، لتعمل على مد يد العون للمجاهدين من الفلسطينيين، والطلب من اللجنة العسكرية والجامعة العربية تغيير موقفها من المجاهدين، > وحرمانها إيانا من السلاح والعتاد الذي كان يتدفق من ناحية ثانية على فوزي القاوقجي، > لأنها حرمتهم من العون المادي والعسكري، وأمدتهم بأقل من القليل. >وقد تأثروا بالوضع الذي كنا نطلعهم عليه، ووعد كل واحد منهم بأن يُبرق إلى حكومته بذلك<: الريماوي، «لمناسبة ذكرى استشهاد القائد»، ص 7. والإضافات المدرجة بين علامتي < > من: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (4)»، ص 4. والأرجح أن سفر عبد القادر الحسيني إلى دمشق كان سابقًا لكتابة التقرير الذي تؤكد معظم المؤشرات أنه جاء لاحقًا للاجتماعات الأولية مع أعضاء اللجنة العسكرية العربية العليا، ونوقش في اجتماع عبد القادر الأخير معهم، في 6 نيسان/أبريل 1948، كما سيُفصّل لاحقًا. كما يبدو أن سفر الحسيني، وإن تزامن مع حاجات قادته وجنوده، إلا أنه كان بقرار مسبق، وبتنسيق مع الهيئة العربية العليا التي كانت مجتمعة آنذاك في دمشق، بالتزامن مع اجتماعات لجنة فلسطين التابعة لجامعة الدول العربية، وكذلك اللجنة العسكرية العليا. يُنظر تغطية للاجتماعات اللجنة العسكرية العربية ولجنة فلسطين والهيئة العربية العليا أيام 25-26 آذار/ مارس 1948، في: الدفاع، 25/3/1948، ص 1؛ الدفاع، 26/3/1948، ص 1. ويؤكد وجود أجنحة مختلفة خلف سفر الحسيني، ما دونه طه الهاشمي في يومياته ليوم 27 آذار/ مارس 1948، على هامش اجتماع لجنة فلسطين: «قال المفتي [محمد أمين الحسيني] في الاجتماع إنَّ عبد القادر [وتوفيق الإبراهيم] أبو إبراهيم الصغير وصل، وإنَّ [محمد غزلان أبو محمود] الصفوري سيصل: «يوميات طه الهاشمي»، مخطوط، يومية 27 آذار/ مارس 1948. وكما سيُبين لاحقًا، فإنَّ الهدف الرئيس من الاجتماع كان نقاش التقرير الذي رفعه إسماعيل صفوت ضدَّ عبد القادر الحسيني وعدد من الشخصيات الموالية للهيئة العربية العليا، في 11 آذار/ مارس 1948، والذي ضمَّته أيضًا لتقريره المقدم إلى لجنة فلسطين في 23 آذار/ مارس 1948.

إلى الجمعيات النسائية في الأقطار العربية، للتوسط لمساعدة المجاهدين⁽²⁸⁹⁾. وما أن سرى نبأ وجوده في تلك الدار، حتى اكتظت ساحتها والطريق المؤدية إليها بالمراجعين، فمن طالب ذخيرة ومن طالب رشاشات، ومن محتاج إلى نقود لتموين أو نقلات، ومن متذمر من موقعه الحرج. والحق أنهم كانوا زمرة من المسؤولين الذين ذاقوا الأمرين، نتيجة نقص الأعتدة والسلاح.

>وكنّا قبل ذلك، وعلى إثر نسف الوكالة اليهودية، قد أمددنا القدس بنجدات من لواء رام الله الذي كان مركزاً للقيادة العامة للجهاد المقدس، بلغت حوالي ثمانمئة مسلّح، أرسلناهم في عشر باصات وست عشرة سيارة شحن. كانت أسلحتهم وذخيرتهم ملكاً لهم، وكل ما يُقدّم لهم هو بعض الذخيرة والطعام. كانوا يوزعون على الأحياء، ويرابطون مدة من الزمن، ومن بعدها نستبدلهم بغيرهم.<

وكان، رحمه الله، يعرف أنّ مراجعتهم على حق، ولا يملك ما يسدّ رمقهم، أو يفرّج عنهم قليلاً، >بل إنه كان قد استدان الألوف من الجنيهاً للقوت الضروري من أصدقائه<، فأظلمت الدنيا في وجهه، وإذا به ينهض ويأخذني من يدي، ويسير بسرعة وسط هذا الحشد من قادة الفصائل

(289) في المقالات، يرد النص الآتي: «ثم توجهنا بعد ذلك إلى بيت رئاسة الاتحاد النسائي بالقدس، الأنسة زليخا الشهابي [زليخة إسحاق الشهابي (1903-1992)]، >بحيّ باب الساهرة<، وكان الاتحاد يقدّم مساعدات من الكساء للمجاهدين، لعل الاتحاد يسهم في رفع الشكوى عليه إلى الأمة العربية»: الريماوي، «لمناسبة ذكرى استشهاد القائد»، ص 7؛ الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (4)»، ص 4. يُشار إلى أنّ صحيفة الدفاع نشرت بياناً لعبد القادر الحسيني في 25 آذار/ مارس 1948، جاء فيه: «تقوم السيدات العربيات في هذا الوقت الحرج، كعادتهن في مختلف الأدوار والمحن، بجهاد يستحق الشكر والتقدير للمساعدات القيّمة التي يقدّمها لإخوانهن المجاهدين. وسيقوم الاتحاد النسائي العربي، بالاشتراك مع جمعية السيدات العربيات، وبعض الهيئات النسائية الأخرى، بحملة مساعدات جديدة لشدّ أزر المجاهدين. وإنني، مع ما يكتّه صدري من عظيم الاحترام والتقدير لسيداتنا الفاضلات، أطلب من جميع أفراد الشعب الكريم أن يلبّوا نداءهن، ويبدلوا أقصى غاية البذل لإنجاح هذا المشروع الجديد، والله من وراء القصد»: الدفاع، 25/3/1948، ص 2. وأغلب الظن أنّ تاريخ زيارة الحسيني للقنصل والاتحاد النسائي لم يكن في 27 آذار/ مارس 1948، كما هو مدوّن في المتن أعلاه، وإنما كان في 24 آذار/ مارس، وهو ما يتفق مع تصريح الحسيني في الدفاع، ويؤكد ذلك إشارة الريماوي في موضع سابق إلى أنّ الزيارة أتت بعد انتهاء هجوم على نفية يعقوب مباشرة.

والمسلّحين، ويركب السيارة، ويأخذني بجانبه، ويسير متجهًا صوب الشرق. وكنت أعتقد أنه يريد الابتعاد قليلاً عن هذا الجو، كعادته في مثل هذه الحال، إلا أنه واصل سفره حتى وصلنا أريحا، حيث عرّج على بيت أولاد خالة محيي الدين الحسيني، وكثيرًا ما كانوا يبذلون له بعض المساعدات تكون عونًا له. وكان طيلة الطريق يتذمر ويتأوه من هذا الضيق، وهذا السلوك الذي تسلكه منه اللجنة العسكرية⁽²⁹⁰⁾.

وبعدها واصلنا السير، وإذا به يتجه إلى دمشق مارًا بعمّان، متخفيًا كعادته. ولما وصلنا دمشق، قابلنا بعض رجال الهيئة العربية العليا، وكان على علم بقدمه، وطلب إلينا مرافقته إلى بيت أحد وجهاء مدينة الشام، حيث حللنا في ذلك البيت⁽²⁹¹⁾، وذلك لأنّه رُئي من المستحسن أن يبقى وجود القائد في دمشق أمرًا مكتومًا، فامثلنا الأوامر⁽²⁹²⁾. وبعد ساعتين، حضر سماحة المفتي [محمد

(290) كانت المقالات أكثر تفصيلًا بذكر أريحا، واستحضار ما جرى في بعض منازل آل الحسيني فيها: «وما شعرنا إلا ونحن في مدينة أريحا، فتوجه <أولاً إلى> بيت المرحوم خليل الدجاني، زوج شقيقة عبد القادر. وكنا كلما شعرنا [بالملل] وبحاجة إلى خلوة، نذهب إلى هذا البيت البعيد عن الأنظار. استقبلتنا شقيقته بترحاب كالعادة، وتناولنا شيئاً من الطعام. [وفي المساء، ذهبنا] إلى بيت آل محيي الدين الحسيني، [في عقبة جبر]، حيث قضى ليلته هناك، <واجتمعنا بأل محيي الدين، السادة المرحومين، نافذ وعلي ومصطفى، وكل من كان في البيت آنذاك، وكان عبد القادر يرتاح إليهم. سهرنا إلى ساعة متأخرة في الليل تناقش الوضع بكامله، وقد أعلن عبد القادر أنه مصمم على التوجه إلى دمشق لإطلاع المسؤولين على حقيقة الموقف. وكانت أبناء عدول أميركا عن مشروع التقسيم قد أحدثت نشوة كبيرة لديهم>. وفي صباح اليوم التالي، توجهنا إلى دمشق بسيارة جيب لآل محيي الدين، يسوقها شخص اسمه هارون، من أهالي قرية الطور، كان يعمل سائقًا لنافذ الحسيني. وعند جسر الملك حسين، اللبني سابقًا، ترجلنا وقطعنا النهر عن طريق مخاضة قريبة، <لأننا لا نريد اجتياز الجسر، فالإنجليز كانوا لا يزالون هم المسؤولين عنه>: الريماوي، «لمناسبة ذكرى استشهاد القائد»، ص 7؛ الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (5)»، ص 4.

(291) وفقًا للمقالات، فإنّ الحسيني والريماوي نزلا في بيت نسيب محمد سليم أبو لبن، من رجال الهيئة العربية العليا: الريماوي، «لمناسبة ذكرى استشهاد القائد»، ص 7.

(292) لم يبقَ أمر وجود الحسيني سرًا وبعيدًا عن الصحافة، فمثلًا نشرت صحيفة البالستين بوست خبرًا عن مصادر فلسطينية، أنّ عبد القادر الحسيني غادر فلسطين إلى دمشق. يُنظر: Abdul Kader in Damascus,» The Palestine Post, 2 April 1948, p. 2.

ونشرت صحيفة الجزيرة الأردنية: «عبد القادر الحسيني في دمشق»، الجزيرة، 1948/4/7،

أمين الحسيني] فاجتمعنا به، وشرح له عبد القادر دقة الموقف، فأبدى قلقه وتدمره من موقف اللجنة العسكرية، ورؤي من الواجب الاجتماع برجال اللجنة العسكرية فرادى ومجتمعين⁽²⁹³⁾.

وفي اليوم الثاني، توجهنا إلى وزارة الدفاع، حيث اجتمعنا ببطه الهاشمي، بحضور سماحة المفتي، فأخذ عبد القادر [الحسيني] يشرح له الخطر الذي يهدد مدينة القدس والطرق المؤدية إليها، وتعب كثيرًا في التفاصيل، إذ إن عطوفة الباشا لا يعرف تلك المنطقة، فهو لم يدخلها إطلاقًا، لا قبل تعيينه ولا بعده، بالرغم من أنه المفتش العام لجيش التحرير! ولما أبدى الباشا لعبد القادر أنه اقتنع، بعد هذا الجهد، بحراجه الموقف، قال الباشا: «وإن سقطت القدس، فإننا سنسترجعها»⁽²⁹⁴⁾. وهنا، ثارت ثائرة عبد القادر، واحمرّت

(293) وفي المقالات، يرد: «وقد شرح عبد القادر الوضع إلى سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني] وأعضاء الهيئة، وكانوا فرحين جدًا بعدول أميركا عن مشروع التقسيم. أطلعهم على الحقيقة المرة. وأذكر أنني تناقرت مع أحدهم، وأغلظت عليه في القول، فنظروا إلى عبد القادر، فحسم الموقف قائلاً: 'والله إني لا ألومه، فالواقع أن الذي بالنار ليس مثل الذي يتدفأ عليها، إنه لم يتم طيلة الليلتين السابقتين، وقام بهجوم موقّ على مستعمرة نفيه يعقوب، وشاهد بنفسه الحاجة الماسة للسلاح والعتاد والمال، وكل ما نريده منكم أن تشعروا معنا وتفهموا الوضع على حقيقته»⁽²⁹⁴⁾: الريماوي، «لمناسبة ذكرى استشهاد القائد»، ص 7؛ الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (5)»، ص 4.

(294) وفقًا ليوميات طه الهاشمي، فقد اجتمع، وعبد القادر الحسيني والحاج أمين الحسيني، مع إسماعيل صفوت في قدسيا، في 30 آذار/ مارس 1948، أي إن الاجتماع لم يكن مقتصرًا على الهاشمي. وفي ملخصه للاجتماع، أشار الهاشمي إلى جدول أعمال مغاير كليًا لما أشار إليه الريماوي أعلاه، فمحوره كان الخلاف بين عبد القادر واللجنة العسكرية العليا حول صلاحياته، إضافة إلى حديث تفصيلي من عبد القادر عن موقفه في منطقة القدس. كما أشار الهاشمي إلى أن عبد القادر تطرّق إلى تعاون بين الملك عبد الله وفوزي القاوقجي: «يوميات طه الهاشمي»، مخطوط، يومية 30 آذار/ مارس 1948؛

والأكيد أن الريماوي لم يكن حاضرًا هذا الاجتماع، والأغلب أن الاجتماع حصل في أثناء توجهه إلى بيرزيت، فالريماوي يخلط كثيرًا في ترمين الاجتماعات، ويرتبها ترتيبًا مغايرًا بين المخطوط والمقالات، فالمخطوط يشير إلى أن الاجتماع الأول كان مع بعض رجال الهيئة العربية العليا، ورئيسها الحاج أمين الحسيني، ثم تلاه اجتماع مع طه الهاشمي، ثم تلاه اجتماع مع محمود الهندي، ثم اجتماع ثانٍ مع مجمل الهيئة العربية العليا، سافر الريماوي على إثره للحصول على بيانات الجهاد المقدس التفصيلية، تلا ذلك اجتماع مع الأمين العام للجامعة العربية في 4 نيسان/ أبريل، ثم اجتماع أخير في 6 نيسان/ أبريل مع اللجنة العسكرية. أما المقالات، فيشير الريماوي في مقالة الدفاع إلى أنه اجتمع أولًا إلى الحاج أمين الحسيني، وأعضاء الهيئة العربية العليا، ثم إلى الأمين العام للجامعة الدول العربية. وإثر إشارة عزّام إلى ضرورة تقديم

وجنتا سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني]، لأنهم شعروا أنّ الرجل لا يشعر إطلاقاً بحقيقة الموقف، ولا يقدر أهمية سقوط مدينة القدس المعنوية والدينية والعسكرية، فوجه إليه عبد القادر [الحسيني] كلمات لاذعة تناسب جوابه هذا، وخرج الجميع والغضب يملأ نفوسهم⁽²⁹⁵⁾.

= المعلومات الأساسية للجنة العسكرية، سافر الريماوي إلى بيرزيت، وتصادف سفره مع عودة بعض المجاهدين المشتركين في معركة الدهيشة التي انتهت مساء 29 آذار/ مارس 1948، وفي أثناء هذا السفر، يحدث اجتماع الهاشمي والحسيني، وصادمهما حول سقوط القدس. وبعد اتصالات جانبية مع بعض أعضاء لجنة فلسطين، يتقرر عقد اجتماع جديد مع اللجنة العسكرية، فيُعقد في اليوم التالي لسقوط القسطل. وفي هذا الاجتماع، نوقش التقرير المقدم من عبد القادر الحسيني.

وبمقارنة ما قدّمه الريماوي في المخطوط، ومقالاته في الدفاع والدستور، وبما كُتب في مصادر أخرى. فإنّ أجندة عبد القادر الحسيني في رحلته الأخيرة إلى دمشق كانت كالآتي: السفر إلى دمشق في 26 آذار/ مارس 1948، واللقاء الأول مع أعضاء الهيئة العربية العليا والحاج أمين الحسيني. سفر قاسم الريماوي إلى بيرزيت في 29 آذار/ مارس. ولا يوجد تأكيد إن كان سفره بناءً على اجتماع مع الأمين العام لجامعة الدول العربية، عبد الرحمن عزّام، أو بناءً على توصيات الهيئة العربية العليا. وخلال سفر الريماوي، كان لقاء عبد القادر الحسيني طه الهاشمي في 30 آذار/ مارس، وكان بحضور إسماعيل صفوت، وهو الاجتماع الذي بيّنت رواية الهاشمي له سابقاً. وقد يكون سبق هذا الاجتماع أو تلاه اجتماع مع محمود الهندي، بصفة منفردة. وبعد عودة الريماوي ببيانات الجهاد المقدس، وصوغ عبد القادر لتقريره، كان الاجتماع في 4 نيسان/ أبريل مع الأمين العام لجامعة الدول العربية، والذي تقرر على إثره عقد اجتماع جديد مع اللجنة العسكرية، حضره بعض أعضاء لجنة فلسطين في 6 نيسان/ أبريل. (295) كما أشير أعلاه، اختلف استحضار الريماوي لاجتماع الهاشمي وعبد القادر الحسيني

بين المخطوط والمقالات، حيث أثبت الريماوي في المقالات عدم وجوده في هذا الاجتماع، وهو ما يتفق مع الأجندة التي رُجّحت أعلاه. وكان استحضار الريماوي للقاء الهاشمي وعبد القادر في مقالاته كالآتي: «في اليوم التالي [لإرساله إلى بيرزيت]، كنت في دمشق أحمل المطلوب. وعندما واجهت أبا موسى (اسم شهيدنا البطل)، > وكانوا قد خصصوا لنا غرفة صغيرة ومعزولة في أحد المنازل، لنكون بعيدين عن الأنظار، قصصت له ما ثمّ معي، وما علمته من أخبار معركة كفار عتسيون، ثمّ قال لي: 'هل تعرف بأنني تشاجرت مع طه باشا الهاشمي وسمعته كلاماً شديداً؟'. قلت: 'وما السبب؟'. قال: 'إنّ الباشا يقول حتى ولو سقطت القدس فإنّنا سنسترجعها. وقد ثُرت عليه وأفهمته أهمية القدس من الناحية المعنوية والدولية والعسكرية، وأسمعته كلاماً قاسياً. إنهم يا أخي لا يدركون أهمية القدس، وقيسونها بمقاييس عسكرية كلاسيكية بحتة'. > هذه [هي] الحقيقة، وليس صحيحاً أنّ إسماعيل باشا صفوت هو الذي قال شيئاً من هذا [...]. إذ قال: 'إذا سقطت يافا أو حيفا فإنّنا سنستعيدّها'. والحقيقة أنّ اللجنة العسكرية لم تكن تتعاطف مع الجهاد المقدس، إما بسبب عداوة بعض الزعماء للمفتي أو لسبب آخر»: الريماوي، «لمناسبة ذكرى استشهاد القائد»، ص 7. والإضافات المدرجة بين علامتي < > من: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (5)»، ص 4.

واتجه عبد القادر إلى العضو الآخر، وهو محمود الهندي، فقابله. وبعد شرح الموقف له، اعتذر أنه لا يوجد لدى اللجنة العسكرية رشاشات أو مدفعية، أو أي نوع من السلاح الثقيل، ووعده بمحاولة إعطاء عبد القادر خمسين بندقية، شريطة أن يوافق بقية أعضاء اللجنة على ذلك، فقال له عبد القادر: «أنتم حرمتونا من أية مساعدة، وهل تبخلوا علينا ببضعة رشاشات وبعض الأسلحة الحديثة التي أعرف أنها مكدّسة في مخازن المزة؟». [فأجاب] محمود الهندي: «ولكن هذه لجيش الإنقاذ ولفوزي القواقجي». [لكن] عبد القادر يغضب لهذا الأمر ويقول له: «ولكن أين جيش الإنقاذ؟ وهل اشترك في أية معركة للآن؟ نحن نريد واحداً بالمئة من الأسلحة التي تقدّمونها إليهم، أولستم قادتنا، وأنتم الذين عهدتم إلينا بتنظيم القوى الشعبية، ومقاومة اليهود؟ فلماذا تمنعوا عنا كل عون أو مساعدة؟ وكل ما يصلنا منكم بين الآونة والأخرى كتباً تحددون فيها أسماء القوّاد والمناطق التي يشرفون عليها. إن هذا شيء لا يُطاق يا محمود. إنني أتوسم فيك خيراً، ولذلك أرجو أن تشعر معنا فتساعد على مدّ يد المعونة إلينا، وسنرفع رأسكم عاليًا، ورأس كل عربي، وسنقوم بأعمال حاسمة». وحاول محمود الهندي التخلص منه، فقال له: «سنعقد اجتماعاً لبحث هذا الموضوع». فاستأذن عبد القادر، وانصرفنا إلى الفندق⁽²⁹⁶⁾.

= وكتب الريماوي تفصيلاً آخر حول حديث الهاشمي عن القدس، استله الريماوي من حوار دار، بعد نشر قصة اللقاء في مقالة الدستور، بينه وبين رئيس بلدية الرملة، في أثناء الحرب، ونائب رئيس الحزب العربي في المدينة، محمود علاء الدين: «يقول [محمود علاء الدين] إن الحديث الذي دار بين عبد القادر الحسيني وطه باشا الهاشمي، وقال فيه الباشا إليه 'إذا سقطت القدس فإننا سنسترجعها'. [...] قد سمعته بأذني من عبد القادر نفسه، وكنت آنذاك في وزارة الدفاع، جرياً وراء السلاح للدفاع عن الرملة، عندما خرج عبد القادر من غرفة الباشا وهو غضبان يزمجر. وقد روى لي بعض العبارات التي دوّنتها [...]». وأضاف يقول: إنني بدوري سمعت كلاماً مماثلاً دار في ذلك اللقاء بين عبد القادر وطه الهاشمي، كان موضع تناقضات وخلط بين الكتاب الذين سجّلوا تاريخها، فمن قائل إن هذا الحديث دار بين إسماعيل صفوت وعبد القادر، كما ورد في كتاب يا قدس [Lapierre, p. 251]، ومن متسائلين عن الحقيقة، بعد أن [أوردت روايتان] لها، كما جاء في كتاب جهاد شعب فلسطين، للسيد صالح مسعود أبو بصير [صالح مسعود أبو بصير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن (بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، 1971)، ص 349-348]، إلى آخر هذه الروايات: «قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتُها وعشتها (7)»، الدستور، 18/9/1972، ص 4.

(296) يختفي هذا الاجتماع كاملاً من مقالات الريماوي في الدفاع والدستور.

وما خرجنا من مكاتب وزارة الدفاع، حتى شاهدنا عددًا من البوليس السري يحيط بنا، ويتنقل معنا من مكان إلى آخر، فاستغربنا الأمر، ولمّا استفسرنا عن ذلك، قيل لنا إنّ الدافع إلى ذلك هو المحافظة على حياة القائد الباسل، إلا أنّنا عرفنا في ما بعد أنّها رقابة فرضها المسؤول عن شعبة فلسطين، تلبية لرغبة [فوزي] القاقوجي. وبعدها اجتمعنا بالهيئة العربية العليا، وسماحة المفتي [محمد أمين الحسيني]، فأطلعهم عبد القادر [الحسيني] على سوء معاملة اللجنة العسكرية له، وأوضح لهم نيّتها [في التأمّر] على البلاد، وفهمنا أنّ ذلك أنّ اللجنة العسكرية طلبت بيانات وتفاصيل القوات تامة عن جميع أعمال الجهاد المقدس، وخرائط وتفاصيل إدارية عن الحسابات وعدد الجنود وغيرها. فطلب إليّ عبد القادر العودة إلى فلسطين في الحال، وإحضار جميع المطلوب، فعدت إلى فلسطين وأحضرت جميع المعلومات اللازمة⁽²⁹⁷⁾. في اليوم الثاني، كانت معلومات تامة واضحة لا لبس فيها ولا

(297) سجّل الريماوي في مقالات الدفاع والدستور بعض تفصيلات عودته إلى بئرزيت، فكتب: «غادرنا الفندق الساعة العاشرة والنصف مساءً، [بعد الاجتماع مع عبد الرحمن عزّام]، فطلب مني عبد القادر العودة إلى بئرزيت - مقرّ القيادة العامة - وإحضار جميع المعلومات المطلوبة عن المسلّحين وأسمائهم، وتنظيماتنا وخططنا، وكل هذه المعلومات. عدت إلى بئرزيت >راكبًا< سيارة أجرة كان يستخدمها إميل الغوري، وعدت إلى بئرزيت. مررت بدرعا، وبعد شرب الشاي مع الإخوان الرفاعي وبهجت، والمسؤولين عن الأمن والجمرك في درعا، غادرتها، وسلّموني شخصًا مشتبهًا به التعامل مع العدو. وجدت أنّ الرجل أبله، فقررت تسليمه إلى اللجنة القومية. [...] [وفي الطريق] الموصل إلى العيزرية من أريحا، [...] فُتحت علينا نيران كثيفة من حرس العيزرية، ظنًا منهم أنّنا يهود قادمون لمهاجمتهم. احتمينا بخندق جانب الطريق المؤدي، وأخذنا نصرخ عليهم، وننادي بأننا من الجهاد المقدس. عرفونا بعد حوالي نصف ساعة، وسمحوا لنا بالمرور، وكان المسؤول عن هذه الحامية السيد أبو الريش<». وأضاف الريماوي: «>وصلنا بئرزيت بعد منتصف الليل، وفي الصباح الباكر، طلبت من مدير المكتب السيد سليمان ربيع، وكان يتمتع بكفاءة وخبرة طويلة في إدارة المكاتب والسجلات، كسبها من عمله مع الجيش البريطاني، وكان يساعده السيدان فؤاد وعبد العزيز الريماوي. كانت السجلات مرتبة ترتيبًا جيدًا، يظهر [فيها] كل طلقة وكل بندقيّة وملف لكل مجاهد، على غرار أحسن المكاتب. قضينا النهار كله في جمع المعلومات وطباعتها، وفي هذه الأثناء عاد عدد من المجاهدين الذين شاركوا في معركة كفار عتسيون بمنطقة بيت لحم، وأحدهم يحمل رشاش برن، وكان الرشاش يساوي مئتين وخمسين جنيهًا في ذلك الوقت، واسمه رفيق أحمد<»: الريماوي، «لمناسبة ذكرى استشهاد القائد»، ص 7. والإضافات المدرجة بين علامتي < > من: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس

(5)»، ص 4.

إبهام. وبعد تجهيزها، أرفقها عبد القادر بتقرير شامل هذا نصه⁽²⁹⁸⁾، وقدمها إلى اللجنة العسكرية.

وفي هذا اليوم، كان قد تم الاتفاق على عقد اجتماع مع عزّام باشا، الأمين العام للجامعة العربية، لإطلاعه على حقيقة الموقف، وموقف اللجنة العسكرية. وفي تمام الساعة الثامنة من مساء 4 نيسان/ أبريل، توجهنا إلى فندق أوريون/ [الشرق]، حيث يقيم عزّام باشا. ولما علم بقدمه، عبد القادر [الحسيني]، استقبله عند مدخل الغرفة، وأخذ يقبله من رأسه، قائلاً له: «لقد رفعت رأس العرب عاليًا يا عبد القادر». فحجل عبد القادر وقال له: «إنني لم أقم بشيء غير الواجب». وجلس عزّام، وجلس بجانبه سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني]، وعبد القادر [الحسيني]، وإميل الغوري، وجلست أنا معهم. فأخذ عبد القادر يشرح للبasha حقيقة الموقف، وخطة اليهود التي يودّون اتباعها بعد جلاء الإنجليز، ويبيّن له مدى تقصير اللجنة

= أما معركة كفار عتسيون التي تحدّث عنها الريماوي هنا، فالمقصود بها معركة كفار عتسيون الثانية، أو ما اشتهر في المصادر العربية بمعركة الدهيشة، وفي المصادر الصهيونية معركة النبي دانيال التي وقعت صباح 27 آذار/ مارس 1948، بعد تصدّي المئات من المقاتلين العرب من قوة الجهاد المقدس، على رأسهم كامل عريقات، ومن أبناء القرى المجاورة لمنطقة بيت لحم، لقافلة صهيونية خرجت باتجاه كفار عتسيون. وانتهت المعركة بتسليم المقاتلين الصهاينة أنفسهم للجيش البريطاني، وعتادهم للمقاتلين العرب، مساء يوم 29 آذار/ مارس، تحقيقًا لشروط الهيئة العربية العليا التيفاوض باسمها عريقات. وقُتل في هذه المعركة، وفقًا للمصادر الصهيونية والتقارير البريطانية، 15 صهيونيًا، واستسلم 210 آخرون، من ضمنهم 49 جريحًا. عن هذه المعركة، يُنظر: أبو الشعر، ص 160-167؛ العارف، مج 1، ص 135-138؛ ليفي، ص 94-99؛ «معركة صعبة في طريق كفار عتسيون»، دفار [بالعبرية]، 1948/3/28، ص 1؛ «عشرات المدافعين عن الشاحنات وقفوا بشجاعة»، دفار [بالعبرية]، 1948/3/29، ص 1. ويُنظر: Tauber, *Military*, pp. 307-308; Milstein, vol. 4, pp. 121-159.

(298) لا يرد التقرير في نص المخطوط، ويكتفى بترك فراغ، ويؤشر حديث الريماوي إلى أنه كان متوافرًا لديه لحظة تدوين النص. ويفرق الريماوي في المخطوط تفريرًا لما يُظن أنه بعض ما دُوّن في هذا التقرير. يُنظر الملحق الأول في الملحق الوثائقي. لكن ما يلفت الانتباه، أنّ نصوص مقالات الريماوي لا تتحدث عن تدوين هذا التقرير بعد عودته من بيرزيت، قادمًا بالبيانات المطلوبة، وإنما تتحدث عن سياق آخر لتوجه عبد القادر الحسيني إلى دمشق، ابتداءً بتدوينه خطة، أو تقريرًا كما يرد أحيانًا، يلخّص فيه الموقف العربي في القدس، والاستعدادات ليوم 15 أيار/ مايو 1948، موعد الجلاء البريطاني عن فلسطين.

العسكرية في مساعدته، وطلب منه التدخل في الأمر لمنحه بعض الرشايات والمساعدة⁽²⁹⁹⁾.

وأوضح له أنه بفضل هذه المساعدة سيُنهي الحرب في فلسطين، لأنه سيحتل مدينة القدس والمستعمرات المجاورة لها، وبذلك سيتم تشريد مئتي ألف يهودي، والشعب اليهودي لا يمكنه تحمّل مثل هذه الضريبة، إن مادياً أو معنوياً، فتحمّس له الباشا وقال: «سأدعوهم لاجتماع تحضره أنت. وإنني أنا شخصياً سأحاول مساعدتك، فإنّ أحد أصدقائي قال إنه مستعد لدفع مئة ألف جنيه للجهاد في فلسطين، فسأستلف منها أربعين ألفاً لمساعدتكم. وعلى أي حال، فسنعقد الاجتماع عند الساعة العاشرة معهم»⁽³⁰⁰⁾.

(299) اختلف ترمين هذا الاجتماع بين المخطوط والمقالات، ففي المقالات كان الاجتماع مع الأمين العام لجامعة الدول العربية، عبد الرحمن عزام، من أول الاجتماعات، بعد وصول عبد القادر لدمشق، فكتب الريماوي أنه بعد وصولهم إلى دمشق، واجتماعهم الأول إلى الحاج أمين الحسيني: «وفي المساء، توجهنا إلى فندق الأوربون/ [الشرق]، لمقابلة عبد الرحمن عزام باشا، أمين الجامعة العربية، فاستقبلنا في تمام الساعة الثامنة، وأخذنا بالحضن، وقبّل رأس عبد القادر قائلاً له: 'لقد رفعت رأس العرب عالياً'. أخذ عبد القادر يشرح له حقيقة الوضع، وقد كان لنا لقاء سابق معه، قبل بدء أعمال الجهاد المقدس، هو والشيخ يوسف ياسين، ووعدنا بمساعدات لم تصل. >وشكا إليه [عبد القادر الحسيني] < موقف اللجنة العسكرية من الجهاد المقدس، فوعد الباشا خيراً، وقال: 'إنهم يقولون إنكم لا تتعاونون معهم، وإنهم يودّون الحصول على معلومات كافية عن تنظيماتكم، وعن القوات وأسماء المجاهدين وتوزيعهم'. > [وأضاف]: 'سأتصل باللجنة العسكرية، وسيقدّمون ما يلزم. وأطلب منكم تقديم المعلومات التي يطلبونها منكم، فهم عسكريون يؤمنون بالجيوش والحروب النظامية'. > وهنا كان ردّ عبد القادر الحسيني، وفقاً للريماوي: «إنّ لدينا من التنظيم ما لا يقل عن غيرنا، ونحن على استعداد لتقديم المعلومات المطلوبة، شريطة إمدادنا بالمساعدة. وإننا أثبتنا جدوى الحرب الشعبية وفعاليتها»: الريماوي، «لمناسبة ذكرى استشهاد القائد»، ص 7. والإضافات المدرجة بين علامتي < > من: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (5)»، ص 4. ويُلاحظ أنّ الريماوي، كجزء من الإسكات، عمل في مقالاته على إخفاء حضور إميل الغوري للاجتماع مع عبد الرحمن عزام، وأشار فيها إلى أنّ الاجتماع مع عزام كان بحضور المفتي [محمد أمين الحسيني]، من دون أي إشارة للغوري الذي أثبت المخطوط حضوره.

(300) في مقالاته، يتحدث الريماوي عن أنّ الاجتماع مع اللجنة العسكرية أتى بعد اتصالات جانبية مع رياض الصلح، وجميل مردم، وعزام باشا، وبعض الضباط العراقيين العاملين مع فوزي القاوقجي، وأعضاء الهيئة العربية العليا.

وقد دام الاجتماع حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. وبعد الاجتماع، توجهنا إلى المنزل الذي يقيم فيه عبد القادر [الحسيني]. وفي مساء اليوم الثاني، وبتاريخ 5 نيسان/أبريل 1948، أُذيع نبأ احتلال اليهود لقرية القسطل، فثارت ثائرة عبد القادر، وذهب لغرفته وقد أخذ يذرعها جيئةً وذهاباً بسرعة كالنمر في القفص، وهو يقول: «لقد احتلوا القسطل، يا للعار، إنهم [يريدون] تسليم بلادنا للأعداء». وكان في حالة تهيج ما بعده تهيج، وأخذ يتمتم بكلمات لم أستبها من شدة غضبه. وإنني أؤكد أنه ما لحق الغضب لاحتلال اليهود القسطل بشراً أكثر منه⁽³⁰¹⁾.

وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم الثاني، توجهنا إلى قدسيا، حيث تقيم اللجنة العسكرية، وهناك عُقد اجتماع حضره أعضاء من اللجنة العسكرية والسياسية، منهم: إسماعيل صفوت، وأحمد الشراباتي، ومحمود الهندي، وطه الهاشمي، وسماحة المفتي [محمد أمين الحسيني]، وعبد القادر [الحسيني]. وقد تأخر رياض الصلح وعزّام باشا قليلاً، إلا أنهما كانا على اتصال بالاجتماع⁽³⁰²⁾، وبعد أن شرح لهم خطة اليهود المتينة لاحتلال القدس،

(301) في المقالات، اهتم الريماوي بتسجيل توجههم إلى الربرة للغداء، في 5 نيسان/أبريل 1948، فكتب: «وأذكر جيداً أننا، ظهر ذلك اليوم، توجهنا إلى الربرة. <وقد دعانا إميل الغوري> لتناول طعام الغداء، <حضره السيد جريس خليف>. وهناك طلبت منه توجيه رسالة إلى عائلته وأولاده، فكتب الرسالة، وهي آخر رسالة في حياته. <وقد نشرت مجلة آخر ساعة، الصادرة في 9 نيسان/أبريل 1950، صورة بالزنكوغراف لهاتين الرسالتين. وقد كانت آخر عبارة كتبها إلى أولاده - هيفاء وموسى وفصل وغازي - هي العبارة التالية: 'عمو قاسم الريماوي يهديكم السلام'. أطلعني عليها بعد أن كتبها وقال: 'لم أنسّ إبلاغهم سلامك'. وقد كان يقول، ونحن جالسون، بالحرف الواحد: 'آه. يا سلام ما أحلى ريحة الجنة، إنني أشم رائحة الجنة، إنني أشم رائحة الجنة'. وقد كررها أكثر من مرة. وفي المساء، وردت الأخبار عن سقوط قرية القسطل في أيدي القوات اليهودية فجئ جنونه، وكنا نقيم في غرفة صغيرة في بيت خاص، فأخذ يذرعها كالنمر في القفص، وهو يولول ويقول: 'لقد احتلوا القسطل'. وأذكر أنه لم يدق للنوم طعمًا، فالقسطل كانت أول قرية تسقط في أيديهم. <وكان يوزّع الشتائم على اللجنة العسكرية والهيئة العربية والجامعة العربية، وعلى 'س' من المسؤولين عن الجهاد المقدس أثناء غيابه>: الريماوي، «المناسبة ذكرى استشهاد القائد»، ص 7. والإضافات المدرجة بين علامتي < > من: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (5)»، ص 4.

(302) يخالف الريماوي في مقالاته ما أورده في المخطوط أعلاه، فيؤكد بأن الاجتماع تم في مقرّ اللجنة العسكرية، برئاسة إسماعيل صفوت، وبحضور وزير الدفاع السوري، والحاج أمين =

وخطته لمقاومتهم، بدأ الحديث إسماعيل صفوت، بصفته القائد العام، وقال: «اطلنا على تقريرك، ولكن القسطل قد سقطت، فإن كنت عاجزاً عن استردادها فسنتطلب إلى [فوزي] القواقجي أن يسترجعها». فقال له عبد القادر: «القسطل يا باشا مأخوذة من كلمة Castle، ومعناها حصن. وأنت تعرف أن خطتي هي محاصرة القدس والمستعمرات اليهودية، وقطع التموين والماء عنها، وضرب القوافل القادمة إليها، وقد نجحت هذه الخطة حتى أدت باليهود إلى طلب الهدنة في القدس، وبالولايات المتحدة للعدول عن مشروع التقسيم، وأنت تعرف أنني لا يمكنني مهاجمة القدس والمستعمرات، أو إرجاع القسطل، بالبنادق الإيطالية والذخيرة القديمة التي أحضرتها من مصر، ولكن إن قدّمتم لي مدفعية، فإنني على استعداد لاسترجاع القسطل، واحتلال مدينة القدس والمستعمرات المحيطة بها، وإعطائكم إياها مستسلمة قبل يوم 15 أيار/ مايو. وإن عجزت عن ذلك، فيمكنكم محاكمتي عسكرياً، وشنقي في وسط مدينة الشام».

فيجيبه إسماعيل صفوت بلهجته العراقية: «عبد القادر، ماكو مدافع». عبد القادر [الحسيني] يثور كالأسد قائلاً له: «وهل المدافع لتطويق مزابل جبع يا باشا! (يشير إلى المدافع والدبابات التي قدّمتها اللجنة العسكرية إلى فوزي القواقجي، فحفظها في جبال جبع وطوباس، بعيدة عن ميدان القتال⁽³⁰³⁾). لقد أضعتم بلادنا. إنكم أنتم المسؤولون عمّا سيحلّ بنا من

= الحسيني، وعبد القادر الحسيني وشخصه. ووفقاً لما يورده الهاشمي في يومياته ليوم 6 نيسان/ أبريل 1948، فإنّ الهاشمي لم يشارك في الاجتماع، وسجّل أنه علم من إسماعيل صفوت أنّ عبد القادر [الحسيني] والمفتي [محمد أمين الحسيني] زاره في قدسيا، وأنهما يتحادثان معه: الحصري، ص 211.

(303) ووفقاً لما يورده الهاشمي في يومياته ليوم 6 آذار/ مارس 1948، فإنّه أيضاً لفت انتباه صفوت إلى ضرورة إرسال قوة مع مدافع من جهة القواقجي إلى القسطل لاستردادها. وعلّل الهاشمي ذلك «لأنّ بقاءها لدى اليهود فضيحة للعرب وللقيادة العامة». وسبب حديث الهاشمي لصفوت ما نقله إليه رياض الصلح؛ «وكان رياض الصلح قد أتى إلى غرفتي وأخبرني بالقصة، فقال: 'أرسلا ما يمكن إرساله، وإلا يجعلون الأمر دعابة سيئة ضدّ الجامعة'». هذا يؤكد ما أشار إليه الريماوي من نقاش بين صفوت وعبد القادر الحسيني حول ضرورة إرسال المدافع، ويشير ضمناً كذلك إلى تحميل الحسيني =

دمار، أيها الخارجون المتآمرون. سأحتل القسطل، وأموت أنا وكل جنودي،
وسيسجّل التاريخ ويشهد العالم أنّكم أنتم المجرمون الخونة الذين أضعتم
البلاد».

وقذف بالخريطة الكبيرة التي كان يشرح لهم فيها الخطة التي يتبعها
اليهود لاحتلال مدينة القدس، وقال: «إنني مستقيل من قيادتكم». وأخذني
من يدي، وأقفل الباب بقوة هزّت العمارة، وقال: «إما أن نتحرر هنا بدمشق،
أو نذهب إلى العراق حيث نخفي، أو نعود إلى فلسطين لنموت في سبيلها.
ولكن لا، سنعود إلى فلسطين». ولمّا علم رياض الصلح بخبر استقالة
عبد القادر لحق به إلى فندق أوريون/[الشرق]، وألحّ عليه بوجوب سحب
استقالته، ولكنه أبى.

وبعدها، غادر الفندق، وتوجّهت وإياه إلى مخازن اللجنة العسكرية في
المزة، فرأى بأم عينه مئات الرشاشات والبنادق والمتفجرات فيها، وكان قد
طلب من اللجنة العسكرية إعطاءه متفجرات، لينتجز فرصة وجوده بدمشق،
ويحضّر لغمًا لنسف مشروع روتمبرغ الذي يدير جميع المصانع اليهودية
ويزودها بالمتفجرات. وقد وفد إليه الفدائيون من الرجال إلى دمشق ينتظرونه،
ولكنّ اللجنة رفضت إعطاءه متفجرات لذلك.

فلمّا وقف بنفسه على حقيقة الحال، ورأى بأم عينه هذه الأسلحة
المكدّسة، واطلع على حالة الخمسين بندقية التي كانت اللجنة تودّ إعطاءه
إياها، وهي عبارة عن حديد بلا خشب، ومستعملة، أكثرها غير صالح
للعمل، جُنّ جنونه، وفقد الوعي والصواب، واتجه إلى أوتيل أوريون/
[الشرق]، حيث يقيم سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني]، ودخل عليه
وهو لا يكاد يميّز من شدة الغيظ والغضب، وقال له: «إنهم متآمرون علينا
وعلى بلادنا، ولا أمل لنا بوجودهم. إنني قررت العودة، وسأعود جنديًا

= للجنة وجامعة الدول العربية مسؤولية ما سيحصل. ويُنظر وصف الحاج أمين الحسيني لهذا الاجتماع
في: العمر، ص 391.

يعرف كيف يحارب عن بلاده». فأخذه سماحة المفتي إلى بستان في دمشق، وطال الحديث بينهما، ورأى التصميم. وكانت الساعة قد بلغت السابعة مساءً، والليل أرخى سدوله بين عينيه، فودّعه ثلاث مرات، وكأنّه كان يعرف أنه الوداع الأخير⁽³⁰⁴⁾.

> [كانت هذه] الظروف الصعبة التي أحاطت بعبد القادر قبيل رحيله إلى دمشق لآخر مرة، [.....] ولم أوضّح الضائقة المالية الخائقة التي كانت تتعرّض لنا؛ [.....] [منذ تأسيسه، التزم الجهاد المقدس] بمبدأين أساسيين: أولهما، أن لا يقبل أي فرد أو مسؤول فيه تبرعات مالية. وثانيًا، عدم قتل أي إنسان، ولو كان جاسوسًا، بل تحويله إلى الجهات القضائية المختصة، كما حصل مع «ص.ع.» الذي اعترف أنه ينقل الخضار إلى اليهود، فطلب منه أن يعيبي سيارته بالمتفجرات، ويضع فوقها الخضار، ويفجّرها في شارع الملك جورج بالقدس. ولمّا لم تتم هذه العملية، فقد [جرى] تسليمه إلى السلطات الأردنية، بعد دخول الجيوش العربية، وتمت محاكمته.

أما من الناحية المالية، فيكفي أن أقول إنّ عبد القادر قد استشهد وبذمته وصولات رسمية ديونًا تزيد عن ستة آلاف دينار، تم تسديدها في ما بعد. وأذكر

(304) في المقالات، أشار الريماوي إلى أنّ الحاج محمد أمين الحسيني سلّم عبد القادر الحسيني 900 جنيه: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (5)»، ص 4. وأثبت الريماوي نصًا آخر كتب فيه: «وقد لحق بنا الأستاذ إميل الغوري، وأخذ منّا مئة و[عشرة جنيهات]، أجاز التكسي الذي كنّا ننتقل فيه»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (6)»، ص 4.

وكانت رواية الريماوي عن استقالة الحسيني، وما حدث بعدها مع المفتي [محمد أمين الحسيني]، موضع اعتراض إميل الغوري، فالغوري الذي أكّد رواية الريماوي عن تكدّس السلاح في مخازن اللجنة العسكرية، أشار إلى أنّ الحسيني، بعد غضبه، عاد مع المفتي إلى فندق قصر الشرق. وعندما أيقن عبد القادر أنه لن يتحصّل على السلاح الذي سيعيد القسطل، رفع استقالته للحاج أمين الحسيني، لكنّه رفضها، ووعده بمساعدته قدر الاستطاعة. وأسند الحاج أمين الحسيني، في رفض الاستقالة، عبد الرحمن عزّام وشكري القوتلي اللذين وعدا بتدبير السلاح والعتاد. وعمل الحاج أمين الحسيني على تكليف بعض رجال الهيئة بشراء السلاح فورًا. ودفع شكري القوتلي اللجنة العسكرية، بواسطة محمود الهندي، إلى تزويد عبد القادر الحسيني ببعض السلاح والذخائر، فتسلّمها الحسيني وعاد إلى القدس: الغوري، إظهار، ص 41.

بهذه المناسبة الحادثتين التاليتين؛ [أولاً]، عندما عاد عبد القادر من القاهرة، في أواخر شهر شباط/فبراير 1948، وكانت عملية نسف شارع هاسوليل - بن يهودا، قد تمت قبل ذلك بأسبوع، يوم 22 شباط/فبراير، قابلته في فندق بانوراما برام الله، وكنا نأوي إليه أحياناً. سألته هل أحضر نقوداً أم لا، فاحمرّ وجهه، وانهمرت الدموع من عينيه، وهذه أول مرة أراه فيها يبكي من شدة الغضب. قال: «لم يعطوني سوى مئتي دينار». [ثانياً]، إنَّ أهم ما كان يشغل بالنا جميعاً هو احتلال مراكز الوثوب عند جلاء القوات البريطانية عنها، وهي تفصل بين العرب واليهود في القدس. وقد ذكرنا في التقرير أنّ هذه العملية تحتاج إلى خمسمئة مسلّح؛ أما المسلّحون فكانوا جاهزين، ويمكن إحضارهم من منطقة رام الله في بضع ساعات، إنما كانوا بحاجة إلى تمويل، بمعدل عشرة جنيهات للشخص الواحد، لأنّي أريد إحضارهم للمرابطة في تلك [المنطقة].

طلب عبد القادر من اللجنة القومية بالقدس عمل الترتيبات اللازمة لتزويدهم بالتمويل وبعض اللوازم الضرورية، ثم تقرر عقد اجتماع مشترك للجنة القومية والغرفة التجارية. عُقد الاجتماع، وحضره عبد القادر نفسه، وأعلمهم عن حاجته، فقرروا الطلب من أصحاب العمارات في المناطق المتاخمة للحدود اليهودية، كشارع مأمّن الله وباب الخليل والمصرارة والبقعة الفوقا والقطمون، أن يدفعوا تبرعاً يقلّ عن ثلاثة بالمئة من قيمة كل عقار.

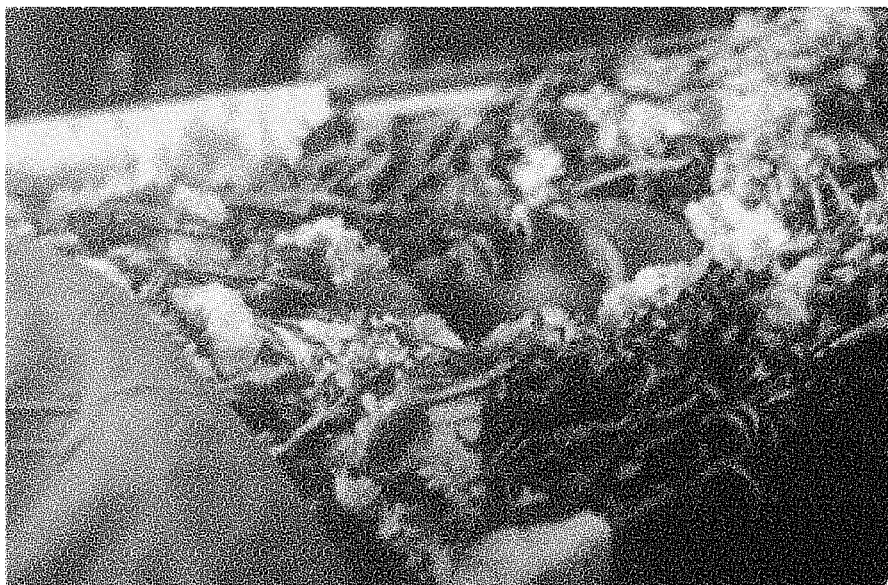
وقامت لجنة في الاجتماع برئاسة السيد جورج خضر، وقدرت هذه العمارات والتبرعات المتوجب جمعها، وكانت في معظم الحالات لا تزيد عن مئتي دينار. وعد الملاكون الدفع قبل يوم الإثنين المقبل، وكان الاجتماع بعد ظهر يوم الخميس. ولدهشة الجميع، لم يأت يوم الإثنين إلا وعدد منهم، من كبار الملاكين، قد غادروا البلد إلى لبنان وسوق المغرب. قابلت أحدهم، وهو رئيس الغرفة التجارية، في سنة 1950، في مكتب المرحوم أحمد حلمي باشا، بنك الأمة بالقاهرة، فذكرته بذلك الاجتماع، وقلت له: «إذا قلت لك الآن عشرة آلاف دينار، وأعطيتك عمارتك في مأمّن الله؟». فقال: «أعطيتك أربعين ألفاً، ولكننا خُدعنا. لقد خدعتنا الدول العربية، وكنا نتوقع أن نعود يوم

15 أيار/مايو، بعد دخول الجيوش العربية، وأننا سنأخذ بيوت اليهود المجاورة». إنني أروي هذه القصة بكل ألم، وبعد تردد، ولكنها الحقيقة التي التزمت بها والحقيقة مرّة.

إلى القسطل: رحلة الشهادة⁽³⁰⁵⁾

الصورة (2-10)

عبد القادر الحسيني شهيداً



المصدر: مجموعة غازي عبد القادر الحسيني. التقطت في 9 نيسان/أبريل 1948. المصور مجهول.

في الساعة الثامنة، غادرنا دمشق في طريقنا إلى فلسطين، عن طريق درعا - عمّان. وفي درعا، استقبلنا مدير الأمن الذي كان صديقاً لعبد القادر [الحسيني]، وقال: «لقد وردت برقيات من القدس؛ من أحمد حلمي باشا

(305) وردت قصة معركة القسطل في مخطوط الريماوي عن عبد القادر، وجاءت استكمالاً للنص الذي يتناول الحديث عن زيارة عبد القادر الحسيني الأخيرة إلى دمشق: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 8. أما في مقالاته، فإن الريماوي لم يدوّن عن المعركة، لكنّه أشار في =

والدكتور الخالدي، إلى اللجنة العسكرية، عن طريقنا، يطلبان فيها عودتك في الحال، ويقولان كيف يجوز له الهرب من البلاد إلى دمشق وهو القائد، والبلاد تحتضر وفي ضيق شديد»⁽³⁰⁶⁾. وما أن سمع هذا النبأ، حتى ثارت ثائرتة وقرر السفر في الحال.

= إحداهما إلى تناقض الروايات المنشورة حول المعركة، مع إثباته لحوادث لم يتطرق إليها في النص المدون في المخطوط، فيبدأ بالغمز في موقف إحدى الشخصيات التي يرمز لها بـ «س»، فيقول: «أعود لاستئناف الحديث عن المرحلة الأولى للجهاد المقدس، وهي التي انتهت بمعركة القسطل التي لاقى فيها شهيدنا البطل ربه طائفاً مختاراً. وشتان بين هذا الموقف المشرف، وبين موقف 'س' من المسؤولين الذي انتهر مختار قرية القسطل والوفد الذي رافقه لدى حضورهم لطلب العون والمساعدة قائلاً: 'إننا في غنى عن القسطل، فلقد مسحنا اسمها من خريطة فلسطين'»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (6)»، ص 4.

وعلق الريماوي على بعض الكتابات التي تطرقت للمعركة، فكتب: «أما المعركة في حد ذاتها، والمعركة التي تلتها، وتم فيها احتلال القسطل وإنقاذ جثة الشهيد، فقد كانت موضع تناقضات وروايات، بعضها مختلق من أساسه. وأعجب ما قرأته عنها هو ذلك الوصف الذي نشرته جريدة الأهرام على صفحة بارزة بقلم أحد المصريين، زعم فيه أنه شارك في المعركة، وأنه قام بالطبع بدور بطولي فيها. اطلعت على هذا المقال، بعد أن انتهى بي المطاف في القاهرة، على إثر توقيع اتفاقية رودس، أو قبل ذلك بقليل. وأصدق وصف للرواية المذكورة هو ما يقوله المثل السائر 'قصة أولها كذب وآخرها كذب'، وأغرب ما فيها أنّ المذكور قد زار مكتب الهيئة، ووجد فيها من يصدق روايته. أما الرواية التي نشرها كتاب يا قدس [Lapierre, p. 260-265]، فقد خلط فيها خلطاً عجيباً، ولم يوضح كيف تم استرجاع القسطل. والحقيقة أنه لم يُنشر إلى الآن وصف حقيقي للعملية. وقد طلب منّي السيد عارف العارف وغيره، كما طلب منّي أخيراً، وقبل ثلاثة أشهر، نقيب الصحفيين المصريين، بواسطة الأستاذ تيسير ظبيان، برسالة، أن أكتب له وقائع هذه المعركة، ولكنني لم أفعل شيئاً من هذا. والحقيقة أنني أشعر بضيق ومرارة كلما تذكّرت هذه المأساة. ولكنني أعد القراء بأن أكتب عنها في المقالات المقبلة. وأكتفي هنا بالقول بأن كاتب هذه السطور كان أول من وصل إلى القسطل على رأس قوة من الجهاد المقدس، بعد [أن] أخذته قوة الجهاد التي هاجمتها ليلة استشهاد البطل، ولم أجد سوى أحد الحراس المرافقين لعبد القادر، وهو السيد سيف بن عبد الدلال. وقد قامت قواتنا بتطويق القرية من الشمال والجنوب الغربي، واقتحمتها من هذين الموقعين قبل وصول أية نجدات. أنا لا أنكر أنه قد وصلت نجدات كبيرة بعد ذلك، واشتبكت مع قوات العدو من الجهة الشرقية، منها مصفحة بقيادة الحاج محمود درويش من قوات حسن سلامة، اشتبكت مع مصفحة للأعداء، وجرح الحاج محمود، وقوات أخرى بقيادة كل من عبد الحلیم الجيلاني ورشيد عريقات»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (6)»، ص 4.

(306) لم يُنشر الريماوي، في نصوصه المتأخرة، إلى هذه البرقيات التي تتحدث عن موقفَي الدكتور الخالدي وأحمد حلمي عبد الباقي. وكما يظهر للقارئ، فإن نصوص المقالات احتفت بدور الرجلين، وأبرزت ما يسميه الريماوي صمودهما في القدس.

وصلنا جسر النبي الساعة الرابعة صباحًا، حيث وجدنا سرية من متطوعي الإخوان المسلمين، بقيادة الشيخ مصطفى السباعي، في طريقهم إلى القدس، فصافحهم عبد القادر [الحسيني]، ورافقهم إلى القدس. وبعد أن وصل دار أخيه، حيث وضع أمتعته الخاصة، عاد في الحال إلى [مدرسة] الروضة، حيث تقع قيادة «الجهاد» في القدس، ليقف بنفسه على راحة القادمين. وبقي هناك، بالرغم من سهرة المتواصل طيلة مدة إقامته في دمشق، وعدم ذوقه للنوم طعمًا في الـ 48 ساعة الأخيرة، حتى اطمأن عليهم. ورفض أن يتناول شيئًا من الطعام.

وقبل مغادرتنا الروضة، تم الاتفاق على مهاجمة القسطل مساء اليوم الثاني، حيث نتوجه إلى بئرزيت، حيث يقع مركز قيادته، ومن هناك يأخذ قواته، ونتوجه جميعًا إليها لاحتلالها. وافترقنا على أن نعود إلى الروضة في المساء، أما هو، فتوجه ليستريح في بيت أخيه [سامي]، وأنا توجهت إلى الاستراحة في بيتي بالقرب من الروضة [في حيّ السعدية]. وفي المساء لم يعد للروضة، فتوجهت نحو دار أخيه في باب الساهرة، فعلمت من أخيه أنه ما كاد ينام قليلًا حتى حضر إلى الدار القائد إبراهيم أبو دية، وعبد الله العمري، وحافظ بركات وغيرهم، وأخذوا يسردون له قصة احتلال القسطل بشكل مثير لم يتمالك معه إلا أن صمم التوجه في الحال لمهاجمتها من الجهة الشمالية، عن طريق بئرزيت - رام الله. كما تم الاتفاق [على مهاجمتها] من الجهة الجنوبية الشرقية، عن طريق بني حسن - قضاء القدس.

وبالفعل، توجه إلى حيّ القطمون في القدس، وطلب إلى آمر الحامية إبراهيم أبو دية إحضار أكبر عدد ممكن من حُماة الحيّ لمهاجمة القسطل، كما طلب النجدات من بيت صفافا والمالحة وعين كارم ودير ياسين وصوبا، أي من قرى بني حسن. وأرسل مالك الحسيني وعزمي الجاعوني من أتباعه إلى بئرزيت ورام الله، ليتصلوا بقوات الجهاد المقدس في بئرزيت، لمهاجمة القرية من الجهة الشمالية والغربية والشمالية الشرقية، واتفق معهم أنّ موعد الهجوم الساعة الثانية بعد منتصف الليل، إلا أنهم لم

يوصلوا الرسالة، ولم يجتمعوا بالقوات، بل قضوا ليلتهم في فندق بانوراما في رام الله⁽³⁰⁷⁾.

وواصل سفره إلى القسطل في سيارة جيب عن طريق عين كارم، وبعد أن وصلها، وجد عددًا من المجاهدين بالقرب منها، وكانت قوات الجهاد المقدس، بقيادة كامل عريقات، قد حاصرتها منذ سقوطها بتاريخ 4 نيسان/أبريل 1948، واحتلت المحاجر اليهودية الواقعة إلى جنوبها ودمرتها، كما سيطرت على المرتفعات الشرقية والجنوبية. وهناك، وفي غرفة تقع في سفح الجبل الذي يواجه القسطل، بالقرب من المحاجر المدمرة، جلس عبد القادر [الحسيني]، وبجانبه عدد من قواد الفصائل وأمري السرايا، منهم السيد إبراهيم أبو دية، أمر السرية الثالثة، وأمر حامية القدس فاضل رشيد⁽³⁰⁸⁾، وعبد الله العمري أمر السرية السابعة، وحافظ بركات أمر السرية الرابعة، وأمر السرية الثامنة (سرية القوافل)، وعدد كبير من مسلحي قرى بني حسن، يقرب من ثلاثمئة مسلح.

وقد وُزِعهم عبد القادر [الحسيني] بشكل عسكري ممتاز، فأرسل أمر السرية الثامنة ليتولى الميسرة، ويبدأ الهجوم من الجهة الجنوبية الغربية. ووضع [إبراهيم] أبو دية، أمر السرية الثالثة، في القلب. وولى حافظ بركات، أمر السرية الرابعة، الميمنة من الجهة الشرقية. وبعد أن وُزِع عليهم الذخيرة المطلوبة، وقبل أن ينسحبوا، طلب أبو دية منه السماح لحرسه الخاص، وكان من أشجع

(307) تُظهر رسالة من رئيس بلدية نابلس، سليمان طوقان، موجهة إلى قائد جيش الإنقاذ، فوزي القاوقجي، في 6 نيسان/أبريل، إشكالية اتهام الريماوي أعلاه، إذ يشير طوقان إلى أن عزمي الجاعوني ورفيقه قد حضروا الآن من القدس، في طريقهم لمقابلة القاوقجي، لشرح الحالة في القسطل، والإمدادات اليهودية التي تُحصَر للمعركة، طالبين المساعدة المستعجلة لإنهاء المعركة، وإعادة المكان المحتل: «رسالة من سليمان طوقان إلى فوزي القاوقجي»، بتاريخ 6 نيسان/أبريل 1948، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، الرقم المرجعي: 65/48/س/12.

(308) فاضل رشيد عبد الله: ضابط عراقي. التحق بثورة رشيد عالي الكيلاني، وبعد فشلها لجأ إلى إيران، واعتُقل بعد ذلك ونُفي إلى روديسيا. التحق بالقوات العربية العاملة في فلسطين، وعيّنته اللجنة العسكرية العربية أمرًا لحامية القدس، تحت إمرة قائد القطاع الشرقي في المنطقة الوسطى، عبد القادر الحسيني. رُقي في 21 آذار/مارس 1948 إلى رتبة رئيس، وبعد انتهاء الحرب، استقر في ألمانيا وتوفي فيها.

المجاهدين، وهو عوض [محمود أحمد الترمسعاوي]، ويحمل رشاشًا من نوع برن الممتاز، أن يشترك معهم، لنقص الرشاشات والأسلحة، فلمّا رأى ضرورة ذلك، سمح له بالاشتراك. وبقي هو في غرفة القيادة، وبقي عدد من الجنود، منهم علي الموسوي [الموسوس] وغيره، وجودت العمدة، بجانبه.

وفي الساعة الثالثة تمامًا، أطلق القائد شارة الهجوم. وكانت الخطة أن يبدأ الإطلاق بصورة قوية من الجهة الغربية، للإشغال وإيهام العدو أنّ الزحف من هناك، وبعدها يتقدّم القلب والجناح الأيمن لاحتلال القرية من الجهة الجنوبية والشرقية، ونسف الاستحكامات اليهودية فيها. وبالفعل، بدأ إطلاق النار بصورة قوية من الجهة الغربية، فقابل اليهود النار بالمثل. وفي هذه الأثناء، زحف أبو دية وستة عشر من رجاله، ودخلوا القرية، إلا أنّ اليهود كانوا يكمنون لهم، وشعروا بحركتهم، فطوّقوهم من الجهة الشرقية.

وقد تأخرت الميمنة التي يقودها حافظ عن الدخول من الجهة الشرقية، فبذلك وقع الستة عشر بيد القوات اليهودية التي أصلتهم نارًا حامية، فقتلت من قتلت منهم، وأصيب أبو دية إصابات عديدة. وبذلك تمزقت قوى القلب، واختل نظام المعركة، فعَلّت أصوات المجاهدين أنّ أبو دية جرح بعد دخوله القرية، وأنّ الهجوم قد فشل. ووصل النبا إلى القائد الباسل، وفاجأته هذه التطورات وما حلّ بالقلب، فما كان منه إلا أن نهض بنفسه، ليتولى توجيه المعركة وقيادة المجاهدين، وكان لا بد من ذلك، لأنّ جموع المجاهدين أخذت تتقهقر، وأصبح الفشل مؤكّدًا، واليهود باقون في القسطل، فثارت نائرتهم ونسي وجوده، فتوجه إلى القلب، وما أن رآه المجاهدون من رجال الميسرة والقلب، حتى تراجعوا والتفوا حوله، فدخل القرية والتحم باليهود الذين هالهم ما رأوه من تصميم المجاهدين، واستماتتهم في الهجوم، وأخذت استحكاماتهم وبيوت القرية تسقط واحدة بعد الأخرى في يده، وهو يهتّل ويكبّر ويمزجر كالأسد، متنقلًا من بيت إلى آخر.

وكان الفجر قد بزغ، وبقي على هذه الحال حتى وصل مركز قيادة اليهود في القرية، وهو حصن شامخ، وكان قد استشهد معظم من رافقوه. ولمّا وصل

الحصن، إذا بعدد من اليهود يحيطون به، فخاطبهم بالعبرية حتى اطمأنوا له، فقتلهم جميعاً. وهنا قذفه يهودي بقنبلة من أعلى الحصن، أصابته في أسفل بطنه، فهوى البطل مضرجاً بدمائه التي أخذت تنزف بسرعة في زاوية جامع القرية، فاتكأ على جنبه. وأما اليهود، فلم يجرؤوا من الاقتراب منه، لأنهم أصبحوا محصورين في حصنهم، وكانوا يعتقدون أنّ عدداً من المجاهدين يكمن لهم في الدار. أما القوات الأخرى، فقد تراجعت لأنّ عدداً منها قد أُصيب، ولما عادوا لمقابلة القائد لم يجدوه، فبعضهم اعتقد أنه استشهد، والبعض الآخر اعتقد أنه عاد مرافقاً للجرحى.

وأما نحن، فذهبنا مساء ذلك اليوم إلى الروضة، لانتظار قدوم [أبي] موسى [عبد القادر الحسيني]. ولما لم يحضر، قلنا لعله استغرق في النوم، فذهبنا إلى بيت أخيه، ووصلنا في تمام الساعة التاسعة. ولما استفسرنا عن [أبي] موسى، قيل لنا إنه توجه للقسطل، برفقة أمراء بعض السرايا، وقصّوا لنا القصة. هنا، أخذت الهواجس تغمر قلبي، فقلت لهم: «قد أخطأتم كثيراً بالسماح له بالذهاب، وهو في هذه الحالة النفسية والتعب والسهر المتواصل»، فقالوا إنه أباي إلا أن يتوجه، وحدثني قلبي أنه لا بد لحق به مكروه، وأبدت لهم مخاوفي، فطمنوني وقالوا إنها هواجس شيطانية، وكيف يمكنك الوصول إليه في هذا الليل، حيث المناطق المحظورة التي يحرسها الإنجليز ومنع التجول؟

وفي هذه الأثناء، وإذا بجرس التلفون يدق في البيت، وإذا بالهيئة العليا من دمشق تطلب إليّ العودة في الحال لدمشق، في باكورة اليوم الثاني، فعدت إلى البيت، وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة بعد منتصف الليل. وفي باكورة اليوم الثاني، وحوالي الساعة الخامسة، وإذا برسول من رجال «الجهاد» يحمل إليّ أبناء تطويق اليهود لقوات عبد القادر في القسطل، ويطلب النجدة. وفي الحال، أرسلت سيارة إلى قواتنا في بئرزيت ورام الله، طلبت توجيههم في الحال إلى القسطل. [.....] [وعندما حملوا الرسالة للقوات في بئرزيت]، فإنهم لم يجدوا واحداً في رام الله أو بئرزيت، بل وجدوا أنّ القوات تحاصر في قلندية، وتطوّق مستعمرة موتسا، بالقرب من القسطل، فلم يوصلوا الأوامر إليها.

وتوجهت إلى الروضة، مركز قيادة المجاهدين في البلدة القديمة بالقدس، حيث اجتمعت بمساعد أمر حامية القدس، الملازم جمال، وهو عراقي، وطلبت منه اللحاق بي في الحال، مع جميع قواته، إلى القسطل. وأرسلت إلى أمر حامية الحرم الشريف، وطلبت إليه اللحاق بي في القسطل. وتوجهنا في سيارة الجيب إلى القسطل، عن طريق المألحة وعين كارم. وبالقرب من عين كارم، قابلتني مصفحة حافظ بركات، فنزل منها حافظ بركات أمر السرية الرابعة، وعبد الله العمري أمر السرية السابعة، وفاضل رشيد أمر حامية القدس، وعلي الموسوس وغيرهم، فاستفسرت منهم عن أبي موسى [عبد القادر الحسيني]، فقالوا لا نعرف ماذا حلَّ به، أما قواتنا فقد تشتت شملها.

فجئنا جنوبي، وطار عقلي، وأسرعت إلى القسطل، وبعد مدة وصلتها، وكنت كلما وجدت عددًا من المسلّحين أرجعتهم معي، فوجدت عددًا قليلًا جدًّا من المسلّحين ما زال بجانبها، فقالوا إنّ عبد القادر داخل القرية، فاسترحت قليلًا، حتى وصلت القوات التي أحضرتها معي من القدس، فأمرت الملازم جمال، ومعه عدد من الجنود يحملون الرشاشات ومدفع هاون، باحتلال الاستحكامات التي تقع في الجبل المواجه للقسطل. وقد أصيب منّا خمسة أشخاص بقنبلة هاون، أثناء محاولة الوصول إليها، إلا أنّنا تمكنا من تركيز هذه القوة في المكان المناسب، وأفهمتهم أنّ مهمتهم تنحصر في إشغال العدو بقوة النيران، لتغطية هجومنا من الوسط.

وبجانب سطح الجبل، اخترت أربعين شخصًا من خيرة المجاهدين، ومن حُماة الأقصى الذين وفدوا بقيادة الحاج عبد المجيد الحجازي أمر الحامية، ومن رجالي. وقلت لهم: «علينا أن نقطع هذا السهل الموصول إلى القرية، وهو عبارة عن مئتي متر، بينما يقوم إخواننا بتغطية هجومنا. واعرفوا أنّ قائدنا هو أمامنا في البيوت القريبة، وهو مجروح، فإن عجزنا، لا سمح الله، من الوصول إليه، ففي ذلك عار أبدي، وإن دخلنا البلدة وأنقذناه، فلنا العز والفخر لليهود الهلاك. واعلموا أنّ باب الجنة أمامنا، فمن أراد دخوله فليتبعني».

واندفعنا ركضًا نحو القرية. أما اليهود، فلمّا كثر عليهم إطلاق النيران

فقد أخفوا رؤوسهم وراء حصونهم التي أقاموها من الأسمنت المسلح في الأماكن التي يحتلوها، إلا أنهم لمّا رأى جندهم هجومنا، سلّطوا علينا النيران من رشاشاتهم، وكنا قد قربنا من بيوت القرية، فسقط منا عشرة شهداء، وجرح خمسة آخرون، إلا أننا تمكنا من دخول القرية، والهجوم على الاستحكام اليهودي، وتدميره بالقنابل اليدوية، فقتل منهم عدد كبير، إذ وجدنا ثماني وتسعين جثة، والباقون فرّوا من الجهة الشمالية.

وفي هذه الأثناء، كانت قد وصلت مصفحة للشيخ حسن سلامة، فتقدّمت من الجهة الشرقية، ومنعت اليهود من الهرب في مصفحة كانت لهم تقف هناك، وأسرت المصفحة اليهودية. كذلك قوات الجهاد المقدس في بئرزيت قادمة من الجهة الشمالية، من قالونيا وموتسا، فطوّقت اليهود الهاربين، وقتلت منهم عدداً كبيراً، واحتمى الباقون في حرش بجانب الطريق، إلا أنهم لم يسلموا، بل قتلوا منهم خمسة وثلاثين شخصاً، وجرحوا عدداً آخر. وفي هذه الأثناء، وصلت الدبابات البريطانية كعادتها لتُنجّيهم، فاحتمى الجرحى من اليهود، وعددهم خمسة وثلاثون، بها فنقلتهم.

أما نحن، فقد هالنا ما رأيناه، وانقلب النصر هزيمة لمّا رأينا قائدنا المحبوب متكأً على جانبه في ساحة الجامع، وقد أسلم الروح وبيده مسدسه. وقد راعنا ذلك، وأُعشي عليّ أنا لهول المصيبة، وأخذنا نقبله، وحملته أخيراً إلى المصفحة، حيث توجهت وإياه إلى قرية صوبا، على بُعد خمسة كيلومترات من القسطل. وكان هناك حوالي خمسة وثلاثين جريحاً من رجالنا، فأخذت عدداً من سيارات الشحن، وأرسلتهم إلى المستشفيات في الرملة والقدس.

وبقيت في المصفحة بجانب الجثة، حتى حضر من أعتمد عليه من إخواني، فطلبت إليه الذهاب إلى حقول القسطل، للوقوف على الحالة فيها، بعد تميم احتلالها وإزالة الألغام المنتشرة فيها. فذهب، وعاد ليطمئنني أنه قد وصل عدد من الفُؤاد، بينهم عبد الحليم الجولاني، ورشيد عريقات، وبهجت

أبو غربية، ومحمد عادل النجار، وأنور النسبية⁽³⁰⁹⁾ وغيرهم، وأنهم تعهدوا بالمحافظة على القرية. وكانت في هذه الأثناء الطائرات اليهودية تحلق فوق رؤوسنا وتتابعنا لتلقي قذائفها علينا، وعلى السيارات التي تُقلنا وتقلّ الجرحى، إلا أنّ قذائفها كانت من صنع محلي، وكانت تنفجر قبل وصولها الأرض، وكانت هي تحلق على علو شاهق خشية أن تصلها رصاصاتنا. وكم كانت المصيبة فادحة والألم عظيمًا، فقد توارى باستشهاد هذا البطل شبح النصر، وآمال أهالي البلاد التي كانوا يعلّقونها عليه.

وما أن انتشر النبأ حتى هال الجميع سماعه [...]، ووقع عليهم وقوع الصاعقة⁽³¹⁰⁾، فما كادت أخبار استشهاد القائد تنتشر في محطات الإذاعة والصحف، حتى عمّ اليأس والحزن جميع الأندية والبيوت، في جميع أنحاء فلسطين. وإنني أؤكد أنّ كل عائلة أو فرد اعتبر أنه فقد باستشهاد البطل أخًا وقائدًا منقذًا. وقد كان لاستشهاده أثر كبير على تحطيم معنويات السكان، خاصة وأنهم كانوا يعلّقون عليه آمالًا كبيرة، وما رأوه من نتائج الانتصارات الحاسمة التي قادها ضدّ قوات العدو.

وأما جنوده الذين التفوا حوله لإيمانهم به وبقدرته وكرمه معشره، وسلّموا له أمر قيادتهم عن طيبة خاطر، وتسابقوا إلى الموت في سبيل الله تحت لوائه، فقد هالهم الأمر، وعلموا أنّ قائدهم أقدم على طلب الاستشهاد للنجاة

(309) أنور نسبية (1913-1986): وُلد في مدينة القدس. تلقى تعليمه المدرسي والجامعي في كامبردج. بعد عودته إلى فلسطين، عمل في دائرة الادعاء العام في الحكومة الاستعمارية البريطانية لفلسطين، ومساعدًا لمدير دائرة مراقبة وتحديد الأسعار خلال الحرب العالمية الثانية. اختير، خلال حرب 1947-1949، أمينًا عامًا للجنة القومية في القدس، وشارك في معركة الدفاع عن المدينة بشكل مباشر. بعد الهزيمة، انتقل إلى غزة، حيث عمل في منصب الأمين العام لحكومة عموم فلسطين، لكنّه سرعان ما عاد إلى القدس ليشترك في الانتخابات النيابية الأولى بعد «الضم»، حيث انتُخب نائبًا عن القدس في نيسان/أبريل 1950. انتُخب بعد ذلك مرات عدة في مجلس النواب الأردني، كما شغل عضوية مجلس الأعيان، وغيّن وزيرًا، وسفيرًا للأردن، ثم عُيّن محافظًا للقدس. بعد هزيمة حزيران/يونيو 1967، استقر في القدس. يُنظر: موسى البديري، «توقعات مسبقة: معركة القدس في مذكرات أنور نسبية»، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 47 (صيف 2001)، ص 72-82.

(310) الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 8.

بنفسه، بعد أن حيل بينه وبين النصر، وضمنّ عليه أولو الأمر من ساسة البلاد العربية بالمساعدات. وقد رأوا بأمر أعينهم وقاسوا نتائج الحرمان من الأسلحة والعتاد والذخيرة، واعتبروا أنّ موته هو إعلان نفاذ طاقات تحمّل الشعب الفلسطيني أعباء الحرب منفردًا، وأنّ اليهود سيتحوّلون، بفضل خذل الجامعة للفلسطينيين، من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم، فأذهلتهم الصدمة، وعزّ عليهم ضياع فرصة العمر، فكفروا بالدول العربية والجامعة، واعتبروا أنّهم هم الأعداء [الحقيقيين]، وأنّ ترددهم هذا ما لبث إلا بضعة أيام، وتراءت لهم بعدها طريق الخلاص التي سلكها قائدهم الفذ وموحد جهادهم، وأدّمتها عقائدهم السليمة، فقررروا اللحاق به وطلب الاستشهاد، كلٌّ على الوجه الذي يرتئيه.

وعلى هذا الأساس، ظهرت أعمال عسكرية بعد استشهاد عبد القادر [الحسيني]، وعلى أيدي رجاله الخلّص الذين حملوا رسالته، واتخذوا من جهاده نبراسًا يضيء لهم معالم الطريق، أذهلت الخصوم، ومزّقت أحلامهم، وأثبتت للعالم أجمع أنّه إن مات عبد القادر إلا أنه لم يمت برسالة جهاده، بل ترك مجاهدين من أصفياه وصحابته، يحملون أعباء الجهاد، ويستمرّون كلّ بقدر طاقته، فمنهم من يستشهد ويلحق بقائده، ومنهم من يُصاب بجراح بليغة تشلّ حركته، ومنهم من يقتحم المهالك طلبًا للاستشهاد، أو ينتظر حتى يحصل على فرصة مقبلة، تكون أكثر [ملاءمة]، فيتيسر له من الإمكانيات والعدة والعدد ما يكفل لهم توفيقًا أكثر، وخيرًا أعم.

وفي المعارك التي عقب استشهاد البطل، وقادها خيرة أعوانه وأصفياه، الخبر اليقين والبرهان القاطع على ما نقول؛ ففي معركة باب الواد الكبرى التي استمرت أيامًا بلياليها، ودمّرت قوات الصاعقة اليهودية «البلماح»، أثناء محاولتها فتح طريق باب الواد، واحتلال مدينة القدس، وزاد قتلاها عن ثمانمئة قتيل في معركة الشيخ جرّاح، ومعركة بدّو التي زاد قتلى اليهود فيها عن المئات، وفي احتلال مستعمرة نفيه يعقوب في قلندية، ومستعمرة كفار عتسيون، وفي معارك احتلال القدس الدامية، وفي ثبوت حاميات الدفاع في صور باهر ومنطقة بيت لحم وبيت صفافا، شواهد قائمة [.....] على أكمل وجه وأتمه.

وما أن أُذيع خبر استشهاد عبد القادر [الحسيني] على الملأ، حتى أخذت وفود جميع البلاد، وفي مقدّمهم الأعيان والمشايخ وقادة المجاهدين، تَفد إلى مدينة القدس، للاشتراك في تشييع جثمان الراحل الشهيد. وقد اكتظت الشوارع بالوافدين. وقد سارت جنازة البطل، وهي بالحقيقة جنازة فلسطين الشهيدة، من بيت شقيقه في حيّ [باب] الساهرة إلى ساحة الحرم الشريف، لدفنه بجانب والده في ساحة الحرم. وقد حُمِلت جنازته على أعناق قادة المجاهدين، وسار أمامه حملة الأعلام ورؤساء البلاد والأعيان. وكان يحيط بالجنازة ثلّة من الجنود. واحتفل بتشييع الجنازة [.....] الجهاد المقدس، وأدّت التحية فرقة من فرق الجهاد المقدس. وقد وُضعت مئات الأكاليل على قبره. وقد أُلقيت كلمات العزاء من ممثلي الهيئات والبلدان.

وكان الاحتفال أعظم احتفال شهدته مدينة القدس، وذلك نتيجة الاحترام والتقدير الذي يكتنه الأهلون إلى الفقيد الراحل. وقد أُقيمت جنازات مماثلة في جميع أنحاء مدن فلسطين، سار فيه عشرات الألوف من الأهلين، في جميع شوارع المدن، وهم يحملون جنازات نُقّت بالأعلام السوداء، وكُتِب عليها جنازة عبد القادر أو فلسطين الشهيدة. وكان ذلك اليوم يوم حداد عام في جميع أنحاء فلسطين، إذ رُفعت الرايات السوداء على جميع البيوت، وعُلقت صور الشهيد على جميع العمارات والمخازن والشوارع العامة.

أما في الخارج، فلم يكن أثر استشهاده أقل منه في الداخل، فقد نعته جميع المحطات العربية، وظهرت على جميع الصحف في مختلف الأقطار تحمل رسمه، وتاريخ حياته، وتعازي كبار الكتّاب والشعراء، حتى طغت أخباره على كل الأخبار مدة طويلة من الزمن، فكانت فيه حديث الخاصة والعامة. كما أُقيمت حفلات التأيين في مختلف الأنديّة والمعاهد. وقد أخذت ألوف برقيات المعزّين تُرسل إلى سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني]، وإلى عائلة الشهيد، وفي مقدّمها برقيات أصحاب الجلالة ملوك العرب والزعماء وقادة الرأي في مختلف أنحاء البلاد العربية⁽³¹¹⁾.

(311) المرجع نفسه، دفتر رقم 9. وأسفل العناوين التي تحدّث فيها الريماوي عن أثر استشهاد =

تمام القتل: مذبحه دير ياسين⁽³¹²⁾

قرية دير ياسين قرية عربية صغيرة، تقع في الجهة الغربية من مدينة القدس. وهي تجاور الأحياء اليهودية فيها، وقد حاول اليهود احتلالها عدة مرات، إلا أنهم فشلوا نتيجة صمود حُماتها ودفاعهم عنها، وبفضل النجيدات التي كانت ترابط فيها ليلاً ونهاراً من القرى المجاورة. إلا أن استعادة اليهود احتلال القسطل الذي كان بمثابة نقطة التحوّل في معركة القدس، إذ فقد العرب حالة الهجوم، وأصبحوا في حالة دفاع ضعيف غير منظمة، قد مكّن اليهود من تهديد القرى المجاورة التي أخذت تستعد لاستقبال هجمات اليهود. أما قرية دير ياسين، فموقعها خطر جداً، وقد أُصيب عدد من حُماتها في معركة القسطل.

وقد أراد اليهود انتهاز فرصة النصر الذي أحرزوه في القسطل، واستشهاد القائد عبد القادر إلى أبعد حدّ، خاصة وأنهم يعلمون أثر ذلك على معنويات السكان والجنود، وانشغال الجميع بتشجيع جنازة الفقيه الراحل، فعمدوا إلى شنّ هجوم كبير جداً من مدينة القدس على قرية دير ياسين، حتى أنّ نسبة القوات المهاجمة كانت تزيد مئة ضعف عن الحُماة، فقاوم حُماة القرية مقاومة عنيفة، واستشهد معظمهم، إلا أنّ الهجوم كان كبيراً، خاصة وأنّ المراكز اليهودية تسيطر على منافذ القرية، فدخلتها القوات اليهودية، وأرادت انتهاز فرصة التتكيل بالأهالي لإيقاع الذعر في قلوب القرى العربية. وقد ساعدتهم الصحف العربية والمعلّقون والساسة العرب على نشر مبالغات كبيرة عن وحشية اليهود، وتهويل هذا الأمر وتجسيمه، بقصد استثارة الرأي العام ضدّ اليهود، ولكن مع الأسف فقد أنتج هذا التهويل نتيجة عكسية تماماً، إذ إنّ أهل القرى المجاورة أخذوا يرحلون من قراهم، خشية تمثيل اليهود بهم، وأخذ اليهود يزحفون لاحتلال تلك القرى الخالية⁽³¹³⁾.

= عبد القادر الحسيني وجنازته، وُجدت مسودة للحديث عن أثر استقبال عائلة الشهيد لنبا استشهاد، لكنّ النص لم يكتمل فلم يُثبت هنا.

(312) دوّن الريماوي المادة المدرجة هنا عقب المادة المتعلقة بأثر استشهاد عبد القادر الحسيني وانعكاساته، والمادة المدرجة تحت هذا العنوان من: المرجع نفسه.

(313) لم يكن الهجوم على دير ياسين من تنظيم قوات الهاغاناه التي نفّذت احتلال القسطل، =

فعمّ الذعر مدينة القدس ورام الله، فاتصلت الهيئة العربية العليا واللجنة القومية] بنا، مما اضطر قيادة الجهاد المقدس التوجه إلى رام الله لجمع النجذات، والإسراع لوقف الزحف اليهودي، وتوجيه ضربة قاضية لهم، ومنع السكان من مغادرة قراهم. وهكذا، توجهت القوات، وبصحبي السيد فاضل رشيد، أمر حامية القدس، إلى [قرى] بدو وبيت سوريك والنبي صمويل التي تسيطر على طريق القدس - تل أبيب، وتحيط بالقدس من الجهة الشمالية. وحدثت معركة بدو الكبرى التي أوقفت زحف اليهود، وكبدتهم خسائر فادحة زادت تحدي الناس، وكانوا يهدفون [إلى] احتلال رام الله والقدس بلا مقاومة، كما يأتي تفصيل ذلك في حينه.

خامساً: على الرغم من التيه، صمودٌ وتصدي

عقب الشهيد⁽³¹⁴⁾

لقد كان الشهر الذي عقب استشهاد عبد القادر [الحسيني]، وسبق دخول الجيوش العربية، [8 نيسان/أبريل 1948 - 15 أيار/مايو 1948]، من أقسى وأشد الأشهر وأخطرها في حرب سنة 1948، وذلك بسبب ما أصاب قوات الجهاد المقدس من سوء نتيجة فقدان قائدها البطل، ولأن وفاته في حد ذاتها

= وإنما نفذته قوة مشتركة من منظمتي الإيستل و«ليحي»، بالتزامن مع سقوط القسطل من جديد في 9 نيسان/أبريل 1948، سعيًا منهما لإحداث إنجاز في جبهة القدس، كجزء من منافستهما للهاغاناه. لكن، وهذا يتفق مع رواية الريماوي، تصدى حُماة القرية للقوة المهاجمة فأفشلوا هجومها، ولم تستطع هذه القوة احتلال القرية، إلا بعد وصول إسناد من المنظمات الصهيونية المختلفة، وعلى رأسها الهاغاناه. وُختم الهجوم بمذبحة طالت ما يُقارب المئة من نساء القرية وأطفالها وشيوخها. انتشر لحظة الحادث أنهم قاربوا مئتين وخمسين شخصًا. وكما أشار الريماوي انتشر خبر المذبحة، ولم ينتشر بالتوازي معه، كما يبدو، خبر قتال أهل القرية البطولي. للمزيد عمّا حصل في دير ياسين، يُنظر: وليد الخالدي، دير ياسين: الجمعة 9/4/1948 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003). ويُنظر عن حقيقة أعداد الشهداء: شريف كناعنة ونهاد زيناوي، القرى الفلسطينية المدمرة رقم 4: دير ياسين (بيروت: جامعة بيرزيت - مركز الوثائق والأبحاث، 1987)، ص 57-107؛ الخالدي، دير ياسين، ص 150-158.

(314) النص الرئيس المدرج أسفل هذا العنوان مستل من: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا

قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (12)»، الدستور، 23/10/1972، ص 4.

كانت تعبيرًا عن الوضع الحرج الذي وصلت إليه هذه القوات، من حيث النقص في التسليح والمال والعتاد، كما كانت بمثابة إعلان عن أن الشعب قد تحمّل ما لا طاقة له به، بل إنّها كانت إنذارًا للقادة العرب بأنهم ما لم يسارعوا لنجدة فلسطين بالسلاح والمال، فإنّ ميزان النصر سيتحوّل ضدّهم، وبالتالي فإنّ الأمة العربية ستصاب بكوارث وخسائر هيهات هيهات أن تستطيع تعويضها في ما بعد. ولم يكن العرب قد فقدوا أية مدينة إلى ذلك التاريخ، وكان ميزان القوة يميل إلى جانبهم، وقد حالفهم النصر في جميع المعارك التي خاضوها ضدّ قوات العدو التي كانت تفوقهم عددًا وعدة.

كان اليهود يعرفون كل هذه الحقائق، فشدّدوا ضرباتهم في المدينة المقدسة، وقاموا بهجوم كبير على حيّ القطمون زرع مركز قوات الشهيد إبراهيم أبو دية وهزّ أركانه، وسقط حوالي الثلاثين شهيدًا من رجاله البواسل. وكان مجلس الأمن قد أصدر أمرًا بوقف القتال في القدس، وقد وافق عليه العرب واليهود. وكانت الأمم المتحدة تجتمع آنذاك في ليك سيتي [Leak City]، ولم تكن قد انتقلت بعد إلى مقرّها الدائم في نيويورك، وتم تشكيل لجنة هدنة لتنفيذ قرار مجلس الأمن ووقف إطلاق النار، أما اللجنة فتتألف من ثلاثة أعضاء، هم قناصل دول فرنسا وأميركا وبلجيكا بالقدس، ولكنّ إسرائيل [الوكالة اليهودية ومنظماتها العسكرية] لم تكن تأبه من ذلك التاريخ بقرارات الأمم المتحدة أو بلجانها، فواصلت القتال. وقامت اللجنة بإرسال برقية إلى الأمم المتحدة، بتاريخ 30 نيسان/أبريل 1948، قالت فيها: «إنّ القتال لم يقف، لا في القدس القديمة ولا في القدس الجديدة».

انهالت البرقيات على مركز قيادة الجهاد المقدس في بئرزيت، من أمر حامية القدس السيد فاضل رشيد، وهو عراقي الجنسية، تطلب المدد والنجدة. وعلى ذكر أمر حامية القدس، فلقد كانت الهيئة العربية قد رشّحت السيد ذو الكفل عبد اللطيف⁽³¹⁵⁾ لتولي هذه المهمة، ولكنّ عبد القادر [الحسيني] لم

(315) ذو الكفل عبد القادر عبد اللطيف (1914-2011): وُلد في القدس. درس في كلية الروضة، وتخرّج فيها في حزيران/يونيو 1933. غادر فلسطين في تشرين الأول/أكتوبر 1933 للدراسة =

يوافق على ذلك، وبقي السيد ذو الكفل في القاهرة إلى أن تولى مركز مدير المكتب العسكري بالقاهرة، بعد استشهاد المرحوم عبد القادر⁽³¹⁶⁾.

كانت ترابط في القدس، إلى جانب حاميتها، قوات من المتطوعين من منطقة رام الله، تزيد في مجموعها عن ألف مقاتل، وكان من الممكن زيادة العدد، ولكن المشكلة الكبرى كانت مشكلة السلاح والذخيرة التي كانت مستعصية على كل حل. واجهنا هذا الواقع بحيرة كبيرة وبمرارة. وبينما كنا كذلك، إذ بالسيد إميل الغوري قادم إلى بئرزيت في السيارة إياها، في طريقه إلى دمشق. وبعد مداولة قصيرة قررنا مرافقته؛ كامل عريقات وكاتب هذه السطور. وبالفعل، توجهنا إلى دمشق، مروراً بنابلس ووادي الفارعة فعمّان. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يقوم بها أبو غازي [كامل عريقات] بمهمة مثل هذه.

= في دار المعلمين الابتدائية في بغداد. عُيّن في أيلول/سبتمبر 1934 مدرساً في بغداد، وبقي فيها إلى أن عاد إلى القدس في حزيران/يونيو 1935، حيث عمل مدرساً في دار الأيتام الإسلامية. نشط في بواكير ثورة 1936-1939 إلى أن غادر فلسطين مجدداً في أيلول/سبتمبر 1936، حيث التحق بدار المعلمين العليا في بغداد، وتخرّج فيها في عام 1939، وعُيّن على إثرها مدرساً للتاريخ في مدينة الرمادي. التحق بالكلية العسكرية في بغداد، في عام 1940، حيث تلقى تدريباً عسكرياً لمدة ستة أشهر. شارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني، وإثر فشلها، غادر إلى تركيا عبر سورية، ثم إلى اليونان، حيث عمل في محطة إذاعة «العرب الأحرار» التي تُلقت دعماً من ألمانيا. انتقل في تموز/يوليو 1942 إلى ألمانيا، والتحق في أيلول/سبتمبر 1943 بتدريب عسكري خاص، ثم جَهّز لعملية إنزال شاركه فيها حسن سلامة وضباط ألمان. تم الإنزال في تشرين الأول/أكتوبر 1944 بالقرب من أريحا. اعتُقل ذو الكفل بعد وقت قريب من عملية الإنزال، في 15 تشرين الأول/أكتوبر 1944، وأُرسل كأسير حرب إلى مصر، ثم سُلم إلى الحكومة الاستعمارية البريطانية في فلسطين، وبقي في السجن إلى أن نجح في الهرب منه في كانون الأول/ديسمبر 1947. بعد هروبه، التحق ذو الكفل بالحاج أمين الحسيني في القاهرة، وبقي إلى جواره خلال فترة الحرب، ثم التحق بالجامعة الأمريكية في القاهرة، فخرج فيها في عام 1952، لبدأ العمل في جامعة الدول العربية إلى أن تقاعد في عام 1978. نشر بعض مذكراته في كتابه مذكراتي، قصة كفاحي من الثورة الفلسطينية الكبرى إلى حرب 1948.

(316) نقل ذو الكفل عبد اللطيف عن الحاج أمين الحسيني أنه أخبره، بعد استشهاد عبد القادر الحسيني، بأنّ عبد القادر كان رافضاً لتعيين ذو الكفل أمراً لحامية القدس، لعجزه عن التعاون معه كونه عسكري صلب وعنيف ونازي: ذو الكفل عبد اللطيف، قصة كفاحي من الثورة الفلسطينية إلى حرب 1948 (عمّان: دار سندباد للنشر، 2000)، ص 225. وهذا يؤكد ما أورده الريماوي، ويخالف تكذيب الغوري: الغوري، إظهار، ص 90.

وصلنا عمّان في المساء، فوقفنا بمحطة للبنزين بشارع السلط، ولكنّ المسؤول عن المحطة رفض أن يأخذ ثمن البنزين، وأعلمنا بأننا مطلوبون للجنة العسكرية التي كانت تجتمع في عمّان في ذلك الوقت، فسرّنا النبا، وقلنا إنّها فرصة لإطلاعهم على حقيقة الموقف في القدس.

توجهنا إلى جبل عمّان، وإلى قصر السيد إسماعيل البليسي، حيث كان يجتمع عدد من قادة العرب السياسيين والعسكريين. وعرفنا أنّ الذين حضروا المؤتمر المذكور من السياسيين هم السادة: رياض الصلح، على رأس وفد لبنان؛ ومن العراق، أرشد العمري وزير الدفاع، وصادق البصام وزير المالية، وصالح صائب رئيس الأركان؛ ومن سورية، أحمد الشراباتي وزير الدفاع. كما حضره عبد الرحمن عزّام باشا.

أما المؤتمر العسكري، فقد حضره الفريق صالح صائب - العراق، الزعيم فؤاد شهاب⁽³¹⁷⁾ - لبنان، الزعيم الركن صبور [سعد الدين صبور] - مصر، الزعيم عبد الله عطفة⁽³¹⁸⁾ - سورية، أمير اللواء عبد القادر الجندي - شرق الأردن. كما حضره أمير اللواء إسماعيل صفوت، والعقيد محمود الهندي عن اللجنة العسكرية. تمت هذه الاجتماعات في الأسبوع الأخير من شهر نيسان/أبريل 1948، ما بين 22-30 نيسان/أبريل، وقد كانت برئاسة جلاله الملك عبد الله رحمه الله.

وصلنا إلى القصر، ولم نكن نعرف بوجود هذا العدد من القادة، ولم يكونوا

(317) فؤاد شهاب (1902-1973): وُلد في بلدة غزير في كسروان لبنان. التحق أواخر الحرب العالمية الأولى بالجيش الفرنسي. والتحق بالمدرسة العسكرية الفرنسية في دمشق، وتخرّج فيها عام 1923. كُلف في عام 1946، بعد استقلال لبنان، بتنظيم القوات العسكرية اللبنانية التي ستصير الجيش اللبناني، واختير قائداً أعلى لهذا الجيش الذي شارك تحت قيادته في حرب 1947-1949.

(318) عبد الله عطفة (1897-1976): وُلد في دمشق. أكمل تعليمه العسكري في الأستانة. شارك في معارك الحرب العالمية الأولى على جبهة فلسطين. التحق بالجيش العربي بعد نهاية الحرب، واشترك في معركة ميسلون ضدّ المستعمر الفرنسي. عمل بعد الاستعمار الفرنسي ضمن القطعات الخاصة، وترقى إلى أن أصبح قائداً لكتيبة من كتائبها. تسلّم رئاسة أركان الجيش بالوكالة في آب/أغسطس 1945، ثم تسلّمها بالأصالة في كانون الثاني/يناير 1947. شارك في معارك حرب 1947-1949 الأولى، إلى أن صُرف من الخدمة في 23 أيار/مايو 1948.

قد وصلوا جميعاً، بل كانوا يتجمعون لعقد إحدى الجلسات. استقبلنا الموجودون ببشاشة، فقصصنا عليهم أخبار القدس، وأطلعناهم على موقفنا الحرج، واقترحنا أن يطلبوا من القاقوجي أن ينجد القدس، بإرسال مدفعيته إلى النبي صمويل لقصف الأحياء اليهودية، وبذلك يخفّ الضغط عن الأحياء العربية، وأن يرسل نجدة إلى حامتينا في المرتفعات الشمالية المحيطة بالمدينة. وقد استجاب الحاضرون إلى الطلب، وفي الحال توجه السيد صبري الطباع، وهو يحمل أمراً إلى القاقوجي بتنفيذ المهمة المطلوبة، وقد نفّذ المطلوب، وقامت مدفعية جيش الإنقاذ بدك الأحياء اليهودية دكاً متواصلًا، أحدث الارتباك والرعب في صفوف اليهود. كما أنّ قوة من فوج أجنادين، بقيادة السيد ميشيل العيسى، قد صدّت هجومًا يهوديًا على قرية بدّو، وأوقعت بهم خسائر فادحة، وتركوا عددًا من قتلاهم على أرض المعركة.

استأذنا لمواصلة سيرنا إلى دمشق، وكانت الساعة قد بلغت حوالي العاشرة مساءً، ولم نكن نعرف بأنّ جلالة الملك عبد الله كان قادمًا ليرأس الاجتماع. وصلنا إلى فندق الأوريون/[الشرق]، حيث كان يقيم سماحة المفتي [محمد أمين الحسيني] ورجال الهيئة، وكانت هذه أول مرة أنزل فيها في فندق فخم كهذا، ولكننا دفعنا ثمن هذه الوجاهة في صباح اليوم التالي، عندما قدّم لنا الفندق فاتورة كبيرة تكفي لتسديد نفقات إقامتنا لمدة شهر كامل في فندق الجامعة العربية الذي كنّا ننزل فيه عادة، مع أنّنا لم نقض سوى بضع ساعات في الفندق.

قمنا بإطلاع المسؤولين على حقيقة موقفنا، وتوصلنا إلى تسلّم حوالي خمسة عشر صندوقًا من الذخيرة، معبأة في معمل لتعبئة الذخيرة، كان يشرف عليه الحاج يوسف الشرفا، وهو من رجال ثورة سنة 1939، وكان مسؤولاً عن فصيل للعمل السري في ذلك الحين. ولكن من المؤسف أنّ الذخيرة كانت رديئة، مع أنّ مظهرها الخارجي منظر الذخيرة الجديدة، فمعظمها لا يثور لرداءة التعبئة. عدنا في ساعة متأخرة من مساء اليوم التالي مسرعين إلى فلسطين، ولما وصلنا إلى مركز الجوازات بالرمثا، طلب منّا المسؤول مراجعة محافظ عمّان لدى وصولنا إلى المدينة. وصلنا قبل طلوع الفجر، فاتصلنا حال وصولنا بالمحافظ، وكان السيد المرحوم صدقي القاسم، فرحب بنا في هذه الساعة

المتأخرة من الليل، وقال إنه ينتظر قدومنا إلى البيت، فتوجهنا إلى بيته في جبل عمّان، وجلسنا في الصلاة العامة حتى طلع الفجر.

أعلمنا السيد صدقي بأنّ جلالة الملك عبد الله قد حضر إلى قصر البليسي ليلة أمس، بعد مغادرتنا المكان، وأنّ جلالتة حريص على الاجتماع بنا. وبالفعل، اتصل بالقصر، بعد أن قدّم لنا شيئاً من الطعام، وقال لنا: «هيا بنا، فإنّ جلالتة يداوم مبكراً كل يوم». وقبل أن نغادر البيت، قال لي: «أريد أن أكلمك يا قاسم على حدة». فتأخرت قليلاً، فقال: «اسمع يا قاسم، إنني أكلمك بكل إخلاص. إنّ جلالة الملك ينوي التضحية بكل شيء من أجل القدس، وإنّه مخلص في هذا الوقت، وأنت تعرف بأنّ علاقته مع المفتي [محمد أمين الحسيني] ليست على ما يرام، فأرجو مراعاة هذه الناحية». قلت له: «إنّك تعلم بأننا مقاتلون، ولا همّ لنا إلا الحصول على الذخيرة والسلاح للمجاهدين. ونحن على استعداد لتقديم أرواحنا في سبيل الله، وفي الدفاع عن بلادنا المقدسة. وكل ما أرجوه أن لا نتعرّض لإحراجات حول علاقة المفتي وغيره بجلالة الملك، فهذا ليس من شأننا في شيء». ثم توجهنا إلى قصر رغدان.

دخل كل واحد منّا على حدة لمقابلة جلالة الملك، ولم يطلب منّا الحراس نزع سلاحنا الشخصي، ولا أدري ماذا تم بين كامل وجلالة الملك، ولم أحاول معرفة ما جرى، إنما أذكر جيداً أنني دُعيت لمقابلة جلالتة في غرفة صغيرة، فاستقبلني واقفاً، وكان يقف إلى يسار جلالتة عدد من الأشخاص، بينهم سماحة الشيخ [محمد الأمين] الشنقيطي⁽³¹⁹⁾، وقد عرفت أنهم الوزراء. سلّمت وصافحت جلالة الملك، ولم أكن أعرف البروتوكول، فمددت يدي لمصافحة الشيخ الشنقيطي، فأوماً إليّ بحركة فهم أن لا أصافح أحداً غير صاحب الجلالة، فوقفت أمام جلالتة، فبادرني قائلاً: «اسمع يا قاسم، إنني أقدر

(319) «محمد الأمين» محمد الخضر الشنقيطي (1905-1990): وُلد في شرق موريتانيا. انتقل والده إلى الحجاز، ثم رافق الأمير عبد الله بن الحسين إلى شرق الأردن وعمل في إمارته. تولى مناصب عدة في إمارة شرق الأردن، ثم عُيّن في المملكة الأردنية الهاشمية قاضياً للقضاة ودائرة الإفشاء العام، ورئاسة هيئة العلماء، وعُيّن وزيراً وبعثاً ثم سفيراً. انتقل إلى المملكة العربية السعودية في عام 1977، حيث انقطع بجوار الحرم النبوي الشريف إلى أن توفي.

لك موافقك في باب الواد. وأنا خائف على القدس، فأطلب المحافظة عليها حتى ندخل. وأنا لا أغشكم مثل باقي العرب، فجيئنا لن يدخل يوم 15 أيار/ مايو، بل سيدخل يوم 16 أيار/ مايو، وبعد ذلك سنحرر البلاد ونعيدها إليكم».

قلت لجلالته: «الدرُّ من معدنه، ولا أستغرب. ومن أحق وأولى من جلالتك بالقدس وبالجهاد! فأنت ابن رسول الله، وهذه أمانة في عنقك أمام الله والناس أجمعين». [.....] ظهرت علامات الارتياح على وجهه، وقال: «على بركة الله، والله يوفقكم». انصرفنا من قصر رغدان إلى قواعدنا، أما أبوغازي [كامل عريقات] فقد التحق بالسيد خالد الحسيني بالقدس. وقد تم تعيين السيد خالد قائداً لمنطقة القدس، خلفاً للمرحوم عبد القادر [الحسيني] [.....]. أما كاتب هذه السطور، فقد عاد إلى مقرّ قيادة قوات الجهاد المقدس ببئرزيت، وكانت قد أُسندت إليّ مهمة قيادتها، ومسؤولية الدفاع عن المنطقة الشمالية للقدس، ابتداءً من الشيخ جرّاح، فالنبي صمويل، فباب الواد، فالمرتفعات الوسطى إلى منطقة رأس العين، مع مدّ القدس بالنجدات. هذا بالإضافة إلى كوني أمين السر العام للجهاد المقدس.

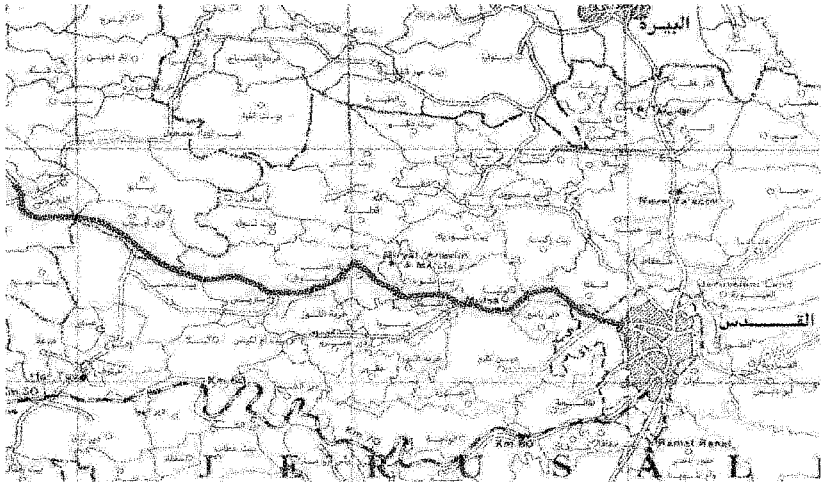
كتب الله لي، بعد وصولي إلى بئرزيت من عمّان، ومقابلة جلالة الملك عبد الله، أن أنال شرف قيادة معركة باب الواد الكبرى، [كما سيأتي تفصيله لاحقاً. وخلال هذه الفترة، تبرّع سمو الأمير سيف الإسلام عبد الله، ولي عهد اليمن]، بطائرتين صغيرتين، لنقل السلاح بين القاهرة وأريحا ودمشق وأريحا. وكنا قد أقمنا مطاراً مؤقتاً فيها، وقد نقلت عدة نقلات من السلاح والعتاد، خاصة في النصف الأول من شهر أيار/ مايو. كما أنّ طائرة من طائرات شركة مصر للطيران قد ساهمت في ذلك، ولكن كل ذلك لم يكن كافياً لسدّ حاجة المجاهدين من السلاح بعامة والذخيرة بخاصة⁽³²⁰⁾.

(320) أشار الحاج أمين الحسيني في مذكراته إلى أنّ الحكومة المتوكلية اليمنية وضعت ثلاثاً من طائراتها تحت تصرف الهيئة العربية العليا، وكذلك الطيار المصري سيد سوسة الذي وضع طائرته الخاصة أيضاً تحت تصرف الهيئة، وتولى قيادتها بنفسه لنقل السلاح: العمر، ص 421.

>تمكّنت قوات اليهود من احتلال بيت محسير والأحراش المشرفة على طريق باب الواد، ليلة هجومها [في 7 أيار/ مايو 1948]، واشتبكت مع حامية الجهاد المقدس في دير أيوب، وأصابت بعضهم بجراح.< [وبهذا ابتدأت معارك باب الواد] التي استمرت سبعة أيام بلياليها في الحراج والتلال المحيطة بباب الواد ويالو وبيت محسير واللطرون، وانتهت يوم دخول الجيوش العربية في 15 أيار/ مايو 1948. >[وشارك في المعركة، من قوة الجهاد المقدس]، مئة و[خمسون من] القوى النظامية، وثمانمئة مسلّح [من القوة] غير النظامية.<

الخريطة (2-6)

طريق القدس - يافا (طريق باب الواد)



المصدر: إعداد وتعريب الباحث، استنادًا إلى خريطة «فلسطين: القرى والمستوطنات» المنجزة في عام 1945، ضمن مشروع Survey of Palestine، بوحدة قياس 1:250,000.

مقطع طريق القدس - يافا الذي يبدأ من القدس وينتهي باللطرون؛ تقاطع الطرق الرئيسة الأبرز في وسط فلسطين، وهو المعروف بطريق باب الواد. ويظهر إلى الجنوب منه خط السكة الحديدية الذي شهد جواره معارك أساسية للسيطرة عليه.

(321) النص الرئيس المدرج أسفل هذا العنوان مستل من: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (12)»، ص 4. وسبق للريماوي أن دوّن ورقة يختصر فيها معركة باب الواد في دفتر رقم 9 من مخطوطه عن عبد القادر الحسيني، أثبتت في المتن، مع تمييزها بوضعها بين علامتي < >. كما سبق للريماوي أن تحدث عن هذه المعركة في تقريره المرسل إلى الحاج أمين الحسيني المدرج في الفصل الأول من هذا الكتاب.

وقد اشتركت مدفعية جيش الإنقاذ في اليوم الثالث للمعركة، وكانت بقيادة المقدم مهدي صالح العاني، وهو عراقي الجنسية، يساعده السيد عفيف البرزي⁽³²²⁾ السوري الجنسية، والذي أصبح فيما بعد رئيسًا للأركان، فقد تولت المدفعية إسنادنا من مرتفعات يالو. >[وكانت وصلتني رسائل من قائد مدفعية فرق الإنقاذ مهدي صالح، وهي]:

الرسالة الأولى: «السيد قاسم الريماوي، اثبتوا، فعلى ثباتكم وشجاعتكم يتوقف مصير معركة فلسطين»، والرسالة الثانية: «المدفعية ستصلكم قريبًا لتكون تحت إمرتكم ولإسنادكم»، والرسالة الثالثة: «القائد الباسل قاسم، نهنتكم للشجاعة النادرة التي أظهرتموها بموقفكم اليوم».

أما الأخ المجاهد الكريم الحاج هارون بن جازي، فقد شارك في المعركة في اليوم الثاني⁽³²³⁾، ثم عهدت إليه بالتمركز في منطقة النبي صمويل، والتصدي لأية قوافل يهودية قد تفد من القدس إلى منطقة باب الواد أو بالعكس. وقد أصيب في هذه المعركة الشيخ نائل بن جازي، أصيب بجرح، وما لبث أن توفي على الأثر في مستشفى رام الله. كما استشهد المجاهد محمد أبو اقطيش، وهو من قادة الثورة السابقين، وعدد غيرهم. أما قوات العدو، فقد أصيبت بخسائر فادحة جدًّا، وتركت عشرات القتلى في الحراج والوديان، وتم نقل بعضهم إلى رام الله. كما أنه تم تدمير وحرق

(322) «أحمد عفيف» البرزي (1914-1994): وُلد في لبنان، لكن والده انتقل وعائلته إلى دمشق أثناء الحكم العربي فيها. التحق بالكلية العسكرية التابعة للمستعمر الفرنسي في سورية. حاول الالتحاق بثورة رشيد العالبي الكيلاني في العراق لكنه فشل. اعتقله الفرنسيون أثناء عمله كضابط في سلاح المدفعية، وشقيقه الضابط صلاح البرزي، في أيلول/سبتمبر 1945، ونُقل إلى السجن العسكري في بيروت لتحريضهما على الفرنسيين. خدم أركان المفتش العام لجيش الإنقاذ طه الهاشمي، وشارك في معارك فلسطين خلال حرب 1947-1949 كضابط في جيش الإنقاذ.

(323) قارن مع الرواية السابقة التي تحدّث فيها الريماوي عن دور بن جازي في تقريره المرفوع للحاج أمين الحسيني، والمدرج ضمن الفصل الأول من هذا الكتاب. ويُنظر محاولة تفسيرية لتغيير الرواية في العنوان «الإسكات/الإثبات: نماذج للذاكرة كحرب»، في مقدّمة الكتاب.

عدد من سيارات الباص والمصفحات التابعة لهم⁽³²⁴⁾، ولا [يزال] حطائهما موجودة إلى يومنا هذا في ذلك الموقع⁽³²⁵⁾.

الصورة (2-11)

مقاتلون عرب في مرتفعات باب الواد



المصدر: أسوشيتد برس، التُقطت بتاريخ 10 أيار/ مايو 1948، تصوير جيم برينجل.

والحقيقة أنّ القوات اليهودية كانت تعترم فتح طريق باب الواد، والزحف على القدس من الغرب والشمال، من باب الواد ورام الله، لاحتلالها يوم 15 أيار/ مايو 1948، ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً، وسأكتب تفاصيل هذه المعركة

(324) دَوّن الريماوي في المخطوط بأنّ الخسائر في صفوف المجاهدين كانت عشرة قتلى، وأصيب أربعون منهم بجراح. أما العدو، فكانت قوته ثلاثة آلاف مقاتل من قوات البلماح. وتكبد ثمانمئة قتيل، وعدداً كبيراً من الجرحى، ودُمرت له مئة وخمسون مصفحة وسيارة نقل، وخسر نحو خمسين رشاشاً، وثلاثمئة بندقية، وكميات من الذخيرة والعتاد، وآلة اللاسلكي، وطائرتين: الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، دفتر رقم 9. ويلاحظ أنّ الأرقام التي قدّمها الريماوي هنا عن خسائر العدو تتقاطع مع التغطية الصحفية العربية لهذه المعارك. يُنظر نموذجاً في: «800 قتيل وجريح يهودي في معركة باب الواد»، الإخوان المسلمون، 14/5/1948، ص 1؛ «معركة باب الواد وغيرها»، الجزيرة، 16/5/1948، ص 2. أما صهيونياً، فيذكر ليفي ما يقارب 56 قتيلًا خلال الفترة 7-14 أيار/ مايو 1948: ليفي، ص 452-454.

(325) يُنظر الصورة (3-1)، ضمن الفصل الثالث من هذا الكتاب «شذرات».

في المقالات المقبلة، لأنه لم يكتب شيء عنها إلى الآن⁽³²⁶⁾، اللهم سوى بصنع البيانات المحرّفة والمزوّرة التي أذاعها القاوقجي من الراديو وفي الصحف⁽³²⁷⁾. وأذكر أنّ مراسل إحدى الصحف الأجنبية حضر بصحبة أحد الصحفيين من العيزرية لتصوير المعركة فمنعتهم، ولم يتمكّن من التقاط أي شيء، سوى المدفعية، وعرض منظرًا عنها على الشاشة⁽³²⁸⁾.

مع الركن الثاني: حسن سلامة⁽³²⁹⁾

[سبق الحديث عن المصالحات التي قام بها عبد القادر الحسيني، والآن] أنتقل بعد كل هذا إلى ناحية مهمة جدًّا، وهي ناحية توحيد قوات الجهاد المقدس، وتمتين صلات التعاون والتنسيق بينها. فكما [أخى] عبد القادر بين المجلسيين والمعارضين في البلاد، وبين رجال العشائر الأردنية المسلّحين والمجاهدين، كذلك عمل على توثيق التعاون بين قوات «الجهاد»، خاصة بين قواته في لواء القدس، وبين قوات «الجهاد» بقيادة الشيخ حسن سلامة في لواء يافا، وذلك عن طريق التعاون والتنسيق. ولقد كانت هنالك حساسيات سابقة بسيطة بين القائدين، ولا شك أنّ القارئ يعرف أنّ كلًّا منهما كان مسؤولًا عن قيادة منطقة في الثورات السابقة، من سنة 1936-1939؛ فبعد القادر كان قائدًا لمنطقة القدس، بعد أن كان مساعدًا للقائد الشهيد سعيد العاص، وحسن سلامة كان قائدًا لمنطقة يافا. وقد التجأ كلّ منهما إلى العراق، وبعد ثورة رشيد عالي، تم اعتقال عبد القادر وسجنه في زاخو بالعراق، ومن ثم إبعاده إلى السعودية، ومنها عاد إلى القاهرة.

(326) لم يتناول الريماوي المعارك في المقالات التالية، واكتفى، كما يبدو، بما دُوّن هنا.

(327) سبق الإشارة إلى مصادر من الصحف عن هذه المعارك، وعن موقف فوزي القاوقجي،

يُنظر: قاسمية، ص 396-400.

(328) يُنظر الصورة (2-11). وأغلب الظن أنّ الصحفي المذكور هو الصحفي الأميركي جيم برينجل، والذي التقط صورًا خلال فترة الحرب لصالح وكالة أسوشيتد برس. وكما يُظهر أرشيف الوكالة، فإنّ الصورة (2-11) هي الصورة الوحيدة التي التُقطت للمقاتلين العرب في باب الواد، وهذا يتقاطع مع ما قدّمه الريماوي في نضه.

(329) النص الرئيس، المدرج أسفل هذا العنوان، مستل من: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس

(6)»، ص 4.

وأما حسن سلامة، فقد التجأ إلى ألمانيا، وبقي مع المفتي [محمد أمين الحسيني] إلى قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية، إلى أن هبط [في 6 تشرين الأول/أكتوبر 1944] بالبراشوت من طائرة ألمانية في غور أريحا، ومعه ذو الكفل عبد اللطيف واثنان من الألمان. كما أنزلت معهم كميات من الأسلحة والذهب⁽³³⁰⁾، ولكنها ضاعت، واضطر، بعد تضيق القوات البريطانية الخناق عليه، أن يغادر فلسطين إلى لبنان.

عندما عاد عبد القادر [الحسيني] إلى القاهرة، واجتمعت به، كما ذكرت سابقاً، وتدارسنا موضوع تنظيم قوات الجهاد المقدس، كان من الطبيعي أن يتجه التفكير إلى الاتصال بحسن سلامة في بيروت، فطلب مني عبد القادر أن أقوم بذلك الاتصال، وأن يتم الاجتماع بينهما في القاهرة. وعبد القادر يعرف أنه تربطنا بحسن سلامة علاقة قرابة، فهو [ينادييني] بالخال قاسم، فنحن أخواله، عدا عن أن نائبه محمود أبو الخير، وأعوانه أبو شريف [سليم أبو صالح دار خصيب]، ومصطفى [صالح يحيى دار خصيب] من عارورة بني زيد، ومحمد الذيب الريماوي، كانوا من الخلايا السرية التي تتعاون معنا، وهم أول من يتصل بهم حسن سلامة حينما يفكر في إعادة تنظيم قواته. كما أن أعوانه المخلصين، مثل الحاج محمود درويش، والمرحوم زكي عبد الرحيم من العباسية، والمرحوم حسن الخليل [من] بيت نبالا، وموسى أبو حاشية من سلمة، هم من الأشخاص الذين لا بد من أن يحسب حسابهم في تنظيم قوات الجهاد المقدس في منطقة يافا.

تم الاتصال بأبي علي حسن سلامة في بيروت، وعُقد اجتماع في القاهرة بينه وبين عبد القادر [الحسيني] بحضوري، ووعد أبو علي بمباشرة التنظيم بتنسيق كامل معنا. ولدى عودته إلى بيروت، وفد إليه مساعدوه؛ السادة فخري مرقة [من] الخليل، محمد نمر عودة [من] يافا، والأستاذ نمر المصري⁽³³¹⁾

(330) وفقاً لرواية ذو الكفل عبد اللطيف، فقد شارك في الإنزال ثلاثة ضباط ألمان وليس اثنان.

يُنظر رواية ذو الكفل لعملية الإنزال والهدف منها في: عبد اللطيف، ص 83-98.

(331) نمر عبد الرحمن المصري (1914-1994): وُلد في مدينة اللد. تلقى تعليمه الأساسي =

[من] اللد، والسيد [...]]. ذهبت وأبو علي إلى صيدا، حيث قام السيد معروف [سعد] بتسهيل إرسال شحنة من الأسلحة بقارب صغير من صيدا بالبحر إلى فلسطين.

انتقل عبد القادر [الحسيني] من القاهرة إلى عاليه بلبنان، حيث كانت تجتمع اللجنة العسكرية واللجنة السياسية للجامعة العربية. توالى الاجتماعات بين القائدين بحضوري، وفي الوقت نفسه، كانت تتردد على عاليه شخصيات كثيرة من رجال الحركة الوطنية وزعماء فلسطين. تم الاتفاق على تنظيم القيادة العامة للجهد المقدس [...]. وبعد فراغنا من هذا التنظيم، ومباركة المفتي [محمد أمين الحسيني]، رُفِعَ إلى اللجنة العسكرية، وطلب مني إحضار أربعمئة متطوع للتدريب في معسكر قطنة بقرب دمشق، عدت إلى القدس. وبعد ثلاثة أيام، كان المتطوعون قد التحقوا بالمعسكر المذكور، وقد أتبعنا هؤلاء بأفواج أخرى من الشباب.

وأذكر أنني عندما ذهبت إلى لبنان لم أكن أحمل معي أية ألبسة شخصية، لعلمي أنني سأبقى بضعة أيام، ولكن إقامتي زادت عن شهرين، كنت أرتدي خلالها بدلات من بدلات الشيخ حسن سلامة، فلقد كان بنفس الطول والحجم. أما الاجتماع الثالث، فقد تم بعد عودة عبد القادر [الحسيني] وحسن سلامة إلى فلسطين، وعُقد في بلدة بيت ريما بني زيد، وحضره، بالإضافة إليهما، معظم العاملين في الحركة الوطنية، والمسؤولون عن تنظيمات الجهد المقدس.

تقرر في هذا الاجتماع القيام بجولة المصالحة الوطنية التي أشرت إليها سابقاً، ابتداءً بمنطقة جنين، وتقرر زيارة اللجنة القومية في تمام الساعة العاشرة

= فيها، ثم انتقل إلى الرملة، اختير سكرتيراً لحزب مؤتمر الشباب. عُين، قبيل اندلاع حرب 1947-1949، سكرتيراً للمكتب الإداري العام للإخوان المسلمين في فلسطين الذي اتخذ من الرملة مقراً له، كما عمل مديراً للمدرسة العباسية في الرملة، ولمعهد الشباب الثقافي والرياضي في الرملة. صار، خلال الحرب، من أبرز مساعدي قائد القطاع الغربي من المنطقة الوسطى حسن سلامة الذي سبق ونشط إلى جواره في ثورة 1936-1939. لجأ، بعد الهزيمة، إلى دمشق، وكان من أبرز مؤسسي حزب التحرير عام 1953. عند تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964، اختير لرئاسة الدائرة السياسية فيها.

من صباح يوم الخميس، وكان الاجتماع بعد ظهر يوم الثلاثاء، وطلب منّي فوزي جرار وعبد الرؤوف الفارس إبلاغ اللجنة القومية بالزيارة. وبالفعل، تمت الزيارة حسب الوقت المحدد، إلا أنّ حسن سلامة عاد إلى منطقتة، بعد أن زار مدينة جنين، وواصل عبد القادر وأعوانه ومساعدوه جولتهم في ألوية جنين ونابلس ورام الله.

أما الاجتماع الرابع [الذي اشتركت فيه مع عبد القادر الحسيني وحسن سلامة]، فقد تم في بيت الدكتور سليمان سليم برام الله. وقد تقرر فيه التوجه إلى دمشق للمطالبة بالأسلحة والمتفجرات، [كما سبق وفُصل عند الحديث عن جلب المتفجرات التي نُفّذت فيها عملية نسف شارع بن يهودا].

عودة لاحتلال معسكر رأس العين⁽³³²⁾

[كما ذُكر سابقاً، فإنّ قوة] الجهاد المقدس احتلت موقع رأس العين في الأسبوع الأول من آذار/ مارس 1948، وإنّ الخضر اليهود والسكان قد نقلتهم القوات البريطانية في سيارات مجللة بالسواد إلى تل أبيب، خلافاً لما ذكره عارف العارف في كتابه النكبة، بأنّ قوات جيش الإنقاذ هي التي احتلت هذا الموقع [.....]⁽³³³⁾. وحقيقة الأمر أنّ مدلول عباس، قائد فوج حطين التابع لجيش الإنقاذ، قد حضر إلى رأس العين مساء اليوم الثالث لاحتلالنا المعسكر، واجتمع بي، وكان يرافقه المجاهد الشاعر الأستاذ عبد الرحيم محمود، رحمه الله، الذي كان من زملاء عبد القادر [الحسيني] في العراق، ومن كرام المجاهدين المعروفين بصدق جهادهم بالسيف وباللسان وبالقلم.

قال الرئيس مدلول [عباس] إنه يريد أن يعسكر في الموقع، فقلت له إنّ المعسكر واسع جداً، ويتسع لألوف المقاتلين، ويمكنه أن يتمركز في المعسكر

(332) اعتمد النص المدوّن تحت هذا العنوان على: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس:

الحقيقة كما عرفتها وعشتها (16)»، الدستور، 20/11/1972، ص 4.

(333) يرد في نص العارف: «في 8 آذار/ مارس سنة 1948، هبط قطاع رأس العين زهاء خمسمئة مقاتل من رجال الإنقاذ، معظمهم عراقيون، فاحتلوا المباني الواقعة في ذلك القاطع، وسيطروا على رأس العين»: العارف، مج 1، ص 123.

الشمالي الشرقي، وقواتنا ستبقى في المعسكر الجنوبي، فوافق على ذلك. ذهب ليعود بعد يومين إلى البيت الذي كان يقيم فيه مهندس المشروع السيد [نجيب] ناصر، وأرسل إليّ من يبلغني أن أحضر اجتماعًا يُعقد في ذلك البيت، يحضره الرئيس مدلول وعدد من الضباط البريطانيين. وبالفعل، ذهبت إلى مكان الاجتماع، وجلس مرافقي الخاص أحمد ذيب شاور، فوجدت الرئيس مدلول مجتمعًا مع حوالي العشرين من الضباط الذين يتكلمون الإنجليزية، وقد أدهشني هذا المنظر.

ومما زاد في دهشتي، أنني لاحظت رفع التكلفة تمامًا بين مدلول وبينهم، وكأنه يعرفهم منذ أمد بعيد! وبعد وصولي ببرهة وجيزة، وإذ بثلاثة من المجاهدين يصلون إلى البيت، ويطلبون مقابلي لخارج البيت لأمر مهم، فلبّيت الطلب. وقد أعلموني أنّ عامل التلفون، وهو من رجالنا، كان يسترق السمع على محادثة أُجريت بين الموجودين في البيت وسلطات العدو، وأنّ هنالك مؤامرة علينا، وقد احتاطوا لذلك، فوضعوا قوات تطوّق المكان من جميع الجهات، كما أنهم لغّمو الطرق المؤدية إلى المعسكر من تل أبيب. لم أصدّق هذه الأنباء، بل شكّكت فيها كثيرًا، خاصة وأنّ البعض زعم أنّ من بين الضباط المذكورين ضباطًا من الأعداء.

على أي حال، استأذنت من المجتمعين. عدت إلى مقرّ قيادة الجهاد المقدس بالمعسكر. وعلى ذكر التلفون، فقد كان هنالك مقسم في مكاتب محطة رأس العين، ليتصل بمختلف أنحاء البلاد، ولم تكن المواصلات قد قُطعت بعد، لأنّ الانتداب كان لا يزال قائمًا. عدت إلى المعسكر وأنا أشك في صحة ما نقله إليّ عامل التلفون، ولكنّ دهشتي من الألفة الزائدة بين مدلول والضباط المذكورين كانت قائمة، ولم تلبث هذه الدهشة أن زالت، فقد عرفنا السبب وبطل العجب، إذ ثبت بعد مدة أنّ الرئيس مدلول كان مدسوسًا على جيش الإنقاذ من إسرائيل⁽³³⁴⁾.

(334) يُنظر ما ورد أعلاه، من إشارة إلى اجتماعات مدلول عباس مع مخبرات الهاغاناه، في آذار/ مارس 1948. ويُقارن اتهام الريماوي مع ما ورد من تفاصيل في المصادر المذكورة حول طبيعة العلاقة بين عباس ومخبرات الهاغاناه.

أما قوات جيش الإنقاذ، فقد حضر فصيل منها إلى المعسكر الشمالي لرأس العين⁽³³⁵⁾، وبقيت أيامًا معدودة، وكان جلّ همها هو نهب محتويات المعسكر من حديد وخشب وصفائح وزينكو وغير ذلك. وقد حاولوا نهب موجودات محطات الموتورات [أي المولدات]، فمنعهم المجاهدون، وصدف أن كان الشيخ عاهد الريمائي يزور المعسكر ضيفًا على قوات «الجهاد»، فمنع أيًا كان من الاستيلاء على الموتورات والبطاريات وغيرها. وأذكر كذلك أنّ السيد سعيد السبع، وكان ضابطًا من ضباط منظمة الشباب في قلقيلية، قد زار المعسكر، ودعاني لتناول طعام العشاء على مائدة عمه المرحوم الحاج عبد الرحيم السبع، رئيس البلدية آنذاك، وكان صديقًا حميمًا لي، وهو من خيرة الرجال الكرام والوجهاء المحبوبين.

ذهبنا إلى قلقيلية وتناولنا طعام العشاء، وحضر كذلك السيد مدلول، وبعض ضباط فوج حطين، كما حضر عدد من الوجهاء وأعضاء البلدية. وقد تحدثنا معهم عن العملية التي قمنا بها في رأس العين، فارتاحوا لها كثيرًا، خاصة وأنّ رأس العين يهدد قلقيلية بصورة مباشرة من جهة الجنوب. ومن المعلوم أنّ خطة الجهاد المقدس كانت تقضي بعدم قيام المسلّحين في البلدان المجاورة لليهود، أو المحاطة بهم، بنجدة أي قوات أخرى، مهما كان الحال، فلا يغتنم اليهود الفرصة ويحتلونها، وعلى ذلك، فقوات قلقيلية يجب أن تبقى فيها. وبعد ذلك، قمت بزيارة ديوان آل نزال بقلقيلية، واجتمعت بالزميل محمد سعيد اليونس، عضو المكتب المركزي للحزب العربي، وقضيت بعض الوقت معهم، ثم عدت إلى معسكر رأس العين، ولم يكن بعيدًا عن قلقيلية.

بقيت قوات الجهاد المقدس، بعد انسحاب قوات جيش الإنقاذ، بضعة أشهر، وهي تحتل موقع رأس العين. وبعد دخول الجيوش العربية، وتسلم

(335) وفقًا للصحافة العربية، فقد كان حضور هذه القوات، كما يبدو، بحدود 3 أو 4 أذار/مارس 1948. يُنظر: «من الخطر بقاء القدس بدون مياه للشرب لاستيلاء العصابات على رأس العين»، همكيف [بالعبرية]، 1948/3/5، ص 8؛ «كتيبة عراقية في معسكر رأس العين»، هبوكر [بالعبرية]، 1948/3/8، ص 4.

قوات عراقية قطاع كفر قاسم، تم التنسيق بيننا وبين هذه القوات، على أن تواصل قواتنا المرابطة في هذا الموقع المتقدم، بينما ترابط القوات العراقية في المرتفعات المشرفة عليها من منطقة كفر قاسم. وكان عبد الكريم قاسم مساعدًا لقائد القطاع المذكور.

وأذكر مرة أنه حضر إلى مقابلي في مقر قيادة الجهاد المقدس ببثريزيت، ليقدم شكوى ضد الضابط صبحي أبوإجبارة الذي كان مسؤولاً عن قوات الجهاد المقدس في رأس العين. وبعد أن جلس قليلاً، وتحدثت معه عن معركة فلسطين، وعن تخاذل الأمة العربية، وقصور الجامعة العربية، وعن عقيدة الجهاد والمجاهدين، وإذا بالدموع تنهمر من عينيه، ولم يستطع مواصلة الجلسة، فاستأذن وانسحب راجياً عدم اتخاذ أي إجراء ضد صبحي المذكور.

لقد قام اليهود بهجومين كبيرين لاحتلال المعسكر، وقد فشل الهجوم الأول، وترك اليهود اثنين وأربعين قتيلًا⁽³³⁶⁾. أما الهجوم الثاني، فقد استطاعوا فيه احتلال معسكر رأس العين لمدة سبع ساعات، ثم استعاده المجاهدون، ولكن بعد أن فقد الشيخ حسن سلامة، وعدد من المجاهدين، أرواحهم دفاعاً عنه.

كانت قوات الجهاد المقدس عبارة عن فصيلين، وبعض المتطوعين من بيت ريما والمزرعة القبلية. وكان المسؤول عن هذه القوة هو صبحي أبوإجبارة، من ضباط قيادة الجهاد المقدس، يساعده النائب عبد الكريم الريماوي⁽³³⁷⁾، والعريف سميح المزرعاوي. ومن الذين شهدوا المعركة وأسهموا فيها شوقي أحمد إبراهيم، ورفيق أحمد حسن طه، والعبد إسماعيل أسناف، والعبد عساف من بيت ريما، ووحيد وموسى العبورة من المزرعة

(336) سقط للصهانية في منطقة رأس العين وجوارها، خلال معارك الحرب، 41 قتيلًا، كما يؤثّق النصب التذكاري المُقام في محمية عين آفيك، منهم 12 قتيلًا من مقاتلي الإيتسل، سقطوا في 30 أيار/ مايو 1948، بعد هجوم الإيتسل الذي استهدف احتلال المنطقة، ومعظم البقية من مقاتلي لواء ألكسندروني، سقطوا بعد معارك احتلال المنطقة التي انطلقت في 11 تموز/ يوليو 1948.

(337) عبد الكريم ياسين الريماوي (1916-1956): وُلد في بيت ريما. عمل مرافقًا للدكتور قاسم الريماوي في أثناء نشاطه في الجهاد المقدس. شارك في ثورة 1936-1939، وطارده البريطانيون آنذاك، وحرقوا منزله: كبتها، ص 571.

القبلية. وكان مجموع المجاهدين يبلغ حوالي خمسين رجلاً، ومعهم ثلاثة رشاشات برن، وبعض الأسلحة الرشاشة، وكمية من الذخيرة. أما الضابط صبحي أبو اجبارة، فلم يحضر أيًا من المعركتين. وكان المسؤول عن المعركة الأولى النائب عبد الكريم، وعن الثانية العريف سميح. وإيكم وصفًا للمعركة.

25 أيار/ مايو 1948: معركة رأس العين الأولى⁽³³⁸⁾

حضر إلى موقع رأس العين ضابط عراقي برتبة رئيس، اسمه محمود، وبلغ النائب عبد الكريم بأن اليهود سيقومون بهجوم لاحتلال المعسكر في تلك الليلة، وكانت من ليالي النصف الأخير من شهر أيار/ مايو 1948، وطلب من المجاهدين أن ينقذوا الخطة التالية: عدم إطلاق النيران إطلاقًا، إلا بعد أن يصل المشاة إلى الأسفلت الواقع أمام المعسكر، والتمركز في الخنادق، ووضع الذخيرة بكاملها، وتوزيعها على المجاهدين. حالما يصل المشاة اليهود إلى الأسفلت، تُطلق النار عليهم أولاً من حَمَلَةِ الرشاشات. كما أعلمهم أنّ المدفعية العراقية ستسندهم. وفي المساء، ورّع عبد الكريم قواته على الخنادق الواقعة داخل المعسكر، تجاه الأسفلت، وعلى بُعد بضعة أمتار منه. وكمن الجميع في الخنادق. وفي الساعة الثانية عشرة من منتصف الليل، بدأ اليهود يقصفون المعسكر بوابل من قذائف المورتر.

واستمر القصف بصورة متتالية حوالي أربع ساعات، ولم يُجب المجاهدون بأية طلقة، ثم تقدّم المشاة اليهود وسط حقول الذرة الواقعة إلى جنوبي وغربي المعسكر، وقد سمع المجاهدون وقع أقدامهم وحركتهم، فلم يحركوا ساكنًا حتى وصلوا الأسفلت، أي على بُعد بضعة أمتار منهم، وهنا فتحو عليهم النار من كل جهة، وأمطروهم بوابل من نيران الرشاشات. كما أخذت المدفعية العراقية تقصفهم قصفًا أوتوماتيكيًا من مرتفعات كفر قاسم، مسلّطة نيرانها على الحقول و[على] مؤخرتهم، فتعالى صراخهم.

(338) اعتمد النص المدوّن تحت هذا العنوان على: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (16)»،

وما طلع الفجر إلا وهم لا أثر لهم البتة سوى اثنتين وأربعين جثة كُومت، ملقاة على الأسفلت، ولم يستطيعوا سحبها كعادتهم، لأنهم أخذوا بهذه المباغثة وبشدة النيران، فانسحبوا بغير نظام. وقد أبى المسؤولون من الجيش العراقي إلا سحب الجثث إلى مقرّ قيادتهم. ولم يُصب أي من المجاهدين سوى شخص واحد، هو عبد الحفيظ ياسين، من بيت ريما، الذي أُصيب بشظية رصاصية طائشة، أصابت دامر حديد بالقرب منه، ثم ارتدّت إليه فجرحته في فخذه الأيمن.

29 أيار/ مايو 1948: معركة رأس العين الكبرى، واستشهاد سلامة⁽³³⁹⁾

أعاد اليهود الكرّة بهجوم كبير بعد بضعة أيام؛ حوالي اليوم التاسع والعشرين من شهر أيار/ مايو. وقد كان العريف سميح هو المسؤول عن قوات الجهاد المقدس. وقد وسّع اليهود هجومهم، فأخذوا يلقون قنابل مدافعهم على المرتفعات المشرفة على رأس العين، وعلى القرى المجاورة، وعلى جبهة تمتد من كفر قاسم والمجدل و[المزيرعة] وقولة، إلى مشارف الطريق الموصل بين عابود ودير طريف، أي على جبهة عرضها عشرة كيلومترات تقريباً. كما أمطروا المعسكر بسيل لا ينقطع من القنابل، وتقدّمت قواتهم المشاة، فأخذت تصلي المعسكر بالرشاشات. وقد [بدؤوا] هجومهم في منتصف الليل، وتمكّنوا من الوصول إلى الجهة الغربية من رأس العين وتطويقها حوالي الساعة الرابعة صباحاً.

أخذت ذخيرة المجاهدين تنضب، ووجدوا أنهم لا محالة [هالكون]، فأرسل العريف سميح [الريماوي] المجاهدين محمود اليوسف ووحيد المزرعاوي إلى الشيخ حسن سلامة لطلب النجدة، وبعد مغادرتهم بنصف ساعة، تمكّن اليهود من

(339) اعتمد النص المدوّن تحت هذا العنوان على: المرجع نفسه. والهجوم المشار إليه تحت هذا العنوان هو الهجوم المركزي الذي قامت به قوة من الإيتسل كجزء من تعاونها مع الهاغاناه، لكنّ الهجوم فشل بانسحاب قوة الإيتسل من الموقع، وتركها أسلحتها وذخائرها في المكان. للمزيد عن هذا الهجوم، يُنظر: دافيد نيف، أرغون تسفاني ليثومي، المجلد السادس: في حرب مفتوحة (1947-1948) [بالعبرية] (تل أبيب: معهد كلاوسنر، 1980)، ص 221-222، مقارناً ب: بن غوريون، مج 2، ص 475؛ ريفلين، ص 31. يُشار إلى أنّ نيف يتحدث عن سقوط 11 قتيلاً للإيتسل في المعركة، بينما وثّق النصب التذكاري سقوط 12 مقاتلاً.

احتلال الجزء الغربي والشمال الغربي للموقع، كما أخذت قواتهم ترحف نحو الجنوب الغربي، ليتم تطويق المجاهدين. وهنا، أمرهم المسؤول بالانسحاب، فانسحبوا جميعاً إلى قرية المجدل. وفي الصباح، تمكنت قوات العدو من احتلال موقع رأس العين بكامله، ثم تقدّمت فاحتلت البيارات المجاورة؛ بيارة محمد عبد الرحيم، وبيارة أبو لبن. ونصبت مدفعيتها فيها، وأخذت تطلق قذائفها على الطرق، وعلى النجديات التي أخذت تتوافد على المجدل.

وصل خبر الهجوم اليهودي إلى الشيخ حسن سلامة، وكان موجوداً في معسكر بيت نبالا، وحوله عدد من أعوانه، فأمر بالتوجه حالاً لنجدة المجاهدين في رأس العين، وركب هو في سيارته الدوج، ويسوقها سائقه [حسن رزق عمير] من عطارة رام الله، وركب معه في السيارة ثلاثة من أعوانه، هم: المرحوم الحاج محمد عبد الحميد أبو زكي من العباسية، ومحمد الحصري، وسعيد حسن عثمان من بيت نبالا. وتبعته مصفحة، من صنع محلي، كان يسوقها شخص اسمه حمد من لواء رام الله، ومعه ستة من المجاهدين، اثنان من رجال الجهاد المقدس ببئرزيت، وسارت خلفهم ثلاث سيارات شحن تُقلّ عدداً من المسلّحين، على رأسهم الحاج محمود درويش.

ولمّا وصلوا إلى الوادي المحادي لقرية قولة، أسقط عليهم اليهود بعض القذائف، فتوقفوا في سفح التل، وكان من رأي الحاج محمود أن يترجّلوا ويسيروا بمحاذاة الوادي إلى المحاجر الشرقية من المجدل، ولكنّ الشيخ حسن [سلامة] أصرّ على مواصلة السير، وسار بسيارته، وتبعته المصفحة إلى أن وصل إلى مدرسة المجدل، وهي واقعة إلى الجنوب الغربي من القرية. وهناك، نزل من السيارة، ووقف إلى [...] الجهة الشرقية من المدرسة. أما الحاج محمود والمسلّحون، فقد نزلوا من السيارات والشاحنة، وساروا مع الوادي إلى المحاجر ومنها إلى المجدل. أسقط اليهود قنابلهم على المدرسة، فوقعت واحدة منها خلفها، وهدمت صخرة كبيرة على مقربة من المكان الذي يقف فيه الشيخ حسن سلامة وأعوانه، وارتدّت عليهم الشظايا فأصابتهم جميعاً بجراح؛ أُصيب الشيخ حسن بشظية كسرت ضلعين واستقرت في رثته

اليسرى، كما أُصيب سعيد حسن عثمان من بيت نبالا، وأبوزكي الحاج محمد عبد الحميد - العباسية، رحمه الله، وأصيب محمد الحصري من العباسية.

حدّثني محمود يوسف الريماوي قال: «كنت أقف على مقربة من الشيخ حسن، حينما أصابته شظية القنبلة ووقع على الأرض، فأسرعت إليه وحاولت رفعه، ومعني آخرون، لوضعه في المصفحة، وإسعافه ونقله إلى اللد. ولما فتح عينيه ورآني أقف إلى جانبه قال لي: 'أين الخال قاسم؟'. فقلت له: 'إنه في الشام'. فقال: 'وصّيه يدير باله. خذوني إلى المستشفى حالاً'». ثم نقله فعلاً إلى مستشفى الطوارئ باللد، وكان الدكتور سامي بشارة هو المشرف عليه.

وجدير بالذكر أنّ هذه المصفحة هي نفس المصفحة التي نقلت جثة الشهيد عبد القادر الحسيني، قبل حوالي الخمسين يوماً. لم يستطع الدكتور بشارة إجراء العملية لانزعاج الشظية، لأنّه لا يملك المعدات اللازمة. وفي الليل، قامت طائرة يهودية، وكانت لديهم بعض الطائرات للتدريب، بإلقاء متفجرات وبراميل «زفتة» بالقرب من المستشفى، فوقع الشيخ حسن من أثر الانفجارات عن سريره على الأرض، وهذا ما زاد حالته سوءاً، وأصبحت حالته خطيرة جداً.

تقرر نقله في سيارة إسعاف إلى مستشفى البعثة المصرية بالرملة، وقد استغرق نقله حوالي الساعتين، مع أنّ المسافة قريبة جداً، وذلك بسبب حالته الصحية. لم يستطع الدكتور المصري المشرف على البعثة، وكان يُلقَّب بالباشا، إجراء العملية، بل إنه اتصل بالقاهرة من أجل إرسال طائرة لتنقله جواً، ولكنّ الطائرة لم تصل، وتوفي أبو علي قائداً شهيداً ومجاهداً كريماً، ولم تغمض عيناه إلا وكان قد اطمأن على أنّ المجاهدين قد استردّوا موقع رأس العين.

أما المجاهدون، فلم تلههم إصابة الشيخ حسن عن واجبهم المقدس، وهو إعادة احتلال الموقع، وكانوا قد بلغوا المئات، بل زادوا عن الألف، فأخذوا يكبرون ويهللون، واندفعوا إلى رأس العين بهجوم شامل. وكان يتقدّمهم رجال البادية من بني صخر، وقد أظهروا بسالة نادرة، فكانوا يزغردون ويطلقون النار وهم وقوفاً، مع مواصلتهم الهجوم. وكان شبلي المجالي يرأس فريقاً من البادية، والحاج محمود درويش يرأس النجدات التي حضرت من

قوات المرحوم الشيخ حسن سلامة. كما أنّ نجدات كثيرة اشتركت في المعركة من قرى دير بلوط، وكفر قاسم، وبيت نبالا، ودير طريف، هذا بالإضافة إلى قوات الجهاد المقدس التي انسحبت إلى قرية المجدل. واستمرت المعركة من الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم 29 أيار/ مايو 1948، وقد تمكّن المجاهدون من إعادة احتلال المعسكر، وطهروا البيارات المجاورة له من العدو.

وبقيت القوات فيه إلى أن تم سقوط مدينتي اللد والرملة وجميع المنطقة الساحلية⁽³⁴⁰⁾، فانسحبت إلى المرتفعات المشرفة عليها، [كما سيأتي تفصيله لاحقاً]. هذه هي التفاصيل التي لم تُنشر إطلاقاً عن معركة، بل معارك، رأس العين، والتي تبين كيف دافع المجاهدون عن هذا الموقع بكل بسالة وشجاعة، وصمدوا في وجه قوات تفوقهم عدة وعدداً، إلى أن حدث الانهيار الكامل في منطقة اللد بأسرها. وهي أكبر شاهد ودليل على التعاون الصادق الذي كان قائماً بين قوات البدو من شرق الأردن والمجاهدين من أبناء فلسطين وأرض رأس العين وباب الواد والقسطل التي امتزجت دماؤهم فوقها. وهي خير دليل وبرهان على أصالة هذا الشعب وحيويته وأخوته ووحدته المقدسة⁽³⁴¹⁾.

إعادة تنظيم الصفوف بعد استشهاد سلامة⁽³⁴²⁾

[كانت] قوات الشهيد القائد حسن سلامة قد تفرقت بعد استشهادها، وعلى إثر سقوط مدن وقرى لواء اللد⁽³⁴³⁾. وأذكر أنني عند سقوطها ذهبت

(340) احتلت قوات لواء ألكسندروني منطقة مجدل صادق ورأس العين في 11 تموز/ يوليو 1948، في عملية سُميت صهيونياً «مفتساع بيتك»، والتي كانت جزءاً من العملية الكبرى «داني» التي نجم عنها بشكل أساسي احتلال منطقة اللد والرملة. للمزيد عن عملية «بيتك»، يُنظر: ريفلين، ص 301-309. مقارنةً بـ: خليل سعيد، تاريخ حرب الجيش العراقي في فلسطين 1948-1949، ج 2 (بغداد: مطبعة الجيش العراقي، 1967)، ص 38-59.

(341) المرجع نفسه.

(342) اعتمد هذا النص المدوّن تحت هذا العنوان على: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (13)»، الدستور، 30/10/1972، ص 4. وأضيف في الهوامش بعض الاقتباسات من نصوص أخرى للريماوي ذات صلة بهذه الفترة.

(343) أشار الريماوي في مقالة له، استذكر فيها بعض مواقفه مع رئيس بلدية الرملة محمود =

مع عدد من المسلّحين إلى منطقة رنتيس والجبال المشرفة على الساحل. كما أذكر، والأسى يعتصر فؤادي، تلك المآسي التي شاهدها بأم عيني، والمناظر التي تفتّ الأكبادة؛ فهذه امرأة تحمل طفلتها ولسانها متدلّ من العطش، وهي تلهث وتتصبّب عرفاً، وتلك تولول وتنتحب، فقد فقدت أهلها وذويها، وثالثة هائمة على وجهها، تسير على غير هدى، ورابع يحمل سلاحه على كتفه، وابنه على كتف آخر، وها هو ابن الشيخ مصطفى الأقطم، والوجهاء من أصحاب البيارات والعمارات، يسرون على الأقدام، وقد أنهكهم السفر، ولا يحملون من حطام الدنيا شيئاً، وخامس وسادس وألف وألوف، تراهم سكارى وما هم بسكارى⁽³⁴⁴⁾، يهيمون على وجوههم في كل وادٍ وكل ناحية، ويلوذون بكل كهف، أو يتظلمون في الأشجار المنتشرة في الجبال.

كان واجبي أن أتصرف وبسرعة، ضمن إمكانياتي المحدودة جداً، فطلبت باللاسلكي من المسؤول عن النقلات إرسال سيارات الشحن القليلة التي نمتلكها، والتي يستطيع الحصول عليها، لنقل النساء والأطفال إلى رام الله وبتريزيت والقرى المجاورة. وفي بتريزيت، فُتحت الكنائس والجوامع والمدارس والبيوت لإيواء [من] أمكن إيوأؤهم، وبقي الكثير في العراء.

وكان همّنا الأول هو حماية المنطقة من أي زحف [تقوم] به قوات العدو

= علاء الدين، فأشار إلى أنّ علاء الدين: «وصل إلى بتريزيت، بعد أن طاف على مراكز عدة في الداخل والخارج، طلباً للسلاح والمعونة، وعاد وهو شبه يائس، كان ذلك قبيل سقوط مدينة الرملة بأسابيع. قدّمتُ إليه ما أستطيع تقديمه من سلاح وعتاد، أذكر منها رشاش [فيكرز]. كما أرسلت معه فصيلاً من قوات الجهاد المقدس، بأمرة أحد ضباط القيادة، وهو السيد حسني بدار من بورين. وقد شاركوا في الدفاع عن مدينة الرملة بسالة، ولم يعودوا إلا بعد سقوط المدينة بثلاثة أيام. عادوا بأسلحتهم، بعدما تكبدوا بعض الخسائر»: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (7)»، ص 4.

(344) هنا تناصّ مع مقطع من الآية القرآنية التي تصف بعض حال البشر يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَرُؤْنَهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج: 2). وتتقاطع هذه الكلمات والوصف مع كلمات عارف العارف ووصفه لحال لاجئي اللد والرملة. يُنظر: العارف، مج 2، ص 56، مقارناً ب: إسبر منير، اللد في عهدي الانتداب والاحتلال (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003)، ص 107-113. ويُنظر: Reja-e Busailah, «The Fall of Lydda, 1948: Impressions and Reminiscences», *Arab Studies Quarterly*, vol. 3, no. 2 (1981), pp. 51-123.

على منطقة رام الله الجبلية المحاذية. وقد زاد الطين بلة أنّ أهالي القرى الأمامية أخذوا ينزحون عنها، فقد رحل أهالي قرية رنتيس جميعًا إلى بئرزيت، وكان لا بد من وقف هذا النزوح، وإدخال الطمأنينة على نفوس الأهالي، عدا عن حماية السكان من الاعتداءات والفضوى والسرقات التي قد تحدث. وإنني أسجل هنا أنه لم تقع أية حادثة سطو أو عدوان على الممتلكات أو الأشخاص.

أخذت القوة الموجودة في بئرزيت، وتوجهت في الحال إلى المرتفعات الأمامية في منطقة رنتيس، وورّعتها إلى حظائر صغيرة، لا تزيد الحظيرة عن سبعة مسلّحين، ووضعت كل حظيرة على رأس جبل مشرف على المنطقة الساحلية، حيث تتمركز قوات العدو في قولة والمزيرعة والمجدل وبيت نبالا ودير طريف، وبقيت هذه القوات في هذه المرتفعات إلى أن تم توقيع اتفاقية رودس. وقد أقام اليهود نقاط حراسة في مواجهة مراكزنا، وكثيرًا ما تبادلت مع قواتنا النيران⁽³⁴⁵⁾. وقد أدّت مبادرتنا بإرسال هذه القوات إلى تطمين سكان القرى الأمامية، فعاد قسم كبير من أهالي رنتيس. كما أنّ سكان قرية اللّبن الغربي وعبود استقروا في قراهم.

أما المشكلة الثانية التي كنّا نواجهها، فهي تنحصر في طريقة الاستفادة من المسلّحين الذين وفدوا إلى المنطقة، وكنّا في حاجة ماسة إلى جهد كل واحد منهم، وكل قطعة سلاح أو طلقة يحملونها، خاصة وأنهم من خيرة المقاتلين الذين تمرّسوا على قتال العدو، والمنشية وأبو كبير وأحياء يافا الأخرى وسكّمة ووادي الخيار باللد وبيارات الرملة تشهد لهم بذلك. فعلى الرغم من التفوق الكبير الذي كان يتمتع به اليهود في هذه المنطقة، سواءً من حيث عدد السكان أو من حيث قوة المسلّحين والسلاح، إذ يجب أن لا ننسى أنّ تل أبيب ومستعمرة بيتح تكفا/ملبس، وهي أقدم مستعمرة يهودية في فلسطين، وعددًا آخر من

(345) كانت الاشتباكات بعد آب/أغسطس 1948 تدور بشكل شبه يومي. يُنظر تفصيلات الفترة بين 1 أيلول/سبتمبر، وحتى 14 تشرين الأول/أكتوبر 1948، في: سعيد، ج 2، ص 137-145. وللفترة من 15 تشرين الأول/أكتوبر 1948، وحتى نهاية كانون الأول/ديسمبر 1948، في: سعيد، ج 3، ص 137-162.

المستعمرات الكبيرة، تقع في هذه المنطقة. ومع أنّ عدد المجاهدين في مدينة يافا مثلاً كان لا يزيد على بضعة أنفار في بداية القتال، إلا أنه ارتفع إلى ما يزيد عن الألف مقاتل فيما بعد. وقد برعوا في صنع راجمات الصواريخ، وأحدثوا خسائر فادحة في الأرواح والسكان بتل أبيب، وقدرها منحهم بيغن بألف إصابة بين قتيل وجريح. وكان في المدينة حوالي ثماني عشرة حامية موزّعة في أنحاء مختلفة من المدينة.

أذكر من المسؤولين عنها الحاج عبد الله الناقه، وعبد الرحمن السكسك، ومحمد الطيب الدجاني، وشوقي أبو لبن. وقد كانت تشرف على شؤون البلد لجان متنوعة عن اللجنة القومية، منها لجنة الدفاع، وكان السيد صلاح الناظر مسؤولاً عنها، يعاونه السيد حسن حسونة⁽³⁴⁶⁾، وهو من كرام المجاهدين، ومن عائلة مشهود لها في التضحيات في اللد وفي غيرها. وبرز المجاهد علي جبر وإخوانه الذين أتقنوا صنع المتفجرات وراجمات الصواريخ. وقد ذكر عدد من الكتاب أنّ اليهود أُصيبوا بخيبة أمل كبيرة في الأشهر الأولى من القتال، حتى أنّ عددًا منهم أخذوا يفكرون في الرحيل عن تل أبيب، وجهزوا عددًا من السفن، كانت ترابط في الميناء من أجل ذلك⁽³⁴⁷⁾.

(346) حسن حسونة (1902-1995): وُلد في مدينة اللد. تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في المدينة، ثم تابع تعليمه في مدينة يافا، حيث حصل على شهادة التريبوليشن الفلسطيني. عمل مدرسًا في المدرسة الصلاحية الأهلية في اللد، ثم عمل مأمورًا لأوقاف يافا ثم القدس، شارك في ثورة 1936-1939، ففُصل من وظيفته واعتقل، ثم لجأ إلى خارج فلسطين. عاد إلى فلسطين، حيث عمل في التجارة في يافا، وصار من وجهائها البارزين، كان من أبرز وجوه الدفاع عن المدينة لحظة اندلاع حرب 1947-1949، ومع إعادة تنظيم الحامية في شباط/فبراير 1948 عُيّن مفتشًا عامًا للحامية. انتقل، بعد سقوط يافا، للقتال إلى جوار حسن سلامة في منطقة اللد والرملة، لجأ بعد هزيمة اللد إلى دمشق، فعمل مدرسًا في المعهد العربي الإسلامي في دمشق، وفي مكاتب الهيئة العربية العليا، وتوفي في دمشق.

(347) يمكن مراجعة تفصيلات ما ذكر هنا حول الدفاع عن يافا، وتفصيلات نشاط حاميها وفعالها العسكري، وكذلك التعرّف إلى دور الرجال المذكورين هنا في دراسة أسست على وثائق الحامية: بلال محمد شلش، يافا، ج 1؛ بلال محمد شلش، يافا دمّ على حجر.. حامية يافا وفعالها العسكري دراسة ووثائق؛ الجزء الثاني يوميات من بارود: يوميات ووثائق حامية يافا شباط/فبراير 1948 - نيسان/أبريل 1948 (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019).

وإن أنسى فلا أنسى مواقف البطولة والرجولة التي سجّلها المجاهدون في سلّمة الباسلة، حيث كانت ترابط قوات البلدة بجميع رجالها ونسائها، وعلى رأسهم السيد موسى أبو حاشية، رحمه الله، وترابط إلى جانبها قوات العباسية وبيت نبالا ودير طريف والقرى المجاورة. وقد شهدت القرية معارك دامية، كان النصر حليفها في جميعها، وتمكّن المجاهدون في بداية المعارك من احتلال حيّ هتكفاه، الملاصق لتل أبيب، وقد أدّى ذلك إلى انتشار الرعب في نفوس السكان، وأخذوا يخلون الأحياء المجاورة للمنطقة العربية⁽³⁴⁸⁾.

وبالطبع، لا أقصد في هذه العجالة تسجيل كل هذه الصفحات الخالدة في تاريخ ثورة سنة 1948، إلا أنني أرى من واجبي الإشارة إليها إشارة عابرة، وأنا بصدد الإجراءات التي تمت بعد استشهاد القائد حسن سلامة، رحمه الله. قلت إنّنا قدّرنا أنّ من الجريمة ترك هؤلاء الشبان يهيمنون على وجوههم، وهم يحملون أسلحتهم، في مختلف القرى والجبال، علماً بأنّ البعض أخذ يبيع قسماً منها، ليستعين بها على الحصول على لقمة العيش.

حضر، في هذه الأثناء، إلى بئرزيت كلّ من المجاهدين محمود أبو الخير، وأبو شريف [سليم أبو صالح دار خصيب] من أهالي عارورة بني زيد - لواء رام الله، وكانا من أقرب المساعدين إلى القائد الشهيد أبو علي في ثورة سنة 1936 و[حرب] 1948، وانضما إلى قيادة الجهاد المقدس ببئرزيت. وقد تدارست وإيهما موضوع إعادة تنظيم قوات أبي علي، فوجدنا أنّ ذلك سيحملنا نفقات لا قبل لنا بها. وهنا، أبرقت إلى المفتي [محمد أمين الحسيني] في دمشق، أطلعه على الأمر، وعلى حاجتنا المادية واقتراحاتنا، وأنّه إذا وافق على التمويل، فإنّنا سنتوجه إلى دمشق لتتميم بحث الموضوع.

وعلى ذكر الإبراق والبرقيات، فقد كنّا نمتلك في بئرزيت محطة لاسلكي كبيرة للإرسال والاستقبال، وكان السيد عريف بركات مسؤولاً عنها. وكنّا

(348) عن سلّمة في الحرب، يُنظر: عبد العزيز صقر، بسالة بلدة فلسطينية سلمة الباسلة (عمّان):

رابطة أهالي سلمة، (1990)، ص 124-158.

تتخاطب عن طريق شيفرة خاصة لا يعرفها سوى ثلاثة أشخاص، هم: عبد القادر الحسيني رحمه الله، وحيدر [كامل] الحسيني⁽³⁴⁹⁾ بالقاهرة، و كاتب هذه السطور. وكنا تارة نمررها بالعربية وأخرى بالإنجليزية. وقد حاول اليهود معرفتها، ولكنهم فشلوا في ذلك، ودسوا علينا بعض رجالهم، فألقينا القبض عليهم، وسأبئ ذلك في حينه⁽³⁵⁰⁾.

(349) حيدر كامل الحسيني: ابن أخ الحاج أمين الحسيني، وزوج ابنته. عمل في مقرّ الهيئة العربية العليا في القاهرة، في أثناء الحرب، تحت مسمى رئيس جهاز المخابرات، وكان مكلفاً بالاتصال بجميع القوات العاملة داخل فلسطين، والتي تشرف عليها الهيئة، جزئياً أو بشكل كامل، من خلال شبكة اتصالات لاسلكية أسسها ضابط لاسلكي سابق، أنور الصدر.

(350) لم يبيّن الريماوي أي تفصيلات عن ذلك. أما عن نجاح الجهاد المقدس في حفظ سرية مراسلاتهم مع القاهرة، فإنّ جميع المؤشرات الأولية تؤكده، إذ لا يتوافر في الوثائق والمصادر الصهيونية المتعلقة بالنشاط الاستخباراتي أي إشارة إلى قدرة مخابرات الهاغاناه، أو أي من المنظمات الصهيونية، على اختراق هذا التواصل، مع ورود إشارات تؤكد نجاحها في التنصت على المكالمات الهاتفية، حال توافرها، إذ إنّ شبكة الاتصالات الهاتفية كانت في انهيار دائم خلال أشهر الاشتباك الأولى. وكانت الإشارة الوحيدة على نجاح معرفة بعض أخبار مركز بيرزيت بالاستيلاء على برقية بالإنكليزية مرسله من الريماوي إلى الحاج أمين الحسيني، لكنّ الاستيلاء على هذه البرقية لم يكن باعتبارها مباشرة، وإنما من الجبهة العراقية: بن غوريون، مج 3، ص 762. وفي هذه الصدد، نُشرت في عام 2013 ورقة بحثية مثيرة لإليعازر تاوبر. يُنظر: Eliezer Tauber, «Palestine 1948: the cryptography of the Arab volunteers», *Journal of Intelligence History*, vol. 12, Issue 1, (2013), pp. 36-48.

ومقولة هذه الورقة الأساسية أنّ تشفير القوات العربية العاملة في فلسطين خلال أشهر الحرب الأولى، قوة الجهاد المقدس وجيش الإنقاذ، كان ضعيفاً، وانعكس هذا الضعف فشلاً في حفظ سرية الاتصالات، وبالتالي انعكس فشلاً في مجمل النشاط العسكري لهذه القوات. وعلى الرغم من إقرار تاوبر لعدم وجود أي إشارات مادية تثبت قدرة مخابرات المنظمات الصهيونية المختلفة على اعتراض هذه المراسلات وفكّها، فإنّ ضعف التشفير، ووجود بعض الترجمات لبرقيات ومراسلات تخصّ جيش الإنقاذ بالعبرية، يؤكد مقولته. لكنّ ورقة تاوبر تعاني من إشكاليات أساسية تدفع، بالحدّ الأدنى، إلى التشكيك في تحقق مقولتها، خصوصاً في الجانب المتعلق بقوة الجهاد المقدس، فتاوير يبيّن دراسته عن الشيفرة الخاصة بالجهاد المقدس، اعتماداً على ملف يحوي مراسلات مشفرة، يعود لمقرّ قيادة حسن سلامة، قائد القطاع الغربي في المنطقة الوسطى، وهذه المراسلات تضم سبع عشرة برقية تعود إلى الفترة من 17 أيار/ مايو وحتى 7 تموز/ يوليو 1948 فحسب، وبالاقتراب على دراسة هذه البرقيات لدراسة تشفير مراسلات الجهاد المقدس إشكالات عدة؛ أولها، هل كان مقرّ قيادة سلامة، وعموم قواته، جزءاً من كل اسمه الجهاد المقدس؟ فعلى الرغم من اعتبار عموم الأدبيات التالية للحرب، وخصوصاً المذكرات، قوات سلامة جزءاً من قوة الجهاد المقدس التي نشطت في الحرب، فإنّ قراءة متأنية لوثائق المرحلة وأدبياتها تؤكد أنه على الرغم من حضور سلامة في بنية التشكيل السري الذي أسست عليه =

جاءني الردّ من الهيئة العربية بالموافقة، فأرسلت سيارة الجيب التي كُنّا نستخدمها في بئرزيت إلى عارورة مساء ذلك اليوم، وأحضرت السيد [محمود] أبو الخير، وتوجهنا في ذات الليلة إلى دمشق. وقد رافقنا في هذه الرحلة السيد عبد إسماعيل من أبوقش، وهو أحد ضباط الإدارة وقسم المستودعات في قيادة بئرزيت. قدّمنا مشروعًا لإعادة تنظيم هذه القوات، وبعد عدة جلسات ومناقشات بيزنطية، اشترك فيها السيدان خالد الفرخ ومحمد سليم أبو لبن، تم تسليم أبو الخير حوالي ألفي جنيه، اشترى فيها بدلات خاكي، وبعض المعدات والتجهيزات الضرورية من دمشق، وعدنا حوالي الساعة الحادية عشرة من مساء اليوم الثالث إلى البلاد.

= القوات الفلسطينية بعد اندلاع الحرب، فإنّ سلامة، وبعد دخوله وعبد القادر الحسيني إلى فلسطين، عملاً بشكل مستقل، وزادت هذه الاستقلالية مع تشكيل قيادة عامة للقوات العاملة في فلسطين، وصدور مقررات الهيئة العربية العسكرية مطلع شباط/فبراير 1948، وقبل ذلك تعيين إسماعيل صفوت قائداً عاماً، والذي أعاد تنظيم القوات العاملة في فلسطين، فجعل عبد القادر الحسيني قائداً عاماً للقطاع الشرقي في المنطقة الوسطى، وحسن سلامة قائداً عاماً للقطاع الغربي فيها. وعلى الرغم من تدخل عبد القادر، وتواصله مع مناطق أخرى، فإنّ نشاطه، ونشاط ما عُرف بقوة الجهاد المقدس، اقتصر بالفعل على القطاع الشرقي من المنطقة الوسطى. وتؤكد الوثائق وجود هذا التمايز بين قوة عبد القادر التي تعرفها بقوة الجهاد المقدس، وقوات حسن سلامة التي عُرفت أولاً بـ «جيش حُماة الأقصى» التابع للهيئة العربية العليا، ومن ثم «قوات قيادة القطاع الغربي في المنطقة الوسطى». وإثبات هذا التمايز يحتاج إلى مزيد من التفصيل والدراسة، ويؤمل أن يتيسر ذلك في غير هذا الموضوع.

الإشكال الثاني في طرح تاوبر، أنه لو أقرّ اعتبار قوات سلامة جزءاً لا يتجزأ تنظيمياً من قوة الجهاد المقدس التي قادها عبد القادر الحسيني، فما مدى تمثيل هذه المراسلات لبقية مراسلات مراكز الاتصال الأخرى؟ هل اقتصر على آلية تشفير واحدة، أم أنّ لمركز بيرزيت، كما يدّعي الريماوي أعلاه، آلية تشفير خاصة، وكذلك الحال في مركز القدس، ومن ثم مركز بيت لحم؟ وما يؤكد عدم دقة استنتاجات تاوبر أنّ ملف مراسلات الجهاد المقدس المفترض، والذي اعتمد عليه، الموجود في أرشيف وزارة الدفاع الصهيونية كجزء من الملفات العربية المنهوبة، صُنّف ضمن هذا الأرشيف بوصفه جزءاً من مراسلات جيش الإنقاذ، في مؤشر أكيد على عدم القراءة المسبقة لهذه المراسلات. أما وجود مراسلات مترجمة بالعبرية، فقد لا يكون مصدرها رسائل مشفرة، إذ يحفظ الأرشيف ملفات منهوبة تضم صوراً لمئات المراسلات بين الجنود وذويهم، تُرجم جزء كبير منها، وكانت تُحفظ كجزء من بريد قوات جيش الإنقاذ. وحال افتراض وجود رسائل مترجمة عن رسائل مشفرة، فقد تكون عملية فك التشفير تالية لانتهاء المعارك، وفي أثناء البحوث التي يجريها قسم التاريخ العسكري في وزارة الدفاع الصهيوني، كجزء من تأريخ الحرب.

[.....] وصلنا بثرزيت عن الطريق الترابية التي تمرّ من أريحا إلى رام الله، مرورًا بدير دبوان، قبيل طلوع الفجر من صباح اليوم التالي، وكان يوم العيد. وبعد بضعة أيام، تمت إعادة تشكيل سريّتين بقيادة محمود أبو الخير، يساعده كل من السادة: محمد نمر عودة، وفخري مرقة، ومحمد خليفة، وزكي عبد الرحيم (لمدة شهرين ثم سافر إلى دمشق)، وخليل الطريفي، ومحمد صلاح الرمحي. وكان ارتباطهم بقيادة الجهاد المقدس في بثرزيت.

تمركزت هذه القوة في قرية عابود، وتولّت حماية المرتفعات المشرفة على المنطقة الساحلية في قطاع رنتيس. كان الفوج الأول من اللواء الرابع [عشر] حضر من الجيش العراقي، بقيادة المقدم الركن محمود المهدي، يربط في هذا القطاع⁽³⁵¹⁾، وإلى جانبه في كفر قاسم ورأس العين القوات العراقية، بقيادة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف و[عبد الوهاب] الشواف وغيرهم [.....]⁽³⁵²⁾.

(351) وفقًا لتأريخ الجيش العراقي، فإنّ توزيع القوات في قطاع دير نظام كان كالآتي: شغل الفوج الأول من اللواء الرابع عشر المنطقة، وأصبح مسؤولاً عن طريق رنتيس - دير نظام، بالتعاون مع 350 من الجهاد المقدس، وتوزّعت القوات كالآتي: قرية دير نظام مقرّ الفوج، وفيها أيضًا سرية مشاة، وبطارية مدفعية 37، ومفرزة هندسة. وفي قرية عابود شغلت السرية الأولى، وشغل فصيل منها الطريق الواقعة غرب عابود، والفصيل الثاني قرية دير أبو مشعل، وفيها أيضًا حظيرة رشاش فيكرس، ومفرزة هاون ثلاث عقد، ورعيل مدرعات، وما يقارب 133 من مجاهدي الجهاد المقدس موزعين على الجبهة، ومثلهم في التدريب. وفي قرية رنتيس توزّعت القوات كالآتي: السرية الثالثة، حظيرة رشاش فيكرس، ومفرزة هاون ثلاث عقد، وبندقية مقاومة للدبابات، و84 مقاتلاً من الجهاد المقدس: خليل سعيد، تاريخ حرب الجيش العراقي في فلسطين 1948-1949، ج 2 (بغداد: مطبعة الجيش العراقي، 1967)، ص 101-102.

(352) يُلاحظ أنّ الريماوي يقتصر في استحضاره هنا على الشخصيات التي كان لها دورها اللاحق في تاريخ العراق، بعد موجة الانقلابات العسكرية المتتالية (انقلاب قاسم وعارف في 14 تموز/ يوليو 1958، انقلاب الشواف في 8 آذار/ مارس 1959). يُشار إلى أنّ المقدم الركن عبد الكريم قاسم كان، قبل 11 تموز/ يوليو 1948، أمرًا للفوج الثاني من اللواء الأول التابع للجحفل الأول. وفي إطار إعادة توزيع القوات بعد خسارة اللد والرملة، وسقوط بعض المناطق العراقية، مثل مجدل الصادق ورأس العين، نقل أمر الفوج الأول من اللواء الأول المقدم الركن علي غالب عزيز، في 20 تموز/ يوليو 1948، إلى منصب حاكم نابلس العسكري، وتسلّم قاسم إمرة الفوج بدلًا منه، وشغل هذا الفوج منطقة كفر قاسم: خليل، ج 2، ص 12، 97.

هذا وقد وردت إلى قيادة الجيش العراقي في فلسطين برقية من السيد المرحوم مزاحم الباجه جي، رئيس الوزراء، جاء فيها ما يلي بالحرف: «نطلب منكم تزويد خمسمئة مناضل، بقيادة قاسم الريماوي، في لواء رام الله، بالمؤن». وعلى الإثر، قام أمر الفوج، المقدم الركن محمود المهدي، بتقديم المؤن المطلوبة إلى قوتنا التي كانت ترابط في عابود ورننيس والخطوط الأمامية. أما قوات الجهاد المقدس في بئرزيت ومنطقة القدس، فلم تكن مشمولة بهذا الترتيب.

«بين آكو وماكو ضاعت لحاكو»: فشل محاولة أخيرة لأخذ دور⁽³⁵³⁾

[بعد سقوط اللد والرملة، وإقرار الهدنة من جديد]، اتفقنا مع قيادة الجيش العراقي، بحضور قائد الجحفل السيد غازي [الداغستاني]، والمقدم الركن محمود المهدي، وعمر علي قائد معركة جنين المعروف، وغيرهم⁽³⁵⁴⁾. اتفقنا على أن نقوم بهجوم كبير، نسترجع فيه مدينة اللد والقرى المجاورة. وكانت قوات الجهاد المقدس ستقوم بالاحتلال والتمركز في هذه المنطقة، شريطة أن يقدم لها الجيش العراقي الإسناد بالمدفعية، إن تعرضت إلى هجوم معاكس بالمصفحات من الأعداء.

[.....] لقد سبق هذه المحاولة أن عُقد اجتماع كبير في مقر قيادة الجهاد المقدس ببئرزيت، حضره حوالي ستة وثلاثين قائداً من هيئة أركان الجيش

(353) «بين آكو وماكو ضاعت لحاكو»، قول ينسبه الريماوي إلى الشاعر كمال ناصر. واعتمد النص المدوّن تحت هذا العنوان على: الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (13)»، ص 4؛ قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (14)»، الدستور، 6/11/1972، ص 4؛ الريماوي، «بعد كتاب يا قدس (15)»، ص 4.

(354) لم يكن غازي الداغستاني قائداً للجحفل، وإنما كان في هذه اللحظة هيئة الركن لقيادة القوات العراقية في نابلس، وشكّل في تموز/يوليو 1948 جحفل اللواء الثالث للاشتراك في حرب فلسطين، وتحركت وحدات الجحفل من بغداد في 10-12 تموز/يوليو 1948، ووصل الفوج الثاني من اللواء الثالث في 14 تموز/يوليو إلى منطقة نابلس، حيث عسكر في منطقة دير شرف، وكان العقيد الركن مزهر إسماعيل الشاوي أمر الجحفل، أما المقدم الركن عمر علي فكان في هذه اللحظة أمراً للفوج الثاني من اللواء الخامس التابع لجحفل اللواء الرابع: سعيد، ج 2، ص 11-12، 64.

العراقي بفلسطين. وقد سبق هذا الاجتماع أن حضر إلى مقرّ القيادة القائد العام للجيش العراقي، وأظن أن اسمه السيد مصطفى راغب⁽³⁵⁵⁾، وكان مركز قيادته بالقرب من مدينة نابلس، وبحث معي في شؤون القتال، وما يمكن فعله من أجل استرداد المناطق المحتلة، ورفع معنويات الأهالي. وكان رأيي أن خير عمل مشرف نستطيع القيام به هو احتلال مدينة القدس، وأن الفرصة لا زالت سانحة أمامنا للقيام بهذا العمل، فنحن نحيط بها من مواقع استراتيجية متميزة.

وأذكر أنني قلت له إننا على استعداد للقيام بالعملية، شريطة أن يتولى الجيش العراقي إسنادنا بالمدفعية، والتصدي لقوات العدو، في حالة قيامها بهجوم معاكس بالمصفحات. وافق على هذه الخطة. وأذكر أنني قمت بزيارة مركز قيادته في نابلس، حاملاً المزيد من التفاصيل والخرائط، وعلى الإثراق بإرسال هذا العدد من هيئة أركان حربه إلى بئرزيت. وقد تم في هذا الاجتماع بحث جميع التفاصيل اللازمة للعملية، ووجهوا إليّ عدة أسئلة حول الموضوع، وعن قوات الجهاد المقدس. وتُرك إلى القيادة العامة للجيش العراقي أمر تنسيق العملية مع قيادة الجيش العربي الذي كان يشرف على القدس ومنطقتها.

وقد صدف أن حضر إلى بئرزيت، بينما كان الاجتماع يشرف على النهاية، الأخ الدكتور داود الحسيني، وكان يشغل مركز المفتش الإداري للجهاد المقدس، منذ أن أُعيد تنظيم القيادة بعد استشهاد المرحوم عبد القادر [الحسيني]، فأدهشه وجود هذا العدد الكبير من الضباط العراقيين بمركز القيادة، وأعرب عن ارتياحه الشديد لهذا التعاون بين الجهاد المقدس والجيش

(355) مصطفى راغب باشا (1895-1960): وُلد في البصرة لأسرة تركمانية. أكمل دراسته في كركوك، ثم التحق بالمدرسة الرشدية العسكرية في بغداد، ثم المدرسة الحربية في إسطنبول، وتخرّج فيها برتبة ملازم ثان في عام 1912. عُيّن ضابطاً في الجيش العثماني وخدم في منطقة أضروم، فاشترك في حرب البلقان، ثم في معارك الحرب العالمية الأولى، ورُفِع في عام 1918 إلى رتبة رئيس. عاد إلى العراق في عام 1924، معتزلاً الحياة العسكرية. عاد إلى الخدمة في عام 1927، وترقى إلى أن التحق بحرب فلسطين 1947-1949 أميراً للواء، وقائداً للقوات العراقية في نابلس في 20 تموز/يوليو 1948، خلفاً لظاهر الزبيدي. استقال في أيلول/سبتمبر 1948. يُنظر حول استقالته: سعيد، ج 2، ص 155-156، مقارناً ب: صالح صائب الجبوري، محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014)، ص 617-625.

العراقي، ولكن من المؤسف أن أقوله إنه عاد إليّ بعد ثلاثة أيام قائد الجحفل، العقيد السيد ماهر [إسماعيل الشاوي]، وبرفته المقدم الركن السيد أكرم [أحمد]⁽³⁵⁶⁾، قائد المدفعية، والمقدم الركن محمود المهدي، ليعلموني أنه قد تم العدول عن الخطة، وهي خطة مهاجمة القدس، واستُعيض عنها بخطة أخرى لمهاجمة منطقة اللد.

وبالطبع كان ذلك بمثابة خيبة أمل كبيرة لي، فقلت لهم: «لقد خيبتكم آمالنا، ونحن كنّا ننظر إلى العراق بأنّه بروسيا العرب، وإلى الجيش العراقي بأنّه المنقذ الأول». وقد طلبت منهم نقل عباراتي هذه إلى القيادة العامة، ومع ذلك، فقد أعلمتهم بأنني أوافق على القيام بالخطة الجديدة، وكلي أمل في أن نجاحها قد يؤدي بالتالي إلى المحاولة من جديد لتنفيذ الخطة الأولى.

قمنا بالإعداد للمعركة، حسب متطلبات القيادة العراقية [.....]. [وقد أمضينا ثلاثة أشهر من الإعداد للمعركة، بدأت] بعقدنا اجتماعًا كبيرًا في حراج دير نظام، حيث تقع القيادة العراقية، وقد طلبت في هذا الاجتماع من وجهاء قرى لواء رام الله مدنا بالمتطوعين بنسبة 10 بالمئة من السكان من الشبان المدربين، على أن تتولى القرى تزويدهم بالسلاح والذخيرة على نفقتها، وقد وافق المجتمعون على تلبية المطلب، واستعدوا لمدنا بالمسلحين قدر طاقتهم. وبعد ثلاثة أيام، قمنا بجمع المسلحين، وتولى الإشراف على العملية السيد موسى أبو شيبان، ضابط العلاقات العامة في الجهاد المقدس، ومن كرام المجاهدين الذين وقفوا حياتهم للعمل الوطني، ورافقه شوقي الريماوي من قوات الجهاد المقدس ببئرزيت، وقد رافقهم في هذه العملية الضابط السيد عبد الوهاب الشواف، رحمه الله، من ضباط القيادة العراقية.

كانت السيارات من الجيش العراقي والجهاد المقدس تعود كل يوم حاملة عددًا من المسلحين، يتراوح بين الخمسين ومئة مسلح، ولم نكن نتشدد

(356) عند تحرك جحفل اللواء الثالث من العراق في 10-12 تموز/يوليو 1948 لم يكن معه كتيبة مدفعية، فألحقت فيه الكتيبة 3ر7 الآلية، وكان أمر الكتيبة المقدم أكرم أحمد، وكان أحمد في 9 تموز/يوليو 1948 أمرًا لكتيبة المدفعية الآلية في جحفل اللواء الرابع: سعيد، ج 2، ص 13، 64.

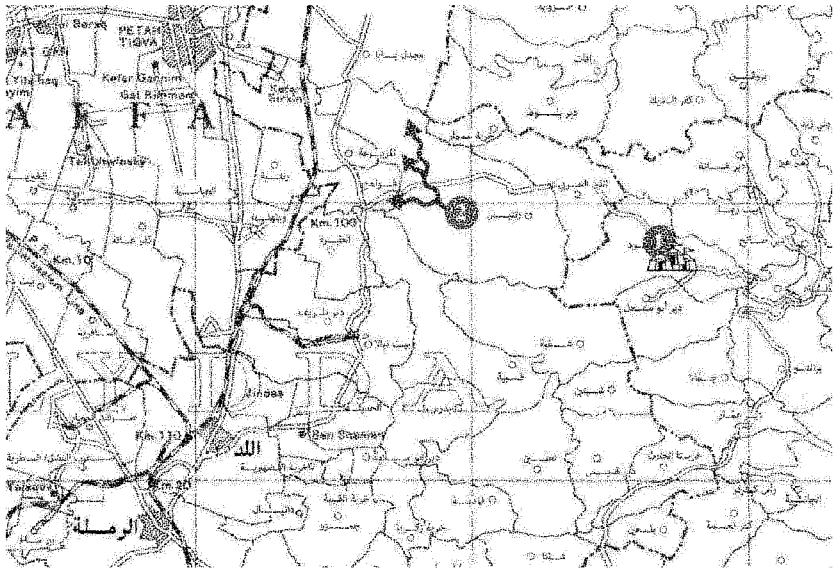
في موضوع عدد المسلّحين من كل قرية. وكان هذا العدد يتراوح بين عشرة مسلّحين وخمسين مسلّحًا، ولم نجد أية مشكلة في ذلك، فقد كانت العملية أقرب منها إلى التطوّع من التجنيد الرمزي. وأذكر أنّ المرحوم السيد عبد الله نعواس⁽³⁵⁷⁾ هو الوحيد الذي حضر إلى مقرّ القيادة في بئرزيت محتجًا على العملية، وقد حاولت إقناعه بجدواها، ولكنّه لم يقتنع. وقد أحدث ذلك شيئًا من الفتور بيننا.

أذكر كذلك أنّ القائد العام للجيش العراقي كان يقدرّ ضرورة مرور ستة أشهر على تدريب هؤلاء المتطوعين، حتى يصلحوا للعملية. وقد زار مركزًا رئيسيًا، بعد مرور خمسة وثلاثين يومًا على بدء التدريب، وقد أدهشه المستوى الجيد الذي وصلوا إليه، وقال: «إنني لا أصدق أنّ هؤلاء قد تدرّبوا فترة خمسة وثلاثين يومًا فقط». وقد أقاموا أمامه استعراضًا عامًا، وعرضوا تدرّباتهم المختلفة على الأسلحة وغيرها. وعلى الإثر، قرر تقصير المدة إلى ثلاثة أشهر، بدل ستة. والحقيقة أنهم جميعًا كانوا من المدرّبين على استعمال السلاح بوسيلة أو بأخرى، وقد أشرف على تدريبهم عدد من ضباط الجيش العراقي، بالإضافة إلى ضباط الجهاد المقدس، السادة عيسى الشخامي، وصبحي أبوإجبارة، وحسني بدّار. وقبل انتهاء مدة التدريب، تم تغيير القائد العام للجيش العراقي⁽³⁵⁸⁾، وتسلمّ مكانه السيد [نور الدين محمود]. وقد وافق القائد الجديد على الخطة وباركها.

(357) عبد الله حنا نعواس (1917-1958): وُلد في قرية الطيبة شمال شرق رام الله. تلقى تعليمه الأساسي في قريته، ثم انتقل إلى كلية ترسانطة (Terra Sancta College)، حيث أنهى تعليمه الثانوي. تخرّج في معهد الحقوق الفلسطيني في عام 1948. عمل نعواس في التعليم والمحاماة، وأصدر وعبد الله الريماوي جريدة البعث، بدعم من حاكم القدس العسكري، خلال حرب 1947-1949، عبد الله التل. كان من مؤسسي حزب البعث في الأردن، وانتُخب عضوًا في مجلس النواب الأردني الثاني والثالث. لجأ إلى سورية بعد الانقلاب الملكي في نيسان/أبريل 1957، وتوفي هناك.

(358) بعد استقالة قائد القوات العراقية في نابلس، أمير اللواء مصطفى راغب، ومغادرته فلسطين في تشرين الأول/أكتوبر 1948، تسلمّ قيادة القوات العراقية من بعده اللواء الركن نور الدين محمود (1899-1981)، والتحق بمنصبه في 11 تشرين الأول/أكتوبر 1948. وخلال فترة الفراغ، قام الزعيم ياسين حسن، أمر جحفل اللواء الخامس، بواجبات وكيل القائد: سعيد، ج 2، ص 156.

الخريطة (2-7) خط سير الهجوم الأولي، وفقاً لرواية الرياوي



المصدر: إعداد وتعريب الباحث، استناداً إلى خريطة «فلسطين: القرى والمستوطنات» المنجزة في عام 1945، ضمن مشروع Survey of Palestine، بوحدة قياس 1:250,000.
(1) بلدة عابود، مقرّ معسكر قوة الجهاد المقدس المتقدّم. (2) بلدة رنتيس، موقع الهجوم باتجاه قرى المزيرعة، قولة، مجدل بابا.

[.....] [قبل انطلاق الهجوم]، حضرت إلى رنتيس، مساء الليلة التي كنّا نعتمز فيها القيام بالهجوم منها، قوات من لواء نابلس؛ من حوارة والساوية وبورين، بقيادة السادة: مفضي [حمدان الحواري] مختار حوارة، و[علي عبد الله] أبو راس مختار الساوية. وفي الحقيقة أنّ هذين الوجهين كانا دائماً ينجدان قوات الجهاد المقدس في كل معركة من المعارك التي كانت تقوم في لواء القدس. [.....] حُددت ساعة الصفر للبدء بالعملية، وكانت الساعة الثانية عشرة من منتصف الليل.

وتسلّم كل منّا أوامر خطية من آمر الفوج، السيد محمود المهدي، بالمهمة التي سيقوم بها، والمناطق التي عليه أن يحتلها. وكنت أتولى قيادة هذه العملية، ويساعدني كل من السيد محمود أبو الخير، وعبد الله حسن طه، والسيد علي

الشخامي، وهو كبير ضباط قيادة الجهاد المقدس ببئرزيت، ومن رجال الحركة الوطنية الذين [التجوؤوا] إلى العراق، وتدرّبوا على القتال. كما أنه شغل رتبة ضابط مع قوات البوليس الفلسطيني بعد ذلك.

وقام عدد من فرقة المغاوير باجتياز الحدود في ساعة مبكرة من مساء ذلك اليوم، وتمركزوا خلف خطوط العدو، وكانت مهمتهم نسف الجسور، ومهاجمة قوات العدو من الخلف، لإحداث البلبلة والارتباك في صفوفهم. وقد تحركت جميع القوات في الساعة العاشرة، حتى وصلت إلى مراكز الوثوب القريبة من مراكز الاحتلال في قرى قوله والمزيرعة والمجدل والمنطقة الساحلية، لنبداً إطلاق النار حالما أُطلق إنارة من مسدس الإشارات الذي كنت أحمله. وبينما كنا نتوقع اقتراب ساعة الصفر للبدء بالعملية، إذ ترد لي بريقة مكتومة من المقدم الركن المهدي، جاء فيها بالحرف ما يلي: «لقد علمت القيادة العامة ما انتوينا عمله هذه الليلة، فأمرت بالتريّث وعدم القيام بأية حركة. إنما الذي أرجوه أن لا تنسحبوا وتركوا قطاعاتنا بمفردها. التوقيع أمر في الـ 14، المقدم الركن محمود المهدي».

لقد صعقتنا هذه البرقية، وكان من رأي الكثير أن لا ننصاع إليها، ولكن ذلك سيُدخلنا في مشاكل مع القيادة نحن في غنى عنها، فقررت العودة إلى منطقة رنتيس، حيث كان السيد المهدي موجوداً، ومعه أركان حربه. وصلت المنطار، وهو جبل يقع إلى غربي رنتيس بمسافة قريبة، فوجدت أن الرجل في حالة يُرثى لها، فهو يلطم يديه على رأسه ووجهه تارة، وتارة يلقي بنفسه على الأرض، وأخرى يحاول الانتحار، ويتوسل أن نتوقف.

[.....] [بانتهاؤ العملية مع وصول البرقية]، لم يتمكّن رجال المغاوير الذين كمنوا وراء خطوط العدو من العودة إلى قواعدهم في تلك الليلة، وقد عادوا مساء اليوم الثاني، وخمسة منهم تأخروا يومين.

[.....] عرفنا أن لا فائد تُرجى من إبقاء قوات كبيرة في تلك المنطقة، فحوّلناها لنجدة القدس والجبال المحيطة بها. وما هي إلا فترة، حتى انهالت علينا البرقيات من قيادة الجهاد المقدس في بيت لحم، وكان قد انتقل إليها كل

من كامل عريقات ومنير أبو فاضل وإبراهيم أبودية. انهالت البرقيات لتقول: «إن لم تنجدونا فإنّ بيت لحم والخليل ستسقط». وفي برقية أخرى قالوا: «إنّ السكان أخذوا ينزحون، وإنّ الولجة قد سقطت في أيدي اليهود، وهم يزحفون على قرى بتير وحوسان ونحلة وغيرها». ورابعة بأنّ قوات المتطوعين من الإخوان المسلمين المصريين قد اضطرت إلى الانسحاب من الخطوط الأمامية.

وهكذا، ففي الحال قمنا بإرسال نجدة كبيرة من المجاهدين من بئرزيت والقدس، في حوالي عشرين سيارة باص وشحن. ولما وصلوا إلى بيت لحم، كانوا يهتفون ويطلقون العيارات النارية، وقد طافوا في شوارع المدينة عدة مرات لتطمين السكان، وتوجهوا في الحال إلى حوسان وبتير والولجة، ليسترجعوا الولجة وجميع القرى الأمامية من اليهود، بعد قتال مرير. وكان يقود المجاهدين الضابط السيد علي الشخامي، يساعده المرحوم عبد الله حسن طه الريماوي. وبقيت هذه القوات في تلك القرى والجبال إلى أن تم توقيع اتفاقية رودس. وكانوا ينامون على رؤوس الجبال في العراء، ويعيشون على الأقل من القليل من الكفاف.

[.....] [وكما يبدو، فإنّ الأثر السيء للعملية لم يكن مقتصرًا على نفوسنا]، ويظهر أنّ أثرًا أكبر قد حدث على نفوس الضباط العراقيين، وأنّ ذلك أخذ دورًا كبيرًا لدى القيادة. وانتهى الاختلاف بقرار القيام بعملية محدودة جدًا في منطقة رنتيس، لاحتلال مرتفعات قريتي قولة والمزيرعة من قضاء اللد، يتم خلالها اختبار جدية قوات الجهاد المقدس وكفاءتها، فلقد أبدى، كما علمت فيما بعد، بعض المسؤولين شكّهم في قدرتها على القيام بالعملية الأولى، وأنّ ذلك سيفتح بابًا على القوات العراقية، وبالتالي على القوات العربية، قد يجرّها إلى معركة شاملة مع العدو.

لم نعرف ماذا تم بالتفصيل على مستوى القيادة، وكل ما تمكّننا معرفته هو ما كان ينقله إلينا بعض ضباط الأركان لدى زيارتهم إلينا، وكانوا يترددون كثيرًا على مقرّ قيادة الجهاد المقدس ببئرزيت. إلا أنه حدث، بعد مرور حوالي

الثلاثة أسابيع على وقف العملية، أن وردت رسالة من السيد محمود المهدي، قائد القوات العراقية في المنطقة، يقول فيها: «الرجاء إرسال القوات المتواجدة لديكم، مع المدافع المقاومة للمصفحات، إلى الخطوط الأمامية في منطقة رنتيس».

وعلى ذكر المدافع، فقد كنّا نمتلك ثلاثة منها، أحضرناها من مخلفات الحرب العالمية الثانية من مرسى مطروح، وكانت صالحة للعمل، ويوجد حظيرة من سبعة أشخاص يُحسنون استخدامها، المسؤول عنهم شاب سوداني اسمه محمد، كان جاويز مدفعية بالجيش البريطاني، يساعده عريف اسمه جميل [أبو شملة (حامد)] من سلواد، وكان يعمل كذلك مع الجيش البريطاني في الحرب العالمية الثانية.

أعلمني الضابط الذي أحضر الرسالة أنّ القيادة العراقية تريد اختبار قوات الجهاد المقدس في عملية محدودة في جبال تلك المنطقة. ترددت كثيرًا في تلبية الطلب، وأخيرًا طلبت من المرحوم عبد الله الريماوي أن يتوجه على رأس فصيل إلى رنتيس، وقد جمع حوالي سبعة وعشرين شخصًا من حراس الأبنية وعمال المطبخ، وهم كل من كان في مركز القيادة، وتوجه إلى رنتيس، وسحب معه المدافع الثلاثة. وفي رنتيس، كان يجتمع عدد كبير من ضباط القيادة العراقية وأركان الجيش.

نُظمت العملية على الشكل التالي: يقوم فصيل من المجاهدين بإمرة السيد محمود أبو الخير، وعددهم حوالي ثلاثين شخصًا، بالتقدّم نحو الجبال المطلّة على قرية قولة التي يحتلها الأعداء، لاحتلالها إن أمكن. كما يقوم الفصيل الآخر، بقيادة عبد الله الحسن الريماوي، بالتقدّم من الجهة الشمالية، واحتلال مرتفعات المزيرعة، واحتلالها إن أمكن. أما المدافع، فقد تقرر عدم إشراكها، وتُركت احتياطيًا لحراسة الطريق العام.

بدأت العملية حوالي الساعة الثانية عشرة، وتقدّم المجاهدون إلى المراكز المطلّة على استحكامات الأعداء، دون إطلاق النيران. وما أن شاهدتهم قوات اليهود، حتى أمطرتهم بوابل من القنابل الدخانية والمدفعية، وأصلتهم بنيران

الرشاشات. وقد اعتقد الجميع أنه لن ينجو منهم أحد، فقد تحوّلت الجبال إلى أعمدة من الدخان، لدرجة لا يستطيع الإنسان فيها أن يميّز شيئاً. وبعد حوالي الساعتين من الهجوم، أي قبل عصر ذلك اليوم، كانت قوات المجاهدين تدخل قريتيّ قولة والمزيرعة، إذ انسحبت القوات الإسرائيلية بلا نظام، تاركة وراءها بعض المعدات والأسلحة. ومن المدهش أنّ أحداً لم يُصب بأذى من المجاهدين. وكم كانت دهشة الضباط العراقيين بذلك كبيرة، فبعضهم يقول إنّ كل واحد من المجاهدين أحسن من مصفحة، وثالث يقبل إخوانه، ورابع يلقي بقبعته في الهواء فرحاً، وهكذا.

انتهت العملية بشكل لم تكن القيادة تتوقعه، وبقيت قواتنا في القريتين، حتى طلبت هيئة الرقابة الدولية من قيادة الجيش العراقي [الانسحاب منها]، فطلبوا إخلاء القريتين، والاحتفاظ بالمرتفعات المشرفة عليهما. وقد أحدثت هذه العملية الصغيرة أثرها الكبير على نفوس الضباط والجنود، كما أنّها رفعت معنويات سكان القرى الأمامية. وعلى الإثر، تسلّمنا برقية من القيادة العامة للجيش العراقي، تهنئنا فيها بالنتيجة، وتمنح كاتب هذه السطور، والسيد [محمود] أبو الخير، ما سمّته نوت الجدارة العسكرية.

[.....] [وهنا]، لا بد لي من الإشارة، إنصافاً للحقيقة، إلى أنه سبق لسرية من الجيش العربي الأردني، كانت ترابط في تلك المنطقة، أن قامت، بالتعاون مع المناضلين المحليين، بهجوم معاكس ضدّ قوات العدو، احتلت فيه هاتين القريتين، [قولة والمزيرعة]، وبقيت فيها حوالي ثلاثة أيام، ثم انسحبت إلى منطقة القدس. والحقيقة أنّ الاحتفاظ بهاتين القريتين ليس له أية أهمية عسكرية، فهما تقعان على حافة المنطقة الساحلية، وتسيطر عليهما التلال الشمالية من منطقتي نابلس ورام الله الجبليتين.

الفصل الثالث

شذرات

أرادوا وفشلوا: عن الصهاينة واحتلال بقية فلسطين خلال حرب 1947-1949⁽¹⁾

[هنا مقطع من مقالة الدكتور قاسم الريماوي السابعة، المنشورة في صحيفة الدستور. تتحدث المقالة عن الفشل الصهيوني في احتلال بقية فلسطين، خلال حرب 1947-1949، وتثبت وجهة نظر مهمة تنفي الادعاءات الصهيونية والعربية التي تتحدث، وإن كان بدوافع وخلفيات مختلفة، عن عدم رغبة المنظمات العسكرية الصهيونية، فدولة إسرائيل الناشئة، بعد 15 أيار/مايو 1948، في احتلال بقية فلسطين؛ أكان ذلك بقية فلسطين الوسطى، والتي يتحدث عنها الدكتور الريماوي هنا، أم بقية لواء غزة. وخلاصة ما يقدمه الريماوي في هذه المقالة، أن نتيجة الحرب يمكن تلخيصها بمقولة «هزيمة الضعيف للأضعف»].

يقول السطحيون الذين بهرتهم انتصارات إسرائيل على الجيوش العربية سنة 1948، لو أن إسرائيل أرادت احتلال القدس لكان ذلك سهلاً عليها، فلقد زهدت في ذلك وتعففت عنها، لأنها حسبت حساب غضب العالم المسيحي، وثورة العالم الإسلامي، وخشيت من ناقمة الرأي العام العالمي⁽²⁾. وقد عاش

(1) جميع المادة الواردة في النص المدرج أسفل هذا العنوان مستلة من: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (7)»، الدستور، 18/9/1972، ص 4. ويلاحظ وجود بعض التكرار بين هذه المادة وما ورد في الكتاب سابقاً، لكن حفظاً لسياق المقالة وفكرتها أثبت التكرار، وأشير إلى مواضع ما فضل من مضمّن هذه المقالة في بقية الكتاب.

(2) إضافة إلى هذه الحجج، يُستدعى أحياناً تصريح رئيس الوزراء وزير الدفاع الصهيوني دافيد بن غوريون، في جلسة الكنيست ليوم 4 نيسان/أبريل 1949: «لنفترض في هذه اللحظة بأنه كان بإمكاننا احتلال كل [جبل] الخليل، ثم ماذا بعد؟ نشئ دولة واحدة، لكنّ هذه الدولة تريد أن تكون ديمقراطية. ستجرى انتخابات، وحينها نكون أقلية. لذلك، عندما طُرحت قضية البلاد كاملة، [أي أرض إسرائيل الكاملة]، من دون دولة يهودية، أو دولة يهودية من دون كامل البلاد، اخترنا دولة يهودية من دون كامل البلاد». لكنّ هذا التصريح الذي لم يؤكد قدرة إسرائيل على احتلال بقية فلسطين، ورفض بن غوريون =

هؤلاء السطحيون، أو أكثرهم، ليروا بأم أعينهم خرافة غضب العالم المسيحي، بل رأوه يصفق لإسرائيل، خاصة أولئك الذين خدمتهم التفسيرات الخاطئة لتنبؤات العهد القديم التوراة، عند احتلالها للقدس سنة 1967، وسيطرتها على الأماكن المقدسة. كما رأوا تفاهة ثورة العالم الإسلامي التي تمخضت عن مؤتمرات ونداءات، هيهات هيهات أن تنقذ الأقصى، وتعيد الشرف المسلوب، واكتفوا بالخطابات الرنانة والإذاعات الصاخبة، والإنشاء أو الحماسة، والاحتجاجات الصارخة، وكفى الله المؤمنين القتال.

أما مهزلة الرأي العام العالمي، فلقد عرّتها إسرائيل، ومزّقت سمعة الأمم المتحدة التي تجسّد هذا الرأي بالترايب، ومسحت بقرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن العام الأرض، وأثبتت أنّها قرارات ليست إلا حبراً على ورق. استمرت إسرائيل في تهويد المدينة المقدسة، وتمادت في ذلك، وواصلت العمل ليلاً نهاراً؛ تبني ناطحات السحاب، وتطرد السكان، وتحرق المسجد الأقصى، وتحفر وتنقب فوق الأرض وتحتها. فإلى أولئك السطحيين الذين فسّروا إجحام إسرائيل عن احتلال القدس بكاملها سنة 1948 كما شاءت لهم [أهوؤهم] وأوهمهم، إلى أولئك أقول:

إنّ إسرائيل قد عجزت عن احتلال القدس بكاملها في حرب سنة 1948، عجزت عن ذلك قبل استشهاد عبد القادر الحسيني، قبل دخول الجيوش العربية [بعد 15 أيار/ مايو 1948]، كما عجزت بعد دخولها. بل أذهب إلى أكثر من ذلك، لأقول إنّ وجود إسرائيل كدولة كان مهدداً بالزوال، ولا أدل على ذلك من عدول أميركا، ولية نعمة إسرائيل وحاضنتها، وبريطانيا التي تنظر إليها كابنها

= طلب عدد من قادة جيشه في 22 تشرين الأول/أكتوبر 1948 احتلال جبل الخليل، لا يجب أن يُقرأ خارج السياق، وكذلك يجب أن تُستدعى العشرات من الشواهد؛ تصريحات، ومساع، وعمليات عسكرية فاشلة، قبل 15 أيار/ مايو 1948 وبعده، تؤكد جميعها رغبة بن غوريون وسعيه وقادته العسكريين لاحتلال فلسطين كلها. وبقي فشل بن غوريون في إقرار خطته لاحتلال جبل الخليل، ومنطقة القدس ورام الله، في جلسة حكومته في 26 أيلول/سبتمبر 1948، موضع ندم دائم. يُنظر تصريح بن غوريون في الكنيست، وكذلك حضور لحظة فشله يوم 26 أيلول/سبتمبر 1948، كلحظة ندم في: الباحث عن السلام، آراء ووجهات نظر حول موشيه شاريت [بالعبرية]، يعقوب شاريت ورينا شاريت (محرران) (تل أبيب: مؤسسة تراث موشيه شاريت، 2008)، ص 379-378.

البكر، عدولهما معاً عن مشروع التقسيم الذي يدعو [إلى] إقامة دولة إسرائيل، أو الاستعاضة عنه بمشروع وضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة. كان ذلك في شهر آذار/ مارس 1948، وقبل دخول الجيوش العربية أرض فلسطين، وكان بفعل المقاومة التي يقوم بها المجاهدون بقيادة عبد القادر الحسيني⁽³⁾.

[.....] وليسمح لي القارئ الكريم بالخروج عن تسجيل الوقائع إلى نوع من الفرضيات. أقول، على كره مني لاستعمال لو، لو قدّمت الأمة العربية إلى قوات المجاهدين واحداً بالمئة من الأسلحة التي حملتها جيوشها التي دخلت فلسطين فقط، ولو أنّها قدّمت واحداً من مليون من النفقات التي تكبدتها، لو تم كل ذلك، فإني أؤكد للقارئ الكريم أنّ النتيجة تكون عكس النتيجة التي حصلت، ولكان الوضع قد تبدّل، والصورة قد تغيّرت. أعود للاعتذار مرة

(3) ارتبطت تغيّر الموقف الأميركي الأولي من مشروع التقسيم باشتداد المواجهات العسكرية داخل فلسطين، خصوصاً مع تصاعد الهجمات العربية ضدّ خطوط المواصلات الصهيونية، وكذلك بعمليات النسف المركزية التي نُفذت خلال شهري شباط/ فبراير وآذار/ مارس 1948، في عدد من مناطق فلسطين، وأبرزها في قلب مدينة القدس. عنت هذه المواجهات فشل إمكان إقرار مشروع التقسيم دون تدخل عسكري أجنبي، فكان التوجه الأميركي الأولي التراجع عن التقسيم وإقرار الوصاية على فلسطين. وعنى هذا التوجه ضربة للأمال الصهيونية بإقامة الدولة اليهودية مع نهاية الجلاء البريطاني عن فلسطين. وانعكست بوادر هذا التوجه فرحاً واحتفاءً عربياً، عبّرت عنه بيانات الشخصيات واللجان القومية المختلفة وتصريحاتها. يُنظر مثلاً: «بيان اللجنة القومية بحيفا، بمناسبة إقرار مشروع التقسيم. لقد بدأ جهادنا الآن، وسيستمر حتى يرفع الخضم يديه مستسلماً»، الدفاع، 21/3/1948، ص 4. كما انعكس خشية صهيونية. يُنظر: دافيد بن غوريون، يوميات الحرب، حرب الاستقلال 1947-1949 [بالعبرية]، غيرشون ريفلين وإلحانان أوران (محرران) (تل أبيب: جمعية نشر تعاليم دافيد بن غوريون؛ دار نشر وزارة الدفاع، 1984)، مج 1، ص 261، 266؛ يهودا سلوتسكي، تاريخ الهاغاناه، القسم الثالث: من النضال إلى الحرب [بالعبرية]، مج 2 (تل أبيب: عام عوفيد، 1972)، ص 1559-1560. لكن لم يذمّ التحوّل الأميركي الذي حمل بدرجة أولى توجهات وزارة الخارجية الأميركية طويلاً، فالموقف المتوتر للرئيس الأميركي ترومان دفع في النهاية إلى التراجع عن الموقف الجديد. يُنظر:

Lawrence Davidson, «Truman the Politician and the Establishment of Israel,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 39, no. 4 (Summer 2010), pp. 36-38.

وأشارت هبّ في تأريخها لجذور العلاقات الأميركية - الأردنية، أنّ الحركة الصهيونية استغلّت محادثتها ثم اتفاقها مع الملك عبد الله للتخفيف من المخاوف الأميركية من الحرب، يُنظر: Clea Lutz Hupp, *The United States and Jordan Middle East Diplomacy During the Cold War* (New York: I. B. Tauris, 2014), pp.19-20.

أخرى عن اللجوء للفرضيات، وأنا في صدد تسجيل الحقائق، ولكنها للإجابة على فرضيات أخرى مقابلة، تراود أفكار السطحيين والانهازميين. وحصيلة ذلك كله هو وضع الأمور في نصابها الصحيح البعيد عن التهويل والمبالغة.

لقد عجزت إسرائيل عسكرياً عن تحقيق حلم الأجيال وأمنية الحياة، وهو احتلال المدينة المقدسة، بل إنها عجزت عن تأمين الدفاع عن بعض المناطق، وكانت طيلة الوقت في حالة دفاع، بعد أن فقدت حالتَي الهجوم والأمن، بفضل ما قام به رجال الجهاد المقدس من عمليات موفقة في القدس وخارجها. وللتدليل على صحة ما أقول، فإنني أورد أمثلة لم يسجلها أحد من قبل:

1. إنَّ المتوجه إلى القدس من تل أبيب ويافا يشاهد، إلى يومنا هذا، المصفحات والسيارات اليهودية المحروقة على جانبي الطريق في منطقة باب الواد، تلك المنطقة التي حوّلها المجاهدون إلى مقبرة للقوافل اليهودية التي كانت تنقل المؤن والذخيرة إلى يهود القدس المحاصرين.

الصورة (3-1)

بقية الآليات الصهيونية المصفحة التي دُمرت على طريق يافا - القدس، في معارك باب الواد. يظهر في الصورة صخرة وُضعت كُنُصِبَ تذكاري حُفِرَ عليها «24 آذار/ مارس 1948»، كما وُضِعَ بجوار الآلية التي تظهر في أقصى يمين الصورة صخرة حُفِرَ عليها «20 نيسان/ أبريل 1948»



المصدر: أرشيف مكتب الصحافة الحكومي الإسرائيلي، التُقطت الصورة بتاريخ 4 آذار/ مارس

1958. مصور مجهول.

2. إنّ المتوجه إلى القدس من طريق رام الله - القدس، يمرّ بخرائب مستعمرتيّ نفيه يعقوب وقلندية اللتين احتلّهما المجاهدون بعد حصار طويل الأمد. كما يشاهد، بعد دخوله القدس، وعلى طول الطريق عبر الشيخ جراح، وغربي السور الفاصل بين القسم اليهودي والقسم العربي من المدينة، عشرات البيوت في المنطقة اليهودية التي نسفها المجاهدون، وكانت تُستخدم كأوكران لهاغاناه، تحاول من خلالها أن تسيطر على طريق القدس - رام الله التي كانت شريان الحياة للقدس، فمنها كانت تصل نجدات الجهاد المقدس والإمدادات من بئرزيت، وتهدف كذلك [إلى] تأمين الاتصال بالجامعة العبرية ومستشفى هداसा.

ويرجع الفضل في إبقاء هذا الطريق مفتوحًا على حامية القدس التي كانت تتمركز في بيت المفتي، وكانت تتألف من خمسين مجاهدًا، تم انتقاؤهم من خيرة المجاهدين، وكان بينهم اثنان من السوريين، خبيران بالألغام، وقد قاما بعمليات جريئة وممتازة، ويرجع الفضل إليهما في كثير من المعارك التي شهدتها منطقة الشيخ جراح. وقد استشهد الاثنان، عليهما رحمة الله.

3. صمود قرية بيت صفافا. والذي يعرف موقع بيت صفافا الملاصق للأحياء اليهودية من الناحية الجنوبية الغربية للقدس، يستغرب كيف صمدت القرية الباسلة، وكيف عجز اليهود عن احتلالها، قبل دخول الجيوش وبعدها، ولو استطاعوا ذلك لما تأخروا، لأنّها شوكة في جنبهم، وهي تهدد طريق سكة الحديد تل أبيب - يافا - القدس. أما الفضل في الدفاع عن القرية، فيعود إلى تواجد قوات الجهاد المقدس فيها من أبناء القرية، ومن فصيل من رجال الجهاد المقدس السودانيين و«التكارنة»، كان يقودهم السيد محمد علي. أما حامية البلدة، فكان قائدها الشهيد المرحوم محمود العمري⁽⁴⁾.

وقد تتمركز فصيل الجهاد المقدس المذكور سابقًا، بعد الهجوم الذي قمنا به ضدّ حيّ ميكور حايم الملاصق لبيت صفافا، وكان أول هجوم منظم نقوم به

(4) يُنظر تفصيلات عملية تنظيم الدفاع عن بيت صفافا كما سجّلها الريماوي في موضع آخر، ضمن العنوان «إنها الحرب: الدفاع/الهجوم»، في المحور الرابع من الفصل الثاني في هذا الكتاب.

في معاركنا في القدس [.....]. ولدى انسحابنا في اليوم التالي، أمر أبو موسى [عبد القادر الحسيني] بإبقاء هذا الفصيل في القرية للمساعدة في الدفاع عنها، إذا قام اليهود بهجوم معاكس. وبقي محمد علي ورجاله الأشداء، وزاد عددهم إلى سرية، ولم ينسحبوا إلا بعد توقيع اتفاقية رودس⁽⁵⁾.

4. قرية صور باهر، وهي المحاذية للأحياء اليهودية من الناحية الجنوبية الشرقية للقدس، فلقد استمات اليهود لاحتلالها فلم يفلحوا، بل عكس ذلك، إذ تمكّنت قوات الجهاد المقدس، بقيادة الأخ المجاهد [حسين] جاد الله، وهو من زملاء عبد القادر [الحسيني] الأولين، ومن تنظيماتنا الأساسية للجهاد المقدس، تمكّنت من احتلال حيّ رامات راحيل. ولا يفوتني أن أذكر هنا بأنّ حامية من متطوعي الإخوان المسلمين القادمين من مصر، بقيادة الأخ المجاهد محمود عبده، قد أسهمت إسهامًا كبيرًا في تعزيز الدفاع عن القرية، وقامت بأعمال جريئة، واشتركت في معارك طويلة مع قوات العدو، قبل دخول الجيوش العربية وبعد ذلك⁽⁶⁾.

5. فشلت القوات اليهودية في احتلال المدينة القديمة والأحياء الشرقية من مدينة القدس، بل إنّها فشلت في الدفاع عن الحيّ اليهودي. ولقد شهدت أسوار القدس والبنيات المجاورة معارك عنيفة. وقد تم تبادل [احتلال] بعض البنيات عدة مرات، أذكر منها بناية النوتردام [...]. أذكر هنا أنّ قوات الأمن العام، [بقيادة] الضابط سليمان عازر⁽⁷⁾، من بثرزيت، قامت بجهد كبير في هذا

(5) يُنظر تفصيلات الهجوم على ميكور حايم، في 6 كانون الثاني/يناير 1948، كما دوّنها الريماوي في موضع آخر، ضمن العنوان «الهجوم: التقسيم سيمر، فليمّر على أجسادنا»، في المحور الرابع من الفصل الثاني في هذا الكتاب.

(6) يُنظر تفصيلات عملية تنظيم الدفاع عن صور باهر، كما سجّلها الريماوي في موضع آخر، ضمن العنوان «إنها الحرب: الدفاع/الهجوم»، في المحور الرابع من الفصل الثاني في هذا الكتاب.

(7) سليمان عازر (1903-؟): وُلد في بيرزيت، وتلقّى تعليمه الأساسي فيها. التحق بسلك الدرك التابع للحكومة الاستعمارية في فلسطين في عام 1921. انضم إلى سلك الشرطة، وترقى إلى رتبة ضابط في عام 1930. نُقل إلى القدس، في عام 1942، ليعمل مفتشًا في قسم المباحث الجنائية. رُقّي قبل الجلاء البريطاني عن فلسطين إلى رتبة مساعد لمدير الشرطة، وعُهد إليه بقيادة الشرطة البلدية، خلفًا لخالد الحسيني الذي استقال ليتولى قيادة الجهاد المقدس في نيسان/أبريل 1948.

المجال. إنّ قوات من منطقة رام الله، لا تقل عن ألف متطوع، كانت باستمرار تدافع عن المدينة، وقد استشهد عدد كبير منهم. كذلك اشتركت قوات الجهاد المقدس - منطقة جنين، بقيادة الأخ السيد فوزي جرار، اشتراكًا فعالًا في الدفاع عن باب الجديد والنوتردام.

وعلى ذكر ذلك، فإنني أودّ أن أشير إلى أنّ عبد القادر [الحسيني] قد قام خلال جولته التي أشرت إليها سابقًا في لواء جنين، بعد استشارة أهالي المنطقة، باختيار السيد فوزي جرار ونجيب مصطفى الأحمد [من] رصافة، ومحمد الفارس [من] أم الفحم، ومحمود [ذيب] ارشيد [من] الكفير، ومسؤولين عن قيادة قوات الجهاد المقدس، كلّ في منطقتهم. وقد طلب منّي اعتمادهم لذلك، فأصدرت كتبًا رسمية بهذا الشأن، وحددت فيها أسماء القرى التي يتولى كلّ منهم قيادة المسلّحين فيها. [.....] [وقام هؤلاء] بأعمال يجب تسجيلها، قبل دخول الجيوش العربية وبعدها، وكانوا يتعاونون طيلة الوقت تعاونًا وثيقًا مع قيادة الجهاد المقدس في بئرزيت، قبل استشهاد المرحوم عبد القادر وبعد استشهاد⁽⁸⁾. لقد أغفل كتاب يا قدس تسجيل هذه الوقائع بالمرّة، كما أغفلت كتب كثيرة تسجيل الوقائع الصحيحة لمعركة القدس، وبعضها، ككتاب النكبة لعارف العارف، جمع معلومات لقّنه إياها الأشخاص الذين اتصلوا به، كلّ حسب أهوائه، وكيفما يحلو له.

هذه الحقائق تدلّ بأجلى بيان وأوضح عبارة، بل إنّها تنطق بنفسها لنفسها، بأنّ إسرائيل لم تكن تملك تلك القوة الخارقة التي تستطيع بها تحقيق خلاصها، وأنّها لم تكن قادرة لو أرادت، كما يزعم البعض، على احتلال القدس، بل إنّها كانت أعجز عن حماية قوافلها ومستعمراتها، وهي لم تكن كافية للدفاع عنها، لو أنّ العرب قدّموا الأقل من القليل للمجاهدين.

يتضح من خلال كل ذلك الحقيقة الناصعة التي لا يجوز أن يشك فيها

(8) حول جولات عبد القادر المحلية، بعد دخوله لفلسطين وتعيينه لعدد من القادة المحليين، يُنظر ما سجّله الريماوي في موضع آخر، ضمن العنوان «زيارات تأسيسية»، في المحور الرابع من الفصل الثاني في هذا الكتاب.

إثنان، وهي نقص السلاح والعتاد، وبالتالي الأموال، كان السبب الرئيسي لعدم تحقيق الخطة التي رسمها القائد الشهيد لاحتلال القدس. ولم تكن فلسطين بحاجة إلى رجال مدربين، كما زعمت مصادر كثيرة، فلقد قَدّمنا إلى اللجنة العسكرية كشفًا يحتوي أسماء حوالي ستة وثلاثين ألف شخص، لهم خبرة في استعمال السلاح، إما عن طريق خدمتهم بالأمن، أو الشريط الآخر الأردني، قوات الحدود أو البوليس الإضافي، أو عن طريق التطوع مع القوات البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية. وأستطيع أن أقول إنّ غالبية سكان القرى كانوا يستطيعون استعمال السلاح، وقد تمرن كثير منهم على استعماله في الثورات المتعاقبة في فلسطين.

فالسلاح والعتاد والمال هي التي كانت الأساس. والسؤال الكبير، بل الأسئلة التي تتبادر إلى الذهن الآن، هي: هل كانت قيادة الجهاد المقدس تدرك هذه الحقيقة قبل قيام تنظيّماتها أم لا؟ وإذا كانت تدرك ذلك، فما هي الإجراءات التي قامت بها للحصول على السلاح والعتاد⁽⁹⁾؟

إبعاد محمود لبيب⁽¹⁰⁾

[يقدم الريمائوي في هذا النص ما يتذكره في عام 1972 عن كيفية إبعاد الحكومة الاستعمارية في فلسطين قائد منظمة الشباب العربي، محمود لبيب، في آب/أغسطس 1947. وسبق نقاش اعتراض إميل الغوري على ما أورده الدكتور الريمائوي في هذه الذكريات في مقدّمة هذا الكتاب، وسيستكمل في هوامش المتن المدرج هنا نقاش الحوادث المرتبطة بعملية الإبعاد].

(9) يُنظر تفصيلات ما كتبه الريمائوي عن السلاح، آلية شرائه وخزنه، وكذلك عن العلاقة مع اللجنة العسكرية العربية العليا، واتهامات الريمائوي لها، ضمن العنوان «أول السلاح لحرب النهاية: خطتنا للتسليح»، والعنوان «صراع أول ضدّ الإلغاء: اللجنة العسكرية العربية والقائقي»، في المحور الثالث من الفصل الثاني في هذا الكتاب.

(10) النص المدرج أسفل هذا العنوان مستل من: قاسم الريمائوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (10)»، الدستور، 9/10/1972، ص 4.

زارني في البيت صديقان كريمان، وتنوّع الحديث وتشعّب، وتطرّقنا فيما تطرّقنا إلى ذكر المرحوم الصاغ محمود لبيب، قائد منظمة الشباب الذي ورد ذكره في [المقالة السابقة]، فذكرت قصة إبعاده من فلسطين. وإنني أعيدها كي يطّلع القارئ الكريم كيف ضاق الإنجليز ذرعاً بوجود عربي واحد في فلسطين، بينما كانوا يسمحون لعشرات الألوف من المهاجرين اليهود بدخول البلاد سرّاً وعلناً.

تعود قصة إخراجه إلى المؤتمر الكبير الذي عُقد في سينما دنيا برام الله برئاسته⁽¹¹⁾، ومع أنّ هذا المؤتمر لم يتميّز ببدايات الخاكي والطبول والزمور التي كانت تملأ الشوارع في مثل هذه المناسبات، لأنّه لم يكن في لواء رام الله تنظيمات للفتوة أو النجادة، وكل ما كان هو وجود سرية كشافة رام الله التي تحوّلت فيما بعد إلى سرية من سرايا الجهاد المقدس، بقيادة الدكتور جليل بدران، ومكتب لمنظمة الشباب بالبيرة، برئاسة السيد عبد الرؤوف إسماعيل، وفيه فرقة كشافة تحوّلت إلى فصيل من فصائل الجهاد المقدس، بإمرة السيد ناصر عطية، وهو الآن من أصحاب المصانع والأموال في المهجر، إلا أنّ قاعة السينما قد ضاقت على رحبها بالحضور، وامتألت الساحات المحيطة بالمؤتمر من رجالات اللواء، وقد تبارى الخطباء كالعادة، وغلبت العواطف والحماس عليهم جميعاً.

وتوّج الجميع كامل بك عريقات، إذ طلع علينا أبو غازي، أطال الله بقاءه، بقولته المعروفة «والله لو أمرني سيدي لألقيت باليهود في البحر». وقد أشار [صاحب] كتاب يا قدس إلى هذه المقولة المأثورة في كتابه صفحة 101، إذ نشر صورة سيادته ممتطياً ظهر جواده الأبيض. وقال بالحرف الواحد فيما قاله: «إنّ عريقات يسرّه التبجح بأنّه أول قائد عربي أقسم بأن يلقي اليهود في

(11) عُقد هذا المؤتمر في سينما دنيا في رام الله، في 9 آب/أغسطس 1947، تحت مسمى «مهرجان الشباب». ووفقاً لصحيفة الدفاع، فإنّ مقررات المؤتمر تنوعت بين تأييد الهيئة العربية العليا، والتأكيد على شرعيتها، والإعلان عن البدء في تكوين لجان قومية، تحت إشراف الهيئة، وضم الشباب إلى منظمة الشباب: الدفاع، 10 آب/أغسطس 1947، ص 3.

البحر»⁽¹²⁾. وفي اليوم التالي، طلعت الصحف العبرية لتركز على هذه العبارة، وتشنّ هجومًا قاسيًا على المؤتمر وعلى الصاغ محمود لبيب، رئيس المؤتمر، وتعزو إليه مسؤولية كل ما قيل فيه. وفي نفس اليوم، أصدرت حكومة الانتداب أمرًا بوجوب خروجه من البلاد.

حضر السيدان محمود لبيب وكامل عريقات إلى دار الحزب العربي بباب الساهرة بالقدس، وبعد أن تداولنا في أمر الإبعاد، قرّر رأينا على وجوب الاحتجاج لدى سلطات الانتداب على هذا التصرف. اتصلت هاتفياً بمكتب السكرتير العام، وطلبت مقابلة مهمة ومستعجلة، وجاء الجواب بالموافقة على إجراء المقابلة فورًا. توجهت إلى فندق الملك داود، حيث تقع مكاتب السكرتيريا العامة لحكومة الانتداب، واصطحبت أبا غازي معنا إلى هذه المكاتب، بعد أن اجتزنا حواجز عديدة من الأسلاك الشائكة. واستقبلنا في مدخل البهو بهشاشته العربية الأصيلة، وطيب محيّا، صديقنا المرحوم الأستاذ يعقوب العودات، حيث كان يعمل في تلك المكاتب، وقادنا إلى مكتب السكرتير العام، وكانت تلك هي المرة الأولى التي ندخل فيها إليها.

استقبلنا السكرتير العام حال وصولنا، وارتسمت على وجهه الابتسامة الإنجليزية المعروفة، بعد أن قدّمنا أنفسنا باسم الحزب العربي ومنظمة الشباب، قلت له، بالإنجليزية طبعًا، لأنّه لا يفهم العربي: «لقد حضرنا للطلب بإعادة النظر في أمر الإبعاد الصادر بحق السيد محمود لبيب، رئيس منظمة الشباب. واسمح لي يا سعادة السكرتير العام أن أعرب عن أسفي، لمرورنا بحزام كثيف من الأسلاك الشائكة، قبل أن نصل إلى مكتبك هذا، وذلك كله ناتج عن الإرهاب اليهودي الذي لم يتورّع عن نسف مكاتبكم على رأس من

Dominique Lapierre & Larry Collins, *O Jerusalem* (London: Weidenfeld and Nicolson (12) Ltd, 1972), pp. 192, 101.

وسبق أن كُرت العبارة ذاتها في صفحة 74. لم تورد الصحافة المحلية تفصيلات الخطب التي أُلقيت في الحفل، واقتصرت على بيانه الختامي. أما مخبرات الحكومة الاستعمارية، فاقترنت على وصف الخطابات بالتحريضية. يُنظر: «Weekly Intelligence Appreciation», 18 August 1947, Foreign & Commonwealth, 141/14284.

فيها، وعلى شفق وجلد جنودكم. وقد ذكرني هذا بزرائب الغنم التي نقيمها في القرى، فنحن نحيط هذه الزرائب بجدار من الحجارة، ونسدّ مداخلها بأكوام من الشوك، لئلا تتسرب إلى داخل الزريبة الذئاب فتفترسها.

وأنتم تقيمون هذه الأسلاك لحماية أنفسكم من اليهود الذين سمحتم لعشرات ومئات الألوف منهم بدخول البلاد، مرة بصورة مشروعة، وأخرى بصورة غير شرعية، على حدّ قولكم. وفي الوقت نفسه، تبخلون على الأمة العربية بوجود شخص واحد قادم من بلد عربي إلى بلد عربي آخر ليعيش بين إخوان له في الدم والدين، لا لينظّم أعمالاً إرهابية، بل ليدرّب الشباب على استعراضات وتمارين رياضية!».

فثأثر السكرتير العام بهذه العبارات، وقال: «ولكنني لا أملك من الأمر شيئاً، فالقرار لم يصدر عن حكومة الانتداب، بل إنّ برقية وردت إلينا من وزارة المستعمرات بهذا الشأن». أجبته قائلاً: «لقد تعلّمنا في مدارس الحكومة التي تشرفون عليها بأنّ هنالك فرقاً أساسياً بين الاستعمارين الإنجليزي والفرنسي، وهو أنّ الاستعمار الإنجليزي يسمح للمحكومين بالتنفيس عن ما يكتبون، بعكس الاستعمار الفرنسي، وبذلك يمتصّ النقمة والثورة بشيء لا يضر، ولكننا نرى عكس هذه السياسة الآن، فأنتم لا تريدون أن تسمحوا لنا بتنظيمات علنية وشبه عسكرية، وبالتالي فإنّكم تدعوننا إلى أن نحول هذه المنظمات التي تحت الأرض، و[أن] نسلك نفس المسلك الذي يسلكه الصهاينة تجاهكم، علمًا بأنّ تنظيمات الجهاد المقدس كانت تسير تحت الأرض فعلاً».

فكّر طويلاً، ثم قال: «إنني سأنقل خلاصة ما جرى بيننا إلى وزارة المستعمرات، وأنظر الجواب، وسأبلغكم بذلك حالما يصلني الرد». قلت له: «ولكننا نريد منك وعدًا بأنّ تتبنى وجهة نظرنا». قال: «سأعمل ما في استطاعتي. وكل ما نرجوه أن لا ننشر شيئاً عن هذا في الصحف، لأنّ الصهيوينيين سيستغلونه إلى حدّ كبير». قلنا له: «إنّنا نعتبر أنّ أمر الإبعاد قد تأجل إلى حين ورود الجواب». فسكت، ثم ودّعناه شاكرين له مشاعره الشخصية، وانصرفنا. وقد علّق أبوغازي على المقابلة بأنّها كانت ناجحة، وسرّته اللهجة واللغة

التي تكلمنا بها. عدنا لنبلغ الصاغ محمود لبيب بذلك، ولكنه أثر أن يعود إلى القاهرة، وعاد فعلاً. أما جواب السكرتير العام فلم يصل بعد⁽¹³⁾.

بحث والصدّيقين شؤون تلك الفترة وتفصيلها، ولما جاء ذكر السيد محمد نمر الهواري، وإذ بأحد الصدّيقين، وهو الأخ صلاح الناظر⁽¹⁴⁾، وقد كان يشغل منصب مساعد للشهيد الشيخ حسن سلامة في يافا، في حرب سنة 1948، يقول: «إن ما ذكرته عن اتصال المذكور بالأعداء صحيح مئة بالمئة،

(13) كما سبقت الإشارة في المقدمة، أكّدت الصحف العربية زيارة الريموي وكامل عريقات لمكاتب الحكومة الاستعمارية لبحث مسألة إبعاد لبيب، وأكّدت بعض الصحف العربية هذا اللقاء: «طلب إلغاء أمر [الإبعاد]»، هآرتس [بالعبرية]، 14 آب/أغسطس 1947، ص 4. وكما توضّح تقارير المخابرات الاستعمارية المتداولة بين مختلف دوائر الحكم الاستعمارية في فلسطين وجوارها ولندن، فإنّ إبعاد لبيب كان عن سبق إصرار وترصد، وإن تزامن مع حوادث يافا في آب/أغسطس 1947 ومع مؤتمر رام الله. وبقي لبيب خاضعاً للرقابة، وفقاً للتقارير الاستعمارية البريطانية، خشية تستره بالمرض من أجل تأجيل إبعاده والانتقال للنشاط السري داخل فلسطين. وبخلاف حديث الريموي أعلاه، فإنّ الصحافة الفلسطينية أكّدت أنّ طلب الريموي وعريقات قبول بالرفض. وأكّدت، كما التقارير الاستعمارية، إصرار الحكومة الاستعمارية على إبعاد لبيب: «إصرار الحكومة على مغادرة لبيب البلاد»، فلسطين، 15/8/1947، ص 2. ويُنظر:

وبقيت قضية لبيب، ومن قبل نشاطه، موضع اهتمام الصحافة العربية حتى لحظة خروجه من فلسطين. يُنظر أمثلة على ذلك في: «الشباب تحت سيطرة الهيئة العربية العليا»، هآرتس [بالعبرية]، 14 تموز/يوليو 1947، ص 2؛ هآرتس [بالعبرية]، 5 آب/أغسطس 1947، ص 3؛ «الحكومة تلغي تأشيرة قائد النجادة»، هامشكيف [بالعبرية]، 12 آب/أغسطس 1947، ص 1؛ «ترحيل قائد منظمة الشباب العربية»، هآرتس [بالعبرية]، 12 آب/أغسطس 1947، ص 1؛ «رفض ترحيل قائد الشباب العربي»، هآرتس [بالعبرية]، 15 آب/أغسطس 1947، ص 1؛ «لبيب يغادر اليوم»، هآرتس [بالعبرية]، 21 آب/أغسطس 1947، ص 4؛ «محمود لبيب يعود لمصر»، كول هعام [بالعبرية]، 12 آب/أغسطس 1947، ص 8.

(14) صلاح إبراهيم الناظر (1910-1992): وُلد في الخليل، أنهى الثانوية في كلية ترسانة في القدس. تخرّج في الكلية العربية في القدس، ثم التحق بالجيش البريطاني. شارك في ثورة 1936-1939، واعتُقل مدة سنوات. عمل، قبيل حرب 1947-1949، مديرًا لشركة أبنية الرياض في يافا، وانتُخب لعضوية اللجنة القومية في المدينة، وفي لجنة الأمن المنبثقة منها. شارك في قيادة حامية يافا حتى سقوط المدينة، وكان من شخصياتها البارزة. سجّل الناظر شهادته عن سقوط يافا، كما يظهر، في وقت متأخر عن خروجه عنها، وأُعيد نشرها في: صلاح الناظر، «سقوط يافا بيد اليهود»، في: عدلي مسعود الدرهمي (مقدم)، يافا للأبد كما عايشها ناصر الدين النشاشيبي، صلاح إبراهيم الناظر، محمد سعيد إشكنتنا (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2013)، ص 43-62.

فلقد وصلت إلى اللجنة القومية بيافا أبناء عن اجتماعه، لمدة ثلاث ساعات، بقيادة الهاغاناه، فقامت والأستاذ مصطفى الطاهر⁽¹⁵⁾، وكان من أركان اللجنة القومية، ومن المقربين إلى المفتي [محمد أمين الحسيني]، بإرسال عدد من المسلّحين أحضروه إلى مقرّ اللجنة، وسألناه عن الاجتماع المذكور، فاعترف بحدوثه، وذكر بعض المبررات لذلك». استطرد السيد صلاح يقول: «قام الأخ مصطفى الطاهر بالاتصال تلفونيًّا بالمفتي، وروى له القصة، وقال له: 'هل نسلمه إلى الشرطة؟'، وهذا اصطلاح يعني 'هل نقتله؟'، فقال له: 'لا أمل. أرسلوه إليّ'. وبالفعل تم إرساله إليه، وبقي هناك بضعة أشهر»⁽¹⁶⁾.

صور بديا المنهوبة: خليل رصاص وصور الجهاد المقدس⁽¹⁷⁾

[لم تُعرف إلا بضع صور للشهيد عبد القادر الحسيني، في أثناء قيادته لقوة الجهاد المقدس خلال الحرب، لم يكن من الواضح أنّها ضمن مجموعة واحدة، لتباين المعلومات المتوافرة حولها. وخلال الأعوام الأخيرة، كُشف المزيد من الصور التي تباينت معلوماتها أيضًا. هنا، يقدّم الريماوي قصة أبرز هذه الصور التي يتضح أنّها في معظمها ضمن مجموعة واحدة، التقطها خليل رصاص لمجلة المصوّر التي سبق ونشرت بعضها خلال عام 1948. وبالإضافة إلى أهمية ما يقدّمه الريماوي لتأريخ هذه المجموعة، فإنّ هذا التأريخ يسهم في كشف زيف

(15) مصطفى رشيد الطاهر (1908-1981): وُلد في مدينة يافا لعائلة نابلسية الأصل. التحق بدار المعلمين في القدس. عمل في التدريس وفي التجارة، وامتلك إحدى أهم مكاتب يافا «مكتبة الطاهر». ساهم في دعم وإسناد ثورة 1936-1939 بالسلاح، وشارك في تأسيس الجبهة العربية في يافا. شغل عضوية اللجنة القومية في يافا، واعتبر من أبرز الشخصيات المسؤولة عن الدفاع عن يافا، حيث ترأس عددًا من اللجان في أثناء حرب 1947-1949، إحداهما مسؤولة عن الاستخبارات ومكافحة التجسس.

(16) يُنظر، نقاشًا لهذه الواقعة من وجهات النظر المختلفة، وكذلك تفصيلات الاجتماع المنعقد بين مخبرات الهاغاناه العربية ومحمد نمر الهواري، في 11 كانون الأول/ديسمبر 1947، في: بلال محمد شلش، يافا دمٌّ على حجر.. حامية يافا وفعالها العسكري دراسة وثائق؛ الجزء الأول سيرة البارود اليافي: دراسة في بنية حامية يافا وفعالها العسكري كانون الأول/ديسمبر 1947 - نيسان/أبريل 1948، مج 1 (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)، ص 57-68.

(17) النص مستل من مقالة الريماوي: قاسم الريماوي، «بعد كتاب يا قدس: الحقيقة كما عرفتها وعشتها (11)»، الدستور، 16/10/1972، ص 4.

أحد المدّعين الصهانية الذي عزا لنفسه التقاط هذه الصور، في أثناء نشاطه المدّعي في صفوف القوات العربية. لكنّ هذه الشهادة، ومقارنتها بالمجموعة الكاملة للصور التي تتوافر اليوم في أكثر من أرشيف، في إشارة إلى تعدد نسخها، تثبت زيف هذا الادعاء، وأنّ فعل الصهيوني المدّعي لم يتجاوز النهب، وهو ما يدفع إلى ضرورة إعادة النظر في الروايات الصهيونية المتعلقة بنشاطهم الاستخباري ضدّ القوات العربية عمومًا، ونشاط المتسللين أو المستعربين خصوصًا⁽¹⁸⁾.

في قرية بديا، حضر المصوّر السيد [خليل] رصاص⁽¹⁹⁾ من القدس، موفدًا عن مجلة المصوّر وبعض المجلات المصرية، وطلب التقاط بعض الصور لنا، فسمح له عبد القادر بذلك. وأذكر أنّنا قمنا باستعراض عام للمجاهدين، وقد سار كاتب هذه السطور والسيد كامل عريقات في مقدّماتهم. كما التّقطت [لنا] صورة أخرى ونحن نحيط بالقائد الشهيد. نشرت مجلة المصوّر، والمجلات الأخرى، هذه الصور وأبرزتها، وقد عُمت بشكل واسع، قبل وفاة الشهيد عبد القادر وبعد وفاته. كما أنّ بعض الصحف اليهودية قد نشرتها، فلقد وقعت في يدهم نسخ منها في معركة باب الواد.

(18) تأسيسًا على رواية الريماوي هذه، وتوافر المجموعة الكاملة من الصور التي التقطها رصاص، خصوصًا بعد الكشف عن ألبوم جديد نهبه أحد جنود الإيتسل، موشه كرملي، في معارك القدس، والتي أودعتها أسرته في أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، سينشر الباحث ورقة بحثية تتطرق إلى النهب والتزوير الذي مارسه الصهيوني يسرائيل نيتج خلال الأعوام الماضية، بعنوان: «صورٌ كاشفة: أسطورة اختراق مستعرب صهيوني للجهاد المقدس (كانون الثاني/يناير - نيسان/أبريل 1948)». خصوصًا وأنّ ما يقدمه الريماوي هنا، يجيب عن أسئلة وشكوك سبق وأن طرحت من رونة سيلع حول الصور المقدّمة من المستعرب المدعو يسرائيل نيتج: رونة سيلع، لمعاينة الجمهور حكاية صور فلسطينية «معتقلة» في الأرشيفات العسكرية الإسرائيلية، ترجمة علاء حليحل (رام الله: مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2018)، ص 125-126.

(19) خليل إبراهيم رصاص (1926-1974): مصوّر مقدسي، وابن المصوّر إبراهيم رصاص، صاحب استوديو رصاص في القدس. يعدّ خليل أبرز من وثّق صورًا لنشاط قوة الجهاد المقدس. نُهبت صورته في أثناء المعارك في القدس، وانتشر بعضها في أثناء الحرب وبعدها، في عدد من المجلات ووسائل الإعلام العالمية. عن صور رصاص المنهوبة في أرشيف الهاغاناه، يُنظر: رونة سيلع، ص 168-177. وعن صورته المنهوبة في أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، والتي كُشف عنها مؤخرًا ونُشر بعضها في متن الكتاب، يُنظر: Rona Sela, «Israel's Art Scene Is Whitewashing the Nakba,» *Haaretz*, 28 December 2018, accessed on 28 December 2018, at: <https://bit.ly/2VUdlhY>

الصورة (2-3)

قاسم الريماوي، عبد القادر الحسيني، كامل عريقات، إبراهيم أبو دية، موسى شيبان، ومجموعة من مقاتلي الجهاد المقدس في بديا



المصدر: أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، التُّقطت في كانون الثاني/يناير 1948، تصوير خليل رصاص.

الصورة (3-3)

قاسم الريماوي، عبد القادر الحسيني، وكامل عريقات، وإبراهيم أبو دية



المصدر: أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، التُّقطت في بديا، في كانون الثاني/يناير 1948، تصوير خليل رصاص.

الصورة (3-4)

كامل عريقات، ومالك الحسيني، وعبد القادر الحسيني، وقاسم الريماوي،
ومجموعة من مقاتلي الجهاد المقدس في بديا

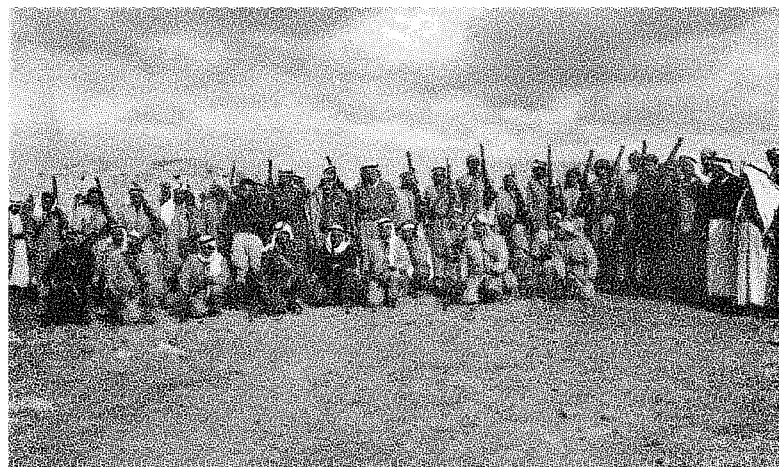


المصدر: أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، التقطت في كانون الثاني/يناير 1948، تصوير خليل

رصاص.

الصورة (3-5)

مقاتلو الجهاد المقدس وقادته مع أهالي بلدة بديا



المصدر: أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، التقطت في كانون الثاني/يناير 1948، تصوير خليل

رصاص.

الصورة (3-6)

عوض محمود، وكامل عريقات، وعبد القادر الحسيني، وقاسم الريماوي



المصدر: أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، الثَّقَطت في بلدة بديا، في كانون الثاني/يناير 1948، تصوير خليل رصاص.

الصورة (3-7)

قاسم الريماوي وكامل عريقات على رأس مقاتلي الجهاد المقدس، في مسير
عسكري استعراضي أمام أهالي بلدة بديا



المصدر: أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، الثَّقَطت في كانون الثاني/يناير 1948، تصوير خليل رصاص.

أما أنا، فقد اشترطت أن لا يُكتب اسمي إطلاقاً تحت الصورة، فوافق السيد [خليل] رصاص على ذلك. وبذلك، ظهرت أسماء عجيبة تحت الصورة، ففي الصحف اليهودية ذُكر أن صورتي هي صورة أبو إبراهيم الكبير، مع أن الأخ أبو إبراهيم الكبير لم يكن معنا إطلاقاً. والأغرب من ذلك، أن أحد أعضاء الهيئة نشر في المجلة التي تصدرها الهيئة العربية العليا تحت الصورة اسم محمد اللبان. ولا أعرف أنه يدري أو لا يدري الحقيقة، فقلت: «إن كنت تدري فتلك مصيبة، وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم». وأغلب الظن، بل بالتأكيد، فهو يعرف صاحب الصورة، ولكنه يتجاهل ذلك. هذه هي المرة الوحيدة التي تم نشر صور للمجاهدين فيها، فحُطتْنا كانت تقوم على العمل الصامت دون ضجة أو تهويل ومبالغة، بل يجب أن تتكلم الأعمال بنفسها لنفسها، ولكن من المؤسف أن يستغل البعض هذه الناحية، فيتمصون شخصيات المجاهدين، بل وأبطال الجهاد، ويزورون الحقائق، ويزعمون أمجاداً لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ويشوهون الحقائق.

ملحق وثائقي

الملحق الأول

5 نيسان/ أبريل 1948، تقرير إلى اللجنة العسكرية

أورد الريماوي، في مخطوطه عن عبد القادر الحسيني⁽¹⁾، نصًا مخطوطًا يغلب أنه مستل من التقرير الذي قدّمه الحسيني للجنة العسكرية العربية، عند اجتماعه إليها في 6 نيسان/ أبريل 1948 في دمشق، والذي سبق وأشار إليه الريماوي في المتن أعلاه. ولم يتسنّ للباحث التأكد من دقة نسخ الريماوي، أو صحة نسب التقرير، لعدم توافر أصل هذا التقرير لحظة إنجاز هذا الكتاب⁽²⁾.

(1) قاسم الريماوي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، مخطوط محفوظ في أرشيف مشروع توثيق وبحث القضية الفلسطينية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، دفتر رقم 6.
(2) أشار الحاج أمين الحسيني إلى هذا الكتاب، ويؤكد ما كتبه الحاج الحسيني أنّ ما يرد في النص أعلاه بعض مادة التقرير. وأشار إلى وجود نسخة منه عنده، إذ كتب: «وقد بعث إليّ القائد الشهيد عبد القادر بهذا التقرير، وقال إنه بعث بنسخة مرفقة بكتاب منه إلى اللواء إسماعيل صفوت الذي عينته جامعة الدول العربية قائدًا عامًا لحرب فلسطين، وكتابه هذا مؤرخ في 5 نيسان/ أبريل 1948»: عبد الكريم العمر (إعداد)، مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1999)، ص 434. واقتبس الحاج الحسيني بعض ما ورد في مقدّمة التقرير، كما يبدو:

«سعادة القائد العام

تحية العروبة والجهاد وبعد،

نرفق إليكم طيّه البيانات التالية، كي تشملوها بعين الرعاية والانتباه:

أولاً: كشف بأسماء ورتب الجنود النظاميين.

ثانياً: بيان عن حالة منطقة القدس الحربية، [وهو المقطع المثبت كما يبدو أعلاه].

ثالثاً: ميزانية شهرية لنفقات كل سرية على حدة، وميزانية شهرية عامة للمنطقة.

رابعاً: قائمة بما نحتاجه من أعتدة ومهمات حربية.

هذا ويسرني أن أعلمكم بأنني قد أدرجت في هذه القوائم المجاهدين المنخرطين في السرايا النظامية فقط، وعددها تسع سرايا، مع العلم بأنّ بعضها لم يتم بعد طبقاً للأصول، لعجز الميزانية، ولكن حالما يتسنى لنا التوسع في التنظيم، فإنّ هذه السرايا وغيرها ستكون كاملة من جميع النواحي. وإنني =

ملاحظات خاصة:

منافذ القدس:

1. من الشمال: طريق القدس - نابلس.
2. من الجنوب: طريق القدس - الخليل.
3. من الشرق: طريق القدس - أريحا - عمّان.
4. من الغرب: طريق القدس - يافا.

هذه هي منافذ القدس إلى الخارج، ولا يمكن الاتصال بها إلا عن هذه الطرق التي يحاول اليهود سدّها لقتل العرب في المدينة، وقطعهم عن الخارج، ثم اضطرارهم للتسليم. وحينئذٍ، تعلن الحكومة اليهودية فيها، وهذا يؤثر على المعنويات في كل فلسطين.

وقد قام اليهود، من القديم، بتنفيذ خطة تطويق القدس، فبنوا على الطريق الشمالية ثلاثة مراكز فيها؛ اثنان خارج البلد، وواحد داخلها. أما هذه المراكز فهي:

1. مستعمرة قلندية (عطروت)، قرب رام الله (اثنا عشر كيلومترًا).
2. مستعمرة نفيه يعقوب، قرب شعفاط (سبعة كيلومترات).
3. مستعمرة بركة المقاع (نحالات شمعون) وبيت يسرائيل، (داخل القدس).

وهذه المستعمرات حصينة جدًا، إلا أننا استطعنا القضاء على المستعمرة التي داخل القدس، وهي نحالات شمعون، وعلى ثلاثة أرباع بيت يسرائيل، والآن نحاصر حصارًا شديدًا نفيه يعقوب وقلندية، ويمدونها اليهود بواسطة الطائرات. أما الطريق الجنوبية، فقد قام اليهود أيضًا بمحاولة قطعها منذ زمن، فبنوا فيها عدة أماكن للسيطرة عليها، وإليك المراكز التي بنوها:

= أبلغكم بأنّه يوجد تحت إمرتي مسلّحون في قرى لواء القدس المختلفة، لا يقل عددهم عن ثلاثة آلاف مسلّح، لم أسجّل أسماءهم في القوائم المرفقة، إلا أنني أستخدمهم للنجدات والمرابطة، كلما قضت الضرورة بذلك، فأرجو أن تخصصوا شيئاً من النفقات لهم»: العمر، ص 435.

1. كفار عتسيون، وثلاث مستعمرات صغيرة قربها، ما بين بيت لحم والخليل.

2. مستعمرة المندوب، قرب القدس.

3. رامات راحيل، ما بين بيت لحم والقدس.

4. ميكور حاييم، في القدس.

5. تاليوت، في القدس.

6. المنتفيوري، في القدس.

وقد وقّنا الله للقضاء على [أربعة أحماس] المنتفيوري، والآن نحاصر بقية المستعمرات.

أما الطريق الشرقية، فلهم فيها أيضًا مركزان:

1. الجامعة العبرية وهداسا اللتان تسيطران على طريق أريحا، وتساعدان على السيطرة على طريق نابلس.

2. مستعمرة [سدوم] في البحر الميت. وهذه يمكنها السيطرة على جسر اللنبي أيضًا.

أما الطريق الغربية، فهي يهودية محضة، ولا يمكن لعربي أن يطأها، ولذلك استغينا عنها بطريق فرعية من جهة رام الله، تنحدر غربًا إلى يافا، وهي القبلة الوحيدة بين القدس ويافا الآن. أما خارج القدس، فلهم فيها عدة نقاط، وهي:

1. موتسا، قرب قالونيا.

2. مستعمرة العنب/ [كريات عنافيم]، قرب أبو غوش.

3. مستعمرة الخمسة/ [معاليه هحماشاه]، قرب بيت سوريك.

4. معامل المنشار، قرب دير ياسين والقسطل.

هذه منافذ القدس، وكلها كما ترون عليها أقفال يهودية.

وضعية القدس:

1. أهالي القدس العرب هم أقلية ضئيلة بالنسبة لليهود، ولكنّ القضاء يمكن أن يحسّن الوضعية كثيرًا.

2. جميع المراكز الاستراتيجية، إما مع اليهود أو مع الحكومة، وهذه إذا سقطت بأيدي اليهود تسبب لنا نكبة. ولا ننسى أنّ اليهود يحاولون الاستيلاء على بعض المراكز الاستراتيجية التي مع العرب، وبذلك تتم لهم السيطرة على القدس، ولا يمكن الدفاع عنها، لا قدر الله ولا سمح.

3. لليهود جيوب قريبة من بعضها، يحاول اليهود وصلها معًا، وبذلك يستطيعون: (أولاً) قطع مواصلات القدس. (ثانيًا) احتلال ما تبقى من المدينة، بما فيها المدينة القديمة والمسجد الأقصى، وهو الهدف الأساسي للهجوم اليهودي. أما الجيوب فهي:

أ. ميكور حاييم: ويريدون وصلها بالقدس اليهودية بواسطة احتلال القطمون.
ب. تالبيوت: ويريدون وصلها بالقدس اليهودية بواسطة احتلال البقعة، لتكون على صلة مع ميكور حاييم.

ج. القدس القديمة: ويريدون وصلها بالقدس اليهودية، عن طريق احتلال النبي داود وسلوان، عن طريق المتفوري وتالبيوت.

د. الجامعة العبرية: ويريدون وصلها بالقدس اليهودية، عن طريق احتلال الشيخ جراح وباب الساهرة، وبذلك تصبح البلدة القديمة والحرم تحت رحمتهم من الجهة الشمالية أيضًا.

هـ. مستعمرة [سدوم] في البحر الميت: وهي نقطة هجوم تدعم الجامعة العبرية، وتحتل القدس القديمة من الجهة الشرقية، أي من باب الأسباط بواسطة احتلال الطور وسلوان.

وتنفيذًا للخطة اليهودية المبيّنة لسّل حركة العرب، ثم احتلال القدس بكاملها، فقد وضع الصهيونيون الخطة الآتية، وهي عبارة عن احتلال المراكز الاستراتيجية الآتية (21-1) (139-1) [هذه المواضع مبيّنة على الخريطة التي أشار الريمائي سابقًا إلى إرفاقها مع التقرير، والتي لم يُعثر عليها].

محاولات اليهود:

1. محاولة احتلال الشيخ جرّاح بعدة هجمات قوية من ناحية بيت إسرائيل ونحالات يتسحاق والجامعة العبرية وهداسا. وقبل بضعة أيام، هاجموا هذه المراكز من جهة بيت إسرائيل، بما يقارب الألف جندي.
2. محاولة احتلال القطمون عدة مرات. ومنذ بضعة أيام، هاجموا بألفي جندي.
3. محاولة احتلال النبي داود وباب الخليل من المنتفوري بعدة هجمات، بعد أن يسّوا من احتلال الأطراف.
4. محاولة احتلال المصراة، وهي في وسط القدس، بعد أن يسّوا من احتلال الأطراف.
5. حشدوا، قبل عشرة أيام، سبعة آلاف جندي في القدس، وحاولوا جمع أكثر من هذا العدد، ولكنّ قطع مواصلاتهم أحرّ حركاتهم، هذا غير قوات الدفاع والهجوم الأصلية التي في القدس.

محاولات العرب:

1. احتلال نحالات يتسحاق وبيت إسرائيل وتدميرها. وقد نجحنا والحمد لله.
2. تدمير مركز قيادة اليهود وتحشداتهم في بن يهودا. وقد نجحنا.
3. تدمير أوكارهم وحصونهم في المنتفوري. وقد نجحنا.
4. استرجاع ما فقدناه من حيّ القطمون. وقد نجحنا.
5. قطع مواصلات اليهود على الطرق الثلاث الأساسية نابلس - يافا - الخليل. وقد نجحنا إلى الآن، وبذلك تم حصار القدس اليهودية ومستعمراتهم.
6. صدّ الهجومات اليهودية على الأحياء العربية. وقد نجحنا.
7. تحشيد أكبر عدد من المجاهدين والسلاح، لصدّ كل هجوم، وللقيام بهجوم، ولكن إلى الآن لم نستطع الحصول على السلاح والأموال.

الوضعية الحربية:

1. السيطرة الآن بأيدينا.
2. العوامل المساعدة: مناطق الأمن التي توفر لنا الجنود والسلاح.
3. العوامل المعادية: قلة السلاح، والمال، والعتاد، والمؤن.
4. وجود ميثاء شعاريهم [يشكل] خطرًا شديدًا على حيّ المصراة الذي إذا اخترق، لا سمح الله، اندفع اليهود منه إلى كل اتجاه، وإلى القدس القديمة.
5. المعنويات قوية جدًا، ولكنّ النعمة على قلة السلاح آخذة بالازدياد يومًا بعد يوم. وقد فهم الناس أنّ قيادة القدس ليست مسؤولة عن هذا التقصير، وهم يرون السلاح يُرمى جزأً في الجبال الآمنة التي لم يقلق سكانها، [وأدى أخيرًا إلى نعرات] حزبية نحن في غنى عنها.
6. السلاح: سلاح اليهود البنادق والرشاشات، والمدافع بأنواعها، والمدرعات، والمصفحات، والدبابات، والطائرات، ومختلف الأسلحة الأخرى.
7. سلاح العرب: البنادق، والقليل من الرشاشات، والنادر من مدافع الهاون الصغيرة من عيار إنشين. أما نسبة سلاحنا لسلاحهم، بغض النظر عن النوع والطبيعة، فهو واحد لخمسين.
8. الخبرة الحربية: خبرة العرب تفوق بكثير خبرة اليهود، وكذلك الجرأة.
9. المؤن: عند العرب قليلة، ولكنها أكثر عند اليهود.
10. الذخائر: عند اليهود لا ينضب معينها، أما عند العرب فقليلة جدًا.
11. الحالة ما زالت طيبة، إلا أنّها عند انسحاب الإنجليز، وقُبيل ذلك، ستسوء لقلة العناية بهذا البلد المقدس، وقله السلاح المدافع عنه. إنّنا ندافع بقوة الإيمان، ونحن بخطر أمام خصم مسلّح بالمدافع والدبابات والمصفحات والطائرات والرشاشات والقنابل الفتاكة.

كلمتي للقيادة:

هذه حالة القدس. والخطر المحدق بها، وبكل البلاد، شرٌّ منه. ولا شك في أنّ أيّ ضربة تنزل باليهود من المثلث العربي لا تفيد شيئاً، إذا سقطت، لا قدّر الله، القدس ويافا وحيفا والمدن الكبيرة الأخرى. ولا عذر لمن بيده الحل والربط بعد هذا، مهما كانت الأوضاع والمسببات، في ما إذا ضاعت البلاد، لا سمح الله. ونال من الدعاية الكبيرة الواسعة والفخفخة الفارغة، بعض الناس، على حساب الوطن، ما تصبوا إليه أنفسهم.

ليس النصر، يا سيدي القائد، [وقفاً] على من يدعون العسكرية والحربية دون سواهم، وإنني أعود فأقول لسعادتكم إنّنا لسنا [فوضويين]، ولا جماعة تعمل ارتجالاً، كما يُقال عنّا. وإنّ لدينا من الجنود والضباط وصف الضباط، ممن خدموا بالجيش سنين عديدة، عددًا كافيًا، لو سلّح قام بالعجائب. ولا تنسَ يا سيدي خبرتنا بالقتال سنوات عديدة ضدّ الجيش البريطاني في فلسطين والعراق. تم تدريب العدد الكبير منّا في الجيش العراقي والألماني والإنجليزي والجيش الأردني، وقوة الحدود والشرطة النظامية والشرطة الإضافية، وهؤلاء الكثير منهم الآن تحت السلاح يعملون معنا، والكثيرون الآخرون ينتظرون دورهم ليحملوا السلاح، في ما إذا فُسحت لهم الفرصة. وهم يتحرّقون للجهاد، ويرون في إقصائهم عن خدمة بلادهم والذود عن حياض أوطانهم ظلماً غاشماً.

الملحق الثاني

30 أيلول/ سبتمبر 1949، رسالة إلى أبي الحسن⁽³⁾

القاهرة في 30 أيلول/ سبتمبر سنة 1949

المجاهد الكبير أبو الحسن حفظه الله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

إنَّ واجب الجهاد المقدس، والمبدأ الوطني والحزبي، يدعوني إلى توجيه رسالتي هذه إليك بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن إخواني قادة المجاهدين؛ كامل عريقات، عبد الحليم الشلف، خليل منون، جاد الله الخطيب، وعبد الرحمن شحدة، الموجودين الآن بالقاهرة. فأطلب إليك ضرورة الحضور إلى القاهرة لبحث بعض المسائل الهامة.

والذي حدا بي لتوجيه هذه الدعوة إليك، هو اعتقادي الجازم أنّك لن تخيّب لنا آمالنا، ولن تبخل علينا بتلبية طلبنا، خاصة وأننا لم نبخل بتقديم أرواحنا وما نملك، نحن وجميع أتباعنا، في حمل رسالة الجهاد المقدس في سبيل الله والوطن، عندما طلبتم إلينا ذلك، وعندما كان الواجب الديني والحيوي والكرامة والعزة والسؤدد والعروبة [تقتضي] ذلك.

والله من وراء القصد

ولكم منّا أزكى التحيات والتمنيات

قاسم الريماوي

(3) أغلب الظن أنّ هذه الرسالة مرسلّة إلى جمال صالح الحسيني، المكتبيّ بأبي الحسن، وأنها مرتبطة بعجز قادة الجهاد المقدس السابقين عن تحصيل مستحقات مادية، وديون أخذت باسم الجهاد المقدس، بعد رفض الحاج أمين الحسيني تسديد مطالباتهم، بدعوى عدم موافقته المسبقة عليها. عن تفصيلات ذلك، يُنظر رواية: ذو الكفل عبد اللطيف، قصة كفاحي من الثورة الفلسطينية إلى حرب 1948 (عمّان: دار سندباد للنشر، 2000)، ص 246-251.

الملحق الثالث

الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من تقرير قاسم الريماوي؛ المخطوط المرفوع إلى الحاج أمين الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

أقنته أدناه تقريراً عما جرى العمل الذي تمته أثناء قيامي بمركز فلسطين عامناً
بالذكر موقفاً بقيادة الجهاد والمضامير من بعد استشهاد المرحوم عبد القادر الحسيني وكيفية ذلك
والترتيبات التي اتبعتها بين يدي قوام سيادة مطلقاً للإشهاد العرسية المديان للطلبة
مع الوقف الوفاء مع بعض الكوادر التي سئلتهم أسوأ في يد الرئيسة تركت عدة الأعمال
المقتضية لكونه شهادة الغير المشرود:

٤- مقضية : عندما أعلن الجهاد وهددتنا الاستتبابات بين العرب واليهود من قز
وميزة قتل وصول عبد القادر الحسيني البلاد طائفة جميع القوم والمهجرة حركاً مستوحاة أمام العدوان
الشيوعي خاصة مدينة القدس حقيقتاً اجتماعاً بترتيب حضوره جميع مسلمي فلسطين إلى
مبنى الجهاد فوالج تمسكاً رجلاً طاب من بعد ثلاثة أسابيع وانسحب مع الذكر بامر الجهاد
في القدس وكثيرة رسال وقد منهم لانتظاره لوقف مطوعه للدفاع ومدينة القدس والعم
حضر الاستاذ فيصل العنبري وسامح الحسيني واحضروا مع مساعديهم مع موفيات
المدينة متولوا الدفاع عن المدينة حتى ملأ هذه المدة وكانوا الخلية الأولى
التي تولت الدفاع عن المدينة كطوائف من تنظيم الاستشهاد والمسلمين الذين لم يكونوا
للدفاع من اتبع نظام الدفاع بحضور القاعة عبد القادر نظام المنزلة حيث
هم الشهادة التي استقر عليها في تنظيم الدفاع عن جميع اجزاء المدينة القدس
واحتفظت أنا لقوات كبيرة من المساجد اخذت الحواف في القوم للمعونة والمطلعي
والمالحة بجانب مدينة القدس لخدمته انه قام اليهود بالهجوم كبري معبراً - من
هذه الأثناء فوضت ذهبت إلى دمشق حيث تلقته بعض الاستشارة التي تلتها التفتي للمركبة
السلمة محضات منطقة القدس فالدمغة الأولى مرتباً على طريه طرماً مختصراً بلادي
والمستعرات اليهودية ومادة بالفضولة والمستعرات الأولى هو انه مستعد للمخاض فتميزته
الحرس اليهودي طلبت اللاتية - وكذلك التفتي الثانية وانما الثانية فقد طلبت الى
آية امرى عبر شرق الأردن لمحور تجسناً للخطر اليهودي وكانت هذه المرة الأولى
التي نقلت اليها السلاح المحرم مسروراً المفضلهم غير مشرود الأردن فتمتلكه وكلمة
بعبارة مختصرة وبجانب عدة من الإهدامات منسوبة وكانت هذه ان سكتة بعض

متننا في وصف " ابن لا اكرهك ولا بن بالكره اقد
 هو قفلك في باب الوارد في الجراد خاصة ابدت انه تناه
 ما هله عليه وان لم ترد معتقدك انه لقد في سلكه امت
 عطفنا " دانه ابدت به قفنا و ابن عصفه - فراهنا ما
 في ابن وقت قشاي " واستد الخ ابن لم اهدم باج لانه
 الا طلع الوقت الا بمايل وذلك عند لفظ ودان
 " استد الخ باية ساكون فمعلنا للم ولاعن وليلان " وهكذا
 تحت المقابلة - وقد عمل ابو اعشيد على ذلك كمن
 مما ولاه احد الثماني للعمل موعج في سلكه قاشة السته لم يفسد
 ظهوره وسير الاستد باية - سته منه الضمان والتميم
 انه يتوجه استاد القيادة السابق لقوات الحدود الفلست
 وان في حاله موافقة سيزورني " كما طلب منه الحاكم اعشيد
 مما كان في ابي ذلك ولكن رقت بازعمه الحكام
 حار فتم ان ابن لا اطلب مركزه او حلفه " واما فنود
 الذب اهدتهم وفتح لقبوا الانضاج كذلك الا الزدنية
 بالتميم من سلكه موزهم وفاقهم الا الروايات وترجمت الارواح
 بهم كما صنوا فمريم وقد انتم كهم عنهم الا كتيبا لمعتمدين
 انسابه وهاول قسمه الا الالتمامه ما كتيبا السورن وقلوا
 الحدود والصلو الا اية ملكاتهم - نقت هنا
 الا فسطحهم مع محمد بن باقون ذرا السورن ما غفلوا
 اننا دانه كنف قد استبان المصنوع الا ابن ابي ابراهيم
 هذه الحقائق واهمها على فاعلة دارها سيطرة اوردنا في زعمنا ولا فاعلوا
 لا سته الخ ابن لم اهدم لواءه ولم يملكه من عمل فية في ذلك العلم
 اوردنا في كتيبا ولسانها اللغة الا وكنت ولواه قبائله في ذلك العلم

الملحق الرابع صور للفهرس الأولي الذي أعده الريماوي لمخطوطه عن الشهيد عبد القادر الحسيني

الموضوع
المصدر
رقم العدد

1 - نسخة
2 - نسخة الأولى
3 - عبد القادر صفيها
4 - سقيا
5 - سقيا
6 - الحياة الزكية وعبد القادر

7 - نسخة عبد القادر
8 - نسخة صفيها
9 - عبد القادر بيد الشيخ - بيد ابراهيم - بيد محمد

10 - عبد القادر في الميام
11 - عبد القادر بيد ابراهيم الأولى
12 - نسخة الثانية
13 - نسخة الثالثة
14 - نسخة الرابعة

15 - المجلد المسمى
16 - عبد القادر بيد الشيخ في الميام
17 - نسخة عبد القادر في الميام
18 - نسخة عبد القادر في الميام

عبد القادر زكي بن عبد الله الجندبي

صحة يد عبد القادر

عبد القادر زكي بن عبد الله الجندبي

الملك الناصر

مصر في سنة ١٢٤١
في دار الخلافة في القاهرة
في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٤١

الملك الناصر

في سنة ١٢٤١

في دار الخلافة في القاهرة
في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٤١

في دار الخلافة في القاهرة
في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٤١

١٢٤١
١٢٤١

عبد القادر زكي بن عبد الله الجندبي

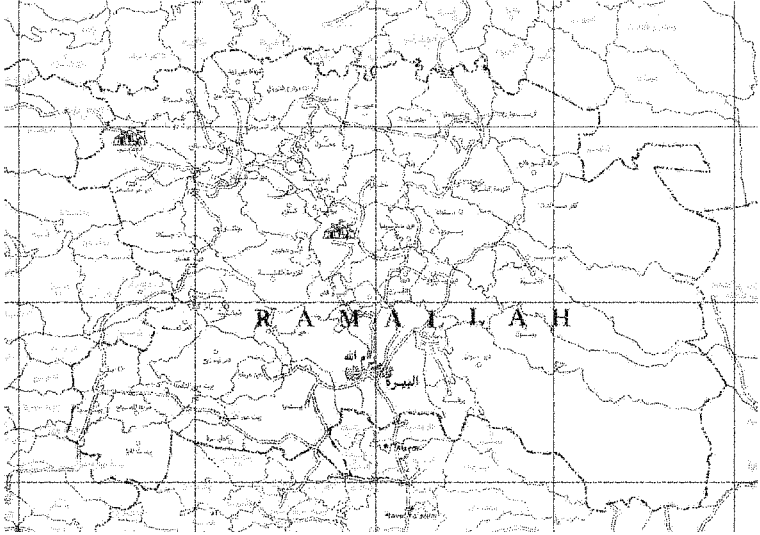
في دار الخلافة في القاهرة
في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٤١

الملحق الخامس

الخريطة (الملحق 5-1)

قضاء رام الله خلال حرب 1947-1949

(ويظهر في الخريطة موقع قيادة الجهاد المقدس في بلدة بيرزيت، ومقرّ معسكرها في بلدة عابود)

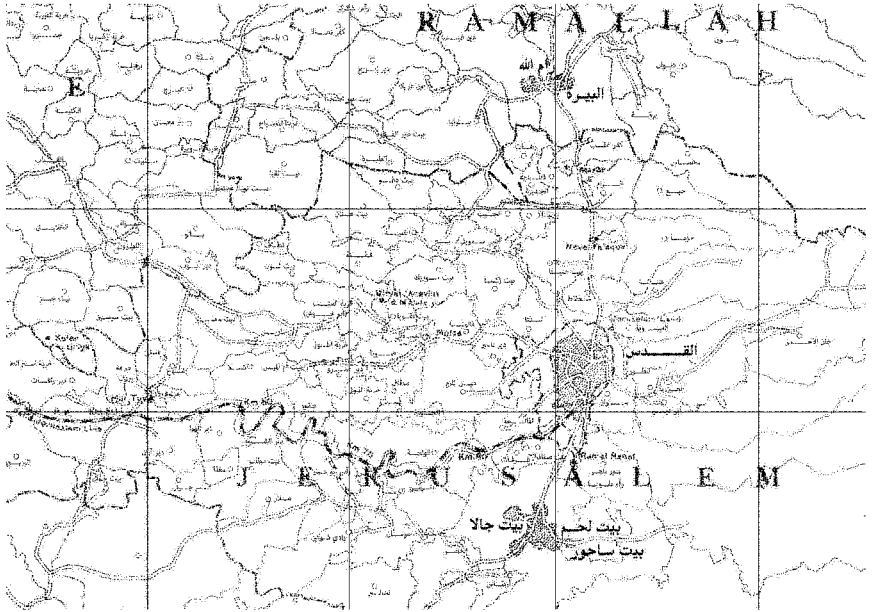


المصدر: إعداد وتعريب الباحث، استناداً إلى خريطة «فلسطين: القرى والمستوطنات» المنجزة في عام 1945، ضمن مشروع Survey of Palestine، بوحدة قياس 1:250,000.

الملحق السادس

الخريطة (الملحق 6-1)

القدس وريفها، والمستوطنات الصهيونية المجاورة لها، وخطوط المواصلات
الرئيسة المؤدية إليها



المصدر: إعداد وتعريب الباحث، استنادًا إلى خريطة «فلسطين: القرى والمستوطنات» المنجزة
في عام 1945، ضمن مشروع Survey of Palestine، بوحدة قياس 1:250,000.

المراجع

1 - العربية

أبو الجبين، خيرى. قصة حياتي في فلسطين والكويت. عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2002.

أبو الشعر، أمين. مجاهد من أبو ديس. عمّان: [د. ن.].، 1975.

أبو غربية، بهجت. مذكرات المناضل بهجت أبو غربية 1916-1949: في خضم النضال العربي الفلسطيني. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1993.

_____. من مذكرات المناضل بهجت أبو غربية: من النكبة إلى الانتفاضة (1949-2000). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004.

أبو فاضل، منير. حرب فلسطين لم تنته. بيروت: دار الكتاب العربي، 1955.

أبو نضال، نزيه (إعداد وتقديم). مذكرات أبو إبراهيم الكبير خليل محمد عيسى عجاك القائد القسامي لثورة 1936-1939. رام الله: منظمة التحرير الفلسطينية - المجلس الأعلى للتربية والثقافة، 2010.

الأحمد، نجيب. «مناقشات: حول مذكرات القاوقجي». شؤون فلسطينية. العدد 60 (تشرين أول/ أكتوبر - تشرين ثاني/ نوفمبر 1976).

الأزعر، محمد خالد. جيش الجهاد المقدس في فلسطين 1931-1949. غزة: المركز القومي للدراسات والتوثيق، 2000.

الأشقر، مرسي. مشاهير الرجال في المملكة الأردنية الهاشمية الحلقة الأولى لعام 1955-1956. القدس: مطبعة دير الروم الأرثوذكس، [د. ت.].

الأشهب، عودة. تذكرات عودة الأشهب. تقديم عبد الرحيم مدور وإشراف سليمان ربضي. بيرزيت: جامعة بيرزيت - مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني، 1999.

الأشهب، نعيم. دروب الألم دروب الأمل سيرة ذاتية. رام الله: دار التنوير للنشر والترجمة والتوزيع/ دار البيرق العربي للنشر والتوزيع، 2009.

الأغا، نبيل خالد. قضية فلسطين في سيرة بطل، الشهيد الحي عبد القادر الحسيني. عكا: دار الأسوار، 1986.

البخيت، محمد عدنان (إشراف). الوثائق الهاشمية، أوراق الملك عبد الله بن الحسين الأول، فلسطين (1367هـ/1948م). مج 5. القسم الأول. عمّان: جامعة آل البيت، 1995.

_____ . الوثائق الهاشمية، أوراق الملك عبد الله بن الحسين الأول، فلسطين (1367هـ/1948م). مج 5. القسم الثاني. عمّان: مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام - الجامعة الأردنية، 2015.

_____ . الوثائق الهاشمية، أوراق الملك عبد الله بن الحسين الأول، فلسطين (1367هـ/1948م). مج 5. القسم الثالث. عمّان: مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام - الجامعة الأردنية، 2015.

_____ . الوثائق الهاشمية، أوراق الملك عبد الله بن الحسين الأول، فلسطين (1367هـ/1948م). مج 5. القسم الرابع. عمّان: مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام - الجامعة الأردنية، 2015.

_____ . الوثائق الهاشمية أوراق عبد الله بن الحسين، الإدارة الأردنية في فلسطين 1948-1951. مج 6. عمّان: مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام - الجامعة الأردنية، 1995.

بركات، بشير عبد الغني. شخصيات القدس في القرن العشرين. القدس: مؤسسة دار الطفل العربي، 2010.

بريتسكه، هربرت. الطبيب البدوي مغامرات ضابط ألماني في الشرق الأوسط. ترجمة أحمد إيبش. أبو ظبي: أبو ظبي للثقافة والتراث، 2011.

البسطي، تيسير. صفحات جهادية من عين كارم: شهداء من عين كارم سقطوا في ثورات فلسطين من 1929 حتى عام 1948. عمّان: منشورات لجنة تراث عين كارم، 2002.

البناء، جمال (تقديم). من وثائق الإخوان المسلمين المجهولة. ج 3. القاهرة: دار الفكر الإسلامي، 2009.

تقرير لجنة التحقيق النيابة في قضية فلسطين. بغداد: مطبعة الحكومة، 1949.
التل، عبد الله. كارثة فلسطين مذكرات عبد الله التل قائد معركة القدس. ط 2. كفر قرع: دار الهدى، 1990.

جاد الله، محمد محمود. 100 عام من حياتي. عزيز محمود العصا (مراجعة وتحرير). القدس: الرقمية، 2019.

الجبوري، صالح صائب. محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.

الجعبة، نظمي. حارة اليهود وحارة المغاربة في القدس القديمة التاريخ والمصير ما بين التدمير والتهويد. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2019.

الحاج إبراهيم، رشيد. الدفاع عن حيفا وقضية فلسطين: مذكرات رشيد الحاج إبراهيم، 1891-1953. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2005.

حتر، ناهض (إعداد وتحرير). وصفي التل في مجابهة الغزو الصهيوني. بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2008.

حجازي، حسين. من بطولات الإخوان في حرب فلسطين: جماعة افتدت أمة من مذكرات حسين حجازي. القاهرة: دار العدالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1988.

حجازي، نايف ومحمود عطا الله. شخصيات أردنية. عمّان: المطبعة الأردنية، 1973.

الحسن، بلال. «شهريات: المقاومة الفلسطينية». شؤون فلسطينية. العدد 7 (آذار/ مارس 1972).

الحسن، عيسى (إعداد). الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين المؤسس.
عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2009.

الحسيني، شريف خالد. لمحات من ذاكرة سيرة ذاتية. عمّان: دار الشروق للنشر
والتوزيع، 2013.

الحصري، خلدون ساطع (تحقيق وتقديم). مذكرات طه الهاشمي 1942 -
1955 العراق - سوريا - القضية الفلسطينية. ج 2. بيروت: دار الطليعة
للطباعة والنشر، 1978.

حمادة، محمد عمر. موسوعة أعلام فلسطين. ج 1. ط 2. دمشق: دار الوثائق،
2000.

_____. موسوعة أعلام فلسطين. ج 2. ط 2. دمشق: دار الوثائق، 2000.

_____. موسوعة أعلام فلسطين. ج 3. ط 2. دمشق: دار الوثائق، 2000.

_____. موسوعة أعلام فلسطين. ج 4. ط 2. دمشق: دار الوثائق، 2000.

_____. موسوعة أعلام فلسطين. ج 5. دمشق: دار الوثائق، 2006.

_____. موسوعة أعلام فلسطين. ج 6. دمشق: دار الوثائق، 2007.

_____. موسوعة أعلام فلسطين. ج 7. دمشق: دار الوثائق، 2010.

_____. موسوعة أعلام فلسطين. ج 8. دمشق: دار الوثائق، 2013.

حمدان، جمال. «الأردن دولة: دراسة في الجغرافيا السياسية». الكاتب. العدد
70 (كانون الثاني/يناير 1967).

حمودة، سميح. صوتٌ من القدس: المجاهد داود صالح الحسيني من خلال
مذكراته وأوراقه. رام الله: منشورات مكتبة دار الفكر، 2015.

_____. «ظهور ونمو زعامة مفتي القدس الحاج محمد أمين الحسيني،
وعلاقاته السياسية من خلال وثائق وأوراق المجلس الشرعي الإسلامي
الأعلى في فلسطين». حوليات القدس. العدد 7 (ربيع - صيف 2009).

_____. «مقدسي في سجن الجفر: يوميات ومذكرات داود الحسيني». حوليات القدس. العدد 16 (خريف - شتاء 2013).

- الحوت، بيان نويهض. القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1986.
- الخالدي، حسين فخري. ومضى عهد المجاملات مذكرات الدكتور حسين فخري الخالدي. عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2014.
- الخالدي، وليد. دير ياسين: الجمعة 9/4/1948. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003.
- الدّبّاغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، الجزء التاسع، ديار بيت المقدس. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2018.
- _____ . بلادنا فلسطين، الجزء الخامس، الديار الياقّية. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2018.
- _____ . بلادنا فلسطين، الجزء السادس، ديار الخليل. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2018.
- الدرهلي، عدلي مسعود (مقدّم). يافا للأبد كما عايشها ناصر الدين النشاشيبي، صلاح إبراهيم الناظر، محمد سعيد إشتكتنا. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2013.
- دروزة، محمد عزة. مذكرات محمد عزة دروزة سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمن 1305-1404هـ/1887-1984م. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993.
- درويش، محمود. الأعمال الشعرية الكاملة. رام الله: مؤسسة محمود درويش؛ عمّان: دار الناشر؛ الأهلية للنشر والتوزيع، 2014.
- رستم، أسد. مصطلح التاريخ. بيروت: منشورات المكتبة البوليسية، 1984.
- ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان. ترجمة جورج زيناتي. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009.
- الريماوي، عبد الله. من وحي النكستين: الإقليمية الجديدة. بيروت: دار الطليعة، 1970.
- زعيتر، أكرم. الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939 يوميات أكرم زعيتر. ط 2. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1992.

_____ . يوميات أكرم زعيتر سنوات الأزمة 1967-1970. إعداد معين الطاهر ونافذ أبو حسنة وهبة أمارة. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.

سخيني، عصام. «ضم فلسطين الوسطى الى شرق الأردن 1948-1950». شؤون فلسطينية. العدد 40 (كانون الأول/ ديسمبر 1974).

_____ . طبرية تاريخ موسوعي، من إنشائها سنة 20م إلى نهاية الانتداب البريطاني سنة 1948. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009.

سرور، نجيب. الأعمال الكاملة. مراجعة وتقديم عصام الدين أبو العلا. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995.

سعيد، خليل. تاريخ حرب الجيش العراقي في فلسطين 1948-1949. ج 2. بغداد: مطبعة الجيش العراقي، 1966-1969.

السكاكيني، خليل. يوميات خليل السكاكيني: يوميات، رسائل، تأملات، الكتاب السادس، الجزء الثالث: بين الأب والابن، رسائل خليل السكاكيني إلى سري في أميركا، 1935-1937. أكرم مسلم (محرر). القدس: مركز خليل السكاكيني؛ مؤسسة الدراسات المقدسية، 2006.

_____ . يوميات خليل السكاكيني: يوميات، رسائل، تأملات، الكتاب الثامن: الخروج من القطمون، 1942-1952. أكرم مسلم (محرر). القدس: مركز خليل السكاكيني؛ مؤسسة الدراسات المقدسية، 2010.

سلامة، خضر. قرية زكريا. الخليل: مطبعة رابطة الجامعيين، 2013.

سمارة، عبدالكريم. رجال وأبطال من فلسطين 1900-1948. جت: منشورات شمس، 2014.

سيلع، رونة. لمعاينة الجمهور حكاية صور فلسطينية «معتقلة» في الأرشيفات العسكرية الإسرائيلية. ترجمة علاء حليحل. رام الله: مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2018.

شبيب، سميح. حكومة عموم فلسطين مقدمات ونتائج. نيقوسيا: شرق برس، 1988.

- الشرع، صادق. حروبنا مع إسرائيل: 1947-1973، معارك خاسرة وانتصارات ضائعة، مذكرات ومطالعات صادق الشرع. عمّان: دار الشروق، 1997.
- شركة مناجم الفوسفات الأردنية المساهمة. النظام الداخلي. عمّان: مطابع شركة الطباعة الحديثة، 1957.
- شقيير، سعيد. حياة نائر حياة المؤلف خلال ثمانين عامًا، طريق طويل كله أشواك. ساو باولو [البرازيل]: [منشورات المؤلف]، 1993.
- الشقييري، أحمد. أحمد الشقييري الأعمال الكاملة: المذكرات (2). مج 2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006.
- شكيب، إبراهيم. حرب فلسطين، 1948: رؤية مصرية. القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1986.
- شلش، بلال محمد. «هزيمة حزيران وبعث المقاومة المسلّحة في الضفة الغربية». ملف 67 خمسون عامًا على حرب حزيران 1967. عمّان: حبر، 2018.
- _____. يافا دمّ على حجر.. حامية يافا وفعالها العسكري دراسة ووثائق؛ الجزء الأول، سيرة البارود اليافي: دراسة في بنية حامية يافا وفعالها العسكري كانون الأول/ديسمبر 1947 - نيسان/أبريل 1948. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.
- _____. يافا دم على حجر.. حامية يافا وفعالها العسكري دراسة ووثائق؛ الجزء الثاني يوميات من بارود: يوميات ووثائق حامية يافا شباط/فبراير - 1948 نيسان/أبريل 1948. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.
- شheid، سيرين الحسيني. ذكريات من القدس. عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009.
- الصباغ، محمود. حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين. القاهرة: دار الاعتصام، 1989.
- _____. التصويب الأمين لما نشره بعض القادة السابقين عن التنظيم الخاص للإخوان المسلمين. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، 1998.

- صايغ، يزيد. رفض الهزيمة، بدايات العمل المسلّح في الضفة والقطاع 1967. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1992.
- صبري، بهجت حسين (إعداد). وثائق اللجنة القومية العربية بنابلس 1947-1949. ج 1. عمّان: مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية؛ نابلس: مركز التوثيق والمخطوطات والنشر في جامعة النجاح الوطنية، 1991.
- صقر، عبد العزيز. بسالة بلدة فلسطينية سلمة الباسلة. عمّان: رابطة أهالي سلمة، 1990.
- صلاح، وليد. من رحلة العمر، مذكرات وليد عبد اللطيف صلاح وزير خارجية الأردن السابق. عمّان: [د. ن.].، 1992.
- العارف، عارف. النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947-1949، الجزء الأول، من قرار التقسيم 1947/11/29 إلى بدء الهدنة الأولى 1948/6/11. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012.
- _____ . النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947-1949، الجزء الثاني، من بدء الهدنة الأولى 1948/6/11 إلى اتفاقيات الهدنة الدائمة بين الدول العربية وإسرائيل شباط/فبراير - تموز/يوليو 1949. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012.
- عبد الكريم، أحمد. بديا فلسطين الصغرى ورد من حديد. عمّان: دار الأبرار، 2015.
- عبد اللطيف، ذو الكفل. قصة كفاحي من الثورة الفلسطينية إلى حرب 1948. عمّان: دار سندباد للنشر، 2000.
- عبد الناصر، جمال. فلسفة الثورة. القاهرة: دار المعارف، 1954.
- العساف، عبد الله (إعداد وتحرير). سامي السماعيل مذكرات ضابط أردني، خفايا وأسرار (1948-2004). عمّان: الآن ناشرون وموزعون، 2016.
- العطي، عبد العزيز. رحلة العمر من شاطئ غزة إلى صحراء الجفر. عمّان: [نشر خاص]، 2012.

عطية، عطية عبد الله. عين كارم بين الحقيقة والحلم دراسات وخواطر. عمّان: نشر خاص، 1992.

العقرباوي، مؤيد. عبد القادر الحسيني ودوره في الدفاع عن فلسطين حتى 1948. عمّان: دار الأيام للنشر والتوزيع، 2017.

عقل، محمد. المفصل في تاريخ وادي عارة، عارة وعرعرة من بداية ثورة 1936 إلى نهاية حرب 1948. عرعرة: [نشر خاص]، 1999.

_____. سجل المحكومين بالإعدام في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني. لندن: دار إي كتب، 2017.

علي، عبد الرحمن وعبد الله مهنا. «من مذكرات 1947-1948: هكذا كنّا نجمع السلاح». شؤون فلسطينية. العدد 21 (أيار/مايو 1973).

العمر، عبد الكريم (إعداد). مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني. دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1999.

عنتاوي، منذر فائق (جمع وتحري). الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1966. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1967.

العودات، يعقوب. من أعلام الفكر والأدب في فلسطين. القدس: دار الإسرائ، 1992.

عويضة، نهيل عادل. معارك القدس الجديدة ومدخلها عام النكبة، سيرة البطل إبراهيم أبو دية. بيت لحم: مطبعة الجراشي، 2012.

الغبرا، شفيق. حياة غير آمنة جيل الأحلام والاختفاقات. بيروت: دار الساقى، 2012.

الغوري، إميل. إظهار حقائق وتفنيذ أباطيل: ردود على مقالات السيد قاسم الريماوي. عمّان: [د. ن.]، 1974.

_____. فلسطين عبر ستين عامًا. بيروت: دار النهار للنشر، 1972.

الفار، مصطفى محمد. مدينة اللد موقعًا وشهرةً وتاريخًا. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009.

- قاسمية، خيرية (إعداد). مذكرات فوزي القاوقجي 1890-1988. ط 2. دمشق: دار النمير، 1995.
- قليوبي، طاهر أديب. عائلات وشخصيات من يافا وقضائها. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2006.
- كبها، مصطفى ونمر سرحان. سجل القادة والثوار والمتطوعين لثورة 1936-1939. كفر قرع: دار الهدى، 2009.
- كناعنة، شريف ولبنى عبد الهادي. قرية لفتا. سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة رقم 13. بئرزيت: جامعة بئرزيت، 1991.
- كناعنة، شريف ونهاد زيتاوي. القرى الفلسطينية المدمرة رقم 4: دير ياسين. بئرزيت: جامعة بئرزيت - مركز الوثائق والأبحاث، 1987.
- ليب، محمود. حماة السلموم. القاهرة: دار الأنصار، 1980.
- لوغوف، جاك. التاريخ والذاكرة. ترجمة جمال شحيد. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.
- مائر، غولدا. حياتي. عمّان: دار الجليل، 1989.
- مارديني، زهير. «ألف يوم مع الحاج أمين». مجلة العرفان. مج 65. العدد 9-10 (أيلول/سبتمبر 1977).
- محسن، عيسى خليل. فلسطين الأم وابنها البار عبد القادر الحسيني. عمّان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 1986.
- المصري، زكي حسن. حديث الذكريات فصول وترجمة ذاتية منذ عام 36-1994. رام الله: [نشر خاص]، 1994.
- من هم في العالم العربي الجزء الأول سورية 1957. دمشق: مكتب الدراسات السورية والعربية، 1957.
- مناع، عادل. أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918). ط 2. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1995.
- منير، إسبر. اللد في عهدي الانتداب والاحتلال. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003.

الموسى، سليمان. أيام لا تُنسى: الأردن في حرب 1948. عمّان: الديوان الملكي، 2008.

الموسوعة الفلسطينية، القسم العام. عبد الهادي هاشم (محرر رئيس). دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.

نصر الله، جورج خوري (جمع وتصنيف). الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1967. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1969.

النقد التاريخي، ويشمل: أنجلو أوسينوبوس: المدخل إلى الدراسات التاريخية، بول ماس: نقد النص، أمانويل كنت: التاريخ العام. ترجمها عن الفرنسية والألمانية عبد الرحمن بدوي. ط 4. القاهرة: وكالة المطبوعات، 1981. نويهض، عجاج. رجال من فلسطين. بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، 1981.

_____. مذكرات عجاج نويهض ستون عامًا مع القافلة العربية. إعداد بيان نويهض الحوت. بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1993.

الهندي، هاني. «جيش الإنقاذ (1947-1949)». شؤون فلسطينية. العدد 23 (تموز/ يوليو 1973).

_____. «جيش الإنقاذ (1947-1949)». شؤون فلسطينية. العدد 24 (آب/ أغسطس 1973).

هيكل، محمد حسنين. العروش والجيوش، الكتاب الأول، كذلك انفجر الصراع في فلسطين 1948-1998، قراءة في يوميات الحرب. الأعمال الكاملة لمحمد حسنين هيكل. القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009.

_____. العروش والجيوش، الكتاب الثاني، أزمة العروش صدمة الجيوش يوميات الحرب (فلسطين 1948). الأعمال الكاملة لمحمد حسنين هيكل. القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009.

_____. المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل الكتاب الأول الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية. الأعمال الكاملة لمحمد حسنين هيكل. القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009.

واصف، سارة ديكان. معجم الكتاب الفلسطينيين. لومان [فرنسا]: معهد العالم العربي، 1999.

وراد، فاتق. مذكرات فاتق وراد: خمسون عامًا من النضال. أحمد رفيق عوض وسميح شبيب (محرران). رام الله: منشورات حزب الشعب الفلسطيني، 2005.

ولسن، ماري. عبد الله وشرق الأردن بين بريطانيا والحركة الصهيونية. ترجمة فضل الجراح. بيروت: شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2000.

ويندر، إليكس (إعداد وتحرير). بين منشية يافا وجبل الخليل يوميات محمد عبد الهادي الشروف 1943-1962. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2016.

اليوميات الفلسطينية، المجلد الأول من 1/1/1965 إلى 30/6/1965. أنيس صايغ (محرر رئيس). بيروت: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1966.

اليوميات الفلسطينية، المجلدان الرابع والخامس من 1/7/1966 إلى 30/6/1967. أنيس صايغ (محرر رئيس). بيروت: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1967.

اليوميات الفلسطينية المجلد الرابع عشر من 1/7/1971 إلى 31/12/1971. عصام سخيني (محرر رئيس). بيروت: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1973.

2 - العبرية

أرنولد، موشيه. حصار داخل حصار: المربع اليهودي في القدس العتيقة في حرب الاستقلال. تل أبيب: دار نشر وزارة الدفاع، 2004.

أورن، إلحانان. «هزيمة جيش الإنقاذ من مشمار هعيمك». معرخوت. العدد 294-295 (تموز/ يوليو 1984).

أوليتسكي، يوسف. من أحداث إلى حرب: فصول من تاريخ الدفاع عن تل أبيب. تل أبيب: قيادة الهاغاناه بتل أبيب - دائرة الثقافة بجيش الدفاع الإسرائيلي، 1950.

الباحث عن السلام، آراء ووجهات نظر حول موشيه شاريت. يعقوب شاريت ورينا شاريت (محرران). تل أبيب: مؤسسة تراث موشيه شاريت، 2008. البلماح: سنبلتان وسيف. يحيعام فايتز (محرر). القدس: مركز يسرائيل جليلي لدراسات الدفاع؛ دار نشر وزارة الدفاع، 2000.

بن غوريون، دافيد. يوميات الحرب، حرب الاستقلال 1947-1949. غيرشون ريفلين وإلحانان أورن (محرران). تل أبيب: جمعية نشر تعاليم دافيد بن غوريون؛ دار نشر وزارة الدفاع، 1984.

بن يعقوب، يوحنا. غوش عتسيون: خمسون عامًا من النضال والإبداع. غوش عتسيون: مدرسة سديه كفار عتسيون، 1983.

_____. قافلة الجبل: قصة الخمسة وثلاثين. تل أبيب: دار نشر وزارة الدفاع، 2008.

بيركمان، تيد. الجنرال سيرة الكولونيل دافيد (ميكي) ماركوس. تل أبيب: عام هاسفر، 1965.

دافيد شلتئيل: القدس 1948. يوسف شابيرا (محرر). تل أبيب: دار نشر وزارة الدفاع، 1981.

راداي، إيتمار. «القوى غير النظامية والمنظمات في المجتمع العربي في منطقة القدس من أوائل كانون الأول/ديسمبر 1947 إلى 19 أيار/مايو 1948». رسالة ماجستير. قسم التاريخ. الجامعة العبرية. القدس، 2002.

_____. «عبد القادر الحسيني: قائد فلسطيني بحرب 1948». أوراق زيتون وسيف. نير مان (محرر). العدد 13 (2013).

روبنشتاين، داني. إما نحن أو هم، القسطل والقدس، نيسان/أبريل 1948: الـ 24 ساعة التي حسمت الحرب. القدس: يدعوت سفريم، 2017.

سلوتسكي، يهودا. تاريخ الهاغاناه، القسم الثالث: من النضال إلى الحرب. تل أبيب: عام عوفيد، 1972.

شابيرا، انيتا. من عزل رئيس القيادة القطرية لحل البلماح، قضايا في الصراع على القيادة الأمنية 1948. تل أبيب: منشورات الكمبيوتر الموحد، 1985.

القدس في 1948: مصادر، ملخصات، قضايا ومواد مختارة. مردخاي نّوار (محرر). القدس: ياد يتسحاق بن تسفي، 1983.

لواء ألكسندروني خلال حرب التحرير. غرشون ريفلين وسيناى تسفي (محرران). تل أبيب: دار نشر معرخوت - جيش الدفاع الإسرائيلي، 1964.

ليفي، يتسحاق. تسعة تدابير: القدس في معارك حرب الاستقلال. تل أبيب: دار نشر معرخوت - جيش الدفاع الإسرائيلي، 1986.

معارك يوسى. ألون كاديش وموشيه أرنولد (محرران). تل أبيب: دار نشر وزارة الدفاع، 2008.

ميلشتاين، أوري. معركة النبي صمويل - المكتوب على الجدار الذي لم يقرأ. رامات أفعال: دار نشر شريدوت، 2009.

نيف، دافيد. أرغون تسفائي ليثومي، المجلد السادس: في حرب مفتوحة (1947-1948). تل أبيب: معهد كلاوسنر، 1980.

3- الأراشيف

الأرشيف البريطاني:

«Weekly Intelligence Appreciation,» 18 August 1947. Foreign & Commonwealth. 141/14284.

أرشيف الدولة - القدس:

«تقرير عن حوادث الاضطرابات الأخيرة التي وقعت بين العرب واليهود في يافا وتل أبيب في ما بين 10-21 آب سنة 1947»، ملف رقم: ف-3221/27.

«فضائع الجيش البريطاني السافل في قرّيتي حلحول وبيت فجار - الخليل»، رسالة بإمضاء ضمائر مراقبة متأملة، أرسلت إلى القنصل المصري في القدس، بتاريخ 10 أيار/ مايو 1939، ف5- /367.

أرشيف مشروع توثيق وبحث القضية الفلسطينية التابع للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات:

أكرم زعيتير، «يوميات مخطوطة».

قاسم الريمادي، «مخطوط عبد القادر الحسيني»، مخطوط رقم 1/د.

أرشيف مكتبة بلدية نابلس:

«رسالة من سليمان طوقان إلى فوزي القاوقجي»، بتاريخ 6 نيسان/أبريل

1948، الرقم المرجعي: 65/48/س/12.

أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي - القدس

4 - الأجنبية

Abbasi, Mustafa. «Palestinians fighting against Nazis: The story of Palestinian volunteers in the Second World War.» *War in History*. vol. 26, Issue 2 (November 2017).

_____. «The Fall of Acre in the 1948 Palestine War.» *Journal of Palestine Studies*. vol. 39, no. 4 (Summer 2010).

Al-Rimawi, Qasim Mohamed. «The Role of the Social Worker in Industrial Community Development in Egypt.» Master Dissertation, Columbia University. New York. 1954.

_____. «Education and the Challenge of Industrialization in Egypt: a Report of a Type B Project.» PH.D. Dissertation, Columbia University. New York. 1954.

_____. *The challenge of industrialization, Egypt*. Beirut: United Publishers, [1974].

Bar-Or, Amir. «The Evolution of the Army's Role in Israeli Strategic Planning: A Documentary Record.» *Israel Studies*, vol. 1, no. 2 (Fall 1996).

Busailah, Reja-e. «The Fall of Lydda, 1948: Impressions and Reminiscences.» *Arab Studies Quarterly*. vol. 3, no. 2 (1981).

Charters, David A. *The British Army and Jewish Insurgency in Palestine 1945-1947*. New York: Palgrave Macmillan, 1989.

Cohen-Hattab, Kobi & Noam Shoval. *Tourism, Religion, and Pilgrimage in Jerusalem*. New York: Routledge, 2015.

Davidson, Lawrence. «Truman the Politician and the Establishment of Israel.» *Journal of Palestine Studies*. vol. 39, no. 4 (Summer 2010).

Glubb, John Bagot. *A Soldier with the Arabs*. London: Hodder & Stoughton, 1957.

Hughes, Matthew. «A History of Violence: The Shooting in Jerusalem of British Assistant Police Superintendent Alan Sigrist, 12 June 1936.» *Journal of Contemporary History*. vol. 45, Issue 4 (October 2010).

_____. «Palestinian Collaboration with the British: The Peace Bands and

- the Arab Revolt in Palestine, 1936-9.» *Journal of Contemporary History*. vol. 51, Issue 2 (2015).
- Hupp, Clea Lutz. *The United States and Jordan Middle East Diplomacy during the Cold War*. New York: I. B. Tauris, 2014.
- Karsh, Efraim. «The Collusion That Never Was: King Abdallah, the Jewish Agency and the Partition of Palestine.» *Journal of Contemporary History*, vol. 34, no. 4 (October 1999).
- Milstein, Uri. *History of Israel's War of Independence, Vol. 1: A Nation Gird for War*. Alan Sacks (trans.). Lanham: University Press of America, 1996.
- _____. *History of Israel's War of Independence, Vol. 2: The First Month*. Alan Sacks (trans.). Lanham: University Press of America, 1997.
- _____. *History of Israel's War of Independence, Vol. 3: The First Invasion*. Alan Sacks (trans.). Lanham: University Press of America, 1998.
- _____. *History of Israel's War of Independence. Vol. 4: Out of Crisis Came Decision*, Alan Sacks (trans.). Lanham: University Press of America, 1998.
- Morris, Benny. *The Road to Jerusalem: Glubb Pasha, Palestine, and the Jews*. New York: I. B. Tauris, 2003.
- Parsons, Laila. «Soldiering for Arab Nationalism: Fawzi Al-qawuqji in Palestine.» *Journal of Palestine Studies*, vol. 36, no. 4 (Summer 2007).
- _____. *The Commander Fawzi al-Qawuqji and the Fight for Arab Independence 1914-1948*. New York: Hill and Wang, 2016.
- Sayigh, Yezid. «Turning Defeat into Opportunity: The Palestinian Guerrillas after the June 1967 War.» *Middle East Journal*, vol. 46, no. 2 (Spring 1992).
- Sela, Avraham. «Transjordan, Israel, and the 1948 War: Myth, Historiography, and Reality.» *Middle Eastern Studies*. vol. 28, no. 4 (October 1992).
- Shlaim, Avi. *Collusion Across the Jordan: King Abdullah, the Zionist Movement and the Partition of Palestine*. New York: Columbia University Press, 1988.
- _____. «The Rise and Fall of the All-Palestine Government in Gaza.» *Journal of Palestine Studies*, vol. 20, no. 1 (Autumn, 1990).
- Tauber, Eliezer. «The Army of Sacred Jihad: An Army or Bands?.» *Israel Affairs*. vol. 14, no. 3 (July 2008).
- _____. *Military Resistance in Late Mandatory Palestine the Activities of the Jewish and Arab Military Organizations as Reflected in the Reports of High Commissioner General Sir Alan Cunningham*. Ramat Gan: Bar-Han University Press, 2012.
- _____. «Palestine 1948: the cryptography of the Arab volunteers.» *Journal of Intelligence History*. vol. 12, Issue 1, (2013).
- Trouillot, Michel-Rolph. *Silencing the Past Power and the Production of History*. Bosten: Beacon Press books, 1995.

فهرس عام

- أ-
 268-267 ، 260 ، 212-211
 300 ، 297-296 ، 293 ، 291
 423 ، 389 ، 380-378 ، 333
 أبو دية، محمد: 246
 أبو ديس (قرية فلسطينية): 158 ، 275
 أبو راس، علي عبد الله: 241
 أبو الريش، إبراهيم: 276
 أبو شخيدم (قرية فلسطينية): 204
 أبو الشعر، أمين: 64 ، 66
 أبو غربية، بهجت عليان: 26-27 ، 69
 384-383 ، 357-356 ، 225
 أبو غربية، صبحي: 193 ، 211 ، 260 ، 264
 أبو غوش، محمود: 163
 أبو فاضل، منير: 129-130 ، 135 ، 145
 423 ، 184
 أبو قرع، سميح علي الشيخ يوسف: 204
 أبو قرع، علي فريح سمور: 204 ، 325
 أبو قش (قرية فلسطينية): 161 ، 218 ، 415
 أبو لبن، شوقي: 412
 أبو لبن، عبد الحميد: 281
 أبو لبن، محمد سليم: 146 ، 215 ، 219
 415
 أبو منصور (مجاهد من عارورة): 206
 آل جاسر: 344
 آل الريماوي: 92
 آل السكاكيني: 206
 آل صيام: 275
 آل محيي الدين الحسيني: 332
 آل ناصر: 328
 آل نزال: 329 ، 403
 إبراهيم، سلطي: 206
 إبراهيم، شوقي أحمد: 404
 ابن جازي، نائل: 82-83 ، 249 ، 396
 ابن جازي، هارون: 81-83 ، 143 ، 249
 396
 أبو اجبارة، صبحي: 138 ، 404-405
 420
 أبو اخضير، محمد رشيد: 209
 أبو اعطير (بشارة): 338
 أبو اقطيش، محمد: 396
 أبو تايه، محمود: 260
 أبو حاشية، موسى: 399 ، 413
 أبو الخير، محمود: 156 ، 166 ، 186 ، 399
 425-424 ، 421 ، 416-415 ، 413
 أبو دية، إبراهيم: 130 ، 135-136 ، 205

- أبوناب، إبراهيم: 30
أبوناب، محمد: 265
- الأسمر، محمد عبد الله: 163، 204، 285،
314
- اسناف، العبد إسماعيل: 204، 404، 415
اعويس، رفيق: 225
- اعويس، شفيق: 205، 260، 267
الأغا، نبيل خالد: 65
- الأغوار: 214
أفريقيا: 24
- الأقظم، مصطفى: 410
- ألمانيا: 25، 196، 333، 335، 399
أم الطلقة (موقع في قرية الطور): 276
أم الفحم: 242، 435
- إمارة شرق الأردن: 79، 81-82، 84، 87،
99-100، 121، 140، 150، 152،
218-219، 223، 239، 248
409، 391
- الأمة العربية: 83، 92، 248، 389، 404،
431، 439
- الأمم المتحدة: 36، 38، 88، 191، 389،
430-431
- الجمعية العامة: 22، 430
- مجلس الأمن: 389، 430
- أميركا يُنظر الولايات المتحدة الأمريكية
أميركا الجنوبية: 206
- أميركا اللاتينية: 48، 206، 343
أمين، عبد العفو: 217
- الانتداب البريطاني على فلسطين: 25، 151،
180-181، 183-184، 187
196، 316، 402، 438-439
- أنجرونوفيتش (الملحق العسكري في
القنصلية الأمريكية في القدس): 347
- الأنصاري، سامي إبراهيم: 26-27
انقلاب البعث في سورية (8 آذار/ مارس
1963): 45
- اتحاد الجمعيات الإسلامية (في أميركا
وكندا): 38
- اتفاقات رودس (1949): 31، 270، 272،
411، 423، 434
- الاحتلال البريطاني يُنظر الانتداب البريطاني
على فلسطين
- أحمد، أكرم: 419
- الأحمد، نجيب مصطفى: 245، 435
احويح، جميل: 204
اخرينو، كاظم: 326
- الإدارة الأردنية: 100، 104، 161، 163،
إذاعة برلين: 183
إربد: 331
- الأرجنتين: 206
- الأردن: 34، 39-40، 42، 46-47، 49،
52-53، 56، 62، 78-80، 83،
86-87، 89-90، 92، 105، 107-109،
109، 184، 218، 221-222،
330-331
- ارشيد، محمود ذيب: 245، 435
- أرض الكنانة يُنظر مصر
- أريحا: 101، 158-159، 354، 364،
394، 416
- الاستعمار الفرنسي: 439
- الاستعمار البريطاني يُنظر الانتداب
البريطاني على فلسطين
- إسرائيل: 31، 56، 109، 389، 402،
429-432، 435
- الأسطى، محمد: 158
- إسماعيل، عبد الرؤوف: 437
الإسماعيلية (مدينة): 224

- انقلاب البعث في العراق (8 شباط/فبراير
1963): 220، 44
- الأوروغواي: 206
- ب-
- الباجه جي، مزاحم: 156، 417
- الباراغواي: 206
- باونس (دكتور أميركي): 343
- بتير (قرية فلسطينية): 105، 162، 423
- بحمدون (قرية لبنانية): 215
- بحيرة طبريا: 79، 215
- بذار، حسني: 138، 165، 420
- بدران، جليل: 306، 437
- بدران، عثمان: 276
- بدران، مضر: 59
- بدرس (قرية فلسطينية): 165
- بدو (قرية فلسطينية): 126-127، 272، 388، 385
- بديا (بلدة فلسطينية): 214، 245-246، 442-441
- البراغثة: 122
- براون، إيدي: 322، 328
- البرغوثي، سيف: 159
- البرغوثي، فخري: 182-183
- البرغوثي، محمد عبد الرزاق: 206
- برقا (قرية فلسطينية): 246
- بركات، حافظ: 136، 211، 225، 260، 264-265، 378-379، 382
- بركات، صبحي: 260، 266
- بركات، عبد الفتاح حسين: 204
- بركات، عريف: 257، 413
- بركات، محمد سعيد (أبو حمدي): 225، 260، 268
- برمامت، فواز ماهر: 103، 105، 153، 162، 165
- برهام (قرية فلسطينية): 165
- برهم، سرور: 214-215
- بروسيا: 419
- بريطانيا: 179، 191، 202، 235، 430
- البزري، عفيف: 396
- بشارة، سامي: 408
- البصام، صادق: 391
- بلاد الشام: 24
- البليسي، إسماعيل: 138، 391
- بلجيكا: 389
- البلدة القديمة (القدس): 205، 260، 264، 266، 280، 382، 452
- باب الجديد: 145، 435
- باب الخليل: 260، 266، 345، 375
- باب الساهرة: 147، 223، 260، 262، 278، 378، 386، 438
- باب العمود: 322
- حارة اليهود: 264، 269، 281، 318، 434
- بلعا (قرية فلسطينية): 246
- بلودان: 229
- بن شيمين (مستعمرة): 325-327
- بناية النوتردام (في القدس): 145، 434
- بناية نيتير (في يافا): 336
- بناية الهستدروت (في القدس): 322، 337
- بناية دائرة الشؤون الاجتماعية (في يافا): 316
- بناية فايلنشك (في القدس): 340
- بنك الأمة (في القاهرة): 375
- بني حارث (قرية فلسطينية): 252

- بيت محسير (قرية فلسطينية): 141، 146،
269، 273، 395
- بيت نبالا (قرية فلسطينية): 94، 156، 288،
399، 407-409، 411، 413
- بيت نوبا (قرية فلسطينية): 338
- بيتح تكفا (مستعمرة): 284، 290، 411
- بئر السبع: 211، 242
- بيرزيت (بلدة فلسطينية): 33-34، 67، 69،
77، 95-100، 102، 104-107،
119، 130-132، 134-137،
140، 144-145، 148-151،
153-154، 156-157، 159-
166، 166، 204، 216، 218، 221،
250، 252، 257، 273، 285،
287، 294، 310، 318، 323-
325، 327-328، 330-332،
334، 337-338، 342، 354،
378، 381، 383، 389-390،
394، 404، 407، 410-411،
413، 415-420، 422-423،
433-435
- بئرزيت يُنظر بيرزيت
- بيرو: 344
- بيروت: 80، 257، 330، 346، 399
- البيرة: 306، 308، 310، 437
- بيسان: 214، 216
- بيغن، مناحم: 141، 412
- ت-
- التاجي، عادل: 227-228
- تركيا: 335
- الترمسعاوي، عوض محمود أحمد: 300،
315، 380
- ترمسعا (قرية فلسطينية): 204، 206، 301،
315
- ترويو، ميشيل: 59-60
- بني حسن (قرى فلسطينية): 269، 378-
379
- بني زيد (قرية فلسطينية): 247، 252، 285،
399-400
- بني مرة (قرى فلسطينية): 252، 285
- بهجت (مدير الأمن في درعا): 221-222،
331
- بورين (قرية فلسطينية): 421
- بوغوتا: 343
- البوليس الأردني يُنظر شرطة حكومة
فلسطين - الاستعمار البريطاني -
الشرطة الأردنية
- البوليس البريطاني يُنظر شرطة حكومة
فلسطين - الاستعمار البريطاني -
الشرطة البريطانية
- البوليس السري: 368
- البوليس الفلسطيني يُنظر شرطة حكومة
فلسطين - الاستعمار البريطاني -
الشرطة الفلسطينية
- بيارة أبو لبن: 407
- بيارة محمد عبد الرحيم: 407
- بيت إكسا (قرية فلسطينية): 269
- بيت جالا (قرية فلسطينية): 251
- بيت حنينا (قرية فلسطينية): 314
- بيت ريمما (قرية فلسطينية): 24، 165، 180،
184، 204، 206، 224، 267،
325، 400، 404، 406
- بيت سوريك (قرية فلسطينية): 128، 269،
272، 294-296، 298-299، 388
- بيت صفانا (قرية فلسطينية): 269، 271،
279-280، 282-283، 378،
385، 433
- بيت عور التحتا (قرية فلسطينية): 209، 388،
251، 267، 344-345، 347،
356، 385، 422-423

- تل أبيب: 73، 143، 146، 166، 255،
273-272، 284، 289، 294،
303، 323، 325-328، 339-
340، 344-345، 388، 401-
402، 411-413، 432
- التل، وصفي: 44، 46، 49، 51-52، 54
التلهوني، بهجت: 43-44
التميمي، عبد الفتاح عبد الباسط (أبو محمد):
209
- التونسي، إقدور منصور (عبد القادر
التونسي): 357
- ث-
- ثورة رشيد عالي الكيلاني (1941): 186،
235، 398
- الثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939):
25-28، 36، 54، 173، 180،
185، 189، 208، 345، 392،
396، 413
- الثورة الليبية (1911-1931): 209
- ج-
- جاد الله، حسين: 434
- الجاعوني، عزمي: 296، 337-339، 378
جامع الشيخ جراح (في القدس): 224
الجامعة الأردنية: 55، 58-59
- كلية التربية: 59
- الجامعة الأمريكية في القاهرة: 35
- جامعة الدول العربية: 22-23، 88، 100،
151، 175، 190-192، 202-
203، 206، 213، 223، 229،
233-235، 241، 369، 385،
392، 400، 404
- اللجنة السياسية: 100، 151، 400
- اللجنة العسكرية العربية العليا: 121،
132-134، 138، 196، 213، 219
- 228-230، 233-236، 329-334،
362، 364-365، 367-369، 371-
373، 377، 391، 400، 436
الجامعة العبرية: 264، 276، 302، 433
جامعة كولومبيا: 38-39، 41
- كلية المعلمين: 38
جبر، علي: 412
جبع (قرية فلسطينية): 237، 372
جبل صهيون: 267، 355
جبل عمان (أحد أحياء مدينة عمان): 391،
393-394
جبل لبنان: 215
جبل المنطار: 422
الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين: 54
- لجنة الإعلام: 54
جرار، فوزي: 245، 401، 435
جسر النبي: 84، 167، 223، 329، 332،
378
جسر الشيخ حسين: 84-86، 332-334
الجعبري، محمد علي: 101-102، 159
جلاء الإنكليز عن فلسطين (1948): 77،
89، 98-99، 142، 192، 369،
375
جماعة «الإخوان المسلمين»: 223-225،
378، 423، 434
جمال (ملازم عراقي): 382
جمالة (قرية فلسطينية): 161
جمعية الاتحاد النسائي: 362
جمعية الشبان المسلمين: 226
جمعية الشبان المسيحية: 347
الجمهورية العربية المتحدة: 206
جنحو، عبد النور خليل (أبو خليل): 261،
317-318

- الجندي، أحمد صدقي: 96، 144، 148
- الجندي، عبد القادر: 85، 334، 391
- جنين: 100، 123، 125، 145، 152-153، 157، 163، 213، 217، 237، 242-243، 245-246، 264، 400-401، 435
- الجودة، عبد الله: 126، 133-134، 163
- الجولان: 215، 217، 220
- الجولاني، عبد الحليم: 383
- جيش أميركا الوسطى: 343
- جيش الإنقاذ: 37، 88، 127، 141، 143، 191، 234-235، 238-239، 240-241، 259، 268، 365، 367، 392، 396، 401-403
- الجيش الإنكليزي يُنظر الجيش البريطاني
- الجيش البريطاني: 24، 173، 181، 253، 280، 288، 293، 299، 313، 322، 347، 375، 399، 401، 424، 436
- جيش التحرير العربي يُنظر جيش الإنقاذ
- جيش حُماة الأقصى: 382
- الجيش السوري: 168، 220، 236، 241، 331-332
- الجيش العراقي: 94، 96، 104، 106، 148-149، 152، 154-157، 161-162، 164-167، 290، 406، 416-420، 425
- الجيش العربي الأردني: 34، 77، 89، 93-97، 99، 100، 105، 107، 109، 132
- 144-149، 153-154، 161-163، 166-167، 217، 263، 274، 313، 425
- الجيش المصري: 89، 168، 209، 228، 274
- الحاج، عطا: 288
- الحاج مير، صلاح: 261
- حامد، جميل (أبو شملة): 424
- حامية بدّو: 127
- حامية بيت إكسا: 269
- حامية بيت سوريك: 269
- حامية بيت صفافا: 268، 283
- حامية بيت محسير: 269
- حامية الحرم الشريف: 382، 383، 433
- حامية دير أيوب: 269
- حامية سلوان: 269
- حامية شعفاط: 269
- حامية الشيخ جراح وباب الساهرة: 262، 278-279
- حامية صور باهر: 269
- حامية الطور: 269
- حامية عين كارم: 269
- حامية قالونيا: 269
- حامية القدس: 203، 225، 379، 382، 388-389، 433
- حامية القسطل: 269
- حامية القطمون: 205
- حامية قلندبة وكفر عقب: 269
- حامية لفتا: 269
- حامية النبي داود: 267
- حامية النبي صمويل: 127، 269
- حامية يافا: 336
- الحجاز: 31، 36
- الحجازي، عبد المجيد: 382
- الحدود السورية - الفلسطينية: 213، 216
- حراج دير نظام: 419
- ح-ح
- الحاج إبراهيم، رشيد: 232

- الحرب بين كولومبيا والبيرو (1932-1933): 344
- الحسيني، جمال: 175، 330
- الحسيني، جميل: 130، 263، 282
- الحسيني، حيدر كامل: 414
- الحسيني، خالد شريف: 33، 55، 68-69، 109، 128-131، 133-136، 140، 143، 145، 147-148، 150، 160، 162، 164، 394
- الحسيني، داود صالح: 33، 55، 130، 135-136، 140، 145، 150
- 152، 157-158، 160، 418
- الحسيني، زكية: 130
- الحسيني، سامي: 120، 130، 135، 260، 378
- الحسيني، شكري: 253، 255
- الحسيني، صلاح جميل: 130، 134، 253
- الحسيني، علي محيي الدين: 126
- الحسيني، عمر حسين: 187
- الحسيني، فيصل: 187
- الحسيني، مالك: 242، 253، 378
- الحسيني، محمد النقيب: 359
- الحسيني، محمود جميل: 211، 225، 260، 262-263، 278
- الحسيني، محيي الدين: 364
- الحسيني، مصطفى كامل: 224
- الحسيني، موسى: 108-109، 160، 187
- الحسيني، نافذ: 127
- حصار بيت ريمما (1939): 183
- الحصري، محمد: 407-408
- حظيرة أبو دية: 297
- الحكومة الأردنية: 41، 48، 53، 96-101، 150، 374
- الحكومة الاستعمارية يُنظر الحكومة البريطانية
- الحرب العالمية الثانية (1939-1945): 28، 31، 173، 179، 187، 209، 253، 256، 284، 347، 399، 424، 436
- حرب العراق يُنظر ثورة رشيد عالي الكيلاني
- الحرب العربية - الإسرائيلية (1947-1949): 19-22، 30-32، 57، 59، 63، 65، 74، 78-79، 81-83، 86-89، 91، 93، 97، 109-110، 114، 149، 174، 198، 206، 210، 283، 388، 413، 429، 440
- الحرب العربية - الإسرائيلية (1967): 49
- حرب المواصلات (1948): 32، 290
- الحركة الصهيونية: 32، 202
- حزب الاستقلال: 231، 235
- الحزب العربي (فلسطين): 27-28، 69، 73، 174-176، 189، 216-217، 403، 438
- اللجنة المركزية: 217
- حزما (قرية فلسطينية): 314
- الحسبة (في حيفا): 316
- الحسن، بلال: 54
- حسونة، حسن: 412
- حسونة، شحادة: 288، 326
- الحسين بن طلال (ملك الأردن): 40-42، 45، 52، 54
- حسين بن ناصر (من الأشراف): 45
- الحسيني، إسحاق عبد السلام: 129-130
- الحسيني، إسماعيل: 223

- حكومة الانتداب يُنظر الحكومة البريطانية
الحكومة الإنكليزية يُنظر الحكومة البريطانية
الحكومة البريطانية: 73، 75، 77، 99،
179-181، 183-184، 187،
196، 235، 249، 282، 289،
308، 315-316، 436، 438-439
- الحكومة السعودية: 186
- الحكومة السورية: 231-233، 241
- حكومة شرق الأردن يُنظر الحكومة الأردنية
الحكومة العسكرية (1970): 52
- حكومة عموم فلسطين: 35، 38، 104،
156-157، 161-162، 289، 316
- حلحول (قرية فلسطينية): 180
- حلمية الزيتون (في مصر): 209
- حماما (قرية لبنانية): 215
- الحمزة، عيسى: 185
- حميدة، أمين: 204
- الحناوي، سامي: 220
- حوادث أيلول/ سبتمبر (1970): 58، 83،
91
- حوارة (بلدة فلسطينية): 421
- الحواري، مفضي حمدان: 421
- حوسان (قرية فلسطينية): 105، 162، 423
- حي أبو كبير (أحد أحياء مدينة يافا): 411
- حي اشويكة (أحد أحياء مدينة طولكرم):
246
- حي البقعة (أحد أحياء مدينة القدس): 205،
280، 375
- حي الثوري يُنظر حي دير أبو طور
- حي بيت هاكيرو (أحد أحياء اليهود في مدينة
القدس): 274
- حي دير أبو طور (حي الثوري): 260، 268
- حي روميما (أحد أحياء اليهود في مدينة
القدس): 340
- حي سانهدريا (أحد أحياء اليهود في مدينة
القدس): 278-279
- حي سعد واسعيد (أحد أحياء مدينة القدس):
359
- حي السعدية (أحد أحياء مدينة القدس): 378
- حي شبرا (أحد أحياء مدينة القاهرة): 186،
209
- حي عين شمس (أحد أحياء مدينة القاهرة):
209
- حي القطمون (أحد أحياء مدينة القدس):
205-206، 260، 267، 279-
281، 317، 320، 346-347،
375، 378، 389
- حي المصرة: 375
- حي المتفوري (أحد أحياء اليهود في مدينة
القدس): 267، 311، 355-357
- حي المنشية (أحد أحياء مدينة يافا): 411
- حي ميكور حايم (أحد أحياء اليهود في مدينة
القدس): 269، 279-280، 282،
433
- حي ميثاء شعاريم (أحد أحياء اليهود في مدينة
القدس): 263
- حي النبي داود (أحد أحياء مدينة القدس):
260، 266-267، 355-357
- حي هتكفاه (أحد أحياء اليهود في مدينة يافا):
413
- حي وادي الجوز (أحد أحياء مدينة القدس):
224، 260
- الحي اليهودي يُنظر البلدة القديمة - حارة
اليهود
- حيفا: 192، 214-215، 227، 240،
284، 316، 345
- حيمور، خليل: 168

-خ-

- داود، محمد: 52
الداود، موسى: 328
الداودي، صبحي: 260
دائرة البريد العام (القدس): 25، 309-310
الدجاني، محمد الطيب: 412
درعا: 219-221، 331-332، 376
دروزة، محمد عزة: 231
درويش، محمود: 334، 399، 407-408
دل، جون: 180
دمشق: 25، 33، 56، 79، 83، 87، 121،
133-134، 137-138، 140، 152،
167، 213، 215، 219-
220، 230، 257، 329-332،
346، 359، 364، 372-374،
376-378، 381، 390، 392،
394، 400-401، 408، 413،
415-416
دورا القرع (قرية فلسطينية): 98، 337
دول المحور: 25
دير أيوب (قرية فلسطينية): 128، 140،
143، 146، 269، 272-273، 395
دير بلوط (قرية فلسطينية): 284، 409
دير جرير (قرية فلسطينية): 204
دير دبان (قرية فلسطينية): 416
دير السودان (قرية فلسطينية): 204
دير طريف (قرية فلسطينية): 288، 406،
409، 411، 413
دير عمّار (قرية فلسطينية): 95، 148
دير الغصون (قرية فلسطينية): 246
دير نظام (قرية فلسطينية): 94، 114، 123،
155
دير ياسين (قرية فلسطينية): 125، 273،
378، 387
الخالدي، حسين فخري: 124، 127، 205،
377
الخريم، هاشم: 325
خضر، جورج: 375
الخضرا، صبحي: 231، 233-234
الخطة دالت: 32
الخطيب، جاد الله: 135-136، 271
الخطيب، مسعود: 225
خليفة، محمد: 416
الخليل (مدينة): 25، 89، 101، 180،
205، 209، 211، 242، 251،
290، 338، 399، 423
الخليل، حسن: 399
خليل، حميد: 288
الخوaja، عثمان: 163
خوري، فؤاد: 42
-د-
دار الإخوان المسلمين (في القدس): 131
دار الحاكم العسكري (في رام الله): 154
دار الحزب العربي (في القدس): 176،
189، 438
دار الحكومة الإنكليزية (في رام الله): 308
دار خصيب، سليم أبو صالح (أبو شريف):
399، 413
دار خصيب، مصطفى صالح يحيى: 399
دار المتحف الفلسطيني: 224
دار محطة اللاسلكي: 153، 252
دار محمود الهباب: 163
دار النوباني: 122
الداغستاني، غازي: 417
داود، أنطون جميل: 343، 346، 354

- ديوان آل نزال: 403
الديوان الملكي الأردني: 41، 58، 89
-ر-
رأس الناقورة (بلدة لبنانية): 219
راغب، مصطفى: 418
رام الله: 43-44، 49، 71، 73، 94، 96-97، 100-102، 104، 119، 122، 126-127، 132، 137، 143-145، 148، 149، 158-161، 163، 180، 181، 204، 211، 218-219، 221، 223، 224، 251-252، 257-258، 272، 276، 278، 296، 298، 300، 304، 306، 308، 310-312، 314، 318، 323، 327، 329، 336-338، 342، 343، 345، 347، 375، 378-379، 381، 388، 390، 396-397، 401، 407، 413، 417، 425، 435، 437
رامات راحيل (مستعمرة): 271، 434
ربيع، سليم: 253
رشيد، فاضل: 379، 382، 388-389
رصاص، خليل: 441-442، 446
الرفاتي، عواد: 326
الرفاعي، سمير: 45
الرفاعي، عبد المنعم: 51
الرفيدي، عواد: 288
رمانة (قرية فلسطينية): 242
الرمثا: 222، 331-332، 392
الرمحي، محمد صلاح: 416
الرملة: 94، 107، 137-138، 146-147، 149، 154، 156، 251، 290، 304، 325-326، 383، 408-409
-ز-
زاخو (في العراق): 186، 398
- رتيس (قرية فلسطينية): 95، 148، 154-155، 410-411، 416-417، 421-424
رودس: 31
روديسيا: 175
رويحة، أمين: 132
الريماوي، أحمد: 315
الريماوي، أديب محمد: 28، 102، 159-160، 184، 186
الريماوي، حسن أحمد طه: 208
الريماوي، حسين أحمد طه: 216
الريماوي، رفيق أحمد حسن طه: 216، 404
الريماوي، سميح: 406
الريماوي، شوقي: 419
الريماوي، صالح أحمد: 28، 208
الريماوي، عاهد محمود: 28، 186، 255، 403
الريماوي، عبد العزيز: 301، 315
الريماوي، عبد الغني: 222
الريماوي، عبد القادر الراعي: 182
الريماوي، عبد الكريم: 404-405
الريماوي، عبد الله محمد: 92، 138، 278، 424
الريماوي، عبد الله الحسن: 424
الريماوي، عبد الله حسن طه: 423
الريماوي، فائق حسن طه: 28، 182
الريماوي، فائق زكي: 181
الريماوي، فائق علي: 183
الريماوي، محمد الذيب: 184، 399
الريماوي، محمود يوسف: 408
-ز-

- الزبيدي، طاهر: 157، 155
- الزراعة (مستعمرة): 277، 238
- الزرقاء: 222، 156، 94
- زعيتر، أكرم: 232
- الزعيم، بشير: 331
- الزعيم، حسني: 331، 236، 220
- زكريا (قرية فلسطينية): 281
- زمارين (قرية فلسطينية): 346
- زيتا (قرية فلسطينية): 246
- الزيتاوي، عوض الله إبراهيم: 223
- س-
- ساحة صهيون - زيون: 340، 337
- سارونا (مستعمرة): 327، 325
- ساريس (قرية فلسطينية): 144
- السالم، خالد: 288
- الساوية (قرية فلسطينية): 421
- السباعي، مصطفى: 378
- السبع، سعيد: 403، 246
- السبع، عبد الرحيم: 403
- سترونغ وايز، فوكس: 74
- سجن الجعفر: 45
- سجن نور شمس: 239
- السديري، عبد العزيز: 186، 184
- سردا (قرية فلسطينية): 204
- سرية كشافة رام الله: 437
- سعد، معروف: 400
- السعدي، محمد: 158
- سعود (قنصل مصر في حيفا): 228-227
- السعودية: 398، 186، 184
- السعيد، نوري: 157
- السكسك، عبد الرحمن: 412
- سلامة، حسن علي (أبو علي): 34، 32-31
- 69، 95، 133، 138، 147، 238،
- 286، 290، 329-331، 335-
- 336، 383، 398-401، 404،
- 406-409، 413، 440
- السلطات البريطانية يُنظر الانتداب البريطاني
على فلسطين
- سلواد (قرية فلسطينية): 204، 424
- السلوادي، جمعة: 126، 133
- السلوادي، محمد: 204
- سلوان (قرية فلسطينية): 275
- سليم، سليمان: 257، 300، 329، 337،
- 354، 401
- السّمان، نديم: 84-85، 104-105،
- 160-162، 332
- سمرين، عبد الله: 211، 213، 224
- سنجل (قرية فلسطينية): 204
- السلطات الأردنية يُنظر الحكومة الأردنية
- سورية: 31، 45-46، 79، 121، 213،
- 220، 233، 235، 331، 391
- سوق البازار (في القدس): 266، 316، 322
- سوق الحميدية (في دمشق): 219
- سوق الخضار (في يافا): 316
- سيجست، آلان: 26-27
- سيف الإسلام عبد الله (ولي عهد اليمن):
- 394
- سيلة الظهر (قرية فلسطينية): 218، 243،
- 264
- سينما دنيا (في رام الله): 71، 73، 101،
- 158، 437
- سينما زيون: 340
- ش-
- شارع أَللنبي: 344
- شارع بن يهودا: 84، 167، 202، 320-
- 321، 335، 337، 340، 401

- شارع الحسبة: 318
 شارع السلط: 222، 391
 شارع مأمّن الله: 265، 375
 شارع محنة يهودا يُنظر شارع بن يهودا
 شارع الملك جورج: 350، 352، 374
 شارع هاسوليل - بن يهودا: 375
 شاريت، موشيه (شرتوك): 191
 شاور، أحمد ذيب: 402
 الشاوي، مزهر إسماعيل: 419
 شحادة، عزيز: 159
 شحدة، عبد الرحمن علي (أبو علي): 208 -
 209، 226-227، 456
 الشخامي، إسماعيل: 185
 الشخامي، علي: 421، 423
 الشخامي، عيسى: 420
 الشخامي، محمد: 208، 274
 الشراباتي، أحمد: 371، 391
 الشرطة الأردنية: 84، 104، 161، 162
 شرطة حكومة فلسطين - الاستعمار
 البريطاني:
 - الشرطة البريطانية: 74، 159، 223،
 259، 322، 323، 326، 338
 - الشرطة الفلسطينية: 96، 106، 346،
 422
 - الشرطة اليهودية: 299، 346
 شرطة رام الله يُنظر شرطة حكومة
 فلسطين - الاستعمار البريطاني -
 الشرطة الفلسطينية
 الشرع، صادق: 103، 153
 شرف، عبد الحميد: 58
 الشرفا، يوسف: 392
 الشرق الأوسط: 181
 شركة الطيران المدني (تاكا): 343
 شركة مناجم الفوسفات الأردنية المساهمة
 العامة المحدودة: 40
 شعبان، أحمد: 302
 شعبان، موسى: 224
 شعفاط (قرية فلسطينية): 126، 128، 131،
 143، 209، 272، 312، 318
 شقير، شوكت: 230
 الشقيري، أحمد أسعد: 46-48، 51، 53-
 54
 الشنقيطي، محمد الأمين: 393
 شهاب، فؤاد: 391
 الشواف، عبد الوهاب: 416، 419
 الشوربجي، عبد الرزاق مصلح: 332
 الشونة: 84-85، 167، 333
 شيبان، موسى: 97، 103-104، 137،
 143، 149، 153-154، 159
 204، 211، 253، 255، 419
 الشيخ جراح (أحد أحياء مدينة القدس):
 131، 224، 260، 262، 278-
 280، 394، 433
 -ص-
 صالح، توفيق: 160
 صائب، صالح: 152، 391
 الصبّاغ، محمود: 225
 صبح، حمزة: 326
 صبور، صبور سعد الدين: 391
 الصحراء الغربية: 187، 209-210
 صحيفة الأهرام: 89، 207
 صحيفة الجمهور المصري: 36
 صحيفة الدستور: 57، 64، 429
 صحيفة الدفاع: 56
 صحيفة الوحدة: 28، 69، 80، 187، 223
 صحيفة فلسطين: 73-74

- الصراع العربي - الصهيوني: 19، 57
صراع النجادة - الفتوة: 75
صرفند (قرية فلسطينية): 347
صفا (قرية فلسطينية): 163
صفا، عبد العزيز: 159
صفا، محمد: 238
صفوت، إسماعيل: 139، 230، 233
371-372، 391
الصُّلح، رياض: 139، 371، 373، 391
صهيون، راجي: 258
صوبا (قرية فلسطينية): 378، 383
صور باهر (قرية فلسطينية): 270-271
434، 385
صوريف (قرية فلسطينية): 121، 211
241، 290-291، 294
صويلح: 223
صيدا: 400
- ض-
- الضفة الغربية: 45
- ط-
- الطاهر، محمد علي: 208
الطاهر، مصطفى: 441
طبارة، بهجت: 84-86، 97، 149، 332
الطبّاع، صبري: 139، 392
الطبري، صدقي: 216-217
طبريا: 121، 213، 216-217
الطريفي، خليل: 416
الطريفي، سعيد: 186
طريق باب الوداد: 140-142، 385، 395
397
طريق بيرزيت - رام الله: 378
- طريق بيرزيت - النبي صالح - عابود -
مستعمرة بن شيمين - اللد - يافا: 325
طريق جنين - نابلس: 218
طريق درعا - دمشق: 220
طريق درعا - عمّان: 376
طريق رام الله - الرملة: 338
طريق رام الله - القدس: 306، 433
طريق رام الله - اللطرون: 304، 306
طريق سكة الحديد تل أبيب - يافا - القدس:
433
طريق السلط: 223
الطريق الصحراوي: 186
طريق طوباس - الفارعة - نابلس - رام الله:
218
طريق عابود - بيرزيت: 164
طريق القدس - بيت لحم - الخليل: 267
356
طريق القدس - تل أبيب: 272، 294، 388
طريق القدس - رام الله: 262، 312، 433
طريق القدس - رام الله - نابلس: 262
طريق القدس - يافا: 269
طريق اللد - يافا: 326
طريق نابلس - القدس: 164
طه، عبد الله حسن: 421، 423
طوباس (قرية فلسطينية): 157، 163، 237
245، 287، 334، 338، 372
طوباسي، عبد الكريم: 246
الطور (قرية فلسطينية): 275-276، 452
الطوري، هارون: 332
طولكرم: 100، 123، 125، 152-153
157، 163، 237، 239، 246
الطيبة (قرية فلسطينية): 246

-ع-

- عابود (قرية فلسطينية): 106، 155-156، 164-165، 204، 334، 406، 411-416، 417
- العارف، عارف: 20، 64، 66، 77-78، 98-100، 133-134، 150-151، 308، 310، 337، 401، 435
- عارف، عبد السلام: 416
- عارورة (قرية فلسطينية): 204، 206، 399، 413، 415
- عازر، سليمان: 434
- العاص، سعيد: 25، 30، 398
- العاني، مهدي صالح: 134، 136-137، 396
- العائدي، عبد الكريم: 221
- عائلة أباطة باشا: 207
- عباس، مدلول: 401-403
- العباسية (قرية فلسطينية): 286، 334، 399، 407-408، 413
- عبد الإله بن علي (أمير والوصي على عرش العراق): 155، 157
- عبد الباقي، أحمد حلمي: 124، 126-127، 131، 137، 205، 232، 375-376
- عبد الجليل، محمود: 315
- عبد الحميد، محمد (أبو زكي): 407-408
- عبد الحميد، محمود: 285، 314
- عبد الخالق (مساعد محمد نجيب): 209
- عبد الرحيم، زكي: 399، 416
- عبد الرزاق (أحد ضباط الأمن في سورية): 332
- عبد الرزاق، محمد: 267
- عبد الصمد، عبد الدايم: 306
- عبد العزيز آل سعود (الملك): 330
- عبد الفتاح، رشيد: 168
- عبد اللطيف، ذو الكفل: 389-390، 399
- عبد الله الأول بن الحسين (ملك الأردن): 83-87، 89، 93-94، 98-99، 102، 107، 109، 137، 140، 149-151، 153، 156-158، 160، 163، 166-167، 331-333، 391-394
- العبد لله، حسن: 246
- عبد الله، سعيد: 126، 133
- عبد المقصود، حسن: 207
- عبد الناصر، جمال: 226-227
- عبد الهادي، جميل: 161
- عبد الهادي، عوني: 231
- عبد الهادي، نعيم: 53
- عبد، محمود: 434
- العبورة، موسى: 404
- العبورة، وحيد: 404
- عبوين (قرية فلسطينية): 204، 247
- عثمان، سعيد حسن: 407-408
- العدوان الثلاثي على مصر (1956) يُنظر حرب السويس (1956)
- عرابة (قرية فلسطينية): 243، 245
- العراق: 271، 335، 373، 391، 398، 401، 419، 422
- عرفات، ياسر: 51-52
- عريقات، رشيد: 383
- عريقات، فوزي: 158
- عريقات، كامل (أبو غازي): 63، 71، 390، 394-437، 439
- عريقات، هاشم: 333
- عزّام، عبد الرحمن: 138، 369، 371، 391
- عزبة النخل (أحد أحياء مدينة القاهرة): 209

- عزون (بلدة فلسطينية): 246
عساف، العبد: 404
العسعس، حنّا: 219-220
عشيرة أولاد علي: 209
عشيرة الترايين: 211
عشيرة العدوان: 184
عصام (مدير مكتب جامعة الدول العربية في الأرجنتين): 206
عصبة التحرر الوطني في فلسطين: 91
العطاري، محمد: 245
عطفة، عبد الله: 391
عطية، ناصر: 437
العفولة (مستعمرة): 121، 123، 217
العفيفي، هاشم: 164
عكا: 346
العلي، إبراهيم: 153
علي، عمر: 417
علي، محمد: 270، 283، 433، 434
علي، محمود يوسف: 216
عمارة الأوقاف الكبيرة (فندق الأوقاف): 265
عمّان: 79-80، 85، 87، 138، 167-
168، 221-223، 331-333
390، 392
العمد، جودت: 380
العمرى، أرشد: 391
العمرى، عبد الله: 270، 280، 378-379،
382
العمرى، محمود: 269-270، 280، 433
عملية نحشون (القدس - 1948): 32-33
عمواس (قرية فلسطينية): 338
عمير، حسن رزق: 407
عنتبا (قرية فلسطينية): 153، 246
العودات، يعقوب: 438
العودة، أحمد: 184
عودة، رفعت محمود: 214، 216-218
عودة، محمد نمر: 399، 416
العودة، مصطفى: 214، 246
العوري، خليل أحمد: 209
العوري، فريد أحمد: 26-27، 209
عيّاد، عيسى: 185
العزيزية: 160، 162، 275-276، 398
العيصوية (قرية فلسطينية): 275
عيسى، خليل محمد (أبو إبراهيم الكبير):
347، 446
العيسى، علي محمد: 185
العيسى، ميشيل: 392
عين سينيا (قرية فلسطينية): 165، 317،
328
عين كارم (قرية فلسطينية): 185، 208،
211، 269، 272، 274، 278-
279، 382
عين يبرود (قرية فلسطينية): 204
-غ-
غالب، علي: 158
الغزاوي، محمد صالح: 214
غزة: 100، 153، 224، 429
غلوب، جون باغوت (أبو حنيك): 39، 82،
95، 147، 149، 168، 313
غور أريحا: 399
الغوري، إميل: 63-64، 66-70، 72-
77، 120، 132، 134، 138، 175،
205-206، 369، 390، 436
-ف-
الفارس، عبد الرؤوف: 401

- الفارس، علي: 245
- فاروق الأول (ملك مصر): 226
- الفايز، عاكف مثقال: 80-81، 222-223
- الفايز، مثقال: 80-81، 185، 221-223
- الفايز، محمد: 83، 249، 298، 300
- فخر الدين، فريد: 158-159، 216-217، 253، 255
- الفرخ، خالد: 415
- فِرَق الثَّأر: 190، 192، 194
- فِرَق الحرية: 190، 192-193
- فِرَق الفتوة: 71، 176-177، 437
- فِرَق القوة: 19، 192، 194
- فرقة البلاك ووتش: 181
- فرقة البلماح (الصاعقة): 114، 140، 142-143، 385
- فرقة المغاوير: 256، 302، 317-318
- 422، 356، 335
- فرنسا: 187، 344، 389
- فريديس (قرية فلسطينية): 346
- فندق أتلاتنك: 114، 320-322، 337
- 340
- فندق أمدورسكي: 322، 340
- فندق الأوريون/الشرق: 330، 369، 373، 392
- فندق بانوراما: 143، 329، 375، 379
- فندق بلاط الرشيد: 222
- فندق الجامعة العربية: 213، 216، 392
- فندق سميراميس: 267، 280، 317، 322
- فندق عدن (القدس): 349-351
- فندق الكازابلانكا: 258، 305
- فندق الملك داود: 179، 316، 438
- فوج حطين: 401، 403
- فوزي، خالد: 206
- ق-
- قاسم (مسؤول جمرك الرمثا): 222
- القاسم، صدقي: 392-393
- قاسم، عبد الكريم: 416
- القاسم، علي: 239
- قالونيا (قرية فلسطينية): 269، 272-273، 383
- القاهرة: 35، 39، 48، 54-55، 60، 80، 95، 128، 131، 135، 146-147، 166-167، 186-188، 196، 207-209، 211-212، 224-225، 227، 257، 302، 337، 375، 390، 394، 398-400، 440، 414، 408
- القواقجي، فوزي: 29، 77، 85، 123، 132-137، 139، 143، 228، 234-241، 258، 277، 332-333، 334، 354، 367-368، 372، 392، 398
- قبيلة بني صخر: 184، 408
- قبيلة الحويطات: 82
- قدسيا: 371
- القدومي، جميل: 246
- قراوة (بلدة فلسطينية): 315
- القريات (في السعودية): 184-186
- قريات المالح يُنظر القريات
- القسطل (قرية فلسطينية): 33، 77، 269، 272-273، 359، 371-373، 376، 378-383، 387، 409
- قصر البليسي: 391، 393
- قصر رغدان: 331، 393-394
- قصر الشونة: 84-86، 333

- القضية الفلسطينية: 53-54، 56، 63، 137، 229
- كفر عتسيون (مستعمرة): 114، 290-291
- كفر الديك (قرية فلسطينية): 184
- كفر عين (قرية فلسطينية): 182
- كفر قاسم (قرية فلسطينية): 94، 156، 284، 289، 404-406، 409، 416
- كفر قدوم (قرية فلسطينية): 245-246
- الكفير (قرية فلسطينية): 243، 435
- كلية بيرزيت: 205
- الكلية الرشيدية (في القدس): 24
- كلية سانت جونس (في بوغوتا): 343
- الكلية العربية (في القدس): 24
- الكلية العسكرية الملكية العراقية: 25، 186
- كم الماظ، إحسان: 220، 236، 331
- كم الماظ، خالد: 219-221، 331
- كمال، واصف: 232
- كندا: 38
- كوبر (قرية فلسطينية): 204
- كولومبيا: 343-344، 346
- الكيالي، محمد علي: 288، 326
- الكيان الصهيوني يُنظر إسرائيلي
- الكيرن كايمت (الصندوق القومي اليهودي): 351
- ل-
- اللبان، محمد: 68، 446
- اللبن الغربي (قرية فلسطينية): 411
- لبنان: 222-223، 233، 375، 391، 399-400
- ليب، محمود: 71، 73-74، 177، 227، 436-438، 440
- لجنة الطوارئ في القدس: 120
- اللجنة العربية العليا: 66، 75
- القطب، فوزي: 197، 256، 294، 317، 335-338
- قليلية: 153، 163، 246، 284، 289، 403
- قلندية (قرية فلسطينية): 128، 385
- قلندية (مستعمرة): 144، 304، 306، 310، 381، 433
- قلنسوة (قرية فلسطينية): 246
- التنصليّة الأميركية في القدس: 347-351
- التنصليّة المصرية في القدس: 206، 228
- القيطرة: 220
- القوات الأردنية يُنظر الجيش العربي الأردني
- قوات البدو: 409
- القوات البريطانية يُنظر الجيش البريطاني
- قوات الحدود (الأمن الإضافي): 168، 436
- القوات العثمانية: 24
- القوات العراقية: 34، 94، 103، 107، 404، 416، 423-424
- القوات العربية: 146، 423، 442
- القتولي، شكري: 230-231، 233، 330
- قولة (قرية فلسطينية): 108، 406-407، 411، 422-425، 429
- ك-
- الكاظمي، أحمد: 323
- الكتيبة الأولى (كتيبة البادية): 165
- الكتيبة الثامنة: 153، 162-163، 165
- الكتيبة الثانية: 103
- الكتيبة الرابعة: 165
- الكرك: 257
- كريات عنافيم (مستعمرة): 296

- مجلس الأعيان الأردني: 58 ، اللجنة القومية: 82، 97، 99-100، 122 ،
مجلس النواب الأردني: 30، 43-46، 49- ، 127-126 ، 133 ، 137 ، 143 ،
72، 59-58، 56، 51 ، 151-149 ، 224 ، 246 ، 326 ،
مجلس الوزراء الأردني: 43 ، 329 ، 375 ، 388 ، 400-401 ،
محسن، عيسى خليل: 30، 37، 62 ، 441، 412
محطة إذاعة صوت الجهاد المقدس: 258 ، لجنة اللاجئيين: 43
304 ، اللجنة الملكية لشؤون القدس: 58-59
محمدة الإرسال (الإذاعة الرسمية) يُنظر ، اللد: 94، 107، 132-134، 137-138 ،
مصلحة الإذاعة الفلسطينية ، 146-147 ، 154 ، 156 ، 166 ،
محمد (أحد أعضاء البرلمان المصري): 226 ، 227 ، 251-252 ، 284 ، 288 ،
محمود، عبد الرحيم: 401 ، 290 ، 325-326 ، 400 ، 408-
محمود، نور الدين: 420 ، 409 ، 411-412 ، 417 ، 419 ، 423 ،
مخابرات الحكومة الاستعمارية: 73، 340 ، اللطرون (قرية فلسطينية): 144 ، 327 ،
مدرسة بوغوتا: 343 ، 395 ، 338
مدرسة بيت حنينا: 314-315 ، لفتا: 208، 272، 274
مدرسة ترسانطة: 353 ، اللوزي، أحمد: 58
المدرسة الرشيدية: 26 ، ليك سيتي: 389
مدرسة الروضة: 378 ، -م-
مدرسة الزرقاء: 166 ، مارسدن، بيتر: 328
مدرسة المأمونية: 133، 135 ، الماضي، معين: 232
مدرسة المجدل: 407 ، مباحث الجنائيات الإنكليزية: 318
مدينة الشام يُنظر دمشق ، المجالي، شبلي: 408
مذبحة دير ياسين: 387 ، المجالي، عبد الوهاب: 51
مردم، جميل: 88، 138 ، المجالي، هزاع: 92-93
مرسى مطروح: 424 ، المجدل يُنظر مجدل الصادق
مرسيليا: 344 ، مجدل الصادق (قرية فلسطينية): 284-
مرفقة، فخري: 330، 399، 416 ، 286 ، 288 ، 406-407 ، 409 ،
مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية: 54 ، 412، 422
مركز بوليس بيت دجن: 325-326 ، مجلة الأنصار: 207
مركز بوليس زمارين (زخرون يعقوف): 346 ، مجلة شؤون فلسطينية: 54، 57
مركز بوليس سارونا: 324 ، مجلة فلسطين: 68
مركز الجمرک في الرمثا: 79، 221، 223 ، مجلة المصوّر: 441-442
المجلس الإسلامي الأعلى: 75

- المصطفى، ناجي: 245، 357
- مصلحة الإذاعة الفلسطينية - الاستعمار
البريطاني: 98، 150، 258، 282،
309
- مطار اللد: 138
- مطر، عمر: 102-104، 153، 160-161،
166-167
- المطرية (أحد أحياء مدينة القاهرة): 209
- معارك باب الواد (1948): 34، 69، 81،
143، 395
- معارك رأس العين (1948): 34، 409
- الأولى: 405
- الكبرى: 406
- معاهدة رودس يُنظر اتفاقات رودس
(1949)
- معركة باب الواد الكبرى (1948): 82-83،
249، 385، 394، 442
- معركة بدو الكبرى (1948): 385، 388
- معركة بني نعيم (1939): 25
- معركة بيت سوريك الأولى (1948): 83،
249، 294
- معركة جنين (1948): 417
- معركة الخضر (1936): 25
- معركة شعفاط ونفيه يعقوب (1948): 311
- معركة الشيخ جراح (1948) 385
- معركة صوريف (1948): 290
- معركة القسطل (1948): 77، 205، 273،
387
- معركة الكرامة (1968): 50
- معركة المصيون (1948): 77، 303
- معسكر بيت نبالا: 138، 407، 409
- معسكر الجيش البريطاني: 280
- مركز الجوازات في الرمثا: 392
- مركز شرطة سيلة الظهر: 218
- مزارع النوباني (قرية فلسطينية): 161، 204،
المزّة: 234، 367، 373
- المزرعاوي، سميح: 404-406
- المزرعاوي، وحيد: 406
- المزرعة الشرقية (قرية فلسطينية): 204
- المزرعة القبليّة (قرية فلسطينية): 204،
325، 404
- المزيرعة (قرية فلسطينية): 108، 411،
422-425
- المستشفى الإيطالي: 318
- مستشفى البعثة المصرية (في الرملة): 408
- مستشفى الجهاد المقدس (في رام الله): 300
- مستشفى رام الله: 82-83، 249، 396
- مستشفى الطوارئ (في اللد): 408
- المستشفى الفرنسي (في القدس): 264
- مستشفى مدينة الحسين الطبية: 59
- مستشفى هداسا: 264، 276، 302، 433
- المسجد الأقصى: 204، 430
- مشروع روتنبرغ: 201
- مشروع قرار تقسيم فلسطين (1947): 22،
32، 66، 191، 199، 203، 213،
276، 372، 431
- مشار هعيمك (مستعمرة): 239، 277
- مصر: 24، 28، 31، 37-38، 45-46،
53، 130، 173، 177، 186-187،
189-190، 192، 196-197،
202-203، 207، 210-211،
224، 227، 242، 284، 372
- 438، 434، 394، 391
- المصري، نمر: 399
- مصطفى (رئيس العمال): 346

- 194، 192، 190: المنظمة العسكرية العربية: 146 ،
 217
 منظمة النجادة: 71، 177، 437
 منون، خليل: 135، 211، 213، 274 ،
 المهدي، محمود: 107، 158، 416-417،
 424، 422-421، 419
 مهنا، رشاد: 226
 مواجهات يافا - تل أبيب (1947): 73
 موتسا (مستعمرة): 114، 296، 381، 383
 مؤتمر أريحا (1948): 101-102، 158-
 160
 مؤتمر الجامعة العربية (1947: عاليه): 222
 مؤتمر رام الله (1948): 71، 101، 160
 مؤتمر غزة (1948): 100، 103، 153
 المؤتمر الفلسطيني (1: 1964: القدس):
 46
 - (2: 1965: القاهرة): 48
 الموسوس، علي: 380، 382
 الموسى، اذياب: 288
 الموسى، سليمان: 57
 ميناء تل أبيب: 238
 ميناء حيفا: 344
 -ن-
 نابلس: 100، 103، 123، 145، 148 ،
 152-153، 157-158، 161
 163، 214، 218، 237، 245-
 246، 252، 314، 323، 334
 354، 390، 401، 418، 421، 425
 النابلسي، سليمان: 39، 80-81، 223
 النادي الرياضي الثقافي في بيت لحم: 347
 نادي الصفا: 230
 نادي عمان: 85، 223، 332
 ناصر بن جميل (من الأشراف): 92
 ناصر، نبيهة: 205
 معسكر الجيش العربي (في يالو): 146 ،
 217
 معسكر رأس العين: 283، 285-289 ،
 290، 401-406
 معسكر قطنة: 216، 235، 400
 معسكرات الطيران البريطاني: 284
 معمر، ذياب حسين: 337
 المفرق: 84، 332
 مفرق وادي جنين رحبوت - ديران: 327
 مقام النبي داود: 355
 مقهى جروس: 227
 ملبس يُنظر مستعمرة بيتح تكفا
 المملكة الأردنية الهاشمية يُنظر الأردن
 منطقة أبودية: 136
 منطقة باب الواد: 34، 69-70، 82، 93 ،
 128، 140-143، 146، 168
 273، 338، 385، 394-397 ،
 409، 432
 منطقة سانهست: 262
 منطقة الشابسوغ (في عمان): 222
 منطقة الشيخ مسكين (في درعا): 220
 منطقة العريش (في مصر): 224
 منطقة المثلث العربي (في فلسطين): 123 ،
 246-247
 منظمة الأروغون تسفائي ليثومي (إيتسل):
 141-142، 195، 321، 347
 منظمة التحرير الفلسطينية: 46-51، 53-
 57، 91
 منظمة الشباب العربي: 70-71، 73-74 ،
 177، 227، 306، 403، 436-438
 منظمة شتيرن (ليحي): 195، 303، 309 ،
 319
 منظمة الشيخ عز الدين القسام: 66

- ناصر، نجيب: 402
الناصرية: 236، 240، 344
الناظر، صلاح: 412، 440-441
الناقة، عبد الله: 412
النبي صالح (قرية فلسطينية): 123، 127، 247
النبي صمويل (قرية فلسطينية): 82، 269، 272، 278، 388، 392، 394، 396
النجار، محمد عادل: 225، 260، 384
نجيب، محمد: 209، 210
نحلة (قرية فلسطينية): 423
نسبية، أنور: 384
النشاشيبي، إسحاق: 288-289
النشاشيبي، عزمي: 97-98، 149-150
نصار، فؤاد: 185
نعلين (قرية فلسطينية): 95، 148، 165
نعواس، عبد الله: 420
نفيه يعقوب (مستعمرة): 114، 144، 311-312، 314-315، 385، 433
النقراشي، محمود فهمي: 227-228
النوباني، إبراهيم: 312
النوباني، محمد عمر (أبو شوكت): 312
نويهض، عجاج: 102، 159
نيومان (قائد إنكليزي): 165
نيويورك: 38، 389
-ه-
- هاشم، محمد: 153
الهاشمي، طه: 233، 365، 371
الهاغاناه: 114، 142، 146، 202، 278، 282، 284، 294، 299-300، 303، 320، 322، 337، 342، 347، 350، 352، 433، 441
الهباب، محمود: 96-97، 106، 149، 163
- الهزيل، صالح: 184
الهندي، محمود: 139، 230، 234، 367، 371، 391
الهوري، محمد نمر: 177، 440
هيئة الصليب الأحمر الدولية: 221
الهيئة العربية العليا: 22، 31-35، 64، 66-68، 70، 75، 78، 86، 88، 90، 93، 95، 99-100، 106، 119، 123، 127، 151-152، 156-157، 175-177، 191، 205، 219، 222، 228، 278، 303، 330، 364، 368، 381، 388-389، 446
- اللجنة الاقتصادية: 176
-و-
وادي الخيار: 138، 411
وايت، جورج أنتوني: 323، 328
وعد بلفور (1917): 26
وكالة الأنباء العربية: 89
الوكالة اليهودية: 122، 167، 174، 202، 265، 303، 343، 347-348، 350-351، 354، 363، 389
الولايات المتحدة الأميركية: 38، 389، 430
الولجة (قرية فلسطينية): 105، 162، 274، 423
ويغل، أرشيبالد: 180
ويلزيات، جيمس: 344
-ي-
- ياسين، عبد الحفيظ: 406
ياسين، عبد العزيز محمد: 216
ياسين، يوسف: 186
يافا: 192، 194، 223، 238، 240، 284، 316، 323-325، 327، 345، 398-399، 411-412، 432، 440-441

- يالو (قرية فلسطينية): 396-395، 146
اليامون (قرية فلسطينية): 347
بيروود (قرية فلسطينية): 204، 224، 278،
302
البيروودي، حسن: 258، 310
يركس (طيار أسترالي): 344
يغمور، عبد الخالق: 47، 209
اليوسف، محمود: 406
اليونس، محمد سعيد: 403